(فهرسة الجزء العاشر من فتح البيان)

(تمت)

(فهرسة الجزء العاشر من تفسير الحافظ ابن كثير)

(تمت)

(الجزء العاشر)

من التفسير المسمى فتح البيان

فى مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق

الهمام المؤيد من مولاه القدير البارى أبى الطيب صديق

ابن حسن القنوجى البخارى ملك مدينة بهوپال

حالا بالاقطار الهندية لا زالت

كواكب فضله فى

الآفاق زاهرة

مضيه

آمين

وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبى الفداء اسمعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى المولود سنة سبعمائة وعشرة المتوفى سنة سبعمائة وأربعة وسبعين وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مسندة من أصحابها مع الكلام عما يحتاج اليه جرحا وتعديلا اهـ من كشف الظنون

---

*(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية)

سنة ١٣٠١ هجريه



بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الملك)

وتسمى سورة تبارك والواقية والمنجية وتدعى في التوراة المانعة وهي ثلاثون آية وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن الضريس والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب والترمذي وقال هذا حديث حسن وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة تبارك الآية أخرجه الطبراني في الاوسط وابن مردويه والضياء في المختارة وعن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية من عذاب القبر أخرجه الحاكم وابن مردويه وابن نصر والبيهقي في الدلائل والترمذي وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك هي المانعة من عذاب القبر أخرجه ابن مردويه والنسائي وصححه الحاكم وعن رافع بن

خديج

(تفسير سورة الطلاق وهي مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) خوطب النبي صلى الله عليه وسلم أولا تشريفا وتكريما ثم خاطب الامة تبعا فقال تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهباري ثنا أسباط بن محمد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فأتت أهلها فأنزل الله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من أزواجك ونسائك في الجنة ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الاعلى عن سعيد عن قتادة فذكره مرسلا وقد ورد من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وقال البخاري ثنا يحيى ابن بكير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني سالم ان عبد الله بن عمر أخبره انه طلق امرأة له وهي حائض فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ثم قال ليراجعها ثم يمسكها

حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل هكذا رواه البخاري ههنا وقد رواه في مواضع من كتابه ومسلم ولفظه فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة وموضع استقصائها كتب الاحكام وأمس لفظ يورد ههنا مارواه مسلم في صحيحه من طريق ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق أو يمسك قال ابن عمر وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن وقال الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن قال الطهر من غير جماع وروى عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن قال لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه ولكن يتركها حتى اذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة وقال عكرمة فطلقوهن لعدتهن العدة الطهر والقرء الحيضة أن يطلقها حبلى مستبينا حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدري حبلى هي أم لا ومن ههنا أخذ الفقهاء احكام الطلاق وقسموه الى طلاق سنة وطلاق بدعة فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدري أحملت أم لا وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى وأحصوا العدة أي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الازواج واتقوا الله ربكم أي في ذلك وقوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن أي في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج مادامت معتدة منه فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضا الخروج لانها معتقلة لحق الزوج أيضا وقوله تعالى الا أن يأتين بفاحشة

خديج وأبي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنزلت على سورة تبارك وهي ثلاثون آية جملة واحدة وهي المانعة في القبور أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس انه قال لرجل الا أتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن ينجيه الله من عذاب النار وينجو بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت انها في قلب كل انسان من أمتي أخرجه عبد بن حميد في مسنده والطبراني والحاكم وابن مردويه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذي بيده الملك) تبارك تفاعل من البركة والبركة النماء والزيادة وقيل تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين وقيل دام فهو الدائم الذي لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه وقال الحسن تبارك تقدس وصيغة تفاعل للمبالغة واليد مجاز عن القدرة والاستيلاء عند المتكلمة وصفة من صفاته عند المحدثين وهو الاولى والملك هو ملك السموات والارض في الدنيا والآخرة فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء ويرفع من يشاء ويضع من يشاء وقيل المراد بالملك ملك النبوة وقيل الملك الامر والنهي والسلطان أي التمكن من سائر الموجودات يتصرف فيها كيفما أراد قال الرازي الملك تمام القدرة واستحكامها والاول أولى لان الحمل على العموم أكثر مدحا وأبلغ ثناء ولا وجه للتخصيص (وهو على كل شيء قدير) أي بليغ القدرة لا يعجزه شيء من الاشياء يتصرف في ملكه كيف يريد من انعام وانتقام ورفع ووضع واعطاء ومنع قال أبو السعود الجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها وفي الكرخي لما اقترن الشيء بقوله قدير علم ان المراد منه المعدوم الذي يدخل تحت القدرة دون غيره (الذي خلق الموت والحياة) الموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته له والحياة تعلق الروح بالبدن واتصاله به وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وقيل الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل المراد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة وفيه بعد وقدم الموت على الحياة لان أصل الاشياء عدم الحياة والحياة عارضة لها وقيل لان الموت أقرب الى القهر وقال مقاتل خلق الموت يعني النطفة والمضغة والعلقة والحياة يعني خلقه انسانا وخلق فيه الروح وقيل

خلق الموت على صورة كبش لا يمر على شيء الا مات وخلق الحياة على صورة فرس لا يمر بشيء الا حيي قاله مقاتل والكلبي وقد ورد في التنزيل قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقوله اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة وقوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها وغير ذلك من الآيات وقال النسفي الحياة ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلقهما ايجاد ذلك المصحح واعدامه أي خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) أي ليعاملكم معاملة من يختبركم والا فعلمه محيط بكل شيء قال الشهاب الاختبار يقتضي عدم علم المختبر بالكسر بحال المختبر بالفتح فلهذا جعلوه استعارة تمثيلية أو تبعية على تشبيه حالهم في تكاليفه تعالى لهم بتكاليفه وخلق الموت والحياة لهم واثابته لهم وعقوبته بحال المختبر مع من اختبره وجربه لينظر طاعته وعصيانه فيكرمه أو يهينه (أيكم أحسن عملا) فيجازيكم على ذلك وقيل المعنى ليبلوكم ربكم أيكم أكثر ذكرا للموت وأحسن استعدادا وأشد منه خوفا وقيل أيكم أحسن عقلا وأسرع الى طاعة الله وأورع عن محارم الله وقيل أخلص عملا وأصوبه والخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل أزهد في الدنيا وأترك لها والعموم أولى قال الزجاج اللام متعلقة بخلق الحياة لا بخلق الموت وقال الفراء ان قوله ليبلوكم لم يقع على أي لان فيما بين البلوى وأي اضمار فعل كما تقول بلوتكم لا نظر أيكم أطوع ومثله قوله سلهم أيهم بذلك زعيم أي سلهم ثم انظر أيهم فأيكم في الآية مبتدأ وخبره أحسن لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لجميع أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين (وهو العزيز) أي الغالب الذي لا يغالب ولا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب وأناب والستور الذي لا ييأس منه أهل الاساءة والزلل (الذي) نعت لما قبله أو بيان له أو بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف أو نصب على المدح (خلق سبع سموات) قيل الاولى من كذا والثانية من كذا الى السابعة ولم أقف على دليله من الكتاب العزيز والسنة المطهرة (طباقا) أي مطبقا بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض وهو جمع طبق نحو جبل وجبال أو جمع طبقة نحو رحبة ورحاب أو مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا وعلى هذا الوصف بالمصدر للمبالغة أو على

مبينة أي لا يخرجن من بيوتهن الا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو قلابة وأبو صالح والضحاك وزيد بن اسلم وعطاء الخراساني والسدي وسعيد بن أبي هلال وغيرهم وتشمل ما اذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال كما قاله أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم وقوله تعالى وتلك حدود الله أي شرائعه ومحارمه ومن يتعد حدود الله أي يخرج عنها ويتجاوزها (٤) الى غيرها ولا يأتمر بها فقد ظلم نفسه أي بفعل ذلك وقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا أي انما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل قال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن فاطمة بنت قيس في قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا قالت هي الرجعة وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثوري ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالامام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى الى انه لا تجب السكنى للمبتوتة أي المقطوعة وكذا المتوفى عنها زوجها واعتمدوا أيضا على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائبا عنها باليمن فارسل اليها بذلك فارسل اليها وكيله بشعير يعني نفقة فتسخطته فقال والله ليس لك علينا نفقة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس لك عليه نفقة ولمسلم ولا سكنى وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك الحديث وقد رواه   حذف
الامام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال ثنا يحيى بن سعيد ثنا مجالد ثنا عامر قال قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني ان زوجها طلقها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية قالت فقال لي أخوه اخرجي من الدار فقلت ان لي نفقة وسكنى حتى يحل الاجل قال لا قالت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان فلانا طلقني وان أخاه أخرجني ويمنعني السكنى والنفقة فقال مالك ولابنة آل قيس قال يا رسول الله ان أخي طلقها ثلاثا جميعا قالت فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم انظري يا بنت آل قيس انما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة فاذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجي فانزلي على فلانة ثم قال انه يتحدث اليها انزلي على ابن أم مكتوم فانه أعمى لا يراك وذكر تمام الحديث وقال أبو القاسم الطبراني ثنا أحمد بن عبد الله البزار التستري ثنا اسحق بن ابراهيم الصواف ثنا بكر بن بكار ثنا سعيد بن يزيد البجلي ثنا عامر الشعبي انه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي فقالت ان أبا عمرو بن حفص أرسل الي وهو منطلق في جيش الى اليمن بطلاقي (٥) فسألت أولياءه النفقة علي والسكنى فقالوا ما أرسل الينا في ذلك شيأ ولا أوصانا به فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أبا عمرو بن حفص أرسل الي بطلاقي فطلبت السكنى والنفقة علي فقال أولياؤه لم يرسل الينا في ذلك بشئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة للمرأة اذا كان لزوجها عليها رجعة فاذا كانت لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره فلا نفقة لها ولا سكنى وكذا رواه النسائي عن أحمد بن يحيى الصوفي عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد وهو الاحمسي البجلي الكوفي قال أبو حاتم الرازي هو شيخ يروى عنه (فاذا بلغن اجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا) يقول تعالى فاذا بلغت المعتدات أجلهن أي شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالكلية فحينئذ اما ان يعزم الزوج على امساكها وهو رجعتها الى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده بمعروف أي محسنا اليها في صحبتها واما ان يعزم على مفارقتها بمعروف أي من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن وقوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم أي على الرجعة اذا عزمتم عليها كما رواه أبو داود وابن ماجه عن عمران بن حصين انه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد وقال ابن جريج كان عطاء يقول وأشهدوا ذوي عدل منكم قال

حذف مضاف أي ذات طباق أو طوبقت طباقا قال البقاعي طباق بحيث يكون كل جزء منها مطابقا للجزء من الاخرى ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) صفة ثانية لسبع سموات أو مستأنفة لتقرير ما قبلها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له ومن مزيدة لتأكيد النفي واضافة خلق الرحمن من اضافة المصدر الى فاعله والمفعول محذوف تقديره لهن أو لغيرهن قرأ الجمهور من تفاوت وقرئ تفوت مشددا بدون ألف وهما لغتان كالتعاهد والتعهد والتحامل والتحمل والمعنى من تناقض ولا تباين ولا اعوجاج ولا تخالف بل هي مستقيمة دالة على خالقها وان اختلفت صورها وصفاتها فقد اتفقت من هذه الحيثية وقال ابن عباس من تشقق وقيل من اضطراب وقيل من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشئ يفوت بعضا (فارجع البصر) أي اردد طرفك حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة أخبرا أولا بانه لا تفاوت في خلقه ثم أمر ثانيا بترديد البصر في ذلك لزيادة التأكيد وحصول الطمأنينة (هل ترى من فطور) قال مجاهد والضحاك الفطور الصدوع والشقوق جمع فطر وهو الشق وقال قتادة هل ترى من خلل وقال السدي من خروق وأصله من التفطر والانفطار وهو التشقق والانشقاق وعن ابن عباس قال الفطور الوهي وعنه قال من تشقق وخلل (ثم ارجع البصر كرتين) أي رجعتين مرة بعد مرة وانتصابه على المصدر والمراد بالتثنية التكثير كما في لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية شفع الواحد انما يريدون التكثير أي رجعة بعد رجعة وان كثرت واجابة لك بعد أخرى ولا تناقض الغرض ووجه الامر بتكرير النظر على هذه انه قد لا يرى ما يظنه من العيب في النظرة الاولى ولا في الثانية ولهذا قال أولا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم قال ثانيا ثم ارجع البصر كرتين فيكون ذلك أبلغ في اقامة الحجة وأقطع للمعذرة وقيل الاولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها (ينقلب اليك البصر خاسئا) أي يرجع اليك البصر خاشعا متباعدا عن ان يرى شيأ من ذلك وقيل معنى خاسئا مبعدا مطرودا عن ان يبصر ما التمسه من العيب يقال خسأت الكلب أي أبعدته وطردته وقال ابن عباس خاسئا صاغرا ذليلا قرأ الجمهور ينقلب بالجزم جوابا للامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (وهو حسير) أي كليل لا يرى شيأ قاله ابن عباس أي منقطع وعنه قال عي مرتجع قال الزجاج

ان أجمع آية في القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وان أكثر آية في القرآن فرجا ومن يتق الله يجعل له مخرجا وفي المسند حدثني مهدي بن جعفر ثنا الوليد بن مسلم عن الحكم بن مصعب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن يتق الله يجعل له مخرجا يقول ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا أي من كل شيء ضاق على (٧) الناس وقال عكرمة من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا وكذا روي عن ابن عباس والضحاك وقال ابن مسعود ومسروق ومن يتق الله يجعل له مخرجا يعلم ان الله ان شاء أعطى وان شاء منع من حيث لا يحتسب أي من حيث لا يدري وقال قتادة ومن يتق الله يجعل له مخرجا أي من شبهات الامور والكرب عند الموت ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو ولا يأمل وقال السدي ومن يتق الله يطلق للسنة ويراجع للسنة وزعم ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عوف بن مالك الاشجعي كان له ابن وان المشركين أسروه فكان فيهم وكان أبوه يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكو اليه مكان ابنه وحالته التي هو بها وحاجته فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له ان الله سيجعل لك فرجا فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا ان انفلت ابنه من أيدي العدو فمر بغنم من أغنام العدو فاستاقها فجاء بها الى أبيه وجاء معه بغنم قد أصابه من الغنم فنزلت هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب رواه ابن جرير وروي أيضا من طريق سالم بن أبي الجعد مرسلا نحوه وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثوري به وقال محمد بن اسحق جاء مالك الاشجعي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أسر ابني عوف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليه ان رسول الله يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه فخرج فاذا هو

جهنم وبئس المصير) أي ما يصيرون اليه وهو جهنم (اذا ألقوا) أي طرحوا (فيها) كما يطرح الحطب في النار (سمعوا لها شهيقا) أي صوتا منكرا كصوت الحمير عند أول نهيقها وهو أقبح الاصوات وتشهق اليهم شهقة البغل للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف. وقوله لها في محل نصب على الحال أي كائنا لها لانه في الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا وقال عطاء الشهيق هو من الكفار عند القائهم في النار (وهي تفور) أي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز) أي تتميز يعني تتقطع (من الغيظ) على الكفار فجعلت كالمغتاظة استعارة لشدة غليانها بهم قال ابن قتيبة تكاد تنشق غيظا على الكفار وقال ابن عباس تميز أي تتفرق ويفارق بعضها بعضا وقرأ الجمهور تميز بتاء واحدة مخففة وقرئ بتاءين على الاصل وبتشديدها بادغام احداهما في الاخرى وقرئ تمايز والاصل تتمايز وتميز من ماز يميز (كلما ألقي فيها فوج) مستأنفة لبيان حال أهلها والفوج الجماعة من الناس أي كلما ألقي في جهنم جماعة من الكفار (سألهم) أي الفوج والجمع باعتبار معناه (خزنتها) من الملائكة سؤال توبيخ وتقريع (ألم يأتكم) في الدنيا (نذير) ينذركم هذا اليوم ويحذركم منه (قالوا بلى) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قالوا بعد هذا السؤال فقال قالوا بلى (قد جاءنا) أي جاء كلا منا (نذير) فانذرنا وخوفنا وأخبرنا بهذا اليوم أو هذا من كلام الفوج وكل فوج له نذير فلا يحتاج الى التأويل وهذا اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى أزاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وجمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المفاد به تأكيدا اذ لو اقتصروا على بلى لفهم المعنى ولكنهم صرحوا بالمفاد ببلى تحسرا وزيادة ندم في تفريطهم وليعطفوا عليه قولهم (فكذبنا) ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى (وقلنا) في حق ما تلاه علينا من الآيات افراطا في التكذيب (ما نزل الله) على أحد (من شيء) من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات على ألسنتكم من الوعد والوعيد وغيرهما (ان أنتم الا في ضلال كبير) أي في ذهاب عن الحق وبعد عن الصواب وخطأ عظيم لا يقادر قدره وهذا يحتمل أن يكون من كلام الكفار للنذر وأن يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك أو سموا جزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة وهذا يسمى

سناقته لهم فركبها وأقبل فاذا بسرح القوم الذين كانوا شدوه فصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه الا وهو ينادي بالباب فقال أبوه عوف ورب الكعبة فقالت أمه واسوأتاه وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القد فاستبقا الباب والخادم فاذا عوف قد ملأ الفناء ابلا فقص على أبيه أمره وأمر الابل فقال أبوه قفا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله عنها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بخبر عوف وخبر الابل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعا بمالك ونزل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن علي

ابن الحسن بن سفيان ثنا ابراهيم بن الاشعث ثنا الفضيل بن عياض عن هشام بن الحسن عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله اليها وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال الامام أحمد ثنا يونس ثنا الليث ثنا قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس انه حدثه انه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام اني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد وابن لهيعة به وقال حسن صحيح وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا بشير بن سلمان عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمنا ان لا تسهل حاجته ومن أنزلها بالله تعالى أتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل ثم رواه عن عبد الرزاق عن سفيان عن بشير عن سيار أبي حمزة ثم قال وهو الصواب وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق وقوله تعالى ان الله بالغ أمره أي منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريده ويشاؤه قد جعل الله لكل شيء قدرا كقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات

المشاكلة في علم البيان وأن يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة والاحتمال الاول هو الذي استظهره جمهور المفسرين ثم حكى الله عنهم مقالة أخرى قالوها بعد تلك المقالة فقال (وقالوا لو كنا نسمع) ما خاطبنا به الرسل (أو نعقل) شيأ من ذلك (ما كنا في أصحاب السعير) أي في عداد أهل النار ومن جملة من يعذب بالسعير وهم الشياطين كما سلف قال الزجاج لو كنا نسمع سماع من يعي أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار وفيه دليل على ان مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وانهما حجتان ملتزمتان فلما اعترفوا هذا الاعتراف قال الله سبحانه (فاعترفوا بذنبهم) الذي استحقوا به عذاب النار وهو الكفر وتكذيب الانبياء (فسحقا لاصحاب السعير) أي فبعدا لهم من الله ورحمته قال ابن عباس سحقا بعدا وقال سعيد بن جبير وأبو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق قرأ الجمهور سحقا باسكان الحاء وقرئ بضمها وهما لغتان مثل السحت والرعب وسحقا منصوب على المفعول به أي ألزمهم الله سحقا وقال الزجاج وأبو علي الفارسي منصوب على المصدر أي أسحقهم الله سحقا وقال أبو علي الفارسي كان القياس اسحاقا فجاء المصدر على الحذف واللام في لاصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ولما فرغ سبحانه من ذكر أحوال أهل النار شرع في ذكر أحوال أهل الجنة فقال (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) حال من الفاعل أو من المفعول أي غائبين عنه أو غائبا عنهم والمعنى انهم يخشون عذابه ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه ويجوز أن يكون المعنى يخشون ربهم حال كونهم غائبين عن اعين الناس وذلك في خلواتهم فيطيعونه سرا فيكون علانية أولى أو المراد بالغيب كون العذاب غائبا عنهم لانهم في الدنيا وهو انما يكون يوم القيامة والباء على هذا سببية قال ابن عباس في الآية هم أبو بكر وعمر وعلي وأبو عبيدة بن الجراح أخرجه ابن مردويه (لهم مغفرة) عظيمة يغفر الله بها ذنوبهم (وأجر كبير) لا يقادر قدره وهو الجنة ومثل هذه الآية قوله من خشي الرحمن بالغيب وظاهر الآية العموم ثم عاد سبحانه الى خطاب الكفار فقال (وأسروا قولكم أو اجهروا به) مستأنفة مسوقة لبيان تساوي الاسرار والجهر بالنسبة الى علم الله سبحانه والمعنى ان أخفيتم كلامكم او جهرتم به في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل ذلك يعلمه الله لا تخفى عليه منه خافية وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من أول الامر والمبالغة في بيان

شمول

الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيا ته ويعظم له أجرا) يقول تعالى مبينا لعدة الآيسة وهي التي قد انقطع عنها المحيض لكبرها انها ثلاثة أشهر عوضا عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلت على ذلك آية البقرة وكذا الصغار اللائي لم يبلغن سن الحيض ان عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى واللائي لم يحضن وقوله تعالى ان ارتبتم فيه قولان أحدهما وهو قول طائفة من السلف كمجاهد والزهري وابن زيد أي ان رأين دما وشككتم في كونه حيضا أو استحاضة وارتبتم فيه والقول الثاني ان (٩) ارتبتم في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر وهذا مروي عن سعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر في المعنى واحتج عليه بما رواه عن أبي كريب وابن السائب قالا ثنا ابن ادريس انا مطرف عن عمرو بن سالم قال قال أبي بن كعب يا رسول الله ان عددا من عدد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار وأولات الاحمال قال فانزل الله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق فقال ثنا أبي ثنا يحيى بن المغيرة انا جرير عن مطرف عن عمرو بن سالم عن أبي بن كعب قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية التي في البقرة في عدة النساء قالوا قد بقي من عدة النساء عدد لم يذكرن في القرآن الصغار والكبار اللائي قد انقطع منهن الحيض وذوات الحمل قال فانزلت التي في النساء القصرى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وقوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن يقول تعالى ومن كانت حاملا فعدتها بوضعه ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق ناقة في قول جمهور العلماء من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية وقد روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم انهما ذهبا في المتوفى عنها زوجها انها تعتد بأبعد الاجلين من الوضع والاشهر عملا بهذه الآية والتي في سورة البقرة وقال البخاري ثنا سعد بن حفص ثنا شيبان عن يحيى قال أخبرني أبو سلمة قال جاء رجل الى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال افتني في امرأة

شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى أو لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شئ يجهر به الا وهو أو مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله (انه عليم بذات الصدور) تعليل للاستواء المذكور وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كأنه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها (ألا يعلم) الاستفهام للانكار والمقصود نفي عدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر والمعنى ألا يعلم السر ومضمرات القلوب (من خلق) ذلك وأوجده فالموصول عبارة عن الخالق ويجوز أن يكون عبارة عن المخلوق وفي يعلم ضمير يعود الى الله أي ألا يعلم الله المخلوق الذي هو من جملة خلقه فان الاسرار والجهر ومضمرات القلوب من جملة خلقه وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق افعال العباد وقال أبو بكر بن الاصم وجعفر ابن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتالا بهذا النفي خلق الافعال (وهو اللطيف الخبير) أي الذي لطف علمه بما في القلوب الخبير بما تسره وتضمره من الامور لا تخفى عليه من ذلك خافية ثم امتن سبحانه على عباده فقال (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) أي سهلة لينة مذللة تستقرون عليها منقادة لما تريدون منها من مشي عليها وزرع وحبوب وغرس وغير ذلك ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكون والمشي عليها والذلول في الاصل هو المنقاد الذي يذل لك ولا يستصعب عليك والمصدر الذل وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر فان ما حقه التقديم اذا أخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن (فامشوا في مناكبها) استدلالا واسترزاقا والفاء لترتيب الامر بالمشي على الجعل المذكور والامر

ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس آخر الاجلين قلت أنا وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن قال أبو هريرة أنا مع
ابن أخي يعني أبا سلمة فأرسل ابن عباس غلامه كريبا الى أم سلمة يسألها فقالت قتل زوج سبيعة الاسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته
بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو السنابل فيمن خطبها هكذا أورد البخاري هذا الحديث ههنا
مختصرا وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولا من وجوه أخر وقال الامام أحمد ثنا حماد بن أسامة انا هشام عن أبيه عن
المسور بن مخرمة ان سبيعة الاسلمية توفي عنها (١٠) زوجها وهي حامل فلم تمكث الا ليالي حتى وضعت فلما تعلت من نفاسها
خطبت فاستأذنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في النكاح فأذن لها
أن تنكح فنكحت ورواه البخاري
في صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائي
وابن ماجه من طرق عنها كما قال
مسلم بن الحجاج حدثني أبو الطاهر
انا ابن وهب حدثني يونس بن يزيد
عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة ان أباه كتب الى
عمر بن عبد الله بن الارقم الزهري
يأمره أن يدخل على سبيعة بنت
الحرث الاسلمية فيسألها عن حديثها
وعما قال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين استفتته فكتب عمر
ابن عبد الله يخبره ان سبيعة أخبرته
انها كانت تحت سعد بن خولة
وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها
في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب
ان وضعت حملها بعد وفاته فلما
تعلت من نفاسها تجملت للخطاب
فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك
فقال لها مالي أراك متجملة لعلك
ترجين النكاح انك والله ما أنت
بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر
وعشر قالت سبيعة فلما قال لي
ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت
فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج الارض
ان بدا لي هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصرا ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الاول عند هذه الآية وقال سليمان بن حرب وأبو
النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد هو ابن سيرين قال كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه
فذكر آخر الاجلين فحدثت بحديث سبيعة بنت الحرث عن عبد الله بن عتبة قال فضمز لي بعض أصحابي قال محمد ففطنت له فقلت اني
لجريء ان أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة قال فاستحيا وقال لكن عمه لم يقل ذلك فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته

للاباحة قال مجاهد والكلبي ومقاتل مناكبها طرقها وأطرافها ونواحيها وجوانبها وقال
قتادة وشهر بن حوشب مناكبها جبالها وقيل فجاجها وبه قال ابن عباس وقال أيضا
أطرافها وأصل المنكب الجانب ومنه منكب الرجل ومنه الريح النكباء لانها تأتي من
جانب دون جانب (وكلوا من رزقه) أي مما رزقكم وخلقه لكم والتمسوا من نعم الله تعالى
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المؤمن المحترف
أخرجه الطبراني وابن عدي والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي (واليه) لا الى غيره
(النشور) من قبوركم للجزاء فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم فبالغوا في شكر نعمه
وآلائه وفي هذا وعيد شديد ثم خوف سبحانه الكفار فقال (أأمنتم من في السماء) قال
الواحدي قال المفسرون يعني عقوبة من في السماء وقيل من في السماء عرشه وقدرته
وسلطانه أي محل سلطانه ومحل قدرته وهو العالم العلوي وخص بالذكر وان كان كل
موجود محلا للتصرف فيه ومقدورا له تعالى لان العالم العلوي أعجب وأغرب فالتخويف
به أشد من التخويف بغيره وقيل الملائكة وقيل المراد جبريل وقيل هو الله سبحانه وهو
الحق لان ظاهر النظم القرآني يقتضي ان الباري تعالى فوق السماء وفي بمعنى على والمعنى
من ثبت واستقر في السماء أي على العالي وهو العرش قرأ الجمهور أأمنتم بهمزتين وقرئ
بالتخفيف وبقلب الاولى واوا وقوله (أن يخسف بكم الارض) بدل اشتمال من الموصول
أي أأمنتم خسفه أو على حذف من أي من ان يخسف والمعنى يقلبها متلبسة بكم كما فعل
بقارون بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها (فاذا هي تمور) أي تضطرب وتتحرك
بكم على خلاف ما كانت عليه من السكون والاطمئنان وقيل تهوي بهم وقيل تجيء
وتذهب والاول أولى قال الرازي ان الله يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تتحرك
فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها فتنقلب فوقهم وتخسفهم الى أسفل سافلين ثم كرر سبحانه
التهديد لهم بوجه آخر فقال (أم أمنتم) اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد
بوجه آخر أي بل أأمنتم (من في السماء) وهو الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على علوه
ومباينته عن خلقه باستوائه على عرشه (أن يرسل عليكم حاصبا) أي حجارة من السماء كما
أرسلها على قرية قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل سحاب فيها حجارة وقيل ريح فيها حجارة
وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها والكلام فيه كالكلام في أن يخسف بكم

فذهب يحدثني بحديث سبيعة فقلت هل سمعت عن عبد الله فيها شيأ فقال كنا عند عبد الله فقال أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة واسمعيل بن علية عن أيوب به مختصرا ورواه النسائى فى التفسير عن محمد بن عبد الاعلى عن خالد بن الحرث عن ابن عون عن محمد بن سيرين فذكره وقال ابن جرير حدثنى زكريا بن يحيى بن أبان المصرى ثنا سعيد بن أبى مريم ثنا محمد بن جعفر حدثنى ابن شبرمة الكوفى عن ابراهيم عن علقمة بن قيس ان عبد الله بن مسعود قال من شاء لاعنته ما نزلت وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن الا بعد آية المتوفى عنها زوجها قال واذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت يريد بآية المتوفى عنها والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا وقد رواه النسائى من حديث سعيد بن أبى مريم به ثم قال ابن جرير ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن عبيد ثنا اسمعيل ابن أبى خالد عن الشعبى قال ذكر عند ابن مسعود آخر الاجلين فقال من شاء قاسمته بالله ان هذه الآية التى فى النساء القصرى نزلت بعد الاربعة الاشهر والعشر ثم قال أجل الحامل أن تضع ما فى بطنها وقال ابن ابى حاتم ثنا أحمد بن سنان الواسطى ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال بلغ ابن مسعود أن عليا رضى الله عنه يقول آخر الاجلين فقال من شاء لاعنته ان التى فى النساء القصرى نزلت بعد البقرة وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى معاوية عن الاعمش وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنى محمد بن أبى بكر المقدمى أنا عبد الوهاب الثقفى حدثنى المثنى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن

الأرض فهو اما بدل اشتمال أو بتقدير من (فستعلمون) عند معاينة العذاب ١ (كيف نذير) أى انذارى بالعذاب أى انه حق قاله المحلى وقيل النذير هنا محمد صلى الله عليه وسلم قاله عطاء والضحاك والمعنى ستعلمون رسولى وصدقه والاول أولى (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة من كفار الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة وأصحاب الرس وقوم فرعون والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بما أصبتهم به من العذاب الفظيع وهذا هو مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى (أولم يروا) الهمزة للاستفهام والواو للعطف على مقدر أى أغفلوا ولم ينظروا ولم يروا وأجمع القراء على قراءته بياء الغيبة لان السياق للرد على المكذبين بخلاف ما فى النحل ففيه الغيبة والخطاب (الى الطير) جمع طائر ويقع على الواحد والجمع وقال ابن الانبارى الطير جماعة وتأنيثها أكثر من تذكيرها ولا يقال للواحد طير بل طائر وقلما يقال للانثى طائرة (فوقهم) فى الهواء (صافات) حال أى صافة لاجنحتها فى الهواء والجو وتبسطها عند طيرانها (ويقبضن) أى يضممن أجنحتهن الى جنوبهن اذا ضربن بها حينا فحينا للاستظهار والاستعانة على التحرك والطيران قال النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحه صاف واذا ضمها قابض كأنه يقبضها وهذا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط وانما قال ويقبضن ولم يقل قابضات كما قال صافات لان القبض يتجدد تارة فتارة وأما البسط فهو الاصل كذا قيل وقيل المعنى قبضهن لاجنحتهن عند الوقوف من الطيران لا قبضها فى حال الطيران (ما يمسكهن الا الرحمن) حالية أو مستأنفة لبيان كمال قدرة الله سبحانه والثانى أظهر والمعنى انه ما يمسكهن فى الهواء عن الوقوع عند الطيران الا الرحمن القادر على كل شئ والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو أمسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك (انه بكل شئ بصير) لا يخفى عليه شئ كائنا ما كان يعلم كيف يخلق الغرائب وكيف يدبر العجائب فبصير بمعنى العالم بالاشياء الدقيقة الغريبة (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والالتفات عن الغيبة الى الخطاب للتشديد فى ذلك التبكيت والمعنى أنه لا جند لكم يمنعكم من عذاب الله والجند الحزب والمنعة قرأ الجمهور أمن بتشديد الميم على

---

١ قال الحفناوى ظاهر السياق ان المراد العذاب الموعود به وهو خسف الارض وكذا فى قوله الآتى فكيف كان نكير فيقتضى ان كفار مكة قد خسف بهم وردوا بالاحجار مع انهم لم يقع لهم ذلك فان قيل المراد بقوله فستعلمون الخ التخويف بعذاب الآخرة قلنا يصير فى الكلام نوع تفكيك خصوصا وقد قال أبو السعود أى بانذارى عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ انتهى وهذا يقتضى ان الكلام فى العذاب المخوف به وقد علمت ما فيه ولم نر من الشراح من نبه على هذا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

عبد الله بن عمرو عن أبي بن كعب قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن المطلقة ثلاثا أو المتوفى عنها زوجها فقال هي المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها هذا حديث غريب جدا بل منكر لان في اسناده المثنى بن الصباح وهو متروك الحديث بمرة ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود السمناني ثنا عمرو بن خالد يعني الحراني ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب انه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدري أمشتركة أم مبهمة فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم أية آية قال أجلهن أن يضعن حملهن المتوفى عنها والمطلقة قال نعم وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن موسى بن داود عن ابن لهيعة به ثم رواه عن أبي كريب أيضا عن مالك بن اسمعيل عن ابن عيينة عن عبد الكريم بن أبي المخارق انه حدث عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن قال أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أبيا وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا أي يسهل له أمره وييسره عليه ويجعل له فرجا قريبا ومخرجا عاجلا ثم قال تعالى ذلك أمر الله أنزله اليكم أي حكمه وشرعه أنزله اليكم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا أي يذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) يقول تعالى آمرا عباده اذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال أسكنوهن من حيث سكنتم أي عندكم من وجدكم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني سعتكم حتى قال قتادة ان لم تجد الا جنب بيتك فاسكنها فيه وقوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال مقاتل بن حيان يعني يضاجرها لتفتدي منه بمالها او تخرج من مسكنه وقال الثوري عن منصور عن أبي الضحى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال يطلقها فاذا بقي

ادغام ميم أم في ميم من وأم بمعنى بل ولا سبيل الى تقدير الهمزة بعدها كما هو الغالب في تقدير أم المنقطعة ببل والهمزة لان ما بعدها ههنا من الاستفهامية فاغنت عن ذلك التقدير ومن الاستفهامية مبتدأ واسم الاشارة خبره والموصول مع صلته صفة اسم الاشارة وينصركم صفة لجند ومن دون الرحمن في محل نصب على الحال من فاعل ينصركم والمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم متجاوزا نصر الرحمن (ان الكافرون الا في غرور) معترضة مقررة لما قبلها ناعية عليهم ما هم فيه من غاية الضلال والالتفات عن الخطاب الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والمعنى ما الكافرون الا في غرور عظيم من جهة الشيطان يغرهم به (أمن) تكتب أم موصولة في من وكذا يقال فيما تقدم (هذا الذي يرزقكم) الكلام في هذا كالكلام في الذي قبله أي من الذي يدر عليكم الرزق من المطر وغيره (ان أمسك رزقه) أي أسباب رزقه التي ينشأ عنها كالمطر بل لو كان الرزق موجودا كثيرا سهل التناول فوضع الآكل لقمة في فيه فامسك الله تعالى عنه قوة الازدراد لعجز أهل السموات والارض عن ان يسوغوا تلك اللقمة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أي ان أمسك رزقه فمن يرزقكم غيره وقوله (بل لجوا في عتو ونفور) ينبئ عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا لذلك ولم يذعنوا للحق بل تمادوا في عناد واستكبار عن الحق ونفور عنه ولم يعتبروا ولا تفكروا قال الرازي واللجاج تقحم الامر مع كثرة الصوارف عنه والعتو العناد والطغيان والنفور الشرود وقال ابن عباس في عتو ونفور أي في ضلال (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى) مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحاليهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسالك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الخ والمكب والمنكب الساقط على وجهه يقال كببته فاكب وانكب وقيل هو الذي يكب رأسه فلا ينظر يمينا ولا شمالا ولا اماما فهو لا يأمن العثور والانكباب على وجهه وقيل أراد به الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فلا يزال

مشبه

يومان راجعها وقوله تعالى وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف هذه فى البائن ان كانت حاملا أنفق عليها حتى تضع حملها قالوا بدليل ان الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملا أو حائلا وقال آخرون بل السياق كله فى الرجعيات وانما نص على الانفاق على الحامل وان كانت رجعية لان الحمل تطول مدته غالبا فاحتيج الى النص على وجوب الانفاق الى الوضع لئلا يتوهم انها تجب النفقة بمقدار مدة العدة ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل ام للحمل وحده على قولين منصوصين عن الشافعى وغيره ويتفرع عليها مسائل مذكورة فى علم الفروع وقوله تعالى فان أرضعن لكم أى اذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بن بانقضاء عدتهن ولها حينئذ ان ترضع الولد ولها ان تمتنع منه ولكن بعد أن تغذيه باللبأ وهو باكورة اللبن الذى لا قوام للمولود غالبا الا به فان أرضعت استحقت أجر مثلها ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجرة ولهذا قال تعالى فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وقوله تعالى وائتمروا بينكم بمعروف أى ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير اضرار ولا مضاررة كما قال تعالى فى سورة البقرة لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وقوله تعالى وان تعاسرتم فسترضع له أخرى أى وان اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة فى أجرة الرضاع كثيرا ولم يجبها الرجل الى ذلك أو بذل الرجل قليلا ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها فلو رضيت الام بما استؤجرت به الاجنبية فهى أحق به وقوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته أى لينفق على المولود والده أو وليه بحسب قدرته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها روى ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا حكام عن أبى سنان قال سأل عمر بن الخطاب عن أبى عبيدة فقيل انه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام فبعث اليه بألف دينار وقال للرسول انظر ما يصنع بها اذا هو أخذها فما لبث ان لبس اللين من الثياب وأكل أطيب الطعام فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى تأول هذه الآية لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير ثنا هشيم بن يزيد الطبرانى ثنا محمد بن اسمعيل بن عياش أخبرنى أبى أخبرنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد بن أبى

(١٣) مشيه ينكسه على وجهه والمكب اسم فاعل من أكب اللازم المطاوع لكبه يقال كبه الله على وجهه فى النار فأكب أى سقط وهذا على خلاف القاعدة من ان الهمزة اذا دخلت على اللازم تصيره متعديا وهنا قد دخلت على المتعدى فصيرته لازما قال قتادة هو الكافر يكب على معاصى الله سبحانه فى الدنيا فيحشره الله يوم القيامة على وجهه والهمزة للاستفهام الانكارى والمعنى هل هذا الذى يمشى على وجهه أهدى الى المقصد الذى يريده (أمن يمشى سويا) قائما معتدلا ناظرا الى ما بين يديه سالما من الخبط والعثار (على صراط مستقيم) أى على طريق مستو لا اعوجاج به ولا انحراف فيه قال ابن عباس مكبا فى الضلالة وسويا مهتديا قيل يعنى بالمكب أبا جهل وبالسوى النبى صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بمن يمشى مكبا من يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا من يحشر على قدميه الى الجنة وهو كقول قتادة الذى ذكرناه ومثله قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم وخبر من محذوف لدلالة خبر من الاولى وهو أهدى عليه وقيل لا حاجة الى ذلك لان من الثانية معطوف على من الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد قائم أم عمرو ووحد الخبر لان أم لاحد الشيئين (قل) لهم يا أشرف الخلق مذكرا لهم بما دفع عنهم المولى من المفاسد وجمع لهم من المصالح ليرجعوا اليه ولا يعولوا فى حال من الاحوال الا عليه (هو الذى أنشأكم) انشاء بديعا (وجعل لكم السمع) لتسمعوا به آيات الله وتتمسكوا بما فيها من الاوامر والنواهى وتتعظوا بمواعظها (والابصار) لتبصروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤن الله عز وجل ووجه افراد السمع مع جمع الابصار انه مصدر يطلق على الكثير والقليل وقد قدمنا بيان هذا فى مواضع مع زيادة البيان (والافئدة) لتفكروا بها فى مخلوقات الله وآياته التنزيلية والتكوينية وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة وخصها بالذكر لانها آلات العلم وذكر الله سبحانه ههنا انه قد جعل لهم ما يدركون به المسموعات والمبصرات والمعقولات ايضاحا للحجة وقطعا للمعذرة وذما لهم على عدم شكر نعم الله ولهذا قال (قليلا ما تشكرون) أى باستعمال هذه الحواس فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد التقليل أى شكرا قليلا أو زمانا قليلا فالقلة على ظاهرها وقيل أراد بقلة الشكر عدم وجوده منهم ان كان الخطاب للكفرة قال مقاتل يعنى انكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه عن ابن عباس قال قال

مالك الاشعري واسمه الحرث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر كان لاحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار وكان
لآخر عشر أواق فتصدق منها بوقية وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في
الاجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته هذا حديث غريب من هذا الوجه وقوله تعالى سيجعل
الله بعد عسر يسرا وعد منه تعالى ووعده حق لا يخلفه وهذه كقوله تعالى فان مع العسر يسرا وقد روى الامام أحمد حديثا يحسن
أن نذكره ههنا فقال حدثنا هاشم بن القاسم (١٤) ثنا عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب قال قال أبو هريرة بينما رجل وامرأة
له في السلف الخالي لا يقدران على
شيء فجاء الرجل من سفره فدخل
على امرأته جائعا قد أصابته مسغبة
شديدة فقال لامرأته عندك
شيء قالت نعم ابشر أتانا رزق الله
فاستحثها فقال ويحك ابتغي ان
كان عندك شيء قالت نعم هنية ترجو
رحمة الله حتى اذا طال عليه الطول
قال ويحك قومي فابتغي ان كان
عندك شيء فأتيني به فاني قد بلغت
وجهدت فقالت نعم الآن نفتح
التنور فلا تعجل فلما ان سكت عنها
ساعة وتحينت أن يقول لها قالت
من عند نفسها لو قمت فنظرت الى
تنورك فقامت فنظرت الى تنورها
ملآن من جنوب الغنم ورحييها
يطحنان فقامت الى الرحى فنفضتها
واستخرجت ما في تنورها من
جنوب الغنم قال أبو هريرة فوالذي
نفس أبي القاسم بيده هو قول
محمد صلى الله عليه وسلم لو أخذت
ما في رحييها ولم تنفضها لطحنتا الى
يوم القيامة وقال في موضع آخر
ثنا أبو عامر ثنا أبو بكر عن هشام
عن محمد وهو ابن سيرين عن أبي
هريرة قال دخل رجل على أهله
فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج الى البرية فلما رأت امرأته قامت الى الرحى فوضعتها والى التنور فسجرته أخرنها
ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فاذا الجفنة قد امتلأت قال وذهبت الى التنور فوجدته ممتلئا قال فرجع الزوج فقال أصبتم بعدي
شيئا قالت امرأته نعم من ربنا فأم الى الرحى فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما انه لو لم ترفعها لم تزل
تدور الى يوم القيامة (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها
وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم

رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشتكى ضرسه فليضع اصبعه عليه وليقرأ هذه الآية هو
الذي أنشأكم الى قوله تشكرون أخرجه الخطيب في تاريخه وابن النجار وعنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشتكى ضرسه فليضع اصبعه عليه وليقرأ هاتين
الآيتين سبع مرات هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع الى قوله
يفقهون وهو الذي أنشأكم الى تشكرون فانه يبرأ باذن الله أخرجه الدارقطني في الافراد
(قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون) أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم
بان يخبرهم ان الله هو الذي خلقهم في الارض ونشرهم فيها وفرقهم على ظهرها وبثهم
وأنشأهم بعد ما كانوا كالذر وان حشرهم اليه للجزاء لا الى غيره اشتراكا أو استقلالا فليبنوا
أمورهم على ذلك ثم ذكر سبحانه انهم يستعجلون العذاب فقال (ويقولون) من فرط عتوهم
استهزاء وسخرية وتكذيبا (متى هذا الوعد) الذي تذكرون من الحشر والقيامة والنار
والعذاب (ان كنتم صادقين) في ذلك والخطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن معه من
المؤمنين لانهم كانوا مشاركين له في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط
محذوف والتقدير ان كنتم صادقين فأخبرونا به أو فبينوا وقته لنا ثم لما قالوا هذا القول
أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيب عليهم فقال (قل انما العلم) أي ان وقت
قيام الساعة علمه (عند الله) لا يعلمه غيره ومثله قوله انما علمها عند ربي ثم أخبرهم انه مبعوث
للانذار لا للاخبار بالغيب فقال (وانما أنا نذير مبين) أي أنذركم وأخوفكم عاقبة كفركم
وأبين لكم ما أمرني الله ببيانه باقامة الادلة حتى يصير ذلك كأنه مشاهد والانذار يكفي له
العلم بل الظن بوقوع المحذر منه ثم ذكر سبحانه حالهم عند معاينة العذاب فقال (فلما رأوه
زلفة) الفاء فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم
الموعود به فرأوه فلما رأوه الخ وزلفة مصدر بمعنى الفاعل أي مزدلفا أو حال من المفعول
أو ذا زلفة وقرب أو رأوه في مكان ذا زلفة قال مجاهد أي قريبا وقال الحسن عيانا وأكثر
المفسرين على ان المراد عذاب الآخرة يوم القيامة وقال مجاهد المراد عذاب بدر وقيل
رأوا ما وعدوا به من الحشر قريبا منهم كما يدل عليه قوله واليه تحشرون وقيل لما رأوا عملهم
السيء قريبا (سيئت وجوه الذين كفروا) أي اسودت وعلتها الكآبة والقترة وغشيتها الذلة
والسواد يقال ساء الشيء يسوء فهو سيء اذا قبح والاصل ساء وجوههم العذاب ورؤيته أي

آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ومخبرا عما حل بالامم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله أى تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا أى منكرا فظيعا فذاقت وبال أمرها أى غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا أى (١٥) فى الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العذاب فى الدنيا ثم قال تعالى بعد ما قص من خبر هؤلاء فاتقوا الله يا أولى الالباب أى الافهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولى الالباب الذين آمنوا أى صدقوا بالله ورسله قد أنزل الله اليكم ذكرا يعنى القرآن كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقوله تعالى رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات قال بعضهم رسولا منصوب على انه بدل اشتمال وملابسة لان الرسول هو الذى بلغ الذكر وقال ابن جرير الصواب ان الرسول ترجمة عن الذكر يعنى تفسيرا له ولهذا قال تعالى رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات أى فى حال كونها بينة واضحة جلية ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور كقوله تعالى كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور وقال تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أى من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والعلم وقد سمى الله تعالى الوحى الذى أنزله نورا لما يحصل به من الهدى كما سماه روحا لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) يقول تعالى مخبرا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثا على تعظيم ما شرع من الدين القويم الله الذى خلق سبع سموات كقوله تعالى اخبارا

حزنها وساءت هنا ليست هى المرادفة لبئس والمقام للضمير وأتى بالمظهر توصلا لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به قال الزجاج المعنى تبين فيها السوء أى ساءهم ذلك العذاب فظهر عليهم بسببه فى وجوههم ما يدل على كفرهم كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قرأ الجمهور سيئت بكسر السين بدون اشمام وقرئ بالاشمام (وقيل) لهم توبيخا وتقريعا (هذا) المشاهد الحاضر من العذاب هو العذاب (الذى كنتم به تدعون) فى الدنيا أى تطلبونه وتستعجلون به استهزاء على ان معنى تدعون الدعاء قال الفراء تدعون تفتعلون من الدعاء أى تتمنون وتسألون وبهذا قال الاكثر من المفسرين وقال الزجاج تدعون الاباطيل والاحاديث وقيل معنى تدعون تكذبون هذا على قراءة الجمهور تدعون بالتشديد فهو اما من الدعاء كما قال الاكثر أو من الدعوى كما قال الزجاج ومن وافقه والمعنى انهم كانوا يدعون انه لا بعث ولا حشر ولا جنة ولا نار وقرئ تدعون مخففا ومعناها ظاهر وهى مؤيدة للقول بانها من الدعاء قال قتادة هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك هو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية قال النحاس تدعون وتدعون بمعنى واحد كما تقول قدر واقتدر وغدى واغتدى الا أن افتعل معناه مضى شيأ بعد شئ وفعل يقع على القليل والكثير (قل أرأيتم ان أهلكنى الله) بموت أو قتل كقوله وان امرؤ هلك أو بالعذاب (ومن معى) من المؤمنين (أو رحمنا) بتأخير ذلك الى أجل أو لم يعذبنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى فمن يمنعهم ويؤمنهم من العذاب والمعنى انه لا ينجيهم من ذلك أحد سواء أهلك الله رسوله والمؤمنين معه كما كان الكفار يتمنونه أو أمهلهم وقيل المعنى انا مع ايماننا بين الخوف والرجاء فمن يجيركم مع كفركم من العذاب ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر وبيان انه السبب فى عدم نجاتهم وتعليل نفى الاجارة به وأرأيتم بمعنى أخبرونى كما ذكره بعض المفسرين وانها اذا كانت كذلك تنصب مفعولين الاول مفرد والثانى جملة استفهامية ولا شئ منهما ههنا فكأن الجملة الشرطية سدت مسد المفعولين وقوله فمن يجير الخ جواب الشرط وفى تسببه على الشرط بعد ويمكن أن يقال الجواب محذوف تقديره فلا فائدة لكم فى ذلك ولا نفع يعود عليكم لانكم لا مجير لكم من عذاب الله (قل هو الرحمن) أى الذى أدعوكم الى عبادته مولى النعم كلها (آمنا به) وحده لا نشرك به شيأ لما علمنا ان كل ما سواه اما نعمة أو منعم عليه

عن نوح انه قال لقومه ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وقوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وقوله تعالى ومن الارض مثلهن أى سبعا أيضا كما ثبت فى الصحيحين من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين وفى صحيح البخارى خسف به الى سبع أرضين وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه فى أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الارض ولله الحمد والمنة ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق فى النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند وقد تقدم فى سورة الحديد عند قوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن (١٦) ذكر الارضين السبع وبعد ما بينهن وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام وهكذا قال ابن مسعود وغيره وكذا فى الحديث الآخر ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن والارضون السبع وما فيهن وما بينهن فى الكرسى الا كحلقة ملقاة بارض فلاة وقال ابن جرير ثنا عمرو بن على ثنا وكيع ثنا الاعمش عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى سبع سموات ومن الارض مثلهن قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها وحدثنا ابن حميد ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمى الاشعرى عن جعفر ابن أبى المغيرة الخزاعى عن سعيد ابن جبير قال قال رجل لابن عباس الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الآية فقال ابن عباس ما يؤمنك ان أخبرتك بها فتكفر وقال ابن جرير ثنا عمرو بن على ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن ابن عباس فى هذه الآية الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال عمرو قال فى كل أرض مثل ابراهيم ونحو ما على الارض من الخلق وقال ابن المثنى فى حديثه فى كل سماء ابراهيم وروى البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات هذا الاثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال أنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن يعقوب ثنا عبيد بن غنام النخعى أنا على بن حكيم ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس انه قال الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال سبع أرضين فى كل أرض نبى كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى ثم رواه البيهقى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن ابن عباس فى قول الله عز وجل الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال فى كل أرض

(وعليه) لا على غيره (توكلنا) أى فوضنا الامور اليه عز وجل لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر (فستعلمون) اذا نزل بكم العذاب (من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وفى هذا تهديد شديد مع اخراج الكلام مخرج الانصاف قرأ الجمهور فستعلمون بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية على الخبر ثم احتج سبحانه عليهم ببعض نعمه وخوفهم بسلب تلك النعمة عنهم فقال (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أصبح ماؤكم) الذى تعدونه فى أيديكم كما نبهت عليه الاضافة (غورا) أى غائرا فى الارض بحيث لا يبقى له وجود فيها أو صار ذاهبا فى الارض الى مكان بعيد بحيث لا تناله الدلاء يقال غار الماء غورا أى نضب والغور الغائر وصف بالمصدر للمبالغة كما يقال رجل عدل وقد تقدم مثل هذا فى سورة الكهف وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون قال ابن عباس غورا داخلا فى الارض وعنه يرجع فى الارض (فمن يأتيكم بماء معين) أى ظاهر تراه العيون وتناله الدلاء وقيل هو من معن الماء اذا كثر وقال قتادة والضحاك أى جار وقد تقدم معنى المعين فى سورة المؤمنون وقرأ ابن عباس بماء عذب وعنه قال بماء معين أى الجارى وعنه قال معين ظاهر وعنه قال عذب والمقصود من الآية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والعناد والكبر قال المحلى ويستحب أن يقول القارئ عقب معين الله رب العالمين كما ورد فى الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتى به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينه وعمى نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته

(سورة نون)

وتسمى سورة القلم ثنتان وخمسون آية وهى مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وعن ابن عباس وقتادة ان من أولها الى قوله على الخرطوم مكى ومن بعد ذلك الى قوله أكبر لو كانوا يعلمون مدنى ومن بعد ذلك الى قوله فهم يكتبون مكى ومن بعد ذلك الى قوله من الصالحين مدنى وباقيها مكى كذا قال الماوردى وعن ابن عباس قال كانت اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء وكان أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ثم نون ثم المزمل ثم المدثر وعنه نزلت نون بمكة وعن عائشة مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) قرئ بادغام النون الثانية من هجائها فى الواو وقرئ بالاظهار وبالفتح على اضمار فعل ويكسرها

نحو ابراهيم عليه السلام ثم قال البيهقي اسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرة لا أعلم لابي الضحى عليه متابعا والله أعلم قال الامام أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه التفكر والاعتبار حدثني اسحق بن حاتم المدائني ثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال مالكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها أو قال بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا (١٧) الله طرفة عين قط قالوا فأين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق قالوا أمن ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق وهذا حديث مرسل وهو منكر جدا وعثمان بن أبي دهرس ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك آخر تفسير سورة الطلاق ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة التحريم وهي مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة فقيل نزلت في شأن مارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمها فنزل قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك الآية قال أبو عبد الرحمن النسائي أخبرنا ابراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبي ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها فأنزل الله عز وجل يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى آخر الآية وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي

وبكسرها على اضمار القسم أو لاجل التقاء الساكنين وبضمها على البناء عن ابن عباس انه قال نون الدواة أخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد وأخرج ابن مردويه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النون السمكة التي عليها قرار الارضين وقال مجاهد والسدى ومقاتل هو الحوت الذي يحمل الارض وبه قال مرة الهمداني وعطاء الخراساني والكلبي وقيل ان نون آخر حرف من حروف الرحمن وقال ابن زيد هو قسم أقسم الله به وقال ابن كيسان هو فاتحة السورة وقال عطاء وأبو العالية هي النون من نصر وناصر وقال محمد ابن كعب أقسم الله بنصره المؤمنين وقيل اسم للسورة وقيل اسم للقرآن وقيل هو حرف من حروف الهجاء كالفواتح الواقعة في أوائل السور المفتتحة بذلك وقد اختاره المحلي حيث قال أحد حروف الهجاء وأراد بذلك الرد على من قال انه مقتطع من اسمه تعالى الرحمن أو النصير أو الناصر أو النور وقال النسفي الظاهر ان المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذي عليه الارض واسمه بهموت فمشكل سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف المعجم انتهى وقد عرفناك ماهو الحق في مثل هذه الفواتح في أول سورة البقرة (والقلم) الواو واو القسم أقسم الله بالقلم لما فيه من البيان وهو واقع على كل قلم يكتب به في الارض والسماء وقال جماعة من المفسرين ومنهم المحلي المراد به القلم الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ أقسم الله به تعظيما له قال قتادة القلم من نعمة الله على عباده وعن عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن الى الابد أخرجه الترمذي وصححه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن مردويه وأخرج ابن جرير من حديث معاوية بن قرة عن أبيه مرفوعا نحوه وعن ابن عباس قال ان الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة أخرجه ابن جرير وابن المنذر وأخرج الحكيم الترمذي عن أبي هريرة مرفوعا نحوه وعن ابن عباس ان أول شئ خلقه الله القلم فقال الله له اكتب فقال يارب ما أكتب فقال اكتب القدر فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن الى أن تقوم الساعة ثم طوى الكتاب ورفع القلم وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء ففتقت منه السموات ثم خلق النون فبسطت الارض عليه والارض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الارض

ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم ابراهيم في بيت بعض نسائه فقالت أي
رسول الله في بيتي وعلى فراشي فجعلها عليه حراما فقالت أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال فحلف لها بالله لا يصيبها فأنزل الله
تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك قال زيد بن أسلم فقوله أنت علي حرام لغو وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن
جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال قال لها أنت علي حرام والله لا أطؤك وقال سفيان الثوري وابن
عيينة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم فعوتب في التحريم وأمر
بالكفارة في اليمين رواه ابن جرير
وكذا روى عن قتادة وغيره عن
الشعبي نفسه وكذا قال غير واحد
من السلف منهم الضحاك والحسن
وقتادة ومقاتل بن حيان وروى
العوفي عن ابن عباس القصة مطولة
وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيى
ثنا أبي ثنا محمد بن اسحق عن الزهري
عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن
عباس قال قلت لعمر بن الخطاب
من المرأتان قال عائشة وحفصة
وكان بدء الحديث في شأن أم ابراهيم
القبطية أصابها النبي صلى الله
عليه وسلم في بيت حفصة في نوبتها
فوجدت حفصة فقالت يا نبي الله
لقد جئت الي شيأ ما جئت الى أحد
من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى
فراشي قال ألا ترضين ان أحرمها
فلا أقربها قالت بلى فحرمها وقال
لها لا تذكري ذلك لأحد فذكرته
لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل
الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل
الله لك تبتغي مرضات أزواجك
الآيات كلها فبلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كفر يمينه
وأصاب جاريته وقال الهيثم بن
كليب في مسنده ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن نافع في
عن ابن عمر عن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة لا تخبري أحدا وان أم ابراهيم علي حرام فقالت أتحرم ما أحل الله لك
قال فوالله لا أقربها قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة قال فأنزل الله تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وهذا اسناد صحيح ولم
يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج وقال ابن جرير أيضا حدثني يعقوب
ابن ابراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائي قال كتب الي يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير ان ابن عباس كان

فأثبتت الجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض الى يوم القيامة ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون
أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات وأبو الشيخ وغيرهم (وما يسطرون)
ما موصولة والضمير عائد الى أصحاب القلم المدلول عليهم بذكره لأن ذكر آلة الكتابة تدل على
الكاتب والمعنى والذي يكتبون كل ما يكتب أو الحفظة الكاتبون على بني آدم قال
ابن عباس يسطرون يكتبون ويجوز أن تكون ما مصدرية أي وسطرهم وقيل الضمير
راجع الى القلم خاصة من باب اسناد الفعل الى الآلة واجرائها مجرى العقلاء وعن ابن
عباس أيضا قال وما يسطرون ما يعلمون (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم
وما نافية أي انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال أنت بحمد الله عاقل قيل الباء متعلقة
بمضمر هو حال كأنه قيل أنت بريء من الجنون متلبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرسالة
العامة وقيل الباء للقسم أي ما أنت ونعمة ربك بمجنون وقيل النعمة هنا الرحمة والآية رد
على الكفار حيث قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون (وان لك لأجرا) أي ثوابا
على ما تحملت من أثقال النبوة وقاسيت من أنواع الشدائد (غير ممنون) أي غير مقطوع
يقال مننت الحبل اذا قطعته وقال مجاهد غير محسوب وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال
الضحاك أجرا بغير عمل وقيل غير مقدر وقيل غير ممنون به عليك من جهة الناس وقيل غير
منقوص (وانك لعلى خلق عظيم) قيل هو الاسلام والدين حكاه الواحدي عن الأكثرين
قال الحفناوي أقسم أولا بالقلم ثم بسطر الملائكة أو بمسطورهم فالمقسم به شيآن على ثلاثة
أشياء نفي الجنون عنه وثبوت الاجر له وكونه على دين الاسلام وقيل هو القرآن روى هذا
عن الحسن والعوفي وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه مما نهى الله
قال الزجاج المعنى انك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وقيل هو رفقه بأمته
واكرامه اياهم وقيل المعنى انك على طبع كريم قال الماوردي وهذا هو الظاهر وحقيقة
الخلق في اللغة ما يأخذ الانسان نفسه به من الادب عن سعد بن هشام قال أتيت عائشة
فقلت يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن
أما تقرأ القرآن انك لعلى خلق عظيم أخرجه مسلم وابن المنذر والحاكم وغيرهم وعنها قالت
ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا من
أهل بيته الا قال لبيك فلذلك أنزل الله وانك لعلى خلق عظيم أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم

بقول في الحرام يمين تكفرها وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم جاريته فقال الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم فكفر يمينه فصير الحرام يمينا ورواه البخاري عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير عن ابن حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الحرام يمين تكفر وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به وقال النسائي أنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي ثنا مخلد هو ابن يزيد ثنا (١٩) سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال اني جعلت امرأتي علي حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك وأغلظ الكفارات عتق رقبة تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ وقال الطبراني ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا اسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريته ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاما أو شرابا أو ملبسا أو شيأ من المباحات وهو مذهب الامام أحمد وطائفة وذهب الشافعي الى انه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية اذا حرم عينيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول فاما ان نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الامة نفذ فيهما وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهراني أنا حفص بن عمر العدني أنا الحكم ابن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول غريب والصحيح ان ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري عند هذه الآية ثنا ابراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير اني أجد منك ريح مغافير قال لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا تبتغي مرضات أزواجك هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ وقال في كتاب

في الدلائل والواحدي وعن أبي الدرداء قال سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه أخرجه البيهقي في الدلائل وابن مردويه وابن المنذر وعن أبي عبد الله الجدلي قال قلت لعائشة كيف خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه ابن أبي شيبة والترمذي وصححه وابن مردويه وقيل غير ذلك مما يطول ذكره وهو في كتب الشمائل والسير مستوفى (فستبصر ويبصرون) أي ستبصر يا محمد ويبصر الكفار اذا تبين الحق وانكشف الغطاء وذلك يوم القيامة قال ابن عباس أي ستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل وقيل في الدنيا بظهور عاقبة أمرك بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وهذا وعد له ووعيد لهم (بأيكم المفتون) قال الخطيب ترسم بأيكم ههنا بياءين انتهى والباء زائدة للتأكيد أي أيكم المفتون بالجنون كذا قال الاخفش وأبو عبيدة وغيرهما الا أنه ضعيف من حيث ان الباء لا تزاد في المبتدأ الا في بحسبك فقط وقيل ليست الباء زائدة والمفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور والتقدير بأيكم الفتون أو الفتنة وقال الفراء ومجاهد ان الباء بمعنى في فهي ظرفية أي في أيكم المفتون أفي الفريق الذي أنت فيه أم في الفريق الآخر ويؤيد هذا قراءة ابن أبي عبلة بفي وقيل في الكلام حذف مضاف أي بأيكم فتن المفتون فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه روى هذا عن الاخفش أيضا وتكون الباء سببية وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار اذا أحميته ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون وقيل المفتون هو الشيطان لانه مفتون في دينه والمعنى بأيكم الشيطان قال ابن عباس كانوا يقولون انه شيطان وانه مجنون وعنه قال المفتون المجنون وقال قتادة ومقاتل هذا وعيد لهم بعذاب يوم بدر والمعنى سترى ويرى أهل مكة اذا نزل بهم العذاب ببدر بأيكم المفتون (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) تعليل للجملة التي قبلها فانها تتضمن الحكم عليهم بالجنون لمخالفتهم لما فيه نفعهم في العاجل والآجل واختيارهم ما فيه ضرهم فيهما وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد والمعنى هو أعلم بمن ضل عن سبيله الموصل الى سعادة الدارين (وهو أعلم بالمهتدين) الى سبيله الموصل الى تلك السعادة الآجلة والعاجلة فهو مجاز كل عامل بعمله ان خيرا فخير

الايمان والنذور ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء انه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة تزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له انى أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على احداهما النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ذلك له فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما لعائشة وحفصة واذ أسر النبي الى (٢٠) بعض أزواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وقال ابراهيم بن موسى عن هشام وان أعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك أحدا وهكذا رواه فى كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه ثم قال المغافير شبيه بالصمغ يكون فى الرمث فيه حلاوة أغفر الرمث اذا ظهر فيه واحدها مغفور ويقال مغافير وهكذا قال الجوهرى قال وقد يكون المغفور أيضا للعشر والثمام والسلم والطلح قال والرمث بالكسر مرعى من مراعى الابل وهو من الحمض قال والعرفط شجر من العضاه تنضح المغفور وقد روى مسلم هذا الحديث فى كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرنى عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخارى فى الايمان والنذور ثم قال البخارى فى كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبى المغراء ثنا على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة انه سيدنو منك فاذا دنا منك فقولى أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولى ما هذه الريح التى أجد فانه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولى له أنت يا صفية ذلك قالت تقول سودة فوالله ما هو الا أن قام على الباب فأردت ان أناديه بما أمرتنى فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التى أجد منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دار الى قلت

يحظرها

وان شرا فشر (ولا تطع المكذبين) الفاء لترتيب النهى على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وآله وسلم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج للتصميم على مباينتهم نهاه سبحانه عن ممايلة المشركين وهم رؤساء كفار مكة لانهم كانوا يدعونه الى دين آبائه فنهاه الله عن طاعتهم أو هو تعريض لغيره عن ان يطيع الكفار أو المراد بالطاعة مجرد المداراة باظهار خلاف ما فى الضمير فنهاه الله عن ذلك كما يدل عليه قوله (ودوا لو تدهن فيدهنون) فان الادهان هو الملاينة والمسامحة والمداراة قال الفراء المعنى لو تلين فيلينوا لك وكذا قال الكلبى وقال الضحاك والسدى ودوا لو تكفر فيتمادوا على الكفر وقال الربيع بن أنس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون معك وقال الحسن لو تصانعهم فى دينك فيصانعونك وقال مجاهد لو تركن اليهم وتترك ما أنت عليه من الحق فيمايلونك قال ابن قتيبة كانوا أرادوه على ان يعبد آلهتهم مدة ويعبدوا الله مدة وقال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون وقوله فيدهنون عطف على تدهن داخل فى حيز لو أو هو خبر مبتدا محذوف أى فهم يدهنون قال سيبويه وزعم قالون انها فى بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا بغير نون والنصب على جواب التمنى المفهوم من ودوا والظاهر من اللغة فى معنى الادهان هو ما ذكرناه أولا (ولا تطع كل حلاف) أى كثير الحلف بالباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف (مهين) فعيل من المهانة وهى القلة فى الرأى والتمييز وقال مجاهد هو الكذاب وقال قتادة المكثار فى الشر وكذا قال الحسن وقيل هو الفاجر العاجز وقيل هو الحقير عند الله وقيل هو الذليل وقيل هو الوضيع وأخرج ابن مردويه عن أبى عثمان النهدى قال قال مروان لما بايع الناس ليزيد سنة أبى بكر وعمر فقال عبد الرحمن بن أبى بكر انها ليست بسنة أبى بكر وعمر لكنها سنة هرقل فقال مروان هذا الذى أنزل فيه والذى قال لوالديه أف لكما الآية قال فسمعت ذلك عائشة فقالت انها لم تنزل فى عبد الرحمن ولكن نزل فى أبيك ولا تطع كل حلاف مهين (هماز) هو المغتاب للناس قال زيد هو الذى يهمز باخيه وقيل الهماز العياب وقيل الهماز الذى يذكر الناس فى وجوههم واللماز الذى يذكرهم فى مغيبهم كذا قال أبو العالية والحسن وعطاء بن أبى رباح وقال مقاتل عكس هذا وقيل الهماز الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهمز كاللمز وزنا ومعنى وبابه ضرب وهمزات الشيطان خطراته التى

نحو ذلك فلما دار الى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار الى حفصة قالت له يا رسول الله الا أسقيك منه قال لا حاجة لى فيه قالت تقول سودة والله لقد حرمناه قلت لها اسكتى هذا لفظ البخارى وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن على بن مسهر به وعن أبى كريب وهرون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثتهم عن أبى أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة به وعنده قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح يعنى الريح الخبيثة ولهذا قلن له أكلت مغافير لأن ريحها فيه شئ فلما قال بل شربت عسلا قلن جرست نحله العرفط أى رعت نحله شجر العرفط الذى صمغه المغافير (٢١) فلهذا ظهر ريحه فى العسل الذى شربته

قال الجوهرى جرست النحل العرفط تجرس اذا أكلته ومنه قيل للنحل جوارس قال الشاعر

تظل على الثمراء منها جوارس

وقال الجرس والجرس الصوت الخفى ويقال سمعت جرس الطير اذا سمعت صوت مناقيرها على شئ تأكله وفى الحديث فيسمعون جرس طير الجنة قال الاصمعى كنت فى مجلس شعبة قال فيسمعون جرش طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر الى فقال خذوها عنه فانه أعلم بهذا منا والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هى الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن خالته عائشة وفى طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن عائشة ان زينب بنت جحش هى التى سقته العسل وان عائشة وحفصة تواطأتا وتظهرتا عليه فالله أعلم وقد يقال انهما واقعتان ولا بعد فى ذلك الا ان كونهما سببا لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم ومما يدل على ان عائشة وحفصة رضى الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذى رواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور عن ابن عباس قال لم أزل حريصا على ان أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم أتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهرى كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هى حفصة وعائشة قال ثم أخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما

يخطرها بقلب الانسان (مشاء بنميم) هو الذى يمشى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم اذا سعى بالفساد بين الناس وقيل النميم جمع نميمة أى نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم (مناع للخير) أى بخيل بالمال لا ينفقه فى وجهه وقيل هو الذى يمنع أهله وعشيرته عن الاسلام قال الحسن يقول لهم من دخل منكم فى دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا أنفعه بشئ أبدا (معتد) أى متجاوز الحد فى الظلم (أثيم) كثير الآثام (عتل) قال الواحدى المفسرون يقولون هو الشديد الخلق الفاحش الخلق وقال الفراء هو الشديد الخصومة فى الباطل وقال الزجاج هو الغليظ الجافى فى الطبع من عتله اذا قاده بعنف وغلظة وقال الليث هو الاكول المنوع وقيل قاسى القلب وقيل الذى يعتل الناس أى يحملهم ويجرهم الى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه وقيل هو الفاحش اللئيم (بعد ذلك زنيم) أى هو بعد ما عد من معايبه ومثالبه الثمانية دعى ملصق مستلحق بالقوم وليس هو منهم مأخوذ من الزنمة المتدلية فى حلق الشاة أو الماعز وقال سعيد بن جبير الزنيم المعروف بالشر وقيل هو رجل من قريش كان له زنمة كزنمة الشاة وقيل هو الظلوم وقال ابن عباس له زنمة كزنمة الشاة والعتل هو الدعى والزنيم هو المريب الذى يعرف بالشر وعنه قال الزنيم الدعى وعنه الزنيم الذى يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وعنه قال هو الرجل يمر على القوم فيقولون رجل سوء وقال أيضا الزنيم الظلوم وهذه البعدية فى الرتبة لا فى الخارج قال الشهاب فبعد هنا كثم للتراخى فى الرتبة قال أبو السعود وفيه دلالة على ان دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه وقد قيل ان هذه الآيات نزلت فى الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق فى بنى زهرة وقيل فى الوليد بن المغيرة وبه قال الجمهور وقيل فى أبى جهل بن هشام وقيل فى الاسود بن يغوث قاله ابن عباس (أن كان ذا مال وبنين) متعلق بقوله تعالى ولا تطع أى لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين قاله الفراء والزجاج وقيل متعلق بما دل عليه جملة اذا تتلى من معنى الجحود والتكذيب لا بقال الذى هو جواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك قرئ أن كان بهمزة واحدة على الخبر وقرئ بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع حيث جعل

ثغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلي في دار أمية بن زيد
بالعوالي قال فغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان أراجعك فوالله ان أزواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل قال فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعين رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت نعم قلت وتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن
احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسوله (٢٢) فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ
وسليني من مالي ما بدا لك ولا يغرنك
ان كانت جارتك هي أوسم أي أجمل
وأحب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منك يريد عائشة قال وكان لي
جار من الانصار وكنا نتناوب النزول
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينزل يوما وأنزل يوما فيأتيني بخبر
الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك
قال وكنا نتحدث ان غسان تنعل
الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوما
ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني
فخرجت اليه فقال حدث أمر
عظيم فقلت وما ذاك أجاءت غسان
قال لا بل أعظم من ذلك وأطول
طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساءه فقلت قد خابت حفصة
وخسرت قد كنت أظن هذا
كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت
على ثيابي ثم نزلت فدخلت على
حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت لا أدري هو هذا معتزل في
هذه المشربة فأتيت غلاما له أسود
فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام
ثم خرج الي فقال ذكرتك له فصمت
فانطلقت حتى أتيت المنبر فاذا
عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست عنده قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل وعزموا
ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فخرجت فجلست الى المنبر ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم
خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قال الامام أحمد وحدثناه يعقوب في حديث صالح قال رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت
أطلقت يا رسول الله نساءك فرفع رأسه الي وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا

مجازاة النعم التي خوله الله من المال والبنين أن كفر به وبرسوله وقرئ بهمزتين مخففتين وقرأ نافع في رواية عنه بكسر الهمزة على الشرط وجوابه مقدر أي ان كان كذا يكفر ويجحد دل عليه ما بعده (اذا تتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال) هي (أساطير) أي أكذوبة (الاولين) والجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي (سنسمه على الخرطوم) أي سنكويه بالكي على أنفه مهانة له وعلامة يعير بها ما عاش قال أبو عبيدة وأبو زيد والمبرد الخرطوم الانف وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم عليه أبشع وفي التعبير عن الانف بالخرطوم استهجان واستهزاء بالمعين لان الخرطوم أنف السباع وغالب ما يستعمل في أنف الفيل والخنزير وفي القاموس الخرطوم كزنبور الانف أو مقدمه أو ما ضممت عليه الحنكين كالخرطم كقنفذ وفي السمين هو هنا عبارة عن الوجه كله من التعبير عن الكل باسم الجزء لانه أظهر ما فيه وأعلاه والاول أولى وقد جرح أنف هذا اللعين يوم بدر فبقي أثر الجرح في أنفه بقية عمره وقال مقاتل سنسمه بالسواد على الانف وذلك انه يسود وجهه قبل دخول النار وقال الزجاج سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم وقال قتادة سنلحق به شيأ لا يفارقه واختار هذا ابن قتيبة قال والعرب تقول قد وسمه ميسم سوء يريدون ألصق به عارا لا يفارقه فالمعنى أن الله ألحق به عارا لا يفارقه كالوسم على الخرطوم وقيل معنى سنسمه سنخطمه بالسيف وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب الخمر وقد يسمى الخمر بالخرطوم ومنه قول الشاعر

تظل يومك في لهو وفي طرب * وأنت بالليل شراب الخراطيم

(انا بلوناهم) يعني كفار مكة فان الله ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا الجيف والرمم والابتلاء الاختبار والمعنى أعطيناهم الاموال ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم ابتلاء (كما بلونا أصحاب الجنة) المعروف خبرهم عندهم وذلك انها كانت بأرض اليمن على فرسخين من صنعاء لرجل يؤدي حق الله منها فمات وصارت الى أولاده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها قال الواحدي هم قوم من ثقيف كانوا باليمن مسلمين ورثوا من أبيهم ضيعة فيها جنات وزرع ونخيل وكان أبوهم يجعل مما فيها من كل شيء حظا للمساكين عند الحصاد والصرام فقالت بنوه المال قليل والعيال كثير ولا يسعنا أن نفعل كما كان يفعل أبونا

المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني
فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب
من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن احداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يارسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت (٢٣) رأسي في البيت فوالله ما رأيت في البيت شيأ
يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت
ادع الله يارسول الله ان يوسع على
أمتك فقد وسع على فارس والروم
وهم لا يعبدون الله فاستوى
جالسا وقال أفي شك أنت يا ابن
الخطاب أولئك قوم عجلت لهم
طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت
استغفر لي يارسول الله وكان أقسم
أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة
موجدته عليهن حتى عاتبه الله
عز وجل وقد رواه البخاري ومسلم
والترمذي والنسائي من طرق عن
الزهري به وأخرجه الشيخان من
حديث يحيى بن سعيد الانصاري
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال مكثت سنة أريد أن أسأل عمر
ابن الخطاب عن آية فما استطيع
ان أسأله هيبة له حتى خرج حاجا
فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض
الطريق عدل الى الاراك لحاجة
له قال فوقفت حتى فرغ ثم سرت
معه فقلت يا أمير المؤمنين من
اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله
عليه وسلم هذا لفظ البخاري ولمسلم
من المرأتان اللتان قال الله تعالى
وان تظاهرا عليه قال عائشة
وحفصة ثم ساق الحديث بطوله ومنهم من اختصره وقال مسلم أيضا حدثني زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن
عمار عن سماك بن الوليد أبي زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه
دخلت المسجد فاذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل ان يؤمر بالحجاب فقلت
لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه اياهما الى ان قال فدخلت فاذا انا برباح غلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم على أسكفة المشربة فناديت فقلت يارباح استأذن لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم الى أن

وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم الى ما قص الله في كتابه وقال الحسن كانوا
كفارا قال النسفي والجمهور على الاول وقال الكلبي كان بينهم وبين صنعاء فرسخان
ابتلاهم الله بان حرق جنتهم وقيل هي جنة كانت بصروان وصروان بالصاد المهملة على
فراسخ من صنعاء وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى بزمن يسير قاله الزرقاني في
شرح المواهب وذكره القرطبي أيضا ومثله في حواشي البيضاوي وقال ابن عباس هم ناس
من أهل الحبشة كان لابيهم جنة وكان يطعم منها المساكين فمات أبوهم فقال بنوه ان كان
أبونا لاحمق كان يطعم المساكين (اذ أقسموا) أي حلف معظمهم والا فالاوسط قال لهم
لا تفعلوا واصنعوا من الاحسان ما كان يصنعه أبوكم قال البقاعي وكأنه تعالى طواه لانه
مع الدلالة عليه بما يأتي لم يؤثر شيأ (ليصرمنها مصبحين) أي ليقطعنها داخلين في وقت
الصباح قبل انتشار الفقراء والصرام القطع للثمر والزرع يقال صرم العذق عن النخلة
وأصرم النخل أي حان وقت صرامه والانصرام الانقطاع والتصارم التقاطع والتصرم
التقطع واذ تعليلية أو ظرفية بنوع تسمح لان الاقسام كان قبل ابتلائهم وليصرمنها
جواب القسم (ولا يستثنون) يعني ولا يقولون ان شاء الله وسمي استثناء وهو الشرط
لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا ان يشاء الله واحد قاله الزمخشري وهذه
الجملة مستأنفة لبيان ما وقع منهم أو حال وقيل المعنى ولا يستثنون للمساكين من جملة ذلك
القدر الذي كان يدفعه أبوهم اليهم قاله عكرمة وقيل المعنى لا يثنون عزمهم عن الحرمان
(فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أي فنزل على تلك الجنة طائف من جهة الله
سبحانه أي هلاك أو بلاء في حال نومهم والطائف غلب في الشر قال الفراء هو الامر الذي
يأتي ليلا ورد عليه بقوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار
وقرئ طيف والطائف قيل هو نار احرقتها حتى صارت سوداء كذا قال مقاتل وقيل
الطائف جبريل اقتلعها وقال ابن عباس طائف أي أمر من الله وأخرج عبد بن حميد وابن
أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم
والمعصية فان العبد ليذنب الذنب الواحد فينسى به الباب من العلم وان العبد ليذنب
الذنب فيحرم به قيام الليل وان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيئ له ثم تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف عليها الآية قد حرموا خير جنتهم بذنبهم وفي هذه

قال فقلت يارسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام الا رجوت أن يكون الله يصدق قولي فنزلت هذه الآية آية التخيير عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فقلت أطلقتهن قال لا فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر (٢٤) منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت ذلك الامر وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر زاد الحسن البصري وعثمان وقال بشر بن أبي سليم عن مجاهد وصالح المؤمنين قال علي بن أبي طالب وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا محمد ابن أبي عمر ثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين قال أخبرني رجل ثقة يرفعه الى علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وصالح المؤمنين قال هو علي بن أبي طالب اسناده ضعيف وهو منكر جدا وقال البخاري ثنا عمرو بن عون ثنا هشيم عن حميد عن أنس قال قال عمر اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية وقد تقدم انه وافق القرآن في أماكن منها في نزول الحجاب ومنها في أسارى بدر ومنها قوله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا الانصاري ثنا حميد عن أنس قال قال عمر بن الخطاب بلغني شئ كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم فاستقريتهن أقول لتكفن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن فأمسكت فانزل الله عز وجل عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا وهذه المرأة التي ردته عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري وقال الطبراني ثنا ابراهيم بن نائلة الاصبهاني ثنا اسمعيل البجلي ثنا أبو عوانة عن أبي سنان عن الضحاك عن

الآية دليل على ان العزم مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وهذا محمول على العزم المصمم اما ما يخطر بالبال من غير عزم فلا يؤاخذ به قاله القرطبي (فأصبحت كالصريم) فعيل بمعنى مفعول أي صارت كالشئ الذي صرمت ثماره أي قطعت وقال الفراء كالصريم كالليل المظلم والمعنى انها احترقت فصارت كالليل الاسود قالوا والصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة وقال الاخفش أي كالصبح الصريم من الليل يعني انها يبست وابيضت بلا شجر وقال المبرد الصريم الليل والصريم النهار أي ينصرم هذا عن هذا وذاك عن هذا وقيل سمي الليل صريما لانه يقطع بظلمته عن التصرف وقال المورج الصريم الرملة لانها لا ينبت عليها شئ ينتفع به وقال الحسن صرم منها الخير أي قطع (فتنادوا مصبحين) أي نادى بعضهم بعضا داخلين في الصباح معطوف على أقسموا وما بينهما اعتراض لبيان ما نزل بتلك الجنة قال مقاتل لما أصبحوا قال بعضهم لبعض (أن اغدوا) ان هي المفسرة لان في التنادي معنى القول أو هي المصدرية أي بان اغدوا والمراد اخرجوا غدوة (على حرثكم) وأقبلوا عليه باكرين والغدو يتعدى بالى وعلى فلا حاجة الى تضمينه معنى الاقبال كما قيل والمراد بالحرث الثمار والزرع والعنب (ان كنتم صارمين) أي قاصدين للصرم وجواب الشرط محذوف أي إن كنتم مريدين صرامه فاغدوا وقيل معنى صارمين ماضين في العزم من قولك سيف صارم (فانطلقوا) أي ذهبوا الى جنتهم (وهم يتخافتون) أي يسرون الكلام بينهم لئلا يعلم أحد بهم يقال خفت يخفت اذا سكن ولم يبن قال ابن عباس الخفت الاسرار والكلام الخفي وقيل المعنى يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم فيقصدوهم كما كانوا يقصدون أباهم وقت الحصاد والاول أولى لقوله (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) فان أن هي المفسرة للتخافت المذكور لما فيه من معنى القول والمعنى يسر بعضهم الى بعض هذا القول وهو لا يدخل هذه الجنة اليوم عليكم مسكين فيطلب منكم ان تعطوه منها ما كان يعطيه أبوكم واوقع النهي على دخول المساكين لانه أبلغ لان دخولهم أعم من أن يكون بادخالهم أو بدونه (وغدوا) أي ساروا اليها غدوة (على

ابن عباس فى قوله واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا قال دخلت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم فى بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخبرى عائشة حتى أبشرك بشارة ان أباك يلي الامر من بعد أبي بكر اذا أنامت فذهبت حفصة فاخبرت عائشة فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فقالت عائشة لا أنظر اليك حتى تحرم مارية فحرمها فانزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم اسناده فيه نظر وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات ومعنى قوله مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات ظاهر وقوله تعالى (٢٥) سائحات أى صائمات قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد ابن كعب القرظى وأبو عبد الرحمن السلمى وأبو مالك وابراهيم النخعى والحسن وقتادة والضحاك والربيع ابن أنس والسدى وغيرهم وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله السائحون فى سورة براءة ولفظه سياحة هذه الامة الصيام وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن سائحات أى مهاجرات وتلا عبد الرحمن السائحون أى المهاجرون والقول الاول أولى والله أعلم وقوله تعالى ثيبات وأبكارا أى منهن ثيبات ومنهن أبكارا ليكون ذلك أشهى الى النفس فان التنوع يبسط النفس ولهذا قال ثيبات وأبكارا وقال أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير ثنا أبو بكر بن صدقة ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا عبد الله ابن أبي أمية ثنا عبد القدوس عن صالح بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه ثيبات وأبكارا قال وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ان يزوجه فالثيب آسية امرأة فرعون وبالابكار مريم بنت

 عمران وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة مريم عليها السلام من طريق سويد بن سعيد ثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرت خديجة فقال ان الله يقرئها السلام ويبشرها ببيت فى الجنة من قصب بعيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب من لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم ومن حديث أبي بكر الهذلى عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهى فى الموت فقال يا خديجة اذا لقيت ضرائرك فاقرئيهن منى السلام فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلى قال لا ولكن الله زوجنى

(على حرد) الحرد يكون بمعنى المنع والغضب والقصد قال قتادة ومقاتل والكلبي والحسن ومجاهد الحرد هنا بمعنى القصد لان القاصد الى الشئ حارد يقال حرد يحرد اذا قصد تقول حردت حردك أى قصدت قصدك وبابه ضرب وقال أبو نصر صاحب الاصمعى هو مخفف فعلى هذا بابه فهم وقال ابن السكيت وقد يحرك فعلى هذا بابه طرب فهو حارد وحردان انتهى وقال أبو عبيدة والمبرد والقتيبي على حرد على منع من قولهم حردت الابل حردا اذا قلت ألبانها والحرود من النوق هى القليلة اللبن وقال السدى وسفيان والشعبي على حرد على غضب وعن قتادة ومجاهد أيضا على حرد على حسد وقال الحسن أيضا على حاجة وفاقة وقيل على حرد على انفراد يقال حرد يحرد حردا وحرودا اذا تنحى عن قومه ونزل منفردا عنهم ولم يخالطهم وبه قال الاصمعى وغيره وقد فسرت الآية الكريمة بجميع ما ذكرت وقال الازهرى حرد اسم قريتهم وقال السدى اسم جنتهم قرأ الجمهور حرد بسكون الراء وقرئ بفتحها قال الفراء ومعنى (قادرين) قد قدروا أمرهم وبنوا عليه فى ظنهم وأما فى الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم وعلى الفقراء ففى نفس الامر لم يمنعوهم منه وقال قتادة قادرين على جنتهم عند أنفسهم وقال الشعبي يعنى قادرين على المساكين وقال ابن عباس ذو وقدرة أو من التقدير وهو التضييق أى مضيقين على المساكين (فلما رأوها) أى جنتهم وشاهدوا ما قد حل بها من الآفة التى أذهبت ما فيها (قالوا انا لضالون) أى قال بعضهم لبعض بديهة وصولهم قبل التأمل قد ضللنا طريق جنتنا وليست هذه قال ابن عباس أى أضللنا مكان جنتنا وقيل معنى قولهم انا لضالون انهم ضلوا عن الصواب وبما وقع منهم ثم لما تأملوا وعلموا انها جنتهم وان الله سبحانه قد عاقبهم باذهاب ما فيها من الثمر والزرع قالوا مضربين اضرابا ابطاليا لكونهم ضالين (بل نحن محرومون) أى حرمنا جنتنا بسبب ما وقع منا من العزم على منع المساكين من خيرها فأضربوا عن قولهم الاول الى هذا القول قيل ان الحق الذى منعه أصحاب الجنة المساكين يحتمل انه كان واجبا عليهم ويحتمل انه كان تطوعا والاول أظهر والله أعلم (قال أوسطهم) أى أمثلهم وأعقلهم وخيرهم رأيا وعقلا ونفسا وقال ابن عباس أعدلهم وقيل أفضلهم فأنكر عليهم بقوله (ألم أقل لكم) ان ما فعلتموه لا ينبغى وان الله لبالمرصاد لمن حاد وغير ما فى نفسه (لولا تسبحون) أى هلا تستثنون وسمى الاستثناء تسبيحا لانه تعظيم لله

مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى ضعيف أيضا وقال أبو يعلى ثنا ابراهيم بن عرعرة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا يونس بن شعيب عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمت ان الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون فقلت هنيأ لك يا رسول الله وهذا أيضا ضعيف وروى مرسلا عن ابن أبي داود (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا (٢٦) اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير) قال سفيان الثوري عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا يقول أدبوهم وعلموهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوا أنفسكم وأهليكم نارا يقول اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار وقال مجاهد قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله وقال قتادة تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فاذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها وهكذا قال الضحاك ومقاتل حق على المسلم ان يعلم أهله من قرابته وامائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك بن الربيع ابن سبرة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا الصبي بالصلاة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها هذا لفظ أبي داود وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال الفقهاء وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة

واقراره به وهذا يدل على ان أوسطهم كان أمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه وقال مجاهد وأبو صالح وغيرهما كان استثناؤهم تسبيحا قال النحاس أصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل التسبيح في موضع ان شاء الله لانه ينزه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده وقيل المعنى هلا تستغفرون الله من فعلكم وتتوبون اليه من هذه النية التي عزمتم عليها وكان أوسطهم قد قال لهم ذلك وقيل المعنى هلا تتركون شيأ للمساكين من ثمر جنتكم والاول أولى فلما قال لهم ذلك بعد مشاهدتهم للجنة على تلك الحالة (قالوا سبحان ربنا) أي تنزيها له عن ان يكون ظالما فيما صنع بجنتنا ثم أكدوا قباحة فعلهم هضما لانفسهم وتحقيقا لتوبتهم بقولهم (انا كنا ظالمين) أي ان ذلك بسبب ذنبنا الذي فعلناه قيل معنى تسبيحهم الاستغفار أي نستغفر ربنا من ذنبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في منعنا للمساكين (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا في منعهم للمساكين وعزمهم على ذلك يقول هذا لهذا أنت أشرت علينا بهذا الرأي ويقول ذاك لهذا أنت خوفتنا الفقر ويقول الثالث لغيره أنت رغبتني في جمع المال ثم نادوا على أنفسهم بالويل حيث (قالوا يا ويلنا) هذا وقت حضورك الينا ونداؤك لنا فانه لا نديم لنا الآن غيرك (انا كنا طاغين) أي عاصين متجاوزين حدود الله بمنع الفقراء وترك الاستثناء قال ابن كيسان أي طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها أبونا من قبل ثم رجعوا الى الله وسألوه أن يعوضهم بخير منها فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) قيل انهم تعاقدوا فيما بينهم وقالوا ان أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله وتضرعوا فأبدلهم من ليلتهم ما هو خير منها بأن أمر الله جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر (١) من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها بمكانها قرأ الجمهور يبدلنا بالتخفيف وقرئ بالتشديد وهما لغتان وقراءتان سبعيتان والتبديل تغيير ذات الشئ أو تغيير صفته والابدال رفع الشئ جملة ووضع آخر مكانه كما مضى في سورة سبا (انا الى ربنا راغبون) أي طالبون منه الخير راجون لعفوه راجعون اليه وعدى بالى وهو انما يتعدى بعن أو بفي لتضمينه معنى الرجوع عن ابن مسعود بلغني انهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا وقال اليماني أبو خالد دخلت تلك الجنة فرأيت فيها كل عنقود منها كالرجل القائم الاسود قال الحسن قول أهل الجنة انا الى

ربنا

(١) زغر بالزاي والغين المعجمة بلدة بالشام لانها نزلت بها أو بها عين غور ماءها علامة خروج الدجال اه منه

والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق وقوله تعالى وقودها الناس والحجارة وقودها أي حطبها الذي يلقى فيها جثث بني آدم والحجارة قيل المراد بها الاصنام التي تعبد لقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر والسدي هي حجارة من كبريت زاد مجاهد أنتن من الجيفة وروى ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله ثم قال ثنا أبي ثنا عبد الرحمن بن سنان المنقري ثنا عبد العزيز يعني ابن أبي رواد قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وعنده بعض أصحابه (٢٧) وفيهم شيخ فقال الشيخ يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها قال فوقع الشيخ مغشيا عليه فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فاذا هو حي فناداه قال يا شيخ قل لا اله الا الله فقالها فبشره بالجنة قال فقال أصحابه يا رسول الله أمن بيننا قال نعم يقول الله تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد هذا حديث مرسل غريب وقوله تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد أي طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله شدادا أي تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا سلمة بن شبيب ثنا ابراهيم بن الحكم بن أبان ثنا أبي عن عكرمة انه قال اذا وصل أول أهل النار الى النار وجدوا على الباب أربعمائة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كالحة أنيابهم قد نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل ان يبلغ منكبه الآخر ثم يجدون على الباب التسعة عشر عرض صدر أحدهم سبعون خريفا ثم يهوون من باب الى باب خمسمائة سنة ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الاول حتى ينتهوا الى آخرها وقوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أي مهما أمرهم به تعالى يبادروا اليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه وهؤلاء هم الزبانية عياذا بالله منهم وقوله يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون أي يقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا فانه لا يقبل منكم وانما تجزون اليوم باعمالكم ثم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا أي

ربنا راغبون لا أدري أكان ايمانا منهم أو على حد ما يكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة فتوقف في كونهم مؤمنين وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار قال لقد كلفتني تعبا والمعظم يقولون انهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري (كذلك العذاب) أي مثل ذلك العذاب الذي بلوناهم به وبلونا أهل مكة عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أي أشد وأعظم من عذاب الدنيا (لو كانوا) أي المشركون (يعلمون) انه كذلك ولكنهم لا يعلمون ولما فرغ سبحانه من ذكر حال الكفار وتشبيه ابتلائهم بابتلاء أصحاب الجنة المذكورة ذكر حال المتقين وما أعده لهم من الخير فقال (ان للمتقين) ما يوجب سخطه من الكفر والمعاصي (عند ربهم) عز وجل في الدار الآخرة (جنات النعيم) الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا ينغصه خوف زوال كما يشوب جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) الاستفهام للتقريع والتوبيخ للكفار على هذا القول الذي قالوه وقد وبخوا وقرعوا باستفهامات سبعة أولها هذا والسابع أم لهم شركاء والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين وكأن العبارة مقلوبة والاصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين لانهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل لانه كان صناديد كفار قريش يرون وفور حظهم في الدنيا وقلة حظوظ المسلمين فيها فلما سمعوا بذكر الآخرة وما يعطي الله المسلمين فيها قالوا ان صح ما يزعمه محمد لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا فقال الله مكذبا لهم رادا عليهم أفنجعل الآية والمعنى أفنجعل المجرمين مساوين للمسلمين في العطاء لا كما ذكر في آية أخرى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة قاله علي القاري وبعد ذلك ليس في الآية الا نفي المساواة والكفار ادعوا الافضلية أو المساواة الا أن يقال اذا انتفت المساواة انتفت الافضلية بالاولى ثم قال سبحانه على طريقة الالتفات (ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج كأن أمر الجزاء مفوض اليكم تحكمون فيه بما شئتم (أم لكم كتاب فيه تدرسون) أي تقرؤن فيه فتجدون المطيع كالعاصي ومثل هذا قوله تعالى أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ثم قال سبحانه (ان) قرأ الجمهور بالكسر على انها معمولة لتدرسون أي تدرسون في الكتاب ان (لكم فيه لما تخيرون) فلما دخلت اللام كسرت الهمزة أو على الحكاية للمدروس وقيل قد تم الكلام عند قوله تدرسون ثم ابتدأ فقال ان لكم الخ أي ليس لكم

توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات قال ابن جرير ثنا ابن مثنى ثنا محمد ثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا قال يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه وقال الثوري عن سماك عن النعمان عن عمر قال التوبة النصوح ان يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه وقال أبو الاحوص وغيره عن سماك عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال ان يتوب الرجل من العمل السيء ثم لا يعود اليه أبدا وقال الاعمش عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله توبة نصوحا قال يتوب ثم لا يعود وقد روى هذا مرفوعا فقال الامام أحمد ثنا علي بن عاصم عن ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التوبة من الذنب ان يتوب منه ثم لا يعود فيه تفرد به أحمد من طريق ابراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والموقوف أصح والله أعلم ولهذا قال العلماء التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ما سلف منه في الماضي ويعزم على ان لا يفعل في المستقبل ثم ان كان الحق لآدمي رده اليه بطريقه قال الامام أحمد ثنا سفيان عن عبد الكريم أخبرني زياد بن أبي مريم عن عبد الله بن معقل قال دخلت مع أبي على عبد الله بن مسعود فقال أنت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الندم توبة قال نعم وقال مرة نعم سمعته يقول الندم توبة ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن سفيان بن عيينة عن عبد الكريم وهو ابن مالك الجزري به وقال ابن أبي حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثني الوليد بن بكير أبو خباب عن عبد الله بن محمد العبدي عن أبي سنان البصري عن أبي قلابة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الامة عند اقتراب الساعة منها نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا حتى يتوبوا الى الله توبة نصوحا قال زر فقلت لأبي بن كعب فما التوبة النصوح

ذلك وقرئ بفتح ان على ان العامل فيه تدرسون مع زيادة لام التأكيد ومعنى تخيرون تختارون وتشتهون ثم زاد سبحانه في التوبيخ فقال (أم لكم أيمان علينا بالغة) أي عهود مؤكدة بالايمان موثقة متناهية اذ العهد كلام مؤكد بالقسم فاطلق الجزء وأريد الكل والمعنى أم لكم أيمان على الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة ثابتة لكم (الى يوم القيامة) لا يخرج عن عهدتها حتى يحكمكم يومئذ قرأ الجمهور بالغة بالرفع على النعت لأيمان وقرئ بنصبها على الحال من أيمان لانها قد تخصصت بالعمل أو بالوصف أو من الضمير في لكم أو في علينا وجواب القسم قوله (ان لكم لما تحكمون) به لانفسكم لان معنى أم لكم ايمان أم أقسمنا لكم وقيل قد تم الكلام عند قوله الى يوم القيامة ثم ابتدأ فقال ان لكم الخ أي ليس الامر كذلك (سلهم) موبخا لهم ومقرعا (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن الصواب (زعيم) أي كفيل لهم بان لهم في الآخرة ما للمسلمين فيها وقال ابن كيسان الزعيم هنا القائم بالحجة والدعوى وقال الحسن الزعيم الرسول (أم لهم شركاء) غيرهم يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم فيه ويذهبون مذهبهم فيه وقيل معناه شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه وقيل المراد بهم الاصنام والاول أولى وأظهر وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فيما يقولون اذ لا أقل من التقليد وهو أمر تعجيز وجواب الشرط محذوف قال القاضي وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به لدعواهم من عقل أو نقل أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له (يوم) ظرف لقوله فليأتوا أي فليأتوا بها يوم (يكشف عن ساق) ويجوز أن يكون ظرفا لفعل مقدر أي اذكر يوم يكشف قال الواحدي قال المفسرون في قوله عن ساق عن شدة من الامر وصعوبة الخطب قال ابن قتيبة أصل هذا ان الرجل اذا وقع في أمر عظيم يحتاج الى الجد فيه شمر عن ساقه فيستعار الكشف عن الساق في موضع الشدة قال وتأويل الآية يوم يشتد الامر كما يشتد ما يحتاج فيه الى أن يكشف عن ساق قال أبو عبيدة اذا اشتد الحرب والامر قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه من وقع في شيء يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عن موضع الشدة وهكذا قال غيره من أهل اللغة وقد استعملت ذلك العرب في اشعارها وكثر في كلامهم حتى صار كالمثل للامر العظيم

فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود اليه أبدا وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا عمرو بن علي ثنا عباد بن عمر ثنا أبو عمرو بن العلاء سمعت الحسن يقول التوبة النصوح ان تبغض الذنب كما أحببته وتستغفر منه اذا ذكرته فأما اذا جزم بالتوبة وصمم عليها فانها تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في الصحيح الاسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما قبلها وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك الى الممات كما تقدم في الحديث وفي الاثر ثم لا يعود فيه أبدا أو يكفي العزم على ان لا يعود في تكفير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضارا في تكفير ما تقدم لعموم قوله عليه السلام التوبة تجب ما قبلها وللاول ان يحتج بما ثبت في الصحيح أيضا من أحسن في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الاسلام أخذ بالاول والآخر فاذا كان هذا في الاسلام الذي هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الاولى والله أعلم وقوله تعالى عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وعسى من الله موجبة يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه أي ولا يخزيهم معه يعني يوم القيامة نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم كما تقدم في سورة الحديد يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفئ وقال الامام أحمد ثنا ابراهيم بن اسحق الطالقاني ثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان عن رجل من بني كنانة قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فسمعته يقول اللهم لا تخزني يوم القيامة وقال محمد بن نصر المروزي ثنا محمد بن مقاتل المروزي ثنا ابن المبارك أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير انه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الامم وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الامم وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الامم فقال رجل يا رسول الله وكيف تعرف أمتك من بين الامم قال غر محجلون من آثار الطهور ولا يكون أحد من الامم كذلك غيرهم وأعرفهم

العظيم الشديد فهذا التركيب من قبيل الكناية أو الاستعارة التمثيلية قال الزمخشري الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب وقيل ساق الشئ أصله وقوامه كساق الشجرة وساق الانسان أي يوم يكشف عن ساق الامر فتظهر حقائقه وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل هو عبارة عن القرب وقيل يكشف عن ساق الرب سبحانه عن نوره وقال النسفي لا كشف ثمة ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه لكان من حق الساق ان تعرف لانها ساق معهودة عنده انتهى وسيأتي ما هو الحق قرأ الجمهور يكشف بالتحتية مبنيا للمفعول وقرأ ابن مسعود وابن عباس وغيرهما بالفوقية مبنيا للفاعل أي الشدة أو الساعة وقرئ بالفوقية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون وقرئ بالفوقية المضمومة وكسر الشين من أكشف الامر أي دخل في الكشف عن أبي هريرة في الآية قال يكشف الله عز وجل عن ساقه وعن ابن مسعود قال يكشف عن ساقه تبارك وتعالى وعن ابن عباس قال يكشف عن أمر عظيم وقال قال ابن مسعود يكشف عن ساقه فيسجد كل مؤمن ويقسو ظهر الكافر فيصير عظما واحدا وعن ابن عباس انه سئل عن قوله يوم يكشف عن ساق قال اذا خفي عليكم شئ من القرآن فاتبعوه في الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

* وقامت الحرب بنا على ساق * قال ابن عباس هذا يوم كرب شديد وروى عنه نحو هذا من طرق أخرى وعنه هو أشد ساعة يوم القيامة وقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أخرج البخاري وغيره عن أبي سعيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا وهذا الحديث ثابت من طرق في الصحيحين وغيرهما وله ألفاظ في بعضها طول وهو حديث مشهور معروف وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال عن نور عظيم فيخرون له سجدا أخرجه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات وضعفه واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وذلك لا يستلزم تجسيما ولا تشبيها فليس كمثله شئ

بأعيانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم أي في الدنيا ومأواهم جهنم وبئس المصير أي في الآخرة ثم قال تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا (٣٠) أي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم ان ذلك لا يجزي عنهم شيأ ولا ينفع عند الله ان لم يكن الايمان حاصلا في قلوبهم ثم ذكر المثل فقال امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين أي نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلا ونهارا يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط فخانتاهما أي في الايمان لم يوافقاهما على الايمان ولا صدقاهما في الرسالة فلم يجد ذلك كله شيأ ولا دفع عنهما محذورا ولهذا قال تعالى فلم يغنيا عنهما من الله شيأ أي لكفرهما وقيل أي للمرأتين ادخلا النار مع الداخلين وليس المراد بقوله فخانتاهما في فاحشة بل في الدين فان نساء الانبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الانبياء كما قدمنا في سورة النور قال سفيان الثوري عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان ابن قتة سمعت ابن عباس يقول في هذه الآية فخانتاهما قال ما زنتا أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على اضيافه وقال العوفي عن ابن عباس قال كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فاذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به وأما امرأة لوط فكانت اذا أضاف لوط أحدا أخبرت به اهل المدينة ممن يعمل السوء وقال الضحاك عن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط انما كانت خيانتهما في الدين وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذي يأثره كثير من الناس من أكل مع مغفور له غفر له وهذا الحديث لا أصل له وانما يروى هذا عن بعض الصالحين انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله أنت قلت من أكل مع

دعوا كل قول عند قول محمد * فما آمن في دينه كمخاطر

وهكذا تهيب القول فيه شيوخ الاسلام فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه والتأويل هو مذهب معظم المتكلمين ومنهم النسفي في المدارك والبيضاوي في أنوار التنزيل قال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسموهم مجسمة ومشبهة وقالوا هم المستترون بالبلكفة وقد وضح على وضوحا بينا ان استطالتهم هذه ليست بشيء وانهم مخطئون في مقالتهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى (ويدعون الى السجود) قال الواحدي قال المفسرون يسجد الخلق كلهم لله سجدة واحدة ويبقى الكفار والمنافقون يريدون ان يسجدوا (فلا يستطيعون) لان أصلابهم تيبس فلا تلين للسجود وقال الربيع ابن انس يكشف عن الغطاء فيقع من كان آمن بالله في الدنيا فيسجدون له ويدعى الآخرون الى السجود فلا يستطيعون لانهم لم يكونوا آمنوا بالله في الدنيا والدعاء الى السجود يكون امتحانا لايمانهم لا تكليفا بالسجود اذ تلك الدار ليست دار تكليف (خاشعة أبصارهم) حال من ضمير يدعون ونسبة الخشوع الى الابصار وهو الخضوع والذلة لظهور أثره فيها (ترهقهم) أي تغشاهم (ذلة) شديدة وحسرة وندامة وصغار (وقد كانوا) في الدنيا (يدعون الى السجود) دعوة تكليف (وهم سالمون) أي معافون عن العلل متمكنون من الفعل فلا يجيبون قال ابراهيم التيمي يدعون بالأذان والاقامة فيأبون وقال سعيد ابن جبير يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقال ابن عباس هم الكفار يدعون في الدنيا وهم آمنون فاليوم يدعون وهم خائفون وعنه قال الرجل يسمع الاذان فلا يجيب الصلاة أخرجه البيهقي في الشعب (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا لهم أي خل بيني وبينه وكل أمره الي فأنا أكفيكه قال الزجاج معناه لا تشغل به قلبك بل كله الي فأنا أكفيك أمره والفاء لترتيب ما بعدها من الامر على ما قبلها من أحوالهم المحكية والمراد بالحديث القرآن قاله السدي وقيل يوم القيامة (سنستدرجهم) مستأنفة لبيان كيفية التعذيب لهم المستفاد من قوله فذرني الخ والضمير عائد الى من باعتبار معناها والمعنى سنأخذهم بالعذاب على غفلة ونسوقهم

مغفور له غفر له قال لا ولكني الآن أقول (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين انهم لا تضرهم مخالطة الكافرين اذا كانوا محتاجين اليهم كما قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة قال قتادة كان فرعون أعتى أهل الارض وأكفرهم فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت (٣١) ربها ليعلموا ان الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدا الا بذنبه وقال ابن جرير ثنا اسمعيل بن حفص الايلي ثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فاذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربي عن أسباط بن محمد عن سليمان التيمي به ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي ثنا القاسم بن أبي بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب فيقال غلب موسى وهرون فتقول آمنت برب موسى وهرون فأرسل اليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة تجدونها فان مضت على قولها فألقوها عليها وان رجعت عن قولها فهي امرأتي فلما أتوها رفعت بصرها الى السماء فأبصرت بيتا في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح فقولها رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قال العلماء اختارت الجار قبل الدار وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع ونجني من فرعون وعمله أي خلصني منه فاني أبرأ اليك من عمله ونجني من القوم الظالمين وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان ايمان امرأة فرعون من قبل ايمان امرأة خازن فرعون وذلك انها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون ولك رب غير أبي قالت نعم ربي ورب أبيك ورب كل شيء الله فلطمتها ابنة فرعون وضربتها وأخبرت أباها فأرسل اليها فرعون فقال تعبدين ربا غيري قالت نعم ربي وربك ورب كل شيء الله واياه أعبد فعذبها فرعون وأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات فكانت

الدرجة فدرجة حتى نوقعهم فيه (من حيث لا يعلمون) ان ذلك استدراج لانهم يظنونه انعاما ولا يفكرون في عاقبته وما سيلقون في نهايته قال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه والاستدراج ترك المعاجلة وأصله النقل من حال الى حال ويقال استدرج فلان فلانا أي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درجه الى كذا واستدرجه يعني أدناه الى التدريج فتدرج هو ومعنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز أن يسمى الله سبحانه كائدا وماكرا ومستدرجا ثم ذكر سبحانه انه يمهل الظالمين فقال (وأملي لهم) أي أمهلهم ليزدادوا اثما وقد مضى تفسير هذا في سورة الاعراف والطور وأصل الملاوة المدة من الدهر يقال أملى الله له أي أطال له المدة والملا مقصورا الارض الواسعة سميت به لامتدادها (ان كيدي متين) أي قوي شديد فلا يفوتني شيء وسمى سبحانه احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد باعتبار عاقبته ووصفه بالمتانة لقوة أثره في التسبب للهلاك (أم تسألهم أجرا) أعاد سبحانه الكلام الى ما تقدم من قوله أم لهم شركاء أي أم تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم اليه من الايمان بالله (فهم من مغرم) المغرم الغرامة أي فهم من غرامة ذلك الاجر (مثقلون) أي يثقل عليهم حمله لشحهم ببذل المال فأعرضوا عن اجابتك لهذا السبب والاستفهام للتقريع والتوبيخ لهم والمعنى انك لم تسألهم ذلك ولم تطلبه منهم (أم عندهم الغيب) أي اللوح المحفوظ عند الجمهور أو كل ما غاب عنهم (فهم) من ذلك الغيب (يكتبون) ما يريدون من الحجج التي يزعمون انها تدل على قولهم ويخاصمونك بما يكتبونه من ذلك ويحكمون لانفسهم بما يريدون ويستغنون بذلك عن الاجابة لك والامتثال لما تقوله (فاصبر لحكم ربك) أي لقضائه الذي قد قضاه في سابق علمه وقيل الحكم هنا هو امهالهم وتأخير نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم لانهم ان أمهلوا لم يهملوا وقيل هو ما حكم به عليه من تبليغ الرسالة قيل وهذا منسوخ بآية السيف (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني يونس عليه السلام أي لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة حتى لا تبتلي ببلائه (اذ نادى) أي لا يكن حالك كحاله أو قصتك كقصته في وقت ندائه ويدل على المحذوف ان الذوات لا ينصب عليها النهي وانما ينصب على أحوالها وصفاتها (وهو مكظوم) مملوء

كذلك فأتى عليها يوما فقال لها ما أنت منتهية فقالت له ربي وربك ورب كل شيء الله فقال لها اني ذابح ابنك في فيك ان لم تفعلي فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها في فيها وان روح ابنها بشرها فقال لها ابشري يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوما آخر فقال لها مثل ذلك فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها في فيها فبشرها روحه أيضا وقال لها اصبري يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا قال وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الاكبر ثم الاصغر فآمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف الغطاء (٣٢) عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت ايمانا ويقينا وتصديقا فأطلع الله فرعون على ايمانها فقال للملا ما تعلمون من آسية بنت مزاحم فأثنوا عليها فقال لهم انها تعبد غيري فقالوا له اقتلها فأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فوافق ذلك ان حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها انا نعذبها وهي تضحك فقبض الله روحها في الجنة رضي الله عنها

وقوله تعالى ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها أي حفظته وصانته والاحصان هو العفاف والحرية فنفخنا فيه من روحنا أي بواسطة الملك وهو جبريل فان الله بعثه اليها فتمثل لها في صورة بشر سويّ وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه أي بقدره وشرعه وكانت من القانتين قال الامام أحمد ثنا يونس ثنا داود بن أبي الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض أربعة خطوط وقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو ابن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقد ذكرنا

غيظا وكربا وقيل غما قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس قال قتادة ان الله يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويأمره بالصبر وان لا يعجل كما عجل صاحب الحوت وقد تقدم بيان قصته في سورة الانبياء ويونس والصافات وكان النداء منه بقوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل ان المكظوم المأخوذ بكظمه وهو مجرى النفس قاله المبرد وقيل هو المحبوس والكظم الحبس ومنه قولهم فلان يكظم غيظه أي يحبس غضبه قاله ابن بحر والاول أولى والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء لانه أمر مستحسن (لولا أن تداركه) أي صاحب الحوت (نعمة من ربه) وهي توفيقه للتوبة فتاب الله عليه قال الضحاك ان النعمة هنا النبوة وقال سعيد بن جبير عبادته التي سلفت وقال ابن زيد هي نداؤه بقوله لا اله الا أنت وقيل اخراجه من بطن الحوت قاله ابن بحر وقيل الرحمة قرأ الجمهور تداركه على صيغة الماضي وقرئ بتشديد الدال وهو مضارع أدغمت التاء في الدال والاصل تتداركه بتاءين وهذه على حكاية الحال الماضية وقرئ تداركته بتاء التأنيث وهو خلاف المرسوم وتداركه فعل ماض مذكر حمل على معنى النعمة لان تأنيث النعمة غير حقيقي وتداركته على لفظها (لنبذ بالعراء) أي لألقي من بطن الحوت على وجه الارض الخالية من النبات والاشجار والجبال (وهو مذموم) أي يذم ويلام بالذنب الذي أذنبه ويطرد من الرحمة وقيل مذموم مبعد من كل خير وقيل مذنب وقيل معاتب قال الرازي مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب ان كلمة لولا دالة على ان هذه المذمومية لم تحصل والمراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين أو هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى (فاجتباه ربه) أي استخلصه واصطفاه لدعائه وعذره واختاره لنبوته وهذا مبني على انه وقت هذه الواقعة لم يكن نبيا وانما نبي بعدها وهو أحد قولين للمفسرين والثاني انه كان نبيا ومعنى اجتباه انه رد عليه الوحي بعد أن كان قد انقطع عنه (فجعله من الصالحين) أي من الكاملين في الصلاح وعصمه من الذنب وقيل رد اليه النبوة وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل توبته وأرسله الى مائة ألف أو يزيدون بسبب صبره كما تقدم (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك) أي ينفذونك قاله ابن عباس وان هي المخففة من الثقيلة قرأ الجمهور بضم الياء من أزلقه أي أزل رجله يقال أزلقه عن موضعه اذا نحاه وقرأ نافع وأهل المدينة بفتحها من زلق عن موضعه

طرق هذه الاحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى بن مريم عليهما السلام في كتابنا البداية والنهاية ولله الحمد والمنة وذكرنا
ماورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنة عند قوله ثيبات وأبكارا آخر تفسير
سورة التحريم ولله الحمد والمنة * (تفسير سورة الملك وهي مكية) * قال الامام أحمد حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالا حدثنا شعبة
عن قتادة عن عباس الجشمي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها
حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك ورواه أهل السنن الاربعة من حديث شعبة به (٣٣) وقال الترمذي هذا حديث حسن وقد روى
الحافظ بن عساكر في تاريخه في
ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبي عبد الله
القرشي النيسابوري المقرى الزاهد
الفقيه أحد الثقات الذين روى
عنهم البخاري ومسلم لكن في غير
الصحيحين وروى عنه الترمذي
وابن ماجه وابن خزيمة وعليه
تفقه في مذهب أبي عبيد بن حربويه
وخلق سواهم ساق بسنده من
حديثه عن فرات بن السائب عن
الزهري عن أنس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
رجلا ممن كان قبلكم مات وليس
معه شيء من كتاب الله الا تبارك
فلما وضع في حفرته أتاه الملك فثارت
السورة في وجهه فقال لها انك من
كتاب الله وأنا أكره مساءتك واني
لا أملك لك ولا له ولا لنفسي ضرا
ولا نفعا فان أردت هذا به فانطلقي
الى الرب تبارك وتعالى فاشفعي له
فتنطلق الى الرب تبارك وتعالى
فتقول يارب ان فلانا عمد الى أي
قصد من بين كتابك فتعلمني وتلاني
أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وأنا
في جوفه فان كنت فاعلا ذاك به
فامحني من كتابك فيقول ألا أراك
غضبت فتقول وحق لي ان أغضب
فيقول اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه قال فتجيء فتزجر الملك فيخرج خاسف البال لم يحل
منه بشيء قال فتجيء فتضع فاها على فيه فتقول مرحبا بهذا الفم فربما تلاني ومرحبا بهذا الصدر فربما وعاني ومرحبا بهاتين
القدمين فربما قامتا بي وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه قال فلما حدث بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق صغير ولا كبير
ولا حر ولا عبد الا تعلمها وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية قلت وهذا حديث منكر جدا وفرات بن السائب هذا ضعفه
الامام أحمد ويحيى بن معين والبخاري وأبو حاتم والدارقطني وغير واحد وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري من قوله

موضعه اذا نحي وهما سبعيتان قال الهروي أي يغتالونك بعيونهم فيزلقونك عن مكانك
الذي أقامك الله فيه عداوة لك وقرأ ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ليزهقونك أي
يهلكونك وقال الكلبي يزلقونك أي يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وكذا
قال السدي وسعيد بن جبير وقال النضر بن شميل والاخفش يفتنونك وقال الحسن وابن
كيسان ليقتلونك (بأبصارهم) أي ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك ويسقطك
عن مكانك والباء اما للتعدية كالداخلة على الآلة أي جعلوا أبصارهم كالآلة المزلقة لك كما
تقول عملت بالقدوم واما للسببية أي بسبب عيونهم قال الزجاج في الآية مذهب أهل
اللغة والتأويل انهم من شدة ابغاضهم وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن
يصرعوك وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل نظر الي نظرا يكاد يصرعني ونظرا يكاد
يأكلني قال ابن قتيبة ليس يريد الله انهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه مايعجبه
وانما أراد انهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد
يسقطك كما قال الشاعر

يتقارضون اذا التقوا في مجلس * نظرا يزيل مواطئ الاقدام

وقيل أرادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش المجربة اصابتهم فعصمه الله وحماه
من أعينهم فلم تؤثر فيه فنزلت هذه الآية وذكر الماوردي أن العين كانت في بني أسد من
العرب وفيه دليل على أن العين حق وقد رواه أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بهذا
اللفظ والحديث متفق عليه وأخذ بظاهر الحديث جماهير العلماء وقالوا انه حق وانه ليدخل
الرجل القبر والجمل القدر وأنكره طوائف من المبتدعة ولا اعتداد بهم بعد ما ورد في كلام
النبوة وصح قال الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أي وقت سماعهم
القرآن لكراهتهم لذلك أشد كراهة ولما ظرفية منصوبة بيزلقونك وقيل هي حرف
وجوابها محذوف لدلالة ماقبلها عليه أي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك (ويقولون)
حسدا وتنفيرا عنه (انه لمجنون) أي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن فرد الله
عليهم بقوله (وما هو الا ذكر للعالمين) لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان أكمل الناس عقلا
وأمتنهم رأيا والجملة مستأنفة أو في محل نصب على الحال من فاعل يقولون أي والحال أنه
تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه أو شرف لهم كما قال سبحانه وانه لذكر لك ولقومك

مختصرا وروى البيهقي في كتاب اثبات عذاب القبر عن ابن مسعود وقوفا ومرفوعا ما يشهد لهذا وقد كتبناه في كتاب الجنائز من
الاحكام الكبرى ولله الحمد والمنة وقد روى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي من طريق سلام بن مسكين عن ثابت عن أنس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة تبارك الذي بيده الملك وقال الترمذي
حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال ضرب
بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣٤) خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب
أنه قبر فاذا انسان يقرأ سورة الملك
تبارك حتى ختمها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي
المنجية تنجيه من عذاب القبر ثم قال
هذا حديث غريب من هذا الوجه
وفي الباب عن أبي هريرة ثم روى
الترمذي أيضا من طريق ليث بن
أبي سليم عن أبي الزبير عن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك
الذي بيده الملك وقال ليث عن
طاوس يفضلان كل سورة في
القرآن بسبعين حسنة وقال الطبراني
حدثنا محمد بن الحسن بن عجلان
الاصبهاني حدثنا سلمة بن شبيب
حدثنا ابراهيم بن الحكم بن ابان
عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لوددت انها في قلب كل انسان
من أمتي يعني تبارك الذي بيده
الملك هذا حديث غريب وابراهيم
ضعيف وقد تقدم مثله في سورة يس
وقد روى هذا الحديث عبد بن
حميد في مسنده بأبسط من هذا
فقال حدثنا ابراهيم بن الحكم عن
أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لرجل ألا أتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك سفيان
وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له
أن ينجيه من عذاب النار وينجي بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت أنها في قلب كل انسان من
أمتي (بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو
العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر
كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير)

وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه مذكر للعالمين أو شرف لهم

(سورة الحاقة هي احدى أو اثنتان وخمسون آية وهي مكية)

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الفجر بالحاقة ونحوها أخرجه الطبراني

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) هي القيامة لان الامر يحق فيها وهي تحق في نفسها من غير شك قاله الطبري كأنه جعلها من باب ليله قائم ونهاره صائم فالاسناد مجازي قال الازهري يقال حاققته فحققته أحقه غالبته فغلبته أغلبه فالقيامة حاقة لانها تحاق كل محاق في دين الله بالباطل وتخصم كل مخاصم وقال في الصحاح حاقه أي خاصمه في صغار الاشياء ويقال ماله فيها حق ولا حقاق ولا خصومة والتحاق التخاصم والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات بمعنى قال الواحدي هي القيامة في قول كل المفسرين وسميت بذلك لانها ذات الحواق من الامور وهي الصادقة الواجبة الصدق وجميع أحكام القيامة صادقة واجبة الوقوع والوجود قال الكسائي والمؤرج الحاقة يوم الحق وقيل سميت بذلك لان كل انسان فيها حقيق بأن يجزى بعمله وقيل سميت بذلك لانها أحقت لقوم النار وأحقت لقوم الجنة وقال ابن عباس الحاقة من أسماء يوم القيامة وهي مبتدأ وخبرها قوله (ما الحاقة) على ان ما الاستفهامية مبتدأ ثان وخبره الحاقة والجملة خبر للمبتدا الاول والمعنى أي شيء هي في حالها أو صفاتها لا تحيط بها العبارة وما يسئل بها عن الصفة والحال والمقام للضمير أي ما هي فوضع الظاهر موضعه لتأكيد هولها وزيادة تفظيعه وقيل هذه الجملة وان كان لفظها لفظ الاستفهام فمعناها التعظيم والتفخيم لشأنها كما تقول زيد ما زيد وقد قدمنا تحقيق هذا المعنى في سورة الواقعة ثم زاد سبحانه في تفظيع شأنها وتفخيم أمرها وتهويل حالها فقال (وما أدراك ما الحاقة) أي أي شيء أعلمك ما هي أي كأنك لست تعلمها اذ لم تعاينها وتشاهد ما فيها من الاهوال فكأنها خارجة عن دائرة علم المخلوقين لا تبلغها دراية أحد منهم ولا وهمه والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لا علم له بكنهها وصفتها فقيل له ذلك كأنه ليس عالما بها رأسا قال يحيى بن سلام بلغني ان كل شيء في القرآن وما أدراك فقد أدراه اياه وعلمه صلى الله عليه وسلم وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه ما أخبره به وقال

يمجد تعالى نفسه الكريمة ويخبر أنه بيده الملك أي هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى وهو على كل شيء قدير ثم قال تعالى الذي خلق الموت والحياة واستدل بهذه الآية من قال ان الموت أمر وجودي لانه مخلوق ومعنى الآية انه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم أي يختبرهم أيهم أحسن عملا كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم فسمى الحال الاول وهو العدم موتا وسمى هذه النشأة حياة ولهذا قال تعالى ثم يميتكم ثم يحييكم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليد عن قتادة في قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء ورواه معمر عن قتادة قوله وقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا أي خير عملا كما قال محمد بن عجلان ولم يقل أكثر عملا ثم قال تعالى وهو العزيز الغفور أي هو العزيز العظيم المنيع الجناب وهو مع ذلك غفور لمن تاب اليه وأناب بعد ما عصاه وخالف أمره وان كان تعالى عزيزا هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز ثم قال تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا أي طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بمعنى انهن علويات بعضهن على بعض أو متفاصلات بينهن خلاء فيه قولان أصحهما الثاني كما دل على ذلك حديث الاسراء وغيره وقوله تعالى ماترى في خلق الرحمن من تفاوت أي بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا قال تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور أي انظر الى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا او فطورا قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور اي شقوق وقال السدي هل ترى من فطور اي من خروق وقال ابن عباس في رواية من فطور اي من وهاء وقال قتادة هل ترى من فطور أي هل ترى خللا يا ابن آدم وقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين قال قتادة مرتين ينقلب اليك البصر خاسئا قال ابن عباس ذليلا وقال مجاهد وقتادة صاغرا وهو حسير قال ابن عباس يعني وهو كليل وقال مجاهد وقتادة والسدي الحسير المنقطع من الاعياء ومعنى الآية انك لو كررت البصر مهما كررت لانقلب أي لرجع اليك البصر

سفيان بن عيينة كل ما في القرآن قال فيه وما أدراك فانه صلى الله عليه وسلم أخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به ذكره الخطيب وما مبتدأ وخبره أدراك وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب باسقاط الخافض لان أدرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله ولا أدراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني وبدون الهمزة يتعدى الى مفعول واحد بالباء نحو دريت بكذا وان كان بمعنى العلم تعدى الى مفعولين والجملة معطوفة على جملة ما الحاقة (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بالقيامة وسميت بذلك لانها تقرع قلوب الناس بشدة أهوالها وتؤثر فيها خوفا وفزعا كتأثير القرع المحسوس فان القرع في اللغة نوع من الضرب وهو امساس جسم لجسم بعنف وفي المصباح وقرعت الباب من باب نفع طرقته ونقرت عليه وقال المبرد عنى بالقارعة القرآن الذي نزل في الدنيا على أنبيائهم وكانوا يخوفونهم بذلك فيكذبونهم وقيل القارعة مأخوذة من القرعة لانها ترفع أقواما وتحط آخرين والاول أولى ويكون وضع ضمير الحاقة للدلالة على عظيم هولها وفظاعة حالها والجملة مستأنفة لبيان بعض أحوال الحاقة (فأما ثمود) هم قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز وقال ابن اسحق هو وادي القرى والمقصود من ذكر هذه القصص زجر هذه الامة عن الاقتداء بهؤلاء الامم في المعاصي لئلا يحل بها ما حل بهم (فأهلكوا بالطاغية) هي الصيحة التي جاوزت الحد وهي صيحة جبريل وقيل الرجفة أي الزلزلة وقيل هي الفرقة التي عقرت الناقة فأهلك قوم ثمود بسببهم وقال ابن زيد الطاغية عاقر الناقة اي أهلكوا بما أقدم عليه طاغيتهم من عقر الناقة وكان واحدا وانما أهلكوا جميعا لانهم علموا بفعله ورضوا به وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهية وعلامة ونسابة وقيل الطاغية مصدر كالعافية أي بطغيانهم وكفرهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد) هم قوم هود وقد تقدم بيان هذا وذكر منازلهم وأين كانت في غير موضع وهي الاحقاف وهو رمل بين عمان وحضرموت باليمن وقدم ذكر ثمود لان بلادهم أقرب الى قريش وواعظ القريب أكبر ولان اهلاكهم بالصيحة وهي أشبه بصيحة النفخ في الصور (فأهلكوا بريح) أي بالدبور (صرصر) هي الشديدة البرد مأخوذ من الصر وهو البرد وقيل الشديدة الصوت وقال مجاهد الشديدة السموم (عاتية) عن الطاعة فكأنها عتت على خزانها فلم تطعهم

خاسئا اى عن ان يرى عيبا أو خللا وهو حسير اى كليل وقد انقطع من الاعياء من كثرة التكرر ولا يرى نقصا ولما نفى عنها فى خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وهى الكواكب التى وضعت فيها من السيارات والثوابت وقوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين عاد الضمير فى قوله وجعلناها على جنس المصابيح لا على عينها لانه لا يرمى بالكواكب التى فى السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها والله أعلم وقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير اى جعلنا للشياطين هذا الخزى فى الدنيا واعتدنا لهم عذاب السعير فى الاخرى (٣٦) كما قال تعالى فى أول الصافات انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب قال قتادة انما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال خلقها الله زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه واخطأ حظه واضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به رواه ابن جرير وابن أبى حاتم (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) يقول تعالى واعتدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير أى بئس المآل والمنقلب اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا قال ابن جرير يعنى الصياح وهى تفور قال الثورى تغلى بهم كما يغلى الحب القليل فى الماء الكثير وقوله تعالى تكاد تميز من الغيظ أى تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير يذكر تعالى عدله فى خلقه وانه لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه وارسال الرسول اليه كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين

ولم يقدروا على ردها لشدة هبوبها أو عتت على عاد فلم يقدروا على ردها بل أهلكتهم قال ابن عباس ما أرسل الله شيأ من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ماء الا بمكيال الا يوم عاد ويوم قوم نوح فأما يوم نوح فان الماء طغى على خزانه فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء واما يوم عاد فان الريح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية وعنه قال عاتية غالبة وعن على بن أبى طالب نحوه وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وعن ابن عمر مرفوعا قال ما أمر الخزان على عاد الا مثل موضع الخاتم من الريح فعتت على الخزان فخرجت من نواحى الابواب فذلك قوله بريح صرصر عاتية قال عتوها عتت على الخزان أخرجه ابن أبى حاتم (سخرها عليهم سبع ليال) أى سلطها كذا قال مقاتل وقيل أرسلها وقال الزجاج أقامها عليهم كما شاء والتسخير استعمال الشئ بالاقتدار وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب ذكره الخازن والجملة مستأنفة لبيان كيفية اهلاكهم ويجوز أن تكون صفة لريح وان تكون حالا منها لتخصيصها بالصفة أو من الضمير فى عاتية (وثمانية أيام حسوما) معطوف على سبع ليال وانتصاب حسوما على الحال أى ذات حسوم أو على المصدر لفعل مقدر اى تحسمهم حسوما أو على انه مفعول له أو على انه نعت لسبع ليال الخ ويتضح ذلك بقول الزمخشرى الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشاهد وشهود أو مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو متتابعة هبوب الريح ما خفت ساعة تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعل مضمر أى تحسمهم حسوما أى تستأصلهم استئصالا أو يكون مفعولا له أى سخرها عليهم للاستئصال قال الشهاب حسوما أى متتابعات فهو مجاز مرسل من استعمال المقيد وهو الحسم الذى هو تتابع الكى لمطلق التتابع أو استعارة بتشبيه تتابع الريح المستأصلة بتتابع الكى القاطع للداء انتهى والحسوم التتابع فاذا تتابع الشئ لم ينقطع أوله عن آخره قيل له الحسوم قال الزجاج الذى توجبه اللغة فى معنى قوله حسوما أى تحسمهم حسوما تفنيهم وتذهبهم قال النضر بن شميل

وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير أي لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا الى اتباعهم قال الله تعالى فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي قال اخبرني من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم وفي حديث آخر لا يدخل أحد النار الا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) يقول تعالى مخبرا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه اذا كان غائبا عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد الا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أي يكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا طالوت بن عباد حدثنا عباد حدثنا الحرث بن عبيد عن ثابت عن أنس قال قالوا يارسول الله انا نكون عندك على حال فاذا فارقناك كنا على غيره قال كيف أنتم وربكم قالوا الله ربنا في السر والعلانية قال ليس ذلكم النفاق لم يروه عن ثابت الا الحرث بن عبيد فيما نعلمه ثم قال تعالى منبها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور أي بما يخطر في القلوب ألا يعلم من خلق أي ألا يعلم الخالق وقيل معناه ألا يعلم الله مخلوقه والاول أولى لقوله وهو اللطيف الخبير ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الارض وتذليله اياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وانبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزرع والثمار فقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها أي

شمل حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم وقال الفراء الحسوم الاتباع من حسم الداء وهو الكي لان صاحبه يكوى بالمكواة ثم يتابع ذلك عليه وقال المبرد هو من قولك حسمت الشئ اذا قطعته وفصلته عن غيره وبه قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي وقيل الحسم الاستئصال ويقال للسيف حسام لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وقال ابن زيد حسمتهم فلم يبق منهم أحد وروى عنه انه قال حسمت الايام والليالي حتى استوفتها لانها ابتدأت بطلوع الشمس من أول يوم وانقطعت بغروب الشمس من آخر يوم وقال الليث الحسوم هي الشؤم أي تحسم الخير عن أهلها كقوله في أيام نحسات وقال ابن مسعود حسوما متتابعات وقال ابن عباس تباعا وفي لفظ متتابعات واختلف في أولها فقيل غداة الاحد وقيل غداة الجمعة وقيل غداة الاربعاء قال وهب وهذه الايام هي التي تسميها العرب أيام العجوز كان فيها برد شديد وريح شديدة وكان أولها يوم الاربعاء وآخرها يوم الاربعاء وكان الشهر كاملا فكان آخرها هو اليوم الاخير منه (فترى) الخطاب لكل من يصلح له أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالكلام على سبيل الفرض والتقدير أي انه لو كان حاضرا حينئذ لرأى (القوم) والضمير في (فيها) يعود الى الليالي والايام وقيل الى مهاب الريح أو الى البيوت والاول أولى وأظهر و (صرعى) جمع صريع يعني موتى وهو حال وقوله (كأنهم أعجاز نخل خاوية) حال من القوم أو مستأنف أي أصول نخل بلا رؤس ساقطة أو بالية وقيل خالية لا جوف فيها وقال ابن عباس أعجاز نخل هي أصولها والنخل يذكر ويؤنث ومثله كأنهم أعجاز نخل منقعر وقد تقدم تفسيره وهو اخبار عن عظم أجسامهم قال يحيى بن سلام انما قال خاوية لان أبدانهم خلت من أرواحهم مثل النخل الخاوية أو ان الريح كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم (فهل ترى لهم من باقية) أي من فرقة باقية أو نفس باقية أو من بقية على ان باقية مصدر كالعاقبة والعافية ومن زائدة في المفعول قال ابن جريج أقاموا سبع ليال وثمانية أيام احياء في عذاب الريح فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر (وجاء فرعون ومن قبله) قرأ الجمهور بفتح القاف وسكون الباء أي ومن تقدمه من القرون الماضية والامم الخالية وقرئ بكسر القاف وفتح الباء أي ومن هو في جهته من اتباعه واختار أبو حاتم وأبو عبيد الثانية لقراءة ابن مسعود وأبي ومن معه ولقراءة أبي

فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيأ الا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى وكلوا من رزقه فالسعي في السبب لا ينافي التوكل كما قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول انه سمع أبا تميم الجيشاني يقول انه سمع عمر بن الخطاب يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث (٣٨) ابن هبيرة وقال الترمذي حسن صحيح فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو المسخر المسير المسبب واليه النشور أي المرجع يوم القيامة قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة مناكبها أطرافها وفجاجها ونواحيها وقال ابن عباس وقتادة مناكبها الجبال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن حكام الازدي حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن بشير بن كعب انه قرأ هذه الآية فامشوا في مناكبها فقال لام ولد له ان علمت ما مناكبها فأنت عتيقة فقالت هي الجبال فسأل أبا الدرداء فقال هي الجبال (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير) وهذا أيضا من لطفه ورحمته بخلقه انه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا وقال ههنا أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أي تذهب وتجيء وتضطرب أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا أي ريحا فيها حصباء تدمغكم كما قال تعالى أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا وهكذا توعدهم ههنا بقوله فستعلمون كيف نذير أي كيف يكون انذاري وعاقبة من تخلف عنه وكذب به ثم قال تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم أي من الامم السالفة والقرون الخالية فكيف كان نكير أي فكيف كان انكاري عليهم ومعاقبتي لهم أي عظيما شديدا أليما ثم قال تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن أي تارة يصففن أجنحتهن في الهواء وتارة تجمع جناحا وتنشر جناحا ما يمسكهن أي في الجو

موسى ومن تلقاه (والمؤتفكات) قرأ الجمهور بالجمع وقرئ بالافراد واللام للجنس فهي في معنى الجمع وهي قرى قوم لوط وكانت خمسة صنعة وصعرة وعمرة ودوما وسدوم وهي القرية العظمى قاله القرطبي وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا والمعنى وجاءت المؤتفكات أي المنقلبات من ائتفك أي انقلب أي التي اقتلعها جبريل على جناحه ورفعها الى أقرب السماء ثم قلبها أي أهلها (بالخاطئة) أي بالفعلة الخاطئة أو الخطاء على أنها مصدر أو ذات الخطا والمراد انها جاءت بالشرك والمعاصي قال مجاهد بالخطايا وقال الجرجاني بالخطأ العظيم (فعصوا رسول ربهم) أي فعصت كل أمة رسولها المرسل اليها قال الكلبي هو موسى وقيل لوط لانه أقرب قبل ورسول هنا بمعنى رسالة (فأخذهم) الله سبحانه (أخذة رابية) أي نامية زائدة على أخذات الامم كما قاله الزجاج وقال مجاهد شديدة والمعنى انها بالغة في الشدة الى الغاية يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وتضاعف ومنه الربا اذا أخذ وزاد في الذهب أو الفضة أكثر مما أعطى (انا لما طغى الماء) أي تجاوز حده في الارتفاع والعلو وزاد على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا وذلك في زمن نوح لما أصر قومه على الكفر وكذبوه وقيل طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه قاله علي قال قتادة زاد على كل شئ خمسة عشر ذراعا قال ابن عباس طغى على خزانه فنزل ولم ينزل من السماء ماء الا بمكيال أو ميزان الا زمن نوح فانه طغى فنزل بغير كيل ولا وزن (حملناكم في الجارية) أي في أصلاب آبائكم أو حملناهم وحملناكم في أصلابهم تغليبا للمخاطبين على الغائبين والجارية سفينة نوح وسميت جارية لانها تجري في الماء وهو أول من صنع السفن وكان يعلمه جبريل صنعتها فاتخذها على هيئة صدر الطائر ليكون ما يجري في الماء مقاربا لما يجري في الهواء ومحل في الجارية النصب على الحال أي رفعناكم فوق الماء حال كونكم في السفينة ولما كان المقصود من ذكر قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول قال (لنجعلها) أي هذه الامور المذكورة (لكم) يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم (تذكرة) أي عبرة وموعظة تستدلون بها على عظيم قدرة الله سبحانه وبديع صنعه أو لنجعل هذه الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة أو هذه السفينة حتى أدركها أوائل هذه الامة قال ابن جريج كانت ألواحها على الجودي والمعنى أبقيت لكم تلك الخشبات

الا الرحمن أى بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه انه بكل شئ بصير أى بما يصلح كل شئ من مخلوقاته وهذه كقوله تعالى ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور، أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (٢٩) قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصرا ورزقا منكرا عليهم فيما اعتقدوه ومخبرا لهم انه لا يحصل لهم ما أملوه فقال تعالى أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن أى ليس لكم من دونه من ولى ولا واق ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال تعالى ان الكافرون الا فى غرور ثم قال تعالى أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه أى من هذا الذى اذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده أى لا أحد يعطى ويمنع ويخلق ويرزق وينصر الا الله عز وجل وحده لا شريك له أى وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال تعالى بل لجوا أى استمروا فى طغيانهم واثمهم وضلالهم فى عتو ونفور أى فى معاندة واستكبار ونفور على أدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه ثم قال تعالى أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مكبا على وجهه أى يمشى منحنيا لا مستويا على وجهه أى لا يدرى أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال أهذا أهدى أمن يمشى سويا أى منتصب القامة على صراط مستقيم أى على طريق واضح بين وهو فى نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم فى الدنيا وكذلك يكونون فى الآخرة فالمؤمن يحشر يمشى سويا على صراط مستقيم مفض به الى الجنة الفيحاء واما الكافر فانه يحشر يمشى على وجهه الى نار جهنم احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم الآيات أزواجهم أشباههم قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير حدثنا اسمعيل عن نفيع قال سمعت أنس بن مالك يقول قيل يارسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم فقال الذى أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم وهذا الحديث

الخشبات حتى تذكر (وتعيها أذن واعية) أى تحفظها بعد سماعها أذن حافظة لما سمعت قال الزجاج يقال أوعيت كذا أى حفظته فى نفسى أعيه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلته كله بمعنى وأوعيت المتاع فى الوعاء ويقال لكل ما وعيته فى غير نفسك أوعيته بالالف ولما حفظته فى نفسك وعيته بغير ألف قال قتادة فى تفسير هذه الآية أذن سمعت وعقلت ما سمعت قال الفراء المعنى لتحفظها كل أذن عظة لمن يأتى بعد وتعيها بكسر العين باتفاق القراء السبعة وقرئ باسكانها تشبيها لهذه الكلمة برحم وشهد وان لم تكن من ذلك وجعل الأذن حافظة ومستمعة ومتذكرة ومتفكرة وعاملة تجوز لان الفاعل لذلك صاحبها ولا ينسب اليها غير السمع وانما أتى به مشاكلة لقوله واعية عن على فى الآية قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن يجعلها أذنك يا على فقال على ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فنسيته أخرجه سعيد بن منصور وأبو نعيم وغيرهما قال ابن كثير وهو حديث مرسل وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ان الله أمرنى أن أدنيك ولا أقصيك وان أعلمك وان تعى وحق لك أن تعى فنزلت هذه الآية وتعيها أذن واعية فأنت أذن واعية لعلى أخرجه ابن جرير وغيره قال ابن كثير ولا يصح وعن ابن عمر قال أذن عقلت عن الله ولما ذكر الله سبحانه القيامة وهول أمرها بالتعبير بالحاقة وغيرها شرع فى تفاصيل أحوالها وبدأ بذكر مقدماتها فقال (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) قال عطاء يريد النفخة الاولى وبه قال القاضى كالكشاف أى التى عندها خراب العالم وقال الكلبى ومقاتل يريد النفخة الاخيرة ولم يؤنث الفعل وهو نفخ لان التأنيث مجازى وحسنه الفصل قرأ الجمهور بالرفع فيهما على ان نفخة مرتفعة على النيابة وواحدة تأكيد لها وقرئ بنصبهما على أن النائب هو الجار والمجرور وقال الزجاج قوله فى الصور يقوم مقام ما لم يسم فاعله (وحملت الارض والجبال) أى رفعت من أماكنها وقلعت عن مقارها بمجرد القدرة الالهية أو بتوسط الزلزلة أو الريح العاصفة أو الملائكة وهذا الرفع بعد خروج الناس من قبورهم قرأ الجمهور بالتخفيف وقرئ بتشديد الميم للتكثير أو للتعدية (فدكتا دكة واحدة) أى فكسرتا كسرة واحدة لا زيادة عليها أو ضربتا ضربة واحدة بعضها ببعض حتى صارتا كثيبا مهيلا وهباء منبثا فلم يتميز شئ من أجزائهما عن الآخر وقيل بسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من

مخرج في الصحيحين من طريق (١) وقوله تعالى قل هو الذي أنشأكم أي ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة أي العقول والادراك قليلاً ما تشكرون أي قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها
عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره قل هو الذي ذرأكم في الارض أي بثكم ونشركم في أقطار الارض وأرجائها مع
اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم حلاكم وأشكالكم وصوركم واليه تحشرون أي تجمعون بعد هذا التفرق والشتات يجمعكم
كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم ثم قال تعالى (٤٠) مخبراً عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين أي متى يقع هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق قل انما العلم عند الله أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين الا الله عز وجل لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه وانما أنا نذير مبين أي وانما علي البلاغ وقد أديته اليكم قال الله تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا أي لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الامر كان قريباً لان كل ما هو آت آت وان طال زمنه فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلموا ما لهم هناك من الشر أي فأحاط بهم ذلك وجاءهم من امر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ هذا الذي كنتم به تدعون أي تستعجلون (قل أرأيتم ان أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه أرأيتم ان أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أي خلصوا أنفسكم فانه لا منقذ لكم من الله الا بالتوبة والانابة والرجوع الى دينه ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال فسواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الاليم الواقع بكم ثم قال تعالى قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا أي آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم وعليه توكلنا في جميع أمورنا كما قال تعالى

قولهم اندك سنام البعير اذا تفرش على ظهره وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان وهذه الدكة كالزلزلة قال أبي بن كعب في الآية تصيران غبرة على وجوه الكفار لا على وجوه المؤمنين وذلك قوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة قال الفراء ولم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة ومثله قوله تعالى أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما (فيومئذ وقعت الواقعة) أي قامت (١) القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) أي انشقت جنسها وانصدعت وتفطرت بنزول ما فيها من الملائكة فهي في ذلك اليوم ضعيفة مسترخية ساقطة القوة من هول ذلك اليوم بعد ما كانت محكمة قال الزجاج يقال لكل ما ضعف جداً قد وهى فهو واه وقال الفراء وهيها تشققها وقال ابن عباس واهية متخرقة أي متساقطة خفيفة لا تماسك كالعهن المنقوش (والملك على ارجائها) اي جنس الملك واقفون على أطرافها وجوانبها التي لم تسقط وهؤلاء من جملة المستثنى بقوله الا من شاء الله وقال القاضي لعل هلاك الملائكة اثر ذلك وقيل يحيون بالنفخة الثانية ويقفون على ارجائها الباقية وهي جمع رجى مقصور وتثنيته رجوان مثل قفي وقفوان والمعنى انها لما تشققت السماء وهي مساكنهم لجؤا الى أطرافها قال الضحاك اذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون الى الارض ويحيطون بها ومن عليها وقال سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا أي ينزلون الى الارض وقيل اذا صارت السماء قطعاً يقف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشققة في أنفسها وقال ابن عباس على حافاتها على ما لم يهى منها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي فوق رؤسهم (يومئذ) أي يوم القيامة (ثمانية) أي ثمانية أملاك وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله عز وجل قاله ابن عباس وقيل ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة قاله الكلبي وغيره وقال ابن عباس أيضاً ثمانية أملاك على صورة الاوعال رؤسهم عند العرش في السماء السابعة وأقدامهم في الارض السفلى ولهم قرون كقرون الوعلة ما بين أصل قرن أحدهم الى منتهاه خمسمائة عام واليوم تحمله اربعة وعن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وأرض خمسمائة عام وفضاء كل سماء وأرض خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش

(١) أشار المؤلف دام مجده بهذا الى أن قوله وقعت الواقعة كقولك قام القائم في عدم الافادة فلا بد من تأويل حتى يفيد وتأويله أن الواقعة صارت علماً بالغلبة على القيامة فلم يلاحظ فيها معنى الاشتقاق سيد ذو الفقار أحمد

(١) بياض بأصله

فاعبده وتوكل عليه ولهذا قال تعالى اظهار اللرحمة فى خلقه فستعلمون من هو فى ضلال مبين أى منا ومنكم ولمن تكون العاقبة فى الدنيا والآخرة ثم قال تعالى قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا اى ذاهبا فى الارض الى أسفل فلا ينال بالفؤس الحداد ولا السواعد الشداد والغاير عكس النابع ولهذا قال تعالى فمن يأتيكم بماء معين أى نابع سائح جار على وجه الارض اى لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه واجراها فى سائر أقطار الارض بحسب ما يحتاج العباد اليه من القلة والكثرة فلله الحمد والمنة آخر تفسير سورة الملك ولله الحمد

(تفسير سورة ن وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) قد تقدم الكلام على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة وان قوله ن كقوله ص ق ونحو ذلك من الحروف المقطعة فى اوائل السور وتحرير القول فى ذلك بما اغنى عن اعادته ههنا وقيل المراد بقوله ن حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع كما قال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان هو الثورى حدثنا سليمان هو الاعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال أول ما خلق الله القلم قال اكتب قال وماذا أكتب قال اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم الى قيام الساعة ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الارض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فانها لتفخر على الارض وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن سنان عن أبى معاوية عن الاعمش به وهكذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووكيع عن الاعمش به وزاد شعبة فى روايته ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون وقد رواه شريك عن الاعمش عن أبى ظبيان أو مجاهد عن ابن عباس فذكر نحوه ورواه معمر عن الاعمش ان ابن عباس قال فذكره ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبى الضحى عن ابن عباس قال ان أول شىء خلق ربى عز وجل القلم ثم قال له اكتب فكتب ما هو كائن الى أن تقوم الساعة ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الارض عليه وقد روى الطبرانى ذلك مرفوعا فقال حدثنا أبو حبيب

العرش لا يخفى عليه شىء من أعمالكم أخرجه أبو سعيد الدارمى وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود وفى الباب أحاديث كثيرة صحيحة (يومئذ تعرضون) أى تعرض العباد على الله لحسابهم ومثله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما لم يكن عالما به وانما هو عرض الاختبار والتوبيخ بالاعمال عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه وغيرهم وأخرج ابن جرير والبيهقى فى البعث عن ابن مسعود نحوه وجملة (لا تخفى منكم خافية) فى محل نصب على الحال من ضمير تعرضون أى تعرضون حال كونكم لا يخفى على الله سبحانه من ذواتكم أو أقوالكم وأفعالكم وسرائركم التى كنتم تخفونها فى الدنيا خافية كائنة ما كانت والتقدير أى نفس خافية أو فعلة خافية قرئ بالتاء والياء وهما سبعيتان ولما ذكر سبحانه العرض ذكر تفصيل ما يكون فيه فقال (فأما من أوتى كتابه بيمينه) أى أعطى كتابه الذى كتبه الحفظة عليه من أعماله (فيقول) خطابا لجماعته لما سر به أو لاهله واقربائه (هاؤم اقرؤا كتابيه) قال ابن السكيت والكسائى العرب تقول ها يا رجل وللاثنين هاؤما يا رجلان وللجمع هاؤم يا رجال قيل والاصل هاكم فأبدلت الهمزة من الكاف قال ابن زيد ومعنى هاؤم تعالوا وقال مقاتل هلم وقيل خذوا والذى صرح به النحاة أنها بمعنى خذ تقول ها بمعنى خذوها وما بمعنى خذا وهاؤم بمعنى خذوا فهى اسم فعل وقد يكون فعلا صريحا لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها وفيها ثلاث لغات كما هو معروف فى علم الاعراب والهاء فى كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه هى هاء السكت وقرأ الجمهور فى هذه باثبات الهاء وقفا ووصلا مطابقة لرسم المصحف ولولا ذلك لحذفت فى الوصل كما هو شأن هاء السكت واختار أبو عبيد أن يتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة فى الحاق الهاء فى السكت ويوافق الخط يعنى خط المصحف وقرأ جماعة بحذفها وصلا واثباتها وقفا فى جميع هذه الالفاظ واختار أبو حاتم هذه اتباعا للغة وقرئ بحذفها وصلا ووقفا تنازع فى كتابيه هاؤم واقرؤا فاعمل الاول عند الكوفيين والثانى عند البصريين وأضمر فى الآخر أى هاؤموه قرؤا كتابيه أو هاؤم اقرؤه كتابيه (انى ظننت انى ملاق حسابيه) أى علمت وأيقنت فى

زيد بن المهدى المروزى حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى حدثنا مؤمل بن اسمعيل حدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى مسلم بن صبيح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ماخلق الله القلم والحوت قال ما أكتب قال كل شئ كائن الى يوم القيامة ثم قرأن والقلم ومايسطرون فالنون الحوت والقلم القلم (حديث آخر) فى ذلك رواه ابن عساكر عن أبى عبد الله مولى بنى أمية عن أبى صالح عن أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول شئ خلقه الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة ثم قال له اكتب قال وما أكتب (٤٢) قال اكتب مايكون أوماهو كائن من عمل أورزق أواثر أوأجل فكتب ذلك الى يوم القيامة فذلك قوله ن والقلم وما يسطرون ثم ختم على القلم فلم يتكلم الى يوم القيامة ثم خلق العقل وقال وعزتى لاكملنك فيمن أحببت ولانقصنك ممن أبغضت وقال ابن أبى نجيح ان ابراهيم ابن أبى بكر أخبره عن مجاهد قال كان يقال النون الحوت الذى تحت الارض السابعة وقد ذكر البغوى وجماعة من المفسرين ان على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلاظ السموات والارض وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن وعلى متنه الارضون السبع ومافيهن ومابينهن والله أعلم ومن العجب ان بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا حميد عن أنس ان عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فسأله عن أشياء قال انى سائلك عن أشياء لايعلمها الانبى قال ماأول اشراط الساعة وماأول طعام يأكله اهل الجنة ومابال الولد ينزع الى أبيه والولد ينزع الى أمه قال أخبرنى بهن جبريل آنفا قال ابن سلام فذلك عدو اليهود من الملائكة قال اما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واول طعام يأكله اهل الجنة زيادة كبد الحوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت ورواه البخارى من طرق عن حميد ورواه مسلم ايضا وله من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا وفى صحيح مسلم من حديث أبى أسماء الرحبى عن ثوبان ان حبرا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسائل فكان منها ان قال فما تحفتهم يعنى اهل الجنة حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الحوت قال فما غذاؤهم على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا وقيل المراد بقوله ن

الدنيا انى أحاسب فى الآخرة وقيل المعنى انى ظننت أن يؤاخذنى الله بسيئاتى فقد تفضل على بعفوه ولم يؤاخذنى قال الضحاك كل ظن فى القرآن من المؤمن فهو يقين ومن الكافر فهو شك قال مجاهد ظن الآخرة يقين وظن الدنيا شك قال الحسن فى هذه الآية ان المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل للآخرة وان الكافر أساء الظن بربه فاساء العمل قيل والتعبير بالظن هنا للاشعار بأنه لايقدح فى الاعتقاد مايهجس فى النفس من الخطرات التى لاتنفك عنها العلوم النظرية غالبا قال ابن عباس ظننت أى أيقنت قال النسفى وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم فى العبادات والاحكام ولان مايدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهى تفضى الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لمالايخلو عنه (فهو فى عيشة راضية) أى مرضية لامكروه فيها أوذات رضا يرضى بها صاحبها لايضجر منها ولايملها ولايسأمها قال أبو عبيدة والفراء راضية أى مرضية كقوله ماء دافق أى مدفوق فقد أسند الى العيشة ماهو لصاحبها فكان ذلك من المجاز فى الاسناد والعرب لاتعبر عن أكثر السعادات بأكثر من العيشة الراضية والمعتبر فى كمال اللذة الرضا وقيل المعنى أنه لو كان للمعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها (فى جنة عالية) أى مرتفعة المكان لانها فى السماء السابعة أومرتفعة المنازل والمبانى أوعظيمة فى النفوس وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية) القطوف جمع قطف بكسر القاف مايقطف من الثمار والقطف بالفتح مصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف والمعنى أن ثمارها قريبة ممن يتناولها من قائم أوقاعد أومضطجع أومتكئ عن البراء بن عازب دانية قريبة يتناول الرجل من فواكهها وهو قائم (كلوا واشربوا) أى يقال لهم كلوا واشربوا فى الجنة وجمع الضمير مراعاة للمعنى وهذا أمر امتنان لاأمر تكليف (هنيئا) أى أكلا طيبا لذيذا وشربا هنيئا شهيا مريا لاتكدير فيه ولاتنغيص (بما أسلفتم فى الايام الخالية) أى بسبب ماقدمتم من الاعمال الصالحة فى الدنيا وقال مجاهد هى أيام الصيام (وأما من أوتى كتابه بشماله) قيل تكون يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره (فيقول) حزنا وكربا لما رأى فيه من سيئاته وسوء عاقبته التى كشف له عنها الغطاء (ياليتنى لم أوت) أى لم أعط (كتابيه) لما يرى فيه من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه) أى لم أدر أى شئ

لوح من نور قال ابن جرير حدثنا الحسن بن شبيب المكتب حدثنا محمد بن زياد الجزري عن فرات بن أبي الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ن والقلم وما يسطرون لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن الى يوم القيامة وهذا مرسل غريب وقال ابن جريج أخبرت ان ذلك القلم من نور طوله مائة عام وقيل المراد بقوله ن دواة والقلم القلم قال ابن جرير حدثنا عبد الاعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن الحسن وقتادة في قوله ن قالا هي الدواة وقد روي في هذا حديث مرفوع غريب جدا فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا (٤٣) أبو عبد الله مولى بني امية عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله النون وهي الدواة وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب حدثنا أخي عيسى بن عبد الله حدثنا ثابت الثمالي عن ابن عباس قال ان الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة من عمل معمول به أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام ثم الزم كل شيء من ذلك من شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم وخروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزانا فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزن عمل ذلك اليوم فاذا فني الرزق وانقطع الأثر وانقضى الاجل أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شيأ فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا قال فقال ابن عباس ألستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وهل يكون الاستنساخ الا من أصل وقوله تعالى والقلم الظاهر انه جنس القلم الذي يكتب به كقوله اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ولهذا قال وما يسطرون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني وما يكتبون وقال أبو الضحى عن ابن عباس وما يسطرون أي وما يعلمون وقال السدي وما يسطرون يعني الملائكة وما تكتب من اعمال العباد وقال آخرون بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدرة حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارضين بخمسين ألف عام وأوردوا في ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن

حسابي لأن كله عليه والاستفهام للتعظيم والتهويل أي بل استمريت جاهلا كذلك كما كنت في الدنيا (يا ليتها) أي ليت الموتة التي متها (كانت القاضية) ولم أحي بعدها ومعنى القاضية القاطعة للحياة والمعنى انه تمنى دوام الموت وعدم البعث لما شاهد من سوء عمله وما يصير اليه من العذاب فالضمير في ليتها يعود الى الموتة التي قد كان ماتها وان لم تكن مذكورة لانها لظهورها كانت كالمذكورة قال قتادة تمنى الموت ولم يكن في الدنيا شيء عنده أكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت وقيل الضمير يعود الى الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب والمعنى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت على لانه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت (ما أغنى عني ماليه) أي لم يدفع عني من عذاب الله شيأ على أن ما نافية أو استفهامية والمعنى أي شيء أغنى عني مالي الذي منعت منه حق الفقراء وتعظمت به على عباد الله وصنيع الخطيب يقتضي أن مالي كلمة واحدة بمعنى المال وفي أبي السعود ما كان لي من اليسار (هلك عني سلطانيه) أي هلكت وضلت وغابت عني حجتي كذا قال مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك وقال ابن زيد يعني سلطاني الذي في الدنيا وهو الملك لم أجد له الآن نفعا وبقيت حقيرا ذليلا وقيل تسلطي على جوارحي قال مقاتل يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وحينئذ يقول الله عز وجل (خذوه فغلوه) أي اجمعوا يديه الى عنقه بالاغلال والخطاب لخزنة جهنم أي زبانيتها وسيأتي في سورة المدثر أن عدتهم تسعة عشر قيل ملكا وقيل صفا وقيل صنفا حكى الثلاثة الرازي (ثم الجحيم صلوه) أي ادخلوه الجحيم والمعنى لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظيمة والترتيب بثم في الزمان فان ادخاله النار بعد غله وكذلك ادخاله في السلسلة كما يأتي بعد ادخاله النار والتراخي المفاد بثم للتفاوت في الرتب فكل واحد من المعطوفين بها أشد في العذاب وأعلى مما قبله وفي الخطيب صلوه أي بالغوا في تصليته اياها وكرروها بغمسه في النار كالشاة المصلية مرة بعد مرة لانه كان يتعاظم على الناس فناسب أن يصلى أعظم النيران (ثم في سلسلة) عظيمة جدا والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة (ذرعها) أي طولها (سبعون ذراعا) قال الحسن الله أعلم بأي ذراع هو وقيل بذراع الملك قال نوف الشامي كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد ما بينك وبين مكة وكان نوف في رحبة الكوفة قال مقاتل لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب

سعيد القطان ويونس بن حبيب قالا حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الواحد بن سليم السلمي عن عطاء هو ابن أبي رباح حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت قال دعاني أبي حين حضره الموت فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال يارب وما أكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى الابد وهذا الحديث قد رواه الامام أحمد من طرق عن الوليد بن عبادة عن أبيه به وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به وقال حسن صحيح غريب ورواه أبو داود في كتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر (٤٤) عن يحيى بن حسان عن أبي رباح عن ابراهيم ابن أبي عبلة عن أبي حفصة اسمه حبيش بن شريح الحبشي الشامي عن عبادة فذكره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي حدثنا علي بن الحسن ابن شقيق أنبأنا عبد الله بن المبارك حدثنا رباح بن زيد عن عمرو بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أول شئ خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شئ غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد والقلم يعني الذي كتب به الذكر وقوله تعالى وما يسطرون أي يكتبون كما تقدم وقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون أي لست ولله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك والمكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه الى الجنون وان لك لاجرا غير ممنون أي بل ان لك الاجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على ابلاغك رسالة ربك الى الخلق وصبرك على أذاهم ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ فلهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع عنهم وقال مجاهد غير ممنون أي غير محسوب وهو يرجع الى ما قلناه وقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال العوفي عن ابن عباس وانك لعلى دين عظيم وهو الاسلام وكذلك قال مجاهد وأبو مالك والسدي والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد وقال عطية لعلى أدب عظيم وقال معمر عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن يقول كما هو في القرآن وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله وانك لعلى خلق عظيم ذكر لنا أن سعد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ألست

الرصاص وقال ابن جريج لا يعرف قدرها الا الله وهذا العدد حقيقة أو مبالغة ومعنى (فاسلكوه) فاجعلوه فيها بحيث يكون كأنه السلك أي الخيط الذي يدخل في ثقب الخرزات بعسر لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه أو بجميع بدنه بأن تلف عليه يقال سلكته الطريق اذا أدخلته فيه ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل أي الداخلة عليه بالظرف المتقدم وهو في سلسلة وتقديمها كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذبون به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة لا للدلالة على تراخي المدة قال سفيان بلغنا انها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه قال الكلبي تسلك سلك الخيط في اللؤلؤ وقال سويد بن أبي نجيح بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة قال ابن عباس السلسلة تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود ثم يشوى وجملة (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل لما قبلها على طريق الاستئناف وذكر العظيم للاشعار بأنه هو المستحق للعظمة فمن لا يعظمه فقد استوجب ذلك (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يحث ولا يحرض نفسه على اطعامه من ماله أو لا يحث الغير على اطعامه ووضع الطعام موضع الاطعام كما يوضع العطاء موضع الاعطاء والاضافة للمفعول ويجوز أن يكون في الكلام حذف المضاف أي على بذل طعام المسكين والاضافة له لكونه مستحقه وآخذه فهي لادنى ملابسة فالحض البعث والحث على الفعل والحرص على وقوعه ومنه حروف التحضيض المبوب له في النحو لانه يطلب به وقوع الفعل وايجاده وفيه اشارة الى أنه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون على المساكين الجزاء فما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم وفي جعل هذا قرينا لترك الايمان بالله من الترغيب في التصدق على المساكين وسد فاقتهم وحث النفس والناس على ذلك ما يدل أبلغ دلالة ويفيد أكمل فائدة على أن منعهم من أعظم الجرائم وأشد المآثم وعن أبي الدرداء قال ان لله سلسلة لم تزل تغلي منها مراجل النار منذ خلق الله جهنم الى يوم تلقى في أعناق الناس وقد نجانا الله من نصفها بايماننا بالله العظيم فحضي على طعام المسكين يا أم الدرداء أخرجه أبو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وقال الحسن أدركت أقواما يعزمون على أهليهم أن لا يردوا سائلا وكان بعضهم يأمر أهله بتكثير المرقة لاجل المساكين

تقرأ القرآن قال بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة ابن أبي أوفى عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أتقرأ القرآن فقلت نعم فقالت كان خلقه القرآن هذا مختصر من حديث طويل وقد رواه الامام مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتي في سورة المزمل ان شاء الله تعالى وبه الثقة وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا يونس عن الحسن قال سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بني سواد قال سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما تقرأ القرآن وانك لعلى خلق عظيم قال قلت حدثيني عن ذاك قالت صنعت له طعاما وصنعت له حفصة طعاما فقلت لجاريتي اذهبي فان جاءت هي بالطعام فوضعته قبل فاطرحي الطعام قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت وكان نطع قالت فجمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقتصوا أو اقتصي شك أسود ظرفا مكان ظرفك قالت فما قال شيأ وقال ابن جرير حدثنا عبيد بن آدم بن أبي اياس حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن عن سعيد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها أخبريني بخلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ وانك لعلى خلق عظيم وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير ابن نفير قال حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهكذا رواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي ورواه النسائي في التفسير عن اسحق بن منصور عن عبد الرحمن ابن مهدي عن معاوية بن صالح به ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له وخلقا تطبعه وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة

المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع النصف الثاني بالاطعام وقيل لعل وجه التخصيص لهذين الامرين بالذكر أن أقبح العقائد الكفر بالله تعالى وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا) أي يوم القيامة في الآخرة (حميم) أي قريب ينفعه أو يشفع له ويحرق له قلبه لانه يوم يفر فيه القريب من قريبه ويهرب عنده الحبيب من حبيبه (ولا طعام الا من غسلين) أي وليس له طعام يأكله الا من صديد أهل النار وما ينغسل من أبدانهم من القيح والصديد وغسلين فعلين من الغسل أو الغسالة فنونه وياؤه زائدتان قال أهل اللغة هو ما يجري من الجراح اذا ما غسلت وقال الضحاك والربيع بن أنس هو شجر يأكله أهل النار وقال قتادة هو شر الطعام وقال ابن زيد لا يعلم ما هو ولا ما الزقوم الا الله تعالى وعن ابن عباس قال الغسلين الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لانتن أهل الدنيا أخرجه الحاكم وصححه وعن ابن عباس أيضا قال الغسلين اسم طعام من أطعمة أهل النار وقال سبحانه في موضع آخر ليس لهم طعام الا من ضريع فيجوز أن يكون الضريع هو الغسلين وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى فليس له اليوم ههنا حميم الا من غسلين على ان الحميم هو الماء الحار ولا طعام أي ليس لهم طعام يأكلونه قاله أبو البقاء ولا ملجئ لهذا التقديم والتأخير والتوفيق بين ما هنا وبين قوله في محل آخر الا من ضريع وفي موضع آخر ان شجرت الزقوم طعام الاثيم وفي موضع آخر ما يأكلون في بطونهم الا النار انه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك أو أن العذاب أنواع والمعذبين طبقات فمنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة النار لكل باب منهم جزء مقسوم (لا يأكله الا الخاطئون) المراد بهم أصحاب الخطايا وأرباب الذنوب قال الكلبي المراد أهل الشرك قرأ الجمهور الخاطئون مهموزا وهو اسم فاعل من خطئ يخطأ من باب علم اذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطئ من يفعله غير متعمد وقرئ الخاطيون بالياء المضمومة بدل الهمزة وقرئ بالطاء المضمومة بدون همزة (فلا أقسم بما تبصرون) من المخلوقات (وما لا تبصرون) منها قال قتادة أقسم بالاشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر فيدخل في هذا جميع المخلوقات والاقسام بغير الله انما نهي عنه في حقنا وأما هو تعالى فيقسم بما

والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله الا فعلته وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا ولا حريرا ولا شيأ كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال البخاري حدثنا اسحق بن منصور حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها (٤٦) وأحسن الناس خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير والاحاديث في هذا كثيرة ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب الشمائل وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط ولا ضرب امرأة ولا ضرب بيده شيأ قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا خير بين شيئين قط الا كان أحبهما اليه أيسرهما حتى لا يكون اثما فاذا كان اثما كان أبعد الناس من الاثم ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى اليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل وقال الامام أحمد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثت لأتمم صالح الاخلاق تفرد به وقوله تعالى فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أي فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم وهذه كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر وكقوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قال ابن جريج قال ابن عباس في هذه الآية ستعلم ويعلمون يوم القيامة وقال العوفي عن ابن عباس بأيكم المفتون أي المجنون وكذا قال مجاهد وغيره وقال قتادة وغيره بأيكم المفتون أي أولى بالشيطان ومعنى المفتون ظاهر أي الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه وانما دخلت الباء في قوله بأيكم لتدل على تضمين الفعل في قوله فستبصر ويبصرون وتقديره فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون والله أعلم ثم قال تعالى ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ويعلم

شاعر على ما شاء وهذا رد لكلام المشركين كأنه قال ليس الامر كما تقولون ولا زائدة والتقدير فأقسم بما تشاهدونه وما لا تشاهدونه وقيل ان لا ليست بزائدة بل هي أصلية لنفي القسم أي لا احتاج الى قسم لوضوح الحق في ذلك والاول أولى وقال البيضاوي فلا أقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فلا رد لانكارهم البعث وأقسم مستأنف قال الكرخي واما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر فيرده تعيين المقسم به بقوله بما تبصرون الخ اه (انه لقول رسول كريم) أي ان القرآن لتلاوة رسول كريم على الله فهو في غاية الكرم الذي هو البعد عن مساوي الاخلاق على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو انه لقول يبلغه رسول كريم قال الحسن والكلبي ومقاتل يريد به جبريل بدليل قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين وعلى كل حال فالقرآن ليس من قول محمد صلى الله عليه وسلم ولا من قول جبريل عليه السلام بل هو من قول الله عز وجل فلا بد من تقدير التلاوة أو التبليغ وفي لفظ الرسول ما يدل على ذلك فانه يكتفي به عن ان يقول عن الله تعالى (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون لانه ليس من أصناف الشعر ولا مشابه لها والشاعر هو الذي يأتي بكلام مقفى موزون بقصد الوزن (قليلا ما تؤمنون) أي ايمانا قليلا تؤمنون وتصديقا يسيرا تصدقون وقال البغوي أراد بالقليل نفي ايمانهم وتذكرهم أصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلا (ولا بقول كاهن) كما تزعمون فان الكهانة أمر آخر لا جامع بينها وبين هذا (قليلا ما تذكرون) قرئ بالتاء وقرئ بالياء التفاتا عن الخطاب الى الغيبة أي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون وما زائدة في الموضعين وذكر الايمان مع نفي الشعر والتذكر مع نفي الكهانة لان عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكره الا معاند كافر بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر أحواله صلى الله عليه وآله وسلم وتذكر معاني القرآن المنافية لطريقة الكهانة ومعاني أقوالهم قال أبو جهل ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شاعر وقال الوليد بن المغيرة ساحر وقال عقبة كاهن فنزلت هذه الآية كذا قال مقاتل (تنزيل من رب العالمين) أي هو تنزيل منه على لسانه (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) قرأ الجمهور تقول مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول مع رفع بعض وقرئ ولو يقول على صيغة المضارع والتقول تكلف القول وسمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف وكل كاذب يتكلف

الحزب الضال عن الحق (فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على الخرطوم) يقول تعالى كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون قال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون وقال مجاهد ودوا لو تدهن تركن إلى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق ثم قال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلها قال ابن عباس المهين الكاذب وقال مجاهد هو الضعيف القلب وقال الحسن كل حلاف مكابر مهين ضعيف وقوله تعالى هماز قال ابن عباس وقتادة يعني الاغتياب مشاء بنميم يعني الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهي الحالقة وقد ثبت في الصحيحين من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة الحديث وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم من طرق عن مجاهد به وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن همام أن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن إبراهيم به وحدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات يعني نماما وحدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد الأحول عن الأعمش حدثني إبراهيم منذ نحو ستين سنة عن همام بن الحرث قال مر رجل على حذيفة فقيل إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال أحمد حدثنا هاشم حدثنا مهدي عن واصل الأحدب عن أبي وائل قال بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة نمام

يتكلف ما يكذب به والأقاويل جمع أقوال جمع قول فهو نظير أبابيت جمع أبيات جمع بيت وسميت الأقوال المنقولة أقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الأعاجيب والأضاحيك كأنها جمع أقوولة من القول والمعنى ولو تقول ذلك الرسول وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو جبريل عليه السلام على ما تقدم وجاء به من جهة نفسه وادعى علينا شيئا لم نقله (لأخذنا منه باليمين) أي بيده اليمين قال ابن جرير إن هذا الكلام خرج مخرج الإذلال على عادة الناس في الأخذ بيد من يعاقب وقال الفراء والمبرد والزجاج وابن قتيبة باليمين أي بالقوة والقدرة وبه قال ابن عباس وقال ابن قتيبة إنما أقام اليمين مقام القوة لأن قوة كل شيء في ميامنه وقيل المعنى لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام وقيل المعنى لأذللناه وأهناه (ثم لقطعنا منه الوتين) هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب وهو نياطه إذا انقطع مات صاحبه قال الواحدي والمفسرون يقولون إنه نياط القلب وقال ابن عباس عرق القلب وعنه قال نياط القلب وعن مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع وقال محمد بن كعب إنه القلب ومراقه وما يليه وقال الكلبي إنه عرق بين العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما علباوان بينهما العرق قال ابن قتيبة لم يرد أنا نقطعه بعينه بل المراد منه أنه لو كذب علينا لأمتناه فكان كمن قطع وتينه (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي ليس منكم أحد يحجزنا عنه ويدفعنا منه فكيف يتكلف الكذب على الله لأجلكم مع علمه أنه لو تكلف ذلك لعاقبناه ولا تقدرون على الدفع عنه وإنما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف أحد ردا على معناه (وإنه لتذكرة للمتقين) أي إن القرآن لتذكرة لأهل التقوى لأنهم المنتفعون به لإقبالهم عليه إقبال مستفيد والظاهر أن هذا وما بعده معطوف على جواب القسم السابق فهو من جملة المقسم عليه وما بينهما اعتراض (وإنا لنعلم أن منكم مكذبين) أي أن بعضكم يكذب بالقرآن فنحن نجازيهم على ذلك بما يليق به إظهارا للعدل وفي هذا وعيد شديد (وإنه) أي القرآن (لحسرة) وندامة (على الكافرين) يوم القيامة عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين وقيل هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله (وإنه) أي القرآن (لحق اليقين) أي عينه ومحضه لكونه من عند الله فلا يحوم حوله ريب ولا يتطرق إليه شك وهو من إضافة الصفة للموصوف أي

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن خثيم عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد بن السكن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال الذين اذا رأوا ذكر الله عز وجل ثم قال الا أخبركم بشراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العنت ورواه ابن ماجه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم به وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم خيار عباد الله الذين اذا رأوا ذكر الله

وشرار عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العنت

وقوله تعالى مناع للخير معتد أثيم أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير معتد في تناول ما أحل الله له يتجاوز فيها الحد المشروع أثيم أي يتناول المحرمات وقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم اما العتل فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع وقال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن سعيد بن خالد عن حارثة بن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره الا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر وقال وكيع كل جواظ جعظري مستكبر اخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة الا ابا داود من حديث سفيان الثوري وشعبة كلاهما عن سعيد بن خالد به وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي قال سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع تفرد به أحمد قال أهل اللغة الجعظري الفظ الغليظ والجواظ الجموع المنوع وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم فقال هو الشديد الخلق المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف وبهذا الاسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري والعتل الزنيم وقد أرسله أيضا غير واحد من التابعين وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكى السماء من عبد أصح الله

لليقين الحق وحق اليقين فوق علم اليقين وقيل هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) أي نزهه عما لا يليق به وقيل فصل لربك والاول أولى وقيل هو قوله سبحان الله

(سورة سأل ويقال سورة المعارج هي أربع وأربعون آية وهي مكية)

قال القرطبي بالاتفاق عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل) قرأ الجمهور سأل بالهمزة من السؤال وهي اللغة الفاشية وهو اما مضمن معنى الدعاء فلذلك عدي بالباء كما تقول دعوت بكذا والمعنى دعا داع على نفسه (بعذاب واقع) ويجوز أن يكون على أصله والباء بمعنى عن كقوله فاسأل به خبيرا وقرئ بغير همزة وهو اما من باب التخفيف بقلب الهمزة ألفا فيكون معناها معنى قراءة من همز أو يكون من السيلان والمعنى سال واد في جهنم يقال له سائل كما قال زيد بن ثابت ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل أي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه وقيل ان سال بمعنى التمس والمعنى التمس ملتمس عذابا (للكافرين) فتكون الباء زائدة كقوله تنبت بالدهن والوجه الاول هو الظاهر قال الاخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان قال أبو علي الفارسي واذا كان من السؤال فأصله ان يتعدى الى مفعولين ويجوز الاقتصار على أحدهما ويتعدى اليه بحرف الجر فيكون التقدير سأل سائل الله أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو المسلمين بعذاب أو عن عذاب وهذا السائل هو النضر ابن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وهو ممن قتل يوم بدر صبرا وعن ابن عباس مثله وقال الربيع هو أبو جهل وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وقيل انها نزلت في جماعة من كفار قريش والاول أولى وقرئ وسال سال مثل مال مال على ان الاصل سائل فحذفت العين تخفيفا كما قيل شاك في شائك السلاح وقيل السائل هو نوح عليه السلام سأل العذاب للكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا بالعقاب عليهم والمراد بالعذاب الواقع اما في الدنيا كيوم بدر أو في الآخرة وهو عذاب النار وقوله للكافرين صفة أخرى لعذاب أي كائن لهم أو متعلق بواقع واللام للعلة أو بسأل على تضمينه معنى دعا أو في محل رفع

على

على تقدير هو للكافرين أو اللام بمعنى على ويؤيده قراءة أبي على الكافرين قال الفراء التقدير بعذاب للكافرين واقع بهم فالواقع من نعت العذاب وجملة (ليس له دافع) صفة أخرى لعذاب أو حال منه أو مستأنفة والمعنى انه لا يدفع ذلك العذاب الواقع به أحد وقوله (من الله) متعلق بواقع أي واقع من جهته سبحانه ولم يمنع النفي من ذلك لان ليس فعل لا حرف فصح ان يعمل ماقبلها فيما بعدها أو متعلق بدافع أي ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته (ذي المعارج) أي ذي الدرجات التي تصعد فيها الملائكة وقال ابن عباس ذي العلو والفواضل وقال الكلبي هي السموات وسماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل المعارج مراتب نعم الله سبحانه على الخلق وقيل المعارج العظمة وقيل هي الغرف وقيل الاعمال الصالحة فانها تتفاوت بحسب اجتماع الآداب والسنن وخلوص النية وحضور القلب وقرأ ابن مسعود ذي المعاريج يقال معارج ومعاريج مثل مفاتح ومفاتيح جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لا بكسرها لانه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام (تعرج الملائكة والروح اليه) أي تصعد في تلك المعارج التي جعلها الله لهم قرأ الجمهور تعرج بالفوقية وقرئ بالتحتية والروح جبريل أفرد بالذكر بعد الملائكة لشرفه ويؤيد هذا قوله نزل به الروح الامين وقيل الروح هنا ملك آخر عظيم غير جبريل وقال أبو صالح انه خلق من خلق الله سبحانه كهيئة الناس وليسوا من الناس وقال قبيصة بن ذؤيب انه روح الميت حين يقبض والاول أولى ومعنى اليه الى المكان الذي ينتهون اليه وقيل الى عرشه وقيل الى مهبط أمره من السماء وقيل هو كقول ابراهيم اني ذاهب الى ربي أي الى حيث أمرني ربي (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال ابن اسحق والكلبي ووهب بن منبه أي تعرج الملائكة الى المكان الذي هو محلها في وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين ألف سنة وبه قال مجاهد وقال عكرمة وروي عن مجاهد ان مدة عمر الدنيا هذا المقدار لا يدري أحدكم مضى ولا كم بقي ولا يعلم ذلك الا الله والكلام على مدة عمر الدنيا ماضيها وباقيها مبسوط في كتابنا لقطة العجلان مما تمس اليه حاجة الانسان وقال قتادة والكلبي ومحمد بن كعب ان المراد يوم القيامة يعني ان مقدار الامر فيه لو تولاه غيره سبحانه خمسون ألف سنة وهو سبحانه يفرغ منه في ساعة وقيل ان مدة موقف العباد للحساب هي هذا المقدار ثم يستقر بعد ذلك

جسمه وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا مقضمًا فكان للناس ظلومًا قال فذلك العتل الزنيم وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم ان العتل هو المصحح الخلق الشديد القوي في المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك وأما الزنيم فقال البخاري حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عباس عتل بعد ذلك زنيم قال رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة ومعنى هذا أنه كان مشهورا بالشر كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها وانما الزنيم (٤٩) في لغة العرب هو الدعي في القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الائمة قال ومنه قول حسان بن ثابت يعني يذم بعض كفار قريش

وأنت زنيم نيط في آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر

زنيم ليس يعرف من أبوه
بغي الأم ذو حسب لئيم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا اسباط عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس في قوله زنيم قال الدعي الفاحش اللئيم ثم قال ابن عباس

زنيم تداعاه الرجال زيادة
كما زيد في عرض الاديم الاكارع

وقال العوفي عن ابن عباس الزنيم الدعي ويقال الزنيم رجل كانت به زنمة يعرف بها ويقال هو الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم الاسود بن عبد يغوث الزهري وليس به وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس انه زعم أن الزنيم الملحق النسب وقال ابن أبي حاتم حدثني يونس حدثنا ابن وهب حدثني سليمان بن بلال عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب انه سمعه يقول في هذه الآية عتل بعد ذلك زنيم قال سعيد هو الملصق بالقوم ليس منهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عقبة بن خالد عن عامر بن قدامة قال سئل عكرمة عن الزنيم قال هو ولد الزنا قال الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قال يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء والزنماء من الشياه التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها وقال الثوري عن جابر عن الحسن عن سعيد بن جبير قال الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها والزنيم الملصق رواه

ابن جرير وروى أيضا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس انه قال في الزنيم قال نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم
قال وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها قال وقال آخرون كان دعيا وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن ادريس عن أبيه
عن أصحاب التفسير قالوا هو الذي تكون له زنمة مثل زنمة الشاة وقال الضحاك كانت له زنمة في أصل اذنه ويقال هو اللئيم الملصق
في النسب وقال أبو اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هو المريب الذي يعرف بالشر وقال مجاهد الزنيم يعرف بهذا الوصف
كما تعرف الشاة وقال أبو رزين الزنيم (٥٠) علامة الكفر وقال عكرمة الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها
والاقوال في هذا كثيرة وترجع
الى ماقلناه وهو أن الزنيم هو
المشهور بالشر الذي يعرف به من
بين الناس وغالبا يكون دعيا ولد
زنا فانه في الغالب يتسلط الشيطان
عليه مالا يتسلط على غيره كما جاء
في الحديث لا يدخل الجنة ولد زنا
وفي الحديث الآخر ولد الزنا شر
الثلاثة اذا عمل بعمل أبويه
وقوله تعالى ان كان ذا مال وبنين
اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير
الاولين يقول تعالى هذا مقابلة
ماأنعم الله عليه من المال والبنين
كفر بآيات الله عز وجل
واعرض عنها وزعم انها كذب
مأخوذ من أساطير الاولين كقوله
تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا
وجعلت له مالا ممدودا وبنين
شهودا ومهدت له تمهيدا ثم
يطمع ان أزيد كلا انه كان
لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا
انه فكر وقدر فقتل كيف قدر
ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس
وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان
هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول
البشر قال الله تعالى سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر على
وقال تعالى ههنا سنسمه على الخرطوم قال ابن جرير سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم
وهكذا قال قتادة سنسمه على الخرطوم شين لا يفارقه آخر ما عليه وفي رواية عنه سيما على انفه وكذا قال السدي وقال
العوفي عن ابن عباس سنسمه على الخرطوم يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال وقال آخرون سنسمه سمة أهل النار يعني
نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم حكى ذلك كله أبو جعفر بن جرير ومال الى أنه لا مانع من اجتماع الجميع

أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقيل ان مقدار يوم القيامة على الكافرين
خمسون ألف سنة وعلى المؤمنين مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل ذكر هذا المقدار لمجرد
التمثيل والتخييل لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها أو لطول يوم القيامة باعتبار
ما فيه من الشدائد والمكاره كما تصف العرب أيام الشدة بالطول وأيام الفرح بالقصر
ويشبهون اليوم القصير بابهام القطاة والطويل بظل الرمح وحينئذ لا تنافي بين هذه الآية
وبين آية السجدة في يوم كان مقداره ألف سنة لانه أيضا مسوق على سبيل التشديد على
الكافرين وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح اليه وقال ابن عباس في الآية منتهى
أمره من أسفل الارضين الى منتهى أمره من فوق سبع سموات مقدار خمسين ألف سنة
وقوله في يوم كان مقداره ألف سنة قال يعني بذلك ينزل الامر من السماء الى الارض
ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقدار ألف سنة لان ما بين السماء والارض
مسيرة خمسمائة عام وعنه قال غلظ كل أرض خمسمائة عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام
وبين كل أرض الى أرض خمسمائة عام ومن السماء الى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة
عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله
في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وعنه في قوله في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون
قال هذا في الدنيا تعرج الملائكة في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وفي قوله مقداره
خمسين ألف سنة فهذا يوم القيامة جعله الله سبحانه على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة
وعنه قال لو قدرتموه لكان خمسين ألف سنة من أيامكم يعني يوم القيامة وعن أبي سعيد
الخدري قال قيل يارسول الله يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال
والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة مكتوبة
يصليها في الدنيا أخرجه أحمد وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث وفي
اسناده دراج عن أبي الهيثم وهما ضعيفان وعن أبي هريرة مرفوعا قال ما قدر طول
يوم القيامة على المؤمنين الا كقدر ما بين الظهر الى العصر أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم
والبيهقي في البعث ولو كان المراد حقيقة العدد لم يعقل ان الزمان الواحد يكون مقداره
خمسين الف سنة ويكون مقداره ألف سنة ويكون مقداره قدر صلاة ركعتين وقيل العدد

عليه في الدنيا والآخرة وهو منجيه وقد قال ابن أبي حاتم في سورة عم يتساءلون حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني خالد ابن سعيد عن عبد الملك بن عبد الله عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد يكتب مؤمنا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه ساخط وان العبد يكتب كافرا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه راض ومن مات همازا لمازا ملقبا للناس كان علامته يوم القيامة ان يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين

(انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون (٥١) فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى اليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة وهو بعثة محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ولهذا قال تعالى انا بلوناهم أي اختبرناهم كما بلونا أصحاب الجنة وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين أي حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها بالليل لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ولا يستثنون أي فيما حلفوا به ولهذا حنثهم الله في أيمانهم فقال تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون أي أصابتها آفة سماوية فأصبحت كالصريم قال ابن عباس أي كالليل الاسود وقال الثوري والسدي مثل الزرع اذا حصد أي هشيما يبسا وقال ابن أبي حاتم ذكر عن أحمد بن الصباح أنبأنا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاصي ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيئ له ثم تلا رسول الله

على حقيقته فان يوم القيامة خمسون موطنا كل موطن ألف سنة والله أعلم بمراده بذلك وقد قيل في الجمع ان من أسفل العالم الى العرش خمسين ألف سنة ومن أعلى سماء الدنيا الى الارض ألف سنة لان غلظ كل سماء خمسمائة عام وما بين أسفل السماء الى قرار الارض خمسمائة عام كما تقدم فالمعنى ان الملائكة اذا عرجت من أسفل العالم الى العرش كان مسافة ذلك خمسين ألف سنة وان عرجوا من هذه الارض التي نحن فيها الى باطن هذه السماء التي هي سماء الدنيا كان مسافة ذلك ألف سنة وقد تقدم ما يؤيد هذا عن ابن عباس وقد قدمنا الجمع بين هذه الآية وآية السجدة في سورة السجدة فتذكر ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر فقال (فاصبر) يا محمد على تكذيبهم لك وكفرهم بما جئت به (صبرا جميلا) لا جزع فيه ولا شكوى الى غير الله وهذا معنى الصبر الجميل وقيل هو ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى بأنه مصاب قال ابن زيد وغيره هي منسوخة بآية السيف قال ابن عباس في الآية لا تشكوا الى أحد غيري (انهم يرونه) أي يرون العذاب الواقع بهم ويعتقدونه أو يرون يوم القيامة أو يرون يوما كان مقداره خمسين ألف سنة (بعيدا) أي غير كائن لانهم لا يؤمنون به فمعنى بعيدا أي مستبعدا محالا وليس المراد انهم يرونه بعيدا غير قريب قال الاعمش يرون البعث بعيدا لانهم لا يؤمنون به كأنهم يستبعدونه على جهة الاستحالة كما تقول لمن تناظره هذا بعيد أي لا يكون (ونراه قريبا) أي نعلمه كائنا قريبا لان ما هو آت قريب وقيل المعنى ونراه هينا في قدرتنا غير متعسر ولا متعذر والجملة تعليل للامر بالصبر ثم أخبر سبحانه متى يقع بهم العذاب فقال (يوم تكون السماء كالمهل) أي يقع بهم العذاب يوم كذا والمهل ما أذيب من النحاس والرصاص والفضة وقال مجاهد هو القيح من الصديد والدم وقال عكرمة وغيره هو دردي الزيت وبه قال ابن عباس وقد تقدم تفسيره في سورة الكهف والدخان (وتكون الجبال كالعهن) أي كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف عهن الا اذا كان مصبوغا قال الحسن تكون الجبال كالصوف الاحمر وهو أضعف الصوف وقيل العهن الصوف ذو الالوان فشبه الجبال به في تكونها ألوانا كما في قوله جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الهواء أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وهذه الاقوال في معنى العهن في اللغة وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا

صلى الله عليه وسلم فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم قد حرموا خير جنتهم بذنبهم فتنادوا مصبحين أي لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا الى الجذاذ أي القطع ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين أي تريدون الصرام قال مجاهد كان حرثهم عنبا فانطلقوا وهم يتخافتون أي يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحدا كلامهم ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين أي يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيرا (٥٢) يدخلها عليكم قال الله تعالى وغدوا على حرد أي قوة وشدة وقال مجاهد وغدوا على حرد أي جد وقال عكرمة على غيظ وقال الشعبي على حرد على المساكين وقال السدي على حرد أي كان اسم قريتهم حرد فأبعد السدي في قوله هذا قادرين أي عليها فيما يزعمون ويرومون فلما رأوها قالوا انا لضالون أي فلما وصلوا اليها وأشرفوا عليها وهي الحالة التي قال الله عز وجل قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار الى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ولهذا قالوا انا لضالون أي قد سلكنا اليها غير الطريق فتهنا عنها قاله ابن عباس وغيره ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هي فقالوا بل نحن محرومون أي بل هي هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب قال أوسطهم قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد ابن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة أي أعدلهم وخيرهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قال مجاهد والسدي وابن جريج لولا تسبحون أي لولا تستثنون قال السدي وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحا وقال ابن جرير هو قول القائل ان شاء الله وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ولهذا قالوا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون أي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ فما كان جواب بعضهم لبعض الا الاعتراف بالخطيئة والذنب قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين أي اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى

منفوشا ثم هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) اى لا يسأل قريب قريبه عن شأنه في ذلك اليوم لما نزل بهم من شدة الاهوال التي اذهلت القريب عن قريبه والخليل عن خليله كما قال سبحانه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقيل المعنى لا يسأل حميم عن حميم لشغله عنه فحذف الحرف ووصل الفعل قرأ العامة يسأل مبنيا للفاعل والمفعول الثاني محذوف أي لا يسأله نصره ولا شفاعته لعلمه ان ذلك مفقود وقيل لا يسأل شيئا من حمل أوزاره وقرئ على البناء للمفعول والمعنى لا يسئل حميم احضار حميمه وقيل هذه القراءة على اسقاط حرف الجر اى لا يسئل حميم عن حميم بل كل انسان يسئل عن نفسه وعن عمله وقيل لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه وجملة (يبصرونهم) مستأنفة أو صفة لقوله حميما أي يبصر كل حميم حميمه لا يخفى منهم أحد عن أحد وليس في القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه ولا يتساءلون ولا يكلم بعضهم بعضا لاشتغال كل أحد منهم بنفسه وقال ابن زيد يبصر الله الكفار في النار الذين أضلوهم في الدنيا وهم الرؤساء المتبوعون وقيل ان قوله يبصرونهم يرجع الى الملائكة اى يعرفون أحوال الناس لا يخفون عليهم وانما جمع الضميرين في يبصرونهم وهما للحميمين حملا على معنى العموم لانهما نكرتان في سياق النفي قاله السمين والزمخشري قال الطيبي وفيه دليل على ان الفاعل والمفعول الواقعين في سياق النفي يعمان كما التزم في قوله والله لا أشرب ماء من اداوة انه يعم في المياه والاداوى خلافا لبعضهم في الاداوة قال ابن عباس يبصرونهم يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض قرأ الجمهور يبصرونهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف (يود المجرم) أي الكافر أو كل مذنب يذنب ذنبا يستحق به النار (لو) بمعنى أن (يفتدى من عذاب يومئذ) أي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ قرأ الجمهور باضافة العذاب وكسر الميم من يومئذ وقرئ بالتنوين وقطع الاضافة وبفتح الميم (ببنيه وصاحبته) زوجته (وأخيه) فان هؤلاء أعز الناس عليه وأكرمهم لديه فلو قبل منه الفداء لفدى بهم نفسه وخلص مما نزل به من العذاب والجملة مستأنفة لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ بحيث يود الافتداء من العذاب بمن ذكر وقيل حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم (وفصيلته التي تؤويه) أي عشيرته الاقربين الذين يضمونه في النسب أو عند الشدائد ويأوي اليهم قال أبو عبيد الفصيلة دون القبيلة وقال ثعلب هم آباؤهم الادنون قال المبرد الفصيلة القطعة من اعضاء الجسد

أصابنا ما أصابنا عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون قيل رغبوا في بذلها لهم في الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة والله أعلم ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج اليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحمق اذ كان يصرف من هذه شيأ للفقراء ولو انا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شئ قال الله تعالى كذلك العذاب أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفرا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره بين ان لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها ثم قال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء كلا ورب الارض والسماء ولهذا قال ما لكم كيف تحكمون أي كيف تظنون ذلك ثم قال تعالى أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون يقول تعالى أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكما مؤكدا

وسميت عشيرة الرجل فصيلة تشبيها لها بالبعض منه وقال مالك ان الفصيلة هي التي تربيه (ومن) أي ويود المجرم لو افتدى بمن (في الارض جميعا) من الثقلين وغيرهما من الخلائق وقوله (ثم ينجيه) معطوف على يفتدي أي يود لو يفتدي ثم ينجيه الافتداء وكأن العطف بثم لدلالتها على استبعاد النجاة وقيل ثم ينجيه جواب يود والاول أولى (كلا) ردع للمجرم عن تلك الودادة وبيان امتناع ما وده من الافتداء وكلا يأتي بمعنى حقا وبمعنى لا النافية مع تضمنها المعنى الزجر والردع وهي هنا تحتمل الامرين (انها لظى) الضمير عائد الى النار المدلول عليها بذكر العذاب أو هو ضمير مبهم يفسره ما بعده ويترجم عنه الخبر قاله الزمخشري ولظى علم لجهنم واشتقاقها من التلظي في النار وهو التلهب ولذلك منع من الصرف للعلمية والتأنيث وقيل أصله لظظ بمعنى دوام العذاب فقلبت احدى الظائين ألفا وقيل لظى هي الدركة الثانية من طباق جهنم (نزاعة للشوى) قرأ الجمهور نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان أو خبر مبتدا محذوف أو تكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبران أو على ان نزاعة صفة للظى على تقدير عدم كونها علما أو يكون الضمير في انها للقصة ويكون لظى مبتدأ ونزاعة خبره والجملة خبر ان وقرئ بالنصب على الحال وقال أبو علي الفارسي حمله على الحال بعيد لانه ليس في الكلام ما يعمل في الحال وقيل العامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى التلظي أو النصب على الاختصاص والشوى الاطراف أو جمع شواة كنوى ونواة وهي جلدة الرأس وقال الحسن وثابت البناني للشوى أي لمكارم الوجه وحسنه وكذا قال أبو العالية وقتادة وقال قتادة تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيأ وقال الكسائي هي المفاصل وقال أبو صالح هي أطراف اليدين والرجلين وقال ابن عباس تنزع أم الرأس وقيل الشوى الاعضاء التي ليست بمقتل وقيل هو جلد الانسان (تدعو) لظى (من أدبر) عن الحق في الدنيا (وتولى) أي أعرض عنه قيل انها تقول الي يا مشرك الي يا منافق ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب وقيل معنى تدعو تهلك تقول العرب دعاك الله أي أهلكك وقيل ليس هو الدعاء باللسان ولكن دعاؤها اياهم تمكنها من عذابهم وقيل المراد ان خزنة جهنم تدعو الكافرين والمنافقين فاسناد الدعاء الى النار من باب اسناد ما هو للحال الى المحل وقيل هو تمثيل وتخييل ولا دعاء في الحقيقة والمعنى أن مصيرهم اليها والاول أولى لقوله وتقول هل من مزيد

كما تدعونه ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون أى أمعكم عهود ومناً ومواثيق مؤكدة ان لكم لما تحكمون أى انه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون سلهم أيهم بذلك زعيم أى قل لهم من هو المتكفل بهذا قال ابن عباس يقول أيهم بذلك كفيل أم لهم شركاء أى من الاصنام والانداد فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين

(يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون (٥٤) خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون) لما ذكر تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن و واقع فقال تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الاهوال والزلازل والبلاء والامتحان والامور العظام وقد قال البخاري ههنا حدثنا آدم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور وقد قال عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس يوم يكشف عن ساق قال هو يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة بن ابراهيم عن ابن مسعود أو ابن عباس الشك من ابن جرير يوم يكشف عن ساق قال عن أمر عظيم كقول الشاعر * شالت الحرب عن ساق * وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد يوم يكشف عن ساق قال شدة الامر وقال ابن عباس هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة وقال ابن جرير عن مجاهد يوم يكشف عن ساق

ولا موجب للصرف عن الظاهر والله على كل شيء قدير (وجمع فأوعى) أى جمع المال فجعله في وعاء ولم يؤد حق الله منه وفي هذا ذم لمن جمع المال فأوعاه وكنزه ولم ينفقه في سبيل الخير أو لم يؤد زكاته (ان الانسان) أى الجنس عبر به لما فيه من الانس لنفسه والرؤية شأنها والنسيان لربه ولدينه (خلق هلوعا) قال في الصحاح الهلع في اللغة أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه يقال هلع بالكسر فهو هلع وهلوع وقال عكرمة هو الضجور وقال ابن عباس هو الشره قال الواحدي والمفسرون يقولون تفسير الهلع ما بعده يعني قوله (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) وبه قال ابن عباس أى اذا أصابه الفقر والحاجة أو المرض أو نحو ذلك فهو كثير الجزع واذا أصابه الخير من الغنى والخصب والسعة ونحو ذلك فهو كثير المنع والامساك وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي اذا أصابه شر اظهر شدة الجزع واذا أصابه الخير بخل به ومنعه الناس والعرب تقول ناقة هلوع وهلواع اذا كانت سريعة السير خفيفته وقال أبو عبيدة الهلوع هو الذي اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الشر لم يصبر وانتصاب هلوعا وجزوعا ومنوعا على انها أحوال مقدرة لانه ليس متصفا بالصفات المذكورة وقت خلقه ولا وقت ولادته أو محققة لكونها طبائع جبل الانسان عليها والظرفان معمولان لجزوعا ومنوعا وقوله (الا المصلين) من قبيل استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع أى المؤمنين المقيمين الصلاة لان الصلاة الشرعية تستلزم الايمان يعني انهم ليسوا على تلك الصفات من الهلع والجزع والمنع وانهم على صفات محمودة وخلال مرضية لان ايمانهم وما تمسكوا به من التوحيد ودين الحق يزجرهم عن الاتصاف بتلك الصفات ويحملهم على الاتصاف بصفات الخير ثم بينهم سبحانه فقال (الذين هم على صلاتهم دائمون) أى مواظبون أى لا يشغلهم عنها شاغل ولا يصرفهم عنها صارف ولا يتركونها اداء ولا قضاء أى يفعلونها ولو قضاء وليس المراد بالدوام انهم يصلون أبدا قال الزجاج هم الذين لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة وقال الحسن وابن جريج هو التطوع منها قال النخعي المراد بالمصلين الذين يؤدون الصلاة المكتوبة وقال ابن مسعود الذين يصلونها لوقتها وعن عمران بن حصين قال الذي لا يلتفت في صلاته وعن عقبة بن عامر قال هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا والمراد بالآية جميع المؤمنين

قال شدة الامر وجده وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يوم يكشف عن ساق هو الامر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة وقال العوفى عن ابن عباس قوله يوم يكشف عن ساق يقول حين يكشف الامر وتبدو الاعمال وكشفه دخول الآخرة وكشف الامر عنه وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ثم قال حدثنى أبو زيد عمر بن شبة حدثنا هارون بن عمر المخزومى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (٥٥) يوم يكشف عن ساق يعنى عن نور عظيم يخرون له سجدا ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم والله أعلم وقوله تعالى خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة أى فى الدار الآخرة باجرامهم وتكبرهم فى الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ولما دعوا الى السجود فى الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه فى الآخرة اذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود كما كانوا فى الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون ثم قال تعالى فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث يعنى القرآن وهذا تهديد شديد أى دعنى واياه منى ومنه أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمده فى غيه وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أى وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو فى نفس الامر اهانة كما قال تعالى أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ولهذا قال ههنا وأملى لهم ان كيدى متين أى وأؤخرهم وانظرهم وأمدهم وذلك من كيدى ومكرى بهم ولهذا قال تعالى ان كيدى متين أى عظيم لمن خالف أمرى وكذب رسلى واجترأ على معصيتى وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد وقوله تعالى أم تسألهم

المؤمنين وقيل الصحابة خاصة ولا وجه لهذا التخصيص لاتصاف كل مؤمن بأنه من المصلين (والذين فى أموالهم حق معلوم) قال قتادة ومحمد بن سيرين المراد الزكاة المفروضة وقال مجاهد سوى الزكاة وقيل صلة الرحم وحمل الكل والظاهر أنه الزكاة المفروضة لوصفه بكونه معلوما ولجعله قرينا للصلاة (للسائل) أى الذى يسأل الناس (والمحروم) أى الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم على حد يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقد تقدم تفسير السائل والمحروم فى سورة الذاريات وفى سورة المؤمنين مستوفى (والذين يصدقون بيوم الدين) أى بيوم الجزاء وهو يوم القيامة لا يشكون فيه ولا يجحدونه وقيل يصدقونه بأعمالهم فيتعبون أنفسهم فى الطاعات لان التصديق به يستلزم الاستعداد له بالاعمال الصالحة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون وجلون مع ما لهم من أعمال الطاعة استحقارا لاعمالهم واعترافا بما يجب لله سبحانه عليهم وجملة (ان عذاب ربهم غير مأمون) مقررة لمضمون ما قبلها مبينة ان ذلك مما لا ينبغى أن يأمنه أحد لجواز أن يحل به وان بلغ فى الطاعة ما بلغ وان حق كل أحد أن يخافه ويكون مترجحا بين الخوف والرجاء (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) من الاماء ولشبههن فى جريان التصرف عليهن عبر عنهن بما التى لغير العاقل (فانهم غير ملومين) على ترك الحفظ (فمن ابتغى) اى طلب منكحا (وراء ذلك) أى غير الزوجات والمملوكات (فأولئك هم العادون) أى المتجاوزون عن الحلال الى الحرام والمتعدون ما حد لهم وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والزنا والاستمناء بالكف وقد تقدم تفسيرها فى سورة المؤمنين مستوفى (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أى لا يخلون بشئ من الامانات التى يؤتمنون عليها ولا ينقضون شيأ من العهود التى يعقدونها على أنفسهم قرأ الجمهور لاماناتهم بالجمع وقرئ بالافراد وهما سبعيتان والمراد الجنس وهى تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والايمان وقيل الامانات ما تدل عليه العقول والعهود ما أتى بها الرسول (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام وحسن الاداء ويقيمونها عند الحكام على من كانت عليه من قريب أو بعيد أو رفيع أو وضيع بلا ترجيح للقوى على الضعيف ولا يكتمونها ولا يغيرونها اظهارا

أجراً فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون تقدم تفسيرهما في سورة الطور والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين) يقول تعالى فاصبر يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم (٥٦) فإن الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ولا تكن كصاحب الحوت يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبا على قومه فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال الله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وقال تعالى فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون وقال ههنا إذ نادى وهو مكظوم قال ابن عباس ومجاهد والسدي وهو مغموم وقال عطاء الخراساني وأبو مالك مكروب وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين خرجت الكلمة تحف حول العرش فقالت الملائكة يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال الله تبارك وتعالى أما تعرفون هذا قالوا لا قال هذا يونس قالوا يا رب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة قال نعم قالوا أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ولهذا قال تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وقد قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقوله تعالى وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ليزلقونك لينفذونك بأبصارهم أي يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك

للسلامة في الدين ورغبة في إحيائها حقوق المسلمين وقد تقدم القول على الشهادة في سورة البقرة قرأ الجمهور بشهاداتهم بالإفراد وقرئ بالجمع قال الواحدي والإفراد أولى لأنه مصدر ومن جمع ذهب إلى اختلاف الشهادات قال الفراء ويدل على قراءة التوحيد قوله تعالى وأقيموا الشهادة لله وقيل أراد بالشهادة الشهادة بكلمة التوحيد والأول أولى (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أي على أذكارها وأركانها وشرائطها لا يخلون بشيء من ذلك قال قتادة على وضوئها وركوعها وسجودها وقال ابن جريج المراد التطوع وكرر ذكر الصلاة للدلالة على فضلها وإنافتها على غيرها ولاختلاف ما وصفهم به أولا وما وصفهم به ثانيا فإن معنى الدوام هو أن لا يشتغل عنها بشيء من الشواغل كما سلف ومعنى المحافظة أن يراعي الأمور التي لا تكون صلاة بدونها وقيل المراد يحافظون عليها بعد فعلها من أن يفعلوا ما يحبطها أو يبطل ثوابها وكرر الموصولات للدلالة على أن كل وصف من تلك الأوصاف لجلالته يستحق أن يستقل بموصوف منفرد وقال الكرخي وفي هذه الصلاة مبالغات لا تخفى وهي تقديم الضمير وبناء الجملة عليه وتقديم الجار والمجرور على الفعل وجعل بعض الجمل اسمية مفيدة للدوام والثبات وبعضها فعلية مفيدة للاستمرار التجددي (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات مستقرون (في جنات مكرمون) بأنواع الكرامات وهما خبران (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) أي أي شيء ثبت لهم حولك مسرعين قال الأخفش مهطعين مسرعين وقيل المعنى ما بالهم يسرعون إليك ويجلسون حولك ولا يعملون بما تأمرهم وقيل ما بالهم مسرعين إلى التكذيب وقيل ما بال الذين كفروا يسرعون إلى السماع إليك فيكذبونك ويستهزؤون بك وقال الكلبي إن معنى مهطعين ناظرين إليك وقال قتادة عامدين وقيل مسرعين إليك مادي أعناقهم مديمي النظر إليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله جماعات متفرقة وعزين جمع عزة وهي العصبة من الناس وقيل أصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الفرقة الأخرى قال في الصحاح العزة الفرقة من الناس والهاء عوض عن الياء والجمع عزى وعزون قال ابن عباس عزين العصب من الناس معرضين يستهزؤون به وأخرج مسلم وغيره عن جابر قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ونحن حلق متفرقون فقال ما لي أراكم عزين (أيطمع كل امرئ

ابغضهم اياك لولا وقاية الله لك وحمايته اياك منهم وفي هذه الآية دليل على أن العين اصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الاحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أبو داود حدثنا سليمان بن داود العتكي حدثنا شريك ح وحدثنا العباس العنبري حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي قال العباس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رقية الا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ لم يذكر العباس العين وهذا لفظ سليمان حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال أبو عبد الله بن ماجه (٥٧) حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا اسحق بن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن حصين عن الشعبي عن بريدة بن الحصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رقية الا من عين أو حمة هكذا رواه ابن ماجه وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد ابن منصور عن هشيم عن حصين ابن عبد الرحمن عن عامر الشعبي عن بريدة موقوفا وفيه قصة وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة قاله الترمذي وروى هذا الحديث الامام البخاري من حديث محمد بن فضيل وأبو داود من حديث مالك بن مغول والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ثلاثتهم عن حصين عن عامر الشعبي عن عمران بن حصين موقوفا حديث أبي ذر جندب بن جنادة قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرعرة ابن البزيد السامي حدثنا ديلم بن غزوان حدثنا وهب بن أبي دبي عن أبي حرب عن محجن عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العين لتولع الرجل باذن الله فيتصاعد حالقا ثم يتردى منه اسناده غريب ولم يخرجوه حديث حابس التميمي قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني حية بن حابس التميمي ان أباه أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا شيء في الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي عن ابي غسان يحيى بن كثير عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال غريب قال وروى شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن حية بن حابس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت كذلك رواه الامام أحمد عن حسين بن موسى وحسين بن محمد عن شيبان بن أبي حية حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله

منهم أن يدخل جنة نعيم) كالمؤمنين المسلمين قال المفسرون كان المشركون يقولون لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلن قبلهم فنزلت الآية قرأ الجمهور يدخل مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل ثم رد الله سبحانه عليهم فقال (كلا انا خلقناهم مما يعلمون) أي من القذر الذي يعلمون به يعني من النطفة المذرة وأبهم اشعارا بأنه منصب يستحي من ذكره فلا ينبغي لهم هذا التكبر وهذا استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا محالا عندهم بعد ردعهم عنه وقيل المعنى انا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو امتثال الامر والنهي وتكميل النفس بالعلم والعمل وتعريضهم للثواب والعقاب كما في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أخرج أحمد وابن ماجه وابن سعد وابن أبي عاصم والباوردي وابن قانع والحاكم والبيهقي في الشعب والضياء عن بسر ابن جحاش قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما للذين كفروا الى قوله مما يعلمون ثم بزق رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفه ووضع عليها أصبعه وقال يقول الله ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أنى أوان الصدقة قال ابن العربي في الفتوحات خلق الله تعالى الناس على أربعة أقسام قسم لا من ذكر ولا من أنثى وهو آدم عليه السلام وقسم من ذكر فقط وهو حواء وقسم من أنثى فقط وهو عيسى عليه السلام وقسم من ذكر وأنثى وهو بقية الناس (فلا أقسم) لا زائدة كما تقدم قريبا والمعنى فأقسم (برب المشارق والمغارب) قرأهما الجمهور بالجمع يعني مشرق كل يوم من أيام السنة ومغربه وقال ابن عباس للشمس كل يوم مطلع تطلع فيه وكل يوم مغرب تغرب فيه غير مطلعها بالامس وغير مغربها بالامس وقيل مشرق كل نجم ومغربه وقرئ بالافراد وقوله (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) جواب القسم والمعنى انا لقادرون على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله حين عصوه ونهلك هؤلاء أو نبدلهم بتحويل الوصف فيكونوا أشد بطشا في الدنيا وأكثر أموالا وأولادا وأعلى قدرا وأكثر حشما وجاها وخدما فيكونوا عندك على قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزء والتصفيق والصفير وكل ما يضيق به صدرك وقد فعل سبحانه ما ذكر من هذه الاوصاف بالمهاجرين والانصار والتابعين لهم

عليه وسلم قال لا بأس فى الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل حديث ابن عباس رضى الله عنه قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن دويد حدثنى اسمعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق العين حق تستنزل الحالق غريب طريق أخرى قال مسلم فى صحيحه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى أخبرنا مسلم بن ابراهيم حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقت العين واذا استغسلتم فاغسلوا انفرد به دون البخارى وقال عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان ابراهيم يعوذ اسحق واسمعيل عليهما السلام أخرجه البخارى وأهل السنن من حديث المنهال به حديث أبى أمامة أسعد ابن سهل بن حنيف رضى الله عنه قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سفيان عن الزهرى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال عامر ابن ربيعة لسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة فما لبث ان لبط به فاتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له أدرك سهلا صريعا قال من تتهمون به قالوا عامر بن ربيعة قال علام يقتل أحدكم أخاه اذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة ثم دعا بماء فأمر عامر أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه الى المرفقين وركبتيه وداخلة ازاره وأمره أن يصب عليه قال سفيان قال معمر عن الزهرى وأمر أن يكفأ الاناء من خلفه وقد رواه النسائى من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهرى به ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضا عن معمر عن الزهرى عن أبى أمامة ويكفأ الاناء من خلفه ومن حديث ابن أبى ذئب عن الزهرى عن أبى أمامة أسعد بن سهل بن حنيف عن أبيه به ومن حديث مالك أيضا عن محمد بن أبى امامة بن سهل عن أبيه به حديث أبى سعيد الخدرى قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من أعين الجان وأعين الانس فلما نزل المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك ورواه الترمذى والنسائى من حديث سعيد بن أبى بن اياس أبى مسعود الجريرى به وقال الترمذى حسن

بالاحسان مع السعة فى الرزق بأخذ أموال الجبارين من كسرى وقيصر والتمكن فى الارض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم ملك الآخرة ففرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا فى مرضاته الانفس والاموال ومن جملة المقسم عليه قوله (وما نحن بمسبوقين) أى بمغلوبين ان أردنا ذلك بل نفعل ما أردنا لا يفوتنا شئ ولا يعجزنا أمر ولكن مشيئتنا وسابق علمنا اقتضيا تأخير عقوبة هؤلاء وعدم تبديلهم بخلق آخر (فذرهم) أى دعهم واتركهم (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم واشتغل بما أمرت به ولا يعظمن عليك ما هم فيه فليس عليك الا البلاغ وهذا تهديد لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) هو يوم كشف الغطاء الذى أوله عند الغرغرة وتناهيه النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين فى داره ومحل استقراره وقيل هو يوم القيامة وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قال البقاعى وابن عادل قرأ الجمهور يلاقوا وقرئ يلقوا وفيه اشارة الى أن التفاعل ليس على بابه (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) يوم بدل من يومهم بدل بعض من كل على ما يقتضيه تفسير يومهم بما ذكر قرأ الجمهور يخرجون على البناء الفاعل وقرئ على البناء للمفعول والاجداث جمع جدث وهو القبر والسراع جمع سريع وانتصابه على الحال من ضمير يخرجون (كأنهم الى نصب يوفضون) قرأ الجمهور نصب بفتح النون وسكون الصاد وهو اسم مفرد بمعنى العلم المنصوب الذى يسرع الشخص نحوه وقال أبو عمرو هو شبكة الصائد يسرع اليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته وقرئ بضمهما وفيه ثلاثة أوجه أحدها انه اسم مفرد بمعنى الصنم المنصوب للعبادة وثانيها انه جمع نصاب ككتب فى كتاب وثالثها انه جمع نصب كرهن فى رهن وسقف فى سقف وجمع الجمع أنصاب وقرئ بفتحتين فعل بمعنى مفعول أى منصوب كالقبض وقرئ بضم فسكون وهى تخفيف من الثانية وقال النحاس نصب ونصب بمعنى واحد وقيل معنى الى نصب الى غاية وهى التى تنصب اليها بصرك وقال الكلبى الى شئ منصوب كعلم أو راية أى كأنهم الى علم يدعون اليه أو راية تنصب لهم يوفضون قال الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التى كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوى أولاهم على آخرهم وقيل معنى يوفضون يسرعون اسراع من ضل عن الطريق الى اعلامها والايفاض الاسراع يقال أوفض

ايفاضا

ايفاضا أي اسراع اسراعا في القاموس وفض يفض وفضا بالسكون وبالتحريك عدا واسرع كأوفض واستوفض والأوفاض الفرق من الناس والاخلاط والجماعة من قبائل شتى كأصحاب الصفة قال ابن عباس في الآية الى علم يستبقون وقيل يسعون وقيل ينطلقون والمعاني متقاربة وانتصاب (خاشعة) على الحال من ضمير يوفضون وهو الاقرب أو من فاعل يخرجون وفيه بعد والخشوع الذلة والخضوع و (أبصارهم) مرتفعة به والمعنى لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب (ترهقهم ذلة) أي تغشاهم ذلة شديدة ضد ما كانوا عليه في الدنيا لان من تعزز فيها عن الحق ذل في الآخرة ومن ذل للحق في الدنيا عز في الآخرة قال قتادة هي سواد الوجوه ومنه غلام مراهق اذا غشيه الاحتلام يقال رهقه بالكسر يرهقه رهقا غشيه ومثل هذا قوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة والجملة مستأنفة أو حال من فاعل يوفضون أو يخرجون (ذلك) الذي تقدم ذكره (اليوم الذي كانوا يوعدون) أي يوعدونه في الدنيا على ألسنة الرسل قد حاق وحضر ووقع بهم من عذابه ما وعدهم الله به وان كان مستقبلا فهو في حكم الذي قد وقع لتحقق وقوعه قال الخطيب وهذا هو العذاب الذي سألوا عنه أول السورة فقد رجع آخرها على أولها

(سورة نوح هي تسع أوثمان (١) وعشرون آية وهي مكية عن الزبير قال نزلت بمكة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أرسلنا نوحا الى قومه) وكانوا جميع أهل الارض من الآدميين أهل عصره ولذلك لما كفروا أغرق الله أهل الارض جميعا وقد تقدم أن نوحا أول رسول أرسله الله بالنهي عن عبادة غير الله لان عبادة غيره انما حدثت في زمن نوح والا فمن المعلوم ان قبله رسلا آدم وشيث وادريس وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ بن قينان بن شيث بن آدم وكان أطول الانبياء عمرا بل أطول الناس وهو أول من شرعت له الشرائع وأول رسول أنذر من الشرك وقد تقدم مدة لبثه في قومه وبيان جميع عمره وبيان السن التي أرسل هو فيها في سورة العنكبوت قيل النوح معناه بالسريانية الساكن (أن أنذر قومك) أي بأن انذر على أنها مصدرية أو هي المفسرة لان في الارسال معنى القول وقرأ ابن مسعود أنذر بدون ان أي فقلنا له أنذر (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) أي شديد الالم وهو عذاب النار على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة وقال الكلبي هو ما نزل بهم من الطوفان (قال

حديث آخر عنه قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب حدثني أبو نضرة عن أبي سعيد ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشتكيت يا محمد قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس وعين والله يشفيك بسم الله أرقيك ورواه عن عفان حدثنا عبد الوارث مثله ورواه مسلم وأهل السنن الا أبا داود من حديث عبد الوارث به وقال الامام أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فأتاه جبريل فقال بسم الله أرقيك من كل (٥٩) شيء يؤذيك من كل حاسد وعين والله يشفيك ورواه أيضا عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد به قال أبو زرعة الرازي روى عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه عن عبد العزيز عن أبي نضرة وعن عبد العزيز عن أنس في معناه وكلاهما صحيح حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق أخرجاه من حديث عبد الرزاق وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا اسمعيل بن علية عن الجريري عن مضارب بن حزم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق تفرد به ورواه أحمد عن اسمعيل بن علية عن سعيد الجريري به وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا ثور يعني ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم وقال أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن معشر عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطيرة في ثلاث في المسكن والفرس والمرأة قال قلت اذا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أصدق الطيرة الفأل والعين حق حديث أسماء بنت عميس قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي قال قالت أسماء يا رسول الله ان بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم قال نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين وكذا رواه الترمذي

(١) ثمان بكسر النون ان أعل اعلال قاض فيكون منقوصا واعرابه على الياء المحذوفة وبرفع النون ان حذفت الياء اعتباطا وتخفيفا لا لعلة تصريفية فيكون كيد ودم اهـ سيد ذو الفقار أحمد سلمه ربه

وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذي أيضا والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة عن أسماء بنت عميس به وقال الترمذي حسن صحيح حديث عائشة رضي الله عنها قال ابن ماجه حدثنا علي بن أبي الخصيب حدثنا وكيع عن سفيان ومسعر عن معبد بن خالد عن عبد الله بن شداد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تسترقي من العين ورواه البخاري عن محمد بن كثير عن سفيان عن معبد بن خالد به وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسعر (٦٠) كلاهما عن معبد به ثم قال ابن ماجه حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو هاشم المخزومي حدثنا وهيب عن أبي واقد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله فان النفس حق تفرد به وقال أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت كان يؤمر العاين فيتوضأ ويغسل منه المعين قلت كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين ابن محمد عن سنان أن ابن حسنة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا (١) الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل حديث سهل بن حنيف قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ان أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو مكة حتى اذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلا أبيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعة أحد بني عدي ابن كعب وهو يغتسل فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا رسول الله هل لك في سهل والله ما يرفع رأسه ولا يفيق قال هل تتهمون فيه من أحد قالوا نظر اليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامرا فتغيظ عليه وقال علام يقتل أحدكم أخاه هلا اذا رأيت ما يعجبك بركت ثم قال له اغتسل فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس حديث عامر بن ربيعة قال الامام أحمد في مسند عامر حدثنا وكيع حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عيسى عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف عن عبيد الله بن عامر قال انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل قال فانطلقا يلتمسان

(١) بياض بأصله

(يا قوم) أضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا على تقدير سؤال (اني لكم نذير) من عقاب الله ومخوف لكم (مبين) أي بين الانذار أو مبين لما فيه نجاتكم بلغة تعرفونها أو أمري بين في نفسه بحيث صار في شدة وضوحه كأنه مظهر لما يتضمنه ينادى بذلك القريب والبعيد والفطن والغبي (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) ان هي التفسيرية لنذير أو هي المصدرية كأختها السابقة أي بأن اعبدوا الله ولا تشركوا به غيره واجتنبوا ما يوقعكم في عذابه وأطيعوني فيما آمركم به فاني رسول اليكم من عند الله وانما أضاف الاطاعة الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله بخلاف العبادة (يغفر لكم من ذنوبكم) هذا جواب الاوامر الثلاثة ومن للتبعيض أي بعض ذنوبكم وهو ما سلف منها قبل طاعة الرسول واجابة دعوته وقيل المراد بالبعض ما لا يتعلق بحقوق العباد فانها لا تغفر بالاسلام وهذا كلام ظاهري اذ الحق انها تغفر من حيث المؤاخذة الاخروية بمعنى انهم لا يعاقبون عليها في الآخرة وان كانت من حيث المؤاخذة عليها في الدنيا لا تغفر فيطالب الكافر اذا أسلم بالحدود كحد القذف وبالمال الذي ظلم به في الكفر تأمل وقيل هي لبيان الجنس وقيل زائدة قاله السدي فان الاسلام يغفر ما قبله وهذا على رأي الاخفش الذي لا يشترط في زيادتها تقدم نفي ولا تنكير مجرورها والاولى هو الوجه الاول وقيل يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها (ويؤخركم الى أجل مسمى) أي يؤخر موتكم الى الامد الاقصى المعلوم المعين الذي قدره الله لكم لا يزيد ولا ينقص بشرط الايمان والطاعة فوق ما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر والعصيان وقيل التأخير بمعنى البركة في أعمارهم ان آمنوا وعدم البركة فيها ان لم يؤمنوا قال مقاتل يؤخركم الى منتهى آجالكم وقال الزجاج أي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير ميتة المستأصلين بالعذاب فالمؤخر انما هو العذاب فلا يخالف هذا قوله ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لان المنفي تأخيره هو الاجل نفسه فلا تخالف بين هذين المحلين وقال الفراء المعنى لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا (ان أجل الله) أي ما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر من العذاب (اذا جاء) وأنتم باقون على الكفر (لا يؤخر) بل يقع لا محالة فبادروا الى الايمان والطاعة وقيل المعنى ان أجل الله وهو الموت اذا جاء لا يمكنكم الايمان وقيل المعنى اذا جاء الموت لا يؤخر سواء كان بعذاب أو بغير عذاب وأضافه

الاجل اليه سبحانه لانه هو الذى أثبته وقد يضاف الى القوم كقوله اذا جاء أجلهم لانه مضروب لهم (لو كنتم تعلمون) شيأ من العلم لسارعتم الى ما أمرتكم به ولعلمتم ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر هذا وقد سئل الشوكانى رحمه الله تعالى عما ورد فى الآيات الكريمات الدالة على أن العمر لا يزيد ولا ينقص والاحاديث الدالة على أن صلة الرحم تزيد فى العمر فأجاب بما لفظه قد طال الكلام فى هذا البحث وقد وقفت قبل الآن بنحو ثمان سنين على مؤلف بسيط لبعض الحنابلة فى خصوص هذه المسئلة وقد غاب عنى اسم الكتاب واسم صاحبه والاحاديث القاضية بأن صلة الرحم تزيد فى العمر أحاديث صحيحة كثيرة منها ما أخرجه البخارى والترمذى من حديث أبى هريرة مرفوعا بلفظ من سره ان يبسط له فى رزقه وان ينسأ له فى أثره فليصل رحمه وعند الترمذى تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل مثراة فى المال منسأة فى الاثر والاثر الاجل وانساؤه تأخيره وأخرج أحمد فى مسنده والبيهقى فى شعب الايمان ورمز السيوطى فى الجامع لصحته من حديث عائشة مرفوعا صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن فى الاعمار وأخرج القضاعى من حديث ابن مسعود مرفوعا صلة الرحم تزيد فى العمر وصدقة السر تطفئ غضب الرب وأخرج الطبرانى فى الاوسط من حديث عمرو بن سهل مرفوعا صلة الرحم مثراة فى المال محبة فى الاهل منسأة فى الاجل اذا تقرر هذا فالعمر محدود ومعلوم لا يتقدم ولا يتأخر الا اذا وصل الرجل رحمه مد الله فى عمره وزاده وهكذا حكم سائر الامور التى وردت الادلة بأنها تزيد فى العمر أو تنقص منه لانها خاصة والخاص مقدم على العام والمقام يحتمل البسط وفى هذا كفاية والله أعلم (قال رب) أى قال نوح مناجيا لربه وحاكيا له ما جرى بينه وبين قومه وهو أعلم به منه (انى دعوت قومى) الى ما أمرتنى بان أدعوهم اليه من الايمان (ليلا ونهارا) أى دعاء دائما دائبا بلا فتور فى الليل والنهار من غير تقصير (فلم يزدهم دعائى) شيأ من أحوالهم التى كانوا عليها (الا فرارا) اعراضا عما دعوتهم اليه وبعدا عنه قال مقاتل يعنى تباعدا من الايمان كأنهم حمر مستنفرة واسناد الزيادة الى الدعاء لكونه سببها كما فى قوله زادتهم ايمانا قرأ الجمهور دعائى بفتح الياء وقرئ باسكانها والاستثناء مفرغ (وانى كلما دعوتهم) الى سبب المغفرة وهو الايمان بك والطاعة لك (لتغفر لهم) أى

الحر قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت اليه فأصبته بعينى فنزل الماء يغتسل قال فسمعت له فى الماء قرقعة فأتيته فناديته ثلاثا فلم يجبنى فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال فجاء يمشى فخاض الماء كأنى أنظر الى بياض ساقيه قال فضرب صدره بيده ثم قال اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها قال فقام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليبرك فان العين حق حديث جابر قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الانصارى ويقال له ابن الضجيع (٦١) ضجيع حمزة رضى الله عنه حدثنى عبد الرحمن ابن جابر بن عبد الله عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من يموت من أمتى بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالانفس قال البزار يعنى العين قال ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم الا بهذا الاسناد قلت بل قد روى من وجه آخر عن جابر قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروى المعروف بشكر فى كتاب العجائب وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة حدثنا الرمادى حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا على بن ابى على الهاشمى حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق لتورد الرجل القبر والجمل القدر وان أكثر هلاك أمتى فى العين ثم رواه عن شعيب بن أيوب عن معاوية ابن هشام عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تدخل الرجل العين فى القبر وتدخل الجمل القدر وهذا اسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه حديث عبد الله بن عمرو قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين بن سعد عن الحسن بن ثوبان عن هشام بن أبى رقية عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق تفرد به أحمد حديث عن على روى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد بن محمد الكشورى حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصرى عن أبى رجاء عن شعبة عن أبى اسحق عن الحرث عن على رضى الله عنه أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فوافقه مغتما فقال يا محمد ما هذا الغم الذى أراه فى وجهك قال الحسن والحسين أصابتهما عين قال صدق بالعين فان العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات قال وما هن يا جبريل قال قل اللهم ذا السلطان العظيم ذا المن القديم ذا الوجه الكريم ولى الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس

الجن وأعين الانس فقالها النبى صلى الله عليه وسلم فقاما يلعبان بين يديه فقال النبى صلى الله عليه وسلم عوّذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ فانه لم يتعوذ المتعوذون بمثله قال الخطيب البغدادى تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الحنطى من أهل تستر ذكره ابن عساكر فى ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه وقوله تعالى ويقولون انه لمجنون أى يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ويقولون انه لمجنون أى بمجيئه بالقرآن قال الله تعالى وماهو الاذكر للعالمين آخر تفسير سورة ن ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الحاقة وهى مكية) (٦٢) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية انا لما طغا الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) الحاقة من أسماء يوم القيامة لان فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله تعالى أمرها فقال وما أدراك ما الحاقة ثم ذكر تعالى اهلاكه الامم المكذبين بها فقال تعالى فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وهى الصيحة التى أسكتتهم والزلزلة التى أسكنتهم هكذا قال قتادة الطاغية الصيحة وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد الطاغية الذنوب وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد انها الطغيان وقرأ ابن زيد كذبت ثمود بطغواها وقال السدى فأهلكوا بالطاغية قال يعنى عقر الناقة وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أى باردة قال قتادة والسدى والربيع بن أنس والثورى عاتية أى شديدة الهبوب قال قتادة عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم وقال الضحاك صرصر باردة عاتية عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة وقال على الخزنة فخرجت بغير حساب سخرها عليهم أى سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى كوامل متتابعات مشائيم قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثورى وغيرهم حسوما متتابعات وعن عكرمة والربيع مشائيم عليهم لقوله تعالى فى أيام نحسات قال الربيع وكان أولها الجمعة وقال غيره الاربعاء ويقال انها

لاجل مغفرتك لهم أو اللام للتعدية ويكون قد عبر عن السبب بالمسبب والاصل دعوتهم للتوبة التى هى سبب فى الغفران فأطلق الغفران وأريد به التوبة (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا يسمعوا صوتى وقال ابن عباس لئلا يسمعوا ما يقول (واستغشوا ثيابهم) أى غطوا بها وجوههم لئلا يرونى وقيل جعلوا ثيابهم على رؤسهم لئلا يسمعوا كلامى فيكون استغشاء الثياب على هذا زيادة فى سد الآذان وقيل هو كناية عن العداوة يقال لبس فلان ثياب العداوة وقيل استغشوا ثيابهم لئلا يعرفهم فيدعوهم وقال ابن عباس ليتنكروا فلا يعرفهم وعنه قال غطوا وجوههم لئلا يروا نوحا ولا يسمعوا كلامه وقد أفادت هذه الآية بالتصريح انهم عصوا نوحا وخالفوه مخالفة لا أقبح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار وباطنا بالاصرار والاستكبار كما قال تعالى (وأصروا) أى استمروا على الكفر ولم يقلعوا عنه ولا تابوا عنه (واستكبروا) عن قبول الحق وعن امتثال ما أمرهم به (استكبارا) شديدا وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم قال ابن عباس تركوا التوبة (ثم انى دعوتهم جهارا) أى مظهرا لهم الدعوة مجاهرا لهم بها وانتصاب جهارا على المصدرية لان الدعاء يكون جهارا ويكون غير جهار فالجهار نوع من الدعاء كقولهم قعد القرفصاء ويجوز أن يكون نعت مصدر محذوف أى دعاء جهارا وان يكون مصدرا فى موضع الحال أى مجاهرا أو ذا جهار أو جعل نفس المصدر مبالغة ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من السر والجمع بين الامرين أغلظ من أحدهما قرأ الجمهور انى بسكون الياء وقرئ بفتحها (ثم انى أعلنت لهم) أى دعوتهم معلنا لهم بالدعاء (وأسررت لهم) الدعوة (اسرارا) كثيرا قيل المعنى أنه يدعو الرجل بعد الرجل يكلمه سرا فيما بينه وبينه والمقصود أنه دعاهم على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة فلم ينجع ذلك فيهم وهكذا يفعل الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر يبتدئ بالاهون ثم بالاشد فالاشد قال مجاهد معنى أعلنت صحت وقيل معنى أسررت أتيتهم فى منازلهم فدعوتهم فيها (فقلت استغفروا ربكم) أى سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة أعيانها وآثارها باخلاص النية (انه كان غفارا) أى كثير المغفرة للمذنبين وقيل المعنى توبوا عن الكفر انه كان غفارا للتائبين (يرسل السماء عليكم مدرارا) أى يرسل ماء السماء عليكم ففيه اضمار (١) وقيل المراد بالسماء المطر والمدرار الدرور وهو التحلب بالمطر

(١) كما فى قول الشاعر اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

بالمطر وانتصابه اما على الحال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا لا يؤنث بل يستوي فيه المذكر والمؤنث تقول امرأة مئناث ومذكار أو على انه نعت لمصدر محذوف أي ارسالا مدرارا وقد تقدم الكلام عليه في سورة الانعام وجزم يرسل لكونه جواب الامر وفي هذه الآية دليل على ان الاستغفار من أعظم أسباب المطر وحصول أنواع الارزاق ومن لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولهذا قال (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات) أي بساتين الدنيا ليكون مما وعدوا به عاجلا (ويجعل لكم أنهارا) جارية قال عطاء المعنى يكثر أموالكم وأولادكم وكانوا يحبونهما فحركوا بهذا على الايمان وأعلمهم نوح عليه السلام ان ايمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا وأعاد فعل الجعل ولم يقل وأنهارا لتغايرهما فان الاول مما لفعلهم فيه مدخل بخلاف الثاني وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألونك أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية ولله دره ما أفقهه قال القشيري من وقعت له حاجة الى الله لم يصل الى مراده الا بتقديم الاستغفار قال الشهاب وليس المراد بالاستغفار مجرد قول استغفر الله بل الرجوع عن الذنوب وتطهير الالسنة والقلوب (ما لكم لا ترجون لله وقارا) أي أي عذر لكم في ترك الرجاء والرجاء هنا الخوف أي مالكم لا تخافون الله والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم والمعنى لا تخافون حق عظمته فتوحدونه وتطيعونه وقيل المعنى مالكم لا تؤملون من الله توقيرا لكم بأن تؤمنوا به فتصيروا موقرين عنده وهذا المعنى هو ما سلكه البيضاوي أولا وقال أبو السعود انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد انتهى وهذا حث على رجاء الوقار لله والمراد الحث على الايمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله فهو من الكناية التلويحية لان من أراد رجاء تعظيم الله وتوقيره اياه آمن به وعبده وعمل صالحا ومن عمل الصالحات رجا ثواب الله وتعظيمه اياه في دار الثواب فان الحث على تحصيل الرجاء مسبوق بالحث على تحصيل الايمان فهو من باب مقدمة الواجب قال الكرخي أي انكم اذا وقرتم نوحا وتركتم استخفافه كان ذلك لاجل الله فما لكم لا ترجون لله وقارا وقال

التي تسميها الناس الاعجاز وكأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية وقيل لانها تكون في عجز الشتاء ويقال أيام العجوز لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فقتلها الريح في اليوم الثامن حكاه البغوي والله أعلم قال ابن عباس خاوية خربة وقال غيره بالية أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الارض فيخر ميتا على أم رأسه فينشدخ رأسه وتبقى جثته كأنها قائمة النخلة اذا خرت بلا أغصان وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى (٦٣) بن الضريس العبدي حدثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مافتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها الا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والارض فلما رأى أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة وقال الثوري عن ليث عن مجاهد الريح لها جناحان وذنب فهل ترى لهم من باقية أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب اليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفا ثم قال تعالى وجاء فرعون ومن قبله قرئ بكسر القاف أي ومن عنده ممن في زمانه من أتباعه من كفار القبط وقرأ آخرون بفتحها أي ومن قبله من الامم المشبهين له وقوله تعالى والمؤتفكات وهم الامم المكذبون بالرسل بالخاطئة وهي التكذيب بما أنزل الله قال الربيع بالخاطئة أي بالمعصية وقال مجاهد بالخطايا ولهذا قال تعالى فعصوا رسول ربهم وهذا جنس أي كل كذب رسول الله اليهم كما قال تعالى ان كل الا كذب الرسل فحق وعيد ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع كما قال تعالى كذبت قوم نوح المرسلين كذبت عاد المرسلين كذبت ثمود المرسلين وانما جاء الى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية أي عظيمة شديدة أليمة قال مجاهد رابية شديدة وقال السدي مهلكة ثم قال تعالى انا لما طغا الماء أي زاد على الحد باذن الله وارتفع على الوجود وقال ابن عباس وغيره طغا الماء كثر وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم أهل الارض

بالطوفان الامن كان مع نوح في السفينة فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن
أبي سنان سعيد بن سنان عن غير واحد عن علي بن أبي طالب قال لم تنزل قطرة من ماء الا بكيل على يدي ملك فلما كان يوم نوح أذن
للماء دون الخزان وطغا الماء على الخزان فخرج فذلك قوله تعالى انا لما طغى الماء أي زاد على الحد باذن الله حملناكم في الجارية ولم
ينزل شيء من الريح الا بكيل على يد ملك الا يوم عاد فانه أذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى بريح صرصر عاتية أي عتت
على الخزان ولهذا قال تعالى ممتنا على الناس انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وهي السفينة الجارية على
وجه الماء لنجعلها لكم تذكرة عاد
الضمير على الجنس لدلالة المعنى
عليه أي وأبقيت لكم من جنسها
ما تركبون على تيار الماء في البحار
كما قال وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون لتستووا على ظهوره
ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه وقال تعالى وآية لهم انا حملنا
ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا
لهم من مثله ما يركبون قال قتادة
أبقى الله السفينة حتى أدركها
أوائل هذه الامة والاول أظهر ولهذا
قال تعالى وتعيها أذن واعية أي
وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن
واعية قال ابن عباس حافظة
سامعة وقال قتادة أذن واعية
عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت
من كتاب الله وقال الضحاك وتعيها
أذن واعية سمعتها أذن ووعت أي
من له سمع صحيح وعقل رجيح وهذا
عام في كل من فهم ووعى وقد
قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة
الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد
ابن صبيح الدمشقي حدثنا زيد بن
يحيى حدثنا علي بن حوشب سمعت
مكحولا يقول لما نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعيها أذن واعية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي أن يجعلها أذن علي قال مكحول فكان علي يقول ما سمعت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيأ قط فنسيته وهكذا رواه ابن جرير عن علي بن سهل عن الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب عن مكحول به وهو حديث
مرسل وقد قال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا جعفر بن محمد بن عامر حدثنا بشر بن آدم حدثنا عبد الله بن الزبير أبو أحمد يعني والد أبي
أحمد الزبيري حدثني صالح بن هشيم سمعت بريدة الاسلمي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك
وان أعلمك وان تعي وحق لك ان تعي قال فنزلت هذه الآية وتعيها أذن واعية ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به ثم

سعيد بن جبير وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون منه
عقابا وقال مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل
وخزاعة ومضر يقولون لم أرج لم أبل وقال قتادة ما لكم لا ترجون لله عاقبة الايمان وقال
ابن كيسان ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن
زيد ما لكم لا تؤدون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له
نعمة وقال ابن عباس لا تعلمون لله عظمة وعنه قال لا تخافون لله عظمة ولا تخشون له
عقابا ولا ترجون له ثوابا وعن علي بن أبي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ناسا
يغتسلون عراة ليس عليهم أزر فوقف فنادى باعلى صوته ما لكم لا ترجون لله وقارا أخرجه
عبد الرزاق في المصنف (وقد خلقكم أطوارا) أي والحال انه سبحانه قد خلقكم على
أطوار مختلفة وأحوال منافية لما أنتم عليه بالكلية فخلقكم تارة عناصر ثم اغذية ثم
اخلاطا ثم نطفا ثم مضغا ثم علقا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر والطور في اللغة
المرة وقال ابن الانباري الطور الحال والهيئة وجمعه أطوار وقيل أطوارا صبيانا ثم شبابا ثم
شيوخا وقيل الاطوار اختلافهم في الافعال والاقوال والاخلاق والمعنى كيف تقصرون
في توقير من خلقكم على هذه الاطوار البديعة تارات وكرات فهذا مما لا يكاد يصدر عن
العاقل ثم لما نبههم سبحانه وتعالى أولا على النظر في أنفسهم لانها أقرب نبههم ثانيا على
النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الدالة على الصانع الحكيم فقال (ألم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا) الخطاب لمن يصلح له والمراد الاستدلال بخلق السموات
على كمال قدرته وبديع صنعه وأنه الحقيق بالعبادة والطباق المتطابقة بعضها فوق
بعض كل سماء مطبقة على الاخرى كالقباب من غير مماسة قال الحسن خلق الله سبع
سموات على سبع أرضين بين كل سماء وسماء وأرض وأرض خلق وأمر وقد تقدم تحقيق
هذا في قوله ومن الارض مثلهن وانتصاب طباقا على المصدرية تقول طابقه طباقا
ومطابقة أو حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات وأقام طباقا مقامه وأجاز الفراء في غير
القرآن جر طباق على النعت (وجعل القمر فيهن نورا) أي منور الوجه الارض
وجعل القمر في السموات مع كونه في سماء الدنيا لانه اذا كان في احداهن فهو فيهن كذا
قال ابن كيسان وأبو السعود قال الاخفش كما تقول أتاني بنو تميم والمراد بعضهم أو لان

رواه ابن جرير من طريق آخر عن داود الاعمى عن بريدة به ولا يصح أيضا (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) يقول تعالى مخبرا عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهى هذه النفخة وقد أكدها ههنا بأنها واحدة لان أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج الى تكرار ولا تأكيد وقال الربيع هى النفخة الاخيرة والظاهر ما قلناه ولهذا قال ههنا وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة أى مدت مد الاديم العكاظى وتبدلت الارض غير الارض فيومئذ وقعت الواقعة قال سماك عن شيخ من بنى أسد عن على قال تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبى حاتم أى قامت القيامة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية وقال ابن جريج هى كقوله وفتحت السماء فكانت أبوابا وقال ابن عباس متخرقة والعرش بحذائها والملك على أرجائها الملك اسم جنس أى الملائكة على أرجاء السماء قال ابن عباس على ما لم يه منها وكذا قال سعيد بن جبير والاوزاعى وقال الضحاك أطرافها وقال الحسن البصرى أبوابها وقال الربيع بن أنس فى قوله والملك على ارجائها يقول على ما استدق من السماء ينظرون الى أهل الارض وقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية أى يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم أو العرش الذى يوضع فى الارض يوم القيامة لفصل القضاء والله أعلم بالصواب وفى حديث عبد الله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب فى ذكر حملة العرش انهم ثمانية أوعال وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد حدثنا زيد بن حباب حدثنى أبو السمح البصرى حدثنا أبو قبيل حيى بن هانئ أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول حملة العرش ثمانية ما بين موق أحدهم الى مؤخر عينه مسيرة مائة عام وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى قال كتب الى أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابورى حدثنى أبى حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لى

كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنه سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما فى كل واحدة منها كأنه فى الكل وقال قطرب فيهن بمعنى معهن أى خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والارض قال ابن عباس وجهه فى السماء الى العرش وقفاه الى الارض وعنه قال خلق فيهن حين خلقهن ضياء لاهل الارض وليس من ضوئه فى السماء شئ (وجعل الشمس) فيهن (سراجا) أى كالمصباح لاهل الارض ليتوصلوا بذلك الى التصرف فيما يحتاجون اليه من المعاش عن ابن عمرو قال الشمس والقمر وجوههما قبل السماء وأقفيتهما قبل الارض وأنا أقرأ بذلك عليكم آية من كتاب الله يعنى هذه الآية وعن ابن عمر قال فى الآية تضيء لاهل السموات كما تضيء لاهل الارض وعن شهر بن حوشب قال اجتمع عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الاحبار وكان بينهما بعض العتب فتعاتبا فذهب ذلك فقال ابن عمرو لكعب سلنى عما شئت فلا تسألنى عن شئ الا أخبرتك بتصديق قولى من القرآن فقال له أرأيت ضوء الشمس والقمر أهو فى السموات السبع كما هو فى الارض قال نعم ألم تر الى قول الله يعنى هذه الآية قال النسفى وأجمعوا على أن الشمس فى السماء الرابعة وضوءها أقوى من نور القمر وقال الخطيب وقيل فى الخامسة وقيل فى الشتاء فى الرابعة وفى الصيف فى السابعة (والله أنبتكم من الارض نباتا) يعنى آدم خلقه الله من أديم الارض والمعنى أنشأكم منها انشاء فاستعير الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكوين من الارض ونباتا اما مصدر لانبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر ويجوز أن يكون مصدر النبت مقدرا أى أنبتكم فنبتم نباتا فيكون منصوبا بالمطاوع المقدر وقال الخليل والزجاج هو مصدر محمول على المعنى لان معنى أنبتكم جعلكم تنبتون نباتا وقيل المعنى والله أنبت لكم من الارض النبات فنباتا على هذا مفعول به قال ابن بحر أنبتهم فى الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر (ثم يعيدكم) فى الارض بعد الموت مقبورين (فيها ويخرجكم) منها بالبعث يوم القيامة (اخراجا) حقا لا محالة (والله جعل لكم الارض بساطا) أى فرشها وبسطها لكم تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم ولم يجعلها مسنمة (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى طرقا واسعة وقال ابن عباس طرقا مختلفة والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع كذا قال الفراء وغيره وقيل هو المسلك بين الجبلين وقد مضى

أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه بخفق الطير سبعمائة عام وهذا اسناد جيد رجاله كلهم ثقات وقد رواه أبو داود في كتاب السنة من سننه حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام هذا لفظ أبي داود وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى ابن المغيرة حدثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة قال وروى عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك وكذا روى السدى (١) عن مالك عن ابن عباس ثمانية صفوف وكذا روى العوفي عنه وقال الضحاك عن ابن عباس الكروبيون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الانس والجن والشياطين والملائكة وقوله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ولهذا قال تعالى لا تخفى منكم خافية وقد قال ابن أبي الدنيا أخبرنا اسحق بن اسمعيل أخبرنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فانه أخف عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الاكبر وقوله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا علي بن علي بن رفاعة عن الحسن عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به وقد رواه الترمذي عن أبي كريب عن وكيع عن علي بن علي عن الحسن عن أبي هريرة به وقد روى ابن جرير عن مجاهد بن موسى عن يزيد عن سليم بن حيان عن مروان الاصغر عن أبي وائل عن عبد الله قال يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان معاذير وخصومات والعرضة الثالثة تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه

(١) بياض بالاصل

تحقيق هذا في سورة الانبياء وفي سورة الحج مستوفى وفي الانبياء تقديم الفجاج فقال فجاجا سبلا لتناسب الفواصل هنا (قال نوح) بعد يأسه من ايمانهم (رب انهم عصوني) أي كلهم استمروا على عصياني ولم يجيبوا دعوتي شكاهم الى الله عز وجل وأخبره بأنهم عصوه ولم يتبعوه وهو أعلم بذلك (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) أي اتبع الاصاغر رؤساءهم وأهل الثروة منهم الذين لم تزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا وطغيانا وكفرا في الدنيا وعقوبة في الآخرة واستمروا على اتباعهم لانهم أحدثوا الاتباع. قرئ ولده بفتح الواو واللام وبضم الواو وسكون اللام وهما سبعيتان وبفتح الاول وسكون الثاني وهي لغة في الولد ويجوز أن يكون جمعا وقد تقدم تحقيقه (ومكروا) أي الرؤساء (مكرا كبارا) قرأ الجمهور بالتشديد أي كبيرا عظيما جدا يقال كبير وكبار وكبار مثل عجيب وعجاب وعجاب وجميل وجمال وجمال قال المبرد كبارا بالتشديد للمبالغة ومثل كبار قراء لكثير القراءة وقرئ بالضم والتخفيف وهو بناء مبالغة أيضا دون الاول وقرئ بكسر الكاف وتخفيف الباء قال أبو بكر هو جمع كبير كأنه جعل مكرا مكان ذنوب أو أفاعيل فلذلك وصفه بالجمع وقال عيسى بن عمر هي لغة يمانية قيل جمع الضمير حملا على معنى من بعد حمله على لفظها في قوله من لم يزده ماله وولده قاله السمين واختلف في مكرهم هذا ما هو فقيل هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح وأذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل هو تغريرهم على الناس بما أوتوا من المال والولد حتى قال الضعفة لولا انهم على الحق لما أوتوا هذا النعم وقال الكلبي هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد وقال مقاتل هو قول كبرائهم لاتباعهم لا تذرن آلهتكم وقيل مكرهم كفرهم وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أي لا تتركوا عبادة آلهتكم وهي الاصنام والصور التي كانت لهم ثم عبدتها العرب من بعدهم وبهذا قال الجمهور (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) أي لا تتركوا عبادة هذه الاوثان قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فنشأ بعدهم قوم يقتدون بهم في العبادة فقال لهم ابليس لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق الى العبادة ففعلوا ثم نشأ قوم من بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك الوقت وسميت هذه الصور بهذه الاسماء لانهم

وآخذ بشماله ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلا مثله (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية) يخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك وانه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه هاؤم اقرؤا كتابيه أي خذوا اقرؤا كتابيه لانه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة لانه ممن بدل الله سيآته حسنات قال عبد الرحمن بن زيد معنى هاؤم اقرؤا كتابيه أي ها اقرؤا كتابيه وأم زائدة كذا قال والظاهر أنها بمعنى هاكم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا بشر بن (٦٧) مطر الواسطي حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا عاصم الاحول عن أبي عثمان قال المؤمن يعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ سيآته فكلما اقرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقروها فيرجع اليه لونه ثم ينظر فاذا سيآته قد بدلت حسنات قال فعند ذلك يقول هاؤم اقرؤا كتابيه وحدثنا أبي حدثنا ابراهيم الوليد بن سلمة حدثنا روح بن عبادة حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني عبد الله ابن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال ان الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي أي يظهر سيآته في ظهر صحيفته فيقول له أنت عملت هذا فيقول نعم أي رب فيقول له اني لم أفضحك به واني قد غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه حين نجا من فضيحته يوم القيامة وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى اذا رأى انه قد هلك قال الله تعالى اني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه وأما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه أي قد كنت موقنا في الدنيا ان هذا اليوم كائن لا محالة كما قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقو ربهم قال الله تعالى فهو في عيشة راضية أي مرضية في جنة عالية أي رفيعة قصورها حسان حورها نعمة دورها دائم حبورها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكري حدثنا اسمعيل بن عياش عن سعد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الاسود قال سمعت أبا أمامة قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتزاور أهل الجنة قال نعم انه ليهبط

لانهم صوروها على صور أولئك القوم وقال عروة بن الزبير وغيره ان هذه كانت أسماء أولاد آدم وكان ود أكبرهم وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم فلما تقادم الزمان تركت الناس عبادة الله فقال لهم الشيطان مالكم لا تعبدون شيأ قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة آبائكم ألا ترون انها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرن آلهتكم الآية قال الماوردي فأما ود فهو أول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل وفيه يقول شاعرهم

حياك ود فانا لا يحل لنا * لهو النساء وان الدين قد غربا

وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر وأما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان وأما يعوق فكان لهمدان في قول قتادة وعكرمة وعطاء وقال الثعلبي كان لكهلان بن سبا ثم توارثوه حتى صار في همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني

يريش الله في الدنيا ويبري * ولا يبري يعوق ولا يريش

وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل قال ابن عباس هذه الاصنام كانت تعبد في زمن نوح قال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة النسر الطائر قال البقاعي ولا يعارض هذا انهم صور لناس صالحين لان تصويرهم لهم يمكن أن يكون منتزعا من معانيهم فكان ود كاملا في الرجولية وكان سواع امرأة كاملة في العبادة وكان يغوث شجاعا وكان يعوق سابقا قويا وكان نسر عظيما طويل العمر ومثله في القرطبي أخرج البخاري وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى

قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت وفى الصحيحين من حديث عائشة ان أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بأرض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولئك كان اذا مات الرجل الصالح منهم بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة قرأ الجمهور ودا بفتح الواو وقرئ بضمها قال الليث ود بضم الواو صنم لقريش وبفتحها صنم كان لقوم نوح وبه سمى عمرو بن ود قال فى الصحاح والود بالفتح الوتد فى لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء وأدغموها فى الدال وقرأ الجمهور يغوث ويعوق بغير تنوين فان كانا عربيين فالمنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل وان كانا عجميين فللعجمة والعلمية وقرئ يغوثا ويعوقا بالنصب مصروفين لامرين أحدهما أنه صرفهما للتناسب اذ قبلهما اسمان منصرفان وبعدهما اسم منصرف كما صرف سلاسل والثانى انه جاء على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا وهى لغة حكاها الكسائى ذكره السمين وقال ابن عطية وذلك وهم ووجه تخصيص هذه الاصنام بالذكر مع دخولها تحت الالهة انها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها ولم يذكر النفى مع يعوق ونسر لكثرة التكرار وعدم اللبس (وقد أضلوا كثيرا) أى وقال نوح قد أضل كبراؤهم ورؤساؤهم كثيرا من الناس وقيل الضمير راجع الى الاصنام أى ضل بسببها كثير من الناس كقول ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس وأجرى عليهم صيغة من يعقل لاعتقاد الكفار الذين يعبدونها انها تعقل (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) معطوف على رب انهم عصونى ووضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم وقال أبو حيان انه معطوف على قد أضلوا ومعنى الا ضلالا الا عذابا كذا قال ابن بحر واستدل على ذلك بقوله ان المجرمين فى ضلال وسعر وقيل الا خسرانا وقيل الا فتنة بالمال والولد وقيل الضياع وقيل ضلالا فى مكرهم وهذا دعاء عليهم من نوح بعد ان أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (مما) ما مزيدة للتأكيد والمعنى من (خطيئاتهم) قرأ الجمهور على جمع السلامة وهى سبعة وقرئ خطاياهم على جمع التكسير وخطيئتهم على الافراد والمعنى من أجلها وبسببها (أغرقوا) بالطوفان قرأ الجمهور من أغرق وقرئ غرقوا بالتشديد (فأدخلوا) عقب الاغراق (نارا)

أهل الدرجة العليا الى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون الى الاعلين تقصر بهم أعمالهم وقد ثبت فى الصحيح ان الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقوله تعالى قطوفها دانية قال البراء بن عازب أى قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره وكذا قال غير واحد قال الطبرانى عن عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية وكذا رواه الضياء فى صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعطى المؤمن جوازا على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية وقوله تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية أى يقال لهم ذلك تفضلا عليهم وامتنانا وانعاما واحسانا والا فقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا ان أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون) وهذا اخبار عن حال الاشقياء اذا أعطى أحدهم كتابه فى العرصات وهى بشماله فحينئذ يندم غاية الندم فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية قال الضحاك يعنى موتة لا حياة بعدها وكذا قال محمد بن كعب والربيع والسدى وقال قتادة تمنى الموت ولم يكن شئ فى الدنيا أكره اليه منه ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه أى لم يدفع عنى مالى ولا جاهى عذاب الله وبأسه بل خلص الامر الى وحدى فلا معين لى ولا مجير فعندها يقول الله عز وجل خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه أى يأمر الزبانية ان تأخذه عنفا من المحشر فتغله أى تضع الاغلال فى عنقه ثم تورده الى جهنم

فتصليه اياها أي تغمره فيها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو قال اذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك ان الملك منهم ليقول هكذا فيلقي سبعين ألفا في النار وروى ابن أبي الدنيا في الاهوال انه يبتدره أربعمائة ألف ولا يبقى شيء الا دقه فيقول مالي ولك فيقول ان الرب عليك غضبان فكل شيء غضبان عليك وقال الفضيل هو ابن عياض اذا قال الرب عز وجل خذوه فغلوه ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه ثم الجحيم صلوه أي اغمروه فيها وقوله تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه قال كعب الاحبار كل حلقة منها قدر (٦٩) حديد الدنيا وقال العوفي عن ابن عباس وابن جريج بذراع الملك وقال ابن جريج قال ابن عباس فاسلكوه تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى وقال العوفي عن ابن عباس يسلك من دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق أخبرنا عبد الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى جمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها أو أصلها وأخرجه الترمذي عن سويد بن سعيد عن عبد الله ابن المبارك به وقال هذا حديث حسن وقوله تعالى انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم فان لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيأ وللعباد بعضهم على بعض حق الاحسان والمعاونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله باقام الصلاة وايتاء الزكاة وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم وقوله تعالى فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب ولا شفيع يطاع ولا طعام له ههنا الا من غسلين قال قتادة هو شر طعام أهل النار وقال الربيع والضحاك هو شجرة في جهنم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس قال ما أدري ما الغسلين

وهي نار الآخرة وهذا من التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه نحو أتى أمر الله وقيل عذاب القبر وعلى هذا هو على بابه كقوله في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أي لم يجدوا أحدا يمنعهم من عذاب الله ويدفعه عنهم (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) يعني لما أيس نوح عليه السلام من ايمانهم واقلاعهم عن الكفر دعا عليهم بالهلاك قال قتادة دعا عليهم بعد ان أوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فأجاب الله دعوته وأغرقهم وقال محمد بن كعب ومقاتل والربيع بن أنس وابن زيد وعطية انما قال هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام النساء وأصلاب الآباء قبل العذاب بسبعين سنة وقيل بأربعين قال قتادة لم يكن فيهم صبي وقت العذاب وقال الحسن وأبو العالية لو أهلك الله أطفالهم معهم كان عذابا من الله وعدلا فيهم ولكن أهلك ذريتهم وأطفالهم بغير عذاب ثم أهلكهم بالعذاب ومعنى ديارا من يسكن الديار ويدور في الارض وأصله ديوار على فيعال من دار يدور فقلبت الواو ياء وأدغمت احداهما في الاخرى مثل القيام أصله قيوام وقال القتيبي أصله من الدار أي نازل بالدار يقال ما بالدار ديار ودور أي أحد كقيام وقيوم وهو من الاسماء المستعملة في النفي العام وقيل الديار صاحب الديار والمعنى لا تدع أحدا منهم الا أهلكته وقيل هو مأخوذ من الدوران وهو التحرك قال سليمان الجمل انظر ما الحكمة في تأخيره عن قوله مما خطيئاتهم أغرقوا مع ان مقتضى الظاهر تقديمه عليه لكونه سببا لاغراقهم تأمل ثم رأيت أبا السعود قال هذا عطف على نظيره السابق وقوله مما خطيئاتهم اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من أول الامر بأن ما أصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطاياهم التي عددها نوح واشارة الى أن استحقاقهم للاهلاك لاجلها اهـ كلام الجمل (انك ان تذرهم) أي ان تركتهم على الارض (يضلوا عبادك) عن طريق الحق (ولا يلدوا الا فاجرا) بترك طاعتك (كفارا) لنعمتك أي كثير الكفران لها والمعنى الا من سيفجر ويكفر ففي الكلام مجاز الاول لانهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدها بزمان طويل وقال عليه السلام هذا القول لعلمه بالتجربة من أحوالهم ان أولادهم يكونون مثلهم ثم لما دعا على الكافرين أتبعه بالدعاء لنفسه ولوالديه وللمؤمنين فقال (رب اغفر لي ولوالدي) قرأ

ولكني أطعمه الزقوم وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الغسلين الدم والماء يسيل من لحومهم وقال علي بن أبي طلحة عنه الغسلين صديد أهل النار (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) يقول تعالى مقسما لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم ان القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة واداء الامانة فقال (٧٠) تعالى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اضافه اليه على معنى التبليغ لان الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا اضافه في سورة التكوير الى الرسول الملكي انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وهذا جبريل عليه السلام ثم قال تعالى وما صاحبكم بمجنون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولقد رآه بالافق المبين يعني أن محمدا رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وما هو على الغيب بضنين أي بمتهم وما هو بقول شيطان رجيم وهكذا قال ههنا وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون فاضافه تارة الى قول الرسول الملكي وتارة الى الرسول البشري لان كلا منهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ولهذا قال تعالى تنزيل من رب العالمين قال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح بن عبيد قال قال عمر بن الخطاب خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرأ انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال فقلت كاهن قال فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين الى آخر السورة قال فوقع الاسلام في قلبي كل موقع فهذا من جملة الاسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما أوردنا كيفية اسلامه في سيرته المفردة ولله الحمد والمنة (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه

العامة بكسر اللام وفتح الدال على انه تثنية والد يريد أبويه وكانا مؤمنين وأبوه لامك أو لمك بفتحتين أو بفتح فسكون ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس وأمه شمخا بوزن سكرى بنت أنوش وقيل أراد آدم وحواء والاول أولى وقال سعيد بن جبير أراد بوالديه أباه وجده وقرئ ولوالدي بكسر الدال على الافراد وعلى التثنية يعني ابنيه ساما وحاما وقرئ ولوالدي بكسر الدال يعني أباه فيجوز أن يكون أراد أباه الاقرب الذي ولده وخصه بالذكر لانه أشرف من الام وان يريد جميع من ولده من لدن آدم الى من ولده (ولمن دخل بيتي) قال الضحاك والكلبي يعني مسجده وقيل منزله الذي هو ساكن فيه وقيل سفينته وقيل لمن دخل في دينه وانتصاب (مؤمنا) على الحال أي لمن دخل بيتي متصفا بصفة الايمان فيخرج من دخله غير متصف بهذه الصفة كامرأته وولده الذي قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء ثم عمم الدعوة فقال (وللمؤمنين والمؤمنات) أي واغفر لكل متصف بالايمان من الذكور والاناث ثم عاد الى الدعاء على الكافرين فقال (ولا تزد الظالمين الا تبارا) مفعول ثان والاستثناء مفرغ أي لا تزد المتصفين بالظلم الا هلاكا وخسرانا ودمارا فاهلكوا وغرق معهم صبيانهم أيضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم باراءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم وفي الحديث يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقد يشمل دعاؤه هذا كل ظالم الى يوم القيامة كما شمل دعاؤه للمؤمنين والمؤمنات كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة

(سورة الجن ثمان وعشرون آية وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع)

عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن عائشة وابن الزبير مثله وتسمى سورة قل أوحي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل) يا محمد للناس (أوحي الي) ليعرفوا بذلك وانك مبعوث الى الجن كالانس ولتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن وعرفوا اعجازه آمنوا وقرأ الجمهور أوحي رباعيا وقرئ وحي ثلاثيا وهما لغتان والمعنى أخبرت بالوحي من الله (انه استمع نفر من الجن) واختلف هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لم يرهم فظاهر القرآن انه لم يرهم لان المعنى قل يا محمد لامتك أوحي الي على لسان جبريل انه استمع نفر من الجن ومثله قوله واذ صرفنا اليك نفرا

حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم)
يقول تعالى ولو تقول علينا أي محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفتريا علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيأ من عنده فنسبه الينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة ولهذا قال تعالى لاخذنا منه باليمين قيل معناه لانتقمنا منه باليمين لانها أشد في البطش وقيل لاخذنا بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس وهو نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلق فيه وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحاكم وقتادة والضحاك ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد (٧١) وقال محمد بن كعب هو القلب ومراقه وما يليه

وقوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه اذا أردنا به شيأ من ذلك والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لان الله عزوجل مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات ثم قال تعالى وانه لتذكرة للمتقين يعني القرآن كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ثم قال تعالى وانا لنعلم أن منكم مكذبين أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن ثم قال تعالى وانه لحسرة على الكافرين قال ابن جرير وان التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة وحكاه عن قتادة بمثله وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك وانه لحسرة على الكافرين يقول لندامة ويحتمل عود الضمير على القرآن أي وان القرآن والايمان به لحسرة في نفس الامر على الكافرين كما قال تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولهذا قال ههنا وانه لحق اليقين أي الخبر الصدق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب ثم قال تعالى فسبح باسم ربك العظيم أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم آخر تفسير سورة الحاقة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة سأل سائل وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) سأل سائل بعذاب واقع فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده أي وعذابه واقع لا محالة قال النسائي حدثنا بشر بن خالد

من الجن يستمعون القرآن ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيح قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ومارآهم وروى ابن مسعود أنه رآهم ورجحه العلماء والحق صحتهما وان الاول وقع أولا ثم نزلت السورة ثم أمر بالخروج اليهم قال عكرمة والسورة التي كان يقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي اقرأ باسم ربك الذي خلق وقد تقدم في سورة الاحقاف ذكر ما يفيد زيادة في هذا والنفر اسم للجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة قال البغوي كانوا تسعة وقيل سبعة وقد اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت وجود الجن فأنكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف به جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا أنهم أسرع اجابة من الارواح الفلكية الا أنهم أضعف وأما جمهور أرباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجودهم لكن اختلفوا في ماهيتهم وقد نطق الكتاب العزيز والسنة المطهرة بوجودهم فلا اعتداد بمنكريهم واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل قال الضحاك والجن ولد الجان وليسوا بشياطين وقال الحسن انهم ولد ابليس وقيل هم اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة لابدانها وقد اختلف أهل العلم في دخول مؤمني الجن الجنة كما تدخل عصاتهم النار لقوله في سورة تبارك وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وقول الجن فيما سيأتي في هذه السورة وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وغير ذلك من الآيات فقال الحسن يدخلون الجنة وقال مجاهد لا يدخلونها وان صرفوا عن النار والاول أولى لقوله في سورة الرحمن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وفي سورة الرحمن آيات غير هذه تدل على ذلك فراجعها وقد قدمنا أن الحق انه لم يرسل الله اليهم رسلا منهم بل الرسل جميعا من الانس وان أشعر قوله قد أرسلنا اليكم رسلا منكم بخلاف هذا فهو مدفوع الظاهر بآيات كثيرة في الكتاب العزيز دالة على ان الله سبحانه لم يرسل الرسل الا من بني آدم وهذه الابحاث الكلام فيها يطول والمراد الاشارة باخصر عبارة قال ابن مسعود في الآية كانوا من جن نصيبين وقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن ابن عباس قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين

حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع قال النضر بن الحرث بن كلدة وقال العوفي عن ابن عباس سأل سائل بعذاب واقع قال ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى سأل سائل دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة قال وهو قولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقال ابن زيد وغيره سأل سائل بعذاب واقع أي واد

وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق

في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب عليه وقوله تعالى واقع للكافرين أي مرصد معد للكافرين وقال ابن عباس واقع جاء ليس له دافع أي لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى من الله ذي المعارج قال الثوري عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ذي المعارج قال ذو الدرجات وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ذي المعارج يعني العلو والفواضل وقال مجاهد ذي المعارج معارج السماء وقال قتادة ذي الفواضل والنعم وقوله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد وأما الروح فقال أبو صالح هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا أناسا قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال عن زاذان عن البراء مرفوعا الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة والله أعلم بصحته فقد تكلم في بعض رواته ولكنه مشهور وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق ابن أبي الدنيا عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فيه أربعة أقوال * أحدها أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين وهو قرار الأرض السابعة وذلك مسيرة خمسين ألف سنة هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض

خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها لتعرفوا ما هذا الأمر الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن وإنما أوحي إليه قول الحق (فقالوا) لقومهم لما رجعوا إليهم (إنا سمعنا قرآنا) أي كلاما مقروأ (عجبا) في فصاحته وبلاغته وغزارة معانيه وغير ذلك وقيل عجبا في مواعظه وقيل في بركته وعجبا مصدر وصف به للمبالغة أو على حذف المضاف أي ذا عجب أو المصدر بمعنى اسم الفاعل أي معجبا (يهدي إلى الرشد) أي إلى مراشد الأمور وهي الحق والصواب والإيمان وقيل إلى معرفة الله والتوحيد والجملة صفة أخرى للقرآن (فآمنا به) أي صدقنا بأنه من عند الله (ولن نشرك) بعد اليوم (بربنا أحدا) من خلقه ولا نتخذ معه إلها آخر لأنه المتفرد بالربوبية وفيه دليل على أن أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل نصارى وقيل مجوسا ومشركين وفي هذا توبيخ للكفار من بني آدم حيث آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله وآمنوا به ولم ينتفع كفار الإنس لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم بسماعه مرارا متعددة وتلاوته عليهم في أوقات مختلفة مع كون الرسول منهم يتلوه عليهم بلسانهم لا جرم صرعهم الله أذل مصرع وقتلهم أقبح مقتل ولعذاب الآخرة أشد لو كانوا يعلمون (وأنه تعالى جد ربنا) قرئ بفتح أن وكذا فيما بعدها وذلك أحد عشر موضعا إلى قوله وأنه لما قام عبد الله وقرئ بالكسر في هذه المواضع كلها إلا في قوله وأن المساجد لله فإنهم اتفقوا على الفتح أما من قرأ بالفتح في هذه المواضع فعلى العطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا الخ وأما من قرأ بالكسر في هذه المواضع فعلى العطف على إنا سمعنا أي فقالوا إنا سمعنا قرآنا وقالوا إنه تعالى جد ربنا الخ واختار أبو حاتم وأبو عبيدة قراءة الكسر لأنه كله من كلام الجن ومما هو محكي عنهم بقوله فقالوا إنا سمعنا وقرئ بالفتح في ثلاثة مواضع

وهي وانه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وانه كان رجال من الانس لانه من الوحي وكسر ما بقي لانه من كلام الجن وقرأ الجمهور وأنه لما قام عبد الله بالفتح لانه معطوف على قوله أنه استمع وقرئ بالكسر في هذا الموضع عطفا على فآمنا به بذلك التقدير السابق واتفقوا على الفتح في أنه استمع كما اتفقوا على الفتح في أن المساجد وفي وأن لو استقاموا واتفقوا على الكسر في فقالوا انا سمعنا وقال انما أدعو ربي وقل ان أدري وقل اني لا أملك لكم والجد عند أهل اللغة العظمة والجلال يقال جد في عيني أي عظم فالمعنى ارتفع عظمة ربنا وجلاله وبه قال عكرمة ومجاهد وقال الحسن المراد تعالى غناؤه ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود أي محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال أبو عبيد والخليل لانه لا ينفع ذا الغنى منك الغنى أي وانما ينفعه الطاعة وقال القرطبي والضحاك جده آلاؤه ونعمه على خلقه وقال ابن عباس آلاؤه وعظمته وأمره وقدرته وقال أبو عبيدة والاخفش ملكه وسلطانه وقال السدي أمره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا أي تعالى ربنا وقيل جده قدرته وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع بن أنس ليس لله جد وانما قالته الجن للجهالة والجد أيضا أبو الاب قرأ الجمهور جد بفتح الجيم وقرئ بكسرها وهو ضد الهزل وقرئ جدى ربنا أي جدواه ومنفعته وقرئ بتنوين جد ورفع ربنا على انه بدل من جد (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) هذا بيان لتعالى جده سبحانه قال الزجاج تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص وكأن الجن نبهوا بهذا على خطأ الكفار الذين ينسبون الى الله الصاحبة والولد ونزهوا الله سبحانه عنهما (وانه كان يقول سفيهنا) أي جاهلنا (على الله شططا) أي غلوا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد والضمير في انه للحديث أو الامر وسفيهنا يجوز أن يكون اسم كان ويقول الخبر ويجوز أن يكون سفيهنا فاعل يقول والجملة خبر كان واسمها ضمير يرجع الى الحديث أو الامر ويجوز أن تكون كان زائدة ومرادهم بسفيههم عصاتهم ومشركوهم وقال مجاهد وابن جريج وقتادة أرادوا به ابليس عن أبي موسى الاشعري مرفوعا قال ابليس أخرجه ابن مردويه والديلمي قال السيوطي بسند واه والشطط الغلو في الكفر وقال أبو مالك الجور وقال الكلبي الكذب وأصله البعد عن القصد ومجاوزة الحد (وانا ظننا أن

السابعة وكذلك اتساع العرش من قطر الى قطر مسيرة خمسين ألف سنة وانه من ياقوتة حمراء كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا اسحق بن ابراهيم أخبرنا حكام عن عمرو بن معمر بن معروف عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال منتهى أمره من أسفل الارضين الى منتهى أمره من فوق السموات مقداره خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك تنزل الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكام بن سالم عن عمرو بن معرف عن ليث عن مجاهد قوله لم يذكر ابن عباس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابراهيم بن منصور حدثنا نوح المعروف عن عبد الوهاب ابن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس قال غلظ كل أرض خمسمائة عام وبين كل أرض الى أرض خمسمائة عام فذلك سبعة آلاف عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء الى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة القول الثاني أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم الى قيام الساعة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة أخبرنا ابراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال الدنيا عمرها خمسون ألف سنة وذلك عمرها يوم سماها الله عز وجل تعرج الملائكة والروح اليه في يوم قال اليوم الدنيا وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال الدنيا من أولها الى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحد كم مضى ولا كم بقي الا الله عز وجل القول الثالث أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جدا قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا بهلول بن المورق حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني محمد بن كعب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة القول الرابع أن المراد بذلك يوم

القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال يوم القيامة واسناده صحيح ورواه الثوري عن سماك بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك قال الامام (٧٤) أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن دراج به الا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر العداني قال كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة ردوه الي فردوه فقال نبئت انك ذو مال كثير فقال العامري اي والله ان لي لمائة حمرا ومائة أدما حتى عد من ألوان الابل وأفنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة اياك واخفاف الابل واظلاف النعم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال ماذاك يا أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت له ابل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها قلنا يا رسول الله ما نجدتها ورسلها قال في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه باخفافها فاذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله واذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وأشره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء اذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان

لن تقول الانس والجن على الله كذبا) أي انا حسبنا ان الانس والجن كانوا لا يكذبون على الله بأن له شريكا وصاحبة وولدا فلذلك صدقناهم في ذلك حتى سمعنا القرآن فعلمنا بطلان قولهم وبطلان ما كنا نظنه بهم من الصدق وانتصاب كذبا على انه مصدر مؤكد لتقول لان الكذب نوع من القول أو صفة لمصدر محذوف أي قولا كذبا وقرئ ان لن تقول من التقول فعلى هذا كذبا مفعول به (وانه كان رجال) في الجاهلية (من الانس يعوذون) أي يستعيذون (برجال من الجن) حين ينزلون في سفرهم بمخوف قال الحسن وابن زيد وغيرهما كان العرب اذا نزل الرجل بواد قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جواره حتى يصبح فنزلت هذه الآية قال مقاتل كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن ثم من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وعن عكرمة بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي أنا جارك فنادى مناد يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم وأنزل الله على رسوله بمكة وانه كان رجال الآية وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند (فزادوهم) أي زاد رجال الجن من يعوذ بهم من رجال الانس أو زاد المستعيذون من رجال الانس من استعاذوا بهم من رجال الجن (رهقا) لان المستعاذ بهم كانوا يقولون سدنا الجن والانس وبالاول قال مجاهد وقتادة وبالثاني قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله ترهقهم ذلة أي تغشاهم وقيل الرهق الخوف أي ان الجن زادت الانس بهذا التعوذ بهم خوفا منهم وقيل كان الرجل من الانس يقول أعوذ بفلان من سادات العرب من جن هذا الوادي ويؤيد هذا ما قيل من أن لفظ رجال لا يطلق على الجن فيكون قوله برجال وصفا لمن يستعيذون به من رجال الانس أي يعوذون بهم من شر الجن وهذا فيه بعد واطلاق لفظ رجال على الجن على تسليم عدم صحته لغة لا مانع من اطلاقه عليهم هنا من باب المشاكلة قال ابن عباس كان القوم في الجاهلية اذا نزلوا بالوادي قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من شر ما فيه فلا يكون شئ أشد ولعا منهم بهم فذلك قوله فزادوهم رهقا (وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) أي

وان الجن ظنوا كما ظننتم أيها الناس أنه لا بعث بعد الموت فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به وقيل المعنى وان الانس ظنوا كما ظننتم أيها الجن على انه كلام بعض الجن لبعض والمعنى أنهم لا يؤمنون بالبعث كما انكم لا تؤمنون به وهذان القولان من كلام الله تعالى معترضان في خلال كلام الجن المحكي عنهم عند بعض المفسرين وعند بعضهم هما من جملة كلام الجن وعليه فلا اعتراض في الكلام تأمل (وانا لمسنا السماء) هذا من قول الجن أيضا أي طلبنا خبرها كما جرت به عادتنا واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) أي جمعا أقوياء من الملائكة يحرسونها عن استراق السمع والحرس جمع حارس وهو الرقيب والمصدر الحراسة وقيل اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا (وشهبا) جمع شهاب وهو الشعلة المقتبسة من نار الكوكب كما تقدم بيانه في تفسير قوله وجعلناها رجوما للشياطين (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) أي وانا كنا معشر الجن قبل هذا نقعد من السماء مواضع نقعد في مثلها الاستماع الاخبار من السماء وللسمع متعلق بنقعد أي لاجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد أي مقاعد كائنة للسمع والمقاعد جمع مقعد اسم مكان وذلك ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليسمعوا من الملائكة أخبار السماء فيلقونها الى الكهنة فحرسها الله سبحانه ببعثة رسوله صلى الله عليه وسلم بالشهب المحرقة عن ابن عباس قال كانت الشياطين لهم مقاعد في السماء يسمعون فيها الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ما هذا الا من أمر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين بمكة فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض أخرجه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي أرصد له ليرمى به أو لاجله لمنعه من الاستماع وقوله الآن هو ظرف للحال واستعير هنا للاستقبال لانهم لا يريدون به وقت قولهم فقط وانتصاب رصدا على انه صفة لشهابا أو مفعول له وهو مفرد ويجوز أن يكون اسم جمع كالحرس وقد اختلف أهل العلم هل كانت الشياطين ترمى بالشهب وتقذف قبل المبعث أم لا فقال قوم لم يكن ذلك

مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله وإذا كانت له غنم لا يعطى حقها في نجدتها ورسلها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وأشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله فقال العامري وما حق الابل يا أبا هريرة قال ان تعطى الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقي الابل وتطرق الفحل وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به طريق أخرى لهذا الحديث قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه الا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وذكر بقية الحديث في الغنم والابل كما تقدم وفيه الخيل الثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر الى آخره ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفردا به دون البخاري من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الاحكام والغرض من ايراده ههنا قوله حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن عيينة وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن قوله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فأيهم (٣) فقال ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقال انما سألتك لتحدثني قال هما يومان ذكرهما الله الله أعلم بهما وأكره ان أقول في كتاب الله بما لا أعلم وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعادا لوقوعه كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ولهذا قال انهم يرونه بعيدا أي وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع ونراه قريبا أي المؤمنون يعتقدون كونه قريبا وان كان له أمد لا يعلمه الا الله عز وجل لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة (يوم تكون السماء كالمهل وتكون

(٣) قوله قال فأيهم فقال ما الى آخر الاثر هكذا في النسخ التي بأيدينا وحرر اه

الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى) يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين يوم تكون السماء كالمهل قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد أي كدردي الزيت وتكون الجبال كالعهن أي كالصوف المنفوش قاله مجاهد وقتادة والسدي وهذه الآية كقوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش

وقوله تعالى ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الاحوال فتشغله نفسه عن غيره قال العوفي عن ابن عباس يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق وكقوله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وكقوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وكقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقوله تعالى يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الارض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الارض ذهبا أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة اذا رأى الاهوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه قال مجاهد والسدي فصيلته قبيلته وعشيرته وقال عكرمة فخذه الذي هو منهم وقال أشهب عن مالك فصيلته أمه وقوله تعالى انها لظى يصف النار وشدة حرها نزاعة للشوى قال ابن عباس ومجاهد جلدة الرأس وقال العوفي عن ابن عباس نزاعة للشوى الجلود والهام وقال مجاهد ما دون العظم من اللحم وقال سعيد بن جبير العصب وقال أبو صالح نزاعة للشوى يعني أطراف اليدين والرجلين وقال أيضا نزاعة للشوى لحم الساقين وقال الحسن البصري وثابت البناني نزاعة للشوى أي مكارم وجهه وقال الحسن أيضا تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح وقال قتادة نزاعة للشوى أي نزاعة لهامته

وحكى الواحدي عن معمر قال قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله وانا كنا نقعد منها الآية قال غلظ وشدد أمرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم قد كان قبل مبعثه ولكنه لم يكن مثله في شدة الحراسة بعد مبعثه وكانوا يسترقون السمع في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلا وقال عبد الملك بن سابور لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم حرست السماء ورميت الشياطين بالشهب ومنعت من الدنو الى السماء وقال نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رميت بالشهب قال الزمخشري والصحيح انه كان قبل البعث فلما بعث صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وقد تقدم البحث عن هذا (وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض) بسبب هذه الحراسة للسماء وارتفاع الشر على الاشتغال أو على الابتداء وخبره ما بعده والاول أولى لتقدم طالب الفعل وهو اداة الاستفهام وأطال السمين في بيان ذلك (أم أراد بهم ربهم رشدا) أي خيرا قال ابن زيد قال ابليس لا ندري أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الارض عذابا أو يرسل اليهم رسولا والجملة سادة مسد مفعولي ندري والاولى ان هذا من قول الجن فيما بينهم وليس من قول ابليس كما قال ابن زيد (وانا منا الصالحون) أي قال بعض لبعض لما دعوا أصحابهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وانا كنا قبل استماع القرآن منا الموصوفون بالصلاح (ومنا دون ذلك) أي قوم دون الموصوفين بالصلاح وقيل أراد بأهل الصلاح المؤمنين وبمن هم دون ذلك الكافرين والاول أولى وقال ابن عباس يقول منا المسلم ومنا المشرك (كنا طرائق قددا) أي جماعات متفرقة وفرقا شتى وأصنافا مختلفة وذوي مذاهب متفاوتة والقدة القطعة من الشيء وصار القوم قددا اذا تفرقت أحوالهم واستعمال القدد في الفرق مجاز والمعنى كنا ذوي طرائق قددا أو كانت طرائقنا طرقا قددا أو كنا مثل طرائق قددا أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة وقال السدي والضحاك أديانا مختلفة وقال قتادة أهواء متباينة وقال ابن عباس أهواء شتى وقال سعيد بن المسيب كانوا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوسا وكذا قال مجاهد قال الحسن الجن أمثالكم

قدرية

ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه وقال الضحاك تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيأ وقال ابن زيد الشوى الآراب العظام فقوله نزاعة قال تقطع عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم وقوله تعالى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى أى تدعو النار اليها أبناءها الذين خلقهم الله لها وقدر لهم أنهم فى الدار الدنيا يعملون عملها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك أنهم كما قال الله عز وجل كانوا ممن أدبر وتولى أى كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه وجمع فأوعى أى جمع المال بعضه على بعض فأوعاه أى أوكاه ومنع

حق الله منه من الواجب عليه فى النفقات ومن اخراج الزكاة وقد ورد فى الحديث ولا توعى فيوعى الله عليك وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيسا ويقول سمعت الله يقول وجمع فأوعى وقال الحسن البصرى يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا وقال قتادة فى قوله وجمع فأوعى قال كان جموعا منوعا الحديث (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون) يقول تعالى مخبرا عن الانسان وما هو مجبول عليه من الاخلاق الدنيئة ان الانسان خلق هلوعا ثم فسره بقوله اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا أى اذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير واذا مسه الخير منوعا أى اذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن على بن رباح سمعت أبى يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر ما فى رجل شح هالع وجبن خالع ورواه أبو داود عن عبد الله ابن الجراح عن أبى عبد الرحمن المقرى به وليس لعبد العزيز عنده سواه ثم قال تعالى الا المصلين أى الانسان من حيث هو متصف

قدرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة وسنية وكذا قال السدى (وانا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين أى وانا علمنا وتيقنا بالتفكر والاستدلال فى آيات الله (أن لن نعجز الله فى الارض) أينما كنا فيها ولن نفوته بهرب ولا غيره ان أراد بنا أمرا (ولن نعجزه هربا) مصدر فى موضع الحال أى ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وانا لما سمعنا الهدى) يعنون القرآن (آمنا به) وصدقنا انه من عند الله ولم نكذب به كما كذبت به كفرة الانس (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أى لا يخاف نقصا فى عمله وثوابه ولا ظلما ومكروها يغشاه والبخس النقصان والرهق العدوان والطغيان والمعنى لا يخاف أن ينقص من حسناته ولا أن يزاد فى سيئاته وقد تقدم تحقيق الرهق قريبا قرأ الجمهور بخسا بسكون الخاء وقرئ بفتحها وقرئ فلا يخف جزما على جواب الشرط ولا وجه لهذا بعد دخول الفاء والتقدير فهو لا يخاف والامر ظاهر وفى الآية دليل على أن العمل ليس من الايمان قاله النسفى (وانا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) أى الجائرون الكافرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق ومالوا الى طريق الباطل يقال قسط اذا جار وأقسط اذا عدل قال ابن عباس القاسطون العادلون عن الحق وعن سعيد بن جبير أن الحجاج قال له حين أراد قتله ما تقول فىّ قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سمانى ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ذكره الخطيب (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق الحق وتوخوه باجتهاد ومنه التحرى فى الشئ قال الراغب حرى الشئ يحريه أى قصد حراه أى جانبه وتحراه كذلك وقال الفراء أموا الهدى قال النسفى تحرى طلب الأحرى أى الاولى وفيه دليل على ان الجن يثاب بالجنة (وأما القاسطون فكانوا) فى علم الله (لجهنم حطبا) أى وقودا للنار يوقد بهم كما يوقد بكفرة الانس وفيه دليل على أن الجنى الكافر يعذب فى النار وانهم وان خلقوا منها لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فصاروا كالجماد وما هكذا قيل وأيضا النار قويها قد يأكل ضعيفها فيكون الضعيف حطبا للقوى (وأن لو استقاموا على الطريقة) قرأ الجمهور بكسر الواو من لو لالتقاء الساكنين وقرئ بضمها تشبيها بواو الضمير وهذا ليس

بصفات الذم الا من عصمه الله ووفقه وهداه الى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون الذين هم على صلاتهم دائمون قيل معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها قاله ابن مسعود ومسروق وابراهيم النخعى وقيل المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون قاله عقبة بن عامر ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد وهذا يدل على وجوب الطمأنينة فى الصلاة فان الذى لا يطمئن فى ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته لانه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح فى صلاته وقيل المراد بذلك الذين اذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه كما جاء فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل وفى لفظ ما داوم عليه صاحبه قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عمل عملا داوم عليه وفى لفظ أثبته وقال قتادة فى قوله تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو ثمود ما أخذتهم الصيحة فعليكم بالصلاة فانها خلق للمؤمنين حسن وقوله تعالى والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم أى فى أموالهم نصيب مقرر لذوى الحاجات وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الذاريات وقوله تعالى والذين يصدقون بيوم الدين أى يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب ولهذا قال تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون أى خائفون وجلون ان عذاب ربهم غير مأمون أى لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره الا بأمان من الله تبارك وتعالى وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون أى يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فى غير ما أذن الله فيه ولهذا قال تعالى الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم أى من الاماء فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقد تقدم تفسير هذا فى أول سورة قد أفلح المؤمنون بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون أى اذا ائتمنوا لم يخونوا واذا عاهدوا لم يغدروا وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد فى الحديث الصحيح آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وفى رواية اذا حدث كذب

من قول الجن بل هو معطوف على انه استمع نفر من الجن والمعنى وأوحى الى أن الشأن لو استقام الجن والانس أو كلاهما على الطريقة وهى طريقة الاسلام وقد قدمنا ان القراء اتفقوا على فتح ان ههنا قال ابن الانبارى والفتح ههنا على اضمار يمين تأويلها والله أن لو استقاموا على الطريقة كما يقال فى الكلام والله لو قمت قمت قال أو على أوحى الى انه استمع وان لو استقاموا أو على آمنا به أى آمنا به وبأن لو استقاموا وعلى هذا يكون جميع ما تقدم معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه قال ابن عباس لو أقاموا على ما أمروا به (لأسقيناهم ماء غدقا) وليس المراد خصوص السقيا بل المراد لوسعنا عليهم فى الدنيا وبسطنا لهم فى الرزق وقال ابن عباس معينا وقال مقاتل ماء كثيرا من السماء وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين وقال ابن قتيبة المعنى لو آمنوا جميعا لوسعنا عليهم فى الدنيا وضرب الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله بالمطر وهذا كقوله ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا الآية وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين الآية وقيل المعنى وان لو استقام أبوهم على عبادته وسجد لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم واختار هذا الزجاج والماء الغدق هو الكثير فى لغة العرب قرأ العامة غدقا بفتحتين وقرئ بفتح الغين وكسر الدال وهما لغتان فى الماء الغزير ومنه الغيداق للماء الكثير وللرجل الكثير العدو والكثير النطق ويقال غدقت عينه تغدق أى هطل دمعها وفى المصباح غدقت العين غدقا من باب تعب كثر ماؤها فهى غدقة وأغدقت اغداقا كذلك (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم علم ظهور للخلائق والا فهو تعالى لا يخفى عليه شئ وقال الكلبى المعنى وان لو استقاموا على الطريقة التى هم عليها من الكفر فكانوا كلهم كفارا لاوسعنا أرزاقهم مكرا بهم واستدراجا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم فى الدنيا والآخرة وبه قال الربيع بن أنس وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن والثمالى ويمان بن رباب وابن كيسان وأبو مجلز واستدلوا بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ وقوله ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية والاول أولى وقال عمر فى الآية حيثما كان الماء كان المال وحيثما كان المال كانت الفتنة وقال ابن عباس لنبتليهم به (ومن يعرض

واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وقوله تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون أى محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ومن يكتمها فانه آثم قلبه ثم قال تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون أى على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم فى أول سورة قد أفلح المؤمنون سواء ولهذا قال هنالك أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وقال ههنا أولئك فى جنات مكرمون أى مكرمون بأنواع الملاذ والمسار (فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين (٧٩) وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) يقول تعالى منكرا على الكفار الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه شاردون يمينا وشمالا فرقا فرقا وشيعا شيعا كما قال تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة الآية وهذه مثلها فانه قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين أى فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين أى مسرعين نافرين منك كما قال الحسن البصرى مهطعين أى منطلقين عن اليمين وعن الشمال عزين واحدها عزة أى متفرقين وهو حال من مهطعين أى فى حال تفرقهم واختلافهم كما قال الامام أحمد فى أهل الاهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون فى الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقال العوفى عن ابن عباس فما للذين كفروا قبلك مهطعين قال قبلك ينظرون عن اليمين وعن الشمال عزين قال العزين العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزؤن به وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن الحسن فى قوله عن اليمين وعن الشمال عزين أى متفرقين يأخذون يمينا وشمالا يقولون ما قال هذا الرجل وقال قتادة مهطعين عامدين عن اليمين وعن الشمال عزين أى فرقا حول النبى صلى الله عليه وسلم

عن ذكر ربه) أى ومن يعرض عن القرآن أو عن العبادة أو عن الموعظة أو عن التوحيد أو عن جميع ذلك (يسلكه) أى يدخله (عذابا صعدا) أى شاقا صعبا قرأ الجمهور نسلكه بالنون مفتوحة من سلكه وقرئ بالياء التحتية واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله عن ذكر ربه ولم يقل عن ذكرنا وقرئ بضم النون وكسر اللام من اسلكه والصعد فى اللغة المشقة تقول تصعدنى الامر اذا شق عليك وهو مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب مبالغة لانه يتصعد المعذب أى يعلوه ويغمره ويغلبه فلا يطيقه قال أبو عبيد الصعد مصدر أى عذابا ذا صعد وقال عكرمة الصعد هو صخرة ملساء فى جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى أعلاها حدر الى جهنم كما فى قوله سأرهقه صعودا والصعود العقبة الكؤد وقال ابن عباس عذابا صعدا شقة من العذاب يصعد فيها وعنه قال جبلا فى جهنم وعنه قال لا راحة فيه (وان المساجد لله) أى وأوحى الى ان المساجد مختصة بالله وقال الخليل التقدير ولان المساجد والمساجد المواضع التى بنيت للصلاة فيها جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود قال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا ان نأتى المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤن فنزلت وقال الحسن أراد بها كل البقاع لان الارض جعلت كلها مسجدا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وقال سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب أراد بالمساجد الاعضاء التى يسجد عليها العبد وهى القدمان والركبتان واليدان والجبهة والانف وهو على هذا جمع مسجد بالفتح يقول هذه أعضاء أنعم الله بها عليك فلا تسجد بها لغيره فتجحد نعمة الله وكذا قال عطاء وقيل المساجد هى الصلاة لان السجود من جملة أركانها قاله الحسن قال ابن عباس لم يكن يوم نزلت هذه الآية فى الارض مسجد الا مسجد الحرام ومسجد ايليا بيت المقدس وقيل المراد بها البيوت التى تبنيها أهل الملل للعبادة والقول بأنها البيوت المبنية للعبادة أظهر الاقوال ان شاء الله تعالى وهو مروى عن ابن عباس واضافة المساجد الى الله اضافة تشريف وتكريم وقد تنسب الى غيره تعريفا قال صلى الله عليه وآله وسلم صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ذكره القرطبى (فلا تدعوا) أى فلا تعبدوا (مع الله أحدا) من خلقه كائنا من كان هذا توبيخ للمشركين فى دعائهم مع الله غيره فى المسجد الحرام قال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر

لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه صلى الله عليه وسلم وقال الثوري وشعبة وعبثر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووكيع ويحيى القطان وأبو معاوية كلهم عن الاعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم حلق فقال مالي أراكم عزين رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير من حديث الاعمش به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم حلق حلق فقال مالي أراكم عزين وهذا اسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه وقوله تعالى أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا أي أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم لا بل مأواهم جهنم ثم قال تعالى مقررا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلا عليهم بالبداءة التي الاعادة أهون منها وهم معترفون بها فقال تعالى انا خلقناهم مما يعلمون أي من المني الضعيف كما قال تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر ثم قال تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب أي الذي خلق السموات والارض وجعل مشرقا ومغربا وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب من مغاربها وتقدير الكلام ليس الامر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة ولهذا أتى بلا في ابتداء القسم ليدل على ان المقسم عليه نفي وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ماهو أبلغ من اقامة القيامة وهو خلق السموات والارض وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات ولهذا قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقال تعالى أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير وقال تعالى في الآية الاخرى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو

الله نبيه والمؤمنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما أو غيره مما يعبد وقيل المعنى أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله تعالى فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا (وانه) أي وأوحى الي ان الشان (لما قام عبد الله) وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل نبي الله أو رسول الله لانه من أحب الاسماء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولانه لما كان واقعا في كلامه صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع أو لان عبادة عبد الله المستفادة من قوله يدعوه ليست بمستبعد ثم كان وقوع هذا الامر ببطن نخل على ما قاله المحلي وقال الحفناوي سياق هذه الآية انما يظهر في المرة الثانية من مرتي الجن وهي التي كانت بحجون مكة وكان معه فيها ابن مسعود وكان الجن اثني عشر ألفا أو أكثر وأما المرة الاولى التي تقدم الكلام فيها التي كانت ببطن نخل فكانوا فيها تسعة أو سبعة ولا يظهر في حقهم ان يقال (كادوا يكونون عليه لبدا) كما لا يخفى فليتأمل اه ومعنى الآية انه لما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ويتلو القرآن كاد الجن ان يكونوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم متراكمين من ازدحامهم عليه لسماع القرآن منه قال الزجاج ومعنى لبدا يركب بعضهم بعضا ومن هذا اشتقاق هذه اللبود التي تفرش قرأ الجمهور لبدا بكسر اللام وفتح الباء وقرئ بضم اللام وفتح الباء وبضم الباء واللام وبضم اللام وتشديد الباء مفتوحة فعلى القراءة الاولى المعنى ماذكرنا وعلى الثانية المعنى كثيرا كما في قوله أهلكت مالا لبدا وقيل المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال الحسن وقتادة وابن زيد لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الجن والانس على هذا الامر ليطفؤه فأبى الله الا ان ينصره ويتم نوره واختار هذا ابن جرير قال مجاهد لبدا أي جماعات وهو من تلبد الشيء على الشيء أي اجتمع ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه وكل شيء ألصقته الصاقا شديدا فقد لبدته ويقال للشعر الذي على ظهر الاسد لبدة وجمعها لبد ويقال للجراد الكثير لبد ويطلق اللبد بضم اللام وفتح الباء على الشيء الدائم ومنه قيل لنسر لقمان لبد لطول بقائه عن ابن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة الى نواحي مكة فخط لي خطا وقال لا تحدثن شيأ حتى آتيك ثم قال لا يهولنك شيء تراه فتقدم شيأ ثم جلس

فاذا

الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وقال ههنا فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا القادرون على ان نبدل خيرا منهم أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فان قدرته صالحة لذلك وما نحن بمسبوقين أي بعاجزين كما قال تعالى أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه وقال تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون واختار ابن جرير على أن نبدل خيرا منكم أي أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم والمعنى الاول أظهر (٨١) لدلالة الآيات الأخر عليه والله سبحانه وتعالى أعلم ثم قال تعالى فذرهم اي يا محمد يخوضوا ويلعبوا اى دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون أي فسيعلمون غب ذلك و يذوقون وباله يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون أي يقومون من القبور اذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعا كأنهم الى نصب يوفضون قال ابن عباس ومجاهد والضحاك الى علم يسعون وقال ابو العالية ويحيى بن أبي كثير الى غاية يسعون اليها وقد قرأ الجمهور الى نصب بفتح النون واسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنصوب وقرأ الحسن البصري نصب بضم النون والصاد وهو الصنم اى كأنهم في اسراعهم الى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون الى النصب اذا عاينوه يبتدرون ايهم يستلمه اول وهذا مروي عن مجاهد و يحيى بن ابي كثير ومسلم البطين وقتادة والضحاك والربيع بن انس وابي صالح وعاصم بن ابي بهدلة وابن زيد وغيرهم وقوله تعالى خاشعة ابصارهم اي خاضعة ترهقهم ذلة اى

 في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة وذلك اليوم الذي كانوا يوعدون آخر تفسير سورة سأل سائل ولله الحمد والمنة * (تفسير سورة نوح عليه السلام وهي مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) (انا أرسلنا نوحا الى قومه ان أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام انه أرسله الى قومه آمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم فان تابوا وأنابوا رفع عنهم ولهذا قال تعالى ان أنذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم اني لكم

فاذا رجال سود كأنهم رجال الزط وكانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وعن ابن عباس في الآية قال لما سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن أخرجه ابن جرير وابن مردويه وعنه في الآية قال لما أتى الجن الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي بأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده فعجبوا من طواعية أصحابه فقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا أخرجه عبد بن حميد والحاكم والترمذي وصححاه وغيرهم وعنه قال لبدا أي أعوانا (قل) يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجيبا للكفار (انما أدعو ربي) وحده وأعبده (ولا أشرك به) في العبادة (أحدا) من خلقه قرأ الجمهور قال وقرئ قل على الامر وهي سبعية ففي الكلام التفات من الغيبة الى الخطاب وسبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك (قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أي لا أقدر أن أدفع عنكم غيا (١) ولا أسوق اليكم خيرا لان الضار والنافع هو الله سبحانه وقيل الضر الكفر والرشد الهدى والاول أولى لوقوع النكرتين في سياق النفي فهما يعمان كل ضر وكل رشد في الدنيا والدين (قل اني لن يجيرني من الله أحد) أي لا يدفع عني أحد عذابه ان أنزله بي كقول صالح فمن ينصرني من الله ان عصيته وهذا بيان لعجزه عن شؤن نفسه بعد بيان عجزه عن شؤن غيره (ولن أجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ ومعدلا وحرزا الجأ اليه وأحترز به والملتحد معناه في اللغة الممال أي موضعا أميل اليه في القاموس ألحد اليه مال كالتحد والملتحد الملتجأ وفي المصباح الملتحد بالفتح اسم الموضع وهو الملجأ اه قال قتادة مولى وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب وقيل مذهبا ومسلكا والمعنى متقارب والاستثناء في قوله (الا بلاغا) هو من قوله لا أملك أي لا أملك ضرا ولا رشدا الا التبليغ (من الله) فان فيه أعظم الرشد أو من ملتحدا أي لن أجد من دونه ملجأ الا التبليغ وقال مقاتل ذلك الذي يجيرني من عذابه وقال قتادة الا بلاغا من الله فذلك الذي أملكه بتوفيق الله فاما الكفر والايمان فلا أملكهما قال الفراء لكن أبلغكم ما أرسلت به فهو على هذا منقطع وقال الزجاج هو

(١) استعمال الضر في الغي من استعمال المسبب في السبب فهو مجاز مرسل اه منه

نذير مبين أي بين النذارة ظاهر الامر واضحه ان اعبدوا الله واتقوه أي اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه وأطيعون فيما آمركم به وأنهاكم عنه يغفر لكم من ذنوبكم أي اذا فعلتم ما آمركم به وصدقتم ما أرسلت به اليكم غفر الله لكم ذنوبكم ومن ههنا قيل انها زائدة ولكن القول بزيادتها في الاثبات قليل ومنه قول بعض العرب قد كان من مطر وقيل انها بمعنى عن تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير وقيل انها للتبعيض أي يغفر لكم الذنوب العظام الذي وعدكم على ارتكابكم اياها الانتقام ويؤخركم الى أجل مسمى أي يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب (٨٢) الذي ان لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم وقد يستدل بهذه الآية من يقول ان الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث صلة الرحم تزيد في العمر وقوله تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون أي بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة فانه اذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع فانه العظيم الذي قد قهر كل شيء العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات

(قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا) يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام انه اشتكى الى ربه عز وجل ما لقي من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة الا خمسين عاما وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم الى الرشد والسبيل الأقوم فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا أي لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالا لامرك وابتغاء لطاعتك فلم يزدهم دعائي الا فرارا أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم اليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش وقال الذين كفروا لا تسمعوا

منصوب على البدل من ملتحدا أي لن أجد من دونه ملتحدا الا ان أبلغ ما يأتي من الله (ورسالاته) معطوف على بلاغا أي الا بلاغا من الله والا رسالاته التي أرسلني بها الكريم أو الا ان أبلغ عن الله وأعمل برسالاته فآخذ نفسي بما آمر به غيري وقيل معطوف على الاسم الشريف أي الا بلاغا عن الله وعن رسالاته كذا قال أبو حيان ورجحه واستظهره الكرخي (ومن يعص الله ورسوله) في الامر بالتوحيد ولم يؤمن لان السياق فيه (فان له نار جهنم) قرأ الجمهور بكسر ان على انها جملة مستأنفة مستقلة وقرئ بفتحها لان ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء وان مع ما في حيزها خبر لمبتدا مضمر والتقدير فجزاؤه أو فحكمه ان له نار جهنم (خالدين فيها) أي يدخلون في النار أو في جهنم مقدرا خلودهم والجمع باعتبار معنى من كان التوحيد في قوله فان له باعتبار لفظها (أبدا) تأكيد لمعنى الخلود أي خالدين فيها بلا نهاية (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من العذاب في الدنيا أو في الآخرة والمعنى لا يزالون على ما هم عليه من الاصرار على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين الى أن يروا الذي يوعدون به من العذاب وحتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها يدل عليه الحال وهي قوله خالدين فان الخلود في النار يستلزم استمرارهم على كفرهم وعدم انقطاعه بالايمان اذ لو آمنوا لم يخلدوا في النار ولو جعلت لمجرد الابتداء من غير ملاحظة معنى الغاية كما أشار اليه القرطبي لكان أسهل وأوضح فتكون جملة مستقلة بالاستفادة (فسيعلمون) عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة (من أضعف ناصرا) من موصولة أي هو أضعف جندا ينتصر به أو استفهامية والاول أولى (وأقل عددا) أي أعوانا أهم أم المؤمنون قال الخطيب أي أنا وان كنت في هذا الوقت وحيدا مستضعفا وأقل عددا أو هم وان كانوا الآن بحيث لا يحصيهم عددا الا الله تعالى فيا لله ما أعظم كلام الرسل حيث يستضعفون أنفسهم ويذكرون قوتهم من جهة مولاهم الذي بيده الملك وله جنود السموات والارض بخلاف الجبابرة فانهم لا كلام لهم الا في تعظيم أنفسهم وازدراء غيرهم والظاهر ان اذا شرطية وان قوله فسيعلمون جوابها لكن يشكل عليه الاستقبال المفاد بالسين وذلك لان وقت رؤية العذاب يحصل علم الضعيف من القوي والسين تقتضي انه يتأخر عنه فليتأمل هذا المحل فانه لم ينبه عليه أحد من المفسرين ولا يتخلص منه الا بجعل السين لمجرد التأكيد

لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون واستغشوا ثيابهم قال ابن جرير عن ابن عباس تنكروا له لئلا يعرفهم وقال سعيد بن جبير والسدي غطوا رؤسهم لئلا يسمعوا ما يقول وأصروا أي استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع واستكبروا استكبارا أي واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له ثم اني دعوتهم جهارا أي جهرة بين الناس ثم اني أعلنت لهم أي كلاما ظاهرا بصوت عال وأسررت لهم اسرارا أي فيما بيني وبينهم فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا أي ارجعوا اليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا اليه من قريب فانه من تاب (٨٢) اليه تاب عليه ولو كانت ذنوبه مهما كان في الكفر والشرك ولهذا قال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا أي متواصلة الامطار ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لاجل هذه الآية وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ثم قال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر وقال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضا وقوله تعالى ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا أي اذا تبتم الى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الارض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الاموال والاولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالانهار الجارية بينها هذا مقام الدعوة بالترغيب ثم عدل بهم الى دعوتهم بالترهيب فقال ما لكم لا ترجون لله وقارا اي عظمة قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقال ابن عباس لا تعظمون الله حق عظمته أي لا تخافون من بأسه ونقمته وقد خلقكم أطوارا قيل معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدي وابن زيد وقوله تعالى ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا أي واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط او هو من الامور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات فان الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه

لا للاستقبال وله نظائر كثيرة قاله الحفناوي (قل ان) أي ما (أدري أقريب) حصول (ما توعدون) من العذاب أو يوم القيامة أي فيكون واقعا الآن أو قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قريب (أم يجعل له ربي أمدا) أي غاية ومدة فلا يتوقع دون ذلك الامد أمره الله سبحانه أن يقول لهم هذا القول لما قالوا له متى يكون هذا الذي توعدنا به ولا يقال انه صلى الله عليه وآله وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا أدري أقريب الخ لان المراد بقرب وقوعه الذي علمه هو أن ما بقي من الدنيا أقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم وأما معرفة مقدار القرب فغير معلوم لا يعلمه الا الله وهو على كل حال متوقع لا كلام فيه وانما الكلام في تعيين وقته وليس اليه صلى الله عليه وآله وسلم قال عطاء يريد أنه لا يعرف يوم القيامة الا الله سبحانه وحده والمعنى أن علم وقت العذاب علم غيب لا يعلمه الا الله (عالم الغيب) قرأ الجمهور بالرفع على انه بدل من ربي أو بيان له أو خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من عدم الدراية وقرئ بالنصب على المدح وقرأ السدي علم الغيب بصيغة الماضي ونصب الغيب والفاء في قوله (فلا يظهر على غيبه أحدا) لترتيب عدم الاظهار على تفرده سبحانه بعلم الغيب أي لا يطلع على الغيب الذي يعلمه وهو ما غاب عن العباد أحدا منهم ثم استثنى فقال (الا من ارتضى من رسول) أي الا من اصطفاه من الرسل أو من ارتضاه منهم لاظهاره على بعض غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته قال القرطبي قال العلماء لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضى من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتف ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه فهو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه وقال سعيد بن جبير الا من ارتضى من رسول هو جبريل وفيه بعد وقيل المراد أنه يطلعه على بعض غيبه وهو ما يتعلق برسالته كالمعجزة وأحكام التكاليف وجزاء الاعمال وما يبينه من أحوال الآخرة لا ما لا يتعلق برسالته من الغيوب كوقت قيام الساعة ونحوه قال الواحدي وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حادث فقد كفر بما في القرآن قال في الكشاف وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات

وعطارد فى الثانية والزهرة فى الثالثة والشمس فى الرابعة والمريخ فى الخامسة والمشترى فى السادسة وزحل فى السابعة وأما بقية الكواكب وهى الثوابت ففى فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمتشرعون منهم يقولون هو الكرسى والفلك التاسع وهو الاطلس والاثير عندهم الذى حركته على خلاف حركة سائر الافلاك وذلك ان حركته مبدأ الحركات وهى من المغرب الى المشرق وسائر الافلاك عكسه من المشرق الى المغرب ومعها تدور سائر الكواكب تبعا ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فانها تسير من المغرب الى المشرق وكل يقطع (٨٤) فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه فى كل شهر مرة والشمس فى كل سنة مرة وزحل فى كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب اتساع أفلاكها وان كانت حركة الجميع فى السرعة متناسبة هذا ملخص ما يقولونه فى هذا المقام على اختلاف بينهم فى مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها وانما المقصود أن الله سبحانه وتعالى خلق سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا أى فاوت بينهما فى الاستنارة فجعل كلا منهما أنموذجا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها وقدر للقمر منازل وبروجا وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع فى النقص حتى يستسر ليدل على مضى الشهور والاعوام كما قال تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون وقوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا هذا اسم مصدر والاتيان به ههنا أحسن ثم يعيدكم فيها أى اذا متم ويخرجكم اخراجا أى يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة والله جعل لكم الارض بساطا أى بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات لتسلكوا منها سبلا فجاجا أى خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها وكل هذا مما نبههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته فى خلق السموات والارض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والارضية فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والارض مهادا وأوسع على خلقه من رزقه فهو الذى يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد لانه لا نظير له ولا عديل له ولا ند ولا كفء ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلى الكبير (قال نوح رب انهم عصونى

وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه أيضا ابطال للكهانة والسحر والتنجيم لان أصحابها أبعد شئ من الارتضاء وأدخله فى السخط قال الرازى وعندى ان الآية لا دلالة فيها على شئ مما قالوه اذ لا صيغة عموم فى غيبه فيحمل على غيب واحد وهو وقت القيامة لانه واقع بعد قوله أقريب ما توعدون الآية فان قيل فما معنى الاستثناء حينئذ قلنا لعله اذا قربت القيامة يظهره وكيف لا وقد قال يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فتعلم الملائكة حينئذ قيام الساعة أو هو استثناء منقطع أى من ارتضاه من رسول يجعل من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس ويدل على انه ليس المراد أنه لا يطلع أحدا على شئ من المغيبات الا الرسل أنه ثبت كما يقارب التواتر أن شقا وسطيحا كانا كاهنين وقد عرفا بحديث النبى صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع اليهما كسرى فثبت ان الله قد يطلع غير الرسل على شئ من المغيبات وأيضا أطبق أهل الملل على ان معبر الرؤيا يخبر عن أمور مستقبلة ويكون صادقا فيها وأيضا قد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنة من بغداد الى خراسان وسألها عن أمور مستقبلة فاخبرته بها فوقعت على وفق كلامها قال وأخبرنى ناس محققون فى علم الكلام والحكمة أنها أخبرت عن أمور غائبة بالتفصيل فكانت على وفق خبرها وبالغ أبو البركات فى كتاب المعتبر فى شرح حالها وقال فحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت أنها كانت تخبر عن المغيبات اخبارا مطابقا وأيضا فانا نشاهد ذلك فى أصحاب الالهامات الصادقة وقد يوجد ذلك فى السحرة أيضا وقد نرى الاحكام النجومية مطابقة وان كانت قد تتخلف فلو قلنا ان القرآن يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الى القرآن فيكون التأويل ما ذكرنا انتهى كلامه بمعناه قال محمد بن على الشوكانى أما قوله اذ لا صيغة عموم فى غيبه فباطل فان اضافة المصدر واسم الجنس من صيغ العموم كما صرح به أئمة الاصول وغيرهم وأما قوله أو هو استثناء منقطع فمجرد دعوى يأباه النظم القرآنى وأما قوله ان شقا وسطيحا الخ فقد كانا فى زمن تسترق فيه الشياطين السمع ويلقون ما يسمعونه الى الكهان فيخلطون الصدق بالكذب كما ثبت فى الحديث الصحيح وفى قوله الا من خطف الخطفة ونحوها من الآيات فباب الكهانة قد ورد بيانه فى هذه الشريعة وانه كان طريقا

واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا) يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام انه أنهى اليه وهو العليم الذى لا يعزب عنه شئ أنه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى انهم عصوه وخالفوه وكذبوه واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بمال وأولاد وهى فى نفس الامر استدراج وانظار لا اكرام ولهذا قال واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا قرئ وولده بالضم وبالفتح وكلاهما متقارب وقوله تعالى ومكروا مكرا كبارا قال مجاهد كبارا أى عظيما وقال ابن زيد كبارا أى كبيرا والعرب تقول أمر عجيب وعجاب وعجاب ورجل حسان وحسان وجمال وجمال بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد والمعنى فى قوله تعالى ومكروا مكرا كبارا أى باتباعهم فى تسويلهم لهم انهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ولهذا قال ههنا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وهذه أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها من دون الله قال البخارى حدثنا ابراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس صارت الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذى كلاع وهى أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت وكذا روى عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن اسحق نحو هذا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس كانت هذه أصنام تعبد فى زمان نوح وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس ويعوق ونسرا قال كانوا قوما صالحين عن آدم ونوح وكان لهم تباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم

لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى منعوا ذلك بالبعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية وقالوا انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فباب الكهانة فى الوقت الذى كانت فيه مخصوص بادلته فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم فلا يرد ما زعمه من ايراد الكهانة على هذه الآية وأما حديث المرأة الذى أورده فحديث خرافة ولو سلم وقوع شئ مما حكاه عنها من الاخبار لكان من باب ما ورد فى الحديث ان فى هذه الامة محدثين وان منهم عمر فيكون كالتخصيص لعموم هذه الآية لا نقضا وأما ما اجترأ به على الله وعلى كتابه من قوله فى آخر كلامه فلو قلنا ان القرآن يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الى القرآن فيقال له ما هذه بأول زلة من زلاتك وسقطة من سقطاتك وكم لها لديك من اشباه وأمثال نبض بها عرق فلسفتك وركض بها الشيطان الذى صار يتخبطك فى مباحث تفسيرك يا عجبا لك أيكون ما بلغك من خبر هذه المرأة ونحوه موجبا لتطرق الطعن الى القرآن وما أحسن ما قاله بعض أدباء عصرنا

واذا رامت الذبابة للشمس غطاء مدت عليها جناحا

وقلت من أبيات منها

مهب رياح سده بجناح * وقابل بالمصباح ضوء صباح

فان قلت اذا قد تقرر بهذا الدليل القرآنى ان الله يظهر من ارتضى من رسله على ما شاء من غيبه فهل للرسول الذى أظهره الله على ما شاء من غيبه ان يخبر به بعض أمته قلت نعم ولا مانع من ذلك وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ما لا يخفى على عارف بالسنة المطهرة فمن ذلك ما صح أنه قام مقاما أخبر فيه بما سيكون الى يوم القيامة وما ترك شيأ مما يتعلق بالفتن ونحوها حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه وكذلك ما ثبت من أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحدث من الفتن بعده حتى سأله عن ذلك أكابر الصحابة ورجعوا اليه وثبت فى الصحيح وغيره أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التى تموج كموج البحر فقال ان بينك وبينها بابا فقال عمر هل يفتح أو يكسر فقال بل يكسر فعلم عمر أنه الباب وان كسره قتله كما فى الحديث الصحيح المعروف انه قيل لحذيفة هل كان عمر يعلم ذلك فقال نعم كما يعلم ان دون غد الليلة

يسقون المطر فعبدوهم وروى الحافظ بن عساكر في ترجمة شيث عليه السلام من طريق اسحق بن بشر قال واخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس انه قال ولد لآدم عليه السلام أربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون جارية فكان ممن عاش منهم هابيل وقابيل وصالح وعبد الرحمن الذي كان سماه عبد الحرث وود وكان ود يقال له شيث ويقال له هبة الله وكان اخوته قد سودوه وولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الدوري حدثني أبو اسمعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم هو ابن هرمز عن أبي حزرة (٨٦) عن عروة بن الزبير قال اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود ويغوث ويعوق وسواع ونسر قال وكان ود أكبرهم وأبرهم به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن أبي المطهر قال ذكروا عند أبي جعفر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب قال فلما انفتل من صلاته قال ذكرتم يزيد بن المهلب اما انه قتل في أول أرض عبد بها غير الله قال ثم ذكروا رجلا مسلما وكان محببا في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى ابليس جزعهم عليه تشبه في صورة انسان ثم قال اني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه قالوا نعم فصور لهم مثله قال ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذكره قال هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالا مثله فيكون له في بيته فتذكرونه قالوا نعم قال فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به قال وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم اياه حتى اتخذوه الها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم فكان أول ما عبد من دون الله ود الصنم الذي سموه ود وقوله تعالى وقد أضلوا كثيرا يعني الاصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا فانه استمر عبادتها في القرون الى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه واجنبني وبني أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا ضلالا دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه

وكذلك ما ثبت من اخبار لابي ذر بما يحدث له مما حدث له واخباره لعلي بن أبي طالب بخبر ذي الثدية ونحو هذا مما يكثر تعداده ولو جمع لجاء منه مصنف مستقل واذا تقرر هذا فلا مانع من أن يختص بعض صلحاء هذه الامة بشيء من اخبار الغيب التي أظهرها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وأظهرها رسوله صلى الله عليه وسلم لبعض أمته وأظهرها هذا البعض من الامة لمن بعدهم فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل والكل من الفيض الرباني بواسطة الجناب النبوي اه كلامه رحمه الله تعالى عليه قال ابن عباس في الآية أعلم الله الرسول من الغيب الوحي وأظهره عليه مما أوحى اليهم من غيبه وما يحكم الله فانه لا يعلم ذلك غيره أخرجه ابن المنذر وابن مردويه ثم ذكر سبحانه انه يحفظ ذلك الغيب الذي يطلع عليه الرسول فقال (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) والجملة تقرير للاظهار المستفاد من الاستثناء والمعنى انه يجعل سبحانه بين يدي الرسول ومن خلفه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيب أو يجعل بين يدي الوحي وخلفه حرسا من الملائكة يحوطونه من أن يسترقه الشياطين فتلقيه الى الكهنة والمراد من جميع الجوانب قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه ملائكة يحفظونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك فاذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك قال ابن زيد رصدا أي حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من أمامه وورائه من الجن والشياطين قال قتادة وسعيد بن المسيب هم أربعة من الملائكة حفظة وقال الفراء المراد جبريل قال في الصحاح الرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر والراصد للشيء الراقب له يقال رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد قال ابن عباس في قوله رصدا هي معقبات من الملائكة يحفظون رسول الله من الشياطين حتى يبين الذي أرسل اليهم به وذلك حين يقول أهل الشرك قد أبلغوا رسالات ربهم وعنه قال ما أنزل الله على نبيه آية من القرآن الا ومعها أربعة من الملائكة يحفظونها حتى يؤدوها الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قرأ الآية (ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم) اللام متعلقة بيسلك والمراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وأن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والخبر الجملة والرسالات عبارة عن الغيب

وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا) يقول تعالى مما خطيئاتهم وقرئ خطاياهم أغرقوا أي من كثرة ذنوبهم وعتوهم وأصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم أغرقوا فأدخلوا نارا أي نقلوا من تيار البحار الى حرارة النار فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا أي لم يكن لهم معين ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله كقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا أي لا تترك على وجه الارض منهم أحدا ولا ديارا وهذه من صيغ تأكيد النفي قال الضحاك ديارا واحدا وقال السدي الديار الذي يسكن الدار فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الارض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه وقال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقال ابن أبي حاتم قرأ على يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني شبيب بن سعيد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل فلما بلغها الماء صعدت به منكبها فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها فلو رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة هذا حديث غريب ورجاله ثقات ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه وقوله تعالى انك ان تذرهم يضلوا عبادك أي انك ان أبقيت منهم أحدا أضلوا عبادك أي الذين تخلقهم بعدهم ولا يلدوا الا فاجرا كفارا أي فاجرا في الاعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم قال رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا قال الضحاك يعني مسجدي ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أنبأنا سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التجيبي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع

الغيب الذي أريد اظهاره لمن ارتضاه الله من رسول وضمير أبلغوا يعود الى الرصد وقال قتادة ومقاتل ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة وفيه حذف يتعلق به اللام أي أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم ان الرسل قبله كانوا على حالته من التبليغ وقيل ليعلم محمد أن جبريل ومن معه قد أبلغوا اليه رسالات ربه قاله سعيد بن جبير وقيل ليعلم الرسل ان الملائكة قد بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم ابليس ان الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم من غير تخليط وقال ابن قتيبة ليعلم الجن ان الرسل قد أبلغوا ما أنزل اليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم قرأ الجمهور ليعلم بفتح التحتية على البناء للفاعل أي ليعلم الناس أن الرسل قد أبلغوا وقال الزجاج ليعلم الله ان رسله قد أبلغوا رسالاته أي ليعلم ذلك عن مشاهدة كما علمه غيبا وقرئ بضم الياء على البناء للمفعول وقرئ بضم الياء وكسر اللام

(وأحاط بما لديهم) أي بما عند الرصد من الملائكة أو بما عند الرسل المبلغين لرسالاته والجملة في محل نصب على الحال من فاعل يسلك باضمار قد أي والحال انه تعالى قد أحاط بما لديهم من الاحوال قال سعيد بن جبير ليعلم ان ربهم قد أحاط بما لديهم فبلغوا رسالاته

(وأحصى كل شئ عددا) معطوف على أحاط وعددا يجوز أن يكون منتصبا على التميز محولا من المفعول به أي وأحصى عدد كل شئ كما في قوله وفجرنا الارض عيونا ويجوز أن يكون منصوبا على المصدرية أو في موضع الحال أي معدودا والمعنى ان علمه سبحانه بالاشياء ليس على وجه الاجمال بل على وجه التفصيل أي أحصى كل فرد من مخلوقاته التي كانت والتي ستكون على حدة فلم يخف عليه منها شئ على حدة

(سورة المزمل هي تسع عشرة آية وقيل عشرون آية وهي مكية)

قال الماوردي كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر قال وقال ابن عباس وقتادة الا آيتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها وقال الثعلبي الا قوله ان ربك يعلم انك تقوم الى آخر السورة فانه نزل بالمدينة وأخرج النحاس عن ابن عباس انه قال نزلت بمكة الا آيتين ان ربك يعلم الخ وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال نزلت يا أيها المزمل بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله وعن جابر قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تصحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي" رواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به ثم قال الترمذي انما نعرفه من هذا الوجه وقوله تعالى وللمؤمنين والمؤمنات دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الاحياء منهم والاموات ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام وبما جاء في الآثار والادعية المشروعة وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا قال السدي الا هلاكا وقال مجاهد الا خسارا أي في الدنيا والآخرة * آخر تفسير سورة نوح عليه السلام ولله الحمد والمنة (٨٨) وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة الجن وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالى قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد أي الى السداد والنجاح فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وهذا المقام شبيه بقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وقد قدمنا الاحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن اعادتها ههنا وقوله تعالى وأنه تعالى جد ربنا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى جد ربنا أي فعله وأمره وقدرته وقال الضحاك عن ابن عباس جد الله آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه وروي عن مجاهد وعكرمة جلال ربنا وقال قتادة جلاله وعظمته وأمره وقال السدي تعالى أمر ربنا وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضا وابن جريج تعالى ذكره وقال سعيد بن جبير تعالى جد ربنا أي تعالى ربنا فأما ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال الجد أب ولو علمت الجن أن في الانس جدا ما قالوا تعالى جد ربنا فهذا اسناد جيد ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ولعله قد سقط شيء والله أعلم وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا أي تعالى

اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا سموا هذا الرجل اسما تصدون الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فتفرق المشركون على ذلك فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر أخرجه البزار والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الدلائل وقال البزار بعد اخراجه من طريق معلى بن عبد الرحمن ان معلى قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه اذا تفرد بالاحاديث لا يتابع عليها وعن ابن عباس قال بت عند خالتي ميمونة فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي من الليل فصلى ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر فحزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا أيها المزمل أخرجه أبو داود والبيهقي في السنن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المزمل) أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي والتزمل التلفف في الثوب وفي المصباح زملته بثوبه تزميلا فتزمل مثل لففته فتلفف وزملت الشيء حملته ومنه قيل للبعير زاملة بالهاء للمبالغة لانه يحمل متاع المسافر قرأ الجمهور بالادغام وقرأ أبي المتزمل على الاصل وقرأ عكرمة بتخفيف الزاي وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد اختلف في معناه فقال جماعة انه كان يتزمل صلى الله عليه وآله وسلم بثيابه في أول ما جاءه جبريل بالوحي فرقا منه حتى أنس به وقيل المعنى يا أيها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وبهذا قال عكرمة وكان يقرأ يا أيها المزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم المشددة اسم مفعول وعنه أيضا يا أيها الذي زمل هذا الامر أي حمله ثم فتر وقيل المعنى يا أيها المزمل بالقرآن وقال الضحاك تزمل بثيابه لمنامه ونحوه عن قتادة وقيل بلغه من المشركين سوء قول فتزمل في ثيابه وتدثر فنزلت يا أيها المزمل ويا أيها المدثر وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع صوت الملك ونظر اليه أخذته الرعدة فأتى أهله فقال زملوني دثروني وكان خطابه صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الخطاب في أول نزول الوحي ثم بعد ذلك خوطب بالنبوة والرسالة وقال ابن عباس زملت هذا الامر فقم به وعنه قال يتزمل بالثياب قال السهيلي ليس المزمل من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في أسمائه صلى الله عليه وسلم وانما

عن اتخاذ الصاحبة والاولاد أى قالت الجن تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد ثم قالوا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى سفيهنا يعنون ابليس شططا قال السدى عن أبى مالك شططا أى جورا وقال ابن زيد أى ظلما كثيرا ويحتمل أن يكون المراد بقولهم سفيهنا اسم جنس لكل من زعم ان لله صاحبة أوولدا ولهذا قالوا وانه كان يقول سفيهنا أى قبل اسلامه على الله شططا أى باطلا وزورا ولهذا قالوا وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا أى ماحسبنا أن الانس والجن يتمالؤن على الكذب على الله (٨٩) تعالى فى نسبة الصاحبة والولد اليه فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله فى ذلك وقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أى كنا نرى أن لنا فضلا على الانس لانهم كانوا يعوذون بنا أى اذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البرارى وغيرها كما كانت عادة العرب فى جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشئ يسوءهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فى جوار رجل كبير وذمامه وخفارته فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أى خوفا وارهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم كما قال قتادة فزادوهم رهقا أى اثما وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة وقال الثورى عن منصور عن ابراهيم فزادوهم رهقا أى ازدادت الجن عليهم جراءة وقال السدى كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الارض فينزلها فيقول أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضر أنا فيه أومالى أو ولدى أو ماشيتى قال قتادة فاذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الاذى عند ذلك وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى حدثنا الزبير بن حرب عن عكرمة قال كان الجن يفرقون من الانس كما يفرق الانس منهم أو أشد فكان الانس اذا نزلوا واديا هرب الجن فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا الوادى فقال الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الانس فأصابوهم بالخبل والجنون فذلك قول الله عزوجل وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أى اثما وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم رهقا أى خوفا وقال العوفى عن ابن عباس فزادوهم رهقا أى اثما وكذا قال قتادة وقال مجاهد زاد الكفار طغيانا وقال ابن أبى حاتم

المزمل اسم مشتق من حالته التى كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفى خطابه صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم أبا تراب اشعارا له بأنه غير عاتب عليه وملاطف له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة قم يا نومان وكان نائما ملاطفة له واشعارا بترك العتب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها المزمل فيه تأنيس له وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله أن يتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة ذكره الخطيب (قم الليل) أى قم للصلاة فى الليل الذى هو وقت الخلوة والخفية والستر وقيل ان معنى قم صل عبر به عنه واستعير له واختلف هل كان هذا القيام الذى أمر به فرضا عليه أو نفلا فقيل الامر للوجوب وكان واجبا عليه وعلى أمته بل وعلى سائر الانبياء قبله وأول مافرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الدعاء والانذار قيام الليل قال القرطبى والدلائل تقوى أن قيامه كان فرضا عليه صلى الله عليه وآله وسلم وحده أو عليه وعلى من كان قبله من الانبياء أو عليه وعلى أمته ثلاثة أقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب له والثانى قول ابن عباس والثالث قول عائشة وابن عباس أيضا كذا فى الخطيب والخازن وغيرهما والعامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وأبو السمال يضمها اتباعا لحركة القاف وقرئ بفتحها طلبا للخفة قال أبو الفتح والغرض الهرب من التقاء الساكنين فبأى حركة حرك الاول حصل الغرض قلت الا أن الاصل الكسر لدليل ذكره النحويون والليل ظرف للقيام وان استغرقه الحدث الواقع فيه هذا قول البصريين وأما الكوفيون فيجعلون هذا النوع مفعولا به أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى والبيهقى وغيرهم عن سعد بن هشام قال قلت لعائشة انبئينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ هذه السورة يا أيها المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل فى أول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها

حدثنا ابى حدثنا فروة بن المغراء الكندى حدثنا القاسم بن مالك يعنى المدنى عن عبد الرحمن بن اسحق عن ابيه عن كردم بن أبى السائب الانصارى قال خرجت مع ابى من المدينة فى حاجة وذلك أول ماذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فقال ياعامر الوادى جارك فنادى منادلانراه يقول ياسرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم لم تصبه كدمة وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ثم قال وروى عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبى العالية والحسن وسعيد بن جبير وابراهيم النخعى نحوه وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنيا حتى يرهب الانسى ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم وقوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا أى لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا قاله الكلبى وابن جرير (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له ان السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر ارجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التى كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقون شيأ من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الامر ويختلط ولا يدرى من الصادق فكان هذا من لطف الله تعالى بخلقه ورحمته بعباده وحفظه لكتابه العزيز ولهذا قال الجن وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أى من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا أى ماندرى هذا الامر الذى قد حدث فى السماء لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وهذا من أدبهم فى العبارة حيث أسندوا الشر الى غير فاعل والخير أضافوه الى الله عز وجل وقد ورد فى الصحيح والشر ليس اليك وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك ولكن ليس بكثير بل فى الاحيان بعد الاحيان كما فى حديث

فى السماء اثنى عشر شهرا ثم أنزل التخفيف فى آخر هذه السورة وصار قيام الليل تطوعا من بعد فرضه وقد روى هذا الحديث عنها من طرق وعن ابن عباس قال لما أنزل أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان حتى نزل آخرها وكان بين أولها وآخرها نحو من سنة أخرجه البيهقى والحاكم وصححه والطبرانى وغيرهم وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال لما نزلت يا أيها المزمل قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت فاقرؤا ما تيسر منه فاستراح الناس وأخرج أبو داود فى ناسخه وابن نصر وابن مردويه والبيهقى فى سننه من طريق عكرمة عن ابن عباس فى الآية قال نسختها الآية التى فيها علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقوله (الا قليلا) استثناء من الليل أى صل الليل كله الا يسيرا منه والقليل من الشئ هو مادون النصف وقيل مادون السدس وقيل مادون العشر وقال مقاتل والكلبى المراد بالقليل هنا الثلث وقد أغنانا عن هذا الاختلاف قوله (نصفه) قال الزجاج هو بدل من الليل والاستثناء هو من النصف (أو انقص منه قليلا) الضمير فى منه وعليه عائد الى النصف والمعنى قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا الى الثلث (أو زد عليه) قليلا الى الثلثين فكأنه قال قم ثلثى الليل أو نصفه أو ثلثه واو للتخيير بين قيام النصف وقيام الثلث الذى هو مفاد قوله أو انقص منه قليلا وقيام الثلثين الذى هو مفاد او زد عليه وقيل ان نصفه بدل من قوله قليلا فيكون المعنى قم الليل الا نصفه أو أقل من نصفه أو أكثر من نصفه وقال المحلى بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل انتهى قال الحفناوى قوله وقلته الخ جواب عما يقال ان النصف مساو للنصف الآخر فكيف يوصف بالقلة ومحصل الجواب انه يوصف بها بالنظر لكل الليل لا بالنظر للنصف الآخر منه قال الاخفش نصفه أى أو نصفه كما يقال أعطه درهما درهمين ثلاثة يريد أو درهمين أو ثلاثة قال الواحدى قال المفسرون أو انقص من النصف قليلا الى الثلث أو زد على النصف الى الثلثين جعل له سعة فى مدة قيامه فى الليل وخيره فى هذه الساعات للقيام فكان النبى صلى الله عليه وسلم وطائفة معه يقومون على هذه المقادير وشق ذلك عليهم فكان الرجل لايدرى كم صلى أو كم بقى من الليل فكان يقوم الليل كله حتى خفف الله عنهم ورحمهم ونسخ وجوب قيام الليل فى حقه وحقنا وقيل الضميران فى منه وعليه راجعان للاقل من النصف كأنه قال قم أقل

العباس بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في هذا فقلنا كنا نقول يولد عظيم يموت عظيم فقال ليس كذلك ولكن الله اذا قضى الامر في السماء وذكر تمام الحديث وقد أوردناه في سورة سبأ بتمامه وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بأصحابه في الصلاة فعرفوا ان هذا هو الذي حفظت من أجله السماء فآمن من آمن منهم وتمرد في طغيانه من بقي كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الاحقاف واذ صرفنا (٩١) اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية

ولا شك انه لما حدث هذا الامر وهو كثرة الشهب في السماء والرمى بها هال ذلك الانس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا ان ذلك لخراب العالم كما قال السدي لم تكن السماء تحرس الا ان يكون في الارض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا رسولا رجموا ليلة من الليالي ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير ويحكم يا معشر اهل الطائف امسكوا عن اموالكم وانظروا الى معالم النجوم فان رأيتموها مستقرة في امكنتها فلم يهلك اهل السماء انما هذا من اجل ابن ابي كبشة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وان نظرتم فلم تروها فقد هلك اهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن اموالهم ففزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا ابليس فحدثوه بالذي كان من امرهم فقال ائتوني من كل ارض بقبضة من تراب أشمها فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم اسلموا فأنزل الله تعالى امرهم على رسوله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في اول المبعث من كتاب السيرة المطول والله أعلم ولله الحمد والمنة (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وأنا منا

من نصفه أو قم أنقص من ذلك الاقل أو أزيد منه قليلا وهو بعيد جدا والظاهر أن نصفه بدل من قليلا والضميران راجعان الى النصف المبدل من قليلا واختلف في الناسخ لهذا الامر فقيل هو قوله ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه الى آخر السورة كما تقدم وقيل هو قوله علم ان لن تحصوه الخ وقيل هو قوله علم أن سيكون منكم مرضى الخ وقيل هو منسوخ بالصلوات الخمس وبهذا قال مقاتل والشافعي وابن كيسان وقيل هو قوله فاقرؤا ما تيسر منه وليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها الا هذه السورة وكان بين نزول أولها المنسوخ وآخرها الناسخ سنة وقيل ستة عشر شهرا وهذا على القول بأن السورة كلها مكية وأما على القول بأن قوله ان ربك يعلم مدني فبين الناسخ والمنسوخ عشر سنين لما علمت ان نزول المنسوخ كان في أول الوحي بمكة ونزول الناسخ كان بالمدينة وأقل ما يتحقق بينهما عشر سنين وقد قال به سعيد بن جبير وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة وقيل نسخ أولها بآخرها ثم نسخ آخرها بايجاب الصلوات الخمس وذهب الحسن وابن سيرين الى أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو قدر حلب شاة (ورتل القرآن ترتيلا) أي اقرأه على مهل مع تدبر وقيل بين وفصل من الثغر المرتل أي المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك أي مرتل وثغر رتل أيضا اذا كان مستوى البنيان أو اقرأ على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات بحيث يتمكن السامع من عدها وقال الضحاك اقرأه حرفا حرفا وقال الزجاج هو ان يبين جميع الحروف ويوفي حقها من الاشباع وأصل الترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام وقال ابن عباس بينه تبيينا وتأكيد الفعل بالمصدر يدل على المبالغة وايجاب الامر على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة وأنه لا بد منه للقارى عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم أخرجه البخاري وعن أم سلمة وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا أخرجه النسائي وللترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان

المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) يقول تعالى مخبرا عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك أي غير ذلك كنا طرائق قددا أي طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد كنا طرائق قددا أي منا المؤمن ومنا الكافر وقال أحمد بن سليمان النجار في أماليه حدثنا أسلم بن سهل بحشل حدثنا علي بن الحذاء بن سليمان وهو أبو الشعثاء (٩٢) الحضرمي شيخ مسلم حدثنا أبو معاوية قال سمعت الأعمش يقول تروح

إلينا جني فقلت له ما أحب الطعام إليكم فقال الأرز قال فأتيناهم به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا فقلت فيكم من هذه الأهواء التي فينا قال نعم فقلت فالرافضة فيكم قال شرنا عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني فقال هذا إسناد صحيح إلى الأعمش وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد

قلوب براها الحب حتى تعلقت
مذاهبها في كل غرب وشارق
تهيم بحب الله والله ربها
معلقة بالله دون الخلائق

وقوله تعالى وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا أي نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لا نعجزه في الأرض ولو أمعنا في الهرب فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة وقولهم فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال ابن عباس وقتادة وغيرهما فلا يخاف أن

يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفي رواية أبي داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية وعن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته أخرجه الشيخان وعن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربي والعجمي فقال اقرأوا وكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه أخرجه أبو داود وزاد غير في رواية لا يجاوز تراقيهم وعن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة وفي الباب أحاديث والمقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة لا مجرد إخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والفم وألحان الغناء كما يعتاده قراء هذا الزمان من أهل مصر وغيره في مكة المكرمة وغيرها بل هو بدعة أحدثها البطالون الأكالون والحمقاء الجاهلون بالشرائع وأدلتها الصادقة وليس هذا بأول قارورة كسرت في الإسلام وقوله (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) اعتراض بين الأمر بقيام الليل وبين تعليله بقوله الآتي إن ناشئة الليل والقصد بهذا الاعتراض تسهيل ما كلفه من القيام كأنه يقول إن قيام الليل وإن كان عليك فيه مشقة لكنه أسهل من غيره من التكاليف فإنا سنلقي الخ وقال السمين هذه الجملة مستأنفة وقال الزمخشري هذه الآية اعتراض ويعني بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة والمعنى سنوحي وسننزل إليك القرآن وهو قول ثقيل وكلام عظيم ذو خطر وعظمة لأنه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل قال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه وقال الحسن العمل به وقال أبو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد بن كعب ثقيل على المنافقين والكفار بما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم وهتك أسرارهم وبطلان أديانهم وسب آلهتهم وقال السدي ثقيل بمعنى كريم من قولهم فلان ثقل علي أي كرم علي قال الفراء ثقيلا أي رزينا ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا وقال الحسين بن الفضل ثقيلا لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيل

ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته كما قال تعالى فلا يخاف ظلما ولا هضما وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون أي منا المسلم ومنا القاسط وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط فإنه العادل فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا أي طلبوا لأنفسهم النجاة وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا أي وقودا تسعر بهم وقوله تعالى وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين أحدهما وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها لأسقيناهم ماء غدقا أي كثيرا والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل

وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وكقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وعلى هذا يكون معنى قوله لنفتنهم فيه أى لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن أسلم لنفتنهم لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يرتد الى الغواية ذكر من قال بهذا القول قال العوفي عن ابن عباس وان لو استقاموا على الطريقة يعني بالاستقامة الطاعة وقال مجاهد وان لو استقاموا على الطريقة قال الاسلام وكذا قال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدى ومحمد بن كعب القرظي وقال قتادة وان لو استقاموا على الطريقة (٩٣) يقول لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا

وقال مجاهد وان لو استقاموا على الطريقة أى طريقة الحق وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله لنفتنهم فيه أى لنبتليهم به وقال مقاتل نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين والقول الثاني وان لو استقاموا على الطريقة الضلالة لأسقيناهم ماء غدقا أى لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وكقوله أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وهذا قول أبي مجلز لاحق بن حميد فانه قال في قوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة أى طريقة الضلالة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وحكاه البغوي عن الربيع بن أنس وزيد ابن أسلم والكلبي وابن كيسان وله اتجاه ويتأيد بقوله لنفتنهم فيه وقوله ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا أى عذابا مشقا شديدا موجعا مؤلما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد عذابا صعدا أى مشقة لا راحة معها وعن ابن عباس جبل في جهنم وعن سعيد بن جبير بئر فيها (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا) يقول تعالى آمرا عباده أن يوحدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة في قوله

ثقيل أى ثابت كثبوت الثقيل في محله ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه أبدا وقيل وصفه بكونه ثقيلا حقيقة لما ثبت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا أوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها على الارض فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه أخرجه أحمد وعبد بن حميد والحاكم وصححه عن عائشة وقيل ثقيلا بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقوله والفقهاء بحثوا عن أحكامه وكذا أهل اللغة والنحو والمعاني والبيان ثم لا يزال كل متأخر يفوز منه بفوائد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله فصار كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله والاولى ان جميع هذه المعاني فيه وقال القشيري القول الثقيل هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان اهـ (ان ناشئة الليل) أى ساعاته وأوقاته لانها تنشأ أولا فأولا يقال نشأ الشئ ينشأ اذا ابتدأ وأقبل شيأ بعد شئ فهو ناشئ وأنشأه الله فنشأ ومنه نشأت السحاب اذا بدأت فناشئة فاعلة من نشأت تنشئ فهي ناشئة قال الزجاج ناشئة الليل كل ما نشأ منه أى حدث فهو ناشئة قال الواحدي قال المفسرون الليل كله ناشئة والمراد ان ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف عن الاسم الموصوف وقيل ان ناشئة الليل هي النفس التي تنشأ من مضجعها للعبادة أى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض وقيل انما يقال لقيام الليل ناشئة اذا كان بعد نوم فلو لم يتقدمه نوم لم يكن ناشئة وقيل ما ينشأ فيه من الطاعات قال ابن الاعرابي اذا نمت من أول الليل ثم قمت فتلك المنشأة والنشأة ومنه ناشئة الليل قيل وناشئة الليل هي ما بين المغرب والعشاء لان معنى نشأ ابتدأ وكان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقال عكرمة وعطاء هي بدء الليل وقال مجاهد وغيره هي في الليل كله لانه ينشأ بعد النهار واختار هذا مالك وقال ابن كيسان هي القيام من آخر الليل قال في الصحاح ناشئة الليل أول ساعاته وقال الحسن هي ما بعد العشاء الآخرة الى الصبح وقال ابن عباس هي قيام الليل بلسان الحبشة اذا قام الرجل قالوا نشأ قال الشيخ فعلى هذا هي جمع ناشئ أى قائم قلت يعني انها صفة لشئ يفهم الجمع أى طائفة أو فرقة ناشئة والا ففاعل لا يجمع على فاعلة وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال

تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا قال كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يوحدوه وحده وقال ابن أبي حاتم ذكر على بن الحسين حدثنا اسمعيل بن بنت السدى أخبرنا رجل سماه عن السدى عن أبي مالك أو أبي صالح عن ابن عباس في قوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا قال لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الارض مسجد الا المسجد الحرام ومسجد ايلياء بيت المقدس وقال الاعمش قالت الجن يارسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل الله تعالى (٩٤) وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا يقول صلوا لا تخالطوا الناس وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد عن محمود عن سعيد بن جبير وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا قال قالت الجن لنبي الله صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤن أي باعدون عنك أو كيف نشهد الصلاة ونحن ناؤن عنك فنزلت وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وقال سفيان عن خصيف عن عكرمة نزلت في المساجد كلها وقال سعيد بن جبير نزلت في أعضاء السجود أي هي لله فلا تسجدوا بها لغيره وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة وأشار بيده الى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين وقوله تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال العوفي عن ابن عباس يقول لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن يستمعون القرآن هذا قول وهو مروى عن الزبير بن العوام رضى الله عنه وقال ابن جرير حدثني محمد بن معمر حدثنا أبو هشام عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الجن لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال لما رآه يصلى وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال عجبوا من طواعية أصحابه له قال فقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وهذا قول ثان وهو مروى عن سعيد بن جبير أيضا وقال

هي أوله وعنه قال الليل كله ناشئة وعن ابن مسعود قال ناشئة الليل بالحبشية قيام الليل وعن أنس بن مالك قال هي مابين المغرب والعشاء (هي أشد وطأ) قرأ الجمهور بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة واختارها أبو حاتم وقرئ بكسر الواو وفتح الطاء ممدودة واختار هذه الفراء وأبو عبيدة فالمعنى على الاولى ان الصلاة في ناشئة الليل أثقل على المصلى من صلاة النهار لان الليل للنوم قال ابن قتيبة المعنى انها أثقل على المصلى من ساعات النهار من قول العرب اشتدت على القوم وطأة السلطان اذا ثقل عليهم مايلزمهم منه ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر والمعنى على القراءة الثانية انها أشد مواطأة أي موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن من قولهم واطأت فلانا على كذا مواطأة ووطاء اذا وافقته عليه قال مجاهد وابن أبي مليكة أي أشد موافقة بين القلب والسمع والبصر واللسان لانقطاع الاصوات والحركات فيها ومنه ليواطئوا عدة ماحرم الله أي ليوافقوا وقال الاخفش أشد قياما وقال الفراء أي أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة والليل وقت الفراغ عن الاشتغال بالمعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع وقال الكلبي أشد نشاطا (وأقوم قيلا) أي أبين قولا وأسد مقالا وأثبت قراءة وأصح قولا من النهار لحضور القلب فيها وهدو الاصوات وسكونها وأشد استقامة واستمرارا على الصواب لان الاصوات فيها هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلى مايقرأه قال قتادة ومجاهد أي أصوب للقراءة وأثبت للقول لانه زمان التفهم قال أبو على الفارسي أقوم قيلا أي أشد استقامة بفراغ البال بالليل قال الكلبي أي أبين قولا بالقرآن وقال عكرمة أي أتم نشاطا واخلاصا وأكثر بركة وقال ابن زيد أجدر ان يتفقه في القرآن وقيل أعجل اجابة للدعاء (ان لك في النهار سبحا طويلا) قرأ الجمهور بالحاء المهملة أي تصرفا في حوائجك وأشغالك واقبالا وادبارا وذهابا ومجيئا والسبح الجرى والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح أي شديد الجرى وقد استعير من السباحة في الماء التصرف في الحوائج وقيل السبح الفراغ أي ان لك فراغا بالنهار للحاجات فصل بالليل وقال ابن عباس السبح الفراغ للحاجة والنوم قال ابن قتيبة أي تصرفا واقبالا وادبارا في حوائجك وأشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وراحتك وقال الخليل سبحا أي نوما والسبح التمدد وقال الزجاج المعنى ان فاتك في الليل شئ فلك في النهار

فراغ

الحسن لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله ويدعو الناس الى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعا وقال قتادة في قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفؤه فأبى الله الا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناواه وهذا قول ثالث وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد وهو اختيار ابن جرير وهو الاظهر لقوله بعده قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته انما أدعو ربي أي انما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ولا أشرك به أحدا وقوله تعالى قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا أي انما أنا بشر مثلكم يوحى الي وعبد من عباد الله ليس الي من الامر شئ في هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع في ذلك كله الى الله عز وجل ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد أي لو عصيته فانه لا يقدر أحد على انقاذي من عذابه وان أجد من دونه ملتحدا قال مجاهد وقتادة والسدي لا ملجأ وقال قتادة أيضا قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا أي لا نصير ولا ملجأ وفي رواية لا ولي ولا موئل وقوله تعالى الا بلاغا من الله ورسالاته قال بعضهم هو مستثنى من قوله قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا ويحتمل أن يكون استثناء من قوله لن يجيرني من الله أحد أي لا يجيرني منه ويخلصني الا ابلاغي الرسالة التي أوجب اداءها علي كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا أي أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله بجزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبدا أي لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها وقوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا أي حتى اذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والانس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى أي بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عددا من جنود الله عز وجل (قل ان أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه

فراغ للاستدراك وقرئ سبخا بالخاء المعجمة قيل ومعنى هذه القراءة الخفة والسعة والاستراحة قال الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى أي خففها وسبخ الحر فتر وخف ومنه قول الشاعر

فسبخ عليك الهم واعلم بأنه * اذا قدر الرحمن شيأ فكائن

أي خفف عنك الهم والتسبيخ من القطن ما ينسبخ بعد الندف وقال ثعلب السبخ بالخاء المعجمة التردد والاضطراب والسبخ السكون وقال أبو عمرو السبخ النوم والفراغ (واذكر اسم ربك) أي ادعه بأسمائه الحسنى وقيل اقرأ باسم ربك في ابتداء صلاتك وقيل اذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر على طاعته وتبعد عن معصيته وقيل المعنى دم على ذكر ربك وتلاوة القرآن ودراسة العلم ليلا ونهارا واستكثر من ذلك على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن قاله القاضي كالكشاف وقال الكلبي المعنى صل لربك وقال المحلي أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك انتهى تبع فيه سهلا وزاد عليه سهل توصلك ببركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه ذكره الكرخي ومعنى في ابتداء قراءتك سواء قرأت في الصلاة أو في خارجها وهذا اذا قرأ من أول سورة واما اذا قرأ من اثناء سورة فانه ان كان في غير الصلاة سن له أن يبسمل وان كان فيها لم تسن له البسملة لان قراءة السورة بعد الفاتحة تعد قراءة واحدة فتأمل (وتبتل اليه تبتيلا) اي انقطع اليه انقطاعا بالاشتغال لعبادته والتبتل الانقطاع يقال بتلت الشئ أي قطعته وميزته عن غيره وصدقة بتلة أي منقطعة من مال صاحبها ويقال للراهب بتيل لانقطاعه عن الناس ووضع تبتيلا مكان تبتلا لرعاية الفواصل قال الواحدي والتبتل رفض الدنيا ومافيها والتماس ما عند الله وقيل المعنى أخلص اليه اخلاصا وقيل توكل عليه توكلا (رب المشرق والمغرب) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وابن عامر بجر رب على النعت لربك أو البدل منه أو البيان له وقرأ الباقون برفعه على انه مبتدأ وخبره (لا اله الا هو) أو على انه خبر مبتدأ محذوف أي هو رب الخ وقرأ زيد بن علي بنصبه على المدح وقرأ الجمهور المشرق والمغرب مفردين وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم المشارق والمغارب على الجمع وقد قدمنا تفسير المشرق والمغرب والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب (فاتخذه وكيلا) أي اذا عرفت انه المختص بالربوبية فاتخذه قائما بأمورك

رصدا ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول
للناس انه لا علم له بوقت الساعة ولا يدرى أقريب وقتها أم بعيد قل ان أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا أى مدة طويلة
وفى هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذى يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الارض
كذب لا أصل له ولم نره فى شيء من الكتب وقد كان صلى الله عليه وسلم يسئل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولما تبدى له جبريل فى
صورة أعرابى كان فيما سأله ان قال يا محمد (٩٦) فاخبرنى عن الساعة فقال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل ولما ناداه ذلك الاعرابى
بصوت جهورى فقال يا محمد متى
الساعة قال ويحك انها كائنة
فما أعددت لها قال اما انى لم أعد لها
كثير صلاة ولا صيام ولكنى
أحب الله ورسوله قال فأنت مع
من أحببت قال أنس فما فرح
المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث
وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا
محمد بن مصفى حدثنا محمد بن جبير
حدثنى أبو بكر بن أبى مريم عن
عطاء بن أبى رباح عن أبى سعيد
الخدرى عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال يا بنى آدم ان كنتم تعلمون
فعدوا أنفسكم من الموتى والذى
نفسى بيده انما توعدون لآت
وقد قال أبو داود فى آخر كتاب الملاحم
حدثنا موسى بن سهل حدثنا حجاج
ابن ابراهيم حدثنا ابن وهب حدثنى
معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن
جبير عن أبيه عن أبى ثعلبة الخشنى
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لن تعجز الله هذه الامة من
نصف يوم انفرد به أبو داود ثم قال أبو
داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا
أبو المغيرة حدثنى صفوان عن
شريح بن عبيد عن سعد بن أبى
وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انى لارجو أن لا تعجز أمتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم
قيل لسعد وكم نصف يوم قال خمسمائة عام انفرد به أبو داود وقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول
هذه كقوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وهكذا قال ههنا انه يعلم الغيب والشهادة وانه لا يطلع أحد من خلقه على شيء
من علمه الا مما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وهذا يعم الرسول الملكى
والبشرى ثم قال تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا أى يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه

وعول عليه فى جميعها وقيل كفيلا بما وعدك من الجزاء والنصر وفائدة الفاء ان لا تلبث
بعد ان عرفت فى تفويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الاقرار
قال البقاعى وليس ذلك بأن يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بالاجمال فى
طلب كل ما ندب الانسان الى طلبه ليكون متوكلا فى السبب منتظر المسبب فلا يهمل
الاسباب ويتركها طامعا فى المسببات لانه حينئذ يكون كمن يطلب الولد من غير زوجة
وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الاسباب (واصبر على ما يقولون) فى من
الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر والاذى والسب والاستهزاء ولا تجزع من
ذلك (واهجرهم هجرا جميلا) أى لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم وتجانبهم وتداريهم
وكل أمرهم الى الله فالله يكفيكهم وقيل الهجر الجميل الذى لا جزع فيه وهذا كان
قبل الامر بالقتال (وذرنى والمكذبين) أى دعنى واياهم ولا تهتم بهم فانى أكفيك أمرهم
وأنتقم لك منهم قيل نزلت فى المطعمين يوم بدر وهم عشرة وقد تقدم ذكرهم وقال يحيى
ابن سلام هم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير أخبرت انهم اثنا عشر (أولى النعمة) أى أرباب
الغنى والسعة والترفه واللذة فى الدنيا والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم
المسرة (ومهلهم قليلا) أى تمهيلا قليلا على انه نعت لمصدر محذوف أو زمانا قليلا على
انه صفة لزمان محذوف والمعنى أمهلهم الى انقضاء آجالهم وقيل الى نزول عقوبة
الدنيا بهم كيوم بدر قالت عائشة لما نزلت هذه الآية لم يكن الا يسيرا حتى كانت وقعة
بدر وقيل الى يوم القيامة والاول أولى لقوله (ان لدينا أنكالا) وما بعده فانه وعيد
لهم بعذاب الآخرة والانكال جمع نكل وهو القيد كما قال الحسن ومجاهد وغيرهما
قال ابن مسعود أنكالا قيودا وقال الكلبى الانكال الاغلال من حديد والاول
أعرف فى اللغة وقال مقاتل هى أنواع العذاب الشديد وقال أبو عمران الجونى هى قيود
لا تحل (وجحيما) أى نارا مؤججة محرقة (وطعاما ذا غصة) أى لا يسوغ فى الحلق بل ينشب
فيه فلا ينزل ولا يخرج قال ابن عباس هو شجرة الزقوم وبه قال مجاهد وقال الزجاج
هو الضريع كما قال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع وقال هو شوك العوسج
قال عكرمة هو شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج والغصة الشجى فى الحلق
وهو ما ينشب فيه من عظم أو غيره وجمعها غصص (وعذابا أليما) أى ونوعا آخر من
العذاب

على ما معه من وحي الله ولهذا قال ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله ليعلم الى من يعود فقيل انه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قال أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به وهكذا رواه الضحاك والسدي ويزيد بن أبي حبيب وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم قال ليعلم نبي الله ان الرسل قد بلغت عن الله وان الملائكة حفظتها ورفعتها عن الله وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة واختاره ابن جرير وقيل غير ذلك كما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قال هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان حتى يبين الذين أرسل اليهم وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك ان قد أبلغوا رسالات ربهم وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم قال ليعلم من كذب الرسل ان قد أبلغوا رسالات ربهم وفي هذا نظر وقال البغوي قرأ يعقوب ليعلم بالضم أي ليعلم الناس ان الرسل قد بلغوا ويحتمل أن يكون الضمير عائدا الى الله عز وجل وهو قول حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من اداء رسالاته ويحفظ ما ينزله اليهم من الوحي ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكقوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين الى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الاشياء قبل كونها قطعا لا محالة ولهذا قال بعد هذا وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا آخر تفسير سورة الجن ولله الحمد والمنة * (تفسير سورة المزمل عليه السلام وهي مكية) * قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي حدثنا معلى بن عبد الرحمن حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال اجتمعت قريش

العذاب غير ماذكر وجميعا يخاص وجعه الى القلب (يوم ترجف الارض والجبال) انتصاب الظرف اما بذرني أو بالاستقرار المتعلق به لدينا أو هو صفة لعذاب فيتعلق بمحذوف أي عذابا واقعا يوم ترجف أو متعلق بأليم قرأ الجمهور ترجف بفتح التاء وضم الجيم مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول مأخوذ من أرجفها والمعنى تتحرك وتتزلزل وتضطرب بمن عليها وهو يوم القيامة والرجفة الزلزلة والرعدة الشديدة (وكانت الجبال) أي وتكون الجبال التي هي مراسي الارض وأوتادها (كثيبا مهيلا) وانما عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول والمهيل الذي يمر تحت الارجل قال الواحدي أي رملا سائلا يقال لكل شيء أرسلته ارسالا من تراب أو طعام أهلته هيلا قال الضحاك والكلبي المهيل الذي اذا وطئته بالقدم زل من تحتها واذا أخذت أسفله انهال وقال ابن عباس المهيل الذي اذا أخذت منه شيأ تبعك آخره وعنه قال المهيل الرمل السائل (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم) الخطاب لاهل مكة أو لكفار قريش أو لجميع الكفار ففيه التفات من الغيبة في قوله واصبر على ما يقولون وقوله والمكذبين والرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى يشهد عليكم يوم القيامة بأعمالكم (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعني موسى (فعصى فرعون الرسول) الذي أرسلناه اليه وكذبه ولم يؤمن بما جاء به والنكرة اذا أعيدت معرفة كان الثاني عين الاول وانما خص موسى وفرعون بالذكر لان خبرهما كان منتشرا بين أهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود والمعنى انا أرسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصاه (فأخذناه أخذا وبيلا) أي شديدا ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقال الاخفش شديدا وبه قال ابن عباس والمعنى متقارب ومنه طعام وبيل اذا كان لا يستمرأ (فكيف تتقون) أي فكيف تقون أنفسكم وتجدون الوقاية التي تقي أنفسكم والمعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا رأيتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة (ان كفرتم) أي اذا بقيتم على كفركم في الدنيا (يوما) أي عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) لشدة هوله أي يصير الولدان شيوخا شمطا والشيب جمع أشيب وهذا يجوز أن يكون حقيقة وانهم يصيرون كذلك أو تمثيلا لان من شاهد الهول العظيم تقاصرت قواه وضعفت اعضاؤه وصار كالشيخ في الضعف وسقوط القوة

في دار الندوة فقالوا اسموا هذا الرجل اسما يصدر الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر ثم قال البزار معلى بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا (٩٨) ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض الى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ولذلك كان صلى الله عليه وسلم ممتثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده كما قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا قال ابن عباس والضحاك والسدي يا أيها المزمل يعني يا أيها النائم وقال قتادة المزمل في ثيابه وقال ابراهيم النخعي نزلت وهو متزمل بقطيفة وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس يا أيها المزمل قال يا محمد زملت القرآن وقوله تعالى نصفه بدل من الليل أو انقص منه قليلا أو زد عليه أي أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك وقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه على تمهل فانه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه قالت عائشة رضي الله عنها كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وقال ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان يقطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين رواه أحمد وأبو داود

قال الشاعر

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

قال في المصباح والشيب ابيضاض الشعر المسود وشيب الحزن رأسه وبرأسه بالتشديد وأشابه بالالف وأشاب به فشاب في المطاوع انتهى وفي القاموس الشيب الشعر وبياضه كالمشيب وهو أشيب ولا فعلاء له أي لا يقال امرأة شيباء كما في المصباح وقوم شيب وشيب بضمتين وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون منه الشيخوخة والشيب والاول أولى وفي هذا توبيخ لهم شديد وتقريع عظيم قال الحسن أي كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم وكذا قرأ ابن مسعود وعطية ويوما مفعول به لتتقون قال ابن الانباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح والولدان الصبيان وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يجعل الولدان شيبا قال ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثا الى النار قال من كم يا رب قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين وينجو واحد فاشتد ذلك على المسلمين فقال حين أبصر ذلك في وجوههم ان بني آدم كثير وان يأجوج ومأجوج من ولد آدم انه لا يموت رجل منهم حتى يرثه لصلبه ألف رجل ففيهم وفي أشباههم جنة لكم أخرجه الطبراني وابن مردويه وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود نحوه باخصر منه ثم زاد سبحانه في وصف ذلك اليوم بالشدة فقال (السماء منفطر به) أي منشقة به لشدته وعظيم هوله فما ظنك بغيرها من الخلائق والجملة صفة أخرى ليوم والباء سببية وجوز الزمخشري أن تكون للاستعانة فانه قال والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به وقال القرطبي انها بمعنى في أي منفطر فيه وهو ظاهر وقيل بمعنى اللام أي منفطر له وانما قال منفطر ولم يقل منفطرة لتنزيل السماء منزلة شيء لكونها قد تغيرت ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقال أبو عمرو بن العلاء لم يقل منفطرة لان مجازها السقف فيكون هذا كما في قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال الفراء السماء تذكر وتؤنث وقال أبو علي الفارسي هو من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر وأعجاز نخل منقعر وقال أيضا أي السماء ذات انفطار كقولهم امرأة مرضع أي ذات ارضاع على طريق النسب وانفطارها لنزول الملائكة كما قال اذا السماء انفطرت وقوله والسموات يتفطرن من فوقهن

والترمذي وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن ذر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سفيان الثوري به وقال الترمذي حسن صحيح وقد قدمنا في أول التفسير الاحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث زينوا القرآن بأصواتكم وليس منا من لم يتغن بالقرآن ولقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود يعني أبا موسى فقال أبو موسى لو كنت أعلم انك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك (٩٩) تحبيرا وعن ابن مسعود انه قال لا تنثروه نثر الرمل ولا تهذوه هذا الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة رواه البغوي وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت أبا وائل قال جاء رجل الى ابن مسعود فقال قرأت المفصل الليلة في ركعة فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في ركعة وقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال الحسن وقتادة أي العمل به وقيل ثقيل وقت نزوله من عظمته كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فكادت ترض فخذي وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى الي الا ظننت ان نفسي تقبض تفرد به أحمد وفي أول صحيح البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي صلى الله عليه وسلم في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا هذا لفظه وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود اخبرنا عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ان كان ليوحى الي

فوقهن وقيل منفطر به أي بالله والمراد بأمره والاول أولى وقال ابن عباس منفطر به ممتلئة بلسان الحبشة وعنه قال مثقلة موقرة وعنه قال يعني تشقق السماء (كان وعده مفعولا) أي كان وعد الله بما وعد به من البعث والحساب وغير ذلك كائنا لا محالة والمصدر مضاف الى فاعله أو وكان وعد اليوم مفعولا فالمصدر مضاف الى مفعوله ومعنى مفعولا أنه مقضي نافذ لا يرد على حد من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله قال مقاتل كان وعده ان يظهر دينه على الدين كله (ان هذه) أي ما تقدم من الآيات (تذكرة) أي موعظة وقيل الاشارة الى جميع آيات القرآن لا الى ما في هذه السورة فقط (فمن شاء) النجاة (اتخذ) بالطاعة التي أهم أنواعها التوحيد (الى ربه سبيلا) أي طريقا توصله الى الجنة وقال القرطبي أي من أراد أن يؤمن ويتخذ بذلك الى ربه سبيلا أي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد أمكن له لانه أظهر له الحجج والدلائل (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى) أي أقل استعير له الادنى لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك (من ثلثي الليل ونصفه) معطوف على أدنى وقوله (وثلثه) معطوف على نصفه والمعنى ان الله يعلم ان رسوله صلى الله عليه وسلم يقوم أقل من ثلثي الليل ويقوم نصفه ويقوم ثلثه وبالنصب قرأ ابن كثير والكوفيون وقرأ الجمهور ونصفه وثلثه بالجر عطفا على ثلثي الليل والمعنى ان الله يعلم ان رسوله يقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه وأقل من ثلثه واختار قراءة الجمهور أبو عبيد وأبو حاتم لقوله الآتي علم ان لن تحصوه فكيف يقومون نصفه وثلثه وهم لا يحصونه وقال الفراء النصب أشبه بالصواب لانه قال أقل من ثلثي الليل ثم فسر نفس القلة (وطائفة من الذين معك) معطوف على الضمير في تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل أي وتقوم ذلك القدر معك طائفة من اصحابك (والله يقدر الليل والنهار) أي يعلم مقاديرهما على حقائقها ويختص بذلك دون غيره وأنتم لا تعلمون ذلك على الحقيقة قال عطاء يريد لا يفوته علم ما يفعلون أي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم قدر الذي يقومونه من الليل والذي ينامون منه (علم ان لن تحصوه) أي لن تطيقوا علم مقاديرهما على الحقيقة وفي ان ضمير شأن محذوف أي انه وقيل المعنى لن تطيقوا قيام الليل قال القرطبي والاول أصح فان قيام الليل ما فرض كله قط قال مقاتل وغيره لما نزل قم الليل

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه وهذا مرسل الجران هو باطن العنق واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معا كما قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم كما ثقل فى الدنيا ثقل يوم القيامة فى الموازين وقوله تعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا قال أبو اسحق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس نشأ قام بالحبشية (١٠٠) وقال عمر بن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة وكذا قال مجاهد وغير واحد يقال نشأ اذا قام من الليل وفى رواية عن مجاهد بعد العشاء وكذا قال أبو مجلز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر والغرض ان ناشئة الليل هى ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهى الآنات والمقصود أن قيام الليل هى أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى هى أشد وطأ وأقوم قيلا أى أجمع للخاطر فى اداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لانه وقت انتشار الناس ولغط الاصوات وأوقات المعاش وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا أبو أسامة حدثنا الاعمش أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأصوب قيلا فقال له رجل انما نقرؤها وأقوم قيلا فقال له ان أصوب وأقوم وأهيأ وأشباه هذا واحد ولهذا قال تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبى مسلم الفراغ والنوم وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع ابن أنس وسفيان الثورى فراغا طويلا وقال قتادة فراغا وبغية ومتقلبا وقال السدى سبحا طويلا تطوعا كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا قال لحوائجك فافرغ لدينك الليل قال وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم ان الله تبارك وتعالى منّ على عباده فخففها ووضعها وقرأ قم الليل الا قليلا الى آخر الآية ثم قرأ ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه حتى بلغ فاقرؤا ما تيسر منه وقال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وهذا الذى قاله كما قاله والدليل عليه ما رواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا يحيى حدثنا سعيد بن

الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدرى متى نصف الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان يخطئ فانتفخت أقدامهم وانتقعت ألوانهم فرحمهم الله وخفف عنهم فقال علم أن لن تحصوه لانكم ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى تكلف ما ليس فرضا وان نقصتم شق ذلك عليكم (فتاب عليكم) أى فعاد عليكم بالعفو ورخص لكم فى ترك القيام وقيل أسقط عنكم فرض القيام اذ عجزتم وأصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع بكم من التثقيل الى التخفيف ومن العسر الى اليسر قال المحلى رجع بكم الى التخفيف قال الحفناوى فالمراد التوبة اللغوية لا التوبة من الذنب والمراد بالتخفيف الذى رجع بهم اليه ما كان قبل وجوب القيام لكن الرجوع فى الجملة لانه قبل وجوب قيام الليل لم يكن عليهم قيام شئ منه وفى هذا الرجوع والتخفيف وجوب جزء مطلق يصدق بركعتين (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) بيان للبدل الذى وقع النسخ اليه أى فنسخ التقدير بالاجزاء الثلاثة الى جزء مطلق من الليل وسيأتى ان هذا الجزء نسخ أيضا بوجوب الصلوات الخمس والمعنى فاقرؤا فى الصلاة بالليل ما خف عليكم وتيسر لكم منه من غير ان ترقبوا وقتا قاله القرطبى ورجحه قال الحسن هو ما يقرأ فى صلاة المغرب والعشاء وقال السدى ما تيسر منه هو مائة آية وقال الحسن أيضا من قرأ مائة آية فى ليلة لم يحاجه القرآن وقال كعب من قرأ فى ليلة مائة آية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون آية وعن ابن عباس مرفوعا قال مائة آية أخرجه الطبرانى وابن أبى حاتم وابن مردويه وعن قيس بن أبى حازم قال صليت خلف ابن عباس فقرأ فى أول ركعة بالحمد لله رب العالمين وأول آية من البقرة ثم ركع فلما انصرفنا أقبل علينا فقال ان الله يقول فاقرؤا ما تيسر منه أخرجه الدارقطنى والبيهقى فى سننه وحسناه قال ابن كثير هذا حديث غريب جدا لم أره الا فى معجم الطبرانى وعن أبى سعيد عند أحمد والبيهقى فى سننه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر وقد قدمنا فى أول هذه السورة ما روى ان هذه الآيات المذكورة هنا هى الناسخة لوجوب قيام الليل وقيل المعنى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل والصلاة تسمى قرآنا كقوله وقرآن الفجر قيل ان هذه الآية نسخت قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه فيحتمل أن يكون ما تضمنته هذه الآية فرضا ثابتا ويحتمل أن يكون منسوخا بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى

أبى عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل الى المدينة ليبيع عقارا له بها ويجعله فى الكراع
والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت فلقى رهطا من قومه فحدثوه أن رهطا من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال أليس لكم فى أسوة حسنة فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها ثم رجع الينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر
فقال ألا أنبئك بأعلم أهل الارض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال ائت عائشة فسلها ثم ارجع الى فأخبرنى بردها عليك
قال فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته اليها فقال ما أنا بقاربها انى نهيتها أن تقول فى هاتين الشيعتين شيأ فأبت
فيهما الا مضيا فأقسمت عليه فجاء
معى فدخلنا عليها فقالت حكيم
وعرفته قال نعم قالت من هذا معك
قال سعيد بن هشام قالت من هشام
قال ابن عامر قال فترحمت عليه
وقالت نعم المرء كان عامر اقلت يا أم
المؤمنين أنبئينى عن خلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت ألست
تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان
خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان القرآن فهممت أن أقوم ثم
بدالى قيام رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلت يا أم المؤمنين أنبئينى عن
قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت ألست تقرأ هذه السورة
يا أيها المزمل قلت بلى قالت فان الله
افترض قيام الليل فى أول هذه
السورة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه حولا حتى
انتفخت أقدامهم وأمسك الله
خاتمتها فى السماء اثنى عشر شهرا ثم
أنزل الله التخفيف فى آخر هذه
السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد
فرضه فهممت أن أقوم ثم بدالى وتر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا أم المؤمنين أنبئينى عن وتر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلى ثمان
ركعات لا يجلس فيهن الا عند الثامنة فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلى ركعتين وهو جالس بعدما
يسلم فتلك احدى عشرة ركعة يا بنى فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد
ما يسلم فتلك تسع يا بنى وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان اذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع
أو مرض صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة ولا أعلم نبى الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله فى ليلة حتى أصبح ولا صام شهرا كاملا

أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال الشافعى الواجب طلب الاستدلال بالسنة على أحد
المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب من الصلاة
الا الخمس وقد ذهب قوم الى أن قيام الليل نسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم وفى حق أمته
وقيل نسخ التقدير بمقدار وبقى أصل الوجوب وقيل انه نسخ فى حق الامة وبقى فرضا
فى حقه صلى الله عليه وسلم والاولى القول بنسخ قيام الليل على العموم فى حقه صلى الله
عليه وسلم وفى حق أمته وليس فى قوله فاقرؤا ما تيسر منه ما يدل على بقاء شئ من الوجوب
لانه ان كان المراد به القراءة من القرآن فقد وجدت فى المغرب والعشاء وما يتبعهما من
النوافل المؤكدة وان كان المراد به الصلاة من الليل فقد وجدت صلاة الليل بصلاة
المغرب والعشاء وما يتبعهما من التطوع وأيضا الاحاديث الصحيحة المصرحة بقول
السائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل على غيرها يعنى الصلوات الخمس فقال لا الا ان
تطوع تدل على عدم وجوب غيرها فارتفع بهذا وجوب قيام الليل وصلاته على الامة كما
ارتفع وجوب ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال
الواحدى قال المفسرون فى قوله فاقرؤا ما تيسر منه كان هذا فى صدر الاسلام ثم نسخ
بالصلوات الخمس عن المؤمنين وثبت على النبى صلى الله عليه وسلم خاصة وذلك قوله وأقيموا
الصلاة قلت فيه نظر لان وجوب الصلوات الخمس لا ينافى وجوب قيام الليل وشرط الناسخ
أن يكون حكمه منافيا ومعارضا لحكم المنسوخ كوجوب العدة بحول مع وجوبها
بأربعة أشهر فليتأمل فالصواب أن يكون النسخ بغير ذلك كالحديث الذى قدمنا ثم ذكر
سبحانه عذرهم فقال (علم ان سيكون منكم مرضى) فلا يطيقون قيام الليل ويشق
عليهم ذلك وقال الحفناوى هذا استئناف مبين لحكمة أخرى فالحكمة الاولى هى قوله
علم ان لن تحصوه والثانية هى قوله علم ان سيكون الخ (وآخرون يضربون فى الارض
يبتغون من فضل الله) أى يسافرون فيها للتجارة والارباح يطلبون من رزق الله
ما يحتاجون اليه فى معاشهم فلا يطيقون قيام الليل (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله)
يعنى الغزاة والمجاهدين فلا يطيقون قيام الليل قال النسفى سوى سبحانه وتعالى فى
هذه الآية بين درجة المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود أيما
رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله

غير رمضان فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها فقال صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني مشافهة هكذا رواه الامام أحمد بتمامه وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بنحوه طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثنا مهران قالا جميعا واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة حدثني محمد بن طحلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج كالمغضب وكان بهم رحيما فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل (١٠٢)

فقال أيها الناس اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الاعمال ماديم عليه ونزل القرآن يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم الى الفريضة وترك قيام الليل ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الزبيدي وهو ضعيف والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قد يوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وانما هي مكية وقوله في هذا السياق ان بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب فقد تقدم في رواية أحمد انه كان بينهما سنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سماك الحنفي سمعت ابن عباس يقول أول ما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة به وقال الثوري ومحمد بن بشر العبدي كلاهما عن مسعر عن سماك عن ابن عباس كان بينهما سنة وروى ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبي عبد الرحمن قال لما نزلت يا أيها المزمل قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت فاقرؤا ما تيسر منه قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصري والسدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا معاذ بن هشام

من الشهداء ثم قرأ هذه الآية وقال ابن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب الي من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب في الارض أبتغي من فضل الله وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ثم لما ذكر سبحانه ههنا ثلاثة أسباب مقتضية للترخيص ورفع وجوب القيام فرفعه عن جميع الامة لاجل هذه الاعذار التي تنوب بعضهم ذكر ما يفعلونه بعد هذا الترخيص فقال (فاقرؤا ما تيسر منه) وقد تقدم تفسيره قريبا والتكرير للتأكيد (وأقيموا الصلاة) يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها (وآتوا الزكاة) يعني الواجبة في الاموال وقال الحرث العكلي صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل أفعال الخير (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أي انفقوا ما سوى المفروض في سبيل الخير من أموالكم انفاقا حسنا عن طيب قلب وانما أضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له في تلك القربة فلا تكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه وقد مضى تفسيره في سورة الحديد قال زيد بن أسلم القرض الحسن الانفاق على الاهل وقيل الانفاق من الحلال بالاخلاص والصرف الى المستحق وقيل النفقة في الجهاد وقيل هو اخراج الزكاة المفترضة على وجه حسن فيكون تفسيرا لقوله وآتوا الزكاة والاول أولى لقوله (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) فان ظاهره العموم أي أي خير كان مما ذكر ومما لم يذكر (هو خيرا وأعظم أجرا) أي أجزل ثوابا مما تؤخرونه الى عند الموت أو توصون به ليخرج بعد موتكم وانتصاب خيرا على انه ثاني مفعولي تجدوه وضمير هو ضمير فصل وبالنصب قرأ الجمهور وقرئ بالرفع على انه خبر هو والجملة في محل نصب على انها ثاني مفعولي تجدوه قال أبو زيد وهي لغة تميم يرفعون ما بعد ضمير الفصل وقرأ الجمهور أيضا أعظم بالنصب عطفا على خيرا وقرئ بالرفع مثل خير وانتصاب اجرا على التمييز (واستغفروا الله) أي اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم في مجامع أحوالكم فانكم لا تخلون من ذنوب تقترفونها (ان الله غفور رحيم) أي كثير المغفرة لمن استغفره كثير الرحمة لمن استرحمه ويستر على أهل الذنب والتقصير ويخفف عن أهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير

(سورة المدثر هي خمس أوست وخمسون آية وهي مكية) *(في

حدثنا أبي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال فقلت يعني لعائشة أخبرينا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ يا أيها المزمل قلت بلى قالت فإنها كانت قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهرا ثم نزل وقال معمر عن قتادة قم الليل الا قليلا قاموا حولا أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد هو ابن جبير قال لما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها المزمل (١٠٣) قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك الى قوله تعالى وأقيموا الصلاة فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن رافع عن يعقوب القمي به وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله الى قوله تعالى فاقرأوا ما تيسر منه فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق وقوله تعالى واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا أي أكثر من ذكره وانقطع اليه وتفرغ لعبادته اذا فرغت من أشغالك وما تحتاج اليه من أمور دنياك كما قال تعالى فاذا فرغت فانصب أي اذا فرغت من مهماتك فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه وقال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي وتبتل اليه تبتيلا أي أخلص له العبادة وقال الحسن اجتهد وأبتل اليه نفسك وقال ابن جرير يقال للعابد متبتل ومنه الحديث المروي نهى عن التبتل يعني الانقطاع الى العبادة وترك التزوج وقوله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا أي هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا اله الا هو وكما أفردته بالعبادة وأفرده بالتوكل فاتخذه وكيلا كما قال تعالى في الآية الأخرى فاعبده وتوكل عليه وكقوله اياك نعبد واياك نستعين في آيات كثيرة في هذا المعنى فيها الامر بافراد العبادة

(في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الواحدي قال المفسرون لما بدئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي أتاه جبريل فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سرير بين السماء والارض كالنور المتلألئ ففزع ووقع مغشيا عليه فلما أفاق دخل على خديجة ودعا بماء فصبه عليه وقال دثروني دثروني فدثروه بقطيفة فقال (يا أيها المدثر) أي يا أيها الذي قد تدثر بثيابه أي تغشى بها من الرعب الذي حصل له من رؤية الملك عند نزول الوحي وأصله المتدثر فأدغمت التاء في الدال لتجانسهما وقد قرأ الجمهور بالادغام وقرأ أبي على الاصل والدثار هو ما يلبس فوق الشعار والشعار هو الذي يلي الجسد وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار وسيف داثر بعيد العهد بالصقال ومنه قيل للمنزل الدارس داثر لذهاب أعلامه وقال عكرمة المعنى يا أيها المدثر بالنبوة وأثقالها قال ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا اذ ذاك أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله ان أبا سلمة بن عبد الرحمن قال ان أول ما نزل من القرآن يا أيها المدثر فقال له يحيى بن أبي كثير يقولون ان أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت فقال جابر لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيأ ونظرت عن شمالي فلم أر شيأ ونظرت خلفي فلم أر شيأ فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فرجعت فقلت دثروني فدثروني فنزلت يا أيها المدثر الى قوله والرجز فاهجر وعن ابن عباس قال دثر هذا الامر فقم به وعنه قال المدثر النائم وسيأتي في سورة اقرأ ما يدل على انها أول سورة أنزلت والجمع ممكن قال الخطيب اختلف في أول ما نزل من القرآن اختلافا طويلا وتحقيق المعتمد منه وطريق الجمع بين الاحاديث المتناقضة فيه ان أول ما نزل على الاطلاق اقرأ باسم ربك الى ما لم يعلم وأول ما نزل بعد فترة الوحي يا أيها المدثر الى فاهجر وفي صدر حاشية سليمان الجمل استيفاء الكلام على ترتيب القرآن نزولا نقلا عن الخازن فراجعه ان شئت (قم فانذر) أي انهض فخوف أهل مكة

والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه وان يهجرهم هجرا جميلا (١٠٤) وهو الذي لا عتاب معه ثم قال له متهددا لكفار قومه ومتوعدا وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء وذرني والمكذبين أولي النعمة أي دعني والمكذبين المترفين أصحاب الاموال فانهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ومهلهم قليلا أي رويدا كما قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولهذا قال ههنا ان لدينا أنكالا وهي القيود قاله ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد ابن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجوني وأبو مجلز والضحاك وحماد بن أبي سليمان وقتادة والسدي وابن المبارك والثوري وغير واحد وجحيما وهي السعير المضطرمة وطعاما ذا غصة قال ابن عباس ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج وعذابا أليما يوم ترجف الارض والجبال أي تزلزل وكانت الجبال كثيبا مهيلا أي تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء ثم انها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء الا ذهب حتى تصير الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا أي واديا ولا امتا اي رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش والمراد سائر الناس انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم أي بأعمالكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والثوري أخذا وبيلا أي شديدا أي فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى وأنتم أولى بالهلاك والدمار ان كذبتم رسولكم لان رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ويروى عن ابن عباس ومجاهد وقوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يحتمل أن يكون يوما معمولا لتتقون كما حكاه ابن جرير

وحذرهم العذاب ان لم يسلموا أو قم من مضجعك واترك الدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله له وهو الانذار أو قم قيام عزم وتصميم وقيل الانذار هنا هو اعلامهم بنبوته وقيل اعلامهم بالتوحيد وقال الفراء المعنى قم فصل وأمر بالصلاة (وربك فكبر) أي واختص سيدك ومالكك ومصلح أمورك بالتكبير وهو وصفه سبحانه بالكبرياء والعظمة عقدا وقولا وانه أكبر من أن يكون له شريك كما يعتقده الكفار وأعظم من ان تكون له صاحبة أو ولد قال ابن العربي المراد به تكبير التقديس والتنزيه بخلع الاضداد والانداد والاصنام ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد سواه ولا ترى لغيره فعلا الا له ولا نعمة الا منه قال الزجاج ان الفاء في فكبر دخلت على معنى الجزاء كما دخلت في قوله فانذر وقال ابن جني هو كقولك زيدا فاضرب أي زيدا اضرب فالفاء زائدة وعبارة الكرخي دخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وأيا ما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) المراد بها الثياب الملبوسة على ما هو المعنى اللغوي أمره الله سبحانه بتطهير ثيابه وحفظها عن النجاسات وازالة ما وقع فيها منها وقال مجاهد وابن زيد وأبو رزين أي عملك فاصلح وقال قتادة نفسك فطهر من الذنب والثياب عبارة عن النفس وقال سعيد بن جبير قلبك فطهر وقال الحسن والقرطبي أخلاقك فطهر لان خلق الانسان مشتمل على أحواله اشتمال ثيابه على نفسه وقال الزجاج المعنى وثيابك فقصر لان تقصير الثوب أبعد من النجاسات اذا انجر على الارض وبه قال طاوس وذلك لان العرب كانت عادتهم تطويل الثياب وجر الذيول ولا يؤمن معه اصابة النجاسة وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وأمر بتقصيره لذلك وقال أبي ابن كعب معناه لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على اثم البسها وأنت بر طاهر وقال ابن عباس أي لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب باطل وعنه قال فطهر من الاثم قال وهي في كلام العرب نقي الثياب وعنه قال من الغدر لا تكن غدارا وفي لفظ لا تلبسها على غدرة والاول أولى لانه المعنى الحقيقي وليس في استعمال الثياب مجازا عن غيرها لعلاقة مع قرينة ما يدل على انه المراد عند الاطلاق وليس في مثل هذا الاصل أعني الحمل على الحقيقة عند الاطلاق خلاف وفي الآية دليل على وجوب طهارة الثياب في الصلاة قال الرازي اذا حملنا التطهير على حقيقته ففي الآية ثلاث احتمالات الاول قال الشافعي

المقصود

عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم بالله ولم تصدقوا به ويحتمل أن يكون لكفرتم فعلى الاول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم ان كفرتم وعلى الثاني كيف يحصل لكم تقوى ان كفرتم يوم القيامة وجحدتموه وكلاهما معنى حسن ولكن الاول أولى والله أعلم ومعنى قوله يوما يجعل الولدان شيبا أي من شدة أهواله وزلازله وبلابله وذلك حين يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار فيقول من كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال الطبراني حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عثمان ابن عطاء الخراساني عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوما يجعل الولدان شيبا قال ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثا الى النار قال من كم يارب قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم ان بني آدم كثير وان يأجوج ومأجوج من ولد آدم وانه لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل ففيهم وفي اشباههم جنة لكم هذا حديث غريب وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه الاحاديث وقوله تعالى السماء منفطر به قال الحسن وقتادة أي بسببه من شدته وهوله ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى وروى عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوي لانه لم يجر له ذكر ههنا وقوله تعالى كان وعده مفعولا أي كان وعد هذا اليوم مفعولا أي واقعا لامحالة وكائنا لامحيد عنه (ان هذه تذكرة فمن شاء

اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) يقول تعالى ان هذه أي السورة تذكرة أي يتذكر بها أولوا الالباب ولهذا قال تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا أي ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيد في السورة الاخرى وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما ثم قال تعالى ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه

المقصود من الآية الاعلام بأن الصلاة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فأمره الله أن يصون ثيابه عنها وثالثها روى انهم ألقوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قذرا فقيل له وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات (والرجز فاهجر) الرجز معناه في اللغة العذاب وفيه لغتان كسر الراء وضمها وهما قراءتان سبعيتان والزاي منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين والزاي ومعناهما واحد وانما سمي الشرك وعبادة الاوثان رجزا لانها سبب الرجز وقال مجاهد وعكرمة الرجز الاوثان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وبه قال ابن زيد وقال ابراهيم النخعي الرجز المأثم والهجر الترك وقال قتادة الرجز اساف ونائلة وهما صنمان كانا عند البيت وقال أبو العالية والربيع والكسائي الرجز بالضم الوثن وبالكسر العذاب وقال السدي الرجز بضم الزاء الوعيد والاول أولى وقال ابن عباس الرجز الاصنام (ولا تمنن تستكثر) قرئ لا تمن بالادغام وقرأ الجمهور بفك الادغام وتستكثر بالرفع على انه حال أي ولا تمنن حال كونك مستكثرا وقيل على حذف ان والاصل ولا تمنن أن تستكثر فلما حذفت رفع قال الكسائي فاذا حذف ان رفع الفعل وقرئ تستكثر بالنصب على تقدير ان وبقاء عملها ويؤيدها قراءة ابن مسعود ان تستكثر بزيادة أن وقرئ بالجزم على انه بدل من تمنن كما في قوله يلق أثاما يضاعف له العذاب أو الجزم لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد اعترض على قراءة الجزم لان قوله تستكثر لا يصح أن يكون بدلا من تمنن لان المن غير الاستكثار ولا يصح أن يكون جوابا للنهي والمن الانعام وبابه رد واختلف السلف في معنى الآية فقيل المعنى لا تمنن بشيء مستكثرا أي طالبا للكثرة كارها أن ينقص المال بسبب العطاء فيكون الاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض كيف كان وقيل المعنى لا تمنن على ربك بما تحمله من أعباء الرسالة والنبوة كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير وقيل لا تعط عطية تلتمس فيها أكثر منها قاله عكرمة وقتادة وقال ابن عباس لا تعط تلتمس بها أفضل منها وعنه قال لا تعط الرجل عطاء رجاء أن يعطيك أكثر منه قال الضحاك هذا حرمه الله على رسوله لانه مأمور بأشرف الآداب وأجل الاخلاق وأباحه لامته وقال مجاهد لا تضعف أن تستكثر من الخير من قولك حبل منين اذا كان ضعيفا وقال الربيع بن أنس

وثلثه وطائفة من الذين معك أي تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولهذا قال والله يقدر الليل والنهار أي تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا أو هذا من هذا علم أن لن تحصوه أي الفرض الذي أوجبه عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن أي من غير تحديد بوقت أي ولكن قوموا من الليل ما تيسر وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال في سورة سبحان ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك ولا تخافت بها وقد استدل أصحاب الامام أبي حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهي قوله (١٠٦) فاقرؤا ما تيسر من القرآن على أنه لا تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ولو بآية أجزأه واعتضدوا بحديث المسيء صلاته الذي في الصحيحين ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج فهي خداج غير تمام وفي صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعا لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن وقوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله أي علم أن سيكون من هذه الامة ذوو أعذار في ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين في الارض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهي من أكبر دلائل النبوة لأنه من باب الاخبار بالمغيبات المستقبلة ولهذا قال تعالى فاقرؤا ما تيسر منه أي قوموا بما تيسر عليكم منه قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء محمد قال قلت للحسن يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به إنما يصلي المكتوبة قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك قال الله تعالى للعبد الصالح وإنه لذو علم لما علمناه وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قلت يا أبا سعيد قال الله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري أنه يرى أنه كان حقا واجبا على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه فقيل معناه نام عن المكتوبة وقيل عن قيام الليل وفي السنن أوتروا يا أهل

لا يعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير وقال ابن كيسان لا تستكثر عملا فتراه من نفسك إنما عملك منة من الله عليك إذ جعل لك سبيلا إلى عبادته وقيل لا تمنن بالنبوة والقرآن على الناس فتأخذ منهم أجرا تستكثره وقال محمد بن كعب لا تعط مالك مصانعة وقال زيد بن أسلم إذا أعطيت عطية فأعطها لربك (ولربك فاصبر) على طاعته وفرائضه والمعنى لأجل ربك وثوابه وقال مقاتل ومجاهد اصبر على الأذى والتكذيب وقال ابن زيد حملت أمرا عظيما محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله وقيل اصبر تحت موارد القضاء لله وقيل فاصبر على البلوى وقيل على الأوامر والنواهي (فإذا نقر في الناقور) فاعول من النقر كأنه من شأنه أن ينقر فيه للتصويت والنقر في كلام العرب الصوت ويقولون نقر باسم الرجل إذا دعاه والمراد هنا النفخ في الصور والمراد النفخة الثانية وقيل الأولى وقد تقدم الكلام على هذا في سورة الانعام وسورة النمل والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أمرهم قال ابن عباس الناقور الصور أي القرن الذي هو مستطيل وفيه ثقب بعدد الارواح كلها وتجمع الارواح في تلك الثقب فيخرج من كل ثقبة روح إلى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا بإذن الله تعالى كما مر غير مرة والعامل في إذا ما دل عليه قوله الآتي فذلك يومئذ الخ فإن معناه عسر الامر عليهم وقيل العامل فيه ما دل عليه قوله (فذلك) لأنه إشارة إلى النقر أي وقت النقر وهو النفخة يوم القيامة (يومئذ) بدل مما قبله وهو اسم الاشارة وبني يوم لإضافته إلى غير متمكن وهو إذ وتنوينها عوض عن الجملة أي يوم إذ نفخ في الصور وخبر ذلك (يوم عسير) أي شديد (على الكافرين غير يسير) تأكيد لعسره عليهم لأن كونه غير يسير قد فهم من قوله يوم عسير وفيه إيذان بأنه يسير على المؤمنين وقال الرازي يحتمل أنه عسير على المؤمنين والكافرين إلا أنه على الكافرين أشد انتهى وما قاله الرازي يدفعه التقييد بالجار والمجرور إن جعل متعلقا بعسير وإن كان صفة إليه لأنه قد أجازه بعضهم كما ذكره السمين (ذرني ومن خلقت وحيدا) أي دعني واتركني وهي كلمة تهديد ووعيد والمعنى دعني والذي خلقته حال كونه وحيدا في بطن أمه لا مال له ولا ولد هذا على أن وحيدا منتصب على الحال من الموصول أو من الضمير العائد المحذوف ويجوز أن يكون حالا من الياء في ذرني أي دعني وحدي معه فإني أكفيك في الانتقام منه

القرآن وفي الحديث الآخر من لم يوتر فليس منا وأغرب من هذا ما حكي عن أبي بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من ايجاب قيام شهر رمضان فالله أعلم وقال الطبراني حدثنا أحمد بن سعيد بن فرقد الجدي حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدي حدثنا عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس عن أبيه عن طاوس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فاقرؤا ما تيسر منه قال مائة آية وهذا حديث غريب جدا لم أره الا في معجم الطبراني رحمه الله تعالى وقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة وهذا يدل لمن قال بأن فرض (١٠٧) الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين الا بالمدينة والله أعلم وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف ان هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل خمس صلوات في اليوم والليلة قال هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع وقوله تعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا يعني من الصدقات فان الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لانفسكم في الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن الحرث بن سويد قال قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا من أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر ورواه البخاري من حديث حفص بن غياث والنسائي من طريق أبي معاوية كلاهما عن الاعمش به ثم قال تعالى واستغفروا الله ان الله غفور رحيم أي أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فانه غفور رحيم لمن استغفره آخر تفسير سورة المزمل ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة المدثر وهي مكية)

*(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) ثبت في صحيح البخاري من حديث ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شيء نزل من القرآن يا أيها المدثر وخالفه الجمهور فذهبوا

والاول أولى قال المفسرون وهو الوليد بن المغيرة وبه قال ابن عباس قال مقاتل خل بيني وبينه فأنا أنفرد بهلكته وانما خص بالذكر لمزيد كفره وعظيم جحوده لنعم الله عليه وقيل أراد بالوحيد الذي لا يعرف أبوه وكان يقال في الوليد انه دعي وعن ابن عباس قال ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه فانك أتيت محمدا التعرض لما قبله قال قد علمت قريش اني من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه هذا الذي يقول شيأ من هذا والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته قال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت ذرني ومن خلقت وحيدا أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وقد أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة مرسلا وكذا غير واحد (وجعلت له مالا ممدودا) أي كثيرا أو مدبالزيادة والنماء شيأ بعد شيء قال الزجاج مال غير منقطع عنه وقد كان الوليد بن المغيرة مشهورا بكثرة المال على اختلاف أنواعه كالزرع والضرع والتجارة قيل كان يحصل له من غلة أمواله ألف ألف دينار وقيل أربعة آلاف دينار وقيل ألف دينار قاله ابن عباس وعن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال غلة شهر بشهر قيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا وكان له عبيد وجوار كثيرة (وبنين شهودا) أي وجعلت له بنين حضورا بمكة معه لا يسافرون ولا يحتاجون الى التفرق في طلب الرزق لكثرة مال أبيهم قال الضحاك كانوا سبعة ولدوا بمكة وخمسة ولدوا بالطائف وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر ولدا وقال مقاتل كانوا سبعة كلهم رجال أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد بن الوليد وقيل عمارة وفيه نظر لان ابن حجر قال في الاصابة ان عمارة مات كافرا وقيل معنى شهودا انه اذا ذكر ذكروا معه وقيل كانوا يشهدون ما كان يشهده من المحافل والمجامع ويقومون بما كان يباشره (ومهدت له تمهيدا) أي بسطت له في العيش الرغيد وطول العمر والجاه العريض والرياسة في قريش حتى كان يدعى ريحانة قريش وهو الكمال عند أهل الدنيا والتمهيد

الى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق كما سيأتى بيان ذلك هنالك ان شاء الله تعالى قال البخارى حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك الذى خلق فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لى فقال جابر لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيأ ونظرت عن شمالى فلم أر شيأ ونظرت أمامى فلم أر شيأ ونظرت خلفى فلم أر شيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ فأتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا على ماء باردا قال فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر هكذا ساقه من هذا الوجه وقد رواه مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبى سلمة قال أخبرنى جابر ابن عبد الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه فبينا أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فاذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والارض فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى أهلى فقلت زملونى زملونى فدثرونى فأنزل يا أيها المدثر قم فأنذر الى فاهجر قال أبو سلمة والرجز الاوثان ثم حمى الوحى وتتابع هذا لفظ البخارى وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضى أنه قد نزل الوحى قبل هذا لقوله فاذا الملك الذى جاءنى بحراء وهو جبريل حين أتاه بقوله اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم انه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا وجه الجمع ان أول شئ نزل بعد فترة الوحى هذه السورة كما قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول أخبرنى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم فتر الوحى عنى فترة فبينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فاذا الملك الذى جاءنى قاعد على كرسى بين السماء والارض فجئثت منه فرقا حتى هويت الى الارض فجئت أهلى فقلت لهم زملونى زملونى فزملونى فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ثم حمى الوحى وتتابع أخرجاه من حديث الزهرى به وقال الطبرانى حدثنا محمد بن على بن شعيب السمسار حدثنا الحسن بن بشر البجلى حدثنا المعافى بن عمران عن ابراهيم بن

عند العرب التوطئة ومنه مهد الصبى وأصله التسوية والتهيئة وتجوز به عن بسط المال والجاه وهو المراد هنا وقال مجاهد انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش (ثم يطمع أن أزيد) أى يطمع بعد هذا كله فى الزيادة لكثرة حرصه وشدة طمعه مع كفرانه النعم واشراكه بالله قال الحسن ثم يطمع ان أدخله الجنة وكان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الالى فردعه الله سبحانه وزجره فقال كلا أى لست أزيده بل أنقصه فقد ورد أنه بعد نزول هذه الآية ما زال فى نقصان ماله وولده حتى هلك فقيرا ثم علل ذلك على وجه الاستئناف التحقيقى بقوله (انه كان لآياتنا عنيدا) أى معاندا لها كافرا بما أنزلناه منها على رسولنا فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفرانها مع شيوعها مما يوجب الحرمان بالكلية وانما أوتى ما أوتى استدراجا يقال عند يعند بالكسر اذا خالف الحق ورده وهو يعرفه فهو عنيد وعاند والعاند الذى يجوز عن الطريق ويعدل عن القصد قال أبو صالح عنيدا معناه مباعدا وقال قتادة جاحدا وقال مقاتل معرضا وقال ابن عباس جحودا (سأرهقه صعودا) أى سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة فيها وهو مثل لما يلقاه من العذاب الصعب الذى لا يطاق وقيل المعنى انه يكلف أن يصعد جبلا من نار والارهاق فى كلام العرب أن يحمل الانسان الشئ الثقيل قال أبو سعيد الخدرى فى قوله صعودا هو جبل فى النار يكلفون ان يصعدوا فيه فكلما وضعوا ايديهم عليه ذابت فاذا رفعوها عادت كما كانت وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل فى النار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوى وهو كذلك فيه أبدا أخرجه أحمد والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى قال الترمذى غريب لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة عن دراج قال ابن كثير وفيه غرابة ونكارة انتهى وقد أخرجه جماعة من قول أبى سعيد وقال ابن عباس صعودا صخرة فى جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وعنه قال جبل فى النار وجملة (انه فكر) تعليل لما تقدم من الوعيد أى انه فكر فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن (وقدر) أى هيأ الكلام فى نفسه والعرب تقول هيأت الشئ اذا قدرته وقدرت الشئ اذا هيأته وذلك انه لما سمع القرآن لم يزل يتفكر ماذا يقول فيه وقدر فى نفسه ما يقول فذمه الله وقال (فقتل) أى لعن وعذب (كيف قدر) أى على أى حال قدر ما قدر من

الكلام

يزيد سمعت ابن أبي مليكة يقول سمعت ابن عباس يقول ان الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه قال ماتقولون في هذا الرجل فقال بعضهم ساحر وقال بعضهم ليس بساحر وقال بعضهم كاهن وقال بعضهم ليس بكاهن وقال بعضهم شاعر وقال بعضهم ليس بشاعر وقال بعضهم سحر يؤثر فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر وقوله تعالى قم فأنذر أي شمر عن ساق العزم وأنذر الناس وبهذا حصل الارسال كما حصل بالاول النبوة وربك فكبر أي عظم وقوله تعالى وثيابك فطهر قال الاجلح الكندي عن عكرمة عن ابن عباس انه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية وثيابك فطهر قال لاتلبسها على معصية ولا على غدرة ثم قال اما سمعت قول غيلان بن مسلمة الثقفي

انى بحمد الله لاثوب فاجر
لبست ولا من غدرة أتقنع

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وثيابك فطهر قال في كلام العرب نقي الثياب وفي رواية بهذا الاسناد فطهر من الذنوب وكذا قال ابراهيم والشعبي وعطاء وقال الثوري عن رجل عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية وثيابك فطهر قال من الاثم وكذا قال ابراهيم النخعي وقال مجاهد وثيابك فطهر قال نفسك ليس ثيابه وفي رواية عنه وثيابك فطهر عملك فأصلح وكذا قال أبو رزين وقال في رواية أخرى وثيابك فطهر أي لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا وقال قتادة وثيابك فطهر أي طهرها من المعاصي وكانت العرب تسمي الرجل اذا نكث ولم يف بعهد الله انه لمدنس الثياب واذا وفى وأصلح انه لمطهر الثياب وقال عكرمة والضحاك لاتلبسها على معصية وقال الشاعر

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

وقال العوفي عن ابن عباس وثيابك فطهر يعني لاتكن ثيابك التي تلبس من ملبس غير طائل ويقال لاتلبس ثيابك على معصية وقال محمد بن سيرين وثيابك فطهر أي اغسلها بالماء وقال ابن زيد كان المشركون لايتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فان العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس

الكلام كما يقال في الكلام لأضربنه كيف صنع أي على أي حال كانت منه وقيل المعنى قهر وغلب كيف قدر وقال الزهري عذب وهو من باب الدعاء عليه والتكرير في قوله (ثم قتل كيف قدر) للمبالغة والتأكيد وقيل فقتل في الدنيا ثم قتل فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة وثم يشعر بان الدعاء الثاني أبلغ من الاول فهي للتفاوت في الرتبة وقيل بل للتراخي في الزمان أيضا (ثم نظر) بأي شئ يدفع القرآن ويقدح فيه فالنظر بمعنى التأمل وعلى هذا فتتكرر هذه الجملة مع قوله انه فكر وقدر أو فكر في القرآن وتدبر ماهو (ثم عبس) أي قطب وجهه لما لم يجد مطعنا يطعن به في القرآن والعبس مصدر عبس مخففا يعبس عبسا وعبوسا اذا قطب وقيل عبس في وجوه المؤمنين وقيل عبس في وجه النبي صلى الله عليه وسلم (وبسر) أي كلح وجهه وتغير وقيل ان ظهور العبس في الوجه يكون بعد المحاورة وظهور البسور في الوجه قبلها والعرب تقول وجه باسر اذا تغير واسود وقال الراغب البسر استعمال الشئ قبل أوانه نحو بسر الرجل حاجته أي طلبها في غير أوانها قال ومنه قوله عبس وبسر أي أظهر العبوس قبل أوانه وقبل وقته وأهل اليمن يقولون بسر المركب وأبسر أي وقف لايتقدم ولايتأخر وقد أبسرنا أي صرنا الى البسور (ثم أدبر واستكبر) أي أعرض عن الحق وذهب الى أهله وتعظم عن أن يؤمن (فقال) عقب ماجره اليه طبعه الخبيث من الكفر القائم به (ان هذا الا سحر يؤثر) أي يأثره عن غيره ويرويه عن السحرة كمسيلمة وأهل بابل والسحر اظهار الباطل في صورة الحق أو الخديعة على ماتقدم بيانه في سورة البقرة يقال أثرت الحديث تأثره اذا ذكرته عن غيرك أي أمور تخييلية لاحقائق لها وهي لدقتها بحيث تخفى أسبابها شؤن تمويهية (ان هذا الا قول البشر) يعني انه كلام الانس وليس بكلام الله وهو تأكيد لما قبله وقد تقدم أن الوليد بن المغيرة انما قال هذا القول ارضاء لقومه بعد اعترافه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة الى آخر كلامه ولما قال هذا القول الذي حكاه الله عنه قال الله عز وجل (سأصليه سقر) أي سأدخله النار وسقر من أسماء النار ومن دركات جهنم ولم تنصرف للتعريف والتأنيث قال السمين هذا بدل من قوله سأرهقه صعودا قاله الزمخشري فان كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح وان كان المراد صخرة في جهنم كما جاء في بعض التفاسير فيعسر البدل ويكون فيه شبه من بدل الاشتمال لان جهنم مشتملة على تلك الصخرة ثم بالغ في وصف النار وشدة أمرها فقال

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت هجري فأجملي   وان قد تك ساءتك مني خليقة

* فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي   وقال سعيد بن جبير وثيابك فطهر وقلبك ونيتك فطهر   وقال محمد بن كعب القرظي والحسن البصري وخلقك فحسن وقوله تعالى والرجز فاهجر قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والرجز وهو الاصنام فاهجر وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد أنها الاوثان   وقال ابراهيم والضحاك والرجز فاهجر أي اترك المعصية وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله (١١٠) تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين   وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين وقوله تعالى ولا تمنن تستكثر قال ابن عباس لا تعط العطية تلتمس أكثر منها وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الاحوص وابراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وروي عن ابن مسعود انه قرأ ولا تمنن أن تستكثر وقال الحسن البصري لا تمنن بعملك على ربك تستكثره وكذا قال الربيع ابن أنس واختاره ابن جرير وقال خصيف عن مجاهد في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر قال لا تضعف أن تستكثر من الخير قال تمنن في كلام العرب تضعف وقال ابن زيد لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا فهذه أربعة أقوال والاظهر القول الاول والله أعلم وقوله تعالى ولربك فاصبر أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل قاله مجاهد وقال ابراهيم النخعي اصبر عطيتك لله عز وجل وقوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد الناقور الصور قال مجاهد وهو كهيئة القرن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أسباط بن محمد عن مطرف عن عطية العوفي عن ابن عباس فاذا نقر في الناقور فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تأمرنا يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وهكذا رواه الامام أحمد عن أسباط به ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به

(وما أدراك ما سقر) أي وما أعلمك أي شيء هي والعرب تقول وما أدراك ما كذا اذا أرادوا المبالغة في أمره وتعظيم شأنه وتهويل خطبه   وما الاولى مبتدأ وجملة ما سقر خبر المبتدا ثم فسر حالها فقال (لا تبقي ولا تذر) والجملة مستأنفة لبيان حال سقر والكشف عن وصفها   وقيل هي في محل نصب على الحال والعامل فيها معنى التعظيم لان قوله وما أدراك ما سقر يدل على التعظيم فكأنه قال استعظموا سقر في هذه الحال والاول أولى ومفعول الفعلين محذوف قال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقال عطاء لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا وقيل هما لفظان بمعنى واحد كررا للتأكيد كقولك صد عني وأعرض عني وقال ابن عباس لا تبقي منهم شيأ واذا بدلوا خلقا آخر لم تذر أن تعاودهم سبيل العذاب الاول (لواحة للبشر) قرأ الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل على انه نعت لسقر والاول أولى   وقرئ بالنصب على الحال أو الاختصاص للتهويل يقال لاح يلوح أي ظهر والمعنى أنها تظهر للبشر قال الحسن تلوح لهم جهنم حتى يرونها عيانا كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى وقيل معنى لواحة للبشر مغيرة لهم ومسودة قال مجاهد والعرب تقول لاحه الحر والبرد والحزن والسقم اذا غيره وهذا أرجح من الاول واليه ذهب جمهور المفسرين وقال الاخفش المعنى أنها معطشة للبشر قال ابن عباس تلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه فيصير اسود من الليل وعنه قال لواحة محرقة والمراد بالبشر اما جلدة الانسان الظاهرة كما قاله الاكثر أو المراد به أهل النار من الانس كما قال الاخفش (عليها تسعة عشر) قال المفسرون يقول سبحانه على النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها   وقيل تسعة عشر صنفا من أصناف الملائكة   وقيل تسعة عشر صفا من صفوفهم وقيل تسعة عشر نقيبا مع كل نقيب جماعة من الملائكة والاول أولى   قال الثعلبي ولا ينكر هذا فاذا كان ملك واحد يقبض أرواح الخلائق كان أحرى أن يكونوا تسعة عشر على عذاب بعض الخلق قرأ الجمهور عشر بفتح الشين وقرئ باسكانها   عن البراء ان رهطا من اليهود سألوا بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه ساعتئذ عليها تسعة عشر رواه البيهقي في البعث وابن أبي حاتم وابن مردويه قال الكرخي وخص هذا العدد بالذكر لكونه موافقا لعدد أسباب فساد النفس الانسانية وهي القوى الانسانية والطبيعية اذ القوى الانسانية

ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به وقوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير أي غير سهل عليهم كما قال تعالى يقول الكافرون هذا يوم عسر وقد روينا عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل الى قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير شهق شهقة ثم خر ميتا رحمه الله تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر (١١١) ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر) يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا أي خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى مالا ممدودا أي واسعا كثيرا قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضا يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له بنين شهودا قال مجاهد لا يغيبون أي حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم وكانوا فيما ذكره السدي وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا أبلغ في النعمة وهو اقامتهم عنده ومهدت له تمهيدا أي مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا أي معاندا وهو الكفر على نعمه بعد العلم قال الله تعالى سأرهقه صعودا قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك فيه أبدا وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة عن دراج كذا قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحرث عن دراج وفيه غرابة ونكارة

الانسانية ثنتا عشرة الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية سبعة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة والمجموع تسعة عشر انتهى قلت وهذا ليس بتفسير للآية بل الحكمة المودعة في هذا العدد مفوضة الى علم الله تعالى قال الرازي وتخصيص هذا العدد لحكمة اختص الله بها ولما نزل هذا قال أبو جهل أما لمحمد من الاعوان الا تسعة عشر يخوفكم محمد بتسعة عشر وأنتم الدهم أفيعجز كل مائة رجل منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار فقال أبو الاشد وهو رجل من بني جمح يا معشر قريش اذا كان يوم القيامة فأنا أمشي بين أيديكم فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر ونمضي ندخل الجنة فأنزل الله سبحانه (وما جعلنا أصحاب النار) يعني ما جعلنا المدبرين لامر النار القائمين بعذاب من فيها (الا ملائكة) فمن يطيق الملائكة ومن يغلبهم فكيف تتعاطون أيها الكفار مغالبتهم قال ابن عباس لما سمع أبو جهل عليها تسعة عشر قال لقريش ثكلتكم أمهاتكم اسمع ابن أبي كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطش برجل من خزنة جهنم أخرجه ابن جرير وابن مردويه قيل جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المخلوقين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرقة والرأفة وقيل لانهم أقوم خلق الله بحقه والغضب له وأشدهم بأسا وأقواهم بطشا (وما جعلنا عدتهم الا فتنة) أي سبب ضلالة (للذين كفروا) أي للذين استقلوا عددهم والمعنى ما جعلنا عددهم هذا العدد المذكور في القرآن الا ضلالة ومحنة لهم حتى قالوا ما قالوا ليتضاعف عذابهم ويكثر غضب الله عليهم وقيل المعنى الا عذابا كما في قوله يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون قال ابن عباس في الآية قال أبو الاشد خلوا بيني وبين خزنة جهنم أنا أكفيكم مؤنتهم قال وحدثت أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف خزان جهنم فقال كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم لهم مثل قوة الثقلين يقبل أحدهم بالامة من الناس يسوقهم على رقبته جبل حتى يرمي بهم في النار فيرمي بالجبل عليهم أخرجه ابن مردويه (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) المراد بهم اليهود والنصارى لموافقة ما نزل من القرآن بأن عدة خزنة جهنم تسعة عشر لما عندهم قاله الضحاك وقتاده ومجاهد وغيرهم والمعنى ان الله سبحانه جعل عدة خزنة جهنم هذه العدة ليحصل اليقين

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن المعروف بعلان المصري قال حدثنا منجاب أخبرنا شريك عن عمار الدهني عن عطية العوفي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم سأرهقه صعودا قال هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعودا صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدي صعودا صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها وقال مجاهد سأرهقه صعودا (١١٢) أي مشقة من العذاب وقال قتادة عذابا لا راحة فيه واختاره ابن جرير وقوله تعالى انه فكر وقدر أي انما أرهقناه صعودا أي قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الايمان لانه فكر وقدر أي تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال وقدر أي تروى فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر دعاء عليه ثم نظر أي أعاد النظرة والتروى ثم عبس أي قبض بين عينيه وقطب وبسر أي كلح وكره ومنه قول توبة بن حمير الشاعر

وقد رابني منها صدود رأيته
واعراضها عن حاجتي وبسورها

وقوله ثم أدبر واستكبر أي صرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن فقال ان هذا الا سحر يؤثر أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره عمن قبله ويحكيه عنهم ولهذا قال ان هذا الا قول البشر أي ليس بكلام الله وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون وان قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا والله لئن صبأ الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم تر الى قومك قد جمعوا لك الصدقة فقال ألست أكثرهم مالا وولدا فقال له أبو جهل يتحدثون أنك انما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أقد تحدث به عشيرتي فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة وما قوله الا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ذرني ومن خلقت وحيدا الى

الطبراني

لليهود والنصارى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لموافقة ما في القرآن لما في كتبهم (ويزداد الذين آمنوا) من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وقيل أراد المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ايمانا) أي ليزدادوا يقينا الى يقينهم لما رأوا من موافقة أهل الكتاب لهم وجملة (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) مقررة لما تقدم من الاستيقان وازدياد الايمان والمعنى نفي الارتياب عنهم في الدين أو في ان عدة خزنة جهنم تسعة عشر ولا ارتياب في الحقيقة من المؤمنين ولكنه من باب التعريض لغيرهم ممن في قلبه شك من المنافقين (وليقول الذين في قلوبهم مرض) المراد بأهل المرض المنافقون والسورة وان كانت مكية ولم يكن اذ ذاك نفاق فهو اخبار بما سيكون في المدينة فهو معجزة له صلى الله عليه وسلم حيث أخبر وهو بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة أو المراد بالمرض مجرد حصول الشك والريب وهو كائن في الكفار قال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الآية الخلاف والمراد بقوله (والكافرون) كفار مكة من العرب وغيرهم (ماذا) مجموع الكلمتين اسم استفهام فذا ملغاة أي أي شيء (أراد الله بهذا) العدد المستغرب استغراب المثل (مثلا) تسيره الركبان سيرها بالامثال قال الليث المثل الحديث ومنه قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي حديثها والخبر عنها (كذلك) أي مثل ذلك الاضلال المتقدم ذكره وهو قوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا (يضل الله من يشاء) من عباده (ويهدي من يشاء) منهم والمعنى مثل ذلك الاضلال للكافرين والهداية للمؤمنين يضل الله من يشاء اضلاله ويهدي من يشاء هدايته وهو الذي علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل على خلق الافعال وقيل المعنى كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ويهدي اليها من يشاء (وما يعلم جنود ربك) أي ما يعلم عدد خلقه ومقدار جموعه من الملائكة وغيرهم (الا هو) وحده لا يقدر على علم ذلك أحد قال عطاء يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لا يعلم عدتهم الا الله وحده والمعنى ان خزنة النار وان كانوا تسعة عشر فلهم من الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمه الا الله سبحانه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال فصعدت أنا وجبريل الى السماء الدنيا فاذا أنا بملك يقال له اسمعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف وتلا هذه الآية أخرجه

قوله لاتبقى ولاتذر وقال قتادة زعموا انه قال والله لقد نظرت فيما قال الرجل فاذا هو ليس بشعر وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه ليعلو ومايعلى عليه وما أشك انه سحر فأنزل الله فقتل كيف قدر الآية ثم عبس و بسر قبض مابين عينيه وكلح وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبادة بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال أي عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال لم قال يعطونكه فانك أتيت محمدا تتعرض لما قبله قال قد علمت قريش اني أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يعلم قومك انك منكر لما قال

الطبراني في الاوسط وأبو الشيخ وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع أصبع الا عليه ملك ساجد أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه قال الترمذي حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا ثم رجع سبحانه الى ذكر سقر فقال (وماهي الاذكرى للبشر) أي وما سقر وما ذكر من عدد خزنتها الاتذكرة وموعظة للعالمين يتذكرون بها ويعلمون كمال قدرته تعالى وانه لايحتاج الى أعوان وانصار وقيل ماهي أي الدلائل والحجج والقرآن الاتذكرة للبشر وقال الزجاج نار الدنيا تذكرة لنار الآخرة وهو بعيد وقيل الضمير في وماهي يرجع الى الجنود ثم ردع سبحانه المكذبين وزجرهم فقال (كلا والقمر) قال الفراء كلا صلة للقسم والتقدير أي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر قال الكرخي كلا استفتاح بمعنى ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام المفيدة للتنبيه على تحقق مابعدها وقال النضر بن شميل حرف جواب بمعنى اي ونعم وهو مذهب البصريين وجعلها الزمخشري في الآية للانكار أو الردع قال الكافيجي ولامنافاة بينه وبين كلام البصريين فان مدار كلامهم على مايتبادر من ظاهر القول ومدار كلامه على أساس البلاغة والاعجاز وهو أحسن وقال ابن جرير الطبري المعنى رد زعم من زعم أنه يقاوم خزنة جهنم أي ليس الامر كما يقول ثم أقسم على ذلك بالقمر وبما بعده وهذا هو الظاهر من معنى الآية (والليل اذ أدبر) أي ولى قرأ الجمهور اذا بزيادة الالف ودبر بزنة ضرب على انه ظرف لما يستقبل من الزمان وقرئ اذ أدبر بزنة أكرم ظرف لما مضى من الزمان ودبر وأدبر لغتان كما يقال أقبل الزمان وقبل الزمان ويقال دبر الليل وأدبر الليل اذا تولى ذاهبا عن مجاهد قال سألت ابن عباس عن قوله اذا دبر فسكت عني حتى اذا كان من آخر الليل وسمع الاذان ناداني يامجاهد هذا حين دبر الليل وعن ابن عباس قال دبور ظلامه (والصبح اذا أسفر) أي اضاء وتبين وظهر (انها لاحدى الكبر) قرأ الجمهور لاحدى بالهمزة وقرئ لحدى بدونها وهذا جواب القسم والضمير راجع الى سقر أي ان سقر لاحدى الدواهي أو البلايا الكبر والكبر جمع كبرى وقال مقاتل ان الكبر اسم من اسماء النار وقيل انها اي تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر وقيل ان قيام الساعة لاحدى الكبر والاول أولى وقال الكلبي اراد بالكبر دركات جهنم وابوابها (نذيرا للبشر) حال من ضمير في انها قاله الزجاج وروي عنه وعن الكسائي وابي علي

وانك كاره له قال فماذا أقول فيه فوالله مامنكم رجل أعلم بالاشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله مايشبه الذي يقول شيأ من هذا والله ان لقوله الذي يقوله لحلاوة وانه ليحطم ماتحته وأنه ليعلو ومايعلى قال والله لايرضى قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر فيه فلما فكر قال ان هذا الاسحر يؤثره عن غيره فنزلت ذرني ومن خلقت وحيدا حتى بلغ تسعة عشر وقد ذكر محمد بن اسحق وغير واحد نحوا من هذا وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه فقال قائلون شاعر وقال آخرون ساحر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر فقال ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الاقول البشر قال

 الله تعالى سأصليه سقر أي سأغمره فيها من جميع جهاته ثم قال تعالى وما أدراك ما سقر وهذا تهويل لامرها وتفخيم ثم فسر ذلك بقوله تعالى لاتبقى ولاتذر أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لايموتون ولايحيون قاله ابن بريدة وأبو سنان وغيرهما وقوله تعالى لواحة للبشر قال مجاهد للجلد وقال ابن رزين تلفح الجلد لفحة فتدعه اسود من الليل وقال زيد بن أسلم تلوح أجسادهم عليها وقال قتادة لواحة للبشر حراقة للجلد وقال ابن عباس تحرق بشرة الانسان وقوله تعالى عليها تسعة عشر أي من مقدمي الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة

حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني حريث بن عامر عن البراء في قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ان رهطا من اليهود
سألوا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء رجل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ عليها تسعة عشر فأخبر أصحابه وقال ادعهم أما اني سائلهم عن تربة الجنة ان أتوني أما انها كأنها
درمكة بيضاء فجاؤا فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الابهام في الثانية ثم قال اخبروني عن تربة الجنة
فقالوا أخبرهم يا ابن سلام فقال كأنها خبزة بيضاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان الخبز انما يكون من الدرمك
هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء والمشهور عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا منده حدثنا أحمد بن عبدة أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب أصحابك اليوم فقال بأي شئ قال سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار قالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفغلب قوم يسألون عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم علي بأعداء الله لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة فأرسل اليهم فدعاهم قالوا يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار قال هكذا وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لأصحابه ان سئلتم عن تربة الجنة فهي الدرمك فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة فنظر بعضهم الى بعض فقالوا خبزة يا أبا القاسم فقال الخبز من الدرمك وهكذا رواه الترمذي عند هذه الآية عن ابن أبي عمر عن سفيان به وقال هو والبزار لا نعرفه الا من حديث مجالد وقد رواه الامام وتداعيه
أحمد عن علي بن المديني عن سفيان بنقص الدرمك فقط (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم
مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى
للبشر كلا والقمر والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) يقول تعالى

الفارسي انه حال من قوله قم فأنذر أي قم يا محمد فأنذر حال كونك نذيرا للبشر وقال الفراء هو مصدر بمعنى الانذار منصوب بفعل مقدر وقيل انه منتصب على التمييز لاحدى لتضمنها معنى التعظيم كأنه قيل أعظم الكبر انذارا وقيل التقدير لاجل انذار البشر وقيل غير ذلك قرأ الجمهور بالنصب وقرئ بالرفع أي هي نذير أو هو نذير وقد اختلف في النذير فقال الحسن هي النار وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال أبو رزين المعنى أنا نذير لكم منها وقيل القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد (لمن شاء منكم) بدل من قوله للبشر (أن يتقدم) يسبق الى الطاعة (أو يتأخر) يتخلف عنها والمعنى ان الانذار قد حصل لكل من آمن وكفر وقيل فاعل المشيئة هو الله سبحانه أي لمن شاء الله أن يتقدم منكم بالايمان أو يتأخر بالكفر والاول أولى وقال السدي لمن شاء أن يتقدم الى النار المتقدم ذكرها أو يتأخر الى الجنة وقال ابن عباس من شاء اتبع طاعة الله ومن شاء تأخر عنها قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) أي مأخوذة بعملها مرتهنة به اما خلصها واما أوبقها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم وليست صفة ولو كانت صفة لقيل رهين لان فعيلا يستوي فيه المذكر والمؤنث والمعنى كل نفس رهينة بكسبها غير مفكوكة كافرة كانت أو مؤمنة عاصية أو غير عاصية (الا أصحاب اليمين) فانهم لا يرتهنون بذنوبهم بل يفكون بما أحسنوا من أعمالهم والاستثناء متصل لان المستثنى هو المؤمنون الخالصون من الذنوب وقوله رهينة أي على الدوام بالنسبة للكفار وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لعصاة المؤمنين واختلف في تعيينهم فقيل هم الملائكة وقيل المؤمنون وقيل أولاد المسلمين وأطفالهم وقيل الذين كانوا عن يمين آدم وقيل أصحاب الحق وقيل هم المعتمدون على الفضل دون العمل وقيل هم الذين اختارهم الله لخدمته وقال ابن عباس هم المسلمون وقال علي هم أطفال المسلمين قيل هو أشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به (في جنات) هو في محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هم في جنات لا يكتنه وصفها والجملة استئناف جوابا عن سؤال نشأ مما قبله أو حال من أصحاب اليمين أو من فاعل قوله (يتساءلون) ويجوز أن يكون ظرفا له ويتساءلون يجوز أن يكون على بابه أي يسأل بعضهم بعضا ويجوز أن يكون بمعنى يسألون أي يسألون غيرهم نحو دعيته

وماجعلنا أصحاب النار أى خزانها الا ملائكة أى زبانية غلاظا شدادا وذلك رد على مشركى قريش حين ذكروا عدد الخزنة فقال
أبو جهل يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم فقال الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة
أى شديدى الخلق لا يقاومون ولا يغالبون وقد قيل ان أبا الاشدين واسمه كلدة بن أسيد بن خلف قال يا معشر قريش اكفونى
منهم اثنين وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر اعجابا منه بنفسه وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه
عشرة لينتزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه قال السهيلى (١١٥) وهو الذى دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى مصارعته وقال ان صرعتنى
آمنت بك فصرعه النبى صلى الله عليه
وسلم مرارا فلم يؤمن قال وقد نسب
ابن اسحق خبر المصارعة الى ركانة بن
عبد يزيد بن هاشم بن المطلب قلت
ولا منافاة بين ما ذكراه والله أعلم وقوله
تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا أى انما ذكرنا
عدتهم انهم تسعة عشر اختبارا منا
للناس ليستيقن الذين أوتوا الكتاب
أى يعلمون ان هذا الرسول حق
فانه نطق بمطابقة ما بأيديهم من
الكتب السماوية المنزلة على
الانبياء قبله وقوله تعالى ويزداد الذين
آمنوا ايمانا أى الى ايمانهم بما يشهدون
من صدق اخبار نبيهم محمد صلى
الله عليه وسلم ولا يرتاب الذين أوتوا
الكتاب والمؤمنون وليقول الذين
فى قلوبهم مرض أى من المنافقين
والكافرين ماذا أراد الله بهذا مثلا
أى يقولون ما الحكمة فى ذكر هذا
ههنا قال الله تعالى كذلك يضل الله
من يشاء ويهدى من يشاء أى من
مثل هذا واشباهه يتأكد الايمان
فى قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين
وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة
وقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو أى ما يعلم عددهم وكثرتهم الا هو تعالى لئلا يتوهم متوهم انما هم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة
من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول
العشرة والنفوس التسعة التى اخترعوا دعواها وعجزوا عن اقامة الدلالة على مقتضاها فافهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها
وهو قوله وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت فى حديث الاسراء المروى فى الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال فى صفة البيت المعمور الذى فى السماء السابعة فاذا هو يدخله فى كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه آخر ما عليهم وقال

وتداعيه فعلى الوجه الاول يكون (عن المجرمين) متعلقا بيتساءلون أى يسأل بعضهم
بعضا عن أحوالهم وعلى الوجه الثانى تكون عن زائدة أى يسألون المجرمين ثم المراد
بهم الكافرون وهذا التساؤل فيما بينهم قبل ان يروا المجرمين فلما رأوهم يسألونهم
ويقولون فى سؤالهم (ماسلككم فى سقر) أى ما أدخلكم فيها تقول سلكت الخيط فى
كذا اذا أدخلته فيه قال الكلبى يسأل الرجل من أهل الجنة الرجل من أهل النار باسمه
فيقول له يا فلان ما سلكك فى النار وقيل ان الملائكة يسألون الملائكة عن أقربائهم
فتسأل الملائكة المشركين يقولون لهم ما سلككم فى سقر قال الفراء فى هذا ما يقوى ان
أصحاب اليمين هم الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب وهذا سؤال توبيخ وتقريع ثم ذكر
سبحانه ما أجاب به أهل النار فقال (قالوا لم نك من المصلين) أى من المؤمنين الذين يصلون
لله فى الدنيا ولم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) أى لم نتصدق على المساكين وقيل
وهذان محمولان على الصلاة الواجبة والصدقة الواجبة لانه لا تعذيب على غير الواجب
وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالشرعيات والفروع فقول صاحب الكشاف
يحتمل ان يدخل بعضهم النار بمجموع ذلك وهو ترك الصلاة وترك الاطعام والخوض فى
الباطل مع الخائضين والتكذيب بيوم القيامة وبعضهم بمجرد ترك الصلاة أو ترك الطعام
تخيل منه كما قال صاحب الانتصاف ان تارك الصلاة يخلد فى النار (وكنا نخوض مع
الخائضين) أى نخالط أهل الباطل فى باطلهم قال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وقال
السدى كنا نكذب مع المكذبين وقال ابن زيد نخوض مع الخائضين فى أمر محمد صلى الله
عليه وآله وسلم وهو قولهم كاذب ساحر مجنون شاعر وعبارة الخطيب أى نشرع فى الباطل
مع الخائضين فنقول فى القرآن انه سحر وشعر وكهانة وغير ذلك من الاباطيل لا نتورع عن
شئ من ذلك ولا نقف مع صريح عقل ولا نرجع الى صحيح نقل فمن هذا يحذر الذين يبادرون
بالجواب فى كل ما يسئلون عنه من أنواع العلم من غير تثبت (وكنا نكذب بيوم الدين) أى
بيوم الجزاء والحساب آخره لتعظيمه وهذا تخصيص بعد تعميم لان الخوض فى الباطل
عام شامل لتكذيب يوم الدين وغيره أى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم القيامة والصحيح
ان الآية فى الكفار أى لم نكن من أهل الصلاة وكذلك البقية ولا تصح منهم هذه
الطاعات وانما يتأسفون على فوات ما ينفع ذكره سليمان الجمل (حتى أتانا اليقين) وهو

الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع أصبع الا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى فقال أبوذر والله لوددت اني شجرة تعضد ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث اسرائيل وقال الترمذي حديث حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا (١١٦) حسين بن عرفة المصري حدثنا عروة بن مروان الرقي حدثنا عبيد الله ابن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مافي السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فاذا كان يوم القيامة قالوا جميعا سبحانك ماعبدناك حق عبادتك الا انا لم نشرك بك شيأ وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا عمرو بن زرارة أخبرنا عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه اذ قال لهم هل تسمعون ماأسمع قالوا مانسمع من شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط مافيها موضع شبر الا وعليه ملك راكع أو ساجد وقال أيضا حدثنا محمد بن عبد الله ابن مهران حدثنا أبو معاذ الفضل ابن خالد النحوي حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الاجدع عن عائشة انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مافي السماء الدنيا موضع قدم الا وعليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة ومامنا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وهذا مرفوع غريب جدا ثم رواه عن محمود بن آدم عن أبي معاوية عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود انه قال ان من السموات سماء مافيها موضع شبر الا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائم ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ثم قال حدثنا أحمد بن سيار حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه حدثنا المغيرة بن عمر بن عطية من بني عمرو بن عوف حدثني سليمان بن أيوب عن سالم بن عوف حدثني عطاء بن

الموت كما في قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وبه قال ابن عباس وهذا غاية في الامور الاربعة (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أي شفاعة الملائكة والنبيين كما تنفع الصالحين والمعنى لا شفاعة لهم قال الخفاجي فالنفي مسلط على المقيد وقيده وليس المراد أن ثم شفاعة غير نافعة كما يتوهم من ظاهر اللفظ من حيث ان الغالب في النفي اذا دخل على مقيد بقيد أن يتسلط على القيد فقط وفيه دليل على ثبوت الشفاعة للمؤمنين وفي الحديث ان من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار الا أربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآيات وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل أحد دون هؤلاء الذين تسمعون (فما لهم عن التذكرة معرضين) التذكرة التذكير بمواعظ القرآن والفاء لترتيب انكار اعراضهم عن التذكرة على ماقبله من موجبات الاقبال عليها وانتصاب معرضين على الحال من الضمير في متعلق الجار والمجرور أي أي شئ حصل لهم حال كونهم معرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى ثم شبههم في نفورهم عن القرآن بالحمر فقال (كأنهم حمر مستنفرة) أي نافرة يقال نفر واستنفر مثل عجب واستعجب والمراد الحمر الوحشية والجملة حال من الضمير في معرضين على التداخل قرئ في السبع بكسر الفاء بمعنى نافرة وقرئ بفتحها أي منفرة مذعورة واختار هذا أبو حاتم وأبو عبيد قال في الكشاف المستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه (فرت من قسورة) حال بتقدير قد أي قد فرت من رماة يرمونها والقسور الرامي وجمعه قسورة قاله سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن كيسان وقيل هو الاسد قاله عطاء والكلبي قال ابن عرفة هو من القسر وهو القهر لانه يقهر السباع وقيل القسورة أصوات الناس وقيل القسورة بلسان العرب الاسد وبلسان الحبشة جماعة الرماة ولا واحد له من لفظه وقال ابن الاعرابي القسورة أول الليل أي فرت من ظلمة الليل وبه قال عكرمة والاول أولى وكل شديد عند العرب فهو قسورة قال أبو موسى الاشعري القسورة الرماة رجال القنص وقال ابن عباس القسورة الرجال الرماة القنص وقيل هي حبال الصيادين وعن أبي حمزة قال قلت لابن عباس القسورة الاسد فقال ما أعلمه بلغة أحد من العرب الاسد هم عصبة الرجال وعن

ابن

زيد بن مسعود من بني الحكم حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع من بني سالم حدثني عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدة عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لجلسائه هل تسمعون ما أسمع قالوا وما تسمع يا رسول الله قال أطت السماء وحق لها أن تئط انه ليس فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد وقالت الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وهذا اسناد غريب جدا ثم قال حدثنا اسحق بن محمد بن اسمعيل العدوى حدثنا عبد الملك بن قدامة عن عبد الرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة (١١٧) قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم أبو جحش الليثي فقال قوموا فصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم وقال لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين وأشد مني بطشا فيصرعني ثم يدس وجهي في التراب قال عمر فصرعته ودسست وجهه في التراب فأتى عثمان بن عفان فحجزني عنه فخرج عمر مغضبا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما رأيك يا أبا حفص فذكر له ما كان منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضى عمر رحمة والله لوددت انك جئتني برأس الخبيث فقام عمر فوجه نحوه فلما أبعد ناداه فقال اجلس حتى أخبرك بغناء الرب تبارك وتعالى عن صلاة أبي جحش ان لله تعالى في السماء الدنيا ملائكة خشوع لا يرفعون رؤسهم حتى تقوم الساعة فاذا قامت رفعوا رؤسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك وان لله في السماء الثانية ملائكة سجود لا يرفعون رؤسهم حتى تقوم الساعة فاذا قامت الساعة رفعوا رؤسهم وقالوا سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك فقال له عمر وما يقولون يا رسول الله فقال اما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذي الملك والملكوت واما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذي العزة والجبروت واما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحي الذي لا يموت فقلها يا عمر في صلاتك فقال عمر يا رسول الله فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي فقال قل هذا مرة وهذا مرة وكان الذي أمره به أن يقوله أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك جل وجهك هذا حديث غريب جدا بل منكر نكارة شديدة واسحق المروزي روى عنه البخاري وذكره ابن حبان في الثقات وضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي والدارقطني وقال أبو حاتم الرازي كان صدوقا الا انه ذهب بصره فربما لقن وكتبه صحيحة وقال مرة هو مضطرب وشيخه عبد الملك

ابن عباس قال هو ركز الناس يعني أصواتهم شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت في نفارها (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة بل يريد الخ فهو اضراب انتقالي عن محذوف هو جواب الاستفهام السابق كأنه قيل فلا جواب لهم عن هذا السؤال أي لا سبب لهم في الاعراض بل يريد الخ قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك لرسول الله والصحف الكتب واحدتها صحيفة والمنشرة المنشورة المبسوطة المفتوحة أي غير مطوية أي طرية لم تطو بل تأتينا وقت كتابتها وهذا من زيادة تعنتهم ومثل هذه الآية قوله سبحانه حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قرأ الجمهور منشرة بالتشديد وقرأ سعيد بن جبير بالتخفيف وقرأ الجمهور أيضا بضم الحاء من صحف وقرأ سعيد باسكانها ثم ردعهم الله سبحانه عن هذه المقالة وزجرهم فقال (كلا بل لا يخافون الآخرة) يعني عذابها لانهم لو خافوا النار لما اقترحوا الآيات وهذا اضراب انتقالي لبيان سبب هذا التعنت والاقتراح وقيل كلا بمعنى حقا ثم كرر الردع والزجر لهم فقال (كلا انه تذكرة) أو بمعنى ألا الاستفتاحية أو حقا ان القرآن تذكرة بليغة كافية والمعنى انه يتذكر به ويتعظ بمواعظه أو انكار لان يتذكروا بها قاله القاضي كالكشاف (فمن شاء ذكره) أي فمن شاء ان يذكره ولا ينساه فعل واتعظ فان نفع ذلك عائد اليه ثم رد سبحانه المشيئة الى نفسه فقال (وما يذكرون الا أن يشاء الله) قرأ الجمهور يذكرون بالياء التحتية وقرأ نافع ويعقوب بالفوقية وهما سبعيتان واتفقوا على التخفيف والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال قال مقاتل الا أن يشاء الله لهم الهدى وقال في الكشاف يعني الا أن يقسرهم على الذكر قال الامام انه تعالى نفى الذكر مطلقا واستثنى منه حال المشيئة المطلقة فيلزم انه متى حصلت المشيئة يحصل الذكر فحيث لم يحصل الذكر علمنا انه لم تحصل المشيئة وتخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر وقال وهو تصريح بأن فعل العبد بمشيئة الله تعالى ذكره الكرخي (هو أهل التقوى) أي هو الحقيق بأن يتقيه المتقون بترك معاصيه والعمل بطاعاته (وأهل المغفرة) أي هو الحقيق بأن يغفر للمؤمنين ما فرط منهم من الذنوب والحقيق بأن يقبل توبة التائبين من العصاة فيغفر ذنوبهم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فقال

ربكم انا أهل ان أتقى فلا يجعل معي اله فمن اتقاني فلم يجعل معي الها فانا أهل أن أغفر له أخرجه أحمد والدارمي والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي وصححه وابن مردويه وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس مرفوعا نحوه

(سورة القيامة هي تسع وثلاثون أو أربعون آية وهي مكية بلا خلاف)

(عن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله)

*(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بيوم القيامة) قال أبو عبيدة وجماعة من المفسرين ان لا زائدة والتقدير أقسم قال السمرقندي أجمع المفسرون ان معنى لا أقسم أقسم واختلفوا في تفسير لا فقال بعضهم هي زائدة وزيادتها جارية في كلام العرب كقوله ما منعك أن لا تسجد يعني أن تسجد ولئلا يعلم أهل الكتاب واعترضوا هذا بأنها انما تزاد في وسط الكلام لا في أوله وأجيب بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض يدل على ذلك انه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة أخرى كقوله تعالى يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة أخرى ما أنت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان أول هذه السورة جاريا مجرى الوسط ورد هذا بأن القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا في ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقال الزمخشري ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم وفائدتها توكيد القسم وقال بعضهم هي رد لكلامهم حيث أنكروا البعث كأنه قال ليس الامر كما ذكرتم أقسم بيوم القيامة وهذا قول الفراء وكثير من النحويين كقول القائل لا والله فلا رد لكلام قد تقدمها وقيل هي للنفي لكن لا لنفي الاقسام بل لنفي ما ينبئ عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق بأكثر من ذلك وقيل انها لنفي الاقسام لوضوح الامر وقد تقدم الكلام على هذا في تفسير قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وقرأ الحسن وابن كثير في رواية عنه والزهري وابن هرمز لأقسم بدون ألف على ان اللام لام الابتداء والقول الاول هو أرجح الاقوال وقد اعترض عليه الرازي بما لا يقدح في قوته ولا يفت في عضد رجحانه واقسامه سبحانه بيوم القيامة لتعظيمه وتفخيمه ولله أن يقسم بما

ابن قدامة أبو قتادة الجمحي تكلم فيه أيضا والعجب من الامام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ولا عرف بحاله ولا تعرض لضعف بعض رجاله غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلا بنحوه ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مرسلا قريبا منه ثم قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ أخبرنا النضر أخبرنا عباد بن منصور قال سمعت عدي بن ارطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال سمعت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه الا وقعت على ملك يصلي وان منهم ملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وان منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رؤسهم منذ خلق الله السموات والارض ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا رفعوا رؤسهم نظروا الى وجه الله عز وجل قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا اسناده لا بأس به وقوله تعالى وما هي الا ذكرى للبشر قال مجاهد وغير واحد وما هي أي النار التي وصفت الا ذكرى للبشر ثم قال تعالى كلا والقمر والليل اذ أدبر أي ولى والصبح اذا أسفر أي أشرق انها لاحدى الكبر أي العظائم يعني النار قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر أي لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق أو يتأخر عنها ويولي ويردها (كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة) يقول تعالى مخبرا ان كل نفس بما كسبت رهينة أي معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره الا أصحاب اليمين فانهم في جنات يتساءلون عن المجرمين أي يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين أي ما عبدنا ربنا ولا أحسنا الى خلقه من جنسنا وكنا نخوض مع الخائضين أي نتكلم فيما لا نعلم

وقال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين يعني الموت كقوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو يعني عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين أي من كان متصفا بمثل هذه الصفات فانه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه لان الشفاعة انما تنجع اذا كان المحل قابلا فاما من وافى الله كافرا يوم القيامة فانه له النار لا محالة خالدا فيها ثم قال تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين أي فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك مما تدعوهم اليه وتذكرهم به معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة أي كأنهم في نفارهم عن الحق واعراضهم عنه حمر من حمر الوحش اذا فرت ممن يريد صيدها من أسد قاله أبو هريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن أو رام وهو رواية عن ابن عباس وهو قول الجمهور وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس الاسد بالعربية ويقال له بالحبشية قسورة وبالفارسية شير وبالنبطية أويا وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته وفي رواية عن قتادة يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل فقوله تعالى كلا بل لا يخافون الآخرة أي انما أفسدهم عدم ايمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها ثم قال تعالى كلا انه تذكرة أي حقا ان القرآن تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله كقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وقوله تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة أي هو أهل أن يخاف منه وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب اليه وأناب قاله قتادة وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب أخبرني سهيل أخو حزم حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة وقال قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي اله فمن اتقى أن يجعل معي الها كان أهلا أن أغفر له ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب والنسائي من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطيعي به وقال الترمذي حسن غريب وسهيل ليس بالقوي ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن

عما شاء من مخلوقاته قال سعيد بن جبير سألت ابن عباس عن قوله لا أقسم بيوم القيامة قال يقسم ربك بما شاء من خلقه (ولا أقسم بالنفس اللوامة) ذهب قوم الى انه سبحانه أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة فيكون الكلام في لا هذه كالكلام في الاولى وهذا قول الجمهور وقال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة قال الثعلبي والصحيح انه أقسم بهما جميعا وجرى الجلال المحلي على زيادتها في الموضعين وهو الصواب ومعنى النفس اللوامة النفس التي تلوم صاحبها على تقصيرها أو تلوم جميع النفوس على تقصيرها في الدنيا أو في القيامة قال الحسن هي والله نفس المؤمن لا يرى المؤمن الا يلوم نفسه ما أردت بكذا ما أردت بكذا والفاجر لا يعاتب نفسه وقال مجاهد هي التي تلوم على ما فات وتندم فتلوم نفسها على الشر لم عملته وعلى الخير لم يستكثر منه قال ابن عباس التي تلوم على الخير والشر يقول لو فعلت كذا وكذا وعنه تندم على ما فات وتلوم عليه قال الفراء ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا قالت هلا ازددت وان كانت عملت سوأ قالت ليتني لم أفعل وعلى هذا فالكلام خارج مخرج المدح للنفس فيكون الاقسام بها حسنا سائغا وقيل اللوامة هي الملومة المذمومة قاله ابن عباس فهي صفة ذم وبهذا احتج من نفى أن يكون قسما اذ ليس لنفس العاصي خطر يقسم به وقال مقاتل هي نفس الكافر تلوم نفسه وتتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله والاول أولى وقيل هي نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وما أبعده وقال ابن عباس اللوامة اللؤم قال القاضي ضمها بيوم القيامة في القسم بهما لان المقصود من اقامة القيامة مجازاة النفوس اهـ فهو من بديع القسم لتناسب الامرين المقسم بهما حيث أقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيه على حقية البعث والجزاء (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) المراد بالانسان الجنس وقيل الانسان الكافر والهمزة للانكار وأن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف والمعنى أيحسب الانسان ان الشأن أن لن نجمع عظامه بعد أن صارت رفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الريح فطيرتها في أباعد الارض فنعيدها خلقا جديدا وذلك الحسبان باطل فانا نجمعها وما دل عليه هذا الكلام هو جواب القسم قال الزجاج أقسم ليجمعن العظام للبعث فهذا جواب القسم وقال النحاس جوابه محذوف أي لتبعثن والمعنى ان الله سبحانه

حديث ابن عمر من سهيل به وهكذا رواه أبو يعلى والبزار والبغوي وغيرهم من حديث سهيل القطعي به آخر تفسير سورة المدثر ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة القيامة وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه بل يريد الانسان ليفجر امامه يسأل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبأ (١٢٠) الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره)

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه اذا كان منتفيا جاز الاتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي والمقسم عليه ههنا هو اثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الاجساد ولهذا قال تعالى لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة قال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة وقال قتادة بل أقسم بهما جميعا هكذا حكاه ابن أبي حاتم وقد حكى ابن جرير عن الحسن والاعرج انهما قرآ لأقسم بيوم القيامة وهذا يوجه قول الحسن لانه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة والصحيح أنه أقسم بهما جميعا كما قاله قتادة رحمه الله وهو المروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللوامة فقال قرة بن خالد عن الحسن البصرى فى هذه الآية ان المؤمن والله ما نراه الا يلوم نفسه ما أردت بكلمتى ما أردت بأكلتى ما أردت بحديث نفسى وان الفاجر يمضى قدما قدما ما يعاتب نفسه وقال جويبر بلغنا عن الحسن أنه قال فى قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة قال ليس أحد من أهل السموات والارضين الا يلوم نفسه يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم عن اسرائيل عن سماك انه سأل عكرمة عن قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة قال يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن اسرائيل به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير فى قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة قال يلوم على الخير والشر ثم رواه من وجه آخر عن سعيد انه سأل ابن عباس عن ذلك فقال هى

بعث جميع أجزاء الانسان وانما خص العظام لانها قالب الخلق (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) بلى ايجاب لما بعد النفى المنسحب اليه الاستفهام والوقف على هذا اللفظ وقف حسن ثم يبتدئ الكلام بقوله قادرين وانتصابه على الحال أى بلى نجمعها قادرين فالحال من ضمير الفعل المقدر وقيل المعنى بل نجمعها نقدر قادرين قال الفراء أى نقدر ونقوى قادرين على أكثر من ذلك وقال أيضا انه يصلح نصبه على التكرير أى بلى فليحسبنا قادرين وقيل التقدير بلى كنا قادرين وهذا ليس بواضح وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميفع بلى قادرون على تقدير مبتدأ أى بلى نحن قادرون ومعنى تسوية البنان نقدر على أن نجمع بعضها الى بعض فنردها كما كانت مع لطافتها وصغرها فكيف بكبار الاعضاء فنبه سبحانه بالبنان وهى الاصابع على بقية الاعضاء وان الاقتدار على بعثها وارجاعها كما كانت أولى فى القدرة من ارجاع الاصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والاظفار والعروق اللطاف والعظام الدقاق فهذا وجه تخصيصها بالذكر وبهذا قال الزجاج وابن قتيبة وقال جمهور المفسرين ان معنى الآية أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيأ واحدا كخف البعير وحافر الحمار صفحة واحدة لا شقوق فيها فلا يقدر على أن ينتفع بها فى الاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة ونحوهما ولكنا فرقنا أصابعه لينتفع بها وقيل المعنى بل نقدر على أن نعيد الانسان فى هيئة البهائم فكيف فى صورته التى كان عليها والاول أولى قال ابن عباس لو شاء لجعله خفا أو حافرا وبنان جمع أو اسم جمع لبنانة قولان وفى المختار البنانة واحد البنان وهى أطراف الاصابع ويقال بنان مخضب لان كل جمع ليس بينه وبين واحده الا الهاء فانه يؤنث ويذكر (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) عطف على أيحسب اما على انه استفهام مثله واضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا أو على انه ايجاب انتقل اليه من الاستفهام والمعنى بل يريد الانسان أن يقدم فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان فيقدم الذنب ويؤخر التوبة قال ابن الانبارى يريد أن يفجر ما امتد عمره وليس فى نيته أن يرجع من ذنب يرتكبه قال مجاهد والحسن وعكرمة والسدى وسعيد بن جبير يقول سوف أتوب ولا يتوب حتى يأتيه الموت وهو على أشر أحواله قال الضحاك هو الامل يقول سوف أعيش وأصيب من الدنيا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يمضى قدما وعنه قال هو الكافر الذى يكذب بالحساب وعنه

النفس اللؤم وقال على بن ابى نجيح عن مجاهد تندم على مافات وتلوم عليه وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس اللوامة المذمومة
وقال قتادة اللوامة الفاجرة وقال ابن جرير وكل هذه الاقوال متقاربة المعنى والاشبه بظاهر التنزيل أنها التى تلوم صاحبها على
الخير والشر وتندم على مافات وقوله تعالى أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه أى يوم القيامة أيظن انا لانقدر على اعادة عظامه
وجمعها من أماكنها المتفرقة بلى قادرين على أن نسوى بنانه قال سعيد بن جبير والعوفى عن ابن عباس أن نجعله خفا أو حافرا
وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك فى الدنيا

والظاهر من الآية ان قوله تعالى
قادرين حال من قوله تعالى نجمع
أى أيظن الانسان انا لانجمع عظامه
بلى سنجمعها قادرين على ان نسوى
بنانه أى قدرتنا صالحة لجمعها
ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان فنجعل
بنانه وهى أطراف أصابعه مستوية
وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج
وقوله بل يريد الانسان ليفجر أمامه
قال سعيد عن ابن عباس يعنى يمضى
قدما وقال العوفى عن ابن عباس
ليفجر أمامه يعنى الامل يقول
الانسان اعمل ثم أتوب قبل يوم
القيامة ويقال هو الكفر بالحق بين
يدى القيامة وقال مجاهد ليفجر
أمامه يمضى أمامه راكبا رأسه وقال
الحسن لا يلقى ابن آدم الا ينزع نفسه
الى معصية الله قدما قدما الا من
عصمه الله تعالى وروى عن عكرمة
وسعيد بن جبير والضحاك والسدى
وغير واحد من السلف هو الذى
يعجل الذنوب ويسوف بالتوبة وقال
على بن أبى طلحة عن ابن عباس هو
الكافر يكذب بيوم الحساب وكذا
قال ابن زيد وهذا هو الاظهر من
المراد ولهذا قال بعده يسأل أيان يوم
القيامة أى يقول متى يكون يوم القيامة وانما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده
كما قال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال تعالى ههنا
فاذا برق البصر قرأ أبو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أى حار وهذا الذى قاله شبيه بقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم أى بل ينظرون
من الفزع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شئ من شدة الرعب وقرأ آخرون برق بالفتح وهو قريب فى المعنى من الاول والمقصود
أن الابصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الاهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الامور وقوله تعالى

قال يعنى الامل يقول أعمل ثم أتوب وعنه قال يقدم الذنب ويؤخر التوبة وعنه قال يقول
سوف أتوب والفجور أصله الميل عن الحق فيصدق على كل من مال عن الحق بقول أو فعل
(يسأل أيان يوم القيامة) مستأنفة وقال أبو البقاء تفسير لبيان معنى يفجر فتكون
مفسرة مستأنفة أو بدلا من الجملة قبلها لان التفسير يكون بالاستئناف وبالبدل وايان
خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ مؤخر والمعنى يسأل متى يقوم يوم القيامة سؤال استبعاد
واستهزاء قال ابن عباس أى يقول متى يوم القيامة (فاذا برق البصر) أى فزع وتحير من
برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره قرأ الجمهور برق بكسر الراء قال أبو عمرو بن
العلاء والزجاج وغيرهما المعنى تحير فلم يطرف وقال الخليل والفراء برق بالكسر فزع
وبهت وتحير والعرب تقول للانسان المبهوت قد برق فهو برق وقرئ بفتح الراء أى لمع
بصره من شدة شخوصه للموت قال مجاهد وغيره هذا عند الموت وقيل برق يبرق شق
عينيه وفتحهما وقال أبو عبيدة فتح الراء وكسرها لغتان بمعنى قال ابن عباس يعنى
الموت (وخسف القمر) قرأ الجمهور بفتح الخاء والسين مبنيا للفاعل وقرئ بضم الخاء
وكسر السين مبنيا للمفعول والمعنى ذهب ضوءه وأظلم ولا يعود كما يعود اذا خسف فى
الدنيا ويقال خسف اذا ذهب جميع ضوئه وكسف اذا ذهب بعض ضوئه (وجمع الشمس
والقمر) أى ذهب ضوءهما جميعا ولم يقل جمعت لان التأنيث مجازى قاله المبرد وقال أبو
عبيدة هو لتغليب المذكر على المؤنث وقال الكسائى حمل على معنى جمع النيران وقال
الزجاج والفراء لم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما فى ذهاب نورهما وقيل جمع بينهما فى
طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين قال عطاء يجمع بينهما يوم القيامة ثم
يقذفان فى البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون هنالك
تعاقب ليل ونهار وقرأ ابن مسعود وجمع بين الشمس والقمر (يقول الانسان) جواب
اذا (يومئذ) أى يوم اذ برق البصر الخ (أين المفر) أى يقول عند وقوع هذه الامور أين
الفرار والمراد بالانسان الكافر أو المؤمن أيضا يقول ذلك من الهول والمفر مصدر بمعنى
الفرار قال الفراء يجوز أن يكون موضع الفرار قال الماوردى يحتمل وجهين أحدهما
أين المفر من الله سبحانه استحياء منه والثانى أين المفر من جهنم حذرا منها قرأ الجمهور
بفتح الميم والفاء مصدرا كما تقدم وقرئ بضم الميم على انه اسم مكان أى أين مكان الفرار

وخسف القمر أي ذهب ضوءه وجمع الشمس والقمر قال مجاهد كوّرا وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية اذا الشمس كوّرت واذا النجوم انكدرت وروي عن ابن مسعود أنه قرأ وجمع بين الشمس والقمر وقوله تعالى يقول الانسان يومئذ أين المفر أي اذا عاين ابن آدم هذه الاهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر ويقول أين المفر أي هل من ملجأ أو موئل قال الله تعالى كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف أي لا نجاة وهذه الآية كقوله تعالى مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير أي ليس لكم مكان (١٢٢) تتنكرون فيه وكذا قال ههنا لا وزر أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه ولهذا قال الى ربك يومئذ المستقر أي المرجع والمصير ثم قال تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها أولها وآخرها صغيرها وكبيرها كما قال تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وهكذا قال ههنا بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره أي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس بل الانسان على نفسه بصيرة يقول سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه وقال قتادة شاهد على نفسه وفي رواية قال اذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه وكان يقال ان في الانجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لا تبصره وقال مجاهد ولو ألقى معاذيره وجادل عنها فهو بصير عليها وقال قتادة ولو ألقى معاذيره لو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه وقال السدي ولو ألقى معاذيره حجته وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس ولو ألقى معاذيره يقول لو ألقى بهتانه وقال الستور الضحاك ولو ألقى ستوره وأهل اليمن يسمون الستر العذار والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وكقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شئ الا انهم هم الكاذبون وقال العوفي عن ابن عباس ولو ألقى معاذيره هي الاعتذار ألم تسمع انه قال لا ينفع الظالمين معذرتهم وقال وألقوا الى الله يومئذ السلم ما كنا نعمل من سوء وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان

وقال الكسائي هما لغتان مثل مذب ومذب ومصح ومصح وقرأ الزهري بكسر الميم وفتح الفاء على أن المراد به الانسان الجيد الفرار (كلا) للردع عن طلب الفرار أو لنفي ما قبلها أو بمعنى حقا (لا وزر) أي لا سلاح ولا جبل ولا حصن ولا ملجأ يتحصن به من الله وقال ابن جبير لا محيص ولا منعة والوزر في اللغة ما يلجأ اليه الانسان من حصن أو جبل وغيرهما قال السدي كانوا اذا فزعوا في الدنيا تحصنوا بالجبال فقال لهم الله لا وزر يعصمكم مني يومئذ قال ابن مسعود لا وزر لا حصن وقال ابن عباس لا ملجأ وفي لفظ لا حرز وفي لفظ لا جبل ولا حصن وخبر لا محذوف أي لا وزر له (الى ربك يومئذ المستقر) أي اليه المرجع والمنتهى والمصير لا الى غيره وقيل اليه الحكم بين العباد لا الى غيره وقيل المستقر الاستقرار حيث يقره الله من جنة أو نار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) أي يخبر يوم القيامة بما عمل من خير وشر وقال قتادة بما عمل من طاعة الله وما أخر من طاعته فلم يعمل بها وقال زيد بن أسلم بما قدم من أمواله وما خلف للورثة وقال مجاهد بأول عمله وآخره وقال الضحاك بما قدم من فرض وأخر من فرض قال القشيري هذا الانباء يكون يوم القيامة عند وزن الاعمال ويجوز أن يكون عند الموت قال القرطبي والاول أظهر قال ابن مسعود بما قدم من عمل وأخر من سنة عمل بها من بعده من خير أو شر وعن ابن عباس نحوه وعنه قال بما قدم من معصية وأخر من طاعة فينبأ بذلك (بل الانسان على نفسه بصيرة) قال الاخفش جعله هو البصيرة كما تقول للرجل أنت حجة على نفسك وقيل المعنى أن جوارحه تشهد عليه بما عمل كما في قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فيكون المعنى بل جوارح الانسان عليه شاهدة قال أبو عبيدة والقتيبي ان هذه الهاء في البصيرة هي التي يسميها أهل الاعراب هاء المبالغة كما في قولهم علامة وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير وشر والتاء على هذا للتأنيث وقال الحسن أي بصير بعيوب نفسه وقال ابن عباس شهد على نفسه وحده وعنه قال سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه (ولو ألقى معاذيره) أي ولو اعتذر وتجرد من ثيابه وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يقال معذرة ومعاذير على غير قياس كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر قال الفراء أي وان اعتذر فعليه من يكذب عذره وقال الزجاج المعاذير الستور والواحد معذار أي وان أرخى

علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها
فاقرة) هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك فانه كان يبادر الى اخذه و يسابق الملك
في قراءته فأمره الله عز وجل اذا جاءه الملك بالوحي ان يستمع له وتكفل له ان يجمعه في صدره وان ييسره لادائه على الوجه الذي القاه
اليه وان يبينه له ويفسره ويوضحه فالحالة الاولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وايضاح معناه ولهذا قال تعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به اي بالقرآن كما قال تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل (١٢٣) ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ثم قال
تعالى ان علينا جمعه اي في صدرك
وقرآنه اي ان تقرأه فاذا قرأناه اي
اذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى
فاتبع قرآنه اي فاستمع له ثم اقرأه كما
أقرأك ثم ان علينا بيانه اي بعد حفظه
وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك
معناه على ما اردنا وشرعنا وقال
الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن
ابي عوانة عن موسى بن ابي عائشة
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان
يحرك شفتيه قال فقال لي ابن عباس
انا احرك شفتي كما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه
وقال لي سعيد وأنا احرك شفتي
كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه
فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك
لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال
جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه
فاتبع قرآنه أي فاستمع له وانصت
ثم ان علينا بيانه فكان بعد ذلك اذا
انطلق جبريل قرأه كما اقرأه وقد
رواه البخاري ومسلم من غير وجه
عن موسى بن ابي عائشة به ولفظ
البخاري فكان اذا أتاه جبريل
أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو يحيى التيمي حدثنا موسى بن ابي
عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي يلقى منه شدة وكان اذا انزل عليه
عرف في تحريكه شفتيه يتلقى اوله ويحرك به شفتيه خشية ان ينسى اوله قبل ان يفرغ من آخره فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك
لتعجل به وهكذا قال الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد ان هذه الآية نزلت في ذلك وقد روى ابن
جرير من طريق العوفي عن ابن عباس لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان لا يفتر من القرآن مخافة ان ينساه فقال الله تعالى

الستور وأغلق الابواب يريد أن يخفي نفسه فنفسه شاهدة عليه وكذا قال الضحاك
والسدي والستر بلغة اليمن يقال له معذار كذا قال المبرد والاول أولى وبه قال مجاهد
وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وأبو العالية ومقاتل ومثله قوله يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم وقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقول الشاعر

فاحسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

وقال النسفي والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هي اسم جمع لها ونحوه
المناكير في المنكر قال الشيخ وليس هذا البناء من ابنية أسماء الجموع وانما هو من أبنية
جموع التكسير وهو الصحيح (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أي لا تحرك بالقرآن لسانك عند
القاء الوحي لتأخذه على عجل مخافة أن يتفلت منك ومثل هذا قوله ولا تعجل بالقرآن من
قبل أن يقضى اليك وحيه الآية (ان علينا جمعه) في صدرك حتى لا يذهب عليك منه شيء
(وقرآنه) أي اثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي قال الفراء القراءة والقرآن
مصدران (فاذا قرأناه) أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام وبيناه (فاتبع
قرآنه) أي فاستمع قراءته وكررها حتى يرسخ في ذهنك وقال ابن عباس يقول اعمل به وقال
قتادة فاتبع قرآنه أي شرائعه وأحكامه (ثم ان علينا بيانه) أي تفسير ما فيه من الحلال
والحرام وبيان ما أشكل من معانيه قال الزجاج المعنى ان علينا أن ننزله عليك
قرآنا عربيا فيه بيان للناس وقيل المعنى ان علينا أن نبينه بلسانك وهو دليل على جواز
تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان
العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو أهم الامور وأصل الدين فكيف بها في غيره والمناسبة
بين هذه الآية وما قبلها ان تلك تضمنت الاعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة
اليها بحفظها أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن يتفلت منه
يريد أن يحفظه فأنزل الله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه يقول ان علينا
أن نجمعه في صدرك ثم نقرأه فاذا قرأناه يقول اذا أنزلناه عليك فاتبع قرآنه فاستمع له
وانصت ثم ان علينا بيانه ان نبينه بلسانك وفي لفظ علينا أن نقرأه فكان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل أطرق وفي لفظ استمع فاذا ذهب قرأه كما وعده

لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه أن نجمعه لك وقرآنه أن تقرأك فلا تنسى وقال ابن عباس وعطية العوفى ثم ان علينا بيانه تبيين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة وقوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة أى انما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحى الحق والقرآن العظيم انهم انما همتهم الى الدار الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة ثم قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة من النضارة أى حسنة بهية مشرقة مسرورة الى ربها ناظرة أى تراه عيانا كما رواه البخارى (١٢٤) رحمه الله تعالى فى صحيحه انكم سترون ربكم عيانا وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل فى الدار الآخرة فى الاحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لايمكن دفعها ولا منعها لحديث أبى سعيد وأبى هريرة وهما فى الصحيحين ان ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب قالوا لا قال فانكم ترون ربكم كذلك وفى الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا وفى الصحيحين عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما وجنتان من فضة آنيتهما ومافيهما ومابين القوم وبين أن ينظروا الى الله عز وجل الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وفى افراد مسلم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم وهى الزيادة ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفى افراد مسلم عن جابر فى حديثه ان الله يتجلى للمؤمنين يضحك يعنى فى عرصات القيامة ففى هذه الاحاديث أن المؤمنين ينظرون الى ربهم عز وجل فى العرصات وفى روضات الجنات وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبجر حدثنا ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لينظر فى ملكه ألفى سنة يرى اقصاه كما يرى أدناه ينظر الى أزواجه وخدمه وان

الله (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) كلا للردع عن العجلة والترغيب فى الاناءة وقيل هى ردع لمن لايؤمن بالقرآن وبكونه بينا من الكفار قال عطاء اى لايؤمن أبو جهل بالقرآن وبيانه قرأ أهل المدينة والكوفيون تحبون وتذرون بالفوقية فى الفعلين جميعا وقرأ الباقون بالتحتية فيهما وهما سبعيتان فعلى الاولى يكون الخطاب لهم تقريعا وتوبيخا والمعنى تحبون الدنيا وتختارونها وتتركون الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها وعلى الثانية يكون الكلام عائدا الى الانسان لانه بمعنى الناس قال ابن مسعود عجلت لهم الدنيا خيرها وشرها وغيبت الآخرة أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد (وجوه يومئذ ناضرة) أى ناعمة غضة حسنة يقال شجر ناضر وروض ناضر أى حسن ناعم ونضارة العيش حسنه وبهجته قال الواحدى قال المفسرون مضيئة مسفرة مشرقة وقال ابن عباس ناعمة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل بيض يعلوها نور والاول أولى ووجوه مبتدأ وناضرة صفة لوجوه ويومئذ ظرف لناضرة وناظرة خبر مبتدا وسوغ الابتداء بالنكرة هنا العطف عليها او كون الموضع موضع تفصيل ولو لم يكن المقام مقام تفصيل لكان وصف النكرة بقوله ناضرة مسوغا للابتداء بها ولكن مقام التفصيل بمجرده مسوغ للابتداء بالنكرة (الى ربها ناظرة) أى تنظر اليه عيانا بلا حجاب هكذا قال جمهور أهل العلم والمراد به ما تواترت به الاحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون الى ربهم يوم القيامة كما ينظرون الى القمر ليلة البدر قال ابن كثير وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام وهداة الانام وقال مجاهد ان النظر هنا انتظار مالهم عند الله من الثواب وروى نحوه عن عكرمة وقيل لايصح هذا الاعن مجاهد وحده قال الازهرى وقول مجاهد خطأ لانه لايقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار وان قول القائل نظرت الى فلان ليس الارؤية عين فاذا أرادوا الانتظار قالوا انظرته فاذا أرادوا نظر العين قالوا نظرت اليه واشعار العرب وكلماتهم فى هذا كثيرة جدا ويشهد لصحة هذا أن النظر الوارد فى التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل فى موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تأويله وقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدى بالى لم يحتمل غير الرؤية والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر فى هذه الآية بالرؤية وسيأتى بعضها قال ابن عباس فى الآية تنظر الى الخالق وعنه

قال

افضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن شبابة عن اسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر فذكره قال ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله وكذلك رواه الثوري عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرفعه ولولا خشية الاطالة لاوردنا الاحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام وهداة الانام ومن تأول ذلك بأن المراد بالى مفرد الآلاء وهي النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد الى ربها ناظرة قال تنتظر الثواب من ربها رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب اليه وأين هو من قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله تعالى ما حجب الفجار الا وقد علم ان الابرار يرونه عز وجل ثم قد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى الى ربها ناظرة وقال ابن جرير حدثنا محمد بن اسمعيل البخاري حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن وجوه يومئذ ناضرة قال حسنة الى ربها ناظرة قال تنظر الى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر الى الخالق وقوله تعالى ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة قال قتادة كالحة وقال السدي تغير ألوانها وقال ابن زيد باسرة أي عابسة تظن أي تستيقن أن يفعل بها فاقرة قال مجاهد داهية وقال قتادة شر وقال السدي تستيقن أنها هالكة وقال ابن زيد تظن أن ستدخل النار وهذا المقام كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وكقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة وكقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية الى قوله وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية في أشباه ذلك من الآيات والسياقات (كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من

قال تنظر الى وجه ربها وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية ينظرون الى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا صفة معلومة أخرجه ابن مردويه وعن أبي هريرة قال قال الناس يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال فهل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يارسول الله قال فانكم ترونه يوم القيامة كذلك أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة نحوه وقد أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والدارقطني والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وأخرجه أحمد في المسند من حديثه بلفظ وان أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين وأخرج النسائي والدارقطني وصححه وأبو نعيم عن أبي هريرة قال قلنا يارسول الله هل نرى ربنا قال هل ترون الشمس في يوم لا غيم فيه وترون القمر في ليلة لا غيم فيها قلنا نعم قال فانكم سترون ربكم عز وجل حتى ان أحدكم ليحاضر ربه محاضرة فيقول عبدي هل تعرف ذنب كذا وكذا فيقول ألم تغفر لي فيقول بمغفرتي صرت الى هذا وقد تظافرت أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة ولاعتراضات المبتدعة من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة عليها أجوبة معروفة في كتب الكلام من أهل السنة وكذلك باقي شبههم وأجوبتها مستفاضة في كتب أهل الحق وليس هذا موضع ذكرها وقد قدمنا ان أحاديث الرؤية متواترة فلا نطيل بذكرها وهي تأتي في مصنف مستقل ولم يتمسك من نفاها واستبعدها بشيء يصلح للتمسك به لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله وقد أطال الحافظ الواحد المتكلم محمد بن أبي بكر القيم الجوزي رحمه الله تعالى في اثبات رؤيته تعالى يوم القيامة في كتابه حادي الارواح الى بلاد الافراح ومن احب النظر في ادلة الفريقين فعليه برسالة الشوكاني المسماة بالبغية في مسئلة الرؤية جمع فيها جميع ما استدل به النافون

منی یمنی ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) يخبر تعالى عن حالة
الاحتضار وما عنده من الاهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى كلا اذا بلغت التراقي ان جعلنا كلا رادعة فمعناها لست
يا ابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا وان جعلناها بمعنى حقا فظاهر أي حقا اذا بلغت التراقي أي انتزعت
روحك من جسدك وبلغت تراقيك والتراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق كقوله تعالى فلولا اذا بلغت
الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه (١٢٦) منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم
صادقين وهكذا قال ههنا كلا اذا بلغت التراقي ونذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذي تقدم في سورة يس والتراقي جمع ترقوة وهي قريبة من الحلقوم وقيل من راق قال عكرمة عن ابن عباس أي من راق يرقي وكذا قال أبو قلابة وقيل من راق أي من طبيب شاف وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي حدثنا روح ابن المسيب أبو رجاء الكلبي حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس وقيل من راق قال قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب فعلى هذا يكون من كلام الملائكة وبهذا الاسناد عن ابن عباس في قوله والتفت الساق بالساق قال التفت عليه الدنيا والآخرة وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والتفت الساق بالساق يقول آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتقي الشدة بالشدة الا من رحمه الله وقال عكرمة والتفت الساق بالساق الامر العظيم بالامر العظيم
وقال مجاهد بلاء ببلاء وقال الحسن البصري في قوله تعالى والتفت الساق بالساق هما ساقاك اذا في
التفتا وفي رواية عنه ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليها جوالا وكذا قال السدي عن أبي مالك وفي رواية عن الحسن هو
لفهما في الكفن وقال الضحاك والتفت الساق بالساق اجتمع عليه أمران الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه
وقوله تعالى الى ربك يومئذ المساق أي المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع الى السموات فيقول الله عز وجل ردوا عبدي الى
الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى كما ورد في حديث البراء الطويل وقد قال الله تعالى وهو القاهر

والمثبتون من الادلة العقلية والنقلية (ووجوه يومئذ باسرة) أي كالحة عابسة كئيبة قال في الصحاح بسر الرجل وجهه بسورا أي كلح قال السدي باسرة أي متغيرة وقيل مصفرة والمراد بالوجوه هنا وجوه الكفار (تظن) أي توقن (أن يفعل بها فاقرة) الفاقرة الداهية العظيمة يقال فقرته الفاقرة أي كسرت فقار ظهره قال قتادة الفاقرة الشر وقال السدي الهلاك وقال ابن زيد دخول النار وقيل الحجاب عن رؤية الله تعالى والاول أولى وأصل الفاقرة الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى تخلص الى العظم كذا قال الاصمعي ومن هذا قولهم قد عمل به الفاقرة (كلا) ردع وزجر أي بعيد أن يؤمن الكافر بيوم القيامة ثم استأنف فقال (اذا بلغت) النفس أو الروح أي نفس المحتضر مؤمنا كان أو كافرا وانما أضمرت وان لم يجر لها ذكر لان السياق يدل عليها (التراقي) جمع ترقوة وهي عظم بين ثغرة النحر والعاتق يمينا وشمالا ولكل انسان ترقوتان ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشفاء على الموت ومثله قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقيل معنى كلا حقا أي حقا ان المساق الى الله اذا بلغت التراقي والمقصود تذكيرهم بشدة الحال عند نزول الموت قال دريد بن الصمة

ورب كريهة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقي

(وقيل) هذا الفعل وما بعده من الفعلين معطوف على بلغت (من راق) اي قال من حضر صاحبها من يرقيه ويشتفي برقيته قال قتادة التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيأ وبه قال أبو قلابة ومنه قول الشاعر

هل للفتى من بنات الموت من واقي * أم هل له من حمام الموت من راقي

وقال أبو الجوزاء هو من رقي يرقى اذا صعد والمعنى من يرقى بروحه الى السماء أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب وقيل انه يقول ذلك ملك الموت وذلك ان نفس الكافر تكره الملائكة قربها وقال ابن عباس في قوله وقيل من راق قال تنتزع نفسه حتى اذا كانت في تراقيه قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب وهذا الاستفهام يجوز أن يكون على بابه وان يكون استبعادا او انكارا وراق اسم فاعل اما من رقى يرقي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع من الرقية وهي كلام معد للاستشفاء يرقى به المريض ليشفى وفي الحديث وما ادراك انها رقية يعني الفاتحة وهي من اسمائها واما من رقى يرقى بالكسر

فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين وقوله جل وعلا فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى هذا اخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه متوليا عن العمل بقالبه فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا ولهذا قال تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أي جذلان أشرا بطرا كسلانا لا همة له ولا عمل كما قال الله تعالى واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين وقال تعالى انه كان في أهله مسرورا انه ظن أن لن يحور أي يرجع بلى (١٢٧) ان ربه كان به بصيرا وقال الضحاك عن ابن عباس ثم ذهب الى أهله يتمطى يختال وقال قتادة وزيد بن أسلم يتبختر قال الله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه أي يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وكقوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون وكقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه وكقوله جل جلاله اعملوا ما شئتم الى غير ذلك وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن اسرائيل عن موسى ابن أبي عائشة قال سألت سعيد بن جبير قلت أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى قال قاله النبي صلى الله عليه وسلم لأبي جهل ثم نزل به القرآن وقال أبو عبد الرحمن النسائي حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى ابن أبي عائشة عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس أولى لك فأولى قال قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنزله الله عز وجل قال ابن أبي حاتم وحدثنا أبي حدثنا هشام ابن خالد حدثنا شعيب عن اسحق حدثنا سعيد عن قتادة قوله أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وعيد على اثر وعيد كما تسمعون وتزعمون وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم بمجامع ثيابه ثم قال أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال عدو الله أبا جهل أتوعدني يا محمد والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا واني لأعز من مشى بين جبليها وقوله تعالى أيحسب الانسان أن يترك سدى قال السدي يعني لا يبعث وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لا يؤمر ولا ينهى والظاهر ان الآية تعم الحالين أي

في الماضي والفتح في المضارع من الرقي وهو الصعود يقال رقي بالفتح من الرقية وبالكسر من الرقي (وظن) أي أيقن الذي بلغت روحه التراقي وسمي اليقين ظنا لان الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لها ولا ينقطع رجاؤه منها (أنه) أي ما نزل به (الفراق) من الدنيا ومن الاهل والمال والولد (والتفت الساق بالساق) أي التفت ساقه بساقه عند نزول الموت به وقال جمهور المفسرين المعنى تتابعت عليه الشدائد وقال الحسن هما ساقاه اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن أسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقيل ماتت رجلاه ويبست ساقاه ولم تحملاه وقد كان جوالا عليهما وقال الضحاك اجتمع عليه أمران شديدان الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وبه قال ابن زيد والعرب لا تذكر الساق الا في الشدائد الكبار والمحن العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق وقيل الساق الاول تعذيب روحه عند خروج نفسه والساق الآخر شدة البعث وما بعده وقال ابن عباس التفت عليه الدنيا والآخرة وعنه قال يقول آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فيلتقي الشدة بالشدة الا من رحم الله وقال الشعبي وغيره المعنى التفت ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب وقال قتادة أما رأيته اذا أشرف على الموت يضرب احدى رجليه على الاخرى قال النحاس القول الاول أحسنها (الى ربك يومئذ المساق) أي الى خالقك يوم القيامة المرجع وذلك جمع العباد الى الله يساقون اليه وقيل التنوين عوض عن جمل أربع أي يوم اذ بلغت الروح التراقي الخ (فلا صدق ولا صلى) أي لم يصدق الانسان المذكور في أول هذه السورة بالرسالة ولا بالقرآن ولا صلى لربه أي الصلاة الشرعية فهو ذم له بترك العقائد والفروع قال قتادة فلا صدق بالكتاب ولا صلى لله وقيل فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه وقيل صدق من التصدق أي فلا صدق بشيء يدخره عند الله تعالى قاله القرطبي قال الكسائي لا بمعنى لم وكذا قال الاخفش والعرب تقول لا ذهب أي لم يذهب وهذا مستفيض في كلام العرب ومنه

ان تغفر اللهم فاغفر جما * وأي عبد لك لا ألما

ولما كان عدم التصديق يصدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عمومه وبين ان المراد منه خصوص التكذيب فقال (ولكن كذب وتولى) أي كذب بالرسول وبما جاء به وتولى عن الطاعة والايمان ولم يستدرك على نفي الصلاة لانه لا يصدق

ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور الى الله في الدار الآخرة والمقصود هنا اثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد ولهذا قال تعالى مستدلا على الاعادة بالبداءة فقال تعالى ألم يك نطفة من مني يمنى أي أما كان الانسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يمنى يراق من الاصلاب في الارحام ثم كان علقة فخلق فسوى أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا آخر سويا سليم الاعضاء ذكرا أو أنثى باذن الله وتقديره ولهذا قال تعالى فجعل منه الزوجين (١٢٨) الذكر والانثى ثم قال تعالى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه وتناول القدرة للاعادة اما بطريق الاولى بالنسبة الى البداءة واما مساوية على القولين في قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه والاول اشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقريره والله أعلم قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا شبابة عن شعبة عن موسى بن أبي عائشة عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فاذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك اللهم فبلى فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن موسى بن ابي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرد به ابو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك وقال ابو داود أيضا حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان حدثني اسمعيل بن امية سمعت اعرابيا يقول سمعت اباهريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا منكم بالتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله ورواه احمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي عن ابن ابي عمر عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن اسمعيل بن امية قال قلت له من حدثك قال رجل صدق عن ابي هريرة وقال ابن جرير حدثنا بشر

الا بصورة واحدة فلم يحتج للاستدلال عليه (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أي يتبختر ويختال في مشيه افتخارا بذلك وقيل هو مأخوذ من المطا وهو الظهر والمعنى يلوى مطاه وقيل أصله يتمطط وهو التمدد والتثاقل أي يتثاقل ويتكاسل عن الداعي الى الحق قال الامام هذا ذكر لما يتعلق بدنياه بعد ذكر ما يتعلق بدينه وثم للاستبعاد لان من صدر عنه مثل ذلك ينبغي ان يخاف من حلول غضب الله به فيمشي خائفا منه متطامنا لا فرحا متبخترا ذكره الشهاب (أولى لك) فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل مبنية على السكون لا محل لها من الاعراب والفاعل ضمير مستتر يعود على ما يفهم من السياق وهو كون هذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكروه واللام مزيدة والمعنى وليك ما تكرهه (فأولى) أي فهو أولى بك من غيرك فدلت الاولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه ودلت الثانية على الدعاء عليه بان يكون أقرب اليه من غيره هذا ما سلكه الجلال المحلي في تقرير هذا المقام وانفرد به عن غيره من المفسرين وهو حسن جدا (ثم أولى لك فأولى) الاولى تأكيد للاولى والثانية تأكيد للثانية وقيل أي وليك الويل وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم وهذا تهديد شديد ووعيد بعد وعيد والتكرير للتأكيد أي يتكرر عليك ذلك مرة بعد مرة قال الواحدي قال المفسرون أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد أبي جهل فقال أولى لك فأولى فقال أبو جهل بأي شيء تهددني لا تستطيع أنت ولا ربك ان تفعلا بي شيأ واني لاعز أهل هذا الوادي فنزلت هذه الآية وقيل معناه الويل لك وعلى هذا القول قيل هو من المقلوب كأنه قيل أويل لك ثم أخر الحرف المعتل قيل ومعنى التكرير لهذا اللفظ أربع مرات الويل لك حيا والويل لك ميتا والويل لك يوم البعث والويل لك يوم تدخل النار وقيل المعنى ان الذم لك أولى لك من تركه وقيل المعنى أنت أولى وأحق وأجدر بهذا العذاب قاله محيى السنة وقال الاصمعي أولى في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك قال المبرد كأنه يقول قد وليت الهلاك وقد دانيته وأصله من الولي وهو القرب قال ثعلب لم يقل أحد في أولى أحسن وأصح مما قاله الاصمعي وعن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله أولى لك فأولى أشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهل من قبل نفسه أم أمره الله به قال بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله أخرجه النسائي والحاكم وصححه والطبراني وغيرهم (أيحسب الانسان أن يترك سدى) اى مهملا لا يؤمر

ولا

حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك وبلى ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك فبلى آخر تفسير سورة القيامة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الانسان وهي مكية)

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان وقال عبد الله ابن وهب أخبرنا ابن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه السورة هل أتى على الانسان حين من الدهر وقد أنزلت عليه وعنده رجل اسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج نفس صاحبكم أو قال أخيكم الشوق الى الجنة مرسل غريب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)

يقول تعالى مخبرا عن الانسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيأ يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا ثم بين ذلك فقال جل جلاله انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج أي اخلاط والمشج والمشيج الشئ المختلط بعضه في بعض قال ابن عباس في قوله تعالى من نطفة أمشاج يعني ماء الرجل وماء المرأة اذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور الى طور وحال الى حال وكون الى كون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الامشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة وقوله تعالى نبتليه أي نختبره كقوله جل جلاله ليبلوكم أيكم أحسن عملا فجعلناه سميعا بصيرا أي جعلنا له سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية وقوله جل وعلا انا هديناه السبيل أي بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وكقوله جل وعلا وهديناه النجدين أي بيناله طريق الخير وطريق الشر وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور وروى عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدي أنهم قالوا في قوله تعالى انا هديناه السبيل يعني خروجه من الرحم وهذا قول غريب والصحيح

ولا ينهى ولا يحاسب ولا يعاقب ولا يكلف في الدنيا ولا يبعث ولا يجازى وقال السدي معناه المهمل ومنه ابل سدى أي ترعى بلا راع وقيل المعنى أيحسب أن يترك في قبره كذلك أبدا لا يبعث وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بالمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة (ألم يك نطفة من مني يمنى) مستأنفة أي ألم يك ذلك الانسان قطرة من مني تراق وتصب في الرحم وسمي المني منيا لاراقته والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء اذا قطر قرأ الجمهور ألم يك بالتحتية على ارجاع الضمير الى الانسان وقرأ الحسن بالفوقية على الالتفات اليه توبيخا له وقرأ الجمهور تمنى أيضا بالفوقية على ان الضمير للنطفة وقرئ بالتحتية على ان الضمير للمني ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو واختارها أبو حاتم وفائدته بعد قوله من مني الاشارة الى حقارة حاله كأنه قيل انه مخلوق من المني الذي يجري على مخرج النجاسة (ثم كان علقة) أي كان بعد النطفة دما أحمر شديد الحمرة (فخلق) أي فقدر الله منها الانسان بأن جعلها مضغة مخلقة (فسوى) أي فعدله وكمل نشأته ونفخ فيه الروح وجعله بشرا سويا (فجعل منه) أي حصل من الانسان وقيل من المني (الزوجين) أي الصنفين من نوع الانسان قال الكرخي أي لا خصوص الفردين والا فقد تحمل المرأة بذكرين وأنثى وبالعكس ثم بين ذلك فقال (الذكر والانثى) أي الرجل والمرأة يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر أخرى (أليس ذلك) الفعال الذي أنشأ هذا الخلق البديع وقدر عليه (بقادر على أن يحيي الموتى) أي يعيد الاجسام بالبعث كما كانت عليه في الدنيا فان الاعادة أهون من الابتداء وأيسر مؤنة منه قرأ الجمهور بقادر وقرأ زيد بن علي يقدر فعلا مضارعا وقرأ الجمهور أيضا يحيي بنصبه بأن وقرئ بسكونها تخفيفا أو على اجراء الوصل مجرى الوقف كما مر في مواضع عن صالح أبي الخليل قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأ هذه الآية قال سبحانك اللهم وبلى أخرجه عبد بن حميد وابن الانباري وعن البراء بن عازب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبحانك ربي وبلى أخرجه ابن مردويه وعن أبي امامة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند قراءته لهذه الآية بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه ابن النجار في تاريخه وعن أبي هريرة قال قال رسول

المشهور الاول وقوله تعالى اماشاكرا واما كفورا منصوب على الحال من الهاء في قوله انا هديناه السبيل تقديره فهو في ذلك اما شقي واما سعيد كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة أعاذك الله من امارة السفهاء قال وما امارة السفهاء قال أمراء يكونون من بعدي لايهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي (١٣٠) فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي يا كعب بن عجرة الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة قربان أو قال برهان يا كعب بن عجرة انه لايدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به يا كعب الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها ورواه عن غياث بن وهب عن عبد الله بن خثيم به وقد تقدم في سورة الروم عند قوله جل جلاله فطرت الله التي فطر الناس عليها من رواية جابر بن عبد الله رضي تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاماشاكرا واما كفورا وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله ابن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن خارج يخرج الا ببابه رايتان راية بيد ملك وراية بيد شيطان فان خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع الى بيته وان خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع الى بيته

(انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه به من السلاسل والاغلال والسعير وهو اللهب والحريق في نار جهنم كما قال تعالى اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ولما ذكر ما أعده

الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى الى قوله أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات عرفا فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وفي اسناده رجل مجهول وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأت لا أقسم بيوم القيامة فبلغت أليس ذلك بقادر الى آخر فقل بلى أخرجه ابن المنذر وابن مردويه قال ابن عباس من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان أو غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان أو غيره ذكره الخطيب قال الخفاجي قوله اماما كان أو غيره يقتضي ان هذه الكلمة وهي بلى لا تبطل الصلاة وهو كذلك لانها ذكر وتقديس وتنزيه لله تعالى

(سورة الانسان وتسمى سورة هل أتى وسورة الأمشاج وسورة الدهر وهي احدى وثلاثون آية)

قال الجمهور هي مدنية وقال مقاتل والكلبي هي مكية وجرى عليه البيضاوي والزمخشري وقال المحلي مكية او مدنية ولم يجزم بشيء قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقيل فيها مكي من قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن الى آخر السورة وما قبله مدني وقال الحسن وعكرمة هي مدنية الا آية وهي فاصبر لحكم ربك الى كفورا وأخرج الطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سل واستفهم فقال يارسول الله فضلتم علينا بالالوان والصور والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به اني كائن معك في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه ليرى بياض الاسود في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال من قال لا اله الا الله كان له عهد عند الله ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة ونزلت هذه السورة الى قوله ملكا كبيرا فقال الحبشي وان عيني لترى ماترى عيناك في الجنة قال نعم فاستبكى حتى فاضت نفسه قال ابن عمر فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدليه في حفرته بيده وأخرج

أحمد

لهؤلاء الاشقياء من السعير قال بعد ذلك ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف الى ذلك من اللذاذة في الجنة قال الحسن برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا أي هذا الذي مزج لهؤلاء الابرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها ولهذا ضمن يشرب يروى حتى عداه بالباء ونصب عينا على التمييز قال بعضهم هذا الشراب في طيبه كالكافور وقال بعضهم هو من عين كافور وقال بعضهم يجوز أن يكون منصوبا بيشرب (١٢١) حكى هذه الاقوال الثلاثة ابن جرير وقوله تعالى يفجرونها تفجيرا أي يتصرفون فيها حيث شاؤا وأين شاؤا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم والتفجير هو الانباع كما قال تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وقال وفجرنا خلالهما نهرا وقال مجاهد يفجرونها تفجيرا يقودونها حيث شاؤا وكذا قال عكرمة وقتادة وقال الثوري يصرفونها حيث شاؤا وقوله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا أي يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر قال الامام مالك عن طلحة بن عبد الملك الايلي عن القاسم بن مالك عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه رواه البخاري من حديث مالك ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطيرا أي منتشر عام على الناس الا من رحم الله قال ابن عباس فاشيا وقال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والارض قال ابن جرير ومنه قولهم استطار الصدع في الزجاجة واستطال ومنه قول الاعشى

فبانت وقد أثارت في الفؤاد * صدعا على نائها مستطيرا

يعني ممتدا فاشيا وقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه قيل على حب الله تعالى وجعلوا الضمير عائدا الى الله عز وجل لدلالة السياق عليه والاظهر ان الضمير عائد على الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى وآتى المال على حبه وكقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى البيهقي من طريق الاعمش عن نافع قال مرض ابن عمر فاشتهى عنبا أول ما جاء العنب فأرسلت صفية يعني

أحمد في الزهد عن محمد بن مطرف قال حدثني الثقة ان رجلا اسود كان يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التسبيح والتهليل فقال له عمر بن الخطاب أكثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال مه يا عمر وأنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل أتى على الانسان حين من الدهر حتى اذا أتى على ذكر الجنة زفر الاسود زفرة خرجت نفسه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات شوقا الى الجنة وأخرج نحوه ابن وهب عن ابن زيد مرفوعا مرسلا وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه وغيرهم عن أبي ذر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل أتى على الانسان حتى ختمها ثم قال اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتى) حكى الواحدي عن المفسرين وأهل المعاني ان هل هنا بمعنى قد وليس باستفهام لان الاستفهام محال على الله تعالى وقد قال بهذا سيبويه والكسائي والفراء وأبو عبيدة قال الفراء هل يكون جحدا ويكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل أعطيتك تقرره بانك أعطيته والجحد ان تقول هل يقدر أحد على مثل هذا وقيل هي وان كانت بمعنى قد ففيها معنى الاستفهام والاصل أهل أتى فالمعنى أقد أتى والاستفهام للتقرير والتقريب وبه قال مكي وهو تقرير لمن انكر البعث ان يقول نعم قد مضى دهر طويل لا انسان فيه قال السمين جعلها للاستفهام التقريري لا للاستفهام المحض وهذا هو الذي يجب أن يكون لان الاستفهام لا يرد من الله الا على هذا النحو وما أشبهه انتهى والاول أنسب (على الانسان) المراد بالانسان هنا آدم قاله قتادة والثوري وعكرمة والسدي وغيرهم وقال ابن عباس كل انسان (حين من الدهر) أي طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود فانه عند الجمهور يقع على مدة العالم جميعها وعلى كل زمان طويل غير معين قيل أربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وقيل انه خلق من طين أربعين سنة ثم من حمأ مسنون أربعين سنة ثم من صلصال أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وقيل الحين المذكور هنا لا يعرف مقداره وجملة

امرأته فاشترت عنقودا بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل السائل فقال ابن عمر اعطوه اياه فأعطوه اياه فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال السائل السائل فقال ابن عمر اعطوه اياه فأعطوه اياه فأرسلت صفية الى السائل فقالت والله ان عدت لا تصيب منه خيرا أبدا ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به وفي الصحيح أفضل الصدقة ان تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك اليه ولهذا قال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا اما المسكين (١٣٢) واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما واما الاسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك الاسير من أهل القبلة وقال ابن عباس كان أسراؤهم يومئذ مشركين ويشهد لهذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر ان يكرموا الاسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحسان الى الارقاء في غير ما حديث حتى انه كان آخر ما أوصى ان جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم قال مجاهد هو المحبوس أي يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال انما نطعمكم لوجه الله أي رجاء ثواب الله ورضاه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا أي لا نطلب منكم مجازاة تكافؤننا بها ولا ان تشكرونا عند الناس قال مجاهد وسعيد بن جبير اما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا أي انما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس عبوسا ضيقا قمطريرا طويلا وقال عكرمة وغيره عنه في قوله يوما عبوسا قمطريرا قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد عبوسا العابس الشفتين قمطريرا قال تقبض الوجه بالبسور وقال سعيد بن جبير وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول قمطريرا تقلص الجبين وما بين العينين من الهول وقال ابن زيد العبوس الشر والقمطرير الشديد وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها قول ابن عباس رضي الله عنه قال ابن جرير والقمطرير هو الشديد

(لم يكن شيأ مذكورا) في محل نصب على الحال من الانسان أو في محل رفع صفة لحين قال الفراء وقطرب وثعلب المعنى انه كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر في السماء ولا في الارض ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما المراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا وقال يحيى بن سلام لم يكن شيأ مذكورا في الخلق وان كان عند الله شيأ مذكورا وقيل ليس المراد الذكر هنا الاخبار فان اخبار الرب عن الكائنات قديم بل هو الذكر بمعنى الخطر والشرف كما في قوله وانه لذكر لك ولقومك قال القشيري ما كان مذكورا للخلق وان كان مذكورا لله سبحانه قال الفراء كان شيأ ولم يكن مذكورا فجعل النفي متوجها الى القيد وقيل المعنى قد مضت ازمنة وما كان آدم شيأ ولا مخلوقا ولا مذكورا لاحد من الخليقة وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير تقديره هل أتى حين من الدهر على الانسان لم يكن شيأ مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوان وعن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن أبي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهو بنو آدم بدليل قوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) فان المراد بالانسان هنا بنو آدم قال القرطبي من غير خلاف والنطفة الماء الذي يقطر وهو المني وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة وجمعها نطف أي خلقناه من مادة هي شئ يسير جدا من الرجل والمرأة والنطفة ماء الرجل والمرأة وأيضا الماء الصافي قل أو كثر ولا فعل للنطفة أي لا يستعمل لها فعل من لفظها (أمشاج) صفة لنطفة وهي جمع مشج بفتحتين أو مشج كعدل واعدال أو مشيج كشريف وأشراف وهي الاخلاط ووقع الجمع صفة لمفرد لانه في معنى الجمع أو جعل كل جزء من النطفة نطفة فاعتبر ذلك فوصف بالجمع والمراد نطفة الرجل ونطفة المرأة واختلاطهما يقال مشج هذا بهذا فهو ممشوج أي خلط هذا بهذا فهو مخلوط قال المبرد مشج يمشج اذا اختلط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم قال الفراء أمشاج اختلاط ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة ويقال مشج هذا اذا خلط وقيل الامشاج الحمرة في البياض والبياض في الحمرة قال القرطبي وهذا قول يختاره كثير من أهل اللغة وذلك لان ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فيخلق منهما الولد قيل وما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة حتى لوزنت المرأة مرأة واجتمع الماآن في رحم احدهما خلق الولد

يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارا وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا * عليكم اذا ما كان يوم قماطر

قال الله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وهذا من باب التجانس البليغ فوقاهم الله شر ذلك اليوم أي آمنهم مما خافوا منه ولقاهم نضرة أي في وجوههم وسرورا أي في قلوبهم قاله الحسن البصري وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس وهذا كقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وذلك ان القلب اذا سر استنار الوجه قال كعب بن مالك في حديثه الطويل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر وقالت عائشة رضي الله عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا تبرق أسارير وجهه الحديث وقوله تعالى وجزاهم بما صبروا أي بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريرا أي منزلا رحبا وعيشا رغدا ولباسا حسنا وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام ابن سليمان الداراني قال قرئ على ابي سليمان الداراني سورة هل اتى على الانسان فلما بلغ القارئ الى قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا قال بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ثم انشد يقول

كم قتيل لشهوة وأسير
أف من مشتهي خلاف الجميل
شهوات الانسان تورثه الذ
ل وتلقيه في البلاء الطويل

(متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما اسبغ عليهم من الفضل العميم فقال تعالى متكئين فيها على الارائك وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات وذكر الخلاف في الاتكاء هل هو الاضطجاع أو التمرفق أو التربع او التمكن في الجلوس وان الارائك هي السرر تحت الحجال وقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اي ليس

الرأس بلاء عظيم وقد وقع ذلك في عصر السلطان غياث الدين فلم يدر السلطان فجمع الاطباء والعلماء فلم يدركوا شيأ من شأنه فأرسل الاستفتاء الى علماء ظفر اباد فقال محمد بن الحاج انه خلق من ماء امرأتين فتفحص السلطان فظهر أنه كذلك وقيل الامشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر قال ابن السكيت الامشاج الاخلاط لانها ممتزجة من أنواع يخلق الانسان منها وطباع مختلفة وقيل الامشاج لفظ مفرد كبرمة اعشار ويؤيده هذا وقوعه نعتا للنطفة قال ابن مسعود أمشاجها عروقها وعن ابن عباس قال ماء الرجل وماء المرأة حين يختلطان وعنه قال نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وعنه قال الامشاج الذي يخرج على اثر البول كقطع الاوتار ومنه يكون الولد وجملة (نبتليه) في محل نصب على الحال من فاعل خلقنا أي مريدين ابتلاءه حين تأهله ويجوز أن يكون حالا من الانسان والمعنى نبتليه بالخير والشر والتكاليف قال الفراء معناه والله أعلم (فجعلناه سميعا بصيرا) نبتليه وهي مقدمة معناها التأخير لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة وعلى هذا هذه حال مقدرة وقيل مقارنة وقال الكرخي لا حاجة الى دعوى التقديم والتأخير مع صحة المعنى بدونه وقيل معنى الابتلاء نقله من حال الى حال على طريقة الاستعارة والاول أولى والمراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وخصهما بالذكر لانهما أعظم الحواس وأشرفها قال الخطيب أي جعلناه عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلائل ببصره وسماع الآيات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته فيصح تكليفه وابتلاؤه وقدم السمع لانه أنفع في المخاطبات ولان الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية وقيل المراد بالسميع المطيع كقولهم سمعا وطاعة وبالبصير العالم يقال لفلان بصر في هذا الامر أي علم والاول أولى ثم ذكر سبحانه انه أعطاه ما يصح معه الابتلاء فقال (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) أي بيناله وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر بأدلة السمع والعقل كما في قوله وهديناه النجدين قال مجاهد أي بينا السبيل الى الشقاوة والى السعادة وقال الضحاك والسدي وأبو صالح السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكمال عقله وانتصاب شاكرا وكفورا على الحال من مفعول هديناه أي مكناه من سلوك الطريق في حالتيه جميعا وقيل على الحال من السبيل على المجاز اي

عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هى مزاج واحد دائم سرمدى لا يبغون عنها حولا ودانية عليهم ظلالها اى قريبة اليهم اغصانها وذللت قطوفها تذليلا اى متى تعاطاه دنا القطف اليه وتدلى من اعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى فى الآية الاخرى وجنى الجنتين دان وقال جل وعلا قطوفها دانية قال مجاهد وذللت قطوفها تذليلا ان قام ارتفعت معه وان قعد تذللت حتى ينالها وان اضطجع تذللت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى تذليلا وقال قتادة لا يرد ايديهم عنها شوك ولا بعد وقال مجاهد أرض الجنة من ورق وترابها المسك وأصول شجرها من ذهب وفضة وافنانها من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والورق والثمر بين ذلك فمن أكل منها قائما لم تؤذه ومن أكل منها قاعدا لم تؤذه ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه وقوله جلت عظمته ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب أى يطوف عليهم الخدم بأوانى الطعام وهى من فضة وأكواب الشراب وهى الكيزان التى لا عرى لها ولا خراطيم وهذه قوارير قوارير من فضة فالاول منصوب بخبر كان أى كانت قوارير والثانى منصوب اما على البدلية أو تمييز لانه بينه بقوله جل وعلا قوارير من فضة قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصرى وغير واحد بياض الفضة فى صفاء الزجاج والقوارير لا تكون الا من زجاج فهذه الاكواب هى من فضة وهى مع هذا شفافة يرى ما فى باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له فى الدنيا قال ابن المبارك عن اسمعيل عن رجل عن ابن عباس ليس فى الجنة شئ الا قد اعطيتم فى الدنيا شبهه الا قوارير من فضة رواه ابن ابى حاتم وقوله تعالى قدروها تقديرا اى على قدر ريهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هى معدة لذلك مقدرة بحسب رى صاحبها هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وابى صالح وقتادة وابن ابزى وعبد الله بن عبيد بن عمير والشعبى وابن زيد وقاله ابن جرير وغير واحد وهذا ابلغ فى الاعتناء والشرف والكرامة وقال العوفى عن ابن عباس قدروها تقديرا قدرت للكف وهكذا قال الربيع بن أنس وقال الضحاك على قدر كف الخادم وهذا لا ينافى القول الاول فانها مقدرة فى القدر والرى وقوله تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا أى ويسقون يعنى الابرار أيضا فى هذه الاكواب كأسا أى خمرا كان مزاجها زنجبيلا فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة بالزنجبيل وهو

عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا وحكى مكى عن الكوفيين ان قوله اما هى ان الشرطية زيدت بعدها ما أى بيناله الطريق ان شكر وان كفر واختاره هذا الفراء ولا يجيزه البصريون لان ان الشرطية لا تدخل على الاسماء الا أن يضمر بعدها فعل ولا يصح هنا اضمار الفعل لانه كان يلزم رفع شاكرا وكفورا ويمكن أن يضمر فعل ينصب شاكرا وكفورا وتقديره ان خلقناه شاكرا فشكور وان خلقناه كافرا فكفور وهذا على قراءة الجمهور اما بكسر الهمزة وقرأ أبو السمال وأبو العجاج بفتحها وعلى الفتح هى اما العاطفة فى لغة بعض العرب أو هى التفصيلية وجوابها مقدرة وقيل انتصب شاكرا وكفورا باضمار كان والتقدير سواء كان شاكرا أو كان كفورا ولما كان الشكر قل من يتصف به قال شاكرا ولما كان الكفر كثيرا من يتصف به ويكثر وقوعه عن الانسان بخلاف الشكر قال كفورا بصيغة المبالغة كذا فى النهر أو هو مراعاة لرؤس الآى ثم بين سبحانه ما أعد للكافرين فقال (انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا) قرأ نافع والكسائى وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر سلاسلا بالتنوين ووقف قنبل عن ابن كثير وحمزة بغير ألف والباقون وقفوا بالالف ووجه من قرأ بالتنوين فى سلاسل مع كونه صيغة منتهى الجموع انه قصد بذلك التناسب لان ما قبله وهو اما شاكرا واما كفورا وما بعده وهو أغلالا وسعيرا منون أو على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف كما حكاه الكسائى وغيره من الكوفيين عن بعض العرب قال الاخفش سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لان الاصل فى الاسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيها قال الفراء هو على لغة من يجر الاسماء كلها الا قولهم هو أظرف منك فانهم لا يجرونه وقيل ان التنوين لموافقة رسم المصاحف المكية والمدنية والكوفية فانها فيها بالالف وقيل ان هذا التنوين بدل من حرف الاطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف والسلاسل قد تقدم تفسيرها والخلاف فيها هل هى القيود أو ما يجعل فى الاعناق كما فى قول الشاعر * ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل * والسلاسل جمع سلسلة أى يشدون ويسحبون بها فى النار والاغلال جمع غل تغل به الايدى الى الاعناق وقد تقدم تفسير السعير وهى نار مهيجة يعذبون بها ولما أوجز فى جزاء الكافرين ذكر ما أعده للشاكرين وأطنب تأكيدا للترغيب فقال (ان الابرار يشربون من كأس) الابرار أهل الطاعة والاخلاص

حار ليعتدل الامر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة واما المقربون فانهم يشربون من كل منهما صرفا كما قاله قتادة وغير واحد وقد تقدم قوله جل وعلا عينا يشرب بها عباد الله وقال ههنا عينا فيها تسمى سلسبيلا أى الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسبيلا قال عكرمة اسم عين فى الجنة وقال مجاهد سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريتها وقال قتادة عينا فيها تسمى سلسبيلا عين سلسلة مستقيذ ماؤها وحكى ابن جرير عن بعضهم انها سميت بذلك لسلاستها فى الحلق واختار هو انها تعم ذلك كله وهو كما قال وقوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا (١٣٥) أى يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة مخلدون أى على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد اعمارهم عن تلك السن ومن فسرهم بأنهم مخرصون فى آذانهم الاقرطة فانما عبر عن المعنى بذلك لان الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير وقوله تعالى اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا أى اذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة ولذتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا ولا فى المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن قال قتادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمرو ما من أهل الجنة من أحد الا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه وقوله جل وعلا واذا رأيت ثم أى واذا رأيت يا محمد ثم أى هناك يعنى فى الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور رأيت نعيما وملكا كبيرا أى مملكة لله هناك عظيمة وسلطانا باهرا وثبت فى الصحيح ان الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا اليها ان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها وقد قدمنا فى الحديث المروى من طريق ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألفى سنة ينظر الى أقصاه كما ينظر الى ادناه فاذا كان هذا عطاؤه تعالى لادنى من يكون فى الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى وقد روى الطبرانى ههنا حديثا غريبا جدا فقال حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلى حدثنا عقبة بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله سل واستفهم فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان

والاخلاص والصدق جمع بر أو بار قال فى الصحاح جمع البر الابرار وجمع البار البررة وفلان يبر خالقه ويبره أى يطيعه وقال الحسن البر الذى لا يؤذى الذر وقال قتادة الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر وقيل هم الصادقون فى ايمانهم المطيعون لربهم الذين سمت هممهم عن المحقرات فظهرت فى قلوبهم ينابيع الحكمة وقيل سماهم الابرار لانهم بروا الآباء والابناء والكاس فى اللغة هو الاناء الذى فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا بل هو اناء ولا وجه لتخصيصه بالزجاجة بل يكون من الزجاج ومن الذهب والفضة والصينى وغير ذلك وقد كانت كاسات العرب من أجناس مختلفة وقد يطلق الكأس على نفس الخمر كما فى قول الشاعر

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

(كان مزاجها كافورا) أى ما يخالطها وتمزج به يقال مزجه يمزجه مزجا أى خلطه يخلطه خلطا ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الاخلاط والكافور قيل هو اسم عين فى الجنة يقال لها الكافور أى تمزج خمر الجنة بماء هذه العين وقال قتادة ومجاهد تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقال عكرمة مزاجها طعمها وقيل انما الكافور فى ريحها لا فى طعمها وقيل انما أراد الكافور فى بياضه وطيب رائحته وبرده لان الكافور لا يشرب كما فى قوله حتى اذا جعله نارا أى كنار وقال ابن كيسان طيبها المسك والكافور والزنجبيل وقال مقاتل ليس هو كافور الدنيا وانما سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدى له القلوب والجملة فى محل جر صفة لكأس وقيل ان كان ههنا زائدة أى من كأس مزاجها كافور وقرأ عبد الله قافورا بالقاف بدل الكاف قال السمين وهذا من التعاقب بين الحرفين وقوله (عينا) بدل من كافور لان ماءها فى بياض الكافور وقال مكى انها بدل من محل من كأس على حذف مضاف كأنه قيل يشربون خمرا خمر عين وقيل انها منتصبة على انها مفعول يشربون أى عينا من كأس وقيل هى منتصبة على الاختصاص قاله الاخفش وقيل باضمار فعل يفسره ما بعده أى يشربون عينا وذكر السمين فى نصبها وجوها والاول أولى (يشرب بها عباد الله) أى أولياؤه أو المؤمنون والجملة صفة لعينا وقيل الباء فى بها زائدة ويؤيده قراءة ابن أبى عبلة يشربها وقيل بمعنى من قاله الزجاج وقيل ان يشرب مضمن معنى يلتذ وقيل هى متعلقة بيشرب والضمير يعود على الكأس وقيل انها

والنبوة افرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به أني لكائن معك في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه ليرى بياض الاسود
في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله
وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله الا أن
يتغمده الله برحمته ونزلت هذه السورة هل أتى (١٣٦) على الانسان حين من الدهر الى قوله ملكا كبيرا فقال الحبشي وان عيني
لترى ما ترى عيناك في الجنة قال نعم فاستبكى حتى فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرته بيده وقوله جل جلاله عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق أي لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم والاستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس وحلوا أساور من فضة وهذه صفة الابرار واما المقربون فكما قال تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده وسقاهم ربهم شرابا طهورا أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والاذى وسائر الاخلاق الرديئة كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال اذا انتهى أهل الجنة الى باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من احداهما فأذهب الله ما في بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم
نضرة النعيم فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن وقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء كائنا
وكان سعيكم مشكورا أي يقال لهم ذلك تكريما لهم واحسانا اليهم كما قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية
وكقوله تعالى ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى وكان سعيكم مشكورا أي جزاكم الله تعالى على
القليل بالكثير (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا
ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا أسرهم

خالصة أي ممزوجة بها وقال الفراء يشرب بها ويشربها سواء في المعنى وكأن يشرب
بها يروى بها وينتفع (يفجرونها تفجيرا) أي يجرونها الى حيث يريدون وينتفعون بها كما
يشاؤن ويتبعهم ماؤها الى كل مكان يريدون وصوله اليه فهم يشقونها شقا كما يشق النهر
ويفجر الى هنا وهنا قال مجاهد يقودونها حيث شاؤا وتتبعهم حيث مالوا مالت معهم أي
فهي سهلة لا تمتنع عليهم والجملة صفة أخرى لعينا وجملة (يوفون بالنذر) مستأنفة مسوقة
لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر وكذا ما عطف عليها ومعنى النذر في اللغة الايجاب والمعنى
يوفون بما أوجبه الله عليهم من الطاعات قال قتادة ومجاهد يوفون بطاعة الله من الصلاة
والحج ونحوهما وفيه مبالغة في وصفهم بالتوفيق على أداء الواجبات لان من وفى بما
أوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما أوجب الله عليه أوفى وقال عكرمة يوفون
اذا نذروا في حق الله سبحانه والنذر في الشرع ما أوجبه المكلف على نفسه فالمعنى يوفون
بما أوجبوه على أنفسهم قال الفراء في الكلام اضمار أي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وقال
الكلبي يوفون بالنذر أي يتمون العهود لقوله تعالى وأوفوا بعهد الله وقوله أوفوا بالعقود
أمروا بالوفاء بها لانهم عقدوها على أنفسهم باعتقادهم الايمان والاولى حمل النذر هنا
على ما أوجبه العبد على نفسه من غير تخصيص (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) المراد
يوم القيامة ومعنى استطارة شره فشوه وانتشاره غاية الانتشار يقال استطار يستطير
استطارة فهو مستطير وهو استفعل من الطيران والعرب تقول استطار الصدع في
القارورة والزجاجة اذا امتد ويقال استطار الحريق اذا انتشر وهو أبلغ من طار قال
الفراء المستطير المستطيل قال قتادة استطار شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والارض
قال مقاتل كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس
والقمر وفزعت الملائكة وفي الارض نسفت الجبال وغارت المياه وفي الآية اشارة لحسن
عقيدتهم واجتنابهم المعاصي (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)
أي يطعمون هؤلاء الثلاثة الاصناف الطعام مع حبه لديهم وقلته عندهم قال مجاهد على
قلته وحبهم اياه وشهوتهم له فقوله على حبه في محل نصب على الحال أي كائنين على حبه
ومثله قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقيل على حب الاطعام لرغبتهم في الخير قال
الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام وقيل الضمير يرجع الى الله أي يطعمون اطعام

كائنا على حب الله ويؤيد هذا قوله الآتى انما نطعمكم لوجه الله والاول أمدح لان فيه الايثار على النفس والطعام محبوب للفقراء والاغنياء والمسكين ذو المسكنة وهو الفقير أو من هو أفقر من الفقير والمراد باليتيم يتامى المسلمين والاسير الذى يؤسر فيحبس قال قتادة ومجاهد الاسير المحبوس وقال عكرمة الاسير العبد وقال أبو حمزة الثمالى الاسير المرأة قال سعيد بن جبير نسخ هذا الاطعام آية الصدقات وآية السيف فى حق الاسير الكافر وقال غيره بل هى محكمة واطعام المسكين واليتيم على التطوع واطعام الاسير لحفظ نفسه الى أن يتخير فيه الامام قال ابن عباس أسيرا هو المشرك وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله مسكينا قال فقيرا ويتيما قال لا أب له وأسيرا قال المملوك والمسجون أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم وعن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى على بن أبى طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن مردويه وقيل عامة فى كل من أطعم هؤلاء لله وآثر على نفسه وجملة (انما نطعمكم لوجه الله) فى محل نصب على الحال بتقدير القول أى يقولون بلسان المقال أو بلسان الحال أو قائلين انما نطعمكم يعنى انهم لا يتوقعون المكافأة ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك وهذا الوصف من باب التكميل فقد وصفهم أولا بالجود والبذل وكمله بان ذلك عن اخلاص لا رياء فيه قال الواحدى قال المفسرون لم يتكلموا بهذا ولكن علمه الله من قلوبهم فأثنى عليهم وعلم من ثنائه انهم فعلوا ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أى لا نطلب منكم المجازاة على هذا الاطعام ولا نريد منكم الشكر لنا بل هو خالص لوجه الله وهذه الجملة مقررة لما قبلها لان من أطعم لوجه الله لا يريد المكافأة ولا يطلب الشكر له ممن أطعمه (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) أى نخاف عذاب يوم متصف بهاتين الصفتين ومعنى عبوسا انه يوم تعبس وتكلح فيه الوجوه من هوله وشدته فالمعنى انه ذو عبوس قال الفراء وأبو عبيدة والمبرد يوم قمطرير وقماطر اذا كان صعبا شديدا قال الاخفش القمطرير أشد ما يكون من الايام وأطوله فى البلاء قال الكسائى اقمطر اليوم وازمهر اذا كان شديدا صعبا وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلهما من صفات المتغير فى ذلك اليوم بما يراه من الشدائد قال أبو عبيدة يقال قمطرير أى منقبض ما بين العينين والحاجبين قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا

واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) يقول تعالى ممتنا على رسوله صلى الله عليه وسلم بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا فاصبر لحكم ربك أى كما أكرمتك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره ولا تطع منهم آثما أو كفورا أى لا تطع الكافرين والمنافقين ان أرادوا صدك عما أنزل اليك بل بلغ ما أنزل اليك من ربك وتوكل على الله فان الله يعصمك من الناس فالآثم هو الفاجر فى أفعاله والكفور هو الكافر قلبه (١٣٧) واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا أى أول النهار وآخره ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وكقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ثم قال تعالى منكرا على الكفار ومن أشبههم فى حب الدنيا والاقبال عليها والانصباب اليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا يعنى يوم القيامة ثم قال تعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعنى خلقهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا أى واذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة وقال ابن زيد وابن جرير واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا أى واذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا وكقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ثم قال تعالى ان هذه تذكرة يعنى هذه السورة تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا أى طريقا ومسلكا أى من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر الآية ثم قال تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله أى لا يقدر أحد أن يهدى نفسه ولا يدخل فى الايمان ولا يجر لنفسه نفعا الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما أى عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى ان الله كان عليما حكيما ثم قال يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما أى يهدى من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له آخر تفسير سورة الانسان ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة والمرسلات وهي مكية) قال البخاري ثنا أحمد ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا الاعمش حدثني ابراهيم عن الاسود عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار بمنى اذ نزلت عليه والمرسلات فانه ليتلوها واني لأتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها اذ وثبت علينا حية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها وأخرجه مسلم أيضا من طريق الاعمش وقال الامام أحمد ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا وفي رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس ان أم الفضل سمعته يقرأ والمرسلات عرفا فقالت يا بني أذكرتني بقراءتك هذه السورة انها آخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك به

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل أقتت لأي يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين) قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا زكريا بن سهل المروزي ثنا علي بن الحسين بن شقيق أنا الحسين بن واقد ثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة والمرسلات عرفا قال الملائكة وروي عن مسروق وأبي الضحى ومجاهد في احدى الروايات والسدي والربيع ابن أنس مثل ذلك وروي عن أبي صالح انه قال هي الرسل وفي رواية عنه انها الملائكة وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات انها الملائكة وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين قال سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفا قال الريح وكذا قال في العاصفات عصفا والناشرات نشرا انها الريح وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه وتوقف ابن جرير في والمرسلات عرفا هل هي الملائكة اذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضا أو هي الرياح اذا هبت شيأ فشيأ وقطع بان العاصفات عصفا الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه وممن قال ذلك في العاصفات عصفا أيضا علي ابن أبي طالب والسدي وتوقف في الناشرات نشرا هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم وعن أبي صالح ان الناشرات نشرا هي المطر

رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بأنفها اما سبقها من القطر وجعل الميم مزيدة وقال ابن عباس عبوسا ضيقا قمطريرا طويلا وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عبوسا قمطريرا قال يقبض ما بين الابصار وقال ابن عباس القمطرير الرجل المنقبض ما بين عينيه ووجهه (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أي دفع عنهم شره بسبب خوفهم منه واطعامهم لوجهه والفاء سببية (ولقاهم نضرة وسرورا) أي أعطاهم بدل العبوس في الكفار نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب بدل الخوف قال الضحاك النضرة البياض والنقاء في وجوههم وقال سعيد بن جبير الحسن والبهاء وقيل النضرة أثر النعمة وعن ابن عباس قال نضرة في وجوههم وسرورا في صدورهم (وجزاهم بما صبروا) أي بسبب صبرهم على التكاليف وقيل على الفقر وقيل على الجوع وقيل على الصوم والاولى حمل الآية على الصبر على كل شيء يكون الصبر عليه طاعة لله سبحانه (جنة وحريرا) أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير وهو لباس أهل الجنة عوضا عن تركه في الدنيا امتثالا لما ورد في الشرع من تحريمه والمراد بالجنة هنا بستان المأكولات لا ما يقابل النار وهي دار الكرامة حتى يقال أي حاجة الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتملة عليه في جملة ما أعد فيها للمؤمنين وظاهر هذه الآيات العموم في كل من خاف من يوم القيامة وأطعم لوجه الله وخاف من عذابه والسبب وان كان خاصا كما تقدم فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويدخل سبب النزول تحت عمومها دخولا أوليا وقوله (متكئين فيها على الارائك) منصوب على الحال من مفعول جزاهم والعامل فيها جزى ولا يعمل فيها صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا قال الفراء وان شئت جعلت متكئين تابعا كأنه قال وجزاهم جنة متكئين فيها وقال الاخفش يجوز أن يكون منصوبا على المدح والضمير في فيها يعود الى الجنة وجوز أبو البقاء والزمخشري أن يكون متكئين صفة لجنة وهذا لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم بروز الضمير فيقال متكئين هم فيها لجريان الصفة على غير من هي له وقد منعه مكي لما ذكر من عدم بروز الضمير ولا يجوز كونه حالا من فاعل صبروا لان الصبر كان في الدنيا واتكاؤهم انما هو في الآخرة والارائك جمع أريكة وهي السرر في الحجال وهي بيت يزين بالثياب والاسرة والستور وقد تقدم تفسيرها في سورة الكهف (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) الجملة في محل نصب على الحال من مفعول جزاهم

والاظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى وأرسلنا الرياح لواقح وقال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهكذا العاصفات هي الرياح يقال عصفت الرياح اذا هبت بتصويت وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل وقوله تعالى فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا يعني الملائكة قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري ولا خلاف ههنا فانها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل والهدى والغي والحلال والحرام وتلقي الى الرسل وحيا فيه اعذار الى الخلق وانذار لهم عقاب الله ان خالفوا أمره وقوله تعالى (١٣٩)

انما توعدون لواقع هذا هو المقسم عليه بهذه الاقسام أي ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الاجساد وجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ان هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة ثم قال تعالى فاذا النجوم طمست أي ذهب ضوءها كقوله تعالى واذا النجوم انكدرت وكقوله تعالى واذا الكواكب انتثرت واذا السماء فرجت أي انفطرت وانشقت وبدلت أرجاؤها ووهت أطرافها واذا الجبال نسفت أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا الآية وقال تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وقوله تعالى واذا الرسل أقتت قال العوفي عن ابن عباس جمعت وقال ابن زيد وهذه كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقال مجاهد أقتت أجلت وقال الثوري عن منصور عن ابراهيم أقتت

جزاهم فتكون من الحال المترادفة أو من الضمير في متكئين فتكون من الحال المتداخلة أو صفة أخرى لجنة قال ابن مسعود الزمهرير هو البرد الشديد والمعنى انهم لا يرون في الجنة حر الشمس ولا برد الزمهرير ومنه قول الاعشى

منعمة طفلة كالمها * لم ترشمسا ولا زمهريرا

وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر قاله النسفي وقال ثعلب الزمهرير القمر بلغة طي وأنشد لشاعرهم

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

ويروى ما ظهر أي ما طلع القمر وقد تقدم تفسير هذا في سورة مريم أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الصيف ونفسا في الشتاء فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون في الصيف من الحر من سمومها (ودانية عليهم ظلالها) قرأ الجمهور دانية بالنصب عطفا على محل لا يرون أو على متكئين أو صفة لمحذوف أي وجنة دانية كأنه قال وجزاهم جنة دانية وقال الزجاج هو صفة لجنة المتقدم ذكرها وقال الفراء منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مقدم وظلالها مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب على الحال والمعنى ان ظلال الاشجار قريبة منهم مظلة عليهم زيادة في نعيمهم وان كان لا شمس هنالك قال مقاتل يعني شجرها قريب منهم وقرأ ابن مسعود ودانيا عليهم قال البراء بن عازب دانية قريبة (وذللت قطوفها تذليلا) معطوف على دانية كأنه قال ومذللة ويجوز أن تكون الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في عليهم ويجوز أن تكون مستأنفة والقطوف الثمار جمع قطف بالكسر وهو العنقود والمعنى انها سخرت ثمارها لمتناوليها تسخيرا كثيرا بحيث يتناولها القائم والقاعد والمضطجع والمتكئ ولا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك قال النحاس المذلل القريب التناول ومنه قولهم حائط ذليل أي قصير قال ابن قتيبة ذللت أدنيت من قولهم حائط ذليل اذا كان قصير السمك وقيل ذللت أي جعلت منقادة لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا عن البراء ابن عازب قال ان أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين وعلى أي حال شاؤا وفي لفظ قال ذللت فيتناولون منها كيف شاؤا ولما وصف تعالى طعامهم ولباسهم

أوعدت وكأنه يجعلها كقوله تعالى وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ثم قال تعالى لأي يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها حتى تقوم الساعة كما قال تعالى فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وهو يوم الفصل كما قال تعالى ليوم الفصل ثم قال تعالى معظما لشأنه وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين أي ويل لهم من عذاب الله غدا وقد قدمنا في الحديث ان ويل واد في جهنم ولا يصح (ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم

فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى ألم نهلك الاولين يعنى من المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤهم به ثم نتبعهم الآخرين أى ممن أشبههم ولهذا قال تعالى كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين قاله ابن جرير ثم قال تعالى ممتنا على خلقه ومحتجا على الاعادة بالبداءة ألم نخلقكم من ماء مهين أى ضعيف حقير بالنسبة الى قدرة البارى عزوجل كما تقدم فى سورة يس فى حديث بشر ابن جحاش ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من (١٤٠) مثل هذه فجعلناه فى قرار مكين يعنى جمعناه فى الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة والرحم معد لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء وقوله تعالى الى قدر معلوم يعنى الى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ثم قال تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا قال ابن عباس كفاتا كنا وقال مجاهد يكفت الميت فلا يرى منه شئ وقال الشعبى بطنها لامواتكم وظهرها لاحيائكم وكذا قال مجاهد وقتادة وجعلنا فيها رواسى شامخات يعنى الجبال رسى بها الارض لئلا تميد وتضطرب وأسقيناكم ماء فراتا أى عذبا زلالا من السحاب أو مما أنبعه من عيون الارض ويل يومئذ للمكذبين أى ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره

(انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لاظليل ولا يغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى مخبرا عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار انهم يقال لهم يوم القيامة انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب يعنى لهب النار اذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب لاظليل ولا يغنى من اللهب أى ظل الدخان المقابل للهب لاظليل هو فى نفسه ولا يغنى من اللهب يعنى ولا يقيهم حر اللهب وقوله تعالى انها ترمى بشرر كالقصر أى يتطاير الشرر من لهبها كالقصر قال ابن مسعود كالحصون وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وغيرهم يعنى أصول الشجر كأنه جمالة صفر أى كالابل السود قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره

ومسكنهم وصف شرابهم بقوله (ويطاف عليهم) وقال هنا يطاف وفيما بعد يطوف لان المقصود فى الاول ما يطاف به لا الطائفون بقرينة قوله (بآنية من فضة وأكواب) والمقصود فى الثانى الطائفون فذكر فى كل منهما ما يناسبه كما أشار اليه فى التقرير والمعنى يدور عليهم الخدم اذا أرادوا الشراب بآنية الفضة والآنية جمع اناء والاصل أأنية بهمزتين الاولى مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية ألفا وجوبا وهذا نظير كساء وأكسية وغطاء وأغطية ونظيره فى الصحيح اللام حمار وأحمرة قاله السمين وهو وعاء الماء والاكواب جمع كوب وهو الكوز العظيم والابريق الذى لا أذن له ولا عروة وهو من عطف الخاص على العام ولم تنف الآية آنية الذهب بل نبه سبحانه بذكر أحدهما على الآخر كقوله تقيكم الحر والمعنى قد يسقون فى أوانى الفضة وقد يسقون فى أوانى الذهب وقد مضى تفسيره فى سورة الزخرف (كانت قواريرا) بتكوين الله تعالى تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتى الجوهرين المتباينين وكذا كان مزاجها كافورا (قوارير من فضة) أى فى وصف القوارير فى الصفاء وفى بياض الفضة فصفاؤها صفاء الزجاج ولونها لون الفضة قال ابن عباس آنية من فضة وصفاؤها كصفاء القوارير وعنه قال ليس فى الدنيا شئ مما فى الجنة الا الاسماء اذ الذى فى الجنة أشرف وأعلى قرأ نافع والكسائى وأبو بكر قواريرا بالتنوين فيهما مع الوصل وبالوقف عليهما بالالف وقد تقدم وجه هذه القراءة فى تفسير قوله سلاسلا من هذه السورة وبينا هنالك وجه صرف ما فيه صيغة منتهى الجموع وقرأ حمزة بعدم التنوين فيهما وعدم الوقف بالالف ووجه هذه القراءة ظاهر لانهما ممتنعان لصيغة منتهى الجموع وقرأ هشام بعدم التنوين فيهما مع الوقف عليهما بالالف وقرأ ابن كثير بتنوين الاول دون الثانى والوقف على الاول بالالف دون الثانى وقرأ أبو عمرو وحفص وابن ذكوان بعدم التنوين فيهما والوقف على الاول بالالف دون الثانى وبسط السمين فى ذكر هذه الوجوه الخمسة فى القراءة والجملة فى محل جر صفة لاكواب وقوارير جمع قارورة وهى ما أقر فيه الشراب ونحوه من كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج قال أبو البقاء وحسن التكرير لما اتصل به من بيان أصلها ولولا التكرير لم يحسن أن يكون الاول رأس آية لشدة اتصال الصفة بالموصوف قال الواحدى قال المفسرون جعل الله قوارير أهل الجنة من فضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء

القوارير

ابن جرير وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير جمالة صفر يعني حبال السفن وعنه أعني ابن عباس جمالة صفر قطع النحاس وقال البخاري ثنا عمرو بن علي ثنا يحيى أنا سفيان عن عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس رضي الله عنه ترمي بشرر كالقصر قال كنا نعمد الى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه للشتاء فنسميه القصر كأنه جمالة صفر حبال السفن يجمع حتى تكون كأوساط الرجال ويل يومئذ للمكذبين ثم قال تعالى هذا يوم لا ينطقون أي لا يتكلمون ولا يؤذن لهم فيعتذرون أي لا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا (١٤١) فهم لا ينطقون وعرصات القيامة حالات والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحالة تارة ليدل على شدة الاهوال والزلازل يومئذ ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام ويل يومئذ للمكذبين وقوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين يعني انه جمعهم بقدرته في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وقوله تعالى فان كان لكم كيد فكيدون تهديد شديد ووعيد أكيد أي أن قدرتم على ان تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا فانكم لا تقدرون على ذلك كما قال تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقد قال تعالى ولا تضرونه شيأ وفي الحديث يا عبادي انكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني وقد قال ابن أبي حاتم ثنا علي بن المنذر الطريقي الاودي ثنا محمد بن فضيل ثنا حصين بن عبد الرحمن عن حسان بن أبي المخارق عن أبي عبد الله الجدلي قال أتيت بيت المقدس فاذا عبادة ابن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الاحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال عبادة اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين بصعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ويقول الله هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون اليوم لا ينجو مني جبار عنيد ولا شيطان مريد فقال عبد الله بن عمرو فانا نحدث يومئذ انها تخرج عنق من النار فتنطلق حتى اذا كانت بين ظهراني الناس نادت أيها الناس اني بعثت الى ثلاثة أنا أعرف بهم من الاب بولده ومن الاخ باخيه لا يغيبهم عني وزر ولا يخفيهم عني خافية الذي جعل مع الله الها آخر وكل جبار عنيد وكل شيطان مريد فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب

القوارير قال الزجاج القوارير التي في الدنيا من الرمل فأعلم الله فضل تلك القوارير أن أصلها من فضة يرى من خارجها ما في داخلها قال ابن عباس لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم ير الماء من ورائها ولكن قوارير الجنة ببياض الفضة في صفاء القوارير وعنه قال ليس في الجنة شئ الا وقد أعطيتم في الدنيا شبهه الا القوارير من فضة وجملة (قدروها تقديرا) صفة لقوارير قرأ الجمهور قدروها بفتح القاف على البناء للفاعل أي قدرها السقاة من الخدم الذين يطوفون عليهم على قدر ما يحتاج اليه الشاربون من أهل الجنة من دون زيادة ولا نقصان وذلك ألذ الشراب لكونه على مقدار الحاجة لا يفضل عنه ولا يعجز قال مجاهد وغيره أتوا بها على قدر ريهم أي شهوتهم بغير زيادة ولا نقصان اذ لا عطش في الجنة قال الكلبي وذلك ألذ وأشهى وقيل قدرها الملائكة وقيل قدرها أهل الجنة الشاربون على مقدار شهوتهم وحاجتهم فجاءت كما يريدون في الشكل لا تزيد ولا تنقص وقرئ قدروها بضم القاف وكسر الدال مبنيا للمفعول أي جعلت لهم على قدر ارادتهم قال أبو علي الفارسي هو من باب القلب قال لان حقيقة المعنى أن يقال قدرت عليهم لا قدروها لانه في معنى قدروا عليها وقال أبو حاتم التقدير قدرت الاواني على قدر ريهم فمفعول ما لم يسم فاعله محذوف قال أبو حيان والاقرب في تخريج هذه الآية الشاذة أن يقال قدر ريهم منها تقديرا فحذف المضاف فصار قدروها وقال المهدوي هذه القراءة يرجع معناها الى القراءة الاولى وكان الاصل قدروا عليها فحذف حرف الجر وقال ابن عباس قدرت للكف وقال أيضا أتوا بها على قدر الفم لا يفضلون شيأ ولا يشتهون بعدها شيأ وعنه قال قدرتها السقاة (ويسقون) أي يسقيهم من أراده من خدمهم الذين لا يحصون كثرة (فيها) أي في الجنة أو الاكواب (كأسا كان مزاجها زنجبيلا) قد تقدم ان الكأس هو الاناء الذي فيه الخمر واذا كان خاليا عن الخمر فلا يقال له كأس والمعنى ان أهل الجنة يسقون في الجنة كأسا من الخمر ممزوجة بالزنجبيل وقد كانت العرب تستلذ مزج الشراب بالزنجبيل لطيب رائحته وقال مجاهد وقتادة الزنجبيل اسم للعين التي يشرب بها المقربون وقال مقاتل هو زنجبيل لا يشبه زنجبيل الدنيا أي يلذع الحلق فتصعب اساغته قلت وكذلك سائر ما في الجنان من الاشجار والثمار والقصور والنساء الحور والمأكولات والمشروبات والملبوسات لا يشبه

بأربعين سنة (ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزى المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون) يقول تعالى مخبرا عن عباده المتقين الذين عبدوه باداء الواجبات وترك المحرمات انهم يوم القيامة يكونون فى جنات وعيون أى بخلاف ما أولئك الاشقياء فيه من ظل اليحموم وهو الدخان الاسود المنتن وقوله وفواكه مما يشتهون أى ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا (١٤٢) وجدوا كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون أى يقال لهم ذلك على سبيل الاحسان اليهم ثم قال تعالى مخبرا خبرا مستأنفا انا كذلك نجزى المحسنين أى هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ويل يومئذ للمكذبين وقوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى كلوا وتمتعوا قليلا أى مدة قليلة قريبة قصيرة انكم مجرمون أى ثم تساقون الى نار جهنم التى تقدم ذكرها ويل يومئذ للمكذبين كما قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وقال تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون أى اذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار ان يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين ثم قال تعالى فبأى حديث بعده يؤمنون أى اذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأى كلام يؤمنون به كقوله تعالى فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون قال ابن أبى حاتم ثنا أبى ثنا ابن أبى عمر ثنا سفيان عن اسمعيل بن أمية اى سمعت رجلا اعرابيا بدويا يقول سمعت أبا هريرة يرويه اذا قرأ والمرسلات عرفا فقرأ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنت بالله وبما أنزل وقد تقدم هذا الحديث فى سورة القيامة آخر تفسير والمرسلات ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

ما فى الدنيا الا فى مجرد الاسم لكن الله سبحانه يرغب الناس ويطمعهم بان يذكر لهم أحسن شئ وألذه وأطيبه مما يعرفونه فى الدنيا لاجل أن يرغبوا ويسعوا فيما يوصلهم الى هذا النعيم المقيم (عينا فيها تسمى سلسبيلا) انتصاب عينا على انها بدل من كأس ويجوز أن تكون منصوبة بفعل مقدر أى يسقون عينا ويجوز أن تكون منصوبة بنزع الخافض أى ومن عين والسلسبيل الشراب اللذيذ مأخوذ من السلاسة تقول العرب هذا شراب سلس وسلسال وسلسبيل أى طيب لذيذ قال الزمخشرى وقد زيدت الباء فى التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل فى اللغة اسم لماء فى غاية السلاسة حديد الجرية يسوغ فى حلوقهم ومنه قول حسان بن ثابت

يسقون من ورد البريص عليهم * كأسا يصفق بالرحيق السلسل

وقال ابن الاعرابى لم أسمع السلسبيل الا فى القرآن وقال مكى هو اسم عجمى نكرة فلذلك صرف ووزنه مثل دردبيس وقيل فعفليل لان الفاء مكررة وقيل سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا والاول أولى وقال الخازن معنى تسمى توصف لان أكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم انتهى قال مقاتل بن حيان سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان قال البغوى وشراب الجنة فى برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع قال مقاتل يشربها المقربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة ولما فرغ سبحانه من وصف شرابهم ووصف آنيته وصف السقاة الذين يسقونهم ذلك الشراب فقال (ويطوف عليهم) بالشراب (ولدان) بكسر الواو باتفاق السبعة أى غلمان هم فى سن من هو دون البلوغ قال بعض المفسرين هم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم أطفال المؤمنين لانهم ماتوا على الفطرة وقال ابن برجان وأرى والله أعلم انهم من علم الله تعالى ايمانه من أولاد الكفار ويكونون خدما لاهل الجنة كما كانوا فى الدنيا ناسيا وخدما وأما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم تأنيسا وسرورا بهم وفى الخازن فى سورة الواقعة والصحيح الذى لا معدل عنه ان شاء الله تعالى انهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور ولم يولدوا ولم يخلقوا عن ولادة انتهى قلت الله أعلم بهم ولا أقول فيهم بشئ ظنا وتخمينا اذ لم يرد نص صريح صحيح فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله فالوقف أولى وأحوط (مخلدون)

(تفسير سورة النبا وهى مكية) (بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبا العظيم الذى هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا) يقول

تعالى منكرا على المشركين فى تساؤلهم عن يوم القيامة انكارا لوقوعها عم يتساءلون عن النبإ العظيم أى عن أى شئ يتساءلون عن أمر القيامة وهو النبأ العظيم يعنى الخبر الهائل المفظع الباهر قال قتادة وابن زيد النبأ العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن والاظهر الاول لقوله الذى هم فيه مختلفون يعنى الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر ثم قال تعالى متوعدا لمنكرى القيامة كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الاشياء الغريبة والامور العجيبة الدالة على قدرته على مايشاء من أمر المعاد وغيره (١٤٣) فقال ألم نجعل الارض مهادا أى ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة والجبال أوتادا أى جعلها لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها ثم قال تعالى وخلقناكم أزواجا يعنى ذكرا وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا أى قطعا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعى فى المعايش فى عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية فى سورة الفرقان وجعلنا الليل لباسا أى يغشى الناس ظلامه وسواده كما قال والليل اذا يغشاها وقال الشاعر

فلما لبسن الليل أو حين نصبت
له من خذا آذانها وهو جانح

وقال قتادة فى قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا أى سكنا وقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا أى جعلناه مشرقا نيرا مضيئا ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجئ للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك وقوله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا يعنى السموات السبع فى اتساعها وارتفاعها واحكامها واتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى وجعلنا سراجا وهاجا يعنى الشمس المنيرة على جميع العالم التى يتوهج ضوءها لاهل الارض كلهم وقوله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا قال العوفى عن ابن عباس المعصرات الريح وقال ابن أبى حاتم ثنا أبو سعيد ثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأنزلنا من المعصرات قال الرياح وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة ومقاتل والكلبى وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن انها الرياح ومعنى هذا القول انها تستدر

اى باقون على ماهم عليه من الشباب والطراوة والنضارة لايهرمون ولايتغيرون وقيل المعنى لايموتون وقيل التخليد التحلية أى محلون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى اذا نظرت اليهم ظننتهم لمزيد حسنهم وصفاء ألوانهم ونضارة وجوههم وانبثاثهم فى مجالسهم لؤلؤا مفرقا قال عطاء يريد فى بياض اللون وحسنه واللؤلؤ اذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوما قال أهل المعانى انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم فى الخدمة ولو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم قيل انما شبههم بالمنثور لانهم سراع فى الخدمة بخلاف الحور العين فانه شبههن باللؤلؤ المكنون لانهن لايمتهن بالخدمة عن أبى عمرو قال ان أدنى اهل الجنة منزلا من يسعى عليه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وتلا اذا رأيتهم حسبتهم الخ اخرجه ابن المبارك وهناد وعبد بن حميد والبيهقى فى البعث (واذا رأيت ثم) اى واذا رميت ببصرك هنالك يعنى فى الجنة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولكل من يدخل الجنة وثم ظرف مكان مختص بالبعد والعامل فيه رأيت قال الفراء فى الكلام ما مضمرة اى واذا رأيت ماثم كقوله لقد تقطع بينكم اى ما بينكم قال الزجاج معترضا على الفراء انه لايجوز اسقاط الموصول وترك الصلة ولكن رأيت يتعدى فى المعنى الى ثم والمعنى اذا رأيت ببصرك ثم ويعنى بثم الجنة وقيل ان رأيت ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه أن بصرك أينما وقع فى الجنة (رأيت نعيما) لايوصف والنعيم سائر ما يتنعم به (وملكا كبيرا) لايقادر قدره قال السدى الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم وكذا قال مقاتل والكلبى وقيل واسعا لاغاية له وقيل كون التيجان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك واعظمهم منزلة من ينظر الى وجه ربه كل يوم (عاليهم ثياب سندس) قرأ نافع وحمزة وابن محيصن عاليهم بسكون الياء وكسر الهاء وهى سبعية على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر أو على ان عاليهم مبتدأ وثياب مرتفع بالفاعلية وان لم يعتمد الوصف كما هو مذهب الاخفش وقال الفراء هو مرفوع بالابتداء وخبره ثياب واسم الفاعل مراد به الجمع وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الهاء لتحرك ماقبلها على انه ظرف كأنه قيل فوقهم ثياب قال الفراء ان عاليهم بمعنى فوقهم وكذا قال ابن عطية قال أبو حيان عال وعالية اسم فاعل فيحتاج فى كونهما ظرفين الى أن يكون منقولا من كلام العرب وقد تقدمه الى هذا الزجاج وقال هذا مما لانعرفه فى الظروف ولو كان ظرفا لم

المطر من السحاب وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس من المعصرات أي من السحاب وكذا قال عكرمة أيضا وابو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري واختاره ابن جرير وقال الفراء هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد كما يقال مرأة معصر اذا دنا حيضها ولم تحض وعن الحسن وقتادة من المعصرات يعني السموات وهذا قول غريب والاظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله أي من بينه وقوله جل وعلا ماء ثجاجا قال مجاهد (١٤٤) وقتادة والربيع بن أنس ثجاجا منصبا وقال الثوري متتابعا وقال ابن زيد كثيرا وقال ابن جرير ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثج وانما الثج الصب المتتابع ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الحج العج والثج يعني صب دماء البدن هكذا قال قلت وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنعت لك الكرسف يعني أن تحتشي بالقطن فقالت يارسول الله هو أكثر من ذلك انما أثج ثجا وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير والله أعلم وقوله تعالى لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك حبا يدخر للاناسي والانعام ونباتا أي خضرا يؤكل رطبا وجنات أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة وان كان ذلك في بقعة واحدة من الارض مجتمعا ولهذا قال وجنات ألفافا قال ابن عباس وغيره ألفافا مجتمعة وهذه كقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون

(ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا)

يقول تعالى مخبرا عن يوم الفصل وهو يوم القيامة انه مؤقت بأجل معدود لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين الا الله عز وجل كما قال تعالى وما نؤخره الا لأجل معدود يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا قال مجاهد زمرا زمرا قال ابن جرير

بجر اسكان الياء ولكنه نصب على الحال من شيئين أحدهما الياء والميم في قوله يطوف عليهم أي على الابرار ولدان عاليا الابرار ثياب سندس أي يطوف عليهم في هذه الحال والثاني أن يكون حالا من الولدان أي اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في حال علو الثياب أبدانهم قلت قد وردت ألفاظ من صيغ أسماء الفاعلين ظروفا نحو خارج الدار وداخلها وباطنها وظاهرها فكذلك هذا فلا وجه للانكار وقال أبو علي الفارسي العامل في الحال اما لقاهم نضرة واما جزاهم بما صبروا قال ويجوز أن يكون ظرفا وقرئ عليهم وهي قراءة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة واختار أبو عبيد الاولى لقراءة ابن مسعود عاليتهم وقرأ الجمهور ثياب سندس بالاضافة على معنى من وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة بفكها ورفع سندس و (خضر واستبرق) على ان السندس نعت للثياب لان السندس نوع منها وعلى ان خضر نعت لسندس لانه يكون أخضر وغير أخضر وعلى ان استبرق معطوف على سندس اي وثياب استبرق والجمهور من القراء اختلفوا في خضر واستبرق مع اتفاقهم على جر سندس باضافة ثياب اليه فقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وابن محيصن بجر خضر نعتا لسندس ورفع استبرق عطفا على ثياب أي عليهم ثياب سندس وعليهم استبرق وقرأ أبو عمرو وابن عامر برفع خضر نعتا للثياب وجر استبرق نعتا لسندس واختار هذه القراءة أبو حاتم وأبو عبيد لان الخضر أحسن ما كانت نعتا للثياب فهي مرفوعة والاستبرق من جنس السندس وقرأ نافع وحفص برفع خضر واستبرق لان خضر انعت للثياب واستبرق عطف على الثياب وقرأ الاعمش وحمزة والكسائي بجر خضر واستبرق على ان خضر انعت للسندس واستبرق معطوف على سندس واستشكل على هذه القراءة وكذا على قراءة جر الاول ورفع الثاني وقوع خضر الذي هو جمع نعتا للسندس الذي هو مفرد والجواب ان السندس اسم جنس واحده سندسة ووصف اسم الجنس بالجمع شائع فصيح على حد وينشئ السحاب الثقال وقرؤا كلهم بصرف استبرق الا ابن محيصن فانه قرأ بعدم صرفه قال لانه أعجمي ولا وجه لهذا لانه نكرة الا أن يقول انه علم لهذا الجنس من الثياب والسندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وقد تقدم تفسيرهما في سورة الكهف (وحلوا أساور من فضة) عطف على يطوف عليهم ماض لفظا مستقبل معنى وأبرزه بالماضي لتحققه ذكر سبحانه هنا انهم يحلون باساور الفضة وفي سورة الفاطر يحلون

يعني تأتي كل امة مع رسولها كقوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم وقال البخاري يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا حدثنا محمد حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا اربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفتحت السماء فكانت أبوابا أي طرقا ومسالك لنزول الملائكة وسيرت الجبال فكانت سرابا كقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكقوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال ههنا فكانت سرابا أي يخيل الى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا أي مرصدة معدة للطاغين وهم المردة العصاة المخالفون للرسل مآبا أي مرجعا ومنقلبا ومصيرا ونزلا وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا يعني انه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فان كان معه جواز نجا والا احتبس وقال سفيان الثوري عليها ثلاث قناطر وقوله تعالى لابثين فيها احقابا أي ماكثين فيها أحقابا وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان وقد اختلفوا في مقداره فقال ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد قال قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل قال نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة وهكذا روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وعن الحسن والسدي أيضا سبعون سنة كذلك وعن عبد الله بن عمرو الحقب أربعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون رواهما ابن أبي حاتم وقال بشير بن كعب ذكر لي ان الحقب الواحد ثلثمائة سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها كالف سنة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن عمر بن علي بن أبي

يحلون فيها من أساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولا تعارض بين هذه الآيات لامكان الجمع بان تجعل لهم سوارات من ذهب وفضة ولؤلؤ لتجتمع لهم محاسن الجنة أو بان المراد لهم يلبسون سوارات الذهب تارة وسوارات الفضة تارة وسوارات اللؤلؤ تارة وانه يلبس كل أحد منه ما تميل اليه نفسه من ذلك أو حلي الرجال الفضة وحلي النساء الذهب وقيل اسورة الفضة انما تكون للولدان وأسورة الذهب للنسوان وقيل هذا بحسب الاوقات والاعمال (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) هذا نوع آخر من الشراب الذي يمن الله عليهم به يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقياه الى الله ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله متلذذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين قال الفراء يقول هو طهور ليس بنجس كما كان في الدنيا موصوفا بالنجاسة أي لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل وقيل لا يستحيل بولا وطهور صيغة مبالغة في الطهارة والنظافة والمعنى ان ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا فشتان ما بين الشرابين والآنيتين والمنزلتين قال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد قال أبو قلابة وابراهيم النخعي يؤتون بالطعام فاذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمر بطونهم من ذلك ويفيض عرق من أبدانهم مثل ريح المسك ثم يقال لهم بعد دخولهم في الجنة ومشاهدتهم نعيمها (ان هذا) الذي ذكر من أنواع النعم (كان) في علم الله (لكم جزاء) باعمالكم أي ثوابا لها أعده لكم الى هذا الوقت (وكان سعيكم مشكورا) أي كان عملكم في الدنيا بطاعة الله مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب وشكر الله سبحانه لعمل عبده هو قبوله لطاعته (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أي فرقناه في الانزال ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين قيل المعنى نزلناه عليك ولم تأت به من عندك كما يدعيه المشركون والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرح صدره وان الذي أنزل عليه وحي ليس بكهانة ولا سحر لتزول الوحشة الحاصلة له من قول الكفار انه كهانة أو سحر (فاصبر لحكم ربك) أي لقضائه ومن حكمه وقضائه تأخير نصرك الى أجل اقتضته حكمته قيل هذا منسوخ بآية السيف (ولا تطع منهم

بكر الاسعدى حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى لابثين فيها أحقابا قال فالحقب شهر الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة وهذا حديث منكر جدا والقاسم هو والراوى عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك وقال البزار حدثنا محمد بن مرداس حدثنا سليمان أبو سلم بن العلاء قال سألت سليمان التيمى هل يخرج من النار أحد فقال حدثنى نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما مما تعدون ثم قال سليمان بن مسلم بصرى مشهور وقال السدى لابثين فيها احقابا سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون وقد قال مقاتل بن حيان ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقال خالد بن معدان هذه الآية وقوله تعالى الا ماشاء ربك فى أهل التوحيد رواهما ابن جرير ثم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى لابثين فيها احقابا متعلقا بقوله تعالى لايذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر ثم قال والصحيح انها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس وقد قال قبل ذلك حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقى حدثنا عمرو بن أبى سلمة عن زهير عن سالم سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى لابثين فيها أحقابا قال أما الاحقاب فليس لها عدة الا الخلود فى النار ولكن ذكروا ان الحقب سبعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون وقال سعيد عن قتادة قال الله تعالى لابثين فيها احقابا وهو ما لا انقطاع له وكلما مضى الجاز حقب جاء حقب بعده لايعلم عدة هذه الاحقاب الا الله وذكر لنا ان الحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون رواهما أيضا ابن جرير وقوله تعالى لايذوقون فيها بردا ولا شرابا أى لايجدون فى جهنم بردا لقلوبهم ولا شرابا طيبا يتغذون به ولهذا قال تعالى الا حميما وغساقا قال أبو العالية استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق وكذا قال الربيع بن أنس فاما الحميم فهو الحار الذى قد انتهى حره وحموه والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم

آثما أو كفورا) أى لاتطع كل واحد من مرتكب لاثم وغال فى كفر فنهاه الله سبحانه عن ذلك قال الزجاج ان الالف هنا آكد من الواو وحدها لانك اذا قلت لاتطع زيدا وعمرا فأطاع أحدهما كان غير عاص لانك أمرته ان لايطيع الاثنين فاذا قال منهم آثما أو كفورا دل ذلك على ان كل واحد منهما أهل ان يعصى كما انك اذا قلت لاتخالف الحسن أو ابن سيرين فقد قلت انهما أهل ان يتبعا وكل واحد منهما أهل ان يتبع وقال الفراء أو هنا بمنزلة لا كأنه قال ولا كفورا وقيل المراد بقوله آثما عتبة بن ربيعة وبقوله أو كفورا الوليد بن المغيرة لأنهما قالا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ارجع عن هذا الامر ونحن نرضيك بالمال والتزويج (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) أى دم على ذكره فى جميع الاوقات وقيل المعنى صل لربك أول النهار وآخره فأول النهار صلاة الصبح وآخره صلاة العصر قال البيضاوى دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما وفى الشهاب تناول الاصيل للعصر ظاهر وأما تناوله للظهر فباعتبار آخره اذ الزوال وما يقرب منه لايسمى أصيلا (ومن الليل فاسجد له) أى صل المغرب والعشاء وقيل المراد الصلاة فى بعضه من غير تعيين ومن للتبعيض على كل تقدير والفاء دالة على معنى الشرطية والتقدير مهما يكن من شئ فصل من الليل وهو يفيد أيضا تأكيده الاعتناء التام (وسبحه ليلا طويلا) أى نزهه عما لايليق به فيكون المراد الذكر بالتسبيح سواء كان فى الصلاة أو فى غيرها وقيل المراد التطوع فى الليل قال ابن زيد وغيره ان هذه الآية منسوخة بالصلوات الخمس وقيل الامر للندب وقيل هو مخصوص بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وفيه دليل على عدم ما قاله بعض أهل علم المعانى والبيان ان الجمع بين الحاء والهاء مثلا يخرج الكلمة عن فصاحتها وجعلوا من ذلك قول أبى تمام

كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معى واذا ما لمته لمته وحدى

ويمكن ان يفرق بين ما أنشدوه وبين الآية الكريمة بان التكرار فى البيت هو المخرج له عن الفصاحة بخلاف الآية فانه لاتكرار فيها ذكره السمين (ان هؤلاء) يعنى كفار مكة ومن هو موافق لهم (يحبون) الدار (العاجلة) وهى دار الدنيا (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) أى يتركون ويدعون خلفهم أو بين أيديهم وامامهم يوما شديدا عسيرا وهو يوم القيامة وسمى ثقيلا لما فيه من الشدائد والاهوال ووصفه بالثقل على

ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة ص بما أغنى عن اعادته أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه قال ابن جرير وقيل المراد بقوله لا يذوقون فيها بردا يعني النوم كما قال الكندي

بردت مراشفها علي فصدني ... عنها وعن قبلاتها البرد

يعني بالبرد النعاس والنوم هكذا ذكره ولم يعزه الى أحد وقد رواه ابن أبي حاتم من طريق السدي عن مرة الطيب ونقله عن مجاهد أيضا وحكاه البغوي عن أبي عبيدة والكسائي أيضا وقوله تعالى جزاء وفاقا أي هذا الذي صاروا اليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا قاله مجاهد وقتادة وغير واحد ثم قال تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا أي لم يكونوا يعتقدون ان ثم دارا يجازون فيها ويحاسبون وكذبوا بآياتنا كذابا أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله صلى الله عليهم وسلم فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة وقوله كذابا أي تكذيبا وهو مصدر من غير الفعل قالوا وقد سمع اعرابي يستفتي الفراء على المروة الحلق أحب اليك أو القصار وأنشد بعضهم

لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي ... وعن حوج قصارها من شقائيا

وقوله تعالى وكل شيء أحصيناه كتابا أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزيهم على ذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا أي يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم الا عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج قال قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله ابن عمر قال لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قال فهم في مزيد من العذاب ابدا وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن مصعب الصوري حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قال هلك القوم بمعاصيهم الله عز وجل جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية

(ان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا) يقول تعالى مخبرا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى ان للمتقين مفازا قال ابن عباس والضحاك

المجاز لأنه من صفات الأعيان لا المعاني ومعنى كونهم يذرونه وراءهم انهم لا يستعدون له ولا يعبؤن به فهم كمن ينبذ الشيء وراء ظهره تهاونا به واستخفافا بشأنه وان كانوا في الحقيقة مستقبلين له وهو أمامهم (نحن خلقناهم) أي ابتدأنا خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة الى ان كمل خلقهم ولم يكن لغيرنا في ذلك عمل ولا سعي لا اشتراكا ولا استقلالا (وشددنا أسرهم) الأسر شدة الخلق يقال شد الله أسر فلان اي قوى خلقه قال مجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم شددنا خلقهم قال الحسن شددنا وربطنا أوصالهم بعضا الى بعض بالعروق والعصب قال أبو عبيد يقال فرس شديد الأسر أي الخلق وقال ابن زيد الأسر القوة واشتقاقه من الاسار وهو القد الذي تشد به الاقتاب قال ابن عباس أسرهم خلقهم وقال أبو هريرة هي المفاصل وقيل المراد بالأسر عجب الذنب لأنه لا يتفتت في القبر والأسر بالضم احتباس البول كالحصر في الغائط (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي لو شئنا لأهلكناهم وجئنا بأطوع لله منهم وقيل المعنى مسخناهم الى أسمج صورة وأقبح خلقة (ان هذه تذكرة) يعني ان هذه السورة تذكير وموعظة للخلق لأن في تصفحها تنبيهات للغافلين وفي تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن ألقى سمعه وأحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على ما ألقي اليه سمعه (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أي طريقا يتوصل به اليه وذلك بالايمان والطاعة والمراد الى ثوابه أو الى جنته لأنا بينا الأمور غاية البيان وكشفنا اللبس وأزلنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع من استطراق الطريق غير مشيئة العبد (وما تشاؤن) ان تتخذوا الى الله سبيلا وفيه التفات عن الغيبة في خلقناهم الى الخطاب وقرئ بالياء التحتية لمناسبة قوله خلقناهم وقوله (الا ان يشاء الله) منصوب على الظرفية وأصله الا وقت مشيئة الله فالأمر اليه سبحانه ليس اليكم والخير والشر بيده لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع فمشيئة العبد مجردة لا تأتي بخير ولا تدفع شرا وان كان يثاب على المشيئة الصالحة ويؤجر على قصد الخير كما في حديث انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى قال الزجاج أي لستم تشاؤن الا بمشيئة الله والآية حجة على المعتزلة والقدرية (ان الله كان عليما) أي بليغ العلم بما يكون من الأحوال (حكيما) بليغ الحكمة في أمره ونهيه مصيبا في جميع الأقوال والأحوال (يدخل من يشاء في رحمته) أي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها أو يدخل في جنته من يشاء من

منتزها وقال مجاهد وقتادة فازوا فنجوا من النار والاظهر ههنا قول ابن عباس لانه قال بعده حدائق والحدائق البساتين من النخيل وغيرها وكواعب اترابا أى وحورا كواعب قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد كواعب أى نواهد يعنون ان ثديهن نواهد لم يتدلين لانهن ابكار عرب أتراب أى فى سن واحد كما تقدم بيانه فى سورة الواقعة قال ابن ابى حاتم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدستكى حدثنى أبى عن أبى سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن بقم حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث عن أبى عبد الرحمن القاسم بن أبى القاسم الدمشقى عن أبى امامة انه سمعه يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان قصر أهل الجنة لتبدو من رضوان الله وان السحابة لتمر بهم فتناديهم يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطركم حتى انها لتمطرهم الكواعب الاتراب وقوله تعالى وكأسا دهاقا قال ابن عباس مملوءة متتابعة وقال عكرمة صافية وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد دهاقا الملء المترعة وقال مجاهد وسعيد بن جبير هى المتتابعة وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا كقوله لا لغو فيها ولا تأثيم أى ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا اثم كذب بل هى دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص وقوله جزاء من ربك عطاء حسابا أى هذا الذى ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بفضله ومنه واحسانه ورحمته عطاء حسابا أى كافيا وافيا سالما كثيرا تقول العرب أعطانى فاحسبنى اى كفانى ومنه حسبى الله أى الله كافى (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) يخبر تعالى عن عظمته وجلاله انه رب السموات والارض وما فيهما وما بينهما وانه الرحمن الذى شملت رحمته كل شئ وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا أى لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته الا باذنه كقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وكقوله تعالى يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه وقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون اختلف المفسرون فى المراد بالروح ههنا ما هو على أقوال أحدها رواه العوفى عن ابن عباس انهم ارواح بنى آدم الثانى هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقال قتادة هذا

عباده لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة قال عطاء من صدقت نيته أدخله الله تعالى جنته (والظالمين أعد لهم عذابا أليما) انتصاب الظالمين بفعل مقدر يدل عليه ما قبله أى يعذب الظالمين لان ما قبله منصوب أى يدخل من يشاء فى رحمته و يعذب الظالمين أى المشركين ويكون أعد لهم تفسيرا لهذا المضمر والاختيار النصب وان جاز الرفع وبالنصب قرأ الجمهور وقرأ أبان بن عثمان بالرفع على الابتداء ووجهه انه لم يكن بعده فعل يقع عليه

*(سورة المرسلات هى خمسون آية وهى مكية
فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر)*

قال قتادة الا آية منها وهى قوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فانها مدنية و روى هذا عن ابن عباس أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال بينما نحن مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى غار بمنى اذ نزلت سورة والمرسلات عرفا فانه ليتلوها وانى لأتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها اذ وثبت علينا حية فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها وأخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس ان أم الفضل سمعته وهو يقرأ والمرسلات عرفا فقالت يا بنى لقد ذكرتنى بقراءتك هذه السورة انها آخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بها فى المغرب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا) قال جمهور المفسرين هى الرياح روى عن ابن مسعود قال انه الريح وقيل هى الملائكة وبه قال مقاتل وأبو صالح والكلبى وقال أبو هريرة هى الملائكة أرسلت بالعرف وعن ابن مسعود مثله وقيل هم الانبياء فعلى الاول أقسم سبحانه بالرياح المرسلة لما يأمرها به كما فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح وقوله ويرسل الرياح وغير ذلك وعلى الثانى أقسم سبحانه بالملائكة المرسلة لوحيه وأمره ونهيه وعلى الثالث أقسم برسله المرسلة الى عباده لتبليغ شرائعه وقيل المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نقمة ونعمة وانتصاب عرفا اما على انه مفعول لاجله أى المرسلات لاجل العرف وهو ضد النكر أو على انه حال بمعنى متتابعة يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس تقول العرب سار الناس الى فلان عرفا واحدا اذا توجهوا اليه وهم على فلان كعرف الضبع اذا تألبوا عليه أو على انه

مصدر

مما كان ابن عباس يكتمه الثالث انهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا ببشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والاعمش الرابع هو جبريل قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقال مقاتل بن حيان الروح هو أشرف الملائكة وأقرب الى الرب عز وجل وصاحب الوحي الخامس انه القرآن قاله ابن زيد كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا الآية والسادس انه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات قال علي بن أبي طلحة

عن ابن عباس قوله يوم يقوم الروح قال هو ملك من أعظم الملائكة خلقا وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف العسقلاني حدثنا رواد بن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجيء يوم القيامة صفا وحده وهذا قول غريب جدا وقد قال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله ابن عوس المصري حدثنا وهب الله ابن رزق بن هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الاوزاعي حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والارضين بلقمة واحدة لفعل تسبيحه سبحانك حيث كنت وهذا حديث غريب جدا وفي رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الاقوال كلها والاشبه عندي والله أعلم انهم بنو آدم وقوله تعالى الا من أذن له الرحمن كقوله يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه وكما ثبت في الصحيح ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وقوله تعالى وقال صوابا أي حقا ومن الحق لا اله الا الله كما قاله أبو صالح وعكرمة وقوله تعالى ذلك اليوم الحق أي الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا أي مرجعا وطريقا يهتدي اليه ومنهجا يمر به عليه وقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا يعني يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا لان كل ما هو آت آت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه أي يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها قديمها وحديثها كقوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا وكقوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا أي يود

مصدر كأنه قال والمرسلات أرسالا أي متتابعة أو على انه منصوب بنزع الخافض أي والمرسلات بالعرف قرأ الجمهور عرفا باسكون الراء وقرأ عيسى بن عمر بضمها (فالعاصفات عصفا) وهي الرياح الشديدة الهبوب قال القرطبي بغير اختلاف يقال عصف بالشيء اذا أباده وأهلكه وناقة عصوف أي تعصف براكبها فتمضي كأنها ريح في السرعة ويقال عصفت الحرب بالقوم اذا ذهبت بهم وقيل هي الملائكة الموكلون بالريح يعصفون بها وقيل يعصفون بروح الكافر وقيل هي الآيات المهلكة كالزلازل ونحوها وقال ابن مسعود هي الريح وعن علي قال هي الرياح وبه قال ابن عباس (والناشرات نشرا) يعني الرياح تأتي بالمطر وهي تنشر السحاب نشرا قال ابن مسعود هي الريح أو الملائكة الموكلون بالسحاب ينشرونها أو ينشرون أجنحتهم في الجو عند النزول بالوحي أو هي الامطار لانها تنشر النبات وقال الضحاك يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بني آدم وقال الربيع انه البعث للقيامة بنشر الارواح وجاء بالواو هنا لانه استئناف قسم آخر (فالفارقات فرقا) يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقال مجاهد هي الريح تفرق بين السحاب فتبدده وروى عنه انها آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل وقيل هي الرسل فرقوا بين ما أمر الله به ونهى عنه وبه قال الحسن قال ابن عباس هي الملائكة فرقت بين الحق والباطل (فالملقيات ذكرا) هي الملائكة قال القرطبي باجماع أي تلقي الوحي الى الانبياء وقيل هو جبريل وسمي باسم الجمع تعظيما له وقيل هي الرسل يلقون الى أممهم ما أنزل الله عليهم قاله قطرب قال ابن عباس فالملقيات ذكرا قال بالتنزيل قرأ الجمهور ملقيات بسكون اللام وتخفيف القاف اسم فاعل وقرأ ابن عباس بفتح اللام وتشديد القاف من التلقية وهي ايصال الكلام الى المخاطب أقسم سبحانه بصفات خمسة موصوفها محذوف فجعله بعضهم الرياح في الكل وبعضهم جعله الملائكة في الكل وبعضهم غاير فجعله تارة الرياح وتارة الملائكة وجعل الجلال المحلي الصفات الثلاث الاول لموصوف واحد وهو الرياح وجعل الرابعة لموصوف ثان وهو الآيات وجعل الخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة ولم يسلك هذه الطريق غيره من المفسرين وعبارة النهر ولما كان للمقسم به موصوفات قد حذفت وأقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تلك الموصوفات والذي يظهر أن المقسم به شيا آن ولذلك

الكافر يومئذ انه كان في الدار الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج الى الوجود وذلك حين عاين عذاب الله ونظر الى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة وقيل انما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور حتى انه ليقتص للشاة الجماء من القرناء فاذا فرغ من الحكم بينها قال لها كوني ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا أي كنت حيوانا فأرجع الى التراب وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما آخر تفسير سورة النبا ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة النازعات وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة)

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدي النازعات غرقا الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بني آدم فنهم من تؤخذ روحه بعسر فيغرق من نزعها ومنهم من تؤخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط وهو قوله والناشطات نشطا قاله ابن عباس وعن ابن عباس والنازعات هي أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد والنازعات غرقا الموت وقال الحسن وقتادة والنازعات غرقا والناشطات نشطا هي النجوم وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى والنازعات والناشطات هي القسي في القتال والصحيح الاول وعليه الاكثرون وأما قوله تعالى والسابحات سبحا فقال ابن مسعود هي الملائكة وروي عن علي ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك وعن مجاهد والسابحات سبحا الموت وقال قتادة هي النجوم وقال عطاء بن أبي رباح هي السفن وقوله تعالى فالسابقات سبقا روي عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصري يعني الملائكة قال الحسن سبقت الى الايمان والتصديق به وعن مجاهد الموت وقال قتادة هي النجوم وقال عطاء هي الخيل في سبيل الله وقوله تعالى فالمدبرات أمرا قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي هي

جاء العطف بالواو وفي والناشرات والعطف بالواو يشعر بالتغاير وأما العطف بالفاء اذا كان في الصفات فيدل على انها راجعة لموصوف واحد واذا تقرر هذا فالظاهر أنه أقسم أولا بالرياح ويدل عليه عطف الصفة بالفاء والقسم الثاني فيه ترق الى أشرف من المقسم به الاول وهم الملائكة ويكون قوله فالفارقات فالملقيات من صفاتهم والقاؤهم للذكر وهو ما أنزل الله تعالى صحيح اسناده اليهم وما ذكر من اختلاف المفسرين في المراد بهذه الاوصاف ينبغي أن يحمل على التمثيل لا على التعيين والراجح ان الاوصاف الثلاثة الاول للرياح والرابع والخامس للملائكة وهو الذي اختاره الزجاج والقاضي وغيرهما (عذرا أو نذرا) انتصابهما على البدل من ذكرا أو على المفعولية والعامل فيهما المصدر المنون كما في قوله تعالى أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما أو على المفعول لاجله أي للاعذار والانذار أو على الحال بالتأويل المعروف أي معذرين أو منذرين قرأ الجمهور باسكان الذال فيهما وقرئ بضمهما وبسكونها في عذرا وضمها في نذرا وقرأ الجمهور عذرا أو نذرا على العطف بأو وقرئ بالواو والمعنى ان الملائكة تلقي الوحي اعذارا من الله الى خلقه وانذارا من عذابه كذا قال الفراء وقيل عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين قال أبو علي الفارسي يجوز أن يكون العذر والنذر بالتثقيل جمع عاذر وناذر كقوله هذا نذير من النذر الاولى فيكون نصبا على الحال من الالقاء أي يلقون الذكر في حال العذر والانذار قال المبرد هما بالتثقيل جمع والواحد عذير ونذير وقيل الاعذار محو الاساءة والانذار التخويف والاول أظهر ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال (انما توعدون لواقع) أي ان الذي توعدونه من مجيء الساعة والبعث كائن لا محالة ما اسم الموصول والقاعدة انها اذا كانت كذلك ترسم مفصولة من ان ورسمت هنا موصولة بها اتباعا لرسم المصحف الامام ثم بين سبحانه متى يقع ذلك فقال (فاذا النجوم طمست) أي محي نورها وذهب ضوؤها يقال طمس الشيء اذا درس وذهب أثره (واذا السماء فرجت) أي فتحت وشقت ومثله قوله وفتحت السماء فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) أي قلعت من مكانها بسرعة يقال نسفت الشيء وأنسفته اذا أخذته بسرعة وقال الكلبي سويت بالارض والعرب تقول نسفت الناقة الكلأ اذا رعته وقيل جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ومنه قوله وبست الجبال بسا والاول أولى قال المبرد نسفت قلعت من مواضعها (واذا الرسل أقتت) الهمزة بدل من الواو

الملائكة زاد الحسن تدبر الامر من السماء الى الارض يعنى بأمر ربها عز وجل ولم يختلفوا فى هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد فى شئ من ذلك الا انه حكى فى المدبرات أمرا انها الملائكة ولا أثبت ولا نفى وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قال ابن عباس هما النفختان الاولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد وعن مجاهد أما الاولى وهى قوله جل وعلا يوم ترجف الراجفة فكقوله جلت عظمته يوم ترجف الارض والجبال والثانية وهى الرادفة فهى كقوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال رجل يا رسول الله أرأيت ان جعلت صلاتى كلها عليك قال اذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك وقد روى الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سفيان الثورى باسناده مثله ولفظ الترمذى وابن أبى حاتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وقوله تعالى قلوب يومئذ واجفة قال ابن عباس يعنى خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة ابصارها خاشعة أى أبصار أصحابها وانما اضيف اليها للملابسة أى ذليلة حقيرة مما عاينت من الاهوال وقوله تعالى يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة يعنى مشركى قريش ومن قال بقولهم فى انكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير الى الحافرة وهى القبور قاله مجاهد وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا أئذا كنا عظاما نخرة وقرئ ناخرة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة أى بالية قال ابن عباس وهو العظم اذا بلى ودخلت الريح فيه قالوا تلك اذا كرة خاسرة وعن ابن عباس ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبى مالك والسدى وقتادة الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد الحافرة النار وما أكثر أسمائها هى النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة وأما قولهم تلك اذا كرة خاسرة فقال محمد بن كعب قالت قريش لئن أحيانا الله بعد ان نموت لنخسرن قال الله تعالى فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة أى فانما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد فاذا الناس قيام ينظرون

المضمومة وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة يجوز ابدالها بالهمزة وقد قرئ بالواو والوقت الاجل الذى يكون عنده الشئ المؤخر اليه والمعنى جعل لها وقت للفصل والقضاء بينهم وبين الامم كما فى قوله سبحانه يوم يجمع الله الرسل وقيل هذا فى الدنيا أى جمعت الرسل لميقاتها الذى ضرب لها فى انزال العذاب بمن كذبها والاول أولى قال أبو على الفارسى أى جعل يوم الدين والفصل لها وقتا وقيل أقتت ارسلت لاوقات معلومة على ما علم الله به (لاى يوم أجلت) هذا الاستفهام للتعظيم والتعجب أى لاى يوم عظيم تعجب العباد منه لشدته ومزيد أهواله ضرب لهم الاجل لجمعهم والجملة مقول قول مقدر هو جواب لاذا أو فى محل نصب على الحال من الضمير فى أقتت قال الزجاج المراد بهذا التأقيت تبيين الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم ثم بين هذا اليوم فقال (ليوم الفصل) قال قتادة يفصل فيه بين الناس بأعمالهم الى الجنة والنار ثم أتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال (وما أدراك ما يوم الفصل) أى وما أعلمك بيوم الفصل يعنى انه أمر بديع هائل لا يقادر قدره وما مبتدأ وأدراك خبره أو العكس كما اختاره سيبويه ثم ذكر حال الذين كذبوا بذلك اليوم فقال (ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل لهم فى ذلك اليوم الهائل قال الزمخشرى ويل أصله مصدر ساد مسد فعله لكنه عدل به الى الرفع للدلالة على الثبات قلت سوغ الابتداء به كونه دعاء لا ماذكره الزمخشرى ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به والويل الهلاك أو هو اسم واد فى جهنم قال ابن مسعود يسيل فيه صديد أهل النار فجعل للمكذبين وكررت هذه الآية فى هذه السورة عشر مرات لانه قسم الويل بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل مكذب بشئ عذابا سوى تكذيبه بشئ آخر ورب شئ كذب به هو أعظم جرما من التكذيب بغيره فيقسم له من الويل على قدر ذلك التكذيب وقال الكرخى التكرار فى مقام الترغيب والترهيب مستحسن لا سيما اذا تغيرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا ثم ذكر سبحانه ما فعل بالكفار من الامم الخالية فقال (ألم نهلك الاولين) أخبر سبحانه باهلاك الكفار من الامم الماضية من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم كقوم نوح وعاد وثمود قال مقاتل يعنى بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم والاستفهام انكارى وهو داخل على نفى ونفى النفى اثبات ويعبر عنه بالاستفهام التقريرى والمراد به طلب الاقرار بما بعد النفى (ثم نتبعهم الآخرين) يعنى كفار مكة ومن وافقهم

وشرؤن بأمر تعالى اسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فاذا الاولون والآخرون قيام بين يدي الرب عزوجل ينظرون كما قال
تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الاقليلا وقال تعالى وما أمرنا الاواحدة الا كلمح بالبصر وقال تعالى وما
أمر الساعة الا كلمح البصر أوهو أقرب قال مجاهد فانما هي زجرة واحدة صيحة واحدة وقال ابراهيم التيمي أشد ما يكون
الرب عزوجل غضبا على خلقه يوم يبعثهم وقال الحسن البصري زجرة من الغضب وقال أبو مالك والربيع بن أنس زجرة واحدة
هي النفخة الآخرة وقوله تعالى فاذا هم

بالساهرة قال ابن عباس الساهرة الارض كلها وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد الساهرة وجه الارض وقال مجاهد كانوا بأسفلها فأخرجوا الى أعلاها قال والساهرة المكان المستوى وقال الثوري الساهرة أرض الشام وقال عثمان ابن أبي العالية الساهرة أرض بيت المقدس وقال وهب بن منبه الساهرة جبل الى جانب بيت المقدس وقال قتادة أيضا الساهرة جهنم وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح انها الارض وجهها الاعلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا حرز بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السري حدثنا مصعب بن ثابت عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي فاذاهم بالساهرة قال أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقي وقال الربيع بن أنس فاذاهم بالساهرة يقول الله عزوجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ويقول تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا
وقال تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وبرزت الارض التي عليها الجبال وهي لا تعد من هذه الارض وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم وقال
(هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى وأهديك الى ربك فتخشى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الاعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى) يخبر تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم عن عبده ورسوله موسى عليه السلام انه ابتعثه الى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز

حين كذبوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم قرأ الجمهور نتبعهم بالرفع على الاستئناف أي
ثم نحن نتبعهم كذا قدره أبو البقاء وقال ليس بمعطوف لان العطف يوجب أن يكون
المعنى أهلكنا الاولين ثم أتبعناهم الآخرين في الهلاك وليس كذلك لان اهلاك الآخرين
لم يقع بعد ويدل على الرفع قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم الآخرين بسين التنفيس وقرئ
بالجزم عطفا على نهلك قال شهاب الدين على جعل الفعل معطوفا على مجموع الجملة من
قوله ألم نهلك والمراد بالآخرين حينئذ قوم شعيب ولوط وموسى وبالاولين قوم نوح
وعاد وثمود (كذلك نفعل بالمجرمين) أي مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بهم يريد من
يهلكه فيما بعد والكاف في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الاهلاك
نفعل بكل مشرك امافي الدنيا أوفي الآخرة (ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل يوم ذلك
الاهلاك للمكذبين بكتب الله ورسله قيل والويل الاول لعذاب الآخرة وهذا العذاب
الدنيا والتكرير للتوكيد شائع في كلام العرب (ألم نخلقكم من ماء مهين) أي ضعيف
حقير قذر منتن ذليل وهو النطفة قال ابن عباس مهين ضعيف هذا نوع آخر من تخويف
الكفار ونظيره قوله سبحانه ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (فجعلناه في قرار مكين)
أي مكان حريز وهو الرحم يحفظ فيه المني من الآفات المفسدة له كالهواء (الى قدر
معلوم) أي الى مقدار قدره الله تعالى للولادة وهو مدة الحمل وهو تسعة أشهر أو مافوقها
أو مادونها وقيل الى أن يصور (فقدرنا) قرأ الجمهور بالتخفيف من القدرة ويدل عليه فنعم
القادرون وقرئ بالتشديد من التقدير وهو موافق لقوله من نطفة خلقه فقدره قال
الكسائي والفراء وهما لغتان بمعنى قدرت كذا وقدرته (فنعم القادرون) أي نعم المقدرون
نحن قيل المعنى قدرناه قصيرا أو طويلا وقيل قدرنا أي ملكنا (ويل يومئذ للمكذبين)
بقدرتنا على ذلك أو على الاعادة وبنعمة الفطرة ثم بين لهم بديع صنعه وعظيم قدرته
ليعتبروا فقال (ألم نجعل الارض كفاتا) معنى الكفت في اللغة الضم والجمع يقال كفت
الشيء اذا ضمه وجمعه ومن هذا يقال للجراب والقدر كفت والكفات بالكسر الموضع
الذي يكفت فيه شيء أي يضم ذكره المختار والقاموس وقال المحلي مصدر كفت وفيه نظر
لان كفت من باب ضرب فالحق انه اسم مكان وقيل جمع كافت كصيام وقيام وقيل مصدر
كالكتاب والحساب وقال الاخفش كفاتا جمع كافتة والارض يراد بها الجمع فنعتت بالجمع

مقتدر وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ولهذا قال في آخر القصة ان في ذلك لعبرة لمن يخشى فقوله تعالى هل أتاك حديث موسى أي هل سمعت بخبره اذ ناداه ربه أي كلمه نداء بالواد المقدس أي المطهر طوى وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له اذهب الى فرعون انه طغى أي تجبر وتمرد وعتى فقل هل لك الى ان تزكى أي قل له هل لك ان تجيب الى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع وأهديك الى ربك أي أدلك على عبادة ربك فتخشى أي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير فأراه الآية الكبرى يعني فاظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ما جاء به من عند الله فكذب وعصى أي فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة وحاصله انه كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بان ما جاء به انه حق لا يلزم منه انه مؤمن به لان المعرفة علم القلب والايمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له وقوله تعالى ثم أدبر يسعى أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات فحشر فنادى أي في قومه فقال أنا ربكم الاعلى قال ابن عباس ومجاهد وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من اله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا ويوم القيامة بئس الرفد المرفود كما قال تعالى وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون هذا هو الصحيح في معنى الآية ان المراد بقوله نكال الآخرة والاولى أي الدنيا والآخرة وقيل المراد بذلك كلمتيه الاولى والثانية وقيل كفره وعصيانه والصحيح الذي لا شك فيه الاول وقوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى أي لمن يتعظ وينزجر (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم) يقول تعالى محتجا على منكري البعث في اعادة الخلق بعد بدئه أأنتم أيها الناس أشد خلقا أم السماء يعني بل السماء أشد خلقا منكم كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقال تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم

وقال الخليل التكفت تقليب الشيء ظهرا لبطن أو بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الى منازلهم أي ذهبوا والمعنى ألم نجعل الارض ضامة للاحياء على ظهرها والاموات في بطنها تضمهم وتجمعهم قال الفراء يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا في بطنها أي تحوزهم وهو معنى قوله (أحياء وأمواتا) والتنكير فيهما للتفخيم أي تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون وقال أبو عبيدة كفاتا أوعية وقيل معنى جعلها كفاتا انه يدفن فيها ما يخرج من الانسان من الفضلات وقال ابن عباس كفاتا كنا وقال الاخفش وأبو عبيدة الاحياء والاموات وصفان للارض أي الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت قال الفراء انتصاب أحياء وأمواتا لوقوع الكفات عليه أي ألم نجعل الارض كفات أحياء وأموات فاذا نون نصب ما بعده وقيل نصبا على الحال من الارض أي منها كذا ومنها كذا وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة (وجعلنا فيها رواسي شامخات) أي جبالا مرتفعات طوالا والرواسي الثوابت والشامخات الطوال وكل عال فهو شامخ وقال ابن عباس جبالا مشرفات وقيل ثوابت عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) أي عذبا قاله ابن عباس والفرات الماء العذب يشرب منه ويسقى به قال مقاتل وهذا كله اعجب من البعث روى ان في الارض من الجنة سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة (ويل يومئذ للمكذبين) بما أنعمنا عليهم من نعمنا التي هذه من جملتها (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) في الدنيا يقول لهم ذلك خزنة جهنم توبيخا وتقريعا أي سيروا اليه من العذاب وهو عذاب النار (انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب) أي الى ظل من دخان جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق يكونون فيه حتى يفرغ من الحساب وهذا شأن الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب شعبا قرأ الجمهور انطلقوا في الموضعين على صيغة الامر على التأكيد وقرئ بصيغة الماضي في الثاني أي لما أمروا بالانطلاق امتثلوا ذلك فانطلقوا وقيل المراد بالظل هنا هو السرادق وهو لسان من النار تحيط بهم ثم تتشعب ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم ثم يصيرون الى النار وقيل هو الظل من يحموم كما في قوله في سموم وحميم وظل من يحموم على ما تقدم وقيل ان الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين لانها أوصاف النار ثم وصف سبحانه هذا الظل تهكما بهم فقال (لا ظليل) كنين يظلهم

زروعها وأشجارها وعمارها وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون اليه من الانعام التى يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم اليها فى هذه الدار الى ان ينتهى الامد وينقضى الاجل (فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ماسعى وبرزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها انما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) يقول تعالى فاذا جاءت (١٥٥) الطامة الكبرى وهو يوم القيامة قاله ابن عباس سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع كما قال تعالى والساعة أدهى وأمر يوم يتذكر الانسان ماسعى أى حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى وبرزت الجحيم لمن يرى أى أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا فأما من طغى أى تمرد وعتى وآثر الحياة الدنيا أى قدمها على أمر دينه وأخراه فان الجحيم هى المأوى أى فان مصيره الى الجحيم وان مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى أى خاف القيام بين يدى الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردها الى طاعة مولاها فان الجنة هى المأوى أى منقلبه ومصيره ومرجعه الى الجنة الفيحاء ثم قال تعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها أى ليس علمها اليك ولا الى أحد من الخلق بل مردها ومرجعها الى الله عز وجل فهو الذى يعلم وقتها على التعيين ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله وقال ههنا الى ربك منتهاها ولهذا لما سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل وقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها أى انما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه فمن خشى الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفلح وأنجح والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك وقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها أى اذا قاموا من قبورهم الى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية

لمن قال بهذا وقد قال تعالى جمالات صفر وأجيب بأن وجهه ان النار خلقت من النور فهى مضيئة فلما خلق الله جهنم وهى موضع النار حشى ذلك الموضع بتلك النار وبعث اليها سلطانه وغضبه فاسودت من سلطانه وازدادت سوادا وصارت أشد سوادا من كل شئ فيكون شررها أسود لأنه من نار سوداء قلت هذا الجواب البارد لا يدفع ما قاله القائل لأن كلامه باعتبار ما وقع فى الكتاب العزيز هنا من وصفها بكونها اصفرا فلو كان الامر كما ذكره المجيب من اسوداد النار واسوداد شررها لقال الله تعالى كأنه جمالات سود ولكن اذا كانت العرب تسمى الاسود أصفر لم يبق اشكال لأن القرآن نزل بلغتهم وقد نقل الثقات عنهم ذلك ويدل عليه الحديث فى صفة جهنم وفى آخره فهى سوداء مظلمة فكان ما فى القرآن هنا واردا على هذا الاستعمال العربى (ويل يومئذ للمكذبين) لرسل الله وآياته (هذا يوم لا ينطقون) أى لا يتكلمون قرأ الجمهور برفع يوم على أنه خبر لاسم الاشارة وقرأ زيد بن على والاعرج والاعمش وغيرهم بالفتح على البناء لاضافته الى الفعل ومحله الرفع على الخبرية وقيل هو منصوب على الظرفية قال الواحدى قال المفسرون فى يوم القيامة مواقف ففى بعضها يتكلمون وفى بعضها يختم على أفواههم فلا يتكلمون وقد قدمنا الجمع بهذا فى غير موضع وقيل ان هذا اشارة الى وقت دخولهم النار وهم عند ذلك لا ينطقون لان مواقف السؤال والحساب قد انقضت وقال الحسن لا ينطقون بحجة وان كانوا ينطقون والاشارة بهذا الى ما تقدم من الوعيد كأنه قيل هذا العقاب المذكور كائن يوم لا ينطقون وعن عكرمة قال سأل نافع بن الازرق ابن عباس عن قوله هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع لهم الا همسا وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وهاؤم اقرؤا كتابيه فقال له ويحك هل سألت عن هذا أحدا قبلى قال لا قال أما انك لو كنت سألت هلكت أليس قال الله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال بلى قال فان لكل مقدار يوم من هذه الايام لونا من الالوان (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) قرأ الجمهور يؤذن على البناء للمفعول وقرأ زيد بن على لا يأذن على البناء للفاعل أى لا يأذن الله لهم أى لا يكون لهم اذن من الله فيكون لهم اعتذار من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب قال الفراء الفاء فى فيعتذرون نسق على يؤذن وأجيز ذلك لأن أواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب

أوضحاها أما عشية فما بين الظهر الى غروب الشمس أو ضحاها ما بين طلوع الشمس الى نصف النهار وقال قتادة وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة آخر تفسير سورة النازعات ولله الحمد والمنة *(تفسير سورة عبس وهي مكية)*

(بسم الله الرحمن الرحيم) (عبس وتولى ان جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك الا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) ذكر غير (١٥٦) واحد من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في اسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه اذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ ويلح عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه أو يذكر فتنفعه الذكرى أي يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم أما من استغنى فأنت له تصدى أي أما الغني فأنت تتعرض له لعله يهتدي وما عليك الا يزكى أي ما أنت بمطالب به اذا لم يحصل له زكاة وأما من جاءك يسعى أي يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له فأنت عنه تلهى أي تتشاغل ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان لا يخص بالانذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة قال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن مهدي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى عبس وتولى جاء ابن أم مكتوم الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأنزل الله عز وجل عبس وتولى ان جاءه الاعمى فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه قال قتادة وأخبرني أنس بن مالك قال رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعني ابن أم مكتوم وقال أبو يعلى وابن جرير حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي حدثني أبي قال هذا

والكل صواب (ويل يومئذ للمكذبين) بما دعتهم اليه الرسل وأنذرتهم عاقبته (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين) أي ويقال لهم هذا يوم الفصل الذي يفصل فيه بين الخلائق ويتميز فيه الحق من الباطل والخطاب في جمعناكم للكفار في زمن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بالاولين كفار الامم الماضية (فان كان لكم كيد) أي ان قدرتم على حيلة في دفع العذاب عنكم الآن (فكيدون) أي فافعلوها وهذا تقريع لهم وتهكم وتوبيخ قال مقاتل يقول ان كان لكم حيلة فاحتالوا لانفسكم وقيل المعنى فان قدرتم على حرب فحاربون وقيل ان هذا من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيكون كقول هود فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث لانه قد ظهر لهم عجزهم وبطلان ما كانوا عليه في الدنيا ثم لما ذكر سبحانه في سورة الدهر أحوال الكفار في الآخرة على سبيل الاختصار وأطنب في أحوال المؤمنين فيها ذكر في هذه السورة أحوال الكفار على سبيل الاطناب وأحوال المؤمنين على سبيل الايجاز فوقع بذلك التعادل بين السورتين فقال (ان المتقين في ظلال وعيون) أي في ظلال الاشجار وظلال القصور لا كالظل الذي للكفار من الدخان ومن النار كما تقدم قال المحلي أي تكاثف أشجار وعبارة الكازروني أي تحت أشجار قرأ الجمهور في ظلال وقرئ في ظلل جمع ظلة قال مقاتل والكلبي المراد بالمتقين الذين يتقون الشرك بالله لان السورة من أولها الى آخرها في تقريع الكفار على كفرهم قال الرازي فيجب أن تكون هذه الآية مذكورة لهذا الغرض والا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها وانما يتم النظم بأن يكون هذا الوعد حاصلا للمؤمنين بسبب ايمانهم لانه لما تقدم وعيد الكافر بسبب كفره وجب أن يقرن ذلك بوعد المؤمن بسبب ايمانه حتى يصير ذلك سببا في الزجر عن الكفر فأما أن يقرن به وعد المؤمن بسبب طاعته فلا يليق بالنظر كذا قال والمراد بالعيون الانهار أي نابعة من ماء وعسل ولبن وخمر كما قال تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الخ (وفواكه مما يشتهون) المراد بالفواكه ما يتفكه به مما تطلبه أنفسهم وتستدعيه شهواتهم فمتى اشتهوا فاكهة وجدوها حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما في أنواع فاكهة الدنيا (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك والقائل لهم الملائكة اكراما لهم أو يقال لهم من قبل الله فالجملة مقدرة بالقول والباء للسببية أي بسبب

ما

ماعرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم الاعمى أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أرشدنى قالت وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين قالت فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا ففى هذا أنزلت عبس وتولى وقد روى الترمذى هذا الحديث عن سعيد ابن يحيى الاموى باسناده مثله ثم قال وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة قلت كذلك هو فى الموطا ثم روى ابن جرير وابن أبى حاتم أيضا من طريق العوفى عن ابن عباس قوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل ابن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم ان يؤمنوا فاقبل اليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم يمشى وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرئ النبى صلى الله عليه وسلم آية من القرآن وقال يارسول الله علمنى مما علمك الله فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبس فى وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نجواه وأخذ ينقلب الى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى فلما نزل فيه مانزل أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحاجتك هل تريد من شئ واذا ذهب من عنده قال هل لك حاجة فى شئ وذلك لما أنزل الله تعالى أما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى فيه غرابة ونكارة وقد تكلم فى اسناده وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثنى يونس عن ابن شهاب قال قال سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم وهو الاعمى الذى أنزل الله تعالى فيه عبس وتولى أن جاءه الاعمى وكان يؤذن مع بلال قال سالم وكان رجلا ضرير البصر فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون الى بزوغ الفجر أذن وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف انها نزلت فى

ما كنتم تعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة (انا كذلك) أى مثل ذلك الجزاء العظيم (نجزى المحسنين) فى أعمالهم وعقائدهم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث صاروا فى شقاء عظيم وصار المؤمنون فى نعيم مقيم (كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار أى الويل ثابت لهم فى حال مايقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا أو يقال لهم هذا فى الدنيا وانما قال (قليلا) لان متاع الدنيا وزمانه قليل لانه زائل مع قصر مدته فى مقابلة مدة الآخرة وذلك الى منتهى آجالهم قال بعض العلماء التمتع بالدنيا من أفعال الكافرين والسعى لها من أفعال الظالمين والاطمئنان اليها من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والاخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين والاعراض عنها من أفعال الزاهدين وأهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها (انكم مجرمون) أى المشركون بالله وهذا وان كان فى اللفظ أمرا فهو فى المعنى تهديد وزجر عظيم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (واذا قيل لهم) أى لهؤلاء المجرمين من أى قائل كان (اركعوا لا يركعون) أى واذا أمروا بالصلاة لا يصلون قال مقاتل نزلت فى ثقيف امتنعوا من الصلاة بعد ان أمرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بها فقالوا لا ننحنى فانها مسبة علينا فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لاخير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل انما يقال لهم ذلك فى الآخرة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون من أجل انهم لم يكونوا يسجدون فى الدنيا لله سبحانه قاله ابن عباس وفى هذه الآية دليل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وسميت الصلاة باسم جزئها وهو الركوع وخص هذا الجزء لانه يقال على الخضوع والطاعة ولانه خاص بصلاة المسلمين (ويل يومئذ للمكذبين) باوامر الله سبحانه ونواهيه (فبأى حديث بعده) أى بعد القرآن (يؤمنون) أى يصدقون اذا لم يؤمنوا به مع انه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية قرأ الجمهور يؤمنون بالتحتية على الغيبة وقرأ ابن عامر فى رواية عنه ويعقوب بالفوقية على الخطاب

(سورة عم كذا فى الخازن والخطيب وتسمى سورة التساؤل وسورة النبا وهى أربعون آية وقيل احدى وأربعون آية وهى مكية عند الجميع)

ابن أم مكتوم والمشهور ان اسمه عبد الله ويقال عمرو والله أعلم (وقوله تعالى كلا انها تذكرة) أي هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في ابلاغ العلم من شريفهم ووضيعهم وقال قتادة والسدي كلا انها تذكرة يعني القرآن فمن شاء ذكره أي فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره ويحتمل عود الضمير الى الوحي لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة أي هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة أي معظمة موقرة مرفوعة أي عالية القدر مطهرة أي من الدنس والزيادة والنقص وقوله تعالى بأيدي (١٥٨) سفرة قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد هي الملائكة وقال وهب ابن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هم القراء وقال ابن جريج عن ابن عباس السفرة بالنبطية القراء وقال ابن جرير والصحيح ان السفرة الملائكة والسفرة يعني بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال السفير الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير كما قال الشاعر

وما أدع السفارة بين قومي ... وما أمشي بغش ان مشيت

وقال البخاري سفرة الملائكة سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة اذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم وقوله تعالى كرام بررة أي خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وافعالهم بارة طاهرة كاملة ومن ههنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا هشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد عن هشام عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران اخرجه الجماعة من طريق قتادة به

وقال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم يتساءلون) أصله عن ما فأدغمت النون في الميم لان الميم تشاركها في الغنة كذا قال الزجاج وحذفت الالف ليتميز الخبر عن الاستفهام وكذلك فيم وبم ونحو ذلك والمعنى عن أي شيء يسأل بعضهم بعضا قرأ الجمهور عم بحذف الالف لما ذكرنا وقرئ باثباتها ولكنه قليل لا يجوز الا للضرورة وقرئ بهاء السكت عوضا عن الالف قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى تفخيم القصة كما تقول أي شيء تريد اذا عظمت شأنه قال الشهاب وهذا الاستفهام لا يمكن حمله على حقيقته لان المطلوب به لابد أن يكون مجهولا عند الطالب فلذا جعل مجازا عن الفخامة لانه ورد على طريق مخاطبات العرب فالاستفهام بالنسبة الى الناس وقال في النهر هذا الاستفهام فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب قال الواحدي قال المفسرون لما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبرهم بتوحيد الله والبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم يقولون ماذا جاء به محمد وما الذي أتى به فانزل الله عم يتساءلون قال الفراء التساؤل هو أن يسأل بعضهم بعضا كالتقابل وقد يستعمل أيضا في ان يتحدثوا به وان لم يكن بينهم سؤال قال تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون الآية وهذا يدل على انه التحدث ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما ذكر في قوله فبأي حديث بعده أي بعد هذا الحديث وهو القرآن وكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه فقال عم يتساءلون ثم ذكر سبحانه تساؤلهم عماذا وبينه فقال (عن النبا العظيم) أورده سبحانه أولا على طريقة الاستفهام مبهما لتتوجه اليه أذهانهم وتلتفت اليه أفهامهم ثم بينه بما يفيد تعظيمه وتفخيمه كأنه قيل عن أي شيء يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبا العظيم على منهاج قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وانما كان ذلك النبأ أي القرآن عظيما لانه ينبئ عن التوحيد وتصديق الرسول ووقوع البعث والنشور قال الضحاك يعني نبأ يوم القيامة وكذا قال قتادة وقد استدل على ان النبأ هو القرآن بقوله الآتي الذي هم فيه مختلفون فانهم اختلفوا في القرآن فجعله بعضهم سحرا وبعضهم شعرا وبعضهم كهانة وبعضهم قال هو أساطير الاولين وأما البعث فقد اتفق الكفار اذ ذاك على انكاره ويمكن أن يقال انه قد وقع الاختلاف في البعث في الجملة فصدق به

(قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم) يقول تعالى ذاما لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم قتل الانسان ما أكفره المؤمنون قال الضحاك عن ابن عباس قتل الانسان لعن الانسان وكذا قال ابو مالك وهذا لجنس الانسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم قال ابن جريج ما أكفره أي ما أشد كفره وقال ابن جرير ويحتمل ان يكون المراد أي شيء جعله

كافراً أي ما حمله على التكذيب بالمعاد وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي وقال قتادة ما أكفره ما ألعنه ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير وانه قادر على اعادته كما بدأه فقال تعالى من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره أي قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد ثم السبيل يسره قال العوفي عن ابن عباس ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقتادة والسدي واختاره ابن جرير وقال مجاهد هذه كقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا أي بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه وهكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الارجح والله أعلم (١٥٩) وقوله تعالى ثم أماته فأقبره أي انه بعد خلقه له أماته فاقبره أي جعله ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل اذا وليت ذلك منه وأقبره الله وعضبت قرن الثور وأعضبه الله وبترت ذنب البعير وأبتره الله وطردت عني فلانا وأطرده الله أي جعله طريدا قال الاعشى

لو أسندت ميتا الى صدرها
عاش ولم ينقل الى قابر

وقوله تعالى ثم اذا شاء أنشره أي بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أصبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحرث ان دراجا أبا السمح أخبره عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يأكل التراب كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه تنشؤن وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بدون هذه الزيادة ولفظه كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقوله تعالى كلا لما يقض ما أمره قال ابن جرير يقول جل ثناؤه كلا ليس الأمر كما يقول هذا الانسان الكافر من انه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله لما يقض ما امره يقول لم يؤد ما فرض عليه عز وجل من الفرائض لربه عز وجل ثم روى هو وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تعالى كلا لما يقض ما امره قال لا يقضي احد أبدا كل ما افترض عليه وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو من هذا ولم اجد للمتقدمين فيه كلاما سوى هذا والذي يقع لي في معنى ذلك والله اعلم ان المعنى ثم اذا شاء أنشره أي بعثه كلا لما يقض ما امره أي لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة

المؤمنون وكذب به الكافرون فقد وقع الخلاف فيه من هذه الحيثية وان لم يقع الاختلاف فيه بين الكفار أنفسهم على التسليم والتنزل ومما يدل على انه القرآن قوله سبحانه قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ومما يدل على انه البعث انه أكثر ما كان يستنكره المشركون وتأباه عقولهم السخيفة وأيضا فطوائف الكفار قد وقع الاختلاف بينهم في البعث فأثبتت النصارى المعاد الروحاني وأثبتت طائفة من اليهود المعاد الجسماني وفي التوراة التصريح بلفظ الجنة باللغة العبرانية بلفظ جنعيذ بالجيم مفتوحة ثم نون ساكنة ثم عين مهملة مكسورة ثم تحتية ساكنة ثم ذال معجمة بعدها ألف وفي الانجيل في مواضع كثيرة التصريح بالمعاد وانه يكون فيه النعيم للمطيعين والعذاب للعاصين وقد كان بعض طوائف كفار العرب ينكر المعاد كما حكى الله عنه بقوله ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وكانت طائفة منهم غير جازمة بنفيه بل شاكة فيه كما حكى الله عنهم بقوله ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وما حكاه الله عنهم بقوله وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فقد حصل الاختلاف بين طوائف الكفر على هذه الصفة وقد قيل ان الضمير في قوله يتساءلون يرجع الى المؤمنين والكفار لانهم جميعا كانوا يتساءلون عنه فاما المسلم فيزداد يقينا واستعدادا وبصيرة في دينه وأما الكافر فاستهزاء وسخرية قال الرازي ويحتمل انهم يسألون الرسول ويقولون ما هذا الذي تعدنا به من أمر الآخرة قال ابن عباس النبأ العظيم القرآن وهذا مروي عن جماعة من التابعين (الذي هم فيه مختلفون) الموصول صفة للنبا بعد وصفه بكونه عظيما فهو متصف بالعظم ومتصف بوقوع الاختلاف فيه (كلا سيعلمون) ردع لهم وزجر وهذا يدل على ان المختلفين فيه هم الكفار وبه يندفع ما قيل ان الخلاف بينهم وبين المؤمنين فانه انما يتوجه الردع والوعيد الى الكفار فقط وقيل كلا بمعنى حقا ثم كرر الردع والزجر فقال (ثم كلا سيعلمون) للمبالغة في التأكيد والتشديد في الوعيد قرأ الجمهور بالياء التحتية في الفعلين على الغيبة وقرئ بالفوقية على الخطاب وقرأ الضحاك الاولى بالفوقية وقرأ الثانية بالتحتية قال الضحاك ايضا كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وقيل بالعكس وقيل هو وعيد بعد وعيد وقيل المعنى كلا سيعلمون عند

ويفرغ القدر من بني آدم مما كتب الله ان سيوجد منهم ويخرج الى الدنيا وقد أمر به تعالى كونا وقدرا فاذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم وقد روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال قال عزير عليه السلام قال الملك الذي جاءني فان القبور هي بطن الارض وان الارض هي أم الخلق فاذا خلق الله ما اراد أن يخلق وتمت هذه القبور التي مد الله لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ولفظت الارض ما في جوفها وأخرجت القبور ما فيها وهذا شبيه بما قلناه من معنى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه فيه امتنان وفيه استدلال باحياء النبات من الارض

الهامدة على احياء الاجسام بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا أنا صببنا الماء صبا أي أنزلناه من السماء على الارض ثم شققنا الارض شقا أي أسكناه فيها فيدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الارض فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا فالحب كل ما ذكر من الحبوب والعنب معروف والقضب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة ويقال لها القت أيضا قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وقال الحسن البصري القضب العلف وزيتونا وهو معروف وهو أدم وعصيره أدم ويستصبح به ويدهن به ونخلا يؤكل بلحا ورطبا وتمرا ونيئا ومطبوخا ويعتصر منه رب وخل وحدائق غلبا أي بساتين قال الحسن وقتادة غلبا نخل غلاظ كرام وقال ابن عباس ومجاهد والحدائق كل ما التف واجتمع وقال ابن عباس أيضا غلبا الشجر الذي يستظل به وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس وحدائق غلبا أي طوال وقال عكرمة غلبا أي غلاظ الاوساط

النزع ما يحل بهم ثم كلا سيعلمون عند البعث لانه يكشف لهم الغطاء حينئذ وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقال ابن مالك تأكيد لفظي ولا يضر توسط حرف العطف قال السمين والنحويون يأبون هذا ولا يسمونه الا عطفا وان أفاد التأكيد قال زاده ثم موضوعة للتراخي الزماني وقد تستعمل في التراخي الرتبي كما هنا تشبيها التباعد الرتبة بتباعد الزمان ثم ذكر سبحانه بديع صنعه وعظيم قدرته على البعث وأشار الى الادلة الدالة عليها وذكر منها تسعة ليعرفوا توحيده ويؤمنوا بما جاء به رسوله فقال (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا) اي قدرتنا على هذه الامور المذكورة اعظم من قدرتنا على الاعادة بالبعث فما وجه انكاركم لانه قد تقرران الاجسام متساوية الاقدام في قبول الصفات والاعراض وهذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وقيل الجعل بمعنى التصيير والمهاد الوطاء والفراش كما في قوله الذي جعل لكم الارض فراشا قرأ الجمهور بالجمع وقرئ مهدا والمعنى انها كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه وسمي الممهود بالمهد تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والاوتاد جمع وتد اي جعلنا الجبال اوتادا للارض لتسكن ولا تتحرك كما ترسى الخيام بالاوتاد وفي هذا دليل على ان التساؤل الكائن بينهم هو عن امر البعث لا عن القرآن ولا عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما قيل لان هذا الدليل انما يصلح للاستدلال به على البعث (وخلقناكم أزواجا) معطوف على المضارع المنفي داخل في حكمه فهو في قوة أما خلقناكم والمراد بالازواج هنا الاصناف أي الذكور والاناث وقيل المراد بها الالوان وقيل يدخل في هذا كل زوج من المخلوقات من قبيح وحسن وطويل وقصير (وجعلنا نومكم سباتا) قال الزجاج السبات أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه أي جعلنا نومكم راحة لكم قال ابن الانباري جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم لان أصل السبت القطع وقيل أصله التمدد يقال سبتت المرأة شعرها اذا حلته وأرسلته ورجل مسبوت الخلق أي ممدوده والرجل اذا أراد أن يستريح تمدد فسمي النوم سباتا وفي المختار السبات النوم وأصله الراحة وبابه نصر وفي المصباح السبات كغراب النوم الثقيل وأصله الراحة يقال سبت يسبت من باب قتل وسبت بالبناء للمفعول غشي عليه وأيضا مات ومن هنا قيل المعنى وجعلنا نومكم موتا والنوم أحد الموتتين فالمسبوت يشبه

وفي رواية غلاظ الرقاب ألم تر الى الرجل اذا كان غليظ الرقبة قيل والله انه لأغلب رواه ابن أبي حاتم وأنشد ابن جرير للفرزدق

عوى فأثار أغلب ضيغميا * فويل ابن المراغة ما استثارا

وقوله تعالى وفاكهة وأبا أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار قال ابن عباس الفاكهة كل ما أكل رطبا والاب ما أنبتت الارض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس وفي رواية عنه هو الحشيش للبهائم وقال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك الاب الكلأ وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد الاب للبهائم كالفاكهة لبني آدم وعن عطاء كل شئ نبت على وجه الارض فهو أب وقال الضحاك كل شئ أنبتته

يشبه الميت ولكنه لم يفارقه الروح ومن هذا قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية وقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل (وجعلنا الليل لباسا) أي نلبسكم ظلمته ونغشيكم بها كما يغشيكم اللباس فشبه الليل باللباس لان في كل منهما استترا فهو استعارة وقال سعيد بن جبير والسدي أي سكنا لكم وقيل المراد ما يستره عند النوم من اللحاف ونحوه وهو بعيد لان الجعل وقع على الليل لا على ما يستتر به النائم عند نومه (وجعلنا النهار معاشا) أي وقت معاش والمعاش مصدر ميمي بمعنى المعيشة وقع هنا ظرفا وكل شيء يعاش به فهو معاش والمعنى ان الله جعل لهم النهار مضيئا ليسعوا فيما يقوم به معاشهم وما قسمه الله لهم من الرزق (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يريد سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مرور الزمان ولهذا وصفها بالشدة وغلظ كل واحدة منها مسيرة خمسمائة عام كما ورد ذلك (وجعلنا سراجا) منيرا (وهاجا) وقادا يعني الشمس والوهاج المضيء المتلألئ من قولهم وهج الجوهر أي تلألأ ويقال وهج يوهج كوجل يوجل وكوعد يعد قال الزجاج الوهاج الوقاد وهو الذي وهج يقال وهجت النار تهج وهجا ووهجانا قال مقاتل جعل فيه نورا وحرا والوهج يجمع النور والحرارة وقال ابن عباس وهاجا مضيئا (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) المعصرات هي السحاب التي تنعصر بالماء ولم تمطر بعد كالمرأة المعتصرة التي قد دنا حيضها كذا قال سفيان والربيع وأبو العالية والضحاك وقال مجاهد ومقاتل وقتادة والكلبي هي الرياح والرياح تسمى معصرات يقال أعصرت الريح تعصر اعصارا اذا أثارت العجاج قال الازهري هي الرياح ذوات الاعاصير وذلك ان الرياح تستدر المطر وقال الفراء المعصرات السحاب التي يتحلب منها المطر قال النحاس وهذه الاقوال صحاح يقال للريح التي تأتي بالمطر معصرات والرياح تلقح السحاب فيكون المطر ويجوز أن تكون هذه الاقوال قولا واحدا ويكون المعنى وأنزلنا من ذوات المعصرات قال في الصحاح والمعصرات السحاب تعتصر بالمطر وعصر القوم أي مطروا قال المبرد يقال سحاب معصر أي ممسك للماء ويعتصر منه شيء بعد شيء وقال أبي بن كعب والحسن وابن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان المعصرات السموات وقال ابن عباس السحاب وقال ابن مسعود يبعث الله الريح فتحمل الماء فتمر به السحاب فتدر كما تدر اللقحة وقرأ ابن عباس وأنزلنا من المعصرات بالرياح وقيل

الارض سوى الفاكهة فهو الاب وقال ابن ادريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس الاب نبت الارض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن ادريس ثم قال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا حدثنا ابن ادريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير قال عدا ابن عباس وقال الاب ما أنبتت الارض للانعام هذا لفظ أبي كريب وقال أبو السائب ما أنبتت الارض مما يأكل الناس ويأكل الانعام وقال العوفي عن ابن عباس الاب الكلأ والمرعى وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمد (١٦١) بن يزيد حدثنا العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني ان قلت في كتاب الله ما لا أعلم وهذا منقطع بين ابراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه فأما ما رواه ابن جرير حيث قال حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس قال قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبس وتولى فلما أتى على هذه الآية وفاكهة وأبا قال قد عرفنا ما الفاكهة فما الاب فقال لعمرك يا ابن الخطاب ان هذا لهو التكلف فهو اسناد صحيح وقد رواه غير واحد عن أنس به وهذا محمول على انه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه والا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم انه من نبات الارض لقوله فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا وقوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم أي عيشة لكم ولانعامكم في هذه الدار الى يوم القيامة (فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه

لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة) قال ابن عباس الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده قال ابن جرير لعله اسم للنفخة في الصور وقال البغوي الصاخة يعني صيحة يوم القيامة سميت بذلك لانها تصخ الاسماع أي تبالغ في اسماعها حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أي يراهم ويفر منهم ويبتعد منهم لان الهول عظيم والخطب جليل قال عكرمة يلقى الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أي بعل كنت لك فتقول نعم البعل كنت وتثني بخير ما استطاعت فيقول لها فاني أطلب اليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لي لعلي أنجو مما ترين فتقول له ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيأ

أتخوف مثل الذى تخاف قال وان الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول يا بنى أى والد كنت لك فيثنى بخير فيقول له يا بنى انى احتجت الى مثقال ذرة من حسناتك لعلى أنجو بها مما ترى فيقول ولده يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكنى أتخوف مثل الذى تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيأ يقول الله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفى الحديث الصحيح فى أمر الشفاعة انه اذا طلب الى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله فى الخلائق يقول نفسى نفسى لا أسألك اليوم الا نفسى حتى ان عيسى بن مريم يقول لا أسأله اليوم الا نفسى لا أسأله مريم (١٦٢) التى ولدتنى ولهذا قال تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه قال قتادة الاحب فالاحب والاقرب فالاقرب من هول ذلك اليوم وقوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أى هو فى شغل شاغل عن غيره قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا الوليد بن صالح حدثنا ثابت أبو زيد العبادانى عن هلال ابن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا قال فقالت زوجته يارسول الله أو يرى بعضنا عورة بعض قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أو قال ما يشغله عن النظر وقد رواه النسائى منفردا به عن أبى داود وعن عارم عن ثابت بن يزيد وهو أبو زيد الاحول البصرى أحد الثقات عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به وقد رواه الترمذى عن عبد الله ابن حميد عن محمد بن الفضل عن ثابت بن زيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ثم قال الترمذى وهذا حديث حسن وهما صحيح وقد روى من غير وجه عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال النسائى أخبرنى عمرو بن عثمان حدثنا بقية حدثنا الزبيدى أخبرنى الزهرى عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا فقالت عائشة يارسول الله فكيف بالعورات فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه انفرد به النسائى من هذا الوجه ثم قال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا أبى حدثنا أزهر بن حاتم حدثنا الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك قال سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله بأبى أنت وأمى انى سائلتك عن حديث فتخبرنى أنت به قال ان كان عندى منه علم قالت يانبى الله كيف يحشر

المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث والثجاج هو المنصب بكثرة على وجه التتابع يقال ثج الماء أى سال بكثرة وثجه أى أساله فيكون لازما ومتعديا وبابه رد ومطر ثجاج أى منصب جدا والثج أيضا سيلان دماء الهدى وفى الحديث أحب العمل الى الله العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دماء الهدى وقال الزجاج الثجاج الصباب وقال ابن زيد ثجاجا كثيرا وقال ابن عباس منصبا وقيل مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا وقال ابن مسعود الثجاج ينزل من السماء أمثال العزالى فتصرفه الرياح فينزل متفرقا (لنخرج به حبا ونباتا) أى لنخرج بذلك الماء حبا يقتات به كالحنطة والشعير ونحوهما والنبات ما تأكله الدواب من الحشيش والتبن وسائر النبات والكلا (وجنات ألفافا) أى بساتين ملتف بعضها ببعض تتشعب أغصانها ولا واحد للالفاف كالأوزاع والاخياف وقيل واحدها لف بكسر اللام وضمها ذكره الكسائى وقال أبو عبيدة واحدها لفيف كشريف وأشراف وروى عن الكسائى انها جمع الجمع يقال جنة لفاء ونبت لف والجمع لف بالضم مثل حمر ثم يجمع هذا الجمع على ألفاف وقيل هو جمع ملتفة بحذف الزوائد وقال ابن عباس ألفافا ملتفة وقال يقول التف بعضها ببعض قال الفراء الجنة ما فيه النخل والفردوس ما فيه الكرم ولما أثبت الله البعث بالادلة التسعة المتقدمة كأن سائلا سأل عن وقته ما هو فقال (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسئ والمحق والمبطل وأكده بان لانه مما ارتابوا فيه (كان) فى علمه وحكمه (ميقاتا) أى وقتا ومجمعا وميعادا للاولين والآخرين يصلون فيه الى ما وعدوا من البعث وقيل معنى ميعادا انه حد توقت به الدنيا وتنتهى عنده وقيل حد للخلائق ينتهون اليه أو منتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعادا للثواب والعقاب (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله وان كان الفصل متأخرا عن النفخ (فى الصور) هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل والمراد هنا النفخة الثانية التى تكون للبعث (فتأتون) من قبوركم الى الموقف (أفواجا) أى زمرا زمرا وجماعات جماعات وهى جمع فوج والفاء فى فتأتون فصيحة تدل على محذوف أى فتأتون الى موضع العرض عقب ذلك أفواجا أى أمما مع كل أمة امامهم (وفتحت السماء) معطوف على ينفخ وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع أى فتحت لنزول الملائكة وقال على القارى عطف على فتأتون أو حال أى والحال انها قد فتحت وقرئ بالتخفيف والتشديد

الرجال قال حفاة عراة ثم انتظرت ساعة فقالت يارسول الله كيف تحشر النساء قال كذلك حفاة عراة قالت واسوأتاه من يوم القيامة قال وعن أي ذلك تسألين انه قد نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون قالت أية آية هي يانبي الله قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال البغوي في تفسيره أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابن أبي أويس حدثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان فقالت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي عن الفضل بن موسى به ولكن قال أبو حاتم الرازي عائذ بن شريح في حديثه ضعف وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة أي يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أي مستبشرة ضاحكة مستبشرة أي مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أي يعلوها ويغشاها قترة أي سواد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي محمد مولى جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم قال فهو قوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة وقال ابن عباس ترهقها قترة أي يغشاها سواد الوجوه وقوله تعالى أولئك هم الكفرة الفجرة أي الكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم كما قال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا آخر تفسير سورة عبس ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة التكوير وهي مكية) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عبد الله بن بحير عن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت وهكذا رواه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم العنبري عن عبد الرزاق به

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت

وهما سبعيتان قال الشهاب المراد بالفتح ليس ما عرف من فتح الابواب وهو موافق لقوله اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت فان القرآن يفسر بعضه بعضا وعبر عن التشقيق بالفتح اشارة الى كمال قدرته حتى كان تشقيق هذا الجرم العظيم كفتح الباب سهولة وسرعة (فكانت أبوابا) كما في قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل معنى فتحت قطعت فصارت قطعا كالابواب وقيل أبوابها طرقها وقيل تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق وقيل ان لكل عبد بابين في السماء باب لرزقه وباب لعمله فاذا قامت القيامة انفتحت الابواب وظاهر قوله فكانت أبوابا انها صارت كلها أبوابا وليس المراد ذلك بل المراد انها صارت ذات أبواب كثيرة (وسيرت الجبال) عن أماكنها في الهواء كالهباء الذي هو الغبار وقلعت عن مقارها وقيل معنى سيرت انها نسفت من أصولها ومثل هذا قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب (فكانت سرابا) أي هباء منبثا يظن الناظر انها سراب وتخيل الشمس انها ماء والمعنى ان الجبال صارت كلا شيء كما ان السراب يظن الناظر انه ماء وليس بماء ذكر سبحانه أحوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول أول أحوالها الاندكاك وهو قوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وثاني أحوالها أن تصير كالعهن المنفوش كما في قوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش وثالث أحوالها أن تصير كالهباء وهو قوله وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ورابع أحوالها أن تنسف وتحملها الرياح كما في قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وخامس أحوالها أن تصير سرابا أي لا شيء كما في هذه الآية ثم شرع سبحانه في تفصيل أحكام الفصل فقال (ان جهنم كانت مرصادا) قال الازهري المرصاد المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو وقال المبرد مرصادا يرصدون به أي هو معد لهم يرصد به خزنتها الكفار قال الحسن ان على الباب رصدا لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليهم فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجيء بجواز حبس وقال مقاتل محبسا وقيل طريقا وممرا قال في الصحاح الراصد للشيء الراقب له يقال رصده يرصده رصدا والرصد الترقب والمرصد موضع الرصد قال الاصمعي رصدته أرصده ترقبته ومعنى الآية ان جهنم كانت في حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها أو هي في نفسها متطلعة لما يأتي اليها من الكفار كما يتطلع الرصد لمن يمر بهم ويأتي اليهم والمرصاد مفعال

واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت واذا الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس اذا الشمس كورت يعنى أظلمت وقال العوفى عنه ذهبت وقال مجاهد اضمحلت وذهبت وكذا قال الضحاك وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير كورت غورت وقال الربيع بن خيثم كورت يعنى رمى بها وقال أبو صالح كورت ألقيت وعنه أيضا نكست وقال زيد بن أسلم تقع فى الارض قال ابن جرير والصواب من القول عندنا فى ذلك (١٦٤) ان التكوير جمع الشئ بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها الى بعض فمعنى قوله تعالى كورت جمع بعضها الى بعض ثم لفت فرمى بها واذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج وعمرو بن عبد الله الاودى حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس اذا الشمس كورت قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ويبعث الله ريحا دبورا فتضرمها نارا وكذا قال عامر الشعبى ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح حدثنى معاوية بن صالح عن ابن يزيد بن أبى مريم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قول الله اذا الشمس كورت قال كورت فى جهنم وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا موسى بن محمد بن حبان حدثنا درست بن زياد حدثنا يزيد الرقاشى حدثنا أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار هذا حديث ضعيف لان يزيد الرقاشى ضعيف والذى رواه البخارى فى الصحيح بدون هذه الزيادة ثم قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر يكوران يوم القيامة انفرد به البخارى وهذا لفظه وانما أخرجه فى كتاب بدء الخلق وكان جديرا ان يذكره ههنا أو يكرره كما هى عادته فى أمثاله وقد رواه البزار فجود ايراده فقال حدثنا ابراهيم بن زياد البغدادى حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسرى فى هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس اليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس والقمر ثوران فى النار يوم القيامة فقال الحسن وما ذنبهما فقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول

من أبنية المبالغة كالمعطار والمعمار فكأنه يكثر من جهنم انتظار الكفار ثم ذكر من هى مرصد له فقال (للطاغين مآبا) أى مرجعا يرجعون اليه والمآب المرجع يقال آب يؤب اذا رجع والطاغى من طغى بالكفر وللطاغين نعت لمرصادا متعلق بمحذوف ومآبا بدل من مرصادا ويجوز أن يكون للطاغين فى محل نصب على الحال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة وانتصاب (لابثين فيها أحقابا) على الحال المقدرة من الضمير المستكن فى الطاغين قرأ الجمهور لابثين بالالف وقرئ بدون ألف وانتصاب أحقابا على الظرفية أى ماكثين فى النار مادامت الاحقاب وهى لاتنقطع وكلما مضى حقب جاء حقب وهى جمع حقب بضمتين وهو الدهر والاحقاب الدهور والحقب بضم الحاء وسكون القاف قيل هو ثمانون سنة وحكى الواحدى عن المفسرين انه بضع وثمانون سنة السنة ثلثمائة وستون يوما اليوم ألف سنة من أيام الدنيا وقال السدى الحقب سبعون سنة وقال بشير بن كعب ثلثمائة سنة وقال ابن عمر أربعون سنة وقيل ثلاثون ألف سنة قال الحسن الاحقاب لايدرى أحدكم هى ولكن ذكروا انها مائة حقب والحقب الواحد منها سبعون ألف سنة اليوم منها كألف سنة قال ابن عباس أحقابا سنين وعن سالم بن أبى الجعد قال سأل على ابن أبى طالب هلال الهجرى ماتجدون الحقب فى كتاب الله قال نجده ثمانين سنة كل سنة منها اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة وعن ابن مسعود فى الآية قال الحقب الواحد ثمانون سنة وعن أبى هريرة رفعه قال الحقب ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون وعن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال الحقب ألف شهر والشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا ثلثمائة وستون يوما كل يوم ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة أخرجه ابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه قال السيوطى بسند ضعيف وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لايخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقابا والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما واليوم ألف سنة مما تعدون قال ابن عمر فلا يتكلن أحد انه يخرج من النار أخرجه البزار وابن مردويه والبيهقى وعن ابن عمر وقال الحقب الواحد ثمانون سنة وعن ابن عباس مثله وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقب أربعون سنة أخرجه ابن مردويه وقيل الاحقاب وقت

شربهم الحميم والغساق فاذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العذاب وعن خالد بن معدان
في الآية وفي قوله الا ما شاء ربك انهما في أهل التوحيد من أهل القبلة وقيل ان الآية
منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل والاول أولى
وقيل الآية محمولة على العصاة الذين يخرجون من النار والاولى ما ذكرناه أولا من ان
المقصود بالآية التأبيد لا التقييد وحكى الواحدي عن الحسن انه قال والله ما هي الا انه اذا
مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك الى الابد (لا يذوقون فيها) حال من الضمير في لابثين أو
صفة لاحقابا أو مستأنفة لبيان ما اشتملت عليه من انهم لا يذوقون في جهنم أو في الاحقاب
(بردا) ينفعهم من حرها (ولا شرابا) ينفعهم من عطشها (الا حميما) هو الماء الحار (وغساقا)
هو صديد أهل النار وقيل هو ماء يسيل من صديد أهل النار والاستثناء منقطع عند من
جعل البرد النوم وبه قال الزمخشري ويجوز أن يكون متصلا من قوله ولا شرابا وبه قال
أبو حيان وقضية كلام الكواشي تجويز الامرين وقيل انه بدل من شرابا وهو الاحسن
لان الكلام غير موجب وقال مجاهد والسدي وأبو عبيدة والكسائي والفضل بن خالد
وأبو معاذ النحوي البرد المذكور في هذه الآية هو النوم قال الزجاج أي لا يذوقون فيها
برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد يشمل هذه الامور واطلاق البرد على النوم لغة هذيل
وسمي بذلك لانه يقطع سورة العطش ألا ترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه ولانه يبرد
صاحبه والعرب تقول منع البرد البرد يعني أذهب البرد النوم وفي الحديث انه صلى الله
عليه وسلم سئل هل في الجنة نوم فقال لا النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها وكذلك النار
وقد قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا وقيل البرد برد الشراب والشراب الماء وجعل
الزجاج البرد برد كل شيء له راحة وهذا ينفعهم فاما الزمهرير فهو برد يتأذون به فلا ينفعهم
فلهم منه من العذاب ما الله أعلم به وقال الحسن وعطاء وابن زيد بردا أي روحا وراحة قرأ
الجمهور غساقا بالتخفيف وقرأ حمزة والكسائي بتشديد السين وهما سبعيتان وقد تقدم
تفسيره وتفسير الحميم والخلاف فيهما في سورة ص عن ابن مسعود قال زمهرير جهنم يكون
لهم من العذاب لان الله يقول لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما قال قد انتهى حره
وغساقا قال قد انتهى حره وان الرجل اذا أدنى الاناء من فيه سقط فروة وجهه حتى يبقى
عظاما تقعقع (جزاء وفاقا) أي موافقا لاعمالهم على ان وفاقا صفة لجزاء بتأويله باسم

احسبه قال وما ذنبهما ثم قال لا يروى عن أبي هريرة الا من هذا الوجه ولم يروه عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث وقوله
تعالى واذا النجوم انكدرت أي انتثرت كما قال تعالى واذا الكواكب انتثرت وأصل الانكدار الانصباب قال الربيع بن أنس عن
أبي العالية عن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينا الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت
النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن الى الانس والانس الى
الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم في بعض واذا (١٦٥) الوحوش حشرت قال اختلطت واذا العشار
عطلت قال أهملها أهلها واذا
البحار سجرت قال قالت الجن نحن
نأتيكم بالخبر قال فانطلقوا الى
البحر فاذا هو نار تتأجج قال فبينما هم
كذلك اذ تصدعت الارض صدعة
واحدة الى الارض السابعة السفلى
والى السماء السابعة العليا قال
فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح
فأماتتهم رواه ابن جرير وهذا لفظه
وابن أبي حاتم ببعضه وهكذا قال
مجاهد والربيع بن خيثم والحسن
البصري وأبو صالح وحماد بن أبي
سليمان والضحاك في قوله جل وعلا
واذا النجوم انكدرت أي تناثرت
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن
عباس واذا النجوم انكدرت أي
تغيرت وقال يزيد بن أبي مريم عن
النبي صلى الله عليه وسلم واذا النجوم
انكدرت قال انكدرت في جهنم
وكل من عبد من دون الله فهو في
جهنم الا ما كان من عيسى وأمه
ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها رواه
ابن أبي حاتم بالاسناد المتقدم وقوله
تعالى واذا الجبال سيرت أي زالت
عن أماكنها ونسفت فتركت
الارض قاعا صفصفا وقوله واذا
العشار عطلت قال عكرمة ومجاهد عشار الابل قال مجاهد عطلت تركت وسيبت وقال أبي بن كعب والضحاك أهملها أهلها وقال
الربيع بن خيثم لم تحلب ولم تصر تخلى منها أربابها وقال الضحاك تركت لا راعي لها والمعنى في هذا كله متقارب والمقصود أن العشار
من الابل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها الى الشهر العاشر واحدتها عشراء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع قد
اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الامر العظيم المفظع الهائل وهو أمر
القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها وقيل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لا سبيل لهم اليها وقد قيل في العشار
انها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والارض لخراب الدنيا وقيل انها الارض التي تعشر وقيل انها الديار التي كانت تسكن

تعطلت لذهاب أهلها حكى هذه الاقوال كلها الامام أبو عبد الله القرطبي في كتابه التذكرة ورجح انها الابل وعزاه الى أكثر الناس قلت بل لا يعرف عن السلف والائمة سواه والله أعلم وقوله تعالى وإذا الوحوش حشرت أي جمعت كما قال تعالى ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون قال ابن عباس يحشر كل شيء حتى الذباب رواه ابن أبي حاتم وكذا قال الربيع بن خيثم وغير واحد وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية ان هذه الخلائق يقضي الله فيها ما يشاء وقال عكرمة حشرها موتها وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا عباد بن العوام حدثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وإذا الوحوش حشرت قال حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خيثم وإذا الوحوش حشرت قال أتى عليها أمر الله قال سفيان قال أبي فذكرته لعكرمة فقال قال ابن عباس حشرها موتها وقد تقدم عن أبي بن كعب انه قال وإذا الوحوش حشرت اختلطت قال ابن جرير والاولى قول من قال حشرت جمعت قال الله تعالى والطير محشورة اى مجموعة وقوله تعالى وإذا البحار سجرت قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم قال البحر فقال ما أراه الا صادقا والبحر المسجور وإذا البحار سجرت وقال ابن عباس وغير واحد يرسل الله عليها الدبور فتسعرها وتصير نارا تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى والبحر المسجور وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو طاهر حدثني عبد الجبار بن سليمان النفاط شيخ صالح يشبه مالك بن أنس عن معاوية بن سعيد قال ان هذا البحر بركة يعني بحر الروم وسط الارض والانهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالنحاس فاذا كان يوم القيامة أسجر وهذا أثر غريب عجيب وفي سنن أبي داود لا يركب البحر الا حاج أو معتمر أو غاز فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا الحديث وقد تقدم الكلام عليه في سورة فاطر وقال مجاهد والحسن بن مسلم سجرت أوقدت وقال الحسن يبست وقال الضحاك وقتادة غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة وقال الضحاك أيضا سجرت فجرت وقال السدي فتحت وسيرت وقال الربيع بن خيثم سجرت فاضت وقوله تعالى وإذا النفوس زوجت

الفاعل ويصح أن يكون على حذف مضاف أي ذا وفاق أو باق على مصدريته لقصد المبالغة قال الفراء والاخفش جازيناهم جزاء وافق أعمالهم وقال الزجاج جوزوا جزاء وافق أعمالهم قال الفراء الوفاق جمع الوفق والوفق والموافق واحد قال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار وقال الحسن وعكرمة كانت أعمالهم سيئة فأتاهم الله بما يسوءهم (انهم كانوا لا يرجون حسابا) أي ثواب حساب قال الزجاج كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم والجملة مستأنفة وتعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور (وكذبوا بآياتنا كذابا) أي كذبوا بالآيات القرآنية أو كذبوا بما هو أعم منها تكذيبا شديدا وفعال من مصادر التفعيل قال الفراء هي لغة فصيحة يمانية تقول كذبت كذابا وخرقت القميص خراقا قال في الصحاح هو أحد مصادر المشدد لان مصدره قد يجيء على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل كذاب وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعل مثل ومزقناهم كل ممزق قرأ الجمهور كذابا بالتشديد وقرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالتخفيف قال أبو علي الفارسي التخفيف والتشديد جميعا مصدر المكاذبة وقرأ ابن عمر كذابا بضم الكاف والتشديد جمع كاذب قال أبو حاتم ونصبه على الحال قال الزمخشري وقد يكون يعني على هذه القراءة بمعنى الواحد البليغ في الكذب تقول رجل كذاب كقولك حسان وبخال قرأ الجمهور (وكل شيء) بالنصب على الاشتغال أي وأحصينا كل شيء (أحصيناه) وقرأ أبو السمال برفعه على الابتداء ومابعده خبره وهذه الجملة معترضة بين السبب والمسبب وفائدة الاعتراض تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا وفي انتصاب قوله (كتابا) أوجه أحدها انه مصدر من معنى أحصينا أي احصاء فالتجوز في نفس المصدر والثاني انه مصدر لاحصينا لانه في معنى كتبنا فالتجوز في نفس الفعل أي لالتقاء الاحصاء والكتب في معنى الضبط والتحصيل والثالث أن يكون منصوبا على الحال أي مكتوبا في اللوح لتعرفه الملائكة وقيل أراد ما كتبته الحفظة على العباد من أعمالهم وقيل المراد به العلم لان ما كتب كان أبعد من النسيان والاول أولى لقوله وكل شيء أحصيناه في امام مبين (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) هذه الجملة مسببة عن كفرهم وتكذيبهم بالآيات والامر أمر اهانة وتحقير قال الرازي هذه الفاء للجزاء فنبه على ان الامر بالذوق معلل بما تقدم شرحه من قبائح أفعالهم ومن الزيادة في عذابهم انها كلما نضجت جلودهم

بدلهم

أى جمع كل شكل الى نظيره كقوله تعالى أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن الصباح البزاز حدثنا الوليد بن أبى ثور عن سماك عن النعمان بن بشير انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا النفوس زوجت قال الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله وذلك بأن الله عز وجل يقول وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون قال هم الضرباء ثم رواه ابن أبى حاتم من طرق آخر عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ واذا النفوس زوجت فقال تزوجها (١٦٧) أن تؤلف كل شيعة الى شيعتهم وفى رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار وفى رواية عن النعمان قال سئل عمر عن قوله تعالى واذا النفوس زوجت قال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار فذلك تزويج الانفس وفى رواية عن النعمان أن عمر قال للناس ما تقولون فى تفسير هذه الآية واذا النفوس زوجت فسكتوا قال ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى واذا النفوس زوجت قال ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد واذا النفوس زوجت قال الامثال من الناس جمع بينهم وكذا قال الربيع ابن خيثم والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وهو الصحيح قول آخر فى قوله واذا النفوس زوجت قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين ابن الجنيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يسيل واد من اصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ومقدار ما بينهما أربعون عاما فينبت منه كل خلق بلى من الانسان أو طير أو دابة ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الارض قد نبتوا ثم ترسل الارواح فتزوج الاجساد فذلك قول الله تعالى واذا النفوس زوجت وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبى والحسن البصرى أيضا فى قوله تعالى واذا النفوس زوجت أى زوجت بالابدان وقيل زوج المؤمنون بالحور العين وزوج الكافرون بالشياطين حكاه القرطبى فى التذكرة وقوله تعالى واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت هكذا قراءة الجمهور سئلت والموؤدة هى التى كان أهل الجاهلية يدسونها فى التراب كراهية البنات فيوم القيامة تسئل الموؤدة على أى ذنب

بدلهم الله جلودا غيرها وكلما خبت النار زادهم الله سعيرا قيل هذه أشد آية فى القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه قال الرازى وفى هذه الآية مبالغات منها التأكيد بلن ومنها الالتفات ومنها الاعادة قوله فذوقوا بعد ذكر العذاب (ان للمتقين مفازا) هذا شروع فى بيان حال المؤمنين وما أعد الله لهم من الخير بعد بيان حال الكافرين وما أعد الله لهم من الشر والمفاز مصدر بمعنى الفوز والظفر بالبغية والمطلوب والنجاة من النار ومنه قيل للفلاة مفازة تفاؤلا بالخلاص منها ويصلح أن يراد به الجنة على انه مصدر ميمى بمعنى المكان أو بمعنى الحدث ويحتمل أن يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم وفى المختار الفوز النجاة وهو الهلاك أيضا وعلى هذا فاطلاق المفازة على الفلاة الخالية من الماء حقيقى لانها مهلكة ومن معانى الفوز الهلاك كما رأيت وأبهم ما قال ثم فسر سبحانه هذا المفاز فقال (حدائق وأعنابا) وانتصابهما على انهما بدل اشتمال من مفازا أو بدل كل من كل على طريق المبالغة بجعل نفس هذه الاشياء مفازا ويجوز أن يكون النصب باضمار أعنى واذا كان مفازا بمعنى الفوز فيقدر مضاف أى فوز حدائق وهى جمع حديقة وهى البستان المحوط عليه فيه أنواع الشجر المثمر والاعناب جمع عنب أى كروم أعناب والتكرير يدل على تعظيم ذلك العنب قال المحلى وأعنابا عطف على مفازا أى ذكرت بعد الحدائق تنويها لعظم شأنها والا فهى من جملة الحدائق قال القارى وهذا بعيد جدا والظاهر عطفه على حدائق وكذا كواعب وكأسا انتهى (وكواعب أترابا) الكواعب جمع كاعبة وهى الناهدة قال ابن عباس أى نواهد يقال كعبت الجارية تكعب تكعيبا وكعوبا ونهدت تنهد نهودا والمراد أنهن نساء كواعب تكعبت ثديهن وتفلكت حتى صارت كالكعب فى صدورهن أى استدارت مع ارتفاع يسير قال الضحاك الكواعب العذارى والاتراب الاقران فى السن وقد تقدم تحقيقه فى سورة البقرة وقال ابن عباس أى لدات مستويات (وكأسا دهاقا) قال الحسن وقتادة وابن زيد أى مترعة مملوءة يقال أدهقت الكأس أى ملأتها وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد دهاقا متتابعة يتبع بعضها بعضا وقال زيد بن أسلم دهاقا صافية قال ابن عباس دهاقا ممتلئا وعنه قال هى الممتلئة المترعة المتتابعة وربما سمعت العباس يقول يا غلام اسقنا وأدهق لنا وعنه قال دهاقا

قتلت ليكون ذلك تهديد القاتلها فانه اذا سئل المظلوم فما ظن الظالم اذن وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس واذا الموؤدة سئلت أى سألت وكذا قال أبو الضحى سألت أى طالبت بدمها وعن السدى وقتادة مثله وقد وردت أحاديث تتعلق بالموؤدة فقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبى أيوب حدثنى أبو الاسود وهو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن عائشة عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس وهو يقول لقد هممت ان أنهى عن الغيلة فنظرت فى الروم وفارس فاذا هم يغيلون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيأ ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوأد الخفى وهو الموؤدة سئلت ورواه مسلم من حديث أبى عبد الرحمن المقرئ وهو عبد الله بن يزيد عن سعيد بن أبى أيوب ورواه أيضا ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحيى بن اسحق السيلحينى عن يحيى بن أيوب ورواه مسلم أيضا وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث مالك بن أنس ثلاثتهم عن أبى الاسود به وقال الامام أحمد حدثنا ابن أبى عدى عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن علقمة عن سلمة بن يزيد الجعفى قال انطلقت أنا وأخى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ان أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقرى الضيف وتفعل هلكت فى الجاهلية فهل ذلك نافعها شيأ قال لا قلنا فانها كانت وأدت أختا لنا فى الجاهلية فهل ذلك نافعها شيأ قال الوائدة والموؤدة فى النار الا أن يدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها ورواه النسائى من حديث داود بن أبى هند به وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا أبو أحمد الزبيدى حدثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن علقمة وأبى الاحوص عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة فى النار وقال أحمد أيضا حدثنا اسحق الازرق أخبرنا عوف حدثتنى خنساء ابنة معاوية الصريمية عن عمها قالت قلت يا رسول الله من فى الجنة قال النبى فى الجنة والشهيد فى الجنة والمولود فى الجنة والموؤدة فى الجنة وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا قرة قال سمعت الحسن يقول قيل يا رسول الله من فى الجنة قال الموؤدة فى الجنة هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ومنهم من قبله وقال ابن أبى حاتم حدثنى أبو عبد الله الطهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال

دراكا وعمه قال اذا كان فيها خمر فهى كأس واذا لم تكن فيها خمر فليس بكأس (لا يسمعون) حال من المتقين (فيها) أى فى الجنة عند شرب الخمر وغيره من الاحوال (لغوا) وهو الباطل من الكلام (ولا كذابا) أى لا يكذب بعضهم بعضا قرأ الجمهور كذابا مشددا وقرأ الكسائى هنا مخففا ووافق الجماعة على التشديد فى الآية المتقدمة للتصريح بفعله المشدد هناك وقد قدمنا الخلاف فى كذابا هل هو من مصادر التفعيل أو من مصادر المفاعلة (جزاء من ربك) أى جازاهم بما تقدم ذكره جزاء قال الزجاج المعنى جزاهم جزاء أى بمقتضى وعده وكذا (عطاء) أى وأعطاهم عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وقيل عطاء بدل من جزاء أى بدل كل من كل وفى ابداله منه نكتة لطيفة وهى الدلالة على أن بيان كونه عطاء وتفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة له (حسابا) قال أبو عبيدة كافيا فهو مصدر أقيم مقام الوصف أو باق على مصدريته مبالغة أو هو على حذف مضاف وقال ابن قتيبة كثيرا يقال أحسبت فلانا أى أكثرت له العطاء قال الزجاج حسابا أى ما يكفيهم قال الاخفش يقال أحسبنى كذا أى كفانى قال الكلبى حاسبهم فأعطاهم بالحسنة عشرا وقال مجاهد حسابا لما عملوه فالحساب بمعنى القدر أى بقدر ما وجب له فى وعد الرب سبحانه فانه وعد الحسنة عشرا ووعد لقوم سبعمائة ضعف وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار كقوله انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقرأ أبو هاشم حسابا بفتح الحاء وتشديد السين أى كفافا قال الاصمعى تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد اذا أكرمته وفى القاموس حسبك درهم كفاك وشئ حساب كاف ومنه عطاء حسابا وأحسبه أرضاه وعبارة المصباح وأحسبه كفاه وقرأ ابن عباس حسانا بالنون (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) قرئ بخفض رب والرحمن على ان رب بدل من ربك والرحمن صفته وقرئ برفعهما على ان رب مبتدأ والرحمن خبره أو الرحمن صفته ولا يملكون خبره أو على ان رب خبر مبتدا مقدر أى هو رب والرحمن صفته أو على ان رب مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبر المبتدا الثانى والجملة خبر المبتدا الاول وقرأ ابن عباس وحمزة والكسائى بخفض الاول ورفع الثانى على انه خبر مبتدا محذوف أى هو الرحمن واختار هذه القراءة أبو عبيد وقال هذه أعدلها لخفض رب لقربه من ربك فيكون نعتاله ورفع الرحمن لبعده منه على الاستئناف وخبره قوله (لا يملكون) أى الخلق (منه) تعالى أن يسألوا

قال ابن عباس أطفال المشركين في الجنة فمن زعم انهم في النار فقد كذب لقول الله تعالى واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت قال ابن عباس هي المدفونة وقال عبد الرزاق اخبرنا اسرائيل عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت قال جاء قيس بن عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني وأدت بنات لي في الجاهلية قال أعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يارسول الله اني صاحب ابل قال فانحر عن كل واحدة منهن بدنة قال الحافظ أبو بكر البزار خولف فيه عبد الرزاق ولم يكتبه الا عن الحسين بن مهدي عنه وقد رواه (١٦٩) ابن أبي حاتم فقال أخبرنا أبو عبد الله الظهراني فيما كتب الي قال حدثنا عبد الرزاق فذكره باسناده مثله الا انه قال وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية وقال في آخره فأهد ان شئت عن كل واحدة بدنة ثم قال حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا قيس ابن الربيع عن الاغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال قدم قيس ابن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني وأدت اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية أو ثلاث عشرة قال أعتق عددهن نسما قال فأعتق عددهن نسما فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يارسول الله هذه صدقة قومي على اثر ما صنعت بالمسلمين قال علي بن أبي طالب فكنا نريحها ونسميها القيسية وقوله تعالى واذا الصحف نشرت قال الضحاك أعطي كل انسان صحيفته بيمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تملي فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملي في صحيفته وقوله تعالى واذا السماء كشطت قال مجاهد اجتذبت وقال السدي كسفت وقال الضحاك

تنكشط فتذهب وقوله تعالى واذا الجحيم سعرت قال السدي أحميت وقال قتادة أوقدت قال وانما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم وقوله تعالى واذا الجنة أزلفت قال الضحاك وأبو مالك وقتادة والربيع بن خيثم أي قربت الى أهلها وقوله تعالى علمت نفس ما أحضرت هذا هو الجواب أي اذا وقعت هذه الامور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وقال تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة حدثنا ابن المبارك حدثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما

الا فيما اذن لهم فيه (خطابا) بالشفاعة الا باذنه وقيل الخطاب الكلام أي لا يملكون ان يخاطبوا الرب سبحانه خوفا الا باذنه دليله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل اراد الكفار وأما المؤمنون فيشفعون والجملة مستأنفة مقررة لما تفيده الربوبية العامة من العظمة والكبرياء (يوم يقوم الروح والملائكة) الظرف منتصب بلا يملكون أو بلا يتكلمون وقوله (صفا) منتصب على الحال أي مصطفين أو على المصدرية أي يصفون صفا والجملة حالية أو مستأنفة لتقرير ما قبله واختلف في الروح على أقوال ثمانية فقيل انه ملك من الملائكة أعظم من السموات السبع ومن الارضين السبع ومن الجبال وقيل هو جبريل قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير وقيل الروح جند من جنود الله ليسوا بملائكة قاله أبو صالح ومجاهد وعن ابن عباس مثله مرفوعا وزاد لهم رؤس وأيد وأرجل ثم قرأ هذه الآية وقال هؤلاء جند وهؤلاء جند أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه وقيل هم أشراف الملائكة قاله مقاتل بن حيان وقيل هم حفظة على الملائكة قاله ابن أبي نجيح وقيل هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقيل هم أرواح بني آدم تقوم صفا وتقوم الملائكة صفا وذلك بين النفختين قبل ان ترد الى الاجسام قاله عطية العوفي وقيل انه القرآن قاله زيد بن أسلم وقال ابن عباس هو ملك من أعظم الملائكة خلقا وعن ابن مسعود قال الروح في السماء الرابعة وهو أعظم من السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجيء يوم القيامة صفا واحدا أخرجه ابن جرير وعن ابن عباس قال ان جبريل يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار ترعد فرائصه فرقا من عذاب الله يقول سبحانك لا اله الا أنت ما عبدناك حق عبادتك ما بين منكبيه كما بين المشرق والمغرب أما سمعت قول الله يوم يقوم الروح والملائكة صفا أخرجه أبو الشيخ وعنه قال يقول حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة فيما بين النفختين قبل ان ترد الروح الى الاجساد أخرجه البيهقي في الاسماء والصفات (لا يتكلمون) أي الخلائق ثم خوفا واجلالا لعظمة الله جل جلاله من هول ذلك اليوم ولا يشفعون لاحد (الا من أذن له الرحمن) بالشفاعة أو لا يتكلمون الا في حق من أذن له الرحمن (و) كان ذلك الشخص ممن (قال صوابا) قال الضحاك ومجاهد صوابا يعني حقا وقال أبو صالح لا اله الا الله وبه قال ابن عباس وأصل الصواب السداد من

نزلت اذا الشمس كورت قال عمر لما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال لهذا أجرى الحديث (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) روى مسلم في صحيحه والنسائي في تفسيره عند هذه الآية من حديث مسعر بن كدام عن الوليد ابن سريع عن عمرو بن حريث قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعته يقرأ فلا أقسم

بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة عن الحجاج بن عاصم عن أبي الأسود عن عمرو بن حريث به نحوه قال ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق الثوري عن أبي اسحق عن رجل من مراد عن علي فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس قال هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت خالد ابن عرعرة سمعت عليا وسئل عن لا أقسم بالخنس الجوار الكنس فقال هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن خالد عن علي قال هي النجوم وهذا اسناد جيد صحيح الى خالد بن عرعرة وهو السهمي الكوفي قال أبو حاتم الرازي روى عن علي وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا فالله أعلم وروى يونس عن أبي اسحق عن الحرث عن علي انها النجوم رواه ابن أبي حاتم وكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم انها النجوم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن بكر بن عبد الله في قوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس قال هي النجوم الدراري التي تجري تستقبل المشرق وقال بعض الائمة انما قيل للنجوم الخنس أي في حال طلوعها ثم هي جوار في فلكها وفي حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب أوى الظبي الى كناسه اذا تغيب فيه وقال الاعمش عن ابراهيم قال قال عبد الله فلا أقسم بالخنس قال بقر الوحش وكذا قال الثوري عن أبي اسحق عن أبي ميسرة عن عبد الله فلا أقسم بالخنس الجوار

القول والفعل قيل لا يتكلمون يعني الملائكة والروح الذين قاموا صفا هيبة واجلالا الا من أذن له الرحمن منهم في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا قال الحسن ان الروح يقوم يوم القيامة لا يدخل أحد الجنة الا بالروح ولا النار الا بالعمل قال الواحدي فهم لا يتكلمون يعني الخلق كلهم الا من أذن له الرحمن وهم المؤمنون والملائكة وقال في الدنيا صوابا أي شهد بالتوحيد قال البيضاوي قوله لا يتكلمون الخ تقرير وتأكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم والاشارة بقوله (ذلك) الى يوم قيامهم على تلك الصفة وهو مبتدأ وخبره (اليوم الحق) أي الكائن الواقع المحقق الثابت وقوعه (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) أي مرجعا يرجع اليه بالعمل الصالح لانه اذا عمل خيرا قربه الى الله واذا عمل شرا باعده منه قال قتادة مآبا سبيلا قال أبو السعود الفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف وقوله الى ربه أي الى ثوابه وهو متعلق بمآبا كأنه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال انتهى ثم زاد سبحانه في تخويف الكفار فقال (انا أنذرناكم) يا كفار مكة (عذابا قريبا) يعني العذاب في الآخرة وكل ما هو آت فهو قريب ومثله قوله كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كذا قال الكلبي وغيره وقال قتادة هو عذاب الدنيا لانه أقرب العذابين قال مقاتل هو قتل قريش ببدر والاول أولى لقوله (يوم ينظر المرء) أي كل امرئ مسلما كان أو كافرا (ما قدمت يداه) أي يشاهد كل ما قدمه من خير أو شر لقوله ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وتخصيص الايدي لان أكثر الاعمال يقع بها وان احتمل أن لا يكون للايدي مدخل فيما ارتكب من الآثام وما موصولة أو استفهامية قال الحسن والمرء هنا هو المؤمن أي يجد لنفسه عملا فاما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى أن يكون ترابا وقيل المراد به الكافر على العموم وقيل أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط والاول أولى لقوله (ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا) فان الكافر واقع في مقابلة المرء والمراد جنس الكافر يتمنى أن يكون ترابا لما يشاهده مما قد أعده الله له من أنواع العذاب والمعنى انه

الكنس ما هي يا عمرو قلت البقر قال وأنا أرى ذلك وكذا روى يونس عن أبي اسحق عن أبيه وقال أبو داود الطيالسي عن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الجوار الكنس قال البقر تكنس الى الظل وكذا قال سعيد بن جبير وقال العوفي عن ابن عباس هي الظباء وكذا قال سعيد أيضا ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد هي الظباء والبقر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم اخبرنا مغيرة عن ابراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس فقال ابراهيم لمجاهد قل فيها بما سمعت قال فقال مجاهد ما نسمع فيها شيأ وناس يقولون انها النجوم قال فقال ابراهيم قل فيها بما

يتمنى انه كان ترابا في الدنيا فلم يخلق ولم يكلف أو ترابا يوم القيامة فلم يبعث وقيل المراد بالكافر أبو جهل وقيل أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومي وقيل ابليس والاول أولى اعتبارا بعموم اللفظ ولا ينافيه خصوص السبب كما تقدم غير مرة ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم عن أبي هريرة قال يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيبلغ من عذاب الله ان يؤخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر ياليتني كنت ترابا أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور وأما الجن فقال أبو الزناد يعودون ترابا أيضا وقال عمر بن عبد العزيز ومجاهد وغيرهما مؤمنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها والذي عليه الاكثرون انهم مكلفون مثابون ومعاقبون فالمؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار كبني آدم ذكره الخطيب والله أعلم بالصواب

(سورة النازعات وتسمى سورة الساهرة خمس أوست وأربعون آية وهي مكية بلا خلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا) اقسم سبحانه بهذه الاشياء التي ذكرها وهي الملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم كما ينزع النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد وكذا المراد بالناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات يعني الملائكة والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي وانما جاءت هذه الاقسام بلفظ التأنيث والكل وصف للملائكة مع انهم ليسوا اناثا لأن المقسم به طوائف من الملائكة والطوائف جمع طائفة وهي مؤنثة وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقال السدي النازعات هي النفوس حين تغرق في الصدور وقال مجاهد هي الموت ينزع النفس وقال قتادة هي النجوم تنزع من أفق الى أفق من قولهم نزع اليه اذا ذهب أو من قولهم نزعت بالحبل أي انها تغرب وتغيب وتطلع من أفق آخر وبه قال أبو عبيدة والاخفش وابن كيسان وقال عطاء وعكرمة النازعات القسي تنزع بالسهام واغراق النازع في القوس ان يمده غاية المد حتى ينتهي به الى النصل وقيل أراد بالنازعات الغزاة الرماة وانتصاب

سمعت قال فقال مجاهد كنا نسمع انها بقر الوحش حين تكنس في جحرتها قال فقال ابراهيم انهم يكذبون على علي هذا كما رووا عن علي انه ضمن الاسفل الاعلى والاعلى الاسفل وتوقف ابن جرير في المراد بقوله الخنس الجوار الكنس هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال ويحتمل أن يكون الجميع مرادا وقوله تعالى والليل اذا عسعس فيه قولان أحدهما اقباله بظلامه قال مجاهد أظلم وقال سعيد بن جبير اذا نشأ وقال الحسن البصري اذا غشي الناس وكذا قال عطية العوفي وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس اذا عسعس اذا أدبر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن اذا عسعس اذا ذهب فتولى وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال خرج علينا علي رضي الله عنه حين ثوب المثوب بصلاة الصبح فقال أين السائلون عن الوتر والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس هذا (١) حين دبر حسن وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله اذا عسعس اذا أدبر قال لقوله والصبح اذا تنفس أي أضاء واستشهد بقول الشاعر أيضا

حتى اذا الصبح له تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

أي أدبر وعندي ان المراد بقوله اذا عسعس اذا أقبل وان كان يصح استعماله في الادبار أيضا لكن الاقبال ههنا أنسب كأنه أقسم بالليل وظلامه اذا أقبل وبالفجر وضيائه اذا أشرق كما قال تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وقال تعالى والضحى والليل اذا سجى وقال تعالى فالق الاصباح وجعل الليل سكنا وغير ذلك من الآيات وقال كثير من علماء الأصول ان لفظة عسعس تستعمل في الاقبال والادبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح

(١) قوله حين دبر حسن كذا بالاصول وحرر اه

أن يراد كل منهما والله أعلم قال ابن جرير وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم وقال الفراء كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتا

عسعس حتى لو يشا ادنا ٭ كان له من ضوءه مقبس

يريد لو يشاء اذ دنا أدغم الذال في الدال قال الفراء وكانوا يزعمون ان هذا البيت مصنوع وقوله تعالى والصبح اذا تنفس قال الضحاك اذا طلع وقال قتادة اذا أضاء وأقبل وقال سعيد بن جبير اذا نشأ وهو المروى عن على رضى الله عنه وقال ابن جرير يعنى ضوء النهار اذا أقبل وتبين وقوله تعالى انه لقول رسول (١٧٢) كريم يعنى ان هذا القرآن لتبليغ رسول كريم أى ملك شريف حسن الخلق بهى المنظر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس والشعبي وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم ذى قوة كقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة أى شديد الخلق شديد البطش والفعل عند ذى العرش مكين أى له مكانة عند الله عزوجل ومنزلة رفيعة قال أبو صالح في قوله تعالى عند ذى العرش مكين قال جبريل يدخل في سبعين حجابا من نور بغير اذن مطاع ثم أى له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الاعلى قال قتادة مطاع ثم أى في السموات يعنى ليس هو من افناد الملائكة بل هو من السادة والاشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة وقوله تعالى أمين صفة لجبريل بالامانة وهذا عظيم جدا ان الرب عزوجل يزكى عبده ورسوله الملكى جبريل كما زكى عبده ورسوله البشرى محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وما صاحبكم بمجنون قال الشعبي وميمون بن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم المراد بقوله وما صاحبكم بمجنون يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولقد رآه بالافق المبين يعنى ولقد رأى محمد جبريل الذى يأتيه بالرسالة عن الله عزوجل على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح بالافق المبين أى البين وهى الرؤية الاولى التى كانت بالبطحاء وهى المذكورة في قوله علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى كما تقدم تفسير ذلك وتقريره والدليل عليه ان المراد بذلك جبريل عليه السلام والظاهر والله أعلم ان هذه السورة نزلت قبل ليلة الاسراء لانه لم يذكر فيها الا هذه الرؤية وهى الاولى وأما الثانية وهى المذكورة في قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى

غرقا على انه مصدر محذوف الزوائد اى اغراقا والناصب له ما قبله لملاقاته له في المعنى اى اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصى الاجساد او على الحال اى ذوات اغراق يقال اغرق في الشئ يغرق فيه اذا اوغل فيه وبلغ غايته وعن على قال هى الملائكة تنزع ارواح الكفار وعن ابن عباس قال هى أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار وقال ابن مسعود الملائكة الذين يلون أنفس الكفار (و) معنى (الناشطات نشطا) انها تنشط النفوس أى تخرجها من الاجساد كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل عنه حلا رفيقا ونشط الرجل الدلو من البئر اذا أخرجها والنشاط الجذب بسرعة ومنه الانشوطة للعقدة التى يسهل حلها قال أبو زيد نشطت الحبل أنشطه نشطا عقدته وأنشطته أى حللته وأنشطت الحبل أى مددته قال الفراء أنشط العقال اى حل ونشط اى ربط الحبل في يديه قال الاصمعى بئر انشاط اى قريبة القعر يخرج الدلو منها بجذبة واحدة وبئر نشوط وهى التى لا يخرج منها الدلو حتى ينشط كثيرا وقال مجاهد هو الموت ينشط نفس الانسان وبه قال ابن عباس وقال السدى هى النفوس حين تنشط من القدمين وقال عكرمة وعطاء هى الاوهاق التى تنشط السهام وقال قتادة والحسن والاخفش هى النجوم تنشط من أفق الى أفق أى تذهب قال في الصحاح والناشطات نشطا يعنى النجوم من برج الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد والهموم تنشط بصاحبها وقال أبو عبيدة وقتادة هى الوحوش حين تنشط من بلد الى بلد وقيل الناشطات لأرواح المؤمنين والنازعات لأرواح الكافرين لانها تجذب روح المؤمن برفق وتجذب روح الكافر بعنف وقوله نشطا مصدر وكذا سبحا وسبقا قال على هى الملائكة تنشط ارواح الكفار ما بين الاظفار والجلد حتى تخرجها وعن معاذ بن جبل قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار قال الله والناشطات نشطا اتدرى ما هو قلت يا نبى الله ما هو قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم أخرجه ابن مردويه (والسابحات سبحا) هى الملائكة تسبح في الابدان لاخراج الارواح كما يسبح الغواص في البحر لاخراج شئ منه يعنى الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقال مجاهد وأبو صالح هى الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لامر الله كما يقال للفرس الجواد سابح

السدرة مايغشى فتلك انما ذكرت فى سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الاسراء وقوله تعالى وماهو على الغيب بظنين أى وما محمد على ما أنزله الله اليه بظنين أى بمتهم ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أى ببخيل بل يبذله لكل أحد قال سفيان بن عيينة ظنين وضنين سواء أى ماهو بكاذب وماهو بفاجر والظنين المتهم والضنين البخيل وقال قتادة كان القرآن غيبا فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد قلت وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم وقوله تعالى وماهو بقول شيطان رجيم أى وماهذا القرآن بقول شيطان رجيم أى لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغى له كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون وقوله تعالى فأين تذهبون اى فأين تذهب عقولكم فى تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضى الله عنه لوفد بنى حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فتلوا عليه شيأ من قرآن مسيلمة الكذاب الذى هو فى غاية الهذيان والركاكة فقال ويحكم أين تذهب عقولكم والله ان هذا الكلام لم يخرج من إل أى من اله وقال قتادة فأين تذهبون اى عن كتاب الله وعن طاعته وقوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين أى هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون لمن شاء منكم أن يستقيم أى من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فانه منجاة له وهداية ولا هداية فيما سواه وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين أى ليست المشيئة موكولة اليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين قال سفيان الثورى عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى لما نزلت هذه الآية لمن شاء منكم أن يستقيم قال أبو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين آخر تفسير سورة التكوير ولله الحمد

(تفسير سورة الانفطار وهى مكية) قال النسائى أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الاعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبى صلى الله عليه وسلم أفتان أنت يا معاذ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى والضحى واذا السماء انفطرت وأصل الحديث مخرج فى الصحيحين ولكن ذكر اذا السماء انفطرت فى أفراد النسائى وقد تقدم من رواية عبد الله

سابح اذا أسرع فى جريه وقال مجاهد أيضا السابحات الموت يسبح فى نفوس بنى آدم وقيل هى الخيل السابحة فى الغزو وقال قتادة والحسن هى النجوم تسبح فى أفلاكها كما فى قوله وكل فى فلك يسبحون وقال عطاء هى السفن تسبح فى الماء وقيل هى أرواح المؤمنين تسبح شوقا الى الله وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه هى الملائكة تسبح بارواح المؤمنين بين السماء والارض (فالسابقات سبقا) هم الملائكة على قول الجمهور كما سلف قال مسروق ومجاهد تسبق الملائكة الشياطين بالوحى الى الانبياء وقال أبو روق هى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وروى نحوه عن مجاهد وقال مقاتل هى الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة وقال الربيع هى أنفس المؤمنين تسبق الى الملائكة شوقا الى الله وقال على كرم الله وجهه هى الملائكة يسبق بعضها بعضا بارواح المؤمنين الى الله تعالى وقال مجاهد ايضا هو الموت يسبق الانسان وقال قتادة والحسن ومعمر هى النجوم يسبق بعضها فى السير بعضا وقال عطاء هى الخيل التى تسبق الى الجهاد وقيل هى الارواح التى تسبق الاجساد الى الجنة أو النار قال الجرجانى عطف السابقات بالفاء لانها مسببة عن التى قبلها أى واللاتى يسبحن فيسبقن تقول قام فذهب فهذا يوجب أن يكون القيام سببا للذهاب ولو قلت قام وذهب بالواو لم يكن القيام سببا للذهاب قال الواحدى وهذا غير مطرد فى قوله الآتى فالمدبرات امرا لانه يبعد أن يجعل السبق سببا للتدبير قال الرازى ويمكن الجواب عما قاله الواحدى بانها لما أمرت سبحت فسبقت فدبرت ما أمرت بتدبيره فتكون هذه أفعالا يتصل بعضها ببعض كقوله قام زيد فذهب فضرب عمرا ولما سبقوا فى الطاعات وسارعوا اليها ظهرت أمانتهم ففوض اليهم التدبير ويجاب عنه بان السبق لا يكون سببا للتدبير كسببية السبح للسبق والقيام للذهاب ومجرد الاتصال لا يوجب السببية والمسببية والاولى ان يقال العطف بالفاء فى المدبرات طوبق به ما قبله من عطف السابقات بالفاء ولا يحتاج الى نكتة كما احتاج اليها ما قبله لان النكتة انما تطلب لمخالفة اللاحق للسابق لا لمطابقته وموافقته (فالمدبرات أمرا) قال على هى الملائكة تدبر أمر العباد من السنة الى السنة وعنه يدبرون ذكر الرحمن وأمره وقال ابن عباس ملائكة يكونون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم فمنهم من يعرج بالروح ومنهم من يؤمن على الدعاء ومنهم من يستغفر

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن ينظر الى القيامة رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ماقدمت وأخرت ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) يقول تعالى اذا السماء انفطرت أى انشقت كما قال تعالى السماء منفطر به واذا الكواكب انتثرت أى تساقطت واذا البحار فجرت قال على بن أبى طلحة عن ابن

عباس فجر الله بعضها فى بعض وقال الحسن فجر الله بعضها فى بعض فذهب ماؤها وقال قتادة اختلط عذبها بمالحها وقال الكلبى ملئت واذا القبور بعثرت قال ابن عباس بحثت وقال السدى تبعثر تحرك فيخرج من فيها علمت نفس ماقدمت وأخرت أى اذا كان هذا حصل هذا وقوله تعالى ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من انه ارشاد الى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه بل المعنى فى هذه الآية ماغرك يا ابن آدم بربك الكريم أى العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق به كما جاء فى الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة ابن آدم ماغرك بى ابن آدم ماذا أجبت المرسلين قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان ان عمر سمع رجلا يقرأ ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم فقال عمر الجهل وقال أيضا حدثنا عمر بن شبة حدثنا أبو خلف حدثنا يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم قال ابن عمر غره والله جهله وروى عن ابن عباس والربيع بن خثيم والحسن مثل ذلك وقال قتادة ماغرك بربك الكريم شئ ماغر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان وقال الفضيل بن عياض لو قال لى ماغرك بى لقلت ستورك المرخاة وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم قال البغوى وقال بعض أهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كأنه لقنه الاجابة وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل لانه انما أتى باسمه الكريم لينبه على انه لا ينبغى ان يقابل الكريم بالافعال القبيحة وأعمال الفجور وقد حكى البغوى عن الكلبى

هى

للميت حتى يصلى عليه ويدلى فى حفرته قال القشيرى اجمعوا على أن المراد هنا الملائكة وقال الماوردى فيه قولان أحدهما الملائكة وهو قول الجمهور والثانى انها الكواكب السبع حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل وفى تدبيرها الامر وجهان أحدهما تدبر طلوعها وأفولها الثانى تدبر ماقضاه الله فيها من الاحوال ومعنى تدبير الملائكة للامر نزولها بالحلال والحرام وتفصيلهما والفاعل للتدبير فى الحقيقة وان كان هو الله عز وجل لكن لما نزلت الملائكة به وصفت به وقيل ان الملائكة لما أمرت بتدبير أهل الارض فى الرياح والأمطار وغير ذلك قيل لها مدبرات قال عبد الرحمن بن سابط تدبير أمر الدنيا الى أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وعزرائيل واسرافيل فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وأما عزرائيل فموكل بقبض الانفس وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وجواب القسم بهذه الامور التى أقسم الله بها محذوف أى والنازعات وكذا وكذا لتبعثن قال الفراء وحذف لمعرفة السامعين به ويدل عليه قوله أئذا كنا عظاما نخرة وقيل ان جواب القسم قوله ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى أى ان فى يوم القيامة وذكر موسى وفرعون لعبرة لمن يخشى قال ابن الانبارى وهذا قبيح لان الكلام قد طال بينهما وقيل جواب القسم هل أتاك حديث موسى لان المعنى قد أتاك وهذا ضعيف جدا وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة على تقدير ليوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وقال السجستانى يجوز أن يكون هذا من التقديم والتأخير كأنه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات قال ابن الانبارى وهذا خطأ لان الفاء لا يفتتح بها الكلام والاول أولى وقال الكرخى الفاء فيهما للدلالة على ترتبهما بغير مهلة وهو من عطف المقسم به والمعطوف بالواو من عطف الصفات بعضها على بعض والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا الاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الأخر اليه (يوم ترجف الراجفة) انتصاب هذا الظرف بالجواب المقدر للقسم أو باضمار اذكر والراجفة المضطربة يقال رجف يرجف اذا اضطرب والمراد هنا الصيحة العظيمة التى فيها تردد واضطراب كالرعد وهى النفخة الاولى التى يموت بها جميع الخلائق قاله ابن عباس (تتبعها الرادفة)

ومقاتل انهما قالا نزلت هذه الآية فى الاسود بن شريق ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاقب فى الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى ماغرك بربك الكريم وقوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك أى ماغرك بالرب الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك أى جعلك سويا مستقيما معتدل القامة منتصبها فى احسن الهيئات والاشكال قال الامام احمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا جرير حدثنى عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش القرشي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما فى كفه فوضع عليها اصبعه ثم قال قال الله عزوجل بنى آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وكذا رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن ابى شيبة عن يزيد بن هرون عن جرير ابن عثمان به قال شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزى وتابعه يحيى بن حمزة عن شوذب بن يزيد عن عبد الرحمن ابن ميسرة وقوله تعالى فى اى صورة ماشاء ركبك قال مجاهد فى اى شبه أب أو أم أو خال أو عم وقال ابن جرير حدثنى محمد بن سنان القزازى حدثنا مطهر بن الهيثم حدثنا موسى ابن على بن رباح حدثنى أبى عن جدى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ماولدلك قال يارسول الله ماعسى ان يولد لى اما غلام واما جارية قال فمن يشبه قال يارسول الله عسى ان يشبه اما اباه واما أمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عندها مه لاتقولن هكذا ان النطفة اذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت هذه الآية فى كتاب الله تعالى فى اى صورة ماشاء ركبك قال سلكك وهكذا رواه ابن ابى حاتم والطبرانى من حديث مطهر بن الهيثم به وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا فى هذه الآية ولكن اسناده ليس بالثابت لان مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس كان متروك الحديث وقال ابن حبان يروى عن موسى بن على وغيره مالا يشبه حديث الاثبات ولكن فى الصحيحين عن أبى هريرة ان رجلا قال يارسول الله ان امرأتى ولدت غلاما اسود قال هل لك من ابل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال فهل فيها من اورق قال نعم قال فأنى أتاها ذلك قال عسى أن يكون نزعه عرق قال وهذا عسى أن يكون نزعه عرق وقد قال عكرمة فى قوله تعالى فى أى صورة ماشاء ركبك ان شاء فى صورة قرد وان شاء فى صورة خنزير وكذا قال أبو صالح فى أى صورة ماشاء ركبك ان

هى النفخة الثانية التى تكون عند البعث قاله ابن عباس وبينهما أربعون سنة فاليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية وسميت رادفة لانها ردفت النفخة الاولى كذا قال جمهور المفسرين وقال ابن زيد الراجفة الارض والرادفة الساعة وقال مجاهد الراجفة الزلزلة تتبعها الرادفة الصيحة وقيل الراجفة اضطراب الارض والرادفة الزلزلة وأصل الرجفة الحركة وليس المراد التحرك هنا فقط بل الراجفة هنا مأخوذة من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا اذا ظهر صوته ومنه سميت الاراجيف لاضطراب الاصوات بها وظهور الاصوات فيها ومحل تتبعها الرادفة النصب على الحال من الراجفة والمعنى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها وعن أبى بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال ياأيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه أخرجه أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وغيرهم وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترجف الارض رجفا وتزلزل بأهلها وهى التى يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة يقول مثل السفينة فى البحر تكفأ باهلها مثل القنديل المعلق بارجائها اخرجه ابو الشيخ وابن مردويه والديلمى (قلوب يومئذ واجفة) قلوب مبتدأ ويومئذ منصوب بواجفة وواجفة صفة لقلوب وهو المسوغ للابتداء بالنكرة اى قلوب مضطربة خائفة قلقة خافقة لما عاينت من اهوال يوم القيامة قال جمهور المفسرين اى خائفة وجلة وقال ابن عباس وجلة متحركة وقال السدى زائلة عن اماكنها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر وقال المؤرج قلقة مستوفزة وقال المبرد مضطربة يقال وجف القلب يجف وجيفا اذا خفق كما يقال وجب يجب وجيبا والايجاف السير السريع فأصل الوجيف اضطراب القلب وقال ابن عباس خائفة (أبصارها) مبتدأ ثان وخبره (خاشعة) والجملة خبر الاول وفى الكلام حذف مضاف تقديره أبصار أصحاب القلوب ذليلة والضمير راجع الى اصحاب القلوب فهو من الاستخدام والمراد أنها تظهر عليهم الذلة والخشوع عند معاينة اهوال يوم القيامة كقوله خاشعين من الذل قال عطاء يريد أبصار من مات على غير الاسلام ويدل على هذا ان السياق فى منكرى البعث (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) هذا حكاية لما يقوله المنكرون للبعث فى الدنيا استهزاء وانكارا

شاء في صورة كلب وان شاء في صورة حمار وان شاء في صورة خنزير وقال قتادة في اي صورة ماشاء ركبك قال قادر والله ربنا على ذلك ومعنى هذا القول عند هؤلاء ان الله عزوجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة وقوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين اى انما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب وقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون يعني وان عليكم

لملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح فانهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسعر عن علقمة بن مرثد عن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الكرام الكاتبين الذين لايفارقونكم الا عند احدى حالتين الجنابة والغائط فاذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عثمان بن كدامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لايفارقونكم الا عند احدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقد روى عنه واحتمل حديثه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا زياد بن أيوب حدثنا مبشر بن اسمعيل الحلبي حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن يعني البصري عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن حافظين يرفعان الى الله عزوجل ماحفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا الا قال الله تعالى قد غفرت لعبدي مابين طرفي الصحيفة ثم قال تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث قلت وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو زرعة وابن أبي حاتم والنسائي وابن عدي ورماه ابن حبان بالوضع وقال الامام أحمد لا أعرف حقيقة أمره وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا اسحق بن سليمان البغدادي المعروف بالطوسي حدثنا تبان بن حمران حدثنا سلام عن

للبعث اذا قيل لهم انكم تبعثون اى أنرد الى اول حالنا وابتداء امرنا فنصير أحياء بعد موتنا يقال رجع فلان في حافرته اى رجع من حيث جاء والحافرة عند العرب اسم لاول الشئ وابتداء الامر ومنه قولهم رجع فلان على حافرته أي على الطريق الذي جاء منه يقال النقد عند الحافرة اى عند الحالة الاولى وهي الصفقة ويقال اقتتل القوم عند الحافرة اى عند اول ماالتقوا وسميت الطريق التي جاء منها حافرة لتأثيره فيها بمشيه فيها فهي حافرة بمعنى محفورة وقيل الحافرة العاجلة والمعنى انا لمردودون الى الدنيا وقيل الحافرة جمع حافر بمعنى القدم أي أنمشي احياء على اقدامنا ونطأ بها الارض وقيل فاعلة بمعنى مفعولة وقيل على النسب اى ذات حفر والمراد الارض وقيل الحافرة الارض التي يحفر فيها اقبورهم والمعنى انا لمردودون في قبورنا احياء كذا قال الخليل والفراء وبه قال مجاهد وقال ابن زيد الحافرة النار واستدل بقوله تلك اذا كرة خاسرة قال ابن عباس في الحافرة أي الحياة وعنه قال خلقا جديدا قرأ الجمهور في الحافرة وقرأ ابو حيوة في الحفرة ثم زادوا في الاستبعاد بقولهم (أئذا كنا عظاما نخرة) اى بالية متفتتة يقال نخر العظم بالكسر اذا بلى وهذا تأكيد لانكار البعث اى كيف نرد أحياء ونبعث اذا كنا عظاما نخرة والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اى أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شئ من الحياة قرأ الجمهور نخرة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر ناخرة واختار الاولى ابو عبيد وابو حاتم والثانية الفراء وابن جرير وابو معاذ النحوي قال ابو عمرو بن العلاء الناخرة التي لم تنخر بعد أي لم تبل ولابد ان تنخر وقيل هما بمعنى تقول العرب نخر الشئ فهو ناخر ونخر وطمع فهو طامع وطمع ونحو ذلك قال الاخفش هما جميعا لغتان ايهما قرأت فحسن وقيل الناخرة التي أكلت اطرافها وبقيت أوساطها والنخرة التي فسدت كلها وقال مجاهد نخرة اى مرفوتة كما في قوله رفاتا وقيل الناخرة المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر أي تصوت وقد قرئ اذا كنا وأئذا كنا بالاستفهام وبعدمه ثم ذكر سبحانه عنهم قولا آخر قالوه فقال (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) أى رجعة ذات خسران لما يقع على أصحابها من الخسران والمعنى انهم قالوا ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت مما يقوله محمد وهذا استهزاء منهم وقيل معنى خاسرة كاذبة أي ليست بكائنة كذا قال الحسن وغيره وقال الربيع بن أنس خاسرة على من كذب بها وقال قتادة ومحمد بن كعب أي لئن رجعنا بعد الموت لنخسرن بالنار

منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة يعرفون بني آدم وأحسبه قال ويعرفون اعمالهم فاذا نظروا الى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا افلح الليلة فلان نجا الليلة فلان واذا نظروا الى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك الليلة فلان ثم قال البزار سلام هذا أحسبه سلام المدايني وهو لين الحديث (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله) يخبر تعالى عما يصير الابرار اليه من النعيم وهم الذين اطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد عن هشام ابن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي اسحق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله الابرار لانهم بروا الآباء والابناء ثم ذكر ما يصير اليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال يصلونها يوم الدين أي يوم الحساب والجزاء والقيامة وما هم عنها بغائبين أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون الى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوما واحدا وقوله تعالى وما أدراك ما يوم الدين تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكده بقوله تعالى ثم ما أدراك ما يوم الدين ثم فسره بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيأ أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه الا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ونذكر ههنا حديث يا بني هاشم انقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيأ وقد تقدم في آخر سورة الشعراء ولهذا قال

 والامر يومئذ لله كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وكقوله الملك يومئذ الحق للرحمن وكقوله مالك يوم الدين قال قتادة يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله والامر والله اليوم لله ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد وبه الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة آخر تفسير سورة الانفطار

(سورة المطففين وهي مدنية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال النسائي وابن ماجه أخبرنا محمد بن عقيل زاد ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالا حدثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي عن يزيد وهو ابن أبي سعيد النحوي مولى قريش عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم النبي صلى الله

بالنار وانما قالوا هذا لانهم أوعدوا بالنار والكرة الرجعة والجمع كرات وقوله (فانما هي زجرة واحدة) تعليل لما يدل عليه ما تقدم من استبعادهم لبعث العظام النخرة واحياء الاموات والمعنى لا تستبعدوا ذلك فانما هي زجرة واحدة وكان ذلك الاحياء والبعث والمراد بالزجرة الصيحة وهي النفخة الثانية التي يكون البعث بها وقيل ان الضمير في انما هي راجع الى الرادفة المتقدم ذكرها التي يعقبها البعث وسميت هذه النفخة زجرة لانه يفهم منها النهي عن التخلف والمنع منه وعبارة الخطيب وعبر بالزجرة لانها أشد من النهي لانها صيحة لا يتخلف عنها القيام أصلا (فاذا هم بالساهرة) اي فاذا الخلائق الذين قد ماتوا ودفنوا احياء على وجه الارض قال الواحدي المراد بالساهرة وجه الارض وظاهرها في قول الجميع قال الفراء سميت بهذا الاسم لان فيها نوم الحيوان وسهرهم وقيل لانه يسهر في فلاتها خوفا منها فسميت بذلك قال في الصحاح الساهرة وجه الارض ومنه قوله فاذا هم بالساهرة وقال الساهرة أرض بيضاء وقيل أرض من فضة لم يعص الله فيها وقيل الساهرة الارض السابعة يأتي بها الله سبحانه فيحاسب عليها الخلائق وقال سفيان الثوري الساهرة أرض الشام أو أرض مكة أو ارض القيامة وقال قتادة هي جهنم أي فاذا هؤلاء الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة لانهم لا ينامون فيها لاستمرار عذابهم وقال ابن عباس هي وجه الارض وفي لفظ الارض كلها ساهرة وجملة (هل أتاك حديث موسى) مستأنفة مسوقة لتسلية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه وانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان قبلهم ممن هو أقوى منهم ومعنى هل اتاك قد جاءك وبلغك وهذا على تقدير أن قد سمع من قصص فرعون وموسى ما يعرف به حديثهما وعلى تقدير ان هذا اول ما نزل عليه في شأنهما فيكون المعنى على الاستفهام اذ لا وجه لحمله على الاقرار حينئذ اي هل اتاك حديثه انا اخبرك به (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) الظرف متعلق بحديث لا بأتاك لاختلاف وقتيهما وقد مضى من خبر موسى وفرعون في غير موضع ما فيه كفاية والواد المقدس المبارك المطهر غاية الطهر بتشريف الله له بانزال النبوة فيه المفيضة للبركات قال الفراء طوى واد بين المدينة ومصر سمي طوى لانه طوى فيه الشر عن بني اسرائيل أو لان موسى طواه بالليل اذ مر به فارتفع الى أعلى الوادي وقيل واد بالشام عند الطور بين ايلة ومصر وهو معدول من طاو كما عدل عمر من عامر قاله الفراء قال والصرف

عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى ويل للمطففين فحسنوا الكيل بعد ذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن النضر بن حماد حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحرث عن هلال بن طلق قال بينما انا أسير مع ابن عمر فقلت من أحسن الناس هيئة وأوفاه كيلا أهل مكة أو أهل المدينة قال حق لهم أما سمعت الله تعالى يقول ويل للمطففين وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله المكتب عن رجل عن عبد الله قال له رجل يا أبا عبد الرحمن ان أهل المدينة ليوفون الكيل قال وما يمنعهم

ان يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين والمراد بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان اما بالازدياد ان اقتضى من الناس واما بالنقصان ان قضاهم ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس أي من الناس يستوفون أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي ينقصون والاحسن ان يجعل كالوا ووزنوا متعديا ويكون هم في محل نصب ومنهم من يجعلها ضميرا مؤكدا للمستتر في قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما متقارب وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا وقال تعالى وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها وقال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال ثم قال متوعدا لهم ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم أي أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من خسر فيه أدخل نارا حامية وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين أي يقومون حفاة عراة غرلا في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه قال الامام مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى انصاف أذنيه رواه البخاري من حديث مالك بن عبد الله بن عون

أحب الى اذ لم اجد في المعدول نظيرا له وقيل طوى معناه بالعبرانية يا رجل فكأنه قيل يا رجل وقيل المعنى ان الوادي المقدس بورك فيه مرتين والاول أولى وقد مضى تحقيق القول فيه قرئ طوى بالتنوين وتركه وهما سبعيتان قال الجوهري طوى اسم موضع بالشام تكسر طاؤه وتضم ويصرف ولا يصرف فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة (اذهب الى فرعون) قيل هو على تقدير القول وقيل هو تفسير للنداء أي ناداه نداء هو قوله اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويؤيده قراءة ابن مسعود أن اذهب لان في النداء معنى القول وجملة (انه طغى) تعليل للامر أو لوجوب الامتثال أي جاوز الحد في العصيان والفساد والتكبر والكفر بالله قال الرازي ولم يبين انه طغى في أي شئ فقيل تكبر على الله وكفر به وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم (فقل هل لك الى ان تزكى) أي قل له بعد وصولك اليه هل لك رغبة الى التزكي وهو التطهر من الشرك وأصله تتزكى قرأ الجمهور بالتخفيف وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاي على ادغام التاء في الزاي قال أبو عمرو بن العلاء معنى قراءة التخفيف تكون زكيا مؤمنا ومعنى قراءة التشديد الصدقة وفي الكلام مبتدأ مقدر تتعلق به الى والتقدير هل لك رغبة أو توجه أو سبيل الى التزكي ومثل هذا قولهم هل لك في الخير يريدون هل لك رغبة في الخير وقال ابن عباس هل لك ان تقول لا اله الا الله وقيل معناه هل لك ان تسلم وتصلح العمل أمر عليه السلام ان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا نوع تفصيل لقوله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (وأهديك الى ربك فتخشى) أي أرشدك الى عبادته وتوحيده فتخشى عقابه والفاء لترتيب الخشية على الهداية لان الخشية لا تكون الا من مهتد راشد قال ابن عطاء الخشية أتم من الخوف لانها صفة العلماء في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به رواه السلمي وعن الواسطي أوائل العلم الخشية ثم الاجلال ثم التعظيم ثم الهيبة ثم الفناء وعن بعضهم من تحقق بالخوف ألهاه خوفه عن كل مفروح به وألزمه الكمد الى ان يظهر له الأمن من خوفه ذكره الكرخي (فأراه الآية الكبرى) هذه الفاء هي الفصيحة لافصاحها عن كلام محذوف يعني فذهب فقال له ما قال مما حكاه الله في غير موضع وأجاب عليه بما أجاب الى ان قال ان كنت جئت

بآية

كلاهما عن نافع به ورواه مسلم من الطريقين أيضا وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمر ومحمد ابن اسحق عن نافع عن ابن عمر به ولفظ الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا ابن اسحق عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى ان العرق ليلجم الرجال الى انصاف آذانهم *حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن اسحق حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني سليم بن عامر حدثني المقداد يعني ابن الاسود الكندي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين قال فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم منهم من يأخذه الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى ركبتيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما رواه مسلم عن الحكم ابن موسى عن يحيى بن حمزة والترمذي عن سويد عن ابن المبارك كلاهما عن ابن جابر به *حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية ابن صالح أن أبا عبد الرحمن حدثه عن أبي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا تغلي منها الهوام كما تغلي القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم منهم من يبلغ الى كعبيه ومنهم من يبلغ الى ساقيه ومنهم من يبلغ الى وسطه ومنهم من يلجمه العرق انفرد به أحمد *حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة حيي بن يؤمن انه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من الارض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ الى نصف الساق ومنهم من يبلغ الى ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ وسط فيه وأشار بيده فألجمها فاه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده هكذا ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده اشارة انفرد به أحمد وفي حديث انهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون وقيل يقومون ثلثمائة سنة وقيل يقومون أربعين ألف سنة ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي

بآية فأتى بها فعند ذلك أراه الآية الكبرى واختلف فيها ما هي فقيل العصا وقيل اليد وقيل فلق البحر وقيل هي جميع ما جاء به من الآيات التسع والاول أولى ثم اليد والاكثرون على انه أراه عصاه وأطلق عليهما الآية الكبرى لاتحادهما معنى أو أراد بالكبرى العصا وحدها لانها كانت مقدمة على الاخرى ولا ينافي هذا قوله في الآية الاخرى ولقد أريناه آياتنا كلها وكل آياته كبرى لان الاخبار هنا عما أراه له أول ملاقاته اياه وهو العصا واليد ثم أردف ذلك برؤية الكل ولا مساغ لحمل الآية على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع انما ظهر على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القضية وأمر السحرة مترقب بعده (فكذب وعصى) أي فلما أراه الآية الكبرى كذب فرعون بموسى وبما جاء به وعصى الله عز وجل بعد ظهور الآية وتحقق الامر فلم يطعه (ثم أدبر) أي تولى وأعرض عن الايمان وأتى بثم لان ابطال الامر ونقضه يقتضي زمانا طويلا (يسعى) أي يعمل بالفساد في الارض ويجتهد في معارضة ما جاء به موسى وقيل أدبر هاربا من الحية يسعى خوفا منها وقال الرازي معنى أدبر يسعى أقبل يسعى كما يقال أقبل يفعل كذا أي أنشأ يفعل كذا فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالاقبال ويسعى حال من الضمير في أدبر (فحشر) أي فجمع جنوده للقتال والمحاربة أو جمع السحرة للمعارضة أو جمع الناس للحضور ليشاهدوا ما يقع أو جمعهم ليمنعوه من الحية (فنادى فقال أنا ربكم الاعلى) أي قال لهم بصوت عال أو أمر من ينادي بهذا القول بعد ما قال له موسى ربي أرسلني اليك والمعنى انه لا رب فوقي قال عطاء كان صنع لهم أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها وقال انا رب أصنامكم وقيل أراد بكونه ربهم انه قائدهم وسائدهم والاول أولى لقوله في آية أخرى ما علمت لكم من اله غيري (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) النكال نعت مصدر محذوف أي أخذه أخذ نكال أو هو مصدر لفعل محذوف أي أخذه الله فنكله نكال الآخرة والاولى أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة ويجوز أن يكون انتصاب نكال على انه مفعول له أي أخذه الله لاجل نكال ويجوز أن ينتصب بنزع الخافض أي بنكال ورجح الزجاج انه مصدر مؤكد قال لان معنى أخذه الله نكل الله به فأخرج من معناه لا من لفظه وقال الفراء أي أخذه الله أخذا نكالا أي

حدثنا أبو عون الزيادي أخبرنا عبد السلام بن عجلان سمعت أبا يزيد المدني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبشير الغفاري كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيه بأمر قال بشير المستعان الله قال فاذا أويت الى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به وفي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعي رؤسهم الى

السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم وعن ابن عمر يقومون مائة سنة رواهما ابن جرير وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الحواري عن عاصم بن حميد عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح قيام الليل يكبر عشرا ويحمد عشرا ويسبح عشرا ويستغفر عشرا ويقول اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد أثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) يقول تعالى حقا ان كتاب الفجار لفي سجين أي ان مصيرهم ومأواهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى وما أدراك ما سجين أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ثم قد قال قائلون هي تحت الارض السابعة وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه الطويل يقول الله عز وجل في روح الكافر اكتبوا كتابه في سجين وسجين هي تحت الارض السابعة وقيل صخرة تحت السابعة خضراء وقيل بئر في جهنم وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا منكرا لا يصح فقال حدثنا اسحق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب في جهنم مغطى وأما سجين فمفتوح

للنكال والنكال اسم لما جعل نكالا للغير أي عقوبة له يقال نكل فلان بفلان اذا عاقبه وأصل الكلمة من الامتناع ومنه النكول عن اليمين والنكل القيد والمراد بنكال الآخرة عذاب النار ونكال الاولى عذاب الدنيا بالغرق وقال مجاهد عذاب أول عمره وآخره وقال قتادة الآخرة قوله أنا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى وقيل الآخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى قوله ما علمت لكم من اله غيري قاله ابن عباس وكان بين الكلمتين أربعون سنة قاله ابن عمرو (ان في ذلك) أي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به (لعبرة) عظيمة (لمن) شأنه ان (يخشى) الله ويتقيه ويخاف عقوبته ويحاذر غضبه (أأنتم أشد خلقا أم السماء) اى اخلقكم بعد الموت وبعثكم اشد عندكم وفي تقديركم ام خلق السماء والخطاب لكفار مكة والمقصود به التوبيخ لهم والتبكيت لان من قدر على خلق السماء التي لها هذا الجرم العظيم وفيها من عجائب الصنع وبدائع القدرة ما هو بين للناظرين كيف يعجز عن اعادة الاجسام التي اماتها بعد أن خلقها اول مرة ومثل هذا قوله سبحانه لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ثم بين سبحانه كيفية خلق السماء فقال (بناها) اى جعلها كالبناء المرتفع فوق الارض (رفع سمكها) اى اعلاه في الهواء وهذا بيان للبناء او جعل مقدار ذهابها او ارتفاعها في سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام يقال سمكت الشئ أي رفعته في الهواء وسمك الشئ سموكا ارتفع قال الفراء كل شئ حمل شيأ من البناء او غيره فهو سمك وبناء مسموك وسنام سامك اى عال والسموكات السموات وقال ابن جزي السمك غلظ السماء وهو الارتفاع الذي بين سطح السفلى الاسفل الذي يلينا وسطحها الاعلى الذي يلي ما فوقها قال البغوي رفع سمكها اى سقفها ولينظر ما المراد بسقفها ويمكن أن يقال سقف كل سماء هو السماء التي فوقها كما ان السماء الدنيا سقف للارض تأمل قال الكسائي والفراء والزجاج تم الكلام عند قوله بناها لانه من صلة السماء والتقدير أم السماء التي بناها فحذف التي ومثل هذا الحذف جائز ومعنى (فسواها) جعلها مستوية الخلق معتدلة الشكل لا تفاوت فيها ولا اعوجاج ولا فطور ولا فروج ولا شقوق (وأغطش ليلها) الغطش الظلمة بلغة أنمار أي جعله مظلما يقال اغطش الليل واغطشه الله كما يقال اظلم الليل واظلمه الله ورجل

أغطش

الصحيح ان سجينا مأخوذ من السجن وهو الضيق فان المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع فان الافلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيق الى المركز في وسط الارض السابعة ولما كان مصير الفجار الى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال ههنا كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وقوله تعالى كتاب مرقوم ليس تفسيرا لقوله وما أدراك ما سجين وانما هو تفسير لما كتب لهم من المصير الى سجين أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد قاله محمد بن كعب القرظي ثم قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين أي اذا صاروا يوم القيامة الى ما أوعدهم الله من السجن والعذاب المهين وقد تقدم الكلام على قوله ويل بما أغنى عن اعادته وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال ويل لفلان وكما جاء في المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن ضمرة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة الذين يكذبون بيوم الدين أي لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره قال الله تعالى وما يكذب به الا كل معتد أثيم أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح والاثيم في أقواله ان حدث كذب وان وعد أخلف وان خاصم فجر وقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين أي اذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد انه مفتعل مجموع من كتب الاوائل كما قال تعالى واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين وقال تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أي ليس الامر كما زعموا ولا كما قالوا ان هذا القرآن أساطير الاولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وانما حجب قلوبهم عن الايمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ولهذا قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والرين

اغطش وامرأة غطشى لا يهتديان قال الراغب واصله من الاغطش وهو الذي في عينه عمش ومنه فلاة غطشى لا يهتدى فيها والتغاطش التعامي واضاف الليل الى السماء لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس مضافة الى السماء (واخرج ضحاها) أي أبرز نهارها المضيء باضاءة الشمس وعبر عن النهار بالضحى لانه أشرف أوقاته وأطيبها وأضافه الى السماء لانه يظهر بظهور الشمس وهي منسوبة الى السماء (والارض بعد ذلك) اي بعد خلق السماء (دحاها) بسطها يقال دحا يدحو دحوا ودحى يدحى دحيا أي بسط ومد فهو من ذوات الواو والياء فيكتب بالالف والياء ويقال لعش النعامة أدحى لانه مبسوط على الارض قال أمية بن الصلت

دحوت البلاد فسويتها * وانت على طيها قادر

قيل دحيت من مكة بعد خلق السماء بألفي عام ولا معارضة بين هذه الآية وبين ما تقدم في سورة فصلت من قوله ثم استوى الى السماء بل الجمع بانه سبحانه خلق الارض أولا غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحى الارض وقد قدمنا الكلام على هذا مستوفى هنالك وقدمنا أيضا بحثا في هذا في أول سورة البقرة عند قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وذكر بعض أهل العلم ان بعد بمعنى مع كما في قوله عتل بعد ذلك زنيم وقيل بعد بمعنى قبل كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أي من قبل الذكر والجمع الذي ذكرناه أولى وهو قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير وعن ابن عباس ان رجلا قال له آيتان في كتاب الله تخالف احداهما الاخرى فقال انما أتيت من قبل رأيك قال اقرأ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين حتى بلغ ثم استوى الى السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها قال خلق الله الارض قبل أن يخلق السماء ثم خلق السماء ثم دحى الارض بعد ما خلق السماء وانما قوله دحاها بسطها وعنه قال دحاها ان أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الانهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام وما بينهما في يومين قرأ الجمهور بنصب الارض على الاشتغال وقرئ بالرفع على الابتداء ثم فسر سبحانه الدحو فقال (أخرج منها ماءها ومرعاها) فجرت من الارض الانهار والبحار والعيون والمرعى النبات الذي يرعى والمرعى مصدر ميمي اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعي واستعير الرعي للانسان على سبيل التجوز قال الشهاب والمرعى ما يأكله الحيوان غير الانسان فاريد به

يعترى قلوب الكافرين والغيم للابرار والغين للمقربين وقد روى ابن جرير والترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب منها صقل قلبه وان زاد زادت فذلك قول الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الترمذى حسن صحيح ولفظ النسائى ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذى

قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال أحمد حدثنا صفوان بن علية أخبرنا ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تعلو قلبه وذاك الران الذى ذكر الله فى القرآن كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الحسن البصرى هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وكذا قال مجاهد وابن جبير وقتادة وابن زيد وغيرهم وقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اى لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم قال الامام أبو عبد الله الشافعى وفى هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ وهذا الذى قاله الامام الشافعى رحمه الله فى غاية الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الآية كما دل عليه منطوق قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة كما دلت على ذلك الاحاديث الصحاح المتواترة فى رؤية المؤمنين ربهم عز وجل فى الدار الآخرة رؤية بالابصار فى عرصات القيامة وفى روضات الجنان الفاخرة لا وقد قال ابن جرير حدثنا ابو معمر المقرى حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن فى قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال يكشف الحجاب فينظر اليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر اليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية أو كلاما هذا معناه وقوله تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم أى ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون أى يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتصغير والتحقير (كلا ان كتاب الابرار لفى

مجاز اطلق المأكول للانسان وغيره فهو مجاز مرسل من باب استعمال المقيد فى المطلق انتهى اوهو استعارة تصريحية حيث شبه أكل الناس برعى الدواب أوفيه جمع بين الحقيقة والمجاز وقال الكرخى يجوز أن يكون استعارة معنوية والظاهر أنه تغليب لان قوله الآتى متاعا لكم ولانعامكم وارد عليه ومن حقه ان تغلب ذووا العقول على الانعام فعكس تجهيلا لان الكلام مع منكرى الحشر بشهادة قوله أانتم اشد خلقا كامر كأنه قيل أيها المعاندون الداخلون فى زمرة البهائم الملزوزون فى قرنها فى تمتعكم بالدنيا وذهولكم عن الاخرى والجملة اما بيان وتفسير لدحاها لان السكنى لاتتأتى بمجرد البسط بل لابد من تسوية امر المعاش من المأكل والمشرب واما فى محل نصب على الحال (والجبال ارساها) اى اثبتها فى الارض وجعلها كالاوتاد للارض لتثبت وتستقر وأن لاتميد باهلها قرأ الجمهور بنصب الجبال على الاشتغال وقرئ بالرفع على الابتداء قيل ولعل وجه تقديم ذكر اخراج الماء والمرعى على ارساء الجبال مع تقدم الارساء عليه الاهتمام بأمر المأكل والمشرب (متاعا) أى منفعة (لكم ولانعامكم) من البقر والابل والغنم وانتصاب متاعا على المصدرية أى متعكم بذلك متاعا أو هو مصدر من غير لفظه لان قوله أخرج منها ماءها ومرعاها بمعنى متع بذلك أو على انه مفعول له اى فعل ذلك لاجل التمتع وانما قال لكم ولانعامكم لان فائدة ماذكر من الدحو واخراج الماء والمرعى كائنة لهم ولانعامهم والمرعى يعم ما يأكله الناس والدواب (فاذا جاءت الطامة) اى الداهية التى تعلو سائر الدواهى (الكبرى) أى العظمى التى تطم على سائر الطامات فالوصف بالكبرى تأسيس لا تأكيد فهى أكبر من داهية فرعون وهى قوله أنا ربكم الاعلى وهذا شروع فى بيان أحوال معادهم اثر بيان أحوال معاشهم والفاء للدلالة على ترتب مابعدها على ماقبلها كما ينبئ عنه لفظ المتاع وفى الكرخى وخص ماهنا بالطامة موافقة لماقبله من داهية فرعون ولذلك وصفت بالكبرى موافقة لقوله فأراه الآية الكبرى بخلاف مافى عبس فانه لم يتقدمه شئ من ذلك فخصت بالصاخة وان شاركت الطامة فى أنها النفخة الثانية لانها الصوت الشديد والصوت يكون بعد الطم فناسب جعل الطم للسابقة والصخ للاحقة انتهى قال الحسن وغيره هى النفخة الثانية وقال الضحاك وغيره هى القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ لعظم هولها قال المبرد الطامة عند العرب الداهية التى

عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم
يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) يقول تعالى
حقا ان كتاب الابرار وهم بخلاف الفجار لفي عليين اى مصيرهم الى عليين وهو بخلاف سجين قال الاعمش عن شمر بن عطية عن
هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وانا حاضر عن سجين قال هي الارض السابعة وفيها أرواح الكفار وسأله عن عليين فقال
هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وهكذا قال غير واحد انها السماء السابعة وقال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس في قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين يعني الجنة وفي رواية العوفي عنه أعمالهم في السماء عند الله وكذا قال الضحاك وقال قتادة عليون ساق العرش اليمنى وقال غيره عليون عند سدرة المنتهى والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظما أمره ومفخما شأنه وما أدراك ما عليون ثم قال تعالى مؤكدا لما كتب لهم كتاب مرقوم يشهده المقربون وهم الملائكة قاله قتادة وقال العوفي عن ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها ثم قال تعالى ان الابرار لفي نعيم أي يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم على الارائك وهي السرر تحت الحجال ينظرون قيل معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد وقيل معناه على الارائك ينظرون الى الله عز وجل وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فذكر عن هؤلاء انهم يباحون النظر
الى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم كما تقدم في حديث ابن عمر ان ادنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى
أقصاه كما يرى أدناه وان أعلاهم لمن ينظر الى الله عز وجل في اليوم مرتين وقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أي تعرف
اذا نظرت اليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم وقوله
تعالى يسقون من رحيق مختوم أي يسقون من خمر من الجنة والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد
والحسن وقتادة وابن زيد قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن سعد أبي المجاهد الطائي عن عطية بن سعد العوفي عن أبي

لا تستطاع وانما أخذت فيما أحسب من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده
في الجري وطم الماء اذا ملأ النهر كله وقال غيره هو من طم السيل الركية أي دفنها
والطم الدفن قال مجاهد وغيره الطامة الكبرى هي التي تسلم أهل الجنة الى الجنة وأهل
النار الى النار قال ابن عباس الطامة اسم من اسماء يوم القيامة وجواب اذا قيل
هو قوله فاما من طغى وقيل محذوف أي فان الامر كذلك أو عاينوا أو علموا أو أدخل
اهل النار النار وأهل الجنة الجنة وقدره بعضهم بقوله كان من عظائم الشؤون
مالم تشاهده العيون وقال أبو البقاء العامل فيها جوابها وهو معنى (يوم يتذكر
الانسان ما سعى) لانه منصوب بفعل مضمر أي أعني يوم يتذكر أو يوم يتذكر يكون
كيت وكيت وقيل ان الظرف بدل من اذا وقيل هو بدل من الطامة الكبرى ومعنى تذكر
الانسان ما سعى انه يتذكر ما عمله من خير أو شر لانه يشاهده مدونا في صحائف أعماله
وما مصدرية أو موصولة (وبرزت الجحيم لمن يرى) معطوف على جاءت أي أظهرت
النار المحرقة اظهارا بينا مكشوفا لا تخفى على أحد قال مقاتل فيكشف عنها الغطاء فينظر
اليها الخلق وقيل لمن يرى من الكفار لا من المؤمنين والظاهر أنها تبرز لكل راء فاما المؤمن
فيعرف برؤيتها قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها واما الكافر فيزداد غما الى غمه وحسرة
الى حسرته قرأ الجمهور لمن يرى بالتحتية وقرأت عائشة ومالك بن دينار وعكرمة وزيد بن
علي بالفوقية أي لمن تراه الجحيم أو لمن تراه أنت يا محمد وقرأ ابن مسعود لمن رأى على صيغة
الفعل الماضي (فاما من طغى) أي جاوز الحد في الكفر والمعاصي (وآثر الحياة الدنيا) أي
قدمها على الآخرة باتباع الشهوات المحرمات ولم يستعد لها ولا عمل عملها (فان الجحيم هي
المأوى) أي مأواه والالف واللام عوض عن المضاف اليه وهذا عند الكوفيين وعند
سيبويه وعند البصريين هي المأوى له ولا بد من أحد هذين التأويلين في الآية لاجل
العائد من الجملة الواقعة خبرا عن المبتدا الذي هو من طغى وحسن عدم ذكر ذلك العائد
كون الكلمة وقعت فاصلة ورأس آية والمعنى انها منزله الذي ينزله ومأواه الذي يأوي
اليه لا غيرها ثم ذكر القسم الثاني من القسمين فقال (واما من خاف مقام ربه) اى حذر
مقامه بين يدي ربه يوم القيامة لعلمه بالمبدا والمعاد قال الربيع مقامه يوم الحساب قال
قتادة يقول ان لله عز وجل مقاما قد خافه المؤمنون وقال مجاهد هو خوفه في الدنيا من الله

سعيد الخدري أراه قد رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال أيما مؤمن سقى مؤمنا شربة على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم وايما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وايما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة وقال ابن مسعود في قوله ختامه مسك أي خلطه مسك وقال العوفي عن ابن عباس طيب الله لهم الخمر وكان آخر شئ جعل فيها مسك ختم بمسك وكذا قال قتادة والضحاك وقال ابراهيم والحسن ختامه مسك أي عاقبته مسك وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيي بن واضح

حدثنا أبو حمزة عن جابر عن عبد الرحمن بن سابق عن أبي الدرداء ختامه مسك قال شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ختامه مسك قال طيبه مسك وقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون أي وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى ويكاثر ويستبق الى مثله المستبقون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه قاله أبو صالح والضحاك ولهذا قال عينا يشرب بها المقربون أي يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين مزجا قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) انما يخبر تعالى عن المجرمين انهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أي يستهزؤن بهم ويحتقرونهم واذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي يحتقرون بهم واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين أي واذا انقلب أي رجع هؤلاء المجرمون الى منازلهم انقلبوا اليها فاكهين أي مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون اي لكونهم على غير دينهم قال الله تعالى وما أرسلوا عليهم حافظين أي وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين

عز وجل عند مواقعة الذنب فيقلع عنه نظيره قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان والاول اولى (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) أي زجرها من الميل الى المعاصي والمحارم التي تشتهيها قال مقاتل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها (فان الجنة هي المأوى) أي المنزل الذي ينزله والمكان الذي يأوى اليه لا غيرها (يسألونك) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (عن الساعة أيان مرساها) أي متى وقوعها وقيامها قال الفراء أي منتهى قيامها كرسو السفينة قال أبو عبيدة ومرسى السفينة حين تنتهي والمعنى يسألونك عن الساعة متى يقيمها الله وقد مضى بيان هذا في سورة الاعراف (فيم أنت من ذكراها) أي في أي شئ أنت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها والمعنى لست في شئ من علمها او ذكرها انما يعلمها الله سبحانه وهو استفهام انكار ورد لسؤال المشركين عنها أي فيم أنت من ذلك حتى يسألوك عنها ولست تعلمها وأنت آخر الانبياء وعلامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها والاول أولى عن علي بن ابي طالب قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عن الساعة فنزلت فيم أنت من ذكراها أخرجه ابن مردويه وعن عائشة قالت مازال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عن الساعة حتى أنزل الله فيم أنت من ذكراها الخ فانتهى فلم يسأل عنها أخرجه البزار وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وعن طارق بن شهاب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ذكر الساعة حتى نزلت هذه الآية فكف عنها أخرجه عبد بن حميد والنسائي وابن جرير وغيرهم وعن ابن عباس ان مشركي مكة سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا متى الساعة استهزاء منهم فانزل الله يسألونك عن الساعة أيان مرساها يعني مجيئها فيم أنت من ذكراها يعني ما أنت من علمها يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى ربك منتهاها يعني منتهى علمها أخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن عائشة قالت كانت الاعراب اذا قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسألوه عن الساعة فينظر الى احدث انسان منهم فيقول ان يعش هذا قامت عليكم ساعتكم أخرجه ابن مردويه وجملة (الى ربك منتهاها) مستأنفة اى منتهى علمها فلا يوجد علمها عند غيره وهذا كقوله قل انما علمها عند ربي وقوله ان الله عنده علم الساعة فكيف يسألونك عنها او يطلبون منك بيان وقت قيامها

على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم كما قال تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ولهذا قال ههنا فاليوم يعنى يوم القيامة الذين آمنوا من الكفار يضحكون أى فى مقابلة ما ضحك بهم أولئك على الارائك ينظرون أى الى الله عز وجل فى مقابلة من زعم فيهم انهم ضالون ليسوا ضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون

الى ربهم فى دار كرامته وقوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون أى هل جوزى الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا يعنى قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله * آخر تفسير سورة المطففين

(تفسير سورة الانشقاق وهى مكية)

قال مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبى سلمة ان أبا هريرة قرأ بهم اذا السماء انشقت فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها رواه مسلم والنسائى من طريق مالك به وقال البخارى حدثنا أبو النعمان حدثنا معتمر عن أبيه عن بكر عن أبى رافع قال صليت مع أبى هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبى القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال اسجد بها حتى ألقاه ورواه أيضا عن مسدد عن معتمر به ثم رواه عن مسدد عن يزيد بن زريع عن التيمى عن بكر عن أبى رافع فذكره وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى من طرق عن سليمان بن طرخان التيمى به وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة زاد النسائى وسفيان الثورى كلاهما عن أيوب بن موسى عن عطاء بن ميناء عن أبى هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك الذى خلق

(بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا انه كان فى أهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلى ان ربه كان

(انما أنت منذر من يخشاها) اى مخوف لمن يخشى قيام الساعة وذلك وظيفتك ليس عليك غيره من الاخبار بوقت قيام الساعة ونحوه مما استأثر الله بعلمه اذ لا مدخل لتعيين وقتها فى الانذار فان محض الانذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها فقصر حاله على الانذار فلا يتعداه الى علم الوقت وخص الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون بالانذار وان كان منذرا لكل مكلف من مسلم وكافر قرأ الجمهور باضافة منذر الى ما بعده وقرئ بالتنوين قال الفراء كلاهما صواب كقوله بالغ أمره وموهن كيد الكافرين قال أبو على الفارسى يجوز أن تكون الاضافة للماضى نحو ضارب زيد أمس وقال الزمخشرى التنوين هو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال (كأنهم) أى كفار قريش (يوم يرونها) أى يوم يرون الساعة ويعاينونها (لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) أى يستقصرون مدة لبثهم ويزعمون انهم لم يلبثوا الا قدر آخر نهار أو أوله أو قدر الضحى الذى يلى تلك العشية والمراد تقليل مدة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقيل لم يلبثوا فى قبورهم قال الفراء والزجاج المراد باضافة الضحى الى العشية اضافته الى يوم العشية على عادة العرب يقولون آتيك الغداة أو عشيتها وآتيك العشية أو غداتها فتكون العشية فى معنى آخر النهار والغداة فى معنى أول النهار وزاد أن الضحى والعشية لما كانتا من يوم واحد كان بينهما ملابسة مصححة لاضافة احداهما الى الاخرى قال المحلى وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة أى من الفواصل والجملة تقرير لما يدل عليه الانذار من سرعة مجىء المنذر به والعشية هى من الزوال الى غروب الشمس والضحى هو البكرة الى الزوال

(سورة عبس وتسمى سورة السفرة وسورة الاعمى وهى احدى أو اثنتان وأربعون آية)

وهى مكية فى قول الجميع وعن ابن عباس رضى الله عنه نزلت بمكة وعن ابن الزبير رضى الله عنه مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس وتولى) أى كلح بوجهه وقطب وأعرض وقرئ عبس بالتشديد بجىء فى هذه المواضع بضمائر الغائب اجلالا له صلى الله عليه وآله وسلم ولطفا به لما فى المشافهة بتاء الخطاب

به بصيرا) يقول تعالى اذا السماء انشقت وذلك يوم القيامة وأذنت لربها اى استمعت لربها واطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق وذلك يوم القيامة وحقت أى وحق لها ان تطيع أمره لانه العظيم الذى لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شئ وذل له كل شئ ثم قال واذا الارض مدت أى بسطت وفرشت ووسعت قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى عن على بن الحسين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول يارب ان هذا أخبرنى انك أرسلته الى فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يارب عبادك عبدوك فى أطراف الارض قال وهو المقام المحمود وقوله تعالى وألقت ما فيها وتخلت أى ألقت ما فى بطنها من الاموات وتخلت منهم قاله مجاهد وسعيد وقتادة وأذنت لربها وحقت كما تقدم وقوله يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا أى انك ساع الى ربك سعيا وعامل عملا فملاقيه ثم انك ستلقى ما عملت من خير او شر ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسى عن الحسن بن أبى جعفر عن أبى الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل يا محمد عش ما شئت فانك ميت وأحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك ملاقيه ومن الناس من يعيد الضمير على قوله ربك أى فملاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك وعلى هذا فكلا القولين متلازم قال العوفى عن ابن عباس يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا يقول تعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرا وقال قتادة يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا ان كدحك يا ابن آدم لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ولا قوة الا بالله ثم قال تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا أى سهلا بلا تعسير أى لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فان من حوسب كذلك هلك لا محالة وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل أخبرنا

ما لا يخفى (ان جاءه الاعمى) مفعول لاجله أى لان جاءه والعامل فيه اما عبس أو تولى على الاختلاف بين البصريين والكوفيين فى التنازع هل المختار اعمال الاول أو الثانى والمختار مذهب البصريين لعدم الاضمار فى الثانى وقد أجمع المفسرون على ان سبب نزول الآية أن قوما من أشراف قريش كانوا عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد طمع فى اسلامهم فاقبل (١) عبد الله ابن أم مكتوم فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه فاعرض عنه فنزلت وعن عائشة قالت أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم الاعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يا رسول الله أرشدنى وعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا ففى هذا أنزلت أخرجه الترمذى وحسنه وابن المنذر وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وعن أنس قال جاء ابن أم مكتوم وهو يكلم أبى بن خلف فاعرض عنه فأنزل الله عبس الخ وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك يكرمه أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو يعلى وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناجى عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبا جهل بن هشام وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم أن يؤمنوا فاقبل عليهم رجل أعمى يقال له عبد الله ابن أم مكتوم يمشى وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرئ النبى صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن قال يا رسول الله علمنى مما علمك الله فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعبس فى وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجواه وأخذ ينقلب الى أهله أمسك الله ببعض بصره ثم خفق برأسه ثم أنزل الله عبس وتولى الآية فلما نزل فيه ما نزل أكرمه نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلمه وقال له ما حاجتك هل تريد من شئ واذا ذهب من عنده قال هل لك حاجة فى شئ أخرجه ابن جرير وابن مردويه قال ابن كثير فيه غرابة وقد تكلم فى اسناده وقال المحلى فكان بعد ذلك يقول له اذا جاء مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه وقال الخازن استخلفه النبى صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة فى غزواته وكان من المهاجرين الاولين قيل قتل شهيدا بالقادسية قال أنس بن مالك رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء قرأ الجمهور ان جاءه

الاعمى

(١) قال بعض الافاضل الذى فى النووى على مسلم أن ابن أم مكتوم اسمه عبد الله بن عمرو وأم مكتوم زوجة عمرو فهى أم عبد الله ورأيت فى البخارى فى كتاب فضائل القرآن تسمية ابن أم مكتوم بعمرو وقال القسطلانى فى تفسير آية لا يستوى القاعدون ابن أم مكتوم اسمه عبد الله أو عمرو واسم أبيه زائدة اه سيد ذو الفقار أحمد سلمه ربه

أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب قالت فقلت أليس قال الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السختياني به وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أحد يحاسب يوم القيامة الا معذبا فقلت أليس الله يقول

فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذاك العرض انه من نوقش الحساب عذب وقال بيده على اصبعه كأنه ينكت وقد رواه أيضا عن عمر بن علي عن ابن أبي عدي عن أبي يونس القشيري عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة فذكر الحديث أخرجاه من طريق أبي يونس القشيري واسمه حاتم بن أبي صغيرة به قال ابن جرير وحدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا مسلم عن الحرث ابن الحرث أخي الزبير عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت من نوقش الحساب أو من حوسب عذب قال ثم قالت انما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم وقال أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا محمد ابن اسحق حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير عن عباد ابن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه انه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك صحيح على شرط مسلم وقوله تعالى وينقلب الى أهله مسرورا أي ويرجع الى أهله في الجنة قاله قتادة والضحاك مسرورا أي فرحان مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تعملون أعمالا لا تعرف ويوشك العازب أن يثوب الى أهله فمسرور أو مكظوم وقوله تعالى وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي بشماله من وراء ظهره تثنى يده الى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك فسوف يدعو ثبورا أي خسارا وهلاكا ويصلى سعيرا انه كان في أهله مسرورا أي فرحا لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل انه ظن ان لن يحور أي كان يعتقد انه لا يرجع الى الله ولا يعيده بعد موته قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما والحور هو الرجوع قال الله بلى ان ربه كان به بصيرا يعني بلى سيعيده الله كما

الاعمى على الخبر بدون الاستفهام ووجهه ما تقدم وقرأ الحسن آن جاءه بالمد على الاستفهام فهو على هذه القراءة متعلق بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى والتقدير ان جاءه الاعمى تولى وأعرض (وما يدريك) التفت سبحانه من الغيبة الى خطاب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لان المشافهة ادخل في العتاب أي أي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وجملة (لعله يزكى) مستأنفة لبيان أن له شأنا ينافي الاعراض عنه أي لعله يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منك لا من الشرك لانه أسلم قديما بمكة فالضمير في لعله راجع الى الاعمى وقيل هو راجع الى الكافر أي وما يدريك ان ما طمعت فيه ممن اشتغلت بالكلام معه عن الاعمى انه يزكى أو يذكر والاول أولى وكلمة الترجي باعتبار من وجه اليه الخطاب للتنبيه على ان الاعراض عنه مع كونه مرجو التزكي مما لا يجوز ومثل هذه الآية قوله في سورة الانعام ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وكذلك قوله في سورة الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا (أو يذكر) عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي أي أو يتذكر فيتعظ بما تعلمه من المواعظ (فتنفعه الذكرى) اى الموعظة المسموعة منك قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بالنصب على جواب الترجي أي انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت ما فرط ذلك منك (أما من استغنى) أي كان ذا ثروة وغنى أو استغنى عن الايمان وعما عندك من العلم الذي ينطوي عليه القرآن (فأنت له تصدى) أي تصغى لكلامه والتصدي الاصغاء وقيل هو من الصدى وهو الصوت المسموع في الاماكن الخالية والاجرام الصلبة وقيل من الصدى وهو العطش والمعنى على التعرض قرأ الجمهور تصدى بالتخفيف على طرح احدى التاءين تخفيفا وقرأ نافع وابن محيصن بالتشديد على الادغام وفي هذا مزيد تنفير له صلى الله عليه وآله وسلم عن الاقبال عليهم والاصغاء الى كلامهم (وما عليك ان لا يزكى) أي أي شيء عليك في ان لا يسلم ولا يهتدي فانه ليس عليك الا البلاغ فلا تهتم بأمر من كان هكذا من الكفار ويجوز أن تكون ما نافية أي ليس عليك بأس في ان لا يتزكى من تصديت له وأقبلت عليه وتكون الجملة في محل نصب على الحال من ضمير تصدى ثم زاد سبحانه في معاتبة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وأما من جاءك يسعى) أي وصل اليك حال كونه مسرعا في المجيء اليك طالبا منك ان ترشده الى الخير

بيأ ومجازيه على أعماله خيرها وشرها فانه كان به بصيرا أي عليما خبيرا ﴿فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ روى عن علي وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وشداد ابن أوس وابن عمر ومحمد بن علي بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزني وبكير بن الاشج ومالك وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون انهم قالوا الشفق الحمرة

وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن ابن لبيبة عن أبي هريرة قال الشفق البياض فالشفق هو حمرة الافق اما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد واما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة قال الخليل بن أحمد الشفق الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشاء الآخرة فاذا ذهب قيل غاب الشفق وقال الجوهري الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل الى قريب من العتمة وكذا قال عكرمة الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وقت المغرب ما لم يغب الشفق ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل ولكن صح عن مجاهد انه قال في هذه الآية فلا اقسم بالشفق هو النهار كله وفي رواية عنه أيضا انه قال الشفق الشمس رواه ابن أبي حاتم وانما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى والليل وما وسق أي جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام وقال ابن جرير أقسم الله بالنهار مدبرا وبالليل مقبلا قال ابن جرير وقال آخرون الشفق اسم للحمرة والبياض وقالوا هو من الاضداد قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وما وسق وما جمع قال الى قتادة وما جمع من نجم ودابة واستشهد ابن عباس بقول الشاعر * مستوسقات لو يجدن سائقا * وقد قال عكرمة والليل وما وسق يقول ما ساق من ظلمة اذا كان الليل ذهب كل شئ الى مأواه وقوله تعالى والقمر اذا اتسق قال ابن عباس اذا اجتمع واستوى وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد والقمر اذا اتسق اذا استوى وقال الحسن اذا اجتمع اذا امتلأ وقال قتادة اذا استدار ومعنى كلامهم انه اذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا لليل وما وسق وقوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق قال البخاري أخبرنا سعيد بن النضر أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال قال ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق

وتعظه مواعظ الله ﴿وهو يخشى﴾ حال من فاعل يسعى على التداخل أو من فاعل جاءك على الترادف أي يخشى الله أو أذى الكفار يعني ابن أم مكتوم ﴿فأنت عنه تلهى﴾ أي تتشاغل عنه وتعرض عن الاقبال عليه والتلهي التشاغل والتغافل يقال لهيت عن الامر ألهى أي تشاغلت عنه وكذا تلهيت وليس هو من اللهو في شئ ولم يجعل من اللهو لانه مسند الى ضمير النبي ولا يليق بمنصبه الكريم ان ينسب اليه الفعل من اللهو بخلاف الاشتغال فانه يجوز أن يصدر منه في بعض الاحيان ولا ينبغي ان يعتقد غير هذا وقوله ﴿كلا﴾ ردع له صلى الله عليه وآله وسلم عما عوتب عليه أي لا تفعل بعد هذا الواقع منك مثله من الاعراض عن الفقير والتصدي للغني والتشاغل به مع كونه ليس ممن يتزكى عن ارشاد من جاءك من اهل التزكي والقبول للموعظة وهذا الواقع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو من باب ترك الاولى فارشده الله سبحانه الى ما هو الاولى به ﴿انها تذكرة﴾ أي ان هذه الآيات أو السورة موعظة حقها ان تتعظ بها وتقبلها وتعمل بموجبها وتعمل بها كل أمتك ﴿فمن شاء ذكره﴾ اي فمن رغب فيها اتعظ بها وحفظها وعمل بموجبها ومن رغب عنها كما فعله من استغنى فلا حاجة الى الاهتمام بأمره قيل الضميران في انها وفي ذكره للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة أو للآيات السابقة والثاني للتذكرة لانها في معنى الذكر وقيل المعنى فمن شاء الله ألهمه وفهمه القرآن حتى يذكره ويتعظ به والاول أولى ثم اخبر سبحانه عن عظم هذه التذكرة وجلالتها فقال ﴿في صحف﴾ أي انها تذكرة كائنة في صحف فالجار والمجرور صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض والصحف جمع صحيفة ومعنى ﴿مكرمة﴾ انها مكرمة عند الله لما فيها من العلم والحكمة أو لانها نازلة من اللوح المحفوظ وقيل المراد بالصحف كتب الانبياء كما في قوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ﴿مرفوعة﴾ أي انها رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة في السماء السابعة قال الواحدي قال المفسرون مكرمة يعني في اللوح المحفوظ مرفوعة يعني في السماء السابعة قال ابن جرير مرفوعة القدر والذكر وقيل مرفوعة عن الشبه والتناقض ﴿مطهرة﴾ اي منزهة لا يمسها الا المطهرون قال الحسن مطهرة من كل دنس قال السدي مصانة عن الكفار لا ينالونها وقال المحلي منزهة عن مس الشياطين انتهى وفيه ان الصحف بايدي الملائكة في السماء والشياطين لا يصلون

حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون قوله نبيكم مرفوعا على الفاعلية من قال وهو الاظهر والله أعلم كما قال أنس لا يأتي عام الا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وقال ابن جرير حدثني يعقوب ابن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد ان ابن عباس كان يقول لتركبن طبقا عن طبق قال يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول حالا بعد حال هذا لفظه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

طبقا عن طبق حالا بعد حال وكذا قال عكرمة ومرة الطيب ومجاهد والحسن والضحاك ويحتمل ان يكون المراد لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال قال هذا يعني المراد بهذا نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون مرفوعا على ان هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبرا والله اعلم ولعل هذا قد يكون هو المتبادر الى كثير من الرواة كما قال أبو داود الطيالسي وغندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق قال محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتركبن بفتح التاء والباء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن الشعبي لتركبن طبقا عن طبق قال لتركبن يا محمد سماء بعد سماء وهكذا روى عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية طبقا عن طبق سماء بعد سماء (قلت) يعنون ليلة الاسراء وقال أبو اسحق والسدي عن رجل عن ابن عباس طبقا عن طبق منزلا على منزل وكذا رواه العوفي عن ابن عباس مثله وزاد فقال امرا بعد أمر وحالا بعد حال وقال السدي نفسه لتركبن طبقا عن طبق أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل قلت كأنه أراد معنى الحديث الصحيح لتركبن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وهذا محتمل وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا ابن جابر انه سمع مكحولا يقول في قول الله لتركبن طبقا عن طبق قال في كل عشرين سنة تحدثون أمرا لم تكونوا عليه وقال الاعمش حدثنا ابراهيم قال قال عبد الله لتركبن طبقا عن طبق قال السماء تنشق ثم تحمر ثم تكون لونا بعد لون قال الثوري عن قيس بن وهب

الى السماء فلا يظهر مدح الصحف بتطهيرها عن مسهم فليتأمل قاله سليمان الجمل (بأيدي سفرة) جمع سافر ككتبة وكاتب قال ابن عباس سفرة كتبة وقال هم بالنبطية القراء والمعنى انها بأيدي كتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ قال الفراء السفرة هنا الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله ورسوله من السفارة وهو السعي بين القوم قال الزجاج انما قيل للكاتب سفر بكسر السين والكاتب سافر لان معناه انه بين يقال اسفر الصبح اذا أضاء وسفرت المرأة اذا كشفت النقاب عن وجهها ومنه سفرت بين القوم أسفر سفارة أي اصلحت بينهم قال مجاهد هم الملائكة الكرام الكاتبون لاعمال العباد وقال قتادة السفرة هنا هم القراء لانهم يقرؤن الاسفار وقال وهب بن منبه هم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم أثنى سبحانه على السفرة فقال (كرام) على ربهم كذا قال الكلبي وقال الحسن كرام عن المعاصي فهم يرفعون أنفسهم عنها وقيل يتكرمون ان يكونوا مع ابن آدم اذا خلا بزوجته أو قضى حاجته وقيل يؤثرون منافع غيرهم على منافعهم وقيل يتكرمون على المؤمنين بالاستغفار لهم (بررة) جمع بار مثل كفرة وكافر أي أتقياء مطيعون لربهم صادقون في ايمانهم وقد تقدم تفسيره وقال ابن عباس هم الملائكة اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران (قتل الانسان ما أكفره) أي لعن الانسان الكافر ما اشد كفره قال الكرخي وهذا دعاء عليه بأشنع الدعوات وان ذلك ورد على أسلوب كلام العرب لبيان استحقاقه لاعظم العقاب حيث أتى بأعظم القبائح كقولهم اذا تعجبوا من شئ قاتله الله ما أخبثه أخزاه الله ما أظلمه قال الشاعر

يتمنى المرء في الصيف الشتا * فاذا جاء الشتا أنكره
لا بذا يرضى ولا يرضى بذا * قتل الانسان ما أكفره

وقيل معناه اي شئ أكفره أي دعاه الى الكفر وهو استفهام توبيخ والظاهر هو الاول قيل المراد بالانسان عتبة بن أبي لهب ومعنى ما أكفره التعجب من افراط كفره قال الزجاج معناه اعجبوا أنتم من كفره وقيل المراد بالانسان من تقدم ذكره في قوله اما من استغنى وقيل المراد به الجنس وهذا هو الاولى فيدخل تحته كل كافر شديد الكفر ويدخل تحته

من كان سببا لنزول الآية دخولا أوليا ثم ذكر سبحانه ما كان ينبغي لهذا الكافر ان ينظر فيه حتى ينزجر عن كفره ويكف عن طغيانه فقال (من أي شيء خلقه) اي من أي شيء خلق الله هذا الكافر والاستفهام للتقرير أو التحقير والاول أظهر لان الاستفهام ذكروا من معانيه التقرير لكن التحقير أخص بالمقام وجمع بعضهم بينهما فقال الاستفهام هنا للتقرير التحقير قال الشهاب ولو قيل انه للتقرير والتحقير مستفاد من شيء المنكر لكان له وجه ثم فسر سبحانه ذلك فقال (من نطفة) اي من ماء مهين وهذا كمال تحقيره قال الحسن كيف يتكبر من خرج من مخرج البول مرتين (خلقه فقدره) اي فسواه وهيأه لمصالح نفسه وخلق له اليدين والرجلين والعينين وسائر الآلات والحواس وقيل قدره أطوارا من حال الى حال نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه والفاء للترتيب في الذكر (ثم السبيل يسره) اي يسر له الطريق الى الخير والشر وقال السدي ومقاتل وعطاء وقتادة يسره للخروج من بطن أمه قال بعضهم ان رأس المولود في بطن أمه من فوق ورجليه من تحت فهو في بطن أمه على الانتصاب فاذا جاء وقت خروجه انقلب بالهام من الله تعالى ذكره الرازي والاول أولى ومثله قوله وهديناه النجدين وانتصاب السبيل بمضمر يدل عليه الفعل المذكور أي يسر السبيل يسره (ثم أماته فأقبره) اي جعله بعد ان أماته ذا قبر يواري فيه اكراما له ولم يجعله مما يلقى على وجه الارض تأكله السباع والطير كذا قال الفراء وقال أبو عبيدة جعل له قبرا وأمر أن يقبر فيه وقال أقبره ولم يقل قبره لان القابر هو الدافن بيده والمقبر هو الله تعالى يقال قبر الميت اذا دفنه بيده وأقبره اذا أمر غيره أن يجعله في قبر وعد الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم (ثم اذا شاء) انشاره (أنشره) اي أحياه بعد موته وعلق الانشار بالمشيئة للدلالة على ان وقته غير متعين بل هو تابع للمشيئة واما سائر الاحوال المذكورة قبل ذلك فانها تعلم أوقاتها من بعض الوجوه فلم تفوض الى مشيئته تعالى قرأ الجمهور أنشره وقرئ نشره وهما لغتان فصيحتان (كلا) ردع وزجر للانسان الكافر عما هو عليه من التكبر والتجبر والترفع والاصرار على انكار التوحيد والبعث والحساب أي ليس الامر كما يقول (لما يقض ما أمره) الله به من العمل بطاعته واجتناب معاصيه وقيل المراد الانسان على العموم وانه لم يفعل ما أمره الله به مع طول المدة

عن مرة عن ابن مسعود طبقا عن طبق قال السماء مرة كالدهان ومرة تنشق وروى البزار من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود لتركبن طبقا عن طبق يا محمد يعني حالا بعد حال ثم قال ورواه جابر عن مجاهد عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير لتركبن طبقا عن طبق قال قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة وآخرون كانوا أشرافا في الدنيا فاتضعوا في الآخرة وقال عكرمة طبقا عن طبق حالا بعد حال فطيما بعد ما كان رضيعا وشيخا بعد ما كان شابا وقال الحسن البصري طبقا عن طبق يقول حالا بعد حال رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء وغنى بعد فقر وفقرا بعد غنى وصحة بعد سقم وسقما بعد صحة وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن داهر حدثني أبي عن عمرو بن شمر عن جابر هو الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن آدم لفي غفلة مما خلق له ان الله تعالى اذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب أثره اكتب شقيا أو سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله اليه ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيآته فاذا حضره الموت ارتفع ذلك الملكان وجاءه ملك الموت فقبض روحه فاذا دخل قبره رد الروح في جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيآت فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائقا وآخر شهيدا ثم قال الله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق قال حالا بعد حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قدامكم لأمرا عظيما لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم هذا حديث منكر واسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين والصواب من التأويل قول من قال لتركبن أنت يا محمد حالا بعد حال وأمرا بعد أمر من الشدائد والمراد بذلك وان كان الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم موجها جميع الناس انهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالا وقوله تعالى فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون أي فما ذا يمنعهم من الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم

اذا قرأت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون اعظاما واكراما واحتراما وقوله تعالى بل الذين كفروا يكذبون أى من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق والله أعلم بما يوعون قال مجاهد وقتادة يكتمون فى صدورهم فبشرهم بعذاب أليم أى فاخبرهم يا محمد بان الله عز وجل قد أعد لهم عذابا أليما وقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هذا استثناء منقطع يعنى لكن الذين آمنوا أى بقلوبهم وعملوا الصالحات أى بجوارحهم لهم اجر أى فى الدار الآخرة غير ممنون قال ابن عباس غير منقوص وقال مجاهد والضحاك غير محسوب وحاصل قولهما انه غير مقطوع كما قال تعالى عطاء غير مجذوذ وقال السدى قال بعضهم غير ممنون غير منقوص وقال بعضهم غير ممنون عليهم وهذا القول الاخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد فان الله عز وجل له المنة على أهل الجنة فى كل حال وآن ولحظة وانما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائما سرمدا والحمد لله وحده ابدا ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين * آخر تفسير سورة الانشقاق ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

* (تفسير سورة البروج وهى مكية) *

قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبى سلمة حدثنا أبو المخزم عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق وقال أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا حماد بن عباد السدوسى سمعت أبا المخزم يحدث عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يقرأ بالسموات فى العشاء تفرد به أحمد

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * (والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهى النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدى البروج النجوم وعن مجاهد أيضا البروج التى فيها الحرس وقال يحيى بن رافع البروج قصور فى السماء وقال المنهال بن عمرو والسماء ذات البروج الخلق الحسن واختار ابن خثيمة انها منازل

المدة لانه لا يخلو من تقصير قال الحسن أى حقا لم يعمل ما أمر به وقال ابن فورك أى كلا لم يقض لهذا الكافر ما أمره به من الايمان بل أمره بما لم يقض له قال ابن الانبارى الوقف على كلا قبيح والوقف على أمره وانشره جيد وكلا على هذا بمعنى حقا وقيل المعنى لما يقض جميع افراد الانسان ما أمره بل اخل به بعضها بالكفر وبعضها بالعصيان وما قضى ما امره الله به الا القليل وقال بعضهم ما لابن آدم والفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بينهما حامل عذرة ثم شرع سبحانه فى تعداد نعمه على عباده ليشكروها وينزجروا عن كفرانها بعد ذكر النعم المتعلقة بحدوثهم فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) أى ينظر كيف خلق الله طعامه الذى جعله سببا لحياته وكيف هيأله أسباب المعاش يستعد بها للسعادة الاخروية قال مجاهد الى مدخله ومخرجه وبه قال ابن الزبير والاول أولى وعن ابن عباس قال الى خرئه اخرجه ابن أبى الدنيا ثم بين سبحانه ذلك فقال (انا صببنا الماء صبا) قرأ الجمهور انا بالكسر على الاستئناف وقرأ الكوفيون وورش عن يعقوب بالفتح على انه بدل من طعامه بدل اشتمال لكون نزول المطر سببا لحصول الطعام فهو كالمشتمل عليه أو بتقدير لام العلة قال الزجاج الكسر على الابتداء والاستئناف والفتح على معنى البدل من الطعام والمعنى فلينظر الانسان الى انا صببنا الماء صبا وأراد بصب الماء المطر وبه قال ابن عباس وقرأ الحسن بن على رضى الله عنهما بالفتح والامالة (ثم شققنا الارض) بالنبات الخارج منها بسبب نزول المطر (شقا) بديعا لائقا بما يخرج منه فى الصغر والكبر والشكل والهيئة قال ابن عباس شقها عن النبات قال البيضاوى أسند الشق الى نفسه تعالى اسناد الفعل الى السبب وتبع فى ذلك الزمخشرى وقدرده فى الانتصاف بانه تعالى موجد الاشياء فالاسناد اليه تعالى حقيقة وانما ذكره الزمخشرى اعتزالا فان افعال العباد مخلوقة لهم عنده ورده المدقق فى الكشف بانه ليس مبنيا على ماذكر بل لان الفعل انما يسند حقيقة لمن قام به لا لمن أوجده فالاعتراض عليه ناشئ من قلة التدبر افاده الشهاب ثم بين سبب هذا الشق وما وقع لاجله فقال (فأنبتنا فيها حبا) يعنى الحبوب التى يتغذى بها والمعنى ان النبات لا يزال ينمو ويتزايد الى ان يصير حبا (و) انبتنا فيها (عنبا) قيل وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلو نبات العنب عن شق

الشمس والقمر وهي اثناعشر برجا تسير الشمس في كل واحد منها شهرا ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلثا فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستتر ليلتين وقوله تعالى واليوم الموعود وشاهد ومشهود اختلف المفسرون في ذلك وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي حدثنا عبيد الله يعني ابن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الانصاري عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل (١٩٢) من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه ولا يستعيذ فيه من شر الا أعاذه ومشهود يوم عرفة وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث وقد روي موقوفا على أبي هريرة وهو أشبه وقال الامام أحمد حدثنا محمد حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة أما علي فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأما يونس فلم يعد أبا هريرة انه قال في هذه الآية وشاهد ومشهود قال يعني الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهود يوم القيامة وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمارا مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة انه قال في هذه الآية وشاهد ومشهود قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة وقد روي عن أبي هريرة انه قال اليوم الموعود يوم القيامة وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون في ذلك ولله الحمد ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف حدثنا محمد بن اسمعيل بن عياش حدثني أبي حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة وان الشاهد يوم الجمعة وان المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا ثم قال ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا ابن أبي فديك عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شعبة عن علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس قال الشاهد هو محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مجموع له الناس

الارض قلت بل يمكن التقييد ويكون باعتبار أصل نبات العنب فقيه شق الارض (وقضبا) هو القت الرطب الذي يقضب مرة بعد أخرى تعلف به الدواب ولهذا سمي قضبا على مصدر قضبه أي قطعه كأنه لتكرر قطعه نفس القطع قال الخليل القضب الفصفصة الرطبة فاذا يبس فهي القت قال في الصحاح والقضبة والقضب الرطبة قال والموضع الذي تنبت فيه المقضبة قال القتيبي وثعلب واهل مكة يسمون العنب القضب قال ابن عباس القضب الفصفصة يعني القت (وزيتونا) هو ما يعصر منه الزيت وهي شجرة الزيتون المعروفة (ونخلا) هو جمع نخلة (وحدائق غلبا) جمع حديقة وهي البستان والغلب العظام الغلاظ الرقاب قال مقاتل ومجاهد الغلب الملتف بعضها ببعض يقال رجل أغلب اذا كان عظيم الرقبة ويقال للاسد أغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت الا جميعا وجمع أغلب وغلباء غلب كما جمع أحمر وحمراء على حمر يقال حديقة غلباء أي غليظة الشجر ملتفة فالحدائق ذات أشجار غلاظ فهو مجاز مرسل وفيه تجوز في الاسناد أيضا لان الحدائق نفسها ليست غليظة بل الغليظ أشجارها وقال قتادة وابن زيد الغلب النخل الكرام وعن ابن زيد أيضا وعكرمة هي غلاظ الاوساط والجذوع وقال ابن عباس غلبا طوالا وعنه قال الحدائق كل ملتف والغلب ما غلظ وعنه قال شجر في الجنة يستظل به لا يحمل شيأ (وفاكهة) عطف عام فيدخل فيها رطب وعنب ورمان وأترج وتمر وزبيب وغير ذلك وهذا بالنظر لعطفه على عنبا وأما اذا عطف على حدائق كما هو المتبادر فهو عطف خاص على عام كما لا يخفى ثم الفاكهة ما يأكله الناس من ثمار الاشجار كالعنب والتين والخوخ ونحوها (وأبا) هو كل ما أنبتت الارض مما لا يأكله الناس ولا يزرعونه من الكلا وسائر أنواع المرعى قال الضحاك الاب كل شئ ينبت على وجه الارض وقال ابن أبي طلحة هو الثمار الرطبة وبه قال ابن عباس وروى عن الضحاك أيضا انه قال هو التين خاصة والاول أولى وعن ابن عباس أيضا الاب ما أنبتت الارض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس وعنه قال الاب الكلأ والمرعى وعن ابراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق عن الاب ما هو فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم اخرجه أبو عبيد في فضائله وعبد بن حميد وعن عبد الله بن يزيد ان رجلا سأل عمر عن قوله أبا فلما رآهم يقولون أقبل عليهم بالدرة أخرجه عبد بن حميد وعن أنس ان عمر قرأ على المنبر فأنبتنا فيها

وذلك يوم مشهود وحدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن شباك قال سأل رجل الحسن بن علي عن وشاهد ومشهود قال سألت أحدا قبلي قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا يوم الذبح ويوم الجمعة فقال لا ولكن الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرأ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وهكذا قال الحسن البصري وقال سفيان الثوري عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب ومشهود يوم القيامة وقال مجاهد وعكرمة والضحاك الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة وعن عكرمة أيضا (١٩٣) الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم الجمعة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس وشاهد ومشهود قال الشاهد الانسان والمشهود يوم الجمعة هكذا رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس وشاهد ومشهود الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة وبه عن سفيان الثوري عن مغيرة عن ابراهيم قال يوم الذبح ويوم عرفة يعني الشاهد والمشهود قال ابن جرير وقال آخرون المشهود يوم الجمعة ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد ابن عبد الرحمن حدثني عمي عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وعن سعيد بن جبير الشاهد الله وتلا وكفى بالله شهيدا والمشهود نحن حكاه البغوي وقال الاكثرون على ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقوله تعالى قتل أصحاب الاخدود أي لعن أصحاب الاخدود وجمعه أخاديد وهي الحفر في الارض وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا الى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الارض أخدودا وأججوا فيه نارا وأعدوا لها وقودا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها ولهذا قال تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون

حبا وعنبا الى قوله وابا قال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفض عصا كانت في يده فقال هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك ان لا تدري ما الاب اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب فاعملوا عليه وما لم تعرفوه فكلوه الى ربه اخرجه ابن سعد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب والخطيب قال المحلي أبا أي ماترعاه البهائم أي سواء كان رطبا أو يابسا فهو اعم من القضب وقيل التين وعليه فالمغايرة بينه وبين القضب ظاهرة (متاعا لكم) منصوب بأنبتنا لانه مصدر مؤكد لعامله لان انباته الاشياء امتاع لجميع الحيوانات ويحتمل ان العامل محذوف تقديره فعل ذلك متاعا لكم أو متعكم بذلك تمتيعا لكم (ولانعامكم) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ثم شرع سبحانه في بيان احوال المعاد فقال (فاذا جاءت الصاخة) يعني صيحة يوم القيامة وسميت صاخة لشدة صوتها لانها تصخ الآذان أي تصمها فلا تسمع وقيل لانها تصخ لها الاسماع من قولك اصاخ الى كذا اي استمع اليه والاول اصح قال الخليل الصاخة صيحة تصخ الآذان حتى تصمها لشدة وقعها واصل الكلمة في اللغة مأخوذ من الصك الشديد يقال صخه بالحجر اذا صكه به وقال ابن عباس الصاخة من اسماء يوم القيامة قال ابن الاعرابي الصاخة التي تورث الصمم وانها المسمعة وهذا من بديع الفصاحة والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله الآتي لكل امرئ منهم الخ أي فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل أحد بنفسه (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) الظرف اما بدل من اذا جاءت أو منصوب بمقدر اي أعني ويكون تفسيرا للصاخة أو بدلا منها مبني على الفتح وخص هؤلاء بالذكر لانهم اخص القرابة وأولاهم بالحنو والرأفة فالفرار منهم لا يكون الا لهول عظيم وخطب فظيع وتبعات بينه وبينهم والمراد بالفرار التباعد والمعنى انه لا يلتفت الى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه قيل أول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح والعموم اولى وقيل انما يفر عنهم حذرا من مطالبتهم اياه بما بينهم وقيل يفر عنهم لئلا يروا ما هو فيه من الشدة وقيل لعلمه بانهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيأ كما قال تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ قال عبد الله بن طاهر الابهري يفر منهم لما يتبين له من عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب عنه

بالمؤمنين شهود أى مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين قال الله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد أى وما كان لهم عندهم ذنب الا ايمانهم بالله العزيز الذى لا يضام من لاذ بجنابه المنيع الحميد فى جميع أقواله وافعاله وشرعه وقدره وان كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذى وقع بهم بأيدى الكفار به فهو العزيز الحميد وان خفى سبب ذلك على كثير من الناس ثم قال تعالى الذى له ملك السموات والارض من تمام الصفة انه المالك لجميع السموات والارض وما فيهما وما بينهما والله على كل شئ شهيد أى لا يغيب عنه شئ فى جميع السموات والارض ولا تخفى عليه خافية وقد اختلف أهل التفسير فى أهل هذه القصة من هم فعن على رضى الله عنه انهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماؤهم فعمد الى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم الى اليوم وعنه انهم كانوا قوما باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخدوا لهم الاخاديد وأحرقوهم فيها وعنه انهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشى وقال العوفى عن ابن عباس قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود قال ناس من بنى اسرائيل خدوا أخدودا فى الارض ثم أوقدوا فيها نارا ثم أقاموا على تلك الاخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها وزعموا انه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك وقد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك انى قد كبر سنى وحضر أجلى فادفع الى غلاما لأعلمه السحر فدفع اليه غلاما كان يعلمه السحر وكان بين الساحر صلى وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان اذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك واذا أتى أهله ضربوه وقالوا ما حبسك فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسنى أهلى واذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسنى الساحر قال فبينما هو ذات يوم اذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب الى الله أم أمر الساحر قال فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك وأرضى من

ولو ظهر له ذلك فى الدنيا لما اعتمد شيأ سوى ربه تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أى لكل انسان يوم القيامة شأن يشغله عن الاقرباء ويصرفه عنهم والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب الفرار قال ابن قتيبة يغنيه أى يصرفه عن قرابته ومنه يقال اغن عنى وجهك أى اصرفه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة فقالت امرأة ايبصر أحدنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قرأ الجمهور يغنيه بالغين المعجمة وقرأ ابن محيصن بالعين المهملة مع فتح الياء أى يهمه من عناه الامر اذا أهمه ثم بين مآل أمر المذكورين وانقسامهم الى الاشقياء والسعداء بعد وقوعهم فى داهية عظيمة فقال (وجوه) مبتدأ وان كان نكرة لانه فى مقام التفصيل وحيز التنويع وهو من مسوغات الابتداء بالنكرة (يومئذ) متعلق به ومعنى (مسفرة) مشرقة متهللة مضيئة وبه قال ابن عباس وهى وجوه المؤمنين لانهم قد علموا اذ ذاك مالهم من النعيم والكرامة يقال أسفر الصبح اذا أضاء قال الضحاك مسفرة من آثار الوضوء وقيل من قيام الليل وقيل من الغبار فى سبيل الله (ضاحكة) عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) أى فرحة بما نالته من الثواب الجزيل وكرامة الله ورضوانه ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال المؤمنين ذكر حال الكفار فقال (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أى غبار وكدورة لما تراه مما أعده الله لها من العذاب (ترهقها قترة) أى يغشاها ويعلوها سواد وكسوف ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه والقتر فى كلام العرب الغبار كذا قال أبو عبيدة ويدفع ما قاله أبو عبيدة تقدم ذكر الغبرة فانها واحدة الغبار وقال زيد بن أسلم القترة ما ارتفعت الى السماء والغبرة ما انحطت الى الارض قال ابن عباس ذلة وشدة وعنه انه قال قترة سواد الوجه (أولئك) يعنى أصحاب الوجوه وأهل هذه الحالة (هم الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر أى الجامعون بين الكفر بالله والفجور ولذلك جمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر يقال فجر أى فسق وفجر أى كذب وبابه ما دخل وأصله الميل والفاجر المائل عن الحق

(سورة التكوير تسع وعشرون آية وهى مكية بلا خلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن عائشة وابن الزبير مثله وعن ابن عمر قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أخرجه أحمد والترمذى وحسنه وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه قال الكازرونى مناسبتها لما قبلها انه لما ذكر بعض أحوال القيامة فيما قبلها أردفه ببعض أحوالها الأخر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كورت) أى أظلمت قاله ابن عباس ارتفاع الشمس بفعل محذوف يفسره مابعده على الاشتغال وهذا عند البصريين وأعرب الزمخشرى الشمس فاعلا لفعل مقدر يدل عليه كورت ومنع أن يرتفع بالابتداء لان اذا تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط ومامنعه من وقوع المبتدأ بعدها أجازه الاخفش والكوفيون وأجازوا اذا زيدا كرمك فأكرمه ولكن الاولى ماذكره والتكوير الجمع وهو مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها قال الزجاج لفت كما تلف العمامة يقال كورت العمامة على رأسى أكورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها قال أبو عبيدة كورت مثل تكوير العمامة تلف فتجمع قال الربيع بن خثيم كورت أى رمى بها ومنه كورته فتكور أى سقط وقال مقاتل وقتادة والكلبى ذهب ضوؤها وقال مجاهد اضمحلت وقيل غورت قال الواحدى قال المفسرون تجمع الشمس بعضها الى بعض ثم تلف فيرمى بها فالحاصل أن التكوير اما بمعنى لف جرمها أو لف ضوئها أو الرمى بها والمعنى طويت كطى السجل عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر يكوران يوم القيامة أخرجه البخارى قيل انهما جمادان فالقاؤهما فى النار يكون سببا لازدياد الحر فى جهنم واذا ظرف فى هذه المواضع الاثنى عشر وجوابها علمت نفس كما سيأتى (واذا النجوم انكدرت) أى تهافتت وتساقطت وانقضت وتناثرت يقال انكدر الطائر من الهوى اذا انقض والاصل فى الانكدار الانصباب قال الخليل يقال انكدر عليهم القوم اذا جاؤا أرسالا فانصبوا عليهم قال أبو عبيدة انصبت كما ينصب العقاب قال الكلبى وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم فى السماء الا وقع على الارض وقيل انكدارها طمس نورها وقال ابن عباس تغيرت وعن أبى مريم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كورت فى جهنم وانكدرت فى جهنم فكل من عبد دون الله فهو فى جهنم الا ما كان من عيسى وأمه ولو رضيا أن يعبدا

أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال اى بنى انت أفضل منى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص وسائر الادواء ويشفيهم وكان للملك جليس فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفنى ولك ماههنا أجمع فقال ما أنا أشفى أحدا انما يشفى الله عز وجل فان آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يافلان من رد عليك بصرك فقال ربى فقال أنا قال لا ربى وربك الله قال ولك رب غيرى قال نعم ربى وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فبعث اليه فقال أى بنى بلغ من سحرك أن تبرئ الاكمه والابرص وهذه الادواء قال ما أشفى أنا أحدا انما يشفى الله عز وجل قال أنا قال لا قال أولك رب غيرى قال ربى وربك الله فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأتى بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه وقال للاعمى ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه الى الارض وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر الى جبل كذا وكذا وقال اذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فدهدهوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك فقال كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر فى قرقور فقال اذا لججتم البحر فان رجع عن دينه والا فغرقوه بالبحر فلججوا به البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به فان أنت فعلت ما آمرك به قتلتنى والا فانك لا تستطيع قتلى قال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى ثم قل بسم الله رب الغلام فانك اذا فعلت ذلك قتلتنى ففعل ووضع السهم فى كبد قوسه ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع السهم فى صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الاخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه والا

فاقحموه فيها قال فكانوا يتعادون فيها و يتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي
اصبري يا أماه فانك على الحق وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به بنحوه ورواه النسائي عن أحمد بن
سليمان عن عفان عن حماد بن سلمة ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت به واختصروا أوله وقد جوده الامام أبو عيسى الترمذي
فرواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد المعنى واحد قالا أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البناني عن عبد
الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى العصر همس والهمس في بعض قولهم
تحرك شفتيه كأنه يتكلم فقيل له
انك يا رسول الله اذا صليت العصر
همست قال ان نبيا من الانبياء
كان أعجب بأمته فقال من يقوم
لهؤلاء فاوحى الله اليه ان خيرهم
بين ان أنتقم منهم و بين أن أسلط
عليهم عدوهم فاختاروا النقمة فسلط
الله عليهم الموت فمات منهم في يوم
سبعون ألفا قال وكان اذا حدث
بهذا الحديث حدث بهذا الحديث
الآخر قال وكان ملك من الملوك
وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له
فقال الكاهن انظروا الى غلاما فهما
أو قال فطنا لقنا فاعلمه علمي هذا
فذكر القصة بتمامها وقال في آخره
يقول الله عز وجل قتل أصحاب
الاخدود النار ذات الوقود حتى بلغ
العزيز الحميد قال فاما الغلام فانه
دفن فيذكر انه أخرج في زمان عمر
ابن الخطاب واصبعه على صدغه كما
وضعها حين قتل ثم قال الترمذي
حسن غريب وهذا السياق ليس
فيه صراحة ان سياق هذه القصة
من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي
فيحتمل أن يكون من كلام صهيب
الرومي فانه كان عنده علم من أخبار النصارى والله أعلم وقد أورد محمد بن اسحق بن يسار هذه القصة في السيرة
بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها
ان أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان وكان في قرية من قراها قريبا من نجران ونجران هي القرية العظمى التي اليها
جماع أهل تلك البلاد ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيمون ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه قالوا نزلها رجل
فابتنى خيمة بين نجران و بين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث

لدخلاها أخرجه ابن أبي حاتم والديلمي (واذا الجبال سيرت) أي قلعت عن وجه الارض
وأبعدت ورفعت عن مكانها بعد تفتيتها وسيرت في الهوى سير السحاب ومنه قوله ويوم
نسير الجبال وترى الارض بارزة (واذا العشار عطلت) العشار النوق الحوامل التي في
بطونها أولادها الواحدة عشراء وهي التي قد أتى عليها في الحمل عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك
اسمها حتى تضع وخص العشار لانها أنفس مال عند العرب وأعزه عندهم ومعنى عطلت
تركت هملا بلا راع و بلا حلب قال أبي بن كعب أي أهملها أهلها وذلك لما شاهدوا من
الهول العظيم أو لاشتغالهم بأنفسهم قيل وهذا على وجه المثل لان يوم القيامة لا يكون
فيه ناقة عشراء بل المراد انه لو كان للرجل ناقة عشراء في ذلك اليوم أو نوق عشار لتركها
ولم يلتفت اليها اشتغالا بما هو فيه من هول يوم القيامة وسيأتي ما يفيد أن هذا في الدنيا
وقيل العشار السحاب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا
وتعطيلها عدم امطارها وقيل المراد أن الديار تعطل فلا تسكن وقيل الارض التي تعشر
زرعها تعطل فلا تزرع قرأ الجمهور عطلت بالتشديد وقرأ ابن كثير في رواية عنه بالتخفيف
(واذا الوحوش) أي ما توحش من دواب البر (حشرت) قرأ الجمهور بالتخفيف وقرئ
بالتشديد أي بعثت و جمعت بعد البعث من كل ناحية حتى يقتص لبعضها من بعض
فيقتص للجماء من القرناء قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا اقتص منها
ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقيل
حشرها موتها وقيل انها مع نفرتها اليوم من الناس وتبددها في الصحارى تضم ذلك اليوم
اليهم قال أبي بن كعب حشرت اختلطت قال الشهاب في ريحانة الالباء وههنا أمر نفيس
نمحو به السيئات وبحث عظيم نحيي به عظام الرفات وهو أن الحيوانات هل يحييها الله تعالى
ويحشر و يقتص لبعضها من بعض فأكثر أهل الحديث والسنة والاصول على انه
كذلك لوروده في القرآن في قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ولقول سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم في خبر القصاص يوم القيامة يؤخذ للجماء من القرناء وخالفهم أبو
الحسن الاشعري فقال في كتاب الايجاز ما نصه لا يجب على الله أن يعوض البهائم والاطفال
والمجانين وجميع الخلق الذين خلق فيهم الالم خلافا للقدرية حيث قالوا ان الله تعالى اذا آلم
الحيوان لا على سبيل الاستحقاق وجب عليه أن يعوضهم والا يكون ظالما ودليلنا أن
العقل

التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان اذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه اياه وقال يا ابن أخى انك لن تحمله اخشى ضعفك عنه والتامر أبو عبد الله لا يظن الا ان ابنه يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد الى اقداح فجمعها ثم لم يبق لله اسما يعلمه الا كتبه فى قدح لكل اسم قدح حتى اذا أحصاها أوقد نارا ثم جعل يقذفها فيها قدحا (١٩٧) قدحا حتى اذا مر بالاسم الاعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شئ فاخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره انه قد علم الاسم الاعظم الذى قد كتمه فقال وما هو قال هو كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع فقال اى ابن أخى قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر اذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر الا قال له يا عبد الله أتوحد الله وتدخل فى دينى وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعو الله له فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر الا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفى حتى رفع شأنه الى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على أهل قريتى وخالفت دينى ودين آبائى لأمثلن بك قال لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع الى الارض ما به بأس وجعل يبعث به الى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شئ الا هلك فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر انك والله لا تقدر على قتلى حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله فانك ان فعلت سلطت على فقتلتنى قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام من الانجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الاحداث فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران قال ابن اسحق فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر فالله أعلم أى ذلك كان قال فسار اليهم ذو نواس بجنده فدعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل فخد الاخدود وحرق بالنار وقتل

العقل لا يوجب على الله شيأ واذا ثبت أن البهائم وغيرها من الحيوان الذى خلق فيه الالم من غير جرم ولا ذنب لا يستحقون ذلك لم تجب اعادتهم ولا نشرهم ولا حشرهم يوم القيامة وقال القدرية ان لم يعوضهم فى الدنيا فانه يجب عليه حشرهم فى الآخرة وبعثهم كبعث المكلفين فان قالوا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خبر القصاص حتى يؤخذ للجماء من القرناء قلنا المراد به حتى يؤخذ للضعيف من القوى فكنى بذلك عنهم لان الدليل قد قام على انهم غير مكلفين ومن لا تكليف عليه لا يعاقب ولا يقتص منه انتهى وفى سراج الملوك اختلاف السلف فى هذا فقال ابن عباس حشرها موتها وهو تأويل بعيد لان الحشر الجمع وليس فى موتها جمعها بل تفريقها بتمزيقها ومعظم المفسرين على انها تحشر كلها حتى الذباب يقتص منها ثم يقال لها كونى ترابا وقال بعضهم لا نقطع باعادتها كالمجانين ومن لم تبلغه الدعوة وتوقف بعضهم فى ذلك والدليل عليه الآية المذكورة والحديث الصحيح عن أبى هريرة لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وأنكرها الاشعرى لانها غير مكلفة والخبر تمثيل لشدة التقصى فى الحساب وقال الاسفراينى يقتص منها بما تفعله فى الدنيا ورد بأنها ليست بمكلفة فهى فى المشيئة يفعل بها ما أراد انتهى أقول قد حصل بهذا التفصيل الوقوف على الاقوال الاربعة وأدلتها والحق الذى تشتفى به الصدور أن لا تؤول الآية والحديث بما هو خلاف الظاهر والشبهة الداعية له بأنها غير عاقلة ولا مكلفة والحشر والحساب مبنى على ذلك فاذا سقط الاساس سقط ما بنى عليه فالجواب عنها أن نسلم انها غير مكلفة لانها لا تعقل والنزاع فيه مكابرة الا أنها لما كانت فى المشيئة يفعل الله بها ما يريد وهو لا يسئل عما يفعل باتفاق أهل السنة بل العقلاء فنقول ان الله تعالى يعيدها وينصف بعضها من بعض بما فعلته بارادتها لادراكها للجزئيات وليس هذا بتكليف ولا مبنى عليه لان جزاء التكليف انما يكون فى دارى الخلود الجنة والنار وهى تعود ترابا قبل دخول أهليهما فيهما وانما فعل الحكيم القدير لذلك فليعرف أهل المحشر انه عز وجل لا يترك مثقال ذرة من العدل ليتحقق أهل النعيم ما لهم من النعيم المقيم وأهل الجحيم ما أعد لهم من العذاب الاليم تنويرا لهم وارشادا لان يعلموا عظمة كبريائه وتساوى جميع مخلوقاته عنده بالنسبة لذلك ولك أن تقول قول ابن عباس حشرها موتها معناه أن حشرها الاجل أن يفنيها ويقول لها كونى ترابا ولولا بعد كلام

بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ففي ذي نواس وجنده أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد هكذا ذكر محمد بن اسحق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الاخدود هو ذو نواس واسمه زرعة وتسمى في زمان مملكته بيوسف وهو ابن فنان أسعد بن كرب وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة فكان تهود من تهود من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن اسحق مبسوطا فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الاخدود عشرين ألفا ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ذهب فارسا وطردوا وراءه فلم يقدر عليه فذهب الى قيصر ملك الشام فكتب الى النجاشي ملك الحبشة فارسل معه جيشا من نصارى الحبشة يقدمهم أرباط وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدى اليهود وذهب ذو نواس هاربا فلجج في البحر فغرق واستمر ملك الحبشة في أيدى النصارى سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري من أيدى النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس فارسل معه من في السجون فكانوا قريبا من سبعمائة ففتح بهم اليمن ورجع الملك الى حمير وسنذكر طرفا من ذلك ان شاء الله في تفسير سورة ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وقال ابن اسحق وحدثني عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انه حدث أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعدا واضعا يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده فاذا أخذت يده عنها أنبعث دما واذا أرسلت يده ردت عليها فامسكت دمها وفي يده خاتم مكتوب فيه ربي الله فكتب فيه الى عمر بن الخطاب يخبر بامره فكتب عمر اليهم أن أقروه على حاله وردوا عليه الذي كان عليه ففعلوا وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رحمه الله حدثنا أبو بلال الاشعري حدثنا ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حدثني بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط فبناه فسقط ثم بناه فسقط فقيل له ان تحته رجلا صالحا فحفر الاساس فوجد فيه رجلا قائما معه

الاشعري بتصريحه بما ينافيه حملنا أنه تمثيل على ما ذكر أو قلنا انه انما أنكر الوجوب ولكن الحق أحق أن يتبع وهذا مما ينبغي أن يكتب بالنور على صفحات خدود الحور وانما ذكرنا هذا مع طوله وعدم مناسبته لموضوع التفسير تصدقا على من طالعه بجواهر الفرائد (واذا البحار سجرت) أي أوقدت فصارت نارا تضطرم وقال الفراء ملئت بأن صارت بحرا واحدا وكثر ماؤها وبه قال الربيع بن خثيم والكلبي ومقاتل والحسن والضحاك وقيل أرسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلأت وقيل فجرت فصارت بحرا واحدا وروى عن قتادة وابن حبان أن معنى الآية يبست ولا يبقى فيها قطرة يقال سجرت الحوض أسجره سجرا اذا ملأته وقال القشيري هو من سجرت التنور أسجره سجرا اذا أحميته قال ابن زيد وعطية وسفيان ووهب وغيرهم أوقدت فصارت نارا وقيل معنى سجرت انها صارت حمراء كالدم من قولهم عين سجراء أي حمراء قرأ الجمهور سجرت بتشديد الجيم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيفها عن أبي العالية قال ست من آيات هذه السورة في الدنيا والناس ينظرون اليها وست في الآخرة اذا الشمس كورت الى واذا البحار سجرت هذه في الدنيا والناس ينظرون اليها واذا النفوس زوجت الى واذا الجنة أزلفت هذه في الآخرة أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وعن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واختلطت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم في بعض وقال أيضا في الآية قال الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة والى السماء السابعة فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فأماتتهم وقال ابن عباس تسجر حتى تصير نارا وقال أيضا سجرت أي اختلط ماؤها بماء الارض (واذا النفوس زوجت) أي قرنت بأجسادها أي ردت الارواح الى أبدانها وهذا بناء على أن التزويج بمعنى جعل الشئ زوجا والنفوس على هذا بمعنى الارواح وقيل معناه قرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة وقرن بين رجل السوء مع رجل السوء في النار كذلك تزويج الانفس قاله عمر بن الخطاب وأخرج نحوه ابن مردويه عن النعمان بن بشير مرفوعا وقال عطاء زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين

سيف فيه مكتوب أنا الحرث بن مضاض نقمت على أصحاب الاخدود فاستخرجه أبو موسى و بنى الحائط فثبت (قلت) هو الحرث بن مضاض بن عمرو بن مضاض بن عمرو الجرهمى أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن اسمعيل بن ابراهيم وولد الحرث هذا هو عمرو بن الحرث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم الى اليمن وهو القائل فى شعره الذى قال ابن هشام انه أول شعر قالته العرب

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

وهذا يقتضى ان هذه القصة كانت قديما بعد زمان اسمعيل عليه السلام بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها وما ذكره ابن اسحق يقتضى ان قصتهم كانت فى زمان الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه والله أعلم وقد يحتمل ان ذلك قد وقع فى العالم كثيرا كما قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو اليمان أخبرنا صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال كانت الاخدود فى اليمن زمان تبع وفى القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد فاتخذوا أتونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد وفى العراق فى أرض بابل بختنصر الذى صنع الصنم وامر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباه عزريا ومسايل فاوقد لهم أتونا وألقى فيها الحطب والنار ثم ألقاهما فيه فجعلها الله تعالى عليهم بردا وسلاما وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار وقال أسباط عن السدى فى قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود قال كانت الاخدود ثلاثة خد بالعراق وخد بالشام وخد باليمن رواه ابن أبى حاتم وعن مقاتل قال كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس أما التى بالشام فهو انطنانوس الرومى وأما التى بفارس فهو بختنصر واما التى بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس فاما التى بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهم قرآنا وأنزل فى التى كانت بنجران وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكى حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع هو ابن أنس فى قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود قال سمعنا انهم كانوا قوما فى زمان الفترة فلما رأوا ما وقع فى الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون اعتزلوا الى قرية

الكافرين بالشياطين وقيل قرن كل شكل الى شكله فى العمل وهو راجع الى القول الثانى وقيل قرن كل رجل الى من كان يلازمه من ملك أو سلطان كما فى قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وقال الحسن الحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى والمجوس بالمجوس وكل من كان يعبد شيأ من دون الله يلحق بعضهم ببعض والمنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين وقيل يقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو انسان ويقرن المطيع بمن دعاه الى الطاعة من الانبياء والمؤمنين وقيل قرنت النفوس بأعمالها وكتبها فأصحاب اليمين زوج وأصحاب الشمال زوج والسابقون زوج (واذا الموودة) أى المدفونة حية (سئلت بأى ذنب قتلت) وقد كانت العرب اذا ولدت لأحدهم بنت دفنها حية مخافة العار أو الحاجة والاملاق وخشية الاسترقاق يقال وأد يئد وأدا فهو وائد والمفعول به موؤد وأصله مأخوذ من الثقل لانها تدفن فيطرح عليها التراب فيثقلها فتموت ومنه ولا يؤده حفظهما أى لا يثقله ومنه قول متمم بن نويرة * وموؤدة مقبورة فى مغارة *
ومنه قول الراجز

سميتها اذ ولدت تموت * والقبر صهر ضامن رميت

قرأ الجمهور الموؤدة بهمزة بين واوين ساكنين كالموعودة وقرأ البزى فى رواية عنه بهمزة مضمومة ثم واو ساكنة وقرأ الاعمش المودة بزنة الموزة وقرأ الجمهور سئلت مبنيا للمفعول وقرأ الحسن بكسر السين من سال يسيل وقرأ على وابن مسعود وابن عباس سألت مبنيا للفاعل وقتلت بضم التاء الاخيرة وهذه قراءة شاذة والمعنى على الاولى ان توجيه السؤال اليها لاظهار كمال الغيظ على قاتلها حتى كأنه لا يستحق أن يخاطب ويسئل عن ذلك وفيه تبكيت لقاتلها وتوبيخ له شديد بصرف الخطاب كقوله أأنت قلت للناس وهذه الطريقة أقطع فى ظهور جناية القاتل والزام الحجة عليه قال الحسن أراد الله أن يوبخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب وقيل لتدل على قاتلها وقيل لتقول بلا ذنب قتلت وعلى هذا هو سؤال تلطف وقرأ الجمهور قتلت بالتخفيف مبنيا للمفعول وقرأ أبو جعفر بالتشديد على التكثير وقرئ بكسر التاء الثانية على انها تاء المؤنثة المخاطبة والفعل مبنى للمفعول وهذه قراءة شاذة وفى مصحف أبى واذا الموؤدة سألت باى ذنب قتلتنى وفى الآية دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يكون بلا ذنب عن عمر بن الخطاب قال جاء قيس

سكنوا دارا أقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمرهم حتى جمع بهم جبار من الجبابرة وحدث حديثهم فأرسل اليهم فأمرهم أن يعبدوا الاوثان التي اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لا نعبد الا الله وحده لا شريك له فقال لهم ان لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فاني قاتلكم فأبوا عليه فخد أخدودا من نار وقال لهم الجبار ووقفهم عليها فقال اختاروا هذه أو الذي نحن فيه فقالوا هذه أحب الينا وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية فقالوا لهم آباؤهم لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم (٢٠٠) حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها

ففي ذلك أنزل الله عز وجل قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد ورواه ابن جرير حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه وقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أي حرقوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبزى ثم لم يتوبوا أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق وذلك أن الجزاء من جنس العمل قال الحسن البصري انظروا الى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم الى التوبة والمغفرة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) يخبر تعالى عن عباده المؤمنين بها

ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار بخلاف ما أعد لاعدائه من الحريق والجحيم ولهذا قال ذلك الفوز الكبير ثم قال تعالى ان بطش ربك لشديد أي ان بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي فانه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو أقرب ولهذا قال تعالى انه هو يبدئ ويعيد أي من قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع وهو الغفور الودود أي يغفر ذنب من تاب اليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان

ابن عاصم التميمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق عن كل واحدة رقبة قال اني صاحب ابل قال فاهد عن كل واحدة بدنة أخرجه البزار والحاكم في الكنى والبيهقي في سننه (واذا الصحف) أي صحائف الاعمال (نشرت) أي فتحت وبسطت للحساب لانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو نشرت بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد على التكثير وهما سبعيتان (واذا السماء كشطت) أي أزيلت عن أماكنها وعدمت بالمرة والكشط قلع عن شدة التزاق فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش والقشط بالقاف لغة في الكشط وهي قراءة ابن مسعود قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف وقال الفراء نزعت فطويت وقال مقاتل كشفت عما فيها قال الواحدي ومعنى الكشط رفعك شيئا عن شيء قد غطاه (واذا الجحيم سعرت) أي أججت وأوقدت لاعداء الله ايقادا شديدا وزيد في احمائها قرأ الجمهور سعرت بالتخفيف وقرأ نافع وابن ذكوان وورش بالتشديد لانها أوقدت مرة بعد مرة وهما سبعيتان قال قتادة سعرها غضب الله وخطايا بني آدم (واذا الجنة أزلفت) أي قربت الى المتقين وأدنيت منهم ليدخلوها قال الحسن انهم يقربون منها لا أنها تزول عن موضعها وقال ابن زيد معنى أزلفت تزينت والاول أولى لان الزلفى القرب في كلام العرب قيل هذه الامور الاثنا عشر ست منها في الدنيا وهي من أول السورة الى قوله واذا البحار سجرت وست في الآخرة وهي واذا النفوس زوجت الى هنا وقد سبق بيانها وجواب الجميع قوله (علمت نفس ما أحضرت) على أن المراد الزمان الممتد من الدنيا الى الآخرة لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من أجزاء هذا الوقت الممتد أو عند وقوع كل داهية من تلك الدواهي بل المراد علمت ما أحضرته عند نشر الصحف أو في موقف المحاسبة أو عند الميزان الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها حضور صحائف الاعمال لان الاعمال أعراض لا يمكن احضارها أو حضور الاعمال نفسها كما ورد أن الاعمال تصور بصور تدل عليها وتعرف

والودود قال ابن عباس وغيره هو الحبيب ذو العرش أى صاحب العرش العظيم العالى على جميع الخلائق والمجيد فيه قراءتان الرفع على انه صفة للرب عز وجل والجر على انه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح فعال لما يريد أى مهما أراد فعله لامعقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبى بكر الصديق أنه قيل له وهو فى مرض الموت هل نظر اليك الطبيب قال نعم قالوا فما قال لك قال قال لى انى فعال لما أريد وقوله تعالى هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود أى هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النقمة التى لم يردها عنهم أحد وهذا تقرير لقوله تعالى ان بطش ربك لشديد أى اذا أخذ الظالم أخذه أخذا أليما شديدا أخذ عزيز مقتدر قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على ابن محمد الطنافسى حدثنا أبو بكر ابن عياش عن أبى اسحق عن عمرو ابن ميمون قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ هل أتاك حديث الجنود فقام يستمع فقال نعم قد جاءنى وقوله تعالى بل الذين كفروا فى تكذيب أى هم فى شك وريب وكفر وعناد والله من ورائهم محيط أى هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه بل هو قرآن مجيد أى عظيم كريم فى لوح محفوظ اى هو فى الملا الاعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل قال ابن جرير حدثنا عمرو بن على حدثنا قرة ابن سليمان حدثنا حرب بن شريح حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن انس بن مالك فى قوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ قال ان اللوح المحفوظ الذى ذكر الله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ فى جبهة اسرافيل وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا

ابو صالح حدثنا معاوية بن صالح ان ابا الاعبس هو عبد الرحمن بن سلمان قال مامن شئ قضى الله فاقبله وما بعده الا وهو فى اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عينى اسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه وقال الحسن البصرى ان هذا القرآن المجيد عند الله فى لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه وقد روى البغوى من طريق اسحق بن بشر أخبرنى مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين

بها وتنكير نفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها للايذان بأن ثبوته لجميع افرادها من الظهور والوضوح بحيث لا يخفى على أحد ويدل على هذا قوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وقيل يجوز أن يكون ذلك للاشعار بأنه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة أن تكون هى تلك التى علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على فعله (فلا أقسم) لا زائدة كما تقدم تحقيقه وتحقيق ما فيه من الاقوال فى أول سورة القيامة أى فاقسم (بالخنس) وهى الكواكب وسميت الخنس من خنس اذا تأخر لانها تخنس بالنهار فتخفى ولا ترى وهى زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد كما ذكره أهل التفسير ووجه تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم انها تستقبل الشمس وتقطع المجرة وقال فى الصحاح الخنس الكواكب كلها لانها تخنس فى المغيب أو لانها تخفى نهارا أو يقال هى الكواكب السيارة منها دون الثابتة قال الفراء انها الكواكب الخمس المذكورة لانها تخنس فى مجراها وتكنس أى تستتر كما تكنس الظباء فى المغار وقيل سميت خنسا لتأخرها لانها الكواكب المتحيرة التى ترجع وتستقيم يقال خنس عنه يخنس خنوسا اذا تأخر وأخنسه غيره اذا خلفه ومضى عنه والخنس تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الارنبة قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه هى الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى وعنه قال خمسة أنجم زحل وعطارد والمشترى وبهرام والزهرة ليس شئ يقطع المجرة غيرها وعن ابن عباس قال هى النجوم السبعة وزاد الشمس والقمر وخنوسها رجوعها وكنوسها تغيبها بالنهار (الجوار) أى السيارة لانها تجرى مع الشمس والقمر (الكنس) أى انها ترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها وقيل خنوسها اخفاؤها بالنهار وكنوسها غروبها قال الحسن وقتادة هى النجوم التى تخنس بالنهار واذا غربت والمعنى متقارب لانها تتأخر فى النهار عن البصر لخفائها فلا ترى وتظهر بالليل وتكنس فى وقت غروبها وقيل المراد بها بقر الوحش وبه قال ابن مسعود لانها تتصف بالخنس وبالجوارى وبالكنس وقال عكرمة الخنس البقر والكنس الظباء فهى تخنس اذا رأت الانسان وتنقبض وتتأخر وتدخل كناسها وقيل هى الملائكة والاول أولى لذكر

المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك قال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنا منجاب بن الحرث حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور لله فيه فى كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويعز ويذل ويفعل مايشاء (٢٠٢) آخر تفسير سورة البروج ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الطارق وهى مكية) قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله وسمعته انا منه حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى عن عبد الرحمن بن خالد بن أبى جبل العدوانى عن ابيه أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أوعصى حين أتاهم يبتغى عندهم النصر فسمعته يقول والسماء والطارق حتى ختمها قال فوعيتها فى الجاهلية وانا مشرك ثم قرأتها فى الاسلام قال فدعتنى ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل فقرأتها عليهم فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم مايقول حقا لاتبعناه وقال النسائى حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم عن مسعر عن محارب بن دثار عن جابر قال صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة أو النساء فقال النبى صلى الله عليه وسلم أفتان أنت يامعاذ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحو هذا

(بسم الله الرحمن الرحيم) والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر) يقسم تبارك وتعالى بالسماء وماجعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى والسماء والطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب قال قتادة وغيره انما سمى النجم طارقا لانه انما يرى بالليل ويختفى بالنهار ويؤيده ماجاء فى الحديث الصحيح نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا أى يأتيهم فجأة بالليل وفى الحديث الآخر

رسول

الليل والصبح بعد هذا والكنس مأخوذ من الكناس الذى يختفى فيه الوحش والخنس جمع خانس وخانسة والكنس جمع كانس وكانسة وقال ابن عباس هى البقر تكنس الى الظل وعنه قال تكنس لانفسها فى أصول الشجر تتوارى فيه وعنه قال هى الظباء وعنه الخنس البقر والجوار الكنس الظباء ألم ترها اذا كانت فى الظل كيف تكنس باعناقها ومدت نظرها وعن ابى العديس قال كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل فقال ياأمير المؤمنين ما الجوارى الكنس فطعن عمر بمخصرة معه فى عمامة الرجل فالقاها عن رأسه فقال عمر أحرورى والذى نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك محلوقا لانحيت القمل عن رأسك أخرجه الحاكم فى الكنى وهذا منكر فان الحرورية لم يكونوا فى زمن عمر رضى الله عنه ولا كان لهم فى ذلك الوقت ذكر (والليل اذا عسعس) أى أقبل بظلامه أو أدبر قال أهل اللغة هو من الاضداد يقال عسعس الليل اذا أقبل وعسعس اذا أدبر ويدل على أن المراد هنا أدبر قوله الآتى والصبح اذا تنفس قال الفراء أجمع المفسرون على ان معنى عسعس أدبر كذا حكاه عنه الجوهرى وقال الحسن أقبل ظلامه قال الفراء العرب تقول عسعس الليل اذا أقبل واذا أدبر وهذا لاينافى ماتقدم عنه لانه حكى عن المفسرين أنهم أجمعوا على حمل معناه فى هذه الآية على أدبر وان كان فى الاصل مشتركا بين الاقبال والادبار قال المبرد هو من الاضداد قال والمعنيان يرجعان الى شئ واحد وهو ابتداء الظلام فى أوله وادباره فى آخره قال ابن عباس عسعس أدبر وعنه قال اقبال سواده (والصبح اذا تنفس) أى امتد حتى يصير نهارا بينا والتنفس فى الاصل خروج النسيم من الجوف وتنفس الصبح اقباله لانه يقبل بروح ونسيم فجعل ذلك تنفساله مجازا أو شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذى حبس بحيث لايتحرك فاذا تنفس وجد راحة وههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس قال الواحدى تنفس أى امتد ضوءه حتى يصير نهارا ومنه يقال للنهار اذا زاد تنفس وقيل المعنى اذا انشق وانفلق ومنه تنفست القوس أى تصدعت قال ابن عباس اذا تنفس اذا بدا النهار حين طلوع الفجر قال الشهاب مناسبته لقرينه ظاهرة على التفسيرين لان ماقبله ان كان للاقبال فهو أول الليل وهذا أول النهار وان كان للادبار فهذا ملاصق له فبينهما مناسبة الجوار فلا وجه لما قيل من أنه على الاول أنسب انتهى ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال (انه) أى القرآن (لقول

المشتمل على الدعاء الاطار فايطرق بخير يارحمن وقوله تعالى الثاقب قال ابن عباس المضى وقال السدى يثقب الشياطين اذا أرسل عليها وقال عكرمة هو مضىء ومحرق للشيطان وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ أى كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وقوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق تنبيه للانسان على ضعف أصله الذى خلق منه وارشاده الى الاعتراف بالمعاد لان من قدر على البداءة فهو قادر على الاعادة بطريق الاولى كما قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقوله تعالى خلق من ماء دافق يعنى المنى يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد باذن الله عز وجل ولهذا قال يخرج من بين الصلب والترائب يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس يخرج من بين الصلب والترائب صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد الا منهما وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدى وغيرهم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس يخرج من بين الصلب والترائب قال هذه الترائب ووضع يده على صدره وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس تريبة المرأة موضع القلادة وكذا قال عكرمة وسعيد ابن جبير وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الترائب بين ثدييها وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين الى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقى وقال سفيان الثورى فوق الثديين وعن سعيد ابن جبير الترائب أربعة اضلاع من هذا الجانب الاسفل وعن الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين والعينين وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبى حبيبة المدنى أنه بلغه فى قول الله عز وجل يخرج من بين الصلب والترائب قال هو عصارة القلب من هناك يكون الولد وعن قتادة يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلبه ونحره وقوله تعالى انه على رجعه لقادر فيه قولان أحدهما على رجع هذا الماء الدافق الى

رسول كريم) على الله تعالى يعنى جبريل وبه قال ابن عباس لكونه نزل به من جهة الله سبحانه الى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأضاف القول الى جبريل لكونه مرسلا به وقيل المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى ثم وصف الرسول المذكور باوصاف محمودة فقال (ذى قوة عند ذى العرش مكين) أى ذى قوة شديدة فى القيام بما كلف به كما فى قوله شديد القوى ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وأنه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد فى أسرع من رد الطرف والمعنى أنه ذو رفعة عالية ومكانة مكينة عند الله سبحانه وهو فى محل نصب على الحال من مكين وأصله الوصف فلما قدم صار حالا ويجوز أن يكون نعتا لرسول يقال مكن فلان عند فلان مكانة أى صار ذا منزلة عنده ومكانة قال أبو صالح من مكانته عند ذى العرش أنه يدخل سبعين سرادقا بغير اذن ومعنى قوله (مطاع) أنه مطاع بين الملائكة يرجعون اليه ويطيعونه ومن طاعتهم له أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله قال الحسن فرض الله على أهل السموات طاعة جبريل كما فرض على أهل الارض طاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ثم أمين) قرأ الجمهور بفتح ثم على انها ظرف مكان للبعيد والعامل فيه مطاع أو ما بعده والمعنى انه مطاع فى السموات أو أمين فيها أى مؤتمن على الوحى وغيره وقرئ بضمها على أنها عاطفة وكأن العطف بها للتراخى فى الرتبة لان ما بعدها أعظم مما قبلها ومن قال ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فالمعنى أنه ذو قوة على تبليغ الرسالة الى الامة مطاع يطيعه من أطاع الله أمين على الوحى (وما صاحبكم بمجنون) الخطاب لأهل مكة والمراد بصاحبكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى وما محمد يا أهل مكة بمجنون وذكره بوصف الصحبة للاشعار بانهم عالمون بامره وأنه ليس مما يرمونه به من الجنون وغيره فى شئ وانهم افتروا عليه ذلك عن علم منهم بانه أعقل الناس وأكملهم وهذه الجملة داخلة فى جواب القسم فأقسم سبحانه بان القرآن نزل به جبريل وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ليس كما يقولون من أنه مجنون وأنه يأتى بالقرآن من جهة نفسه والمقصود [1] رد قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ثم انك اذا أمعنت

[1] جواب سؤال تقريره ان بعضهم استدل بالآية على فضل جبريل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأجاب المؤلف العلامة عن هذا بقوله والمقصود رد قوله الخ اه السيد ذو الفقار

مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما والقول الثاني انه على رجع هذا الانسان المخلوق من ماء دافق أي اعادته وبعثه الى الدار الآخرة لقادر لان من قدر على البداءة قدر على الاعادة وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى يوم تبلى السرائر أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدرة فلان بن فلان وقوله تعالى فماله أي الانسان يوم القيامة من قوة أي في نفسه ولا ناصر أي من خارج منه أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك (والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) قال ابن عباس الرجع المطر وعنه هو السحاب فيه المطر وعنه والسماء ذات الرجع تمطر ثم تمطر وقال قتادة ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم وقال ابن زيد ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا والارض ذات الصدع قال ابن عباس هو انصداعها عن النبات وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغير واحد وقوله تعالى انه لقول فصل قال ابن عباس حق وكذا قال قتادة وقال آخر حكم عدل وما هو بالهزل أي بل هو جد حق ثم أخبر عن الكافرين بانهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال انهم يكيدون كيدا أي يمكرون بالناس في دعوتهم الى خلاف القرآن ثم قال تعالى فمهل الكافرين أي أنظرهم ولا تستعجل لهم أمهلهم رويدا أي قليلا أي وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ آخر تفسير سورة الطارق ولله الحمد والمنة

* (تفسير سورة سبح وهي مكية) *

والدليل على ذلك ما رواه البخاري حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما

النظر وقفت على ان اجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام ادماج لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه بلغ من المكانة وعلو المنزلة عند ذي العرش بان جعل السفير بينه وبينه مثل هذا الملك المقرب المطاع الامين فالقول في هذه الصفات بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفعة منزلة له كالقول في قوله ذي العرش بالنسبة الى رفعة منزلة جبريل عليه السلام كذا ذكره الكرخي (ولقد رآه بالافق المبين) اللام جواب قسم محذوف أي وتالله لقد رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم جبريل بمطلع الشمس من قبل المشرق لان هذا الافق اذا كانت الشمس تطلع منه فهو مبين لان من جهته ترى الاشياء وهذه الرؤية هي الواقعة في غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والارض وقيل الافق المبين اقطار السماء ونواحيها وانما قال سبحانه ذلك مع أنه قد رآه غير مرة لانه رآه هذه المرة في صورته له ستمائة جناح قال سفيان انه رآه في أفق السماء الشرقي أي لانه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس وقال ابن بحر في أفق السماء الغربي وقال مجاهد رآه نحو أجياد وهو مشرق مكة والمبين صفة للافق قاله الربيع وقيل صفة لمن رآه قاله مجاهد وقيل معنى الآية ولقد رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه عز وجل وقد تقدم القول في هذا في سورة النجم قال ابن عباس في الآية انما عنى جبريل أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رآه في صورته عند سدرة المنتهى والافق المبين السماء السابعة (وما هو) أي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (على الغيب) يعني خبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا علمه عن أهل مكة (بظنين) أي بمتهم أي هو ثقة فيما يؤدي عن الله سبحانه وقيل بضنين بالضاد أي ببخيل قاله ابن عباس أي لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء فقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظاء أي بمتهم والظنة التهمة واختارها أبو عبيد قال لانهم لم يبخلوه ولكن كذبوه واتهموه وقرأ الباقون بالضاد من ضننت بالشيء أضن ضنا اذا بخلت قال مجاهد أي لا يضن عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه وقيل المراد جبريل انه ليس على الغيب بضنين والاول أولى وقرأ ابن مسعود بالظاء يعني متهم وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرؤها بالظاء اخرجه الدارقطني في الافراد والحاكم وصححه وابن مردويه والخطيب فان البخل وما في معناه لا يتعدى بعلى وانما يتعدى بالباء (وما هو) اى القرآن (بقول شيطان رجيم) طريد من الشياطين

رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الاعلى في سور مثلها وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الاعلى تفرد به أحمد وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابراهيم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن (٢٠٥) أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وان وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا هكذا وقع في مسند الامام أحمد اسناد هذا الحديث وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة ثلاثتهم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان ابن بشير به قال الترمذي وكذا رواه الثوري ومسعر عن ابراهيم قال ورواه سفيان بن عيينة عن ابراهيم عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان به كما رواه الجماعة فالله أعلم ولفظ مسلم وأهل السنن كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما وقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث أبي بن

الشياطين المسترقة للسمع المرجومة بالشهب قال الكلبي يقول ان القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش كقوله وما تنزلت به الشياطين قال عطاء يريد بالشيطان الشيطان الابيض الذي كان يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة جبريل يريد ان يفتنه ثم بكتهم الله سبحانه ووبخهم فقال (فأين تذهبون) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء اي اين تعدلون عن هذا القرآن وعن طاعته قاله قتادة وقال الزجاج معناه اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم وهذا استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا اوذهابا في بنات الطريق اين تذهب والى اين تذهب وحكى الفراء عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها قال سمعناه في هذه الاحرف الثلاثة يريد الى اي ارض تذهب فحذف الى (ان هو الاذكر للعالمين) اي ما القرآن الا موعظة للخلق اجمعين وتذكير لهم وقوله (لمن شاء منكم) بدل من العالمين باعادة الجار ومفعول المشيئة (ان يستقيم) اي لمن شاء منكم الاستقامة على الحق والايمان والطاعة (وما تشاؤن) الاستقامة (الا ان) اي بان (يشاء الله) تلك المشيئة فاعلمهم سبحانه ان المشيئة في التوفيق اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه ومثل هذا قوله سبحانه وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والآيات القرآنية في هذا المعنى كثيرة والخطاب هنا ليس للمخاطبين في قوله فأين تذهبون بل هو لمن عبر عنهم بقوله لمن شاء منكم ان يستقيم (رب العالمين) اي مالك الخلق اجمعين عن ابي هريرة قال لما نزلت لمن شاء منكم ان يستقيم قالوا الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فهبط جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كذبوا يا محمد وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه

(سورة الانفطار هي تسع عشرة آية وهي مكية بلا خلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وأخرج النسائي عن جابر قال قام معاذ فصلى العشاء فطول فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتان أنت يا معاذ أين أنت عن سبح اسم

كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد زادت عائشة والمعوذتين وهكذا روى هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صدي بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ولولا خشية الاطالة لاوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الارشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم

الجهر ومايخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولايحيى) قال الامام أحمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا موسى يعنى ابن أيوب الغافقى حدثنا عمى اياس بن عامر سمعت عقبة بن عامر الجهنى لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبى (٢٠٦) اسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربى الاعلى وهكذا رواه أبو داود عن زهير بن حرب عن وكيع به وقال خولف فيه وكيع رواه أبو وكيع وشعبة عن أبى اسحق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا وقال الثورى عن السدى عن عبد خير قال سمعت عليا قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق الهمدانى ان ابن عباس كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى يقول سبحان ربى الاعلى واذا قرأ لاأقسم بيوم القيامة فاتى على آخرها أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى يقول سبحانك وبلى وقال قتادة سبح اسم ربك الاعلى ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحان ربى الاعلى وقوله تعالى الذى خلق فسوى أى خلق الخليقة وسوى كل مخلوق فى أحسن الهيآت وقوله تعالى والذى قدر فهدى قال مجاهد هدى الانسان للشقاوة والسعادة وهدى الانعام لمراتعها وهذه الآية كقوله تعالى اخبارا عن موسى أنه قال لفرعون ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى أى قدر قدرا وهدى الخلائق اليه كما ثبت فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وقوله تعالى والذى أخرج المرعى أى من جميع صنوف النباتات والزروع فجعله غثاء أحوى قال ابن عباس هشيما متغيرا وعن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى ان ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وان معنى الكلام والذى أخرج المرعى أحوى

ربك والضحى واذا السماء انفطرت وأصل الحديث فى الصحيحين ولكن بدون ذكر اذا السماء انفطرت وقد تفرد بها النسائى وقد تقدم فى سورة التكوير حديث من سره أن ينظر الى يوم القيامة رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت الحديث

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) السماء فاعل فعل محذوف يدل عليه المذكور قال الواحدى قال المفسرون انفطارها انشقاقها كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا والفطر الشق يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير اذا طلع قيل والمراد انها انفطرت هنا لنزول الملائكة منها وقيل انفطرت لهيبة الله عز وجل (واذا الكواكب انتثرت) اى انقضت وتساقطت متفرقة يقال نثرت الشئ أنثره نثرا والانتثار استعارة لازالة الكواكب حيث شبهت بجواهر قطع سلكها وهى مصرحة أو مكنية (واذا البحار فجرت) أى فجر بعضها من أعلاها أو أسفلها فى بعض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب منها بالمالح وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وقال الحسن معنى فجرت ذهب ماؤها ويبست قال ابن عباس فجرت بعضها فى بعض وقيل فاضت العامة على بناء فجرت للمفعول مثقلا وقرأ مجاهد مبنيا للفاعل مخففا من الفجور نظرا الى قوله بينهما برزخ لايبغيان فلما زال البرزخ بغيا وقرأ مجاهد أيضا والربيع بن خيثم والزعفرانى والثورى مبنيا للمفعول مخففا (واذا القبور بعثرت) أى قلب ترابها الذى أهيل على الاموات وقت الدفن وأخرج الموتى الذين هم فيها يقال بعثر يبعثر بعثرة اذا قلب التراب ويقال بعثر المتاع قلبه ظهر البطن وبعثرت الحوض وبحثرته اذا هدمته وجعلت أعلاه أسفله قال الفراء بعثرت أخرجت ما فى بطنها من الذهب والفضة وذلك من اشراط الساعة أن تخرج الارض ذهبها وفضتها وقال ابن عباس أى بحثت وكررت اذا التهويل ما فى حيزها من الدواهى قال الرازى المراد من هذه الآيات انه اذا وقعت هذه الاشياء التى هى اشراط الساعة فهنالك يحصل الحشر والنشر وهى ههنا أربعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات واثنان يتعلقان بالسفليات والمراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وانقطاع التكاليف والسماء كالسقف والارض كالبناء ومن أراد تخريب دار فانه يبدأ ولا بتخريب السقف ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ثم بعد تخريب السماء والكواكب يخرب

أي أخضر إلى السواد فجعله غثاء بعد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل وقوله تعالى سنقرئك أي يا محمد فلا تنسى وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها إلا ما شاء الله وهذا اختيار ابن جرير وقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيأ إلا ما شاء الله وقيل المراد بقوله فلا تنسى طلب وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ أي لا تنسى ما نقرئك إلا ما يشاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه وقوله تعالى إنه يعلم الجهر وما يخفى أي يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك (٢٠٧) شيء وقوله تعالى ونيسرك لليسرى أي نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر وقوله تعالى فذكر إن نفعت الذكرى أي ذكر حيث تنفع التذكرة ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم وقال حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله وقوله تعالى سيذكر من يخشى أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى أي لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه لأن سببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال قال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان يعني التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل الضبارة فينبتهم أو قال ينبتون في نهر الحياة أو قال الحياء أو قال الحيوان أو قال نهر الجنة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء قال فقال بعضهم كأن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالبادية وقال أحمد أيضا حدثنا اسمعيل حدثنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس أو كما قال تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم

كل ما على وجه الأرض من الجبال ثم بعد ذلك تخرب الأرض التي فيها الأموات وأشار لذلك بقوله وإذا القبور بعثرت ثم ذكر سبحانه الجواب عما تقدم فقال (علمت نفس ما قدمت وأخرت) والمعنى أنها علمته عند نشر الصحف لا عند البعث لأنه وقت واحد من عند البعث إلى عند مصير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار والكلام في إفراد نفس هنا كما تقدم في السورة الأولى في قوله علمت نفس ما أحضرت ومعنى ما قدمت وأخرت ما قدمت من عمل خيرا أو شرا أو أخرت من سنة حسنة أو سيئة لأن لها أجر ما سنته من السنن الحسنة وأجر من عمل بها وعليها وزر ما سنته من السنن السيئة ووزر من عمل بها وقال قتادة ما قدمت من معصية وأخرت من طاعة وقيل ما قدم من فرض وأخر من فرض وقيل أول عمله وآخره وقيل إن النفس تعلم عند البعث بما قدمت وأخرت علما إجماليا لأن المطيع يرى آثار السعادة والعاصي يرى آثار الشقاوة وأما العلم التفصيلي فإنما يحصل عند نشر الصحف عن ابن مسعود قال ما قدمت من خير وما أخرت من سنة صالحة يعمل بها بعده فإن له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيأ أو سنة سيئة يعمل بها بعده فإن عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيأ وعن ابن عباس نحوه وأخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من استن خيرا فاستن به فله أجره ومثل أجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم ومن استن شرا فاستن به فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه من غير منتقص من أوزارهم وتلا حذيفة علمت نفس ما قدمت وأخرت ولما أخبر سبحانه في الآية الأولى عن وقوع الحشر والنشر ذكر في هذه الآية ما يدل عقلا على وقوعه فقال (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) هذا خطاب للكفار وقال بعضهم المراد بالإنسان ما يشمل الكافر والمؤمن العاصي قال الشهاب وهذا أرجح كما في الكشف وغيره والمعنى ما الذي غرك وخدعك أو جعلك غارا حتى كفرت بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا بإكمال خلقك وحواسك وجعلك عاقلا فاهما ورزقك وأنعم عليك بنعمه التي لا تقدر على جحد شيء منها قال قتادة غره شيطانه المسلط عليه وقال الحسن غره شيطانه الخبيث وقيل غره حمقه وجهله وقيل غره عفو الله إذ لم يعاجله بالعقوبة أول مرة كذا قال مقاتل وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فإن محض الكرم لا يقتضي إهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع

اماتة حتى اذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة فجئ بهم ضبائر ضبائر فبثوا على انهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل قال فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة كلاهما عن أبى سلمة سعيد بن يزيد به مثله ورواه أحمد أيضا عن يزيد عن سعيد بن اياس الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل النار الذين لا يريد الله اخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون وان أهل النار الذين يريد الله اخراجهم (٢٠٨) يميتهم فيها اماتة حتى يصيروا فحما ثم يخرجون ضبائر فيلقون على انهار الجنة فيرش عليهم من انهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل وقد قال الله تعالى اخبارا عن أهل النار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون وقال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها الى غير ذلك من الآيات فى هذا المعنى (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) يقول تعالى قد أفلح من تزكى اى طهر نفسه من الاخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه وذكر اسم ربه فصلى أى أقام الصلاة فى أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لامر الله وامتثالا لشرع الله وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن أحمد العرزمى حدثنا عمى محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قد أفلح من تزكى قال من شهد أن لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد أنى رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها ثم قال لا يروى عن جابر الا من هذا الوجه وكذا قال ابن عباس ان المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير وقال ابن جرير حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى حدثنا مروان بن معاوية عن أبى خلدة قال دخلت على أبى العالية فقال لى اذا غدوت غدا الى العيد فمر بى قال فمررت به فقال هل طعمت شيأ قلت نعم قال افضت على نفسك من الماء قلت نعم قال فاخبرنى ما فعلت زكاتك قلت قد وجهتها قال انما أردتك لهذا ثم قرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقال ان أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية

والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية وقال غره والله جهله (الذى خلقك) من نطفة ولم تك شيأ (فسواك) رجلا تسمع وتبصر وتعقل (فعدلك) اى جعلك معتدلا قال عطاء جعلك قائما معتدلا حسن الصورة وقال مقاتل عدل خلقك فى العينين والاذنين واليدين والرجلين والمعنى عدل بين ما خلق لك من الاعضاء قرأ الجمهور فعدلك مشددا وقرئ بالتخفيف واختار الاولى أبو عبيد وأبو حاتم قال الفراء وأبو عبيد يدل عليها قوله لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ومعنى القراءة الاولى أنه سبحانه جعل اعضاءك متعادلة لا تفاوت فيها ومعنى الثانية أنه صرفه وأماله الى أى صورة شاء اما حسنا واما قبيحا واما طويلا واما قصيرا (فى أى صورة ما شاء ركبك) فى أى صورة متعلق بركبك وما مزيدة وشاء صفة لصورة أى ركبك فى أى صورة شاءها ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال أى ركبك حاصلا فى أى صورة ونقل أبو حيان عن بعض المفسرين أنه متعلق بعدلك واعترض عليه بان أى لها صدر الكلام فلا يعمل فيها ما قبلها قال مقاتل والكلبى ومجاهد فى أى شبه من أب أو أم أو خال أو عم وقال مكحول ان شاء ذكرا وان شاء أنثى (كلا) ردع وزجر عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة الى الكفر به والمعاصى له أو بمعنى حقا (بل تكذبون بالدين) اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجاوزونه الى ما هو أعظم منه من التكذيب بالدين وهو الجزاء أو بدين الاسلام قال ابن الانبارى الوقف الجيد على الدين وعلى ركبك وعلى كلا قبيح والمعنى بل تكذبون يا أهل مكة بالدين أى بالحساب وبل لنفى شئ تقدم وتحقيق غيره وانكار البعث قد كان معلوما عندهم وان لم يجر له ذكر قال الفراء كلا ليس الامر كما غررت به قرأ الجمهور تكذبون بالفوقية على الخطاب وقرأ الحسن وابو جعفر وشيبة بالتحتية على الغيبة وجملة (وان عليكم لحافظين) فى محل نصب على الحال من فاعل تكذبون أى تكذبون والحال ان عليكم من يدفع تكذيبكم أو مستأنفة مسوقة لبيان ما يبطل تكذيبهم والحافظون الرقباء من الملائكة الذين يحفظون على العباد أعمالهم ويكتبونها

الماعقات وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقال أبو الأحوص إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدي صلاته زكاته فإن الله تعالى يقول قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقال قتادة في هذه الآية قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى زكى ماله وأرضى خالقه ثم قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا أي تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم والآخرة خير وأبقى أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فإن الدنيا دانية (٢٠٩) فانية والآخرة شريفة باقية فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريبا ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن أبي إسحق عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن عطاء عن عرفجة الثقفي قال استقرأت ابن مسعود سبح اسم ربك الأعلى فلما بلغ بل تؤثرون الحياة الدنيا ترك القراءة وأقبل على أصحابه فقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل وهذا منه على وجه التواضع والهضم أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان ابن داود الهاشمي حدثنا إسمعيل ابن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله عن أبي

(٢٧ – فتح البيان عاشر) موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى تفرد به أحمد وقد رواه أيضا عن أبي سلمة الخزاعي عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به بمثله سواء وقوله تعالى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا نصر بن علي حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى قال النبي صلى الله عليه وسلم كان كل هذا وكان هذا في صحف إبراهيم وموسى ثم قال لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن

ويكتبونها في الصحف قال ابن عباس جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل والنهار يحفظان عمله ويكتبان أثره وهذا الخطاب وإن كان خطاب مشافهة إلا أن الأمة أجمعت على عموم هذا الخطاب في حق المكلفين وقوله تعالى حافظين جمع يحتمل أن يكونوا حافظين لجميع بني آدم من غير أن يختص واحد من الملائكة بواحد من بني آدم ويحتمل أن يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر ويحتمل أن يكون الموكل بكل واحد منهم جماعة من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار أو كما قيل إنهم خمسة واختلفوا في الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل عليهم حفظة وهو ظاهر قوله تعالى في هذه الآية وفي قوله تعالى وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فأخبر أن لهم كتابا وإن عليهم حفظة ثم وصفهم سبحانه فقال (كراما كاتبين) أي إنهم كرام لديه يكتبون ما يأمرهم به من أعمال العباد (يعلمون) على التجدد والاستقرار (ما تفعلون) في الآية دلالة على أن الشاهد لا يشهد إلا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فدل على أنهم يكونون عالمين بها حتى إنهم يكتبونها فإذا كتبوها يكونون عالمين عند أداء الشهادة قال الرازي المعنى التعجب من حالهم كأنه قال إنكم تكذبون بيوم الدين وملائكة الله موكلون يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة ونظيره قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الأمور فيه إنذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين ثم بين سبحانه حال الفريقين فقال (إن الأبرار لفي نعيم) أي جنة (وإن الفجار لفي جحيم) أي نار والجملة مستأنفة لتقرير هذا المعنى الذي سيقت له وهي كقوله سبحانه فريق في الجنة وفريق في السعير ولفظ الفجار عائد على الكافرين الذين تقدم ذكرهم وليس شاملا لعصاة المؤمنين لأنا لا نسلم أن مرتكب الكبيرة من المؤمنين فاجر على الإطلاق فأل في الفجار للعهد الذكري بدليل قوله بل تكذبون بالدين (يصلونها يوم الدين) صفة لجحيم أو مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما حالهم فقيل يصلونها يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به ويجوز أن يكون في محل نصب على الحال من الضمير في متعلق الجار والمجرور ومعنى يصلونها أنهم يلزمونها مقاسين لوهجها وحرها يومئذ قرأ الجمهور

السائب عن عكرمة عن ابن عباس غير هذا وحديثا آخر رواه قبل هذا وقال النسائى أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن على حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال كلها فى صحف ابراهيم وموسى ولما نزلت وابراهيم الذى وفى قال وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى يعنى ان هذه الآية كقوله تعالى فى سورة النجم أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى الآيات الى آخرهن وهكذا قال عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثورى عن أبيه عن عكرمة فى قوله تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى يقول الآيات التى فى سبح اسم ربك الاعلى وقال أبو العالية قصة هذه السورة فى الصحف الاولى واختار ابن جرير ان المراد بقوله ان هذا اشارة الى قوله قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ثم قال تعالى ان هذا أى مضمون هذا الكلام لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى هذا الذى اختاره حسن قوى وقد روى عن قتادة وابن زيد نحوه والله أعلم

آخر تفسير سورة سبح ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة الغاشية وهى مكية)

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سبح اسم ربك الاعلى والغاشية فى صلاة العيد ويوم الجمعة وقال الامام مالك عن ضمرة ابن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله ان الضحاك بن قيس سأل النعمان ابن بشير بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الجمعة مع سورة الجمعة قال هل أتاك حديث الغاشية رواه أبو داود عن القعنبى والنسائى عن قتيبة كلاهما عن مالك به ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن ضمرة بن سعيد به

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع) الغاشية من أسماء يوم القيامة قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد لانها تغشى الناس وتعمهم وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون قال مر النبى صلى

يصلونها مخففا مبنيا للفاعل وقرئ بالتشديد مبنيا للمفعول (وما هم عنها بغائبين) أى لا يفارقونها أبدا ولا يغيبون عنها بل هم فيها وقيل المعنى وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون حرها فى قبورهم ثم عظم سبحانه ذلك اليوم فقال (وما أدراك ما يوم الدين) أى يوم الجزاء والحساب (ثم ما أدراك ما يوم الدين) كرره تعظيما لشأنه وتفخيما لقدره وتهويلا لامره كما فى قوله القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة والحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة والمعنى أى شئ جعلك داريا ما يوم الدين قال الكلبى الخطاب للانسان الكافر ثم أخبر سبحانه عن اليوم فقال (يوم لا تملك نفس) من النفوس (لنفس) أخرى (شيأ) من النفع والضر وملك الشفاعة لبعض الناس اذ ذاك انما هو باذن الله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ذكره الحفناوى قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع يوم على أنه بدل من يوم الدين أو خبر مبتدا محذوف وقرأ أبو عمرو فى رواية عنه يوم بالتنوين والقطع عن الاضافة وقرأ الباقون بفتحه على انها فتحة اعراب بتقدير أعنى أو اذكر فيكون مفعولا به أو على انها فتحة بناء لاضافته الى الجملة على رأى الكوفيين وهو فى محل رفع على أنه خبر مبتدا محذوف أو على أنه بدل من يوم الدين قال الزجاج يجوز أن يكون فى موضع رفع الا أنه بنى على الفتح لاضافته الى قوله لا تملك وما أضيف الى غير المتمكن فقد يبنى على الفتح وان كان فى موضع رفع وهذا الذى ذكره انما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة الى الفعل الماضى وأما الى الفعل المستقبل فلا يجوز عندهما وقد وافق الزجاج على ذلك أبو على الفارسى والفراء وغيرهما (والامر يومئذ لله) وحده لا يملك شيأ من الامر غيره كائنا من كان قال مقاتل يعنى لنفس كافرة شيأ من المنفعة قال قتادة ليس ثم أحد يقضى شيأ أو يصنع شيأ الا الله رب العالمين والمعنى ان الله لا يملك أحدا فى ذلك اليوم شيأ من الامور كما ملكهم فى الدنيا ومثل هذا قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

(سورة المطففين هى ست وثلاثون آية)

قال القرطبى وهى مكية فى قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية فى قول الحسن وعكرمة وقال مقاتل أيضا هى أول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة هى مدنية الا ثمان آيات من قوله ان الذين أجرموا الى آخرها وقال الكلبى وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس قال آخر ما نزل بمكة

الله عليه وسلم على امرأة تقرأ هل أتاك حديث الغاشية فقام يستمع ويقول نعم قد جاءني وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة أي ذليلة قاله قتادة وقال ابن عباس تخشع ولا ينفعها عملها وقوله تعالى عاملة ناصبة أي قد عملت عملا كثيرا ونصبت فيه وصليت يوم القيامة نارا حامية قال الحافظ أبو بكر البرقاني حدثنا ابراهيم بن محمد المزني حدثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجوني يقول مر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بدير راهب قال فناداه يا راهب فاشرف قال فجعل عمر ينظر اليه ويبكي فقيل له يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا قال ذكرت قول الله عز وجل في كتابه عاملة ناصبة تصلى نارا حامية فذاك الذي أبكاني وقال البخاري قال ابن عباس عاملة ناصبة النصارى وعن عكرمة والسدي عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار بالعذاب والاغلال قال ابن عباس والحسن وقتادة تصلى نارا حامية أي حارة شديدة الحر تسقى من عين آنية أي قد انتهى حرها وغليانها قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي وقوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس شجر من النار وقال سعيد بن جبير هو الزقوم وعنه انها الحجارة وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن الجوزاء وقتادة هو الشبرق قال قتادة قريش تسميه في الربيع الشبرق وفي الصيف الضريع قال عكرمة وهو شجر ذو شوك لاطئة بالارض وقال البخاري قال مجاهد الضريع نبت يقال له الشبرق تسميه أهل الحجاز الضريع اذا يبس وهو سم وقال معمر عن قتادة الا من ضريع هو الشبرق اذا يبس سمي الضريع وقال سعيد عن قتادة ليس لهم طعام الا من ضريع من شر الطعام وأبشعه وأخبثه وقوله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع يعني لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة) لما ذكر حال الاشقياء ثنى بذكر السعداء فقال وجوه يومئذ أي يوم القيامة ناعمة أي يعرف النعيم فيها وانما حصل لها ذلك بسعيها وقال سفيان لسعيها راضية قد رضيت عملها وقوله تعالى في جنة عالية أي رفيعة بهية في الغرفات آمنون لا تسمع فيها لاغية أي لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى لا يسمعون

بمكة سورة المطففين وعنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله ويل للمطففين فاحسنوا الكيل بعد ذلك أخرجه ابن مردويه والبيهقي في الشعب قال السيوطي بسند صحيح

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل للمطففين) ويل مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه دعاء ولو نصب لجاز قال مكي والمختار في ويل وشبهه اذا كان غير مضاف الرفع ويجوز النصب فان كان مضافا أو معرفا كان الاختيار فيه النصب كقوله ويلكم لا تفتروا والمطفف المنقص وحقيقته الاخذ في الكيل أو الوزن شيأ طفيفا أي نزرا خفيفا حقيرا قال أهل اللغة المطفف مأخوذ من الطفف وهو القليل فالمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن قال الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشئ اليسير الطفيف قال أبو عبيدة والمبرد المطفف الذي يبخس في الكيل والوزن والمراد بالويل هنا شدة العذاب أو نفس العذاب أو الشر الشديد أو هو واد في جهنم قال الكلبي قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وهم يسيؤن كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم فنزلت هذه الآية وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان بها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية قال الفراء هم بعد نزول هذه الآية أحسن الناس كيلا الى يومهم هذا وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم العدو ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائدا أو يدفع الى غيره ناقصا قليلا أو كثيرا لكن ان لم يتب منه فان تاب قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهي مبنية على أمر الكيل والوزن والزرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن ثم بين سبحانه المطففين من هم فقال (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) الاكتيال الاخذ بالكيل قال الفراء يريد اكتالوا من الناس وعلى ومن في هذا الموضع يعتقبان يقال اكتلت منك أي استوفيت منك وتقول اكتلت عليك أي أخذت ما عليك قال الزجاج

فيها لغوا الا سلاما وقال تعالى لا لغو فيها ولا تأثيم وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما (فيها عين جارية) أى سارحة وهذه نكرة فى سياق الاثبات وليس المراد بها عينا واحدة وانما هذا جنس يعنى فيها عيون جاريات قال ابن أبى حاتم قرئ على الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك (فيها سرر مرفوعة) أى عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فاذا (٢١٢) أراد ولى الله ان يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له (وأكواب موضوعة) يعنى أوانى الشراب معدة مرصدة لمن أرادها من اربابها (ونمارق مصفوفة) قال ابن عباس النمارق الوسائد وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك والسدى والثورى وغيرهم (وقوله تعالى وزرابى مبثوثة) قال ابن عباس الزرابى البسط وكذا قال الضحاك وغير واحد ومعنى مبثوثة أى ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها ونذكر ههنا هذا الحديث الذى رواه أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمرو ابن عثمان حدثنا أبى عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب انه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل من مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام فى أبد فى دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله قال القوم ان شاء الله ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقى عن الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) يقول تعالى آمرا عباده بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت فانها خلق عجيب وتركيبها غريب فانها فى غاية القوة والشدة وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ونبهوا بذلك لان العرب غالب دوابهم

اذا كالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل قال الزمخشرى لما كان اكتيالهم اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق بيستوفون وقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية أى يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها قال السمين وهو حسن ولم يذكر اتزنوا لان الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فأحدهما يدل على الآخر قال الواحدى قال المفسرون يعنى الذين اذا اشتروا لانفسهم استوفوا فى الكيل والوزن واذا باعوا ووزنوا لغيرهم نقصوا وهو معنى قوله (واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أى كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذفت اللام فتعدى الفعل الى المفعول فهو من باب الحذف والايصال ومثله نصحتك ونصحت لك كذا قال الاخفش والكسائى والفراء وقال الفراء سمعت أعرابية تقول اذا صدر الناس أتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين الى الموسم المقبل قال وهو من كلام أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس قال الزجاج لا يجوز الوقف على كالوا حتى يوصل بالضمير ومن الناس من يجعله تأكيدا أى توكيدا للضمير المستكن فى الفعل فيجيز الوقف على كالوا أو وزنوا قال أبو عبيد وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين ويقف على كالوا أو وزنوا ثم يقول هم يخسرون قال وأحسب قراءة حمزة كذلك قال أبو عبيد والاختيار أن يكونا كلمة واحدة من جهتين احداهما الخط ولذلك كتبوهما بغير ألف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا أو وزنوا بالالف والاخرى انه يقال كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك وهو كلام عربى كما يقال صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك وشكرتك وشكرت لك ونحو ذلك وقيل هو على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف المكيل والموزون أى واذا كالوا مكيلهم أو وزنوا موزونهم ومعنى يخسرون ينقصون كقوله ولا تخسروا الميزان والعرب تقول خسرت الميزان وأخسرته ثم خوفهم سبحانه فقال (ألا يظن أولئك انهم مبعوثون) مستأنفة مسوقة لتهويل ما فعلوه من التطفيف وتفظيعه وللتعجيب من حالهم فى الاجتراء عليه والاشارة بأولئك الى المطففين وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم فى الشرارة والفساد والمعنى انهم لا يخطرون ببالهم انهم مبعوثون فمسؤلون عما يفعلون قيل والظن هنا بمعنى اليقين أى لا يوقن أولئك ولو أيقنوا ما نقصوا الكيل والوزن وقيل الظن على بابه والمعنى ان كانوا لا يستيقنون البعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا فيه ويبحثوا عنه ويتركوا ما يخشون

كانت الابل وكان شريح القاضي يقول أخرجوا بنا حتى ننظر الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت أي كيف رفعها الله عز وجل عن الارض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والى الجبال كيف نصبت أي جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لئلا تميد الارض باهلها وجعل فيها ما جعل فيها من المنافع والمعادن والى الارض كيف سطحت أي كيف بسطت ومدت ومهدت فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه والجبل الذى تجاهه والارض التي تحته على قدرة (٢١٣) خالق ذلك وصانعه وانه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وانه الاله الذى لا يستحق العبادة سواه وهكذا أقسم ضمام في سؤاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان ابن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كنا نهينا ان نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكان يعجبنا ان يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد انه أتانا رسولك فزعم لنا انك تزعم ان الله أرسلك قال صدق قال فمن خلق السماء قال الله قال فمن خلق الارض قال الله قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل قال الله قال فبالذى خلق السماء والارض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك قال نعم قال وزعم رسولك ان علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا قال صدق قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا قال نعم قال وزعم رسولك ان علينا زكاة في أموالنا قال صدق قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا قال نعم قال وزعم رسولك ان علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال صدق قال ثم ولى فقال والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيأ ولا أنقص منهن شيأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان صدق ليدخلن الجنة وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن أبي النضر هاشم بن القاسم به وعلقه البخاري ورواه الترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه الامام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن سعيد المقبري عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس به بطوله وقال في آخره وانا ضمام ابن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا اسحق حدثنا عبد الله بن جعفر حدثني عبد الله بن دينار عن ابن عمر

ما يخشون من عاقبته ويأخذوا بالاحوط (ليوم عظيم) هو يوم القيامة ووصفه بالعظم لكونه زمانا لتلك الامور العظام من البعث والحساب والعقاب ودخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار عن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ثم زجر عن ذلك اليوم فقال (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أي يوم يقومون من قبورهم لامر رب العالمين أو لجزائه أو لحسابه أو لحكمه وقضائه وفي وصف اليوم بالعظم مع قيام الناس لله خاضعين فيه ووصفه سبحانه بكونه رب العالمين دلالة على عظم ذنب التطفيف ومزيد اثمه وفظاعة عقابه وفيما كان مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل أخذ وعطاء بل في كل قول وعمل وحال وقيل المراد بقوله يوم يقوم الناس قيامهم في رشحهم الى أنصاف آذانهم وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه وقيل المراد قيامهم بما عليهم من حقوق العباد وقيل المراد قيام الرسل بين يدى الله للقضاء والاول أولى وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية فكيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم أخرجه الطبراني وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين بمقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة فيهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس الى الغروب الى أن تغرب أخرجه أبو يعلى وابن حبان وابن مردويه وعن ابن مسعود قال اذا حشر الناس قاموا أربعين عاما أخرجه ابن أبي حاتم وأخرجه ابن مردويه من حديثه مرفوعا وعن ابن عمر أنه قال يا رسول الله كم مقام الناس بين يدى رب العالمين يوم القيامة قال ألف سنة لا يؤذن لهم أخرجه الطبراني وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها (كلا) هي للردع والزجر للمطففين الغافلين عن البعث وما بعده أو بمعنى حقا ثم استأنف فقال (ان كتاب الفجار) أظهر في موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف يعني ان كتب اعمال الكفار (لفي سجين) وهو ما فسره به سبحانه من قوله (وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) فاخبر

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترعى غنما فقال لها ابنها يا أمه من خلقك قالت الله قال فمن خلق أبي قالت الله قال فمن خلقني قالت الله قال فمن خلق السماء قالت الله قال فمن خلق الارض قالت الله قال فمن خلق الجبل قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم قالت الله قال اني لأسمع لله شأنا وألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدثنا هذا قال ابن دينار كان ابن عمر كثيرا ما يحدثنا هذا في اسناده ضعف وعبد الله بن جعفر هذا هو المديني ضعفه ولده الامام علي بن المديني وغيره وقوله تعالى فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به اليهم فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ولهذا قال لست عليهم بمسيطر قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما لست عليهم بجبار أي لست تخلق الايمان في قلوبهم وقال ابن زيد لست بالذي تكرههم على الايمان قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل ثم قرأ فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر وهكذا رواه مسلم في كتاب الايمان والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة بدون ذكر هذه الآية وقوله تعالى الا من تولى وكفر أي تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه وهذه كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ولهذا قال فيعذبه الله العذاب الاكبر قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبي هلال عن علي بن خالد ان أبا امامة الباهلي مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا كلكم يدخل الجنة الا من شرد على الله شراد البعير على أهله تفرد باخراجه الامام أحمد وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يزد على ما ههنا روى عن أبي امامة وعنه سعيد بن أبي هلال وقوله تعالى ان الينا ايابهم أي مرجعهم ومنقلبهم ثم ان علينا حسابهم أي نحن نحاسبهم على

بهذا انه كتاب مرقوم أي مسطور وقيل هو كتاب جامع لاعمال الشر الصادرة من الشياطين والكفرة والفسقة ولفظ سجين علم له وقال قتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب انه صخرة تحت الارض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها وبه قال مجاهد فيكون في الكلام على هذا القول مضاف محذوف والتقدير محل كتاب مرقوم وقال أبو عبيدة والاخفش والمبرد والزجاج لفي حبس وضيق شديد والمعنى كأنهم في حبس جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم وهوانهم قال الواحدي ذكر قوم ان قوله كتاب مرقوم تفسير سجين وهو بعيد لانه ليس السجين من الكتاب في شيء على ما حكيناه عن المفسرين والوجه ان يجعل بيانا للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار على تقدير هو كتاب مرقوم أي مكتوب قد بينت حروفه انتهى والاولى ما ذكرناه ويكون المعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم أو كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون للقبائح المختص بالشر وهو سجين ثم ذكر ما يدل على تهويله وتعظيمه فقال وما أدراك ما سجين ثم بينه بقوله كتاب مرقوم قال الزجاج معنى قوله وما أدراك ما سجين ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك اي في الدنيا قبل نزول الوحي عليك وانما علمته بالوحي قال قتادة ومعنى مرقوم رقم لهم بشر كأنه أعلم بعلامة يعرف بها انه كافر وكذا قال مقاتل وقد اختلفوا في نون سجين فقيل هي أصلية واشتقاقه من السجن وهو الحبس وهو بناء مبالغة كخمير وسكير وفسيق من الخمر والسكر والفسق وكذا قال أبو عبيدة والمبرد والزجاج قال الواحدي وهذا ضعيف لان العرب ما كانت تعرف سجينا ويجاب عنه بان رواية هؤلاء الائمة تقوم بها الحجة وتدل على انه من لغة العرب ومنه قول ابن مقبل

ورفقة يضربون البيض ضاحية * ضربا تواصت به الابطال سجينا

وقيل النون بدل من اللام والاصل سجيل مشتقا من السجل وهو الكتاب قال ابن عطية من قال ان سجينا موضع فكتاب مرفوع على انه خبر ان والظرف وهو قوله لفي سجين ملغى ومن جعله عبارة عن الكتاب فكتاب خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو كتاب ويكون هذا الكلام مفسرا للسجين ما هو وكذا قال الضحاك وقوله مرقوم مختوم بلغة حمير وأصل الرقم الكتابة وقال كعب الاحبار في الآية ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها فتهبط بها الى الارض فتأبى ان تقبلها فيدخل بها تحت

أعمالهم ونجازيهم بها ان خيرا فخير وان شرا فشر آخر تفسير سورة الغاشية ولله الحمد والمنة *(تفسير سورة الفجر وهى مكية)*
قال النسائى انا عبد الوهاب بن الحكم أخبرنى يحيى بن سعيد عن سليمان عن محارب بن دثار وأبى صالح عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى فى ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل الفتى فقال يارسول الله حيث أصلى معه يطول على فانصرفت وصليت فى ناحية المسجد فعلفت ناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتانا يامعاذ أين أنت من سبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والفجر والليل اذا يغشى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد) أما الفجر فمعروف وهو الصبح قاله على وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدى وعن مسروق ومحمد بن كعب المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالى العشر وقيل المراد بذلك الصلاة التى تفعل عنده كما قاله عكرمة وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس والليالى العشر المراد بها عشر ذى الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف وقد ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس مرفوعا مامن أيام العمل الصالح أحب الى الله فيهن العمل من هذه الايام يعنى عشر ذى الحجة قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشئ وقيل المراد بذلك العشر الاول من المحرم حكاه أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه الى أحد وقد روى أبو كدينة عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس وليال عشر قال هو العشر الاول من رمضان والصحيح القول الاول قال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عياش بن عقبة حدثنى خير بن نعيم عن أبى الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر ورواه النسائى عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله كل منهما عن زيد بن الحباب به ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا اسناد رجاله لا بأس بهم وعندى ان المتن فى رفعه نكارة والله أعلم وقوله تعالى والشفع والوتر قد تقدم فى هذا الحديث ان الوتر يوم عرفة لكونه

سبع أرضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو خد ابليس فيخرج لها من تحت خد ابليس كتابا فيختم ويوضع تحت خد ابليس وعن ابن عباس قال سجين أسفل الارضين وأخرج ابن جرير عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال الفلق جب فى جهنم مغطى واما سجين فمفتوح قال ابن كثير هو حديث غريب منكر لا يصح وأخرج ابن مردويه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سجين الارض السابعة السفلى وأخرج هو عن جابر نحوه مرفوعا وعن عبد الله بن كعب بن مالك قال لما حضرت كعبا الوفاة أتته أم بشر بنت البراء فقالت ان لقيت ابنى فاقرأه منى السلام فقال غفر الله لك يا أم بشر نحن اشغل من ذلك فقالت اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان نسمة المؤمن تسرح فى الجنة حيث شاءت وان نسمة الكافر فى سجين قال بلى قالت فهو ذاك أخرجه ابن ماجه والطبرانى والبيهقى فى البعث وعبد بن حميد (ويل يومئذ للمكذبين) هذا متصل بقوله يوم يقوم الناس وما بينهما اعتراض والمعنى ويل يوم القيامة لمن وقع منه التكذيب بالبعث وبما جاءت به الرسل ثم بين سبحانه هؤلاء المكذبين فقال (الذين يكذبون بيوم الدين) اى بيوم القيامة لانه يوم الجزاء والحساب والموصول بدل من المكذبين أو صفة (وما يكذب به الا كل معتد أثيم) اى فاجر جائر متجاوز فى الاثم منهمك فى اسبابه (اذا تتلى عليه آياتنا) المنزلة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن الكريم (قال اساطير الاولين) اى أحاديثهم واباطيلهم التى زخرفوها والحكايات التى سطرت قديما جمع أسطورة بالضم اواسطارة بالكسر قرأ الجمهور تتلى بفوقيتين وقرئ بالتحتية وقوله (كلا) للردع والزجر للمعتدى الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له وقال الحسن بمعنى حقا وقوله (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) بيان للسبب الذى حملهم على قولهم بان القرآن أساطير الاولين قال أبو عبيدة ران على قلوبهم غلب عليها رينا وريونا وكل ماغلبك وعلاك فقد ران بك وران عليك قال الفراء هو أنها كثرت منهم المعاصى والذنوب فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب قال مجاهد القلب مثل الكف ورفع كفه فاذا أذنب انقبض وضم أصبعه فاذا أذنب ذنبا آخر انقبض وضم أخرى حتى ضم أصابعه كلها حتى يطبع على قلبه قال وكانوا يرون ان ذلك هو الرين ثم قرأ هذه الآية قال أبو زيد يقال قد رين بالرجل

التاسع وان الشفع يوم النحر لكونه العاشر وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضا قول ثان وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثني عقبة بن خالد عن واصل بن السائب قال سألت عطاء عن قوله تعالى والشفع والوتر قلت صلاتنا وترنا هذا قال لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الاضحى قول ثالث قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عامر بن ابراهيم الاصبهاني حدثني أبي عن النعمان يعني ابن عبد السلام عن أبي سعيد بن عوف حدثني بمكة قال سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر

فقال الشفع قول الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه والوتر قوله تعالى ومن تأخر فلا اثم عليه وقال ابن جرير أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قول رابع قال الحسن البصري وزيد بن أسلم الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه وهو رواية عن مجاهد والمشهور عنه الاول وقال العوفي عن ابن عباس والشفع والوتر قال الله وتر واحد وأنتم شفع ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب قول خامس قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد والشفع والوتر قال الشفع الزوج والوتر الله عز وجل وقال أبو عبد الله عن مجاهد الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والانثى وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والشفع والوتر كل شئ خلقه الله شفع السماء والارض والبر والبحر والجن والانس والشمس والقمر ونحو هذا ونحا مجاهد في هذا ما ذكر في قوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أي لتعلموا أن خالق الازواج واحد قول سادس قال قتادة عن الحسن والشفع والوتر هو العدد منه شفع ومنه وتر قول سابع في الآية الكريمة رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج ثم قال ابن جرير وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن ابن الزبير حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا زيد بن الحباب أخبرني عياش بن عقبة حدثني خير بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم وما رواه هو أيضا والله أعلم قال أبو العالية والربيع بن أنس وغيرهما هي الصلاة

ربما اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به وقال أبو معاذ النحوي الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشد من الطبع قال الزجاج الرين هو كالصدا يغشى القلب كالغيم الرقيق ومثله الغين وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان العبد اذا أذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان عاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله سبحانه في القرآن كلا بل ران على قلوبهم الخ أخرجه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وغيرهم ثم كرر سبحانه الردع والزجر فقال (كلا) وقيل كلا بمعنى حقا أي حقا (انهم) يعني الكفار (عن ربهم) أي عن رؤيته (يومئذ) أي يوم القيامة (لمحجوبون) لا يرونه أبدا قال مقاتل يعني انهم بعد العرض والحساب لا ينظرون الى ربهم نظر المؤمنين اليه قال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته قال الزجاج في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى في القيامة ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة وقال جل ثناؤه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فأعلم سبحانه ان المؤمنين ينظرون وأعلم ان الكفار محجوبون وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وقال قتادة وابن أبي مليكة هو أن لا ينظر اليهم برحمته ولا يزكيهم وقال مجاهد محجوبون عن كرامته وكذا قال ابن كيسان والاول أولى (ثم انهم لصالوا الجحيم) أي لداخلوا النار وملازموها غير خارجين منها وثم لتراخي الرتبة لان صلي الجحيم أشد من الاهانة وحرمان الكرامة (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أي يقول لهم خزنة جهنم تبكيتا وتوبيخا هذا ما كذبتم به في الدنيا وأنكرتم وقوعه فانظروه وذوقوه وقوله (كلا) للردع والزجر عما كانوا عليه والتكرير للتأكيد وجملة (ان كتاب الابرار لفي عليين) مستأنفة لبيان ما تضمنته ويجوز أن تكون كلا بمعنى حقا فالحاصل ان في كل واحدة من الاربعة الواقعة في هذه السورة قولين والابرار هم المطيعون وكتابهم صحائف حسناتهم قال الفراء عليين ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له ووجه هذا انه منقول من جمع علي من العلو قال الزجاج هو أعلى الامكنة قال الفراء والزجاج فأعرب كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع ولا واحد له من لفظه نحو ثلاثين وعشرين وقنسرين قيل هو علم لديوان الخير الذي دون فيه ما عمله الصالحون وحكى الواحدي عن المفسرين انه السماء

السابعة

منها شفع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب فانها ثلاث وهي وتر النهار وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عمران بن حصين والشفع والوتر قال هي الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر وهذا منقطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روى متصلا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه عام قال الامام أحمد حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام ان شيخا حدثه من أهل البصرة عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال هي الصلاة بعضها شفع

وبعضها وتر هكذا وقع في المسند وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن عفان وعن أبي كريب عن عبيد الله بن موسى كلاهما عن همام وهو ابن يحيى عن قتادة عن عمران بن عصام عن شيخ عن عمران بن حصين وكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن عمرو بن علي عن ابن مهدي وأبي داود كلاهما عن همام عن قتادة عن عمران بن عصام عن رجل من أهل البصرة عن عمران بن حصين به ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث قتادة وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة وقد روى عن عمران بن عصام عن عمران نفسه والله أعلم (قلت) ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبعي شيخ من أهل البصرة عن عمران ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره هكذا رأيته في تفسيره فجعل الشيخ البصري هو عمران بن عصام وهكذا رواه ابن جرير أخبرنا نصر بن علي حدثني أبي حدثني خالد ابن قيس عن قتادة عن عمران بن عصام عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفع والوتر قال هي الصلاة منها شفع ومنها وتر فاسقط ذكر الشيخ المبهم وتفرد به عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري امام مسجد بني ضبيعة وهو والد أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي روى عنه قتادة وابنه أبو جمرة والمثنى بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة وكان شريفا نبيلا خطيبا عند الحجاج بن يوسف ثم قتله يوم الزاوية سنة ثنتين وثمانين لخروجه مع ابن الاشعث وليس له

السابعة قال الضحاك ومجاهد وقتادة يعني السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين وقال الضحاك أيضا هو سدرة المنتهى ينتهي اليه كل شيء من أمر الله لا يعدوها وقيل هو الجنة وبه قال ابن عباس وقال قتادة أيضا هو فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى وقيل ان عليين صفة للملائكة فانهم في الملا الاعلى كما يقال فلان في بني فلان أي في جملتهم وقيل هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش مكتوبة فيه أعمالهم وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقيل هو مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله وأعلاها (وما أدراك ما عليون) أي ما أعلمك يا محمد أي شيء عليون على جهة التفخيم والتعظيم لعليين أخرج ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر من طريق شمر بن عطية ان ابن عباس سأل كعب الاحبار عن قوله ان كتاب الابرار لفي عليين قال روح المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء فتفتح لها أبواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى حتى ينتهي بها الى العرش وتعرج الملائكة فيخرج لها من تحت العرش رق فيرقم ويختم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة لحساب يوم الدين وعن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني وابن مردويه ثم فسره سبحانه بقوله (كتاب مرقوم) أي مسطور وقيل مكتوب فيه أعمالهم وما أعد لهم في الآخرة من الكرامة وهذا التفسير الالهي يغني عن تفاسير الخلق قال الخطيب مكتوب فيه ان فلانا آمن من النار فيا له من رقم ما أبهاه وأجله والكلام في هذا كالكلام المتقدم في قوله وما أدراك ما سجين الخ وجملة (يشهده المقربون) صفة أخرى لكتاب والمعنى ان الملائكة يحضرون ذلك الكتاب المرقوم ويحفظونه وقيل يشهدون بما فيه يوم القيامة لتعظيمه والاول من الشهود والثاني من الشهادة قال وهب وابن اسحق المقربون هنا اسرافيل فاذا عمل المؤمن عمل البر صعدت الملائكة بالصحيفة ولها نور يتلألأ في السموات كنور الشمس في الارض حتى ينتهي بها الى اسرافيل فيختم عليها وقال ابن عباس المقربون أهل السماء ثم ذكر سبحانه حالهم في الجنة بعد ذكر كتابهم فقال (ان الابرار لفي نعيم) أي ان أهل الطاعة لفي تنعم عظيم لا يقادر قدره (على الارائك ينظرون) الارائك الاسرة التي في الحجال (١) وقد تقدم انها لا تطلق الاريكة على السرير الا اذا كان في حجلة قال الحسن ما كنا ندري ما الارائك حتى قدم علينا رجل من اليمن فزعم ان الاريكة

(١) قال الجوهري الحجال جمع حجلة بالتحريك واحد حجال العروس وهو بيت يزين بالثياب والاسرة ذكره الكرخي اه

عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد وعندي ان وقفه على عمران بن حصين أشبه والله أعلم ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الاقوال في الشفع والوتر وقوله تعالى والليل اذا يسري قال العوفي عن ابن عباس أي اذا ذهب وقال عبد الله بن الزبير والليل اذا يسري حتى يذهب بعضه بعضا وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد والليل اذا يسري اذا سار وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس أي ذهب ويحتمل أن يكون المراد اذا سار أي أقبل وقد يقال ان هذا أنسب لانه في مقابلة قوله والفجر فان الفجر هو اقبال النهار وادبار الليل

فاذا حمل قوله والليل اذا يسري على اقباله كان قسما باقبال الليل وادبار النهار وبالعكس كقوله والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس وكذا قال الضحاك والليل اذا يسري أي يجري وقال عكرمة والليل اذا يسري يعني ليلة جمع ليلة المزدلفة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في قوله والليل اذا يسري قال اسر يا ساري ولا تبيتن الا بجمع وقوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر أي لذي عقل ولب وحجا وانما سمي العقل حجرا لانه يمنع الانسان عن تعاطي ما لا يليق من الافعال والاقوال ومنه حجر البيت لانه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي ومنه حجر اليمامة وحجر الحاكم على فلان اذا منعه التصرف ويقولون حجرا محجورا كل هذا من قبيل واحد ومعنى متقارب وهذا القسم هو باوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها اليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده [illegible]

ألم تر كيف فعل ربك بعاد وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكتبه فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبرا فقال ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد وهؤلاء عاد الاولى وهم ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح قاله ابن اسحق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودا عليه السلام فكذبوه وخالفوه فانجاه الله من بين اظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى

عندهم الحجلة اذا كان فيها سرير قال الشهاب الحجلة بفتحتين بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخى على السرير يسمى في عرف الناس بالناموسية والمعنى انهم ينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامات كذا قال عكرمة ومجاهد وغيرهما وقال مقاتل ينظرون الى أهل النار وقيل ينظرون الى وجهه وجلاله (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي اذا رأيتهم عرفت انهم من أهل النعمة لما تراه في وجوههم من النور والحسن والبياض والبهجة والتنعم والرونق أخرج ابن المنذر عن علي بن أبي طالب في الآية قال عين في الجنة يتوضؤن منها ويغتسلون فتجري عليهم نضرة النعيم أي بهجة التنعم وطراوته والخطاب لكل راء يصلح لذلك يقال أنضر النبات اذا أزهر ونور قال عطاء وذلك ان الله زاد في جمالهم وفي ألوانهم ما لا يصفه واصف قرأ الجمهور تعرف بفتح الفوقية وكسر الراء ونصب نضرة وقرئ بضم الفوقية وفتح الراء على البناء للمفعول ورفع نضرة بالنيابة (يسقون من رحيق) خمر خالصة من الدنس فهي بيضاء (مختوم) على انائها لا يفك ختمها الا هم قال أبو عبيدة والاخفش والمبرد والزجاج الرحيق من الخمر ما لا غش فيه ولا شيء يفسده والمختوم الذي له ختام وقال الخليل الرحيق أجود الخمر وفي الصحاح الرحيق صفوة الخمر وقال مجاهد هو الخمر العتيقة البيضاء الصافية قال مجاهد مختوم مطين كأنه ذهب الى معنى الختم بالطين ويكون المعنى انه ممنوع ان تمسه يد الى ان يفك ختمه للابرار وقال تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانهار من خمر والنهر لا يختم عليه فطريق الجمع بينهما ان المذكور في هذه الآية في أوان مختوم عليها لشرفها ونفاستها وهي غير تلك الخمر التي في الانهار (ختامه مسك) أي آخر طعمه ريح المسك اذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك وقيل مختوم أوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطين وكأنه تمثيل لكمال نفاسته وطيب رائحته والحاصل ان المختوم والختام اما ان يكون من ختام الشيء وهو آخره أو من ختم الشيء وهو جعل الخاتم عليه كما تختم الاشياء بالطين ونحوه وقال ابن مسعود الرحيق الخمر والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك وعنه مختوم ممزوج ختامه مسك قال طعمه في ريحه وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وقال ابن عباس رحيق خمر ومختوم ختم بالمسك عن ابن مسعود قال ليس بخاتم فيختم به ولكن خلطه مسك ألم تر الى المرأة من نسائكم تقول خلطه من الطيب كذا وكذا وعن أبي

كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون فقوله تعالى ارم ذات العماد عطف بيان زيادة تعريف بهم وقوله تعالى ذات العماد لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشا ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين وقال تعالى فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وقال ههنا التي لم يخلق مثلها في البلاد أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم قال مجاهد ارم أمة قديمة يعني عادا الأولى كما قال قتادة بن دعامة والسدي ان ارم بيت مملكة عاد وهذا حسن جيد قوي وقال مجاهد وقتادة والكلبي في قوله ذات العماد كانوا أهل عمود لا يقيمون وقال العوفي عن ابن عباس إنما قيل لهم ذات العماد لطولهم واختار الأول ابن جرير ورد الثاني فأصاب وقوله تعالى التي لم يخلق مثلها في البلاد أعاد ابن زيد الضمير على العماد لارتفاعها وقال بنوا عمدا بالأحقاف لم يخلق مثلها في البلاد وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد يعني في زمانهم وهذا القول هو الصواب وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف لأنه لو كان المراد ذلك لقال التي لم يعمل مثلها في البلاد وإنما قال لم يخلق مثلها في البلاد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عمن حدثه عن المقدام عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر ارم ذات العماد فقال كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو الطاهر حدثنا أنس بن عياض عن ثور ابن زيد الديلي قال قرأت كتابا قد سمى حيث قرأه أنا شداد بن عاد وأنا الذي رفعت العماد وأنا الذي شددت بذراعي (١) نظر واحد وأنا الذي كنزت كنزا على سبعة أذرع لا يخرجه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم قلت فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة

(١) قوله نظر واحد كذا في الأصل الذي بأيدينا وحرر المعنى واللفظ اه

الدرداء ختامه مسك قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل اصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريحها وقرأ الجمهور ختامه وقرئ خاتمه بفتح التاء قال علقمة أما رأيت المرأة تقول للعطار اجعل خاتمه مسكا أي آخره والخاتم والختام يتقاربان في المعنى إلا أن الخاتم الاسم والختام المصدر كذا قال الفراء وقال في الصحاح والختام الطين الذي يختم به وكذا قال ابن زيد (وفي ذلك) الرحيق الموصوف بتلك الصفة (فليتنافس المتنافسون) أي فليرغب الراغبون وقيل ان في بمعنى إلى أي وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل كما في قوله لمثل هذا فليعمل العاملون وأصل التنافس التشاجر على الشيء والتنازع فيه بأن يحب كل واحد أن ينفرد به دون صاحبه يقال نفست الشيء عليه نفاسة أي ضننت به ولم أحب أن يصير إليه قال البغوي أصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس فيريده كل واحد لنفسه وينفس به على غيره أي يضن به قال عطاء المعنى فليستبق المستبقون وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون وذا لا يكون إلا بالمسارعة إلى الخيرات والانتهاء عن السيئات وقال الزمخشري فليرتقب المرتقبون والمعنى في الجميع واحد (ومزاجه) معطوف على ختامه مسك صفة أخرى لرحيق أي ومزاج ذلك الرحيق (من تسنيم) وهو شراب ينصب عليهم من علو وهو أشرف شراب الجنة وأصل التسنيم في اللغة الارتفاع فهي عين ماء تجري من علو إلى أسفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه ومنه تسنيم القبور قال ابن عباس تسنيم أشرف شراب الجنة وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين وسائر أهل الجنة وقال ابن عباس لما سئل عن هذا هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال ابن مسعود عين في الجنة تمزج لأصحاب اليمين ويشرب بها المقربون صرفا ثم بين سبحانه ذلك فقال (عينا يشرب بها المقربون) انتصاب عينا على المدح وقال الزجاج على الحال وإنما جاز أن يكون عينا حالا مع كونها جامدة غير مشتقة لاتصافها بقوله يشرب بها وقال الأخفش انها منصوبة بيسقون وقال الفراء بتسنيم والأول أولى وبه قال المبرد قيل والباء في بها زائدة أي يشرب بها أو بمعنى من أي يشرب منها قال ابن زيد بلغنا أنها عين تجري من تحت العرش ثم ذكر سبحانه بعض قبائح المشركين فقال (ان الذين أجرموا) وهم كفار قريش كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وأصحابهم من أهل مكة

يوتهم للبدو أوسلالجايقاتلون به أوطول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الامم وهم المذكورون فى القرآن فى غير ما موضع المقرونون بثمود كما ههنا والله أعلم ومن زعم ان المراد بقوله ارم ذات العماد مدينة اما دمشق كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو اسكندرية كما روى عن القرظي أو غيرهما ففيه نظر فانه كيف يلتئم الكلام على هذا ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ان جعل ذلك بدلا أو عطف بيان فانه لا يتسق الكلام حينئذ ثم المراد انما هو الاخبار عن اهلاك القبيلة المسماة بعاد وما أحل الله بهم من بأسه الذى لا يرد لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو اقليم وانما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها ارم ذات العماد مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها وان حصباءها لآلئ وجواهر وترابها بنادق المسك وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب وانها تنتقل فتارة تكون بارض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد فان هذا كله من خرافات الاسرائليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس ان صدقهم فى جميع ذلك وذكر الثعلبي وغيره ان رجلا من الاعراب وهو عبد الله بن قلابة فى زمان معاوية ذهب فى طلب أباعر له شردت فبينما هو يتيه فى ابتغائها اذا طلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التى تقدم ذكرها وانه رجع فاخبر الناس فذهبوا معه الى المكان الذى قال فلم يروا شيأ وقد ذكر ابن أبى حاتم قصة ارم ذات العماد ههنا مطولة جدا فهذه الحكاية ليس يصح اسنادها ولو صح الى ذلك الاعرابي فقد يكون اختلق وقد ذلك أو انه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد ان ذلك له حقيقة فى الخارج وليس كذلك وهذا مما يقطع بعدم صحته وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الارض فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر واليواقيت واللآلئ والاكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول اليها والاخذ منها فيحتالون على أموال الاغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل فى صرفها فى بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات ويطنزون بهم والذى يجزم به ان فى الارض

ومن وافقهم على الكفر حكى الله عنهم أربعة أشياء من العلامات القبيحة أولها (كانوا من الذين آمنوا) كعمار وبلال وخباب وصهيب وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) أى يستهزؤن بهم فى الدنيا ويسخرون منهم وآخرها قولهم ان هؤلاء لضالون وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا أو لمراعاة الفواصل (واذا مروا بهم) أى واذا مر المؤمنون بالكفار وهم فى مجالسهم (يتغامزون) من الغمز وهو الاشارة بالجفون والحواجب أى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم وحواجبهم طعنا فيهم وعيبا لهم وقيل يعيرونهم بالاسلام ويعيبونهم به (واذا انقلبوا) أى اذا انقلب الكفار من مجالسهم (الى أهلهم انقلبوا فاكهين) أى معجبين بما هم فيه متلذذين به يتفكهون بذكر المؤمنين والطعن فيهم والاستهزاء بهم والسخرية منهم والانقلاب الانصراف قرأ الجمهور فاكهين وقرئ فكهين بغير ألف قال الفراء هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر وقد تقدم بيانه فى سورة الدخان ان الفكه الاشر البطر والفاكه الناعم المتنعم (واذا رأوهم) أى اذا رأى الكفار المسلمين فى أى مكان (قالوا ان هؤلاء لضالون) فى اتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بما جاء به وتركهم التنعم الحاضر يعنى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه فى الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال أو المعنى واذا رأى المسلمون الكافرين قالوا هذا القول والاول أولى (وما أرسلوا عليهم حافظين) أى والحال انهم لم يرسلوا على المسلمين من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم وأعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم بل أمروا باصلاح انفسهم فاشتغالهم بذلك اولى بهم من تتبع عورات غيرهم وتسفيه احلامهم وهذا تهكم بهم واشعار بأن ما اجترؤا عليه من القول من وظائف الرسل من جهته تعالى ويجوز أن يكون ذلك من جملة قول المؤمنين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام قاله أبو السعود والاول أولى وأظهر (فاليوم) أى يوم الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) يعنى ان المؤمنين فى ذلك اليوم يضحكون من الكفار حين يرونهم اذلاء مغلوبين قد نزل بهم ما نزل من العذاب كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا (على الارائك ينظرون) اى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الحال الفظيع والهوان والصغار بعد العزة والاستكبار

دفائن جاهلية واسلامية وكنوزا كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله فاما على الصفة التى زعموها فكذب وافتراء وبهت ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون الا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى الهادى للصواب وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله ارم ذات العماد قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف فيه نظر لان المراد من السياق انما هو الاخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده وثمود الذين جابوا الصخر بالواد يعنى يقطعون الصخر بالوادى قال ابن عباس ينحتونها او يخرقونها وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ومنه يقال مجتابى النمار اذا خرقوها واجتاب الثوب (٢٢١) اذا فتحه ومنه الجيب أيضا وقال الله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين وأنشد ابن جرير وابن أبى حاتم ههنا قول الشاعر

ألا كل شيء ما خلا الله بائد
كما باد حي من شنيق ومارد
هم ضربوا فى كل صماء صعدة
بأيد شداد أيدات السواعد

وقال ابن اسحق كانوا عربا وكان منزلهم بوادى القرى وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة فى سورة الاعراف بما أغنى عن اعادته وقوله تعالى وفرعون ذى الاوتاد قال العوفى عن ابن عباس الاوتاد الجنود الذين يشدون له أمره ويقال كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم فى أوتاد من حديد يعلقهم بها وكذا قال مجاهد كان يوتد الناس بالاوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدى قال السدى كان يربط الرجل كل قائمة من قوائمه فى وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال قتادة بلغنا انه كانت له مطال وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال وقال ثابت البنانى عن أبى رافع قيل لفرعون ذى الاوتاد لانه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت وقوله تعالى الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد أى تمردوا وعتوا وعاثوا فى الارض بالافساد والاذية للناس فصب عليهم ربك سوط عذاب أى أنزل عليهم رجزا من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد قال ابن عباس يسمع ويرى يعنى يرصد خلقه فيما يعملون ويجازى كلا بسعيه فى الدنيا والاخرى وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور وقد ذكر ابن أبى حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفى اسناده نظر وفى صحته فقال حدثنا ابى حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا يونس

وقد تقدم تفسير الارائك قريبا قال الواحدى قال المفسرون ان أهل الجنة اذا أرادوا نظروا الى منازلهم الى أعداء الله وهم يعذبون فى النار فضحكوا منهم كما ضحكوا منهم فى الدنيا وقال أبو صالح يقال لاهل النار اخرجوا ويفتح لهم أبوابها فاذا رأوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم على الارائك فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم فذلك قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون الخ وجملة (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) مستأنفة لبيان انه قد وقع الجزاء للكفار بما كان يقع منهم فى الدنيا من الضحك من المؤمنين والاستهزاء بهم والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى اثيب والمعنى هل جوزى الكفار بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين وقيل الجملة فى محل نصب بينظرون وقيل هى على اضمار القول أى يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الكفار والثواب ما يرجع على العبد فى مقابلة عمله ويطلق على الخير والشر قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بادغام لام هل فى ثاء ثوب وقرأ الباقون بترك الادغام

(سورة الانشقاق هى ثلاث أو خمس وعشرون آية)

وهى مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن أبى رافع قال صليت مع أبى هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبى القاسم صلى الله عليه وآله وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه اخرجه البخارى ومسلم وغيرهما واخرج مسلم واهل السنن وغيرهم عن ابى هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى اذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك الذى خلق وعن بريدة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ فى الظهر اذا السماء انشقت ونحوها اخرجه ابن خزيمة والرويانى فى مسنده والضياء المقدسى فى المختارة

(بسم الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انشقت) اى انصدعت وتفطرت فيه حذف والتقدير اذا انشقت السماء انشقت لان اذا الشرطية يختص دخولها بالجمل الفعلية وما جاء من هذا ونحوه فمؤول محافظة على قاعدة الاختصاص فالسماء فاعل لفعل محذوف قال الواحدى قال المفسرون انشقاقها من علامات القيامة ومعنى انشقاقها انفطارها بالغمام الابيض كما فى قوله ويوم تشقق السماء بالغمام وقيل تنشق من المجرة وبه قال على بن ابى طالب

الحذاء عن أبي حمزة اليماني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ان المؤمن لدى الحق أسير يا معاذ ان المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره يا معاذ ان المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو باذن الله عزوجل فالقرآن دليله والخوف محجته والشوق مطيته والصلاة كهفه والصوم جنته والصدقة فكاكه والصدق أميره والحياء وزيره وربه عزوجل من وراء ذلك كله بالمرصاد قال ابن أبي حاتم يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة عن معاذ مرسل ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنا أي لو كان من كلامه لكان حسنا قال

ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أيفع عن ابن عبد الكلاعي انه سمعه وهو يعظ الناس يقول ان لجهنم سبع قناطر قال والصراط عليهن قال فيحبس الخلائق عند القنطرة الاولى فيقول قفوهم انهم مسؤلون قال فيحاسبون على الصلاة ويسئلون عنها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا فاذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الامانة كيف أدوها وكيف خانوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا فاذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا قال والرحم يومئذ متدلية الى الهوى في جهنم تقول اللهم من وصلني فصله ومن قطعني فاقطعه قال وهي التي يقول الله عزوجل ان ربك لبالمرصاد هكذا أورد هذا الاثر ولم يذكر تمامه (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما) يقول تعالى منكرا على الانسان في اعتقاده اذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله اكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وكذلك في الجانب الآخر اذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد ان ذلك من الله اهانة له قال الله تعالى كلا أي ليس الامر كما زعم لا في هذا ولا في هذا فان الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وانما المدار في ذلك على طاعة

والمجرة باب السماء واهل الهيئة يقولون انها نجوم صغار مختلطة غير متميزة في الحس واختلف في جواب اذا فقال الفراء انه اذنت والواو زائدة وكذلك ألقت قال ابن الانباري هذا غلط لان العرب لا تقحم الواو الا مع حتى اذا كقوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها او مع لما كقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ولا تقحم مع غير هذين وقيل ان الجواب قوله فملاقيه اى فانت ملاقيه وبه قال الاخفش وقال المبرد ان في الكلام تقديما وتأخيرا أي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء انشقت وقال المبرد ايضا ان الجواب قوله فاما من اوتي كتابه وبه قال الكسائي والتقدير اذا السماء انشقت فمن اوتي كتابه بيمينه فحكمه كذا وقيل هو يا ايها الانسان على اضمار الفاء او على اضمار القول اى يقال له يا ايها الانسان وقيل الجواب محذوف تقديره بعثتم او لاقى كل انسان عمله وقيل هو ما صرح به في سورة التكوير اى علمت نفس هذا على تقدير ان اذا شرطية وقيل ليست بشرطية وهي منصوبة باذكر المحذوف وهي مبتدأ وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة وتقديره وقت انشقاق السماء وقت مد الارض ومعنى (وأذنت لربها وحقت) انها اطاعته في الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع مشتق من الاذن وهو الاستماع للشئ والاصغاء اليه وحق لها ان تطيع وتنقاد وتسمع وقد استعمل الاذن في الاستماع في اشعار العرب وفي الحديث ما أذن الله لشئ اذنه لنبي يتغنى بالقرآن قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذن

وقال الجار بن حكيم * اذنت لكم لما سمعت هديركم * وفي المختار اذن له استمع وبابه طرب وقيل المعنى وحقق الله عليها الاستماع لامره بالانشقاق أي جعلها حقيقة بذلك قال الضحاك حقت اطاعت وحق لها ان تطيع ربها لانه خلقها يقال فلان محقوق بكذا ومعنى طاعتها انها لا تمتنع مما أراده الله بها قال قتادة حق لها ان تفعل ذلك ومن هذا قول كثير

فان تكن العتبى فاهلا ومرحبا * وحقت لها العتبى لدينا وقلت

(واذا الارض مدت) أي بسطت كما تبسط الادم ودكت جبالها وكل أمت فيها حتى صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال مقاتل سويت كمد الاديم فلا يبقى عليها

الله في كل من الحالين اذا كان غنيا بان يشكر الله على ذلك واذا كان فقيرا بان يصبر وقوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم فيه أمر بالاكرام له كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي غياث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال باصبعيه أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال أبو داود حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز يعني ابن أبي حازم حدثني أبي عن سهل يعني ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وقرن بين أصابعه الوسطى والتي تلي الإبهام ولا تحاضون على طعام المسكين يعني لا يأمرون بالاحسان الى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك وتأكلون التراث يعني الميراث أكلا لما أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام وتحبون المال حبا جما أي كثيرا زاد بعضهم فاحشا (كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الاهوال العظيمة فقال تعالى كلا أي حقا اذا دكت الارض دكا دكا أي وطئت ومهدت وسويت الارض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لربهم وجاء ربك يعني لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون اليه بسيد ولد آدم على الاطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعدما يسألون أولي العزم واحدا واحدا فكلهم يقول لست بصاحب ذاكم حتى تنتهي النوبة الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها أنا لها فيذهب فيشفع عند الله تعالى في ان يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة سبحان فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا وقوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم قال الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي عن العلاء بن خالد الكاهلي عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وهكذا رواه الترمذي عن

عليها بناء ولا جبل الا دخل فيها وقيل مدت زيد في سعتها من المدد وهو الزيادة قال ابن عباس تمد يوم القيامة وأخرج الحاكم قال السيوطي بسند جيد عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمد الارض يوم القيامة مد الاديم ثم لا يكون لابن آدم فيها الا موضع قدميه (وألقت ما فيها) أي أخرجت ما فيها من الاموات والكنوز وطرحتهم الى ظهرها ورمت (وتخلت) من ذلك قال ابن عباس أخرجت ما فيها من الموتى وتخلت عمن على ظهرها من الاحياء ومثل هذا قوله وأخرجت الارض أثقالها والمعنى تخلت غاية الخلو لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه وذلك يؤذن بعظم الامر وقيل ألقت ما استودعته وتخلت مما استحفظته ووصفت الارض بالالقاء والتخلية توسعا والا فالتحقيق أن المخرج لتلك الاشياء هو الله تعالى (وأذنت لربها) أي سمعت وأجابت وأطاعت لما أمرها به من الالقاء والتخلي وقال ابن عباس سمعت حين كلمها وعنه قال أطاعت وحقت بالطاعة وعنه قال سمعت وأطاعت (وحقت) أي وجعلت حقيقة بالاستماع لذلك والانقياد له اذ هي مصنوعة مربوبة لله تعالى وقد تقدم بيان معنى الفعلين قبل هذا وليس تكرارا لان الاول في السماء وهذا في الارض وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة (يا أيها الانسان) المراد جنس الانسان فيشمل المؤمن والكافر وقيل هو الانسان الكافر والاول أولى لما سيأتي من التفصيل (انك كادح الى ربك كدحا) الكدح في كلام العرب السعي في الشيء بجهد من غير فرق بين أن يكون ذلك الشيء خيرا أو شرا والمعنى انك ساع الى ربك في عملك أو الى لقاء ربك مأخوذ من كدح جلده اذا خدشه قال قتادة والضحاك والكلبي عامل لربك عملا وفي المختار الكدح العمل والسعي والكد والكسب وهو الخدش أيضا وبابه قطع (فملاقيه) أي فملاق عملك وبه قال ابن عباس والمعنى انه لا محالة ملاق لجزاء عمله وما يترتب عليه من الثواب والعقاب قال الشهاب أي ملاق كدحه بنفسه من غير تقدير لوجوده في صحفه وعلى هذا فما بعده تفصيل له قال القتيبي معنى الآية انك كادح أي عامل ناصب في معيشتك الى لقاء ربك والملاقاة بمعنى اللقاء أي تلقى ربك بعملك وقيل فملاق كتاب عملك لان العمل قد انقضى (فأما من أوتي كتابه) أي كتاب عمله (بيمينه) وهم

عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي عن عمر بن حفص به ورواه أيضا عن عبد بن حميد عن أبي عامر عن سفيان الثوري عن العلاء بن خالد عن شقيق بن سلمة وهو أبو وائل عن عبدالله بن مسعود قوله ولم يرفعه وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن مروان بن معاوية الفزاري عن العلاء بن خالد عن شقيق عن عبدالله قوله وقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان أي عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه وأنى له الذكرى أي وكيف تنفعه الذكرى يقول ياليتني قدمت لحياتي يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي ان كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات

ان كان طائعا كما قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن اسحق حدثنا عبدالله يعني ابن المبارك حدثنا ثور ابن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير ابن نفير عن محمد بن عمرة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان عبدا خر على وجهه من يوم ولد الى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة ولود أنه رد الى الدنيا كيما يزداد من الاجر والثواب (١) قال الله تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه أحد أي ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عصاه ولا يوثق وثاقه أحد أي وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربهم عز وجل وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين فاما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك أي الى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته راضية أي في نفسها مرضية أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها فادخلي في عبادي أي في جملتهم وادخلي جنتي وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فروى الضحاك عن ابن عباس نزلت في عثمان بن عفان وعن بريدة بن الحصيب والجلد نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وقال العوفي عن ابن عباس يقال للارواح المطمئنة يوم القيامة يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك يعني صاحبك وهو بدنها الذي كانت تعمره في الدنيا راضية مرضية وروي عنه انه كان يقرؤها فادخلي في عبدي

المؤمنون (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا ههنا لا مناقشة فيه قال مقاتل لانها تغفر ذنوبه ولا يحاسب عليها وقال المفسرون هو ان تعرض عليه سيآته ثم يغفرها الله فهو الحساب اليسير وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس أحد يحاسب الا هلك فقلت أليس يقول الله فاما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض ومن نوقش الحساب هلك أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وعنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه انه من نوقش الحساب هلك أخرجه أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وفي بعض الفاظ الحديث الاول وهذا الحديث عذب مكان هلك وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من كن فيه يحاسبه الله حسابا يسيرا ويدخله الجنة برحمته تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك أخرجه البزار والطبراني في الاوسط والبيهقي والحاكم (وينقلب) أي يرجع وينصرف بنفسه بعد الحساب اليسير من غير مزعج برغبة وقبول (الى أهله) الذين أهل بهم في الجنة من عشيرته أو الى أهله الذين كانوا له في الدنيا من الزوجات والاولاد وقد سبقوه الى الجنة أو الى من أعده الله له في الجنة من الحور العين والولدان المخلدين أو الى جميع هؤلاء (مسرورا) مبتهجا فرحا بما أوتي من الخير والكرامة (وأما من أوتي كتابه) بشماله و(وراء ظهره) قال الكلبي لان يمينه مغلولة الى عنقه وتكون يده اليسرى خلفه وقال قتادة ومقاتل تفك الواح صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره فيأخذ كتابه كذلك (فسوف يدعو ثبورا) أي ينادي هلاكه ويتمنى فان نداء ما لا يعقل يراد به التمني فالدعاء بمعنى الطلب بالنداء والمعنى اذا قرأ كتابه قال يا ويلاه يا ثبوراه والثبور الهلاك وقال ابن عباس ثبورا الويل (ويصلى سعيرا) أي يدخلها ويقاسي حر نارها وشدتها قرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم يصلى بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديدها وقرئ بضم الياء واسكان الصاد من أصلى يصلي (انه كان في أهله) أي عشيرته في الدنيا (مسرورا) باتباع هواه وركوب شهوته بطرا أشرا لعدم خطور الآخرة بباله أي كان لنفسه متابعا وفي مراتع هواه راتعا

---

(١) قوله كيما يزداد من الاجر والثواب في بعض النسخ بعد ذلك زيادة نصها وقد رواه أيضا وترك بعده بياض بالنسخة ثم قال عن خالد بن معدان عن عتبة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ مصححه

وادخلي جنتي وكذا قال عكرمة والكلبي واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الاول لقوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق وان مردنا الى الله أي الى حكمه والوقوف بين يديه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية قال نزلت وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال أما انه سيقال لك هذا ثم قال حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن يمان عن أشعث عن سعيد

ابن جبير قال قرأت عند النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فقال أبو بكر رضي الله عنه ان هذا لحسن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما ان الملك سيقول لك هذا عند الموت وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به وهذا مرسل حسن ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقة منه فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدري من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ورواه الطبراني عن عبد الله ابن أحمد عن أبيه عن مروان بن شجاع عن سالم بن عجلان الافطس به فذكره وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب بسنده عن قتات بن رزين أبي هاشم قال اسرت في بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا

والجملة تعليل لما قبلها (انه ظن) أي علم وتيقن (أن لن يحور) تعليل لكونه كان في الدنيا بين أهله مسرورا والمعنى أن سبب ذلك السرور ظنه بانه لا يرجع الى الله ولا يبعث للحساب والعقاب لتكذيبه بالبعث وجحده للدار الآخرة وأن هي المخففة من الثقيلة سادة مع ما في حيزها مسد مفعولي ظن والحور في اللغة الرجوع يقال حار يحور اذا رجع وقال الراغب الحور التردد في الامر ومحاورة الكلام مراجعته والمحار المرجع والمصير قال عكرمة وداود بن أبي هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع قال القرطبي الحور في كلام العرب الرجوع ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني أعوذ بك من الحور بعد الكور يعني من الرجوع الى النقصان بعد الزيادة وكذلك الحور بالضم وفي المثل حور في محار أي نقصان في نقصان والحور أيضا الهلكة قال ابن عباس يحور يبعث ويرجع (بلى ان ربه كان به بصيرا) أي كان به وباعماله عالما لا يخفى عليه منها خافية وبلى ايجاب للمنفي بلن أي بلى ليحورن وليبعثن وان ربه جواب قسم مقدر فالجملة بمنزلة التعليل لما افادته بلى قال الزجاج كان به بصيرا قبل ان يخلقه عالما بان مرجعه اليه (فلا اقسم بالشفق) لا زائدة كما تقدم في امثال هذه العبارة وقد قدمنا الخلاف فيها في سورة القيامة فارجع اليه اقسم بمخلوقاته تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها والشفق الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس الى وقت صلاة العشاء الآخرة قال الواحدي هذا قول المفسرين وأهل اللغة جميعا قال الفراء سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق وكان أحمر وحكاه القرطبي عن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء وقال أسد بن عمرو وأبو حنيفة رحمه الله في احدى الروايتين عنه انه البياض ولا وجه لهذا القول ولا متمسك له لا من لغة العرب ولا من الشرع قال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشاء الآخرة قال في الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل الى قريب العتمة وكتب اللغة والشرع مطبقة على هذا وقال مجاهد الشفق النهار كله ألا تراه قال والليل وما وسق وقال عكرمة هو ما بقي من النهار وانما قالا هذا لقوله بعده والليل وما وسق فكأنه تعالى اقسم بالضياء والظلام ولا وجه لهذا على انه قد روي عن عكرمة انه قال الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء وروي عن أسد بن عمرو الرجوع وعن عمر ابن الخطاب قال الشفق الحمرة وعن ابن عباس نحوه وعن أبي هريرة الشفق النهار كله

دينه على ان من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه والقي رأسه في نهر هنالك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الارض ونظر الى أولئك الثلاثة فقال يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم باسمائهم قال الله تعالى في كتابه يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ثم غاص في الماء قال فكادت النصارى ان يسلموا ورفع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة الى الاسلام قال وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الاوزاعي عن ابيها حدثني سليمان بن حبيب المحاربي

حدثني أبو امامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل قل اللهم اني أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك ثم روى عن أبي سليمان بن وبرانه قال حديث رواحة هذا واحد أمه * آخر تفسير سورة الفجر ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة البلد وهي مكية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (لا اقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالا لينبه على عظمة قدرها في حال احرام أهلها قال خصيف عن مجاهد لا اقسم بهذا البلد لارد عليهم أقسم بهذا البلد وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس لا اقسم بهذا البلد يعني مكة وأنت حل بهذا البلد قال أنت يا محمد يحل لك ان تقاتل به وكذا روى عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدى وابن زيد وقال مجاهد ما أصبت فيه فهو حلال لك وقال قتادة وأنت حل بهذا البلد قال أنت به من غير حرج ولا اثم وقال الحسن البصري أحلها الله له ساعة من نهار وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه وانما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس ألا فليبلغ الشاهد الغائب وفي لفظ فان أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم وقوله تعالى ووالد وما ولد قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية عن شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ووالد وما ولد الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له ورواه ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به وقال عكرمة الوالد العاقر وما ولد الذي يلد رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد ابن جبير والسدي والحسن البصري وخصيف وشرحبيل بن سعد وغيرهم يعني بالوالد آدم وما ولد ولده وهذا الذي ذهب اليه مجاهد وأصحابه حسن قوي لانه تعالى لما اقسم بأم القرى وهي أم المساكن أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده وقال

وقال الراغب الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس وقال الزمخشري الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روى عن أبي حنيفة في احدى الروايتين انه البياض وروى أسد بن عمرو انه رجع عنه انتهى وسمى شفقا لرقته ومنه الشفقة على الانسان وهي رقة القلب عليه (والليل وما وسق) أي جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها والوسق عند أهل اللغة ضم الشئ بعضه الى بعض يقال استوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت والراعي يسقها أي يجمعها قال الواحدي المفسرون يقولون وما جمع وضم وحوى ولف والمعنى انه جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار في تصرفه وذلك الليل اذا أقبل أوى كل شئ الى مأواه وقال عكرمة وما وسق أي وما ساق من شئ الى حيث يأوى فجعله من السوق لا من الجمع وقيل وما وسق أي وما جن وما ستر وقيل وما حمل وكل شئ حملته فقد وسقته والعرب تقول لا أحمله ما وسقت عيني الماء أي حملته ووسقت الناقة تسق وسقا أي حملت قال قتادة والضحاك ومقاتل بن سليمان وما وسق وما حمل من الظلمة أو حمل من الكواكب قال القشيري ومعنى حمل ضم وجمع والليل يحمل بظلمته كل شئ وقال سعيد بن جبير وما وسق أي وما عمل فيه من التهجد والاستغفار بالاسحار والاول أولى وقال ابن عباس ما وسق ما دخل فيه وعنه ما جمع (والقمر اذا اتسق) أي اجتمع وتكامل قال الفراء اتساقه امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة ورابع عشرة الى ست عشرة وهو افتعل من الوسق الذي هو الجمع قال الحسن اتسق امتلأ واجتمع وقال قتادة استدار يقال وسقته فاتسق كما يقال وصلته فاتصل ويقال أمر فلان متسق أي مجتمع منتظم ويقال اتسق الشئ اذا تتابع قال ابن عباس اتسق استوى وعنه قال ليلة ثلاث عشرة (لتركبن) أيها الناس (طبقا عن طبق) حالا بعد حال هذا جواب القسم ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق أو على الحال من ضمير لتركبن أي مجاوزين أو مجاوزا وقرئ بفتح الموحدة على انه خطاب للواحد وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له وقرئ بضم الموحدة خطابا للجمع وهم الناس قال الشعبي ومجاهد لتركبن يا محمد سماء بعد سماء قال الكلبي يعني تصعد فيها وهذا على القراءة الاولى وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب

أبو عمران الجوني هو ابراهيم وذريته رواه ابن جرير وابن أبي حاتم واختار ابن جرير انه عام في كل والد وولده وهو محتمل أيضا وقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد روي عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وابراهيم النخعي وخيثمة والضحاك وغيرهم يعني منتصبا زاد ابن عباس في رواية عنه منتصبا في بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة ومعنى هذا القول لقد خلقناه سويا مستقيما كقوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك وكقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وقال ابن جريج وعطاء عن ابن عباس في كبد قال في شدة خلق ألم تر اليه وذكر مولده ونبات اسنانه وقال مجاهد في كبد نطفة ثم علقة ثم مضغة يتكبد في الخلق قال مجاهد وهو كقوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وأرضعته كرها ومعيشته كره فهو يكابد ذلك وقال سعيد بن جبير لقد خلقنا الانسان في كبد في شدة وطلب معيشة وقال عكرمة في شدة وطول وقال قتادة في مشقة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الحميد بن جعفر سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الانصار عن قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد قال في قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر وروى من طريق أبي مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية لقد خلقنا الانسان في كبد قال يكابد امرا من أمر الدنيا وامرا من أمر الآخرة وفي رواية يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن زيد لقد خلقنا الانسان في كبد قال آدم خلق في السماء فسمى ذلك الكبد واختار ابن جرير ان المراد بذلك مكابدة الامور ومشاقها وقوله تعالى أيحسب أن لن يقدر عليه أحد قال الحسن البصري يعني أيحسب ان لن يقدر عليه أحد يأخذ ماله وقال قتادة أيحسب أن لن يقدر عليه أحد قال ابن آدم يظن ان لن يسئل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين انفقه وقال السدي أيحسب ان لن يقدر عليه أحد قال الله عز وجل وقوله تعالى يقول أهلكت مالا لبدا أي يقول ابن آدم انفقت مالا لبدا أي كثيرا قال مجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم أيحسب أن لم يره أحد قال مجاهد أي أيحسب ان لم يره الله عز وجل وكذا قال غيره من السلف وقوله تعالى ألم نجعل له عينين أي يبصر بهما ولسانا أي ينطق به فيعبر عما في ضميره وشفتين يستعين بهما على الكلام

من الله ورفعة المنزلة وقيل المعنى لتركبن حالا بعد حال كل حالة منها مطابقة لاختها في الشدة وقيل المعنى لتركبن أيها الانسان حالا بعد حال من كونك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيا وميتا وغنيا وفقيرا فالخطاب للانسان المذكور في قوله يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا واختار أبو حاتم وابو عبيد القراءة الثانية قال لان المعنى بالناس أشبه منه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرأ عمر رضي الله عنه ليركبن بالتحتية وضم الموحدة على الاخبار وروى عنه وعن ابن عباس أنهما قرآ بالغيبة وفتح الموحدة أي ليركبن الانسان وروي عن ابن مسعود وابن عباس انهما قرآ بكسر حرف المضارعة وهي لغة وقرئ بفتح حرف المضارعة وكسر الموحدة على انه خطاب للنفس وقيل ان معنى الآية ليركبن القمر أحوالا من سرار واستهلال وهو بعيد قال مقاتل طبقا عن طبق يعني الموت والحياة وقال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وعن ابن مسعود قال يعني السماء تنفطر ثم تنشق ثم تحمر وعنه قال السماء تكون كالمهل وتكون وردة كالدهان وتكون واهية وتنشق فتكون حالا بعد حال وقيل يعني الشدائد وأهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل لتركبن سنن من كان قبلكم كما ورد في الحديث الصحيح (فما لهم لا يؤمنون) الاستفهام للانكار والفاء لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة الموجبة للايمان والسجود أو من غيرها على الاختلاف السابق والمعنى أي شئ للكفار لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به من القرآن مع وجود موجبات الايمان بذلك من التغيرات العلوية والسفلية الدالة على خالق عظيم القدرة (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) الجملة في محل نصب على الحال أي أي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم عند قراءة القرآن قال الحسن وعطاء والكلبي ومقاتل مالهم لا يصلون وقال أبو مسلم المراد الخضوع والاستكانة وقيل المراد نفس السجود المعروف بسجود التلاوة وقد وقع الخلاف هل هذا الموضع من مواضع السجود عند التلاوة أم لا وقد تقدم في فاتحة هذه السورة الدليل على السجود وهذه السجدة آخر سجدات القرآن عند الشافعي ومن وافقه (بل الذين كفروا يكذبون) أي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به من الكتاب المشتمل على اثبات التوحيد والبعث والثواب والعقاب (والله أعلم بما يوعون) أي بما يضمرونه في أنفسهم من التكذيب وقال مقاتل بما يكتمون من

وأ كل الطعام وجا الاوجهه وفه وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أبى الربيع الدمشقى عن مكحول قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعما عظاما لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها وان مما أنعمت عليك ان جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك الى ما أحللت لك وان رأيت ما حرمت عليك فاطبق عليهما غطاءهما وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما أمرتك وأحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فاغلق عليك لسانك وجعلت لك فرجا وجعلت لك سترا فأصب بفرجك ما أحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك ابن آدم انك لا تحمل سخطى ولا تطيق انتقامى

وهديناه النجدين الطريقين قال سفيان الثورى عن عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود وهديناه النجدين قال الخير والشر وكذا روى عن على وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبى وائل وأبى صالح ومحمد ابن كعب والضحاك وعطاء الخراسانى فى آخرين وقال عبد الله بن وهب أخبرنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان ابن سعد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه ابن معين وقال الامام أحمد والنسائى والجوزجانى منكر الحديث وقال أحمد تركت حديثه لاضطرابه وروى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث الحسن يعنى البصرى لا يشبه حديث أنس وقال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سمعت الحسن يقول وهديناه النجدين قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يا أيها الناس انهما النجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير وكذا رواه حبيب بن الشهيد ومعمر ويونس بن عبيد وابن وهب عن الحسن مرسلا وهكذا أرسله قتادة وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام الانصارى حدثنا ابو أحمد الزبيرى حدثنا عيسى ابن عفان عن أبيه عن ابن عباس فى قوله تعالى وهديناه النجدين قال الثديين وروى عن الربيع بن خثيم وقتادة وأبى حازم مثل ذلك ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن وكيع عن عيسى بن عفان به ثم قال والصواب القول الاول ونظير هذه الآية

أفعالهم وقال ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة والسيئة مأخوذ من الوعاء الذى يجمع فيه ويقال وعاه حفظه ووعيت الحديث أعيه وعيا ومنه أذن واعية وقال ابن عباس يوعون يسرون (فبشرهم بعذاب أليم) أى اخبرهم خبرا يظهر اثره على بشرتهم واجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم لان علمه سبحانه بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم والاليم المؤلم الموجع والكلام خارج مخرج التهكم بهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الاستثناء منقطع لان الموصول مبتدأ والجملة خبره والاستثناء من قبيل المفردات اى لكن الذين جمعوا بين الايمان بالله والعمل الصالح (لهم اجر) عند الله (غير ممنون) أى غير مقطوع ولا منقوص يقال مننت الحبل اذا قطعته قال المبرد المنين الغبار لانه يقطعه وراءه وكل ضعيف منين وممنون وقيل المعنى انه لا يمن عليهم به وقيل متصل وليس بذلك لان الضمير راجع الى الذين كفروا والذين كفروا قد وضع موضع المظهر للاشعار بانهم لا يؤمنون ولا يسجدون عند قراءة القرآن عليهم لانهم كافرون مكذبون قال أبو السعود استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته الثواب العظيم

(سورة البروج هى اثنتان وعشرون آية)

وهى مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ فى العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق أخرجه أحمد وعن جابر بن سمرة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ فى الظهر والعصر بالسماء والطارق والسماء ذات البروج أخرجه أحمد والدارمى وأبو داود والترمذى وحسنه والنسائى وغيرهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء ذات البروج) قد تقدم الكلام فى البروج عند قوله هو الذى جعل فى السماء بروجا قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك هى النجوم والسماء ذات النجوم وقال عكرمة ومجاهد أيضا هى قصور فى السماء وبه قال ابن عباس وقال المنهال بن عمرو ذات الخلق الحسن وقال أبو عبيدة ويحيى بن سلام وغيرهما هى المنازل للكواكب وهى اثنا عشر برجا لاثنى عشر كوكبا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة

(فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة)

قال ابن جرير حدثني عمر بن اسمعيل بن مجالد حدثنا عبد الله بن ادريس عن أبيه عن أبي عطية عن ابن عمر في قوله تعالى فلا اقتحم أي دخل العقبة قال جبل في جهنم أزل وقال كعب

الاحبار فلا اقتحم العقبة هو سبعون درجة في جهنم وقال الحسن البصري فلا اقتحم العقبة قال عقبة في جهنم وقال قتادة انها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى وقال قتادة وما أدراك ما العقبة ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال فك رقبة أو اطعام وقال ابن زيد فلا اقتحم العقبة أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بينها فقال تعالى وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام قرئ فك رقبة بالاضافة وقرئ على انه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا القراءتين معناهما متقارب قال الامام أحمد حدثنا علي بن ابراهيم حدثنا عبد الله يعني ابن سعيد بن أبي هند عن اسمعيل ابن أبي حكيم مولى آل الزبير عن سعيد بن مرجانة انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل ارب أي عضو منها اربا منه من النار حتى انه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج فقال علي بن الحسين أنت سمعت هذا من أبي هريرة فقال سعيد نعم فقال علي بن الحسين لغلام له أفره غلمانه ادع مطرفا فلما قام بين يديه قال اذهب فأنت حر لوجه الله وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم ان هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي نجيح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما مسلم اعتق رجلا مسلما فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار وايما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار رواه ابن جرير هكذا

والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت قيل وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو والبروج في كلام العرب القصور ومنه قوله ولو كنتم في بروج مشيدة شبهت منازل هذه النجوم بالقصور لكونها تنزل فيها وقيل هي أبواب السماء وقيل هي منازل القمر وأصل البرج الظهور سميت بذلك لظهورها وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن السماء ذات البروج فقال الكواكب وسئل عن قوله جعل في السماء بروجا فقال الكواكب وعن قوله في بروج مشيدة قال القصور أخرجه ابن مردويه (واليوم الموعود) أي الموعود به وهو يوم القيامة قال الواحدي في قول جميع المفسرين وبه قال ابن عباس (وشاهد ومشهود) نكرهما دون بقية ما أقسم به لاختصاصهما من بين الايام بفضيلة ليست لغيرهما فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس وهذا جواب أيضا عما يقال لم خصهما بالذكر دون بقية الايام وانما لم يعرفا بلام العهد لان التنكير أدل على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى والهكم اله واحد والمراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق أي يحضر فيه والمراد بالمشهود ما يشاهد في ذلك اليوم من العجائب وذهب جماعة من الصحابة والتابعين الى ان الشاهد يوم الجمعة وانه يشهد على كل عامل بما عمل فيه والمشهود يوم عرفة لانه يشهد الناس فيه موسم الحج وتحضره الملائكة قال الواحدي وهذا قول الاكثر قال ابن عباس الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو الحج الاكبر فيوم الجمعة جعله الله عيدا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وامته وفضله بها على الخلق أجمعين وهو سيد الايام عند الله وأحب الاعمال فيه الى الله وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه أخرجه ابن مردويه وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وقال النخعي الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد هو الله سبحانه وبه قال الحسن وسعيد بن جبير لقوله وكفى بالله شهيدا وقوله قل أي شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله

وابن نجيح هـذا هو عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال الإمام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عمرو بن عبسة انه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بنى الله له بيتاً في الجنة ومن أعتق نفساً مسلمة كانت فديته من جهنم ومن شاب شيبة في الاسلام كانت له نوراً يوم القيامة (طريق اخرى) قال أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا جرير عن سليم بن عامر ان شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عبسة حدثنا حديثاً ليس فيه تزيد ولا نسيان قال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضواً بعضو ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ومن رمى بسهم فبلغ فاصاب أو أخطأ كان كعتق رقبة من بني اسمعيل ورواه أبو داود والنسائي بعضه (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الفرج حدثنا لقمان عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة السلمي قال قلت له حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه انتقاص ولا وهم قال سمعته يقول من ولد له ثلاثة أولاد في الاسلام فماتوا قبل ان يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار ومن أنفق زوجين في سبيل الله فان للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أي باب شاء منها وهذه اسانيد جيدة قوية ولله الحمد (حديث آخر) قال أبو داود حدثنا عيسى بن محمد الرملي حدثنا ضمرة عن ابن أبي عبلة عن الغريف بن عياش الديلمي قال أتينا واثلة بن الاسقع فقلنا له حدثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال ان أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص قلنا انما أردنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار وكذا رواه النسائي من حديث ابراهيم بن أبي عبلة عن الغريف بن عياش الديلمي عن واثلة به (حديث آخر) قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامي عن عقبة بن عامر

فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله يا أيها الرسول انا أرسلناك شاهداً وقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل الشاهد جميع الانبياء لقوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وقيل هو عيسى بن مريم لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود على هذه الاقوال الثلاثة اما أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو أمم الانبياء أو أمة عيسى وقيل الشاهد آدم والمشهود ذريته وقال محمد بن كعب الشاهد الانسان لقوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل أعضاؤه لقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم لقوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم وقيل الايام والليالي وقيل الشاهد الخلق يشهدون لله عزوجل بالوحدانية والمشهود له بالوحدانية هو الله سبحانه وسيأتي بيان ما هو الحق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شئ الا أعاذه منه أخرجه الترمذي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه وعن أبي هريرة يرفعه قال الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة والمشهود هو الموعود يوم القيامة أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي وابن مردويه وعن علي بن أبي طالب اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم النحر والشاهد يوم الجمعة وعن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة أخرجه ابن جرير والطبراني وابن مردويه وعن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة أخرجه ابن عساكر وابن مردويه وعن أبي هريرة مثله موقوفا وعن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة وهذا مرسل من مراسيله أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة

أخرجه

الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار وحدثنا عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان قيسا الجذامي حدث عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار تفرد به احمد من هذا الوجه (حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا يحيى بن آدم وابو أحمد قالا حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيلة من بني سليم عن طلحة قال ابو احمد حدثنا طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله

علمني عملا يدخلني الجنة فقال لئن كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة أعتق النسمة وفك الرقبة فقال يارسول الله أوليستا بواحدة قال لا ان عتق النسمة ان تفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في عتقها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من الخير وقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة قال ابن عباس ذي مجاعة وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد والسغب هو الجوع وقال ابراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز وقال قتادة في يوم يشتهى فيه الطعام وقوله تعالى يتيما اي اطعم في مثل هذا اليوم يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة منه قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا يزيد اخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة وقد رواه الترمذي والنسائي وهذا اسناد صحيح وقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة أي فقيرا مدقعا لاصقا بالتراب وهو الدقعاء أيضا قال ابن عباس ذا متربة هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب وفي رواية هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء وفي رواية عنه البعيد التربة قال ابن أبي حاتم يعني الغريب عن وطنه وقال عكرمة هو الفقير المديون المحتاج وقال سعيد بن جبير هو الذي لا أحد له وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان هو ذو العيال وكل هذه قريبة المعنى وقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا اي ثم هو مع هذه الاوصاف الجميلة

أخرجه ابن ماجه والطبراني وابن جرير وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال في الآية الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رجلا سأله عن قوله وشاهد ومشهود قال هل سألت أحدا قبلي قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا يوم الذبح ويوم الجمعة قال لا ولكن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم قرأ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مشهود وعن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما في الآية قال الشاهد جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا انا أرسلناك شاهدا ذلك يوم مشهود وعن ابن عباس قال اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وعنه قال الشاهد الله والمشهود يوم القيامة قلت وهذه التفاسير عن الصحابة رضي الله عنهم قد اختلفت كما ترى وكذلك اختلفت تفاسير التابعين بعدهم واستدل من استدل منهم بآيات ذكر الله فيها ان ذلك الشيء شاهد أو مشهود فجعله دليلا على انه المراد بالشاهد والمشهود في هذه الآية المطلقة وليس ذلك بدليل يستدل به على ان الشاهد والمشهود المذكورين في هذا المقام هو ذلك الشاهد والمشهود الذي ذكر في آية أخرى والا لزم أن يكون قوله هنا وشاهد ومشهود هو جميع ما اطلق عليه في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة انه يشهد او انه مشهود وليس بعض ما استدلوا به مع اختلافه باولى من بعض ولم يقل قائل بذلك فان قلت هل في المرفوع الذي ذكرته من حديثي أبي هريرة وحديث أبي مالك الاشعري وحديث جبير بن مطعم ومرسل سعيد بن المسيب ما يعين هذا اليوم الموعود والشاهد والمشهود قلت أما اليوم الموعود فلم تختلف هذه الروايات التي ذكرتها بل اتفقت على انه يوم القيامة وأما الشاهد ففي حديث أبي هريرة الاول انه يوم الجمعة وفي حديثه الثاني انه يوم عرفة ويوم الجمعة وفي حديث الاشعري انه يوم الجمعة وفي حديث جبير انه يوم الجمعة وفي مرسل سعيد انه يوم الجمعة فاتفقت هذه الاحاديث عليه ولا تضر زيادة يوم عرفة عليه في حديث أبي هريرة الثاني وأما المشهود ففي حديث أبي هريرة الاول انه يوم عرفة وفي حديثه الثاني انه يوم القيامة وفي حديث أبي مالك انه يوم عرفة وفي حديث جبير انه يوم عرفة وكذا في حديث سعيد فقد تعين في هذه الروايات انه يوم عرفة وهي أرجح من

الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا وقال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن الآية وقوله تعالى وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اى كان من المؤمنين العاملين صالحا المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء فى الحديث الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وفى الحديث الآخر لا يرحم الله من لا يرحم الناس وقال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن ابن عامر عن عبد الله ابن عمرو يرويه قال من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا وقوله تعالى أولئك أصحاب الميمنة أى المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين ثم قال والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة أى أصحاب الشمال عليهم نار مؤصدة أى مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب القرظى وعطية العوفى والحسن وقتادة والسدى مؤصدة أى مطبقة قال ابن عباس مغلقة الابواب وقال مجاهد أصد الباب بلغة قريش أى أغلقه وسيأتى فى ذلك حديث فى سورة ويل لكل همزة لمزة وقال الضحاك مؤصدة حيط لا باب له وقال قتادة مؤصدة مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الابد وقال أبو عمران الجونى اذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس فى الدنيا شره فاوثقوا بالحديد ثم أمر بهم الى جهنم ثم أوصدوها عليهم اى أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار ابدا ولا والله لا ينظرون فيها الى أديم سماء أبدا ولا والله لا تلتقى جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا رواه ابن أبى حاتم * آخر تفسير سورة البلد ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة والشمس وضحاها وهى مكية) تقدم حديث جابر الذى فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى (بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح

تلك الرواية التى صرح فيها بانه يوم القيامة فحصل من مجموع هذا رجحان ما ذهب اليه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وأما اليوم الموعود فقد قدمنا أنه وقع الاجماع على انه يوم القيامة (قتل أصحاب الاخدود) هذا جواب القسم واللام فيه مضمرة وهو الظاهر وبه قال الفراء وغيره وقيل تقديره لقد قتل فحذفت اللام وقد وعلى هذا تكون الجملة خبرية والظاهر أنها دعائية لان معنى قتل لعن قال الواحدى فى قول الجميع والدعائية لا تكون جوابا للقسم فقيل الجواب قوله ان الذين فتنوا المؤمنين وقيل قوله ان بطش ربك لشديد وبه قال المبرد واعترض عليه بطول الفصل وقيل هو مقدر يدل عليه قوله قتل أصحاب الاخدود كأنه قال اقسم بهذه الاشياء ان كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم وقيل تقدير الجواب ان الامر حق فى الجزاء وقيل تقدير الجواب لتبعثن واختاره ابن الانبارى وقال أبو حاتم السجستانى وابن الانبارى أيضا فى الكلام تقديم وتأخير أى قتل أصحاب الاخدود والسماء ذات البروج واعترض عليه بانه لا يجوز ان يقال والله قام زيد وعن ابن مسعود قال والسماء ذات البروج الى قوله شاهد ومشهود هذا قسم على ان بطش ربك لشديد الى آخرها والاخدود جمع خد وهو الشق العظيم المستطيل فى الارض كالخندق وجمعه أخاديد ومنه الخد لمجارى الدموع والمخدة لان الخد يوضع عليها ويقال تخدد وجه الرجل اذا صارت فيه أخاديد من جراح أخرج عبد الرزاق وابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذى والنسائى والطبرانى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كان ملك من الملوك فيمن كان قبلكم وكان لذلك الملك كاهن يكهن له فقال له ذلك الكاهن انظروا لى غلاما فهما أو قال فطنا لقنا فاعلمه علمى فانى أخاف ان أموت فينقطع منكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه قال فنظروا له على ما وصف فأمره وان يحضر ذلك الكاهن وان يختلف اليه فجعل الغلام يختلف اليه وكان على طريق الغلام راهب فى صومعة فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به فلم يزل به حتى أخبره فقال انما أعبد الله فجعل الغلام يمكث عند هذا الراهب و يبطئ عن الكاهن فارسل الكاهن الى أهل الغلام انه لا يكاد يحضرنى فاخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب اذا قال لك أين كنت فقل عند أهلى

من زكاها وقد خاب من دساها) قال مجاهد والشمس وضحاها أي وضوئها وقال قتادة وضحاها النهار كله قال ابن جرير والصواب أن يقال أقسم الله بالشمس ونهارها لان ضوء الشمس الظاهر النهار والقمر اذا تلاها قال مجاهد تبعها وقال العوفي عن ابن عباس والقمر اذا تلاها قال يتلو النهار وقال قتادة اذا تلاها ليلة الهلال اذا سقطت الشمس رؤى الهلال وقال ابن زيد هو يتلوها في النصف الاول من الشهر ثم هي تتلوه وهو يتقدمها في النصف الاخير من الشهر وقال مالك عن زيد بن أسلم اذا تلاها ليلة القدر وقوله تعالى والنهار اذا جلاها قال مجاهد أضاء وقال قتادة والنهار اذا جلاها (٢٣٣) اذا غشيها النهار وقال ابن جرير وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار اذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها قلت ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى والنهار اذا جلاها أي البسيطة لكان أولى وصح تأويله في قوله تعالى والليل اذا يغشاها فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد والنهار اذا جلاها انه كقوله تعالى والنهار اذا تجلى واما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها وقالوا في قوله تعالى والليل اذا يغشاها يعني اذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وقال بقية بن الوليد عن صفوان حدثني يزيد بن ذي حماية قال اذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشي عبادي خلقي العظيم فالليل يهابه والذي خلقه أحق أن يهاب رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى والسماء وما بناها يحتمل أن يكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن يكون بمعنى من يعني والسماء وبانيها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وهكذا قوله تعالى والارض وما طحاها قال مجاهد طحاها دحاها قال العوفي عن ابن عباس وما طحاها أي خلق فيها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس طحاها قسمها وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والثوري وأبو صالح وابن زيد طحاها بسطها وهذا أشهر الاقوال وعليه الاكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة قال الجوهري طحوته مثل دحوته أي بسطته وقوله تعالى ونفس وما سواها أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله

واذا قال لك أهلك أين كنت فأخبرهم اني كنت عند الكاهن فبينما الغلام على ذلك اذ مر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة يقال انها كانت أسدا فأخذ الغلام حجرا فقال اللهم ان كان ما يقول ذلك الراهب حقا فاسألك ان أقتل هذه الدابة وان كان ما يقول الكاهن حقا فاسألك ان لا اقتلها ثم رمى فقتل الدابة فقال الناس من قتلها قالوا الغلام ففزع الناس وقالوا قد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد فسمع أعمى فجاءه فقال له ان أنت رددت على بصري فلك كذا وكذا فقال الغلام لا أريده منك هذا ولكن أرأيت ان رجع عليك بصرك أتؤمن بالذي رده عليك قال نعم فدعا الله فرد عليه بصره فآمن الاعمى فبلغ الملك أمرهم فبعث اليهم فاتى بهم فقال لاقتلن كل واحد منكم قتلة لا اقتل بها صاحبه فامر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله وقتل الآخر بقتلة أخرى ثم أمر بالغلام فقال انطلقوا به الى جبل كذا وكذا فالقوه من رأسه فانطلقوا به الى ذلك الجبل فلما انتهوا الى ذلك المكان الذي أرادوا ان يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون حتى لم يبق منهم الا الغلام ثم رجع الغلام فامر به الملك ان ينطلقوا به الى البحر فيلقوه فيه فانطلقوا به الى البحر فغرق الله الذين كانوا معه وأنجاه فقال الغلام للملك انك لن تقتلني حتى تصلبني وترميني وتقول اذا رميتني بسم الله رب الغلام فامر به فصلب ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ثم مات فقال الناس لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد فانا نؤمن برب هذا الغلام فقيل للملك أجزعت أن خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك قال فخد اخدودا ثم ألقى فيها الحطب والنار ثم جمع الناس فقال من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار فجعل يلقيهم في تلك الاخدود فقال يقول الله قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود حتى بلغ العزيز الحميد فاما الغلام فانه دفن ثم أخرج فيذكر انه أخرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ولهذه القصة ألفاظ فيها بعض اختلاف وقد رواها مسلم في أواخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب وأخرجها أحمد من طريق عفان عن حماد به وأخرجها النسائي عن أحمد بن سليمان عن حماد بن سلمة به وأخرجها الترمذي عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن ثابت به وعن علي بن أبي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء أخرجاه من رواية أبي هريرة وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد المجاشعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها أي فأرشدها الى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها الى ما قدر لها قال ابن عباس فألهمها فجورها وتقواها بين لها الخير والشر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك (١٣٤) والثوري وقال سعيد بن جبير ألهمها الخير والشر وقال ابن زيد جعل فيها فجورها وتقواها وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا صفوان ابن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا حدثنا عزرة بن ثابت حدثني يحيى بن عقيل عن يحيى بن معمر عن أبي الاسود الديلي قال قال عمران بن حصين أرأيت ما يعمل فيه الناس ويتكادحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت عليهم الحجة قلت بل شيء قضي عليهم قال فهل يكون ذلك ظلما قال ففزعت منه فزعا شديدا قال قلت له ليس شيء الا وهو خلق وملك بيده لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال سددك الله انما سألتك لاخبر عقلك ان رجلا من مزينة أو جهينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت به عليهم الحجة قال بل شيء قد قضي عليهم قال ففيم يعمل قال من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين يهيئه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها رواه أحمد ومسلم من حديث عزرة بن ثابت به وقوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الاخلاق الدنية والرذائل ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقد خاب من دساها أي دسسها أي أخملها ووضع منها بخذلانه اياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى

طالب في قوله أصحاب الاخدود قال هم الحبشة أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وعن ابن عباس قال هم ناس من بني اسرائيل خدوا أخدودا في الارض أوقدوا فيه نارا ثم أقاموا على ذلك الاخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها أخرجه ابن جرير وقال مقاتل كانت الاخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى بفارس حرق أصحابها بالنار فأما التي بالشام فهو ابطاموس الرومي وأما التي بفارس فبختنصر ويزعمون انهم أصحاب دانيال وأما التي باليمن فذونواس فأما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وأنزل في التي بنجران اليمن وذلك لان هذه القصة كانت مشهورة عند أهل مكة فذكرها الله تعالى لاصحاب رسوله يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره في الدين (النار ذات الوقود) قرأ الجمهور النار بالجر على انها بدل اشتمال من الاخدود لان الاخدود مشتمل عليها وحينئذ فلا بد فيه من ضمير مقدر أي النار فيه وذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة والوقود الحطب الذي توقد به وقيل هو بدل كل من كل وقيل ان النار مخفوضة على الجوار حكاه مكي عن الكوفيين قرأ الجمهور بفتح الواو من الوقود وقرئ بضمها وبرفع النار على انها خبر مبتدا محذوف أي هي النار وعلى انها فاعل فعل محذوف أي أحرقتهم النار (اذ هم عليها قعود) العامل في الظرف قتل أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين على ما يدنو منها ويقرب اليها قال مقاتل يعني عند النار قعود يعرضونهم على الكفر وقال مجاهد كانوا قعودا على الكراسي عند الاخدود قال زاده عبر عن القعود على حافة النار بالقعود على نفس النار للدلالة على انهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاؤه ويخلون سبيل من شاؤه (وهم) أي الذين خدوا الاخدود وهم الملك وأصحابه (على ما يفعلون بالمؤمنين) بالله تعالى من عرضهم على النار ليرجعوا الى دينهم (شهود) أي حضور أو يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما أمر به وقيل يشهدون بما فعلوا يوم القيامة ثم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وقيل على بمعنى مع والتقدير وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من الاحراق شهود لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم وتنطق به الروايات المشهورة قال الزجاج أعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة ايمانهم الى ان صبروا على ان يحرقوا بالنار في الله وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل اذى أهل الكفر والعناد روى ان الله انجى المؤمنين

الملقين

الله نفسه كما قال العوفى وعلى بن أبى طلحة عن ابن عباس وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى وأبو زرعة قالا حدثنا سهيل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعنى عمرو بن الحرث بن هشام عن عمرو بن هاشم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى قول الله عز وجل قد أفلح من زكاها قال النبى صلى الله عليه وسلم أفلحت نفس زكاها الله عز وجل ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى مالك به وجويبر هو ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس وقال الطبرانى حدثنا يحيى بن عثمان ابن صالح حدثنا أبى حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر بهذه الآية ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها وقف ثم قال اللهم أت نفسى تقواها أنت وليها ومولاها وخير من زكاها حديث آخر قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد المدنى حدثنا عبد الله بن عبد الله الاموى حدثنا معن بن محمد الغفارى عن حنظلة بن على الاسلمى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فألهمها فجورها وتقواها قال اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها لم يخرجوه من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح بن سعيد عن عائشة انها فقدت النبى صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها تفرد به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحرث عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم انى أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها قال زيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمناهن ونحن نعلمكموهن رواه مسلم من حديث أبى معاوية عن عاصم الاحول عن عبد الله بن الحرث وأبى عثمان النهدى عن زيد بن أسلم عن زيد بن أرقم به (كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها)

الملقين فى النار وكانوا سبعة وسبعين بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى من ثم فاحرقتهم وهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم والذين رجعوا عشرة او احد عشر ولم يرد نص بتعيين عدد أصحاب الاخدود (وما نقموا منهم) قرأ الجمهور نقموا بفتح النون وقرئ بكسرها والفصيح الفتح فى المختار نقم الامر كرهه وبابه ضرب ونقم من باب فهم لغة أى ما أنكروا عليهم ولا عابوا منهم (الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) الا أن صدقوا بالله الغالب المحمود فى كل حال قال الزجاج ما أنكروا عليهم ذنبا الا ايمانهم وهذا كقوله هل تنقمون منا الا ان آمنا بآيات ربنا وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم كما فى قوله

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم * يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وقول الآخر

ولا عيب فيها غير شكلة عينها * كذاك عتاق الطير شكلا عيونها

وقول الآخر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ثم وصف سبحانه بما يدل على العظم والفخامة فقال (الذى له ملك السموات والارض) ومن كان هذا شأنه فهو حقيق بان يؤمن به ويوحد (والله على كل شئ شهيد) من فعلهم بالمؤمنين لا تخفى عليه منه خافية وفى هذا وعيد شديد لاصحاب الاخدود ووعد خير لمن عذبوه على دينه من أولئك المؤمنين ثم بين سبحانه ما أعد لاولئك الذين فعلوا بالمؤمنين ما فعلوا من التحريق فقال (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى حرقوهم بالنار والعرب تقول فتنت الشئ أى أحرقته وفتنت الدرهم والدينار اذا أدخلته النار لتنظر جودته ويقال دينار مفتون ويسمى الصائغ الفتان ومنه قوله يوم هم على النار يفتنون أى يحرقون وقيل معنى فتنوا المؤمنين محنوهم فى دينهم ليرجعوا عنه قال الرازى ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك قال وهذا أولى لان اللفظ عام والحكم بالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل (ثم لم يتوبوا) من قبيح صنعهم ولم يرجعوا عن كفرهم وفتنتهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بسبب كفرهم (ولهم) عذاب آخر زائد على عذاب كفرهم وهو (عذاب الحريق) الذى وقع منهم للمؤمنين وقيل ان الحريق اسم من اسماء النار كالسعير وقيل انهم يعذبون فى جهنم بالزمهرير ثم يعذبون بعذاب الحريق

يخبر تعالى عن ثمود انهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي وقال محمد بن كعب بطغواها أي باجمعها والاول أولى قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فأعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين اذ انبعث أشقاها أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر الآية وكان هذا الرجل عزيزا فيهم شريفا في قومه نسيبا رئيسا مطاعا كما قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال اذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة رواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن هشام بن عروة به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا عيسى ابن يونس حدثنا محمد بن اسحق حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم بن يزيد عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي الا أحدثك بأشقى الناس قال بلى قال رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا يعني قرنه حتى تبتل منه هذه يعني لحيته وقوله تعالى فقال لهم رسول الله يعني صالحا عليه السلام ناقة الله أي احذروا ناقة الله ان تمسوها بسوء وسقياها أي لا تعتدوا عليها في سقيها فان لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم قال الله تعالى فكذبوه فعقروها أي كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك ان عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم فدمدم عليهم ربهم أي غضب عليهم فدمر عليهم فسواها أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها وقوله تعالى ولا يخاف وقرئ فلا يخاف عقباها قال ابن عباس لا يخاف الله من أحد تبعة وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم وقال الضحاك والسدي ولا يخاف عقباها أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع والقول الاول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم آخر تفسير سورة والشمس وضحاها ولله الحمد والمنة

فالاول عذاب ببردها والثاني عذاب بحرها وقال الربيع بن أنس ان عذاب الحريق اصيبوا به في الدنيا وذلك ان النار ارتفعت من الاخدود الى الملك وأصحابه فأحرقتهم وبه قال الكلبي ومفهوم الآية انهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد وعبر سبحانه باداة التراخي لان التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان ثم لما ذكر سبحانه وعيد المجرمين اتبعه بذكر ما أعده للمؤمنين الذين أحرقوا بالنار فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وظاهر الآية العموم فيدخل في ذلك المحرقون في الاخدود بسبب ايمانهم دخولا أوليا والمعنى ان الجامعين بين الايمان وعمل الصالحات (لهم) بسبب الايمان والعمل الصالح (جنات تجري من تحتها) أي تحت أسرتها وغرفها وجميع أماكنها (الانهار) يتلذذون ببردها في نظير ذلك الحر الذي صبروا عليه في الدنيا وقد تقدم كيفية جري الانهار من تحت الجنات في غير موضع وأوضحنا انه ان أريد بالجنات الاشجار فجري الانهار من تحتها واضح وان أريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر وهو الشجر لانها ساترة لساحتها وأرضها (ذلك) أي ما تقدم ذكره مما أعده الله لهم (الفوز الكبير) الذي لا يعدله فوز ولا يقاربه ولا يدانيه والفوز الظفر بالمطلوب وما في ذلك من معنى البعد للايذان بعلو درجته في الفضل والشرف (ان بطش ربك) بالكفار (لشديد) بحسب ارادته قاله الجلال المحلي وفيه اشارة الى الرد على الفلاسفة القائلين بانه موجب بالذات وقد نطق القرآن بانه فعال لما يريد والجملة مستأنفة لخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبينة لما عند الله سبحانه من الجزاء لمن عصاه والمغفرة لمن أطاعه والمعنى ان أخذه تعالى للجبابرة والظلمة شديد والبطش الاخذ بعنف ووصفه بالشدة يدل على انه قد تضاعف وتفاقم ومثل هذا قوله ان أخذه أليم شديد (انه هو يبدئ ويعيد) أي يخلق الخلق أولا في الدنيا ويعيدهم أحياء بعد الموت كذا قال الجمهور وقيل يبدئ للكفار عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده لهم في الآخرة واختار هذا ابن جرير والاول أولى وقال ابن عباس يبدئ العذاب ويعيده انتهى ومن كان قادرا على الايجاد والاعادة اذا بطش كان بطشه في غاية الشدة وبهذا ظهر التعليل بهذه الجملة لما سبق من شدة البطش (وهو الغفور الودود) أي بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه قال مجاهد الواد لاوليائه فهو فعول بمعنى فاعل وقال ابن زيد معنى الودود الرحيم وحكى المبرد

(تفسير سورة الليل وهي مكية) تقدم قوله عليه السلام لمعاذ فهلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى) *(بسم الله الرحمن الرحيم) والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى)

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة انه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال اللهم ارزقني جليسا صالحا فجلس الى أبي الدرداء فقال له أبو (٢٣٧) الدرداء ممن أنت قال من أهل الكوفة قال كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى قال علقمة والذكر والانثى فقال أبو الدرداء لقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال هؤلاء حتى شككوني ثم قال ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره والذي أجير من الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقد رواه البخاري ههنا ومسلم من طريق الاعمش عن ابراهيم قال قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبد الله قالوا كلنا قال أيكم أحفظ فأشاروا الى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ والليل اذا يغشى قال والذكر والانثى قال أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا وهؤلاء يريدون ان أقرأ وما خلق الذكر والانثى والله لا أتابعهم هذا لفظ البخاري هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفعه أبو الدرداء وأما الجمهور فقرؤا ذلك كما هو المثبت في المصحف الامام العثماني في سائر الآفاق وما خلق الذكر والانثى فأقسم تعالى بالليل اذا يغشى أي اذا غشى الخليقة بظلامه والنهار اذا تجلى أي بضيائه واشراقه وما خلق الذكر والانثى كقوله تعالى وخلقناكم أزواجا وكقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين ولما كان القسم بهذه الاشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضا متضادا ولهذا قال تعالى ان سعيكم لشتى أي اعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضا ومتخالفة فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا قال الله تعالى فأما من أعطى واتقى أي أعطى ما أمر باخراجه واتقى الله في أموره وصدق بالحسنى أي بالمجازاة على ذلك قاله قتادة وقال خصيف بالثواب وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم وصدق

المبرد عن اسمعيل القاضي ان الودود هو الذي لا ولد له وقيل الودود بمعنى المودود أي يوده عباده الصالحون ويحبونه كذا قال الازهري قال ويجوز أن يكون فعولا بمعنى فاعل أي يكون محبا لهم قال وكلتا الصفتين مدح لانه جل ذكره ان أحب عباده المطيعين فهو فضل منه وان أحبه عباده العارفون فلما تقرر عندهم من كريم احسانه قال ابن عباس الودود الحبيب وقالت المعتزلة غفور لمن تاب وقال أصحاب السنة غفور مطلقا لمن تاب ومن لم يتب لان الآية مذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا أتم فالحمل عليه أولى ولان الغفور صيغة مبالغة فالمناسب ان يحمل على الاطلاق قاله زاده (ذو العرش المجيد) قرأ الجمهور برفع المجيد على انه نعت لذو واختاره أبو عبيد وأبو حاتم قالا لان المجد هو النهاية في الكرم والفضل والله سبحانه هو المنعوت بذلك وقرئ بالجر على انه نعت للعرش ومجده علوه وعظمته وقد وصف سبحانه عرشه بالكرم كما في آخر سورة المؤمنين قال ابن عباس المجيد الكريم قيل ان العرش أحسن الاجسام وقيل هو نعت لربك ولا يضر الفصل بينهما لانها صفات لله سبحانه وقال مكي هو خبر بعد خبر والاول أولى ومعنى ذو العرش ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وقيل المراد خالق العرش (فعال لما يريد) من الابداء والاعادة قال عطاء لا يعجز عن شئ يريده ولا يمتنع منه شئ طلبه وارتفاع فعال على انه خبر مبتدا محذوف قال الفراء هو رفع على التكرير والاستئناف لانه نكرة محضة قال ابن جرير رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وانما قال فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة والارادة هنا تكوينية فيكون فيه دلالة على خلق أفعالهم وختم به الصفات لانه كالنتيجة للاوصاف السابقة قال الكرخي نكره لضرب من التعظيم تتلاشى عنده الاوهام والعقول قال بعضهم وفيه دلالة على انه لا يجب عليه شئ لانه دالة على ان فعله بحسب ارادته ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافرة فقال (هل أتاك حديث الجنود) والجملة مستأنفة مقررة لما تقدم من شدة بطشه سبحانه وكونه فعالا لما يريد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي هل أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة الطاغية في الامم الخالية المكذبة لانبيائهم المتجندة عليهم ثم بينهم فقال (فرعون وثمود) وهو بدل من الجنود فالمراد بفرعون هو وقومه والمراد بثمود القوم المعروفون والمراد بحديثهم ما وقع منهم من الكفر

بالحسنى أى بالخلف وقال أبو عبد الرحمن السلمى والضحاك وصدق بالحسنى أى بلا اله الا الله وفى رواية عن عكرمة وصدق بالحسنى أى بما أنعم الله عليه وفى رواية عن زيد بن أسلم وصدق بالحسنى قال الصلاة والزكاة والصوم وقال مرة وصدقة الفطر وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد حدثنى من سمع أبا العالية الرياحى يحدث عن أبى بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسنى قال الحسنى الجنة وقوله تعالى فسنيسره لليسرى قال ابن عباس يعنى للخير وقال زيد بن (٢٣٨) أسلم يعنى للجنة وقال بعض السلف من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ولهذا قال تعالى وأما من بخل واستغنى قال عكرمة عن ابن عباس أى بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل رواه ابن أبى حاتم وكذب بالحسنى أى بالجزاء فى الدار الآخرة فسنيسره للعسرى أى لطريق الشر كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون والآيات فى هذا المعنى كثيرة دالة على ان الله عز وجل يجازى من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر والاحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة (رواية أبى بكر الصديق رضى الله عنه) قال الامام أحمد حدثنا على بن عياش حدثنى العطاف بن خالد حدثنى رجل من أهل البصرة عن على بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق عن أبيه قال سمعت أبى يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف قال بل على أمر قد فرغ منه قال ففيم العمل يا رسول الله قال كل ميسر لما خلق له (رواية على رضى الله عنه) قال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الاعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الى قوله للعسرى وكذا

والعناد والضلال وما وقع عليهم من العذاب والنكال وقصتهم مشهورة وقد تكرر فى الكتاب العزيز ذكرها فى غير موضع واقتصر على الطائفتين لاشتهار امرهما عند أهل الكتاب وعند مشركى العرب ودل بهما على أمثالهما ثم أضرب عن مماثلة هؤلاء الكفار الموجودين فى عصره صلى الله عليه وآله وسلم اضرابا انتقاليا لمن تقدم ذكرهم وبين انهم أشد منهم فى الكفر والتكذيب فقال (بل الذين كفروا فى تكذيب) شديد لك ولما جئت به ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار (والله من ورائهم محيط) أى يقدر على ان ينزل بهم ما أنزل باولئك لا عاصم لهم منه والاحاطة بالشئ الحصر له من جميع جوانبه فهو تمثيل لعدم نجاتهم بعدم فوت المحاط به على المحيط ثم رد سبحانه تكذيبهم بالقرآن فقال (بل هو قرآن مجيد) أى متناه فى الشرف والكرم والبركة والنفع معجز بنظمه عال فى الطبقة من بين الكتب وحيد فى النظم والمعنى لكونه بيانا لما شرعه الله لعباده من أحكام الدين والدنيا وليس هو كما يقولون انه شعر وكهانة وسحر (فى لوح محفوظ) أى مكتوب فى لوح وهو أم الكتاب محفوظ عند الله من وصول الشياطين اليه قرأ الجمهور لوح بفتح اللام واتفق عليها القراء (١) وقرأ الجمهور محفوظ بالجر على انه نعت للوح وقرئ برفعه على انه نعت للقرآن أى بل هو قرآن مجيد محفوظ فى لوح قيل والمراد باللوح بضم اللام الهوى والفضاء الذى فوق السماء السابعة وبه قال أبو الفضل وكذا قال ابن خالويه وقال فى الصحاح اللوح بالضم الهوى بين السماء والارض وعن ابن عباس قال أخبرت ان لوح الذكر لوح واحد فيه الذكر وان ذلك اللوح نور وانه مسيرة ثلثمائة سنة أخرجه ابن المنذر وعن انس ان اللوح المحفوظ الذى ذكره الله فى الآية فى جبهة اسرافيل وأخرج أبو الشيخ قال السيوطى بسند جيد عن ابن عباس قال خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام فقال للقلم قبل ان يخلق الخلق اكتب على فى خلقى فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش

(سورة الطارق هى سبع عشرة آية وهى مكية بلا خلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن خالد العدوانى انه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يبتغى النصر عندهم فسمعه يقرأ والسماء والطارق حتى ختمها قال فوعيتها فى الجاهلية ثم قرأتها فى الاسلام قال

(١) الا يحيى بن يعمر وابن السميفع فانهما قرآ بالضم اه منه

رواه من طريق شعبة ووكيع عن الاعمش بنحوه ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال مامنكم من أحد وما من نفس منفوسة الا كتب مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير الى أهل السعادة ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير الى أهل الشقاء (٢٣٩) فقال اما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة واما أهل الشقاء فييسرون الى عمل أهل الشقاء ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به (رواية عبد الله بن عمر) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال قال عمر يارسول الله أرأيت مانعمل فيه أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع قال فيما قد فرغ منه فاعمل يا ابن الخطاب فان كلا ميسر اما من كان من أهل السعادة فانه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فانه يعمل للشقاء ورواه الترمذي في القدر عن بندار عن ابن مهدي به وقال حسن صحيح حديث آخر من رواية جابر قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحرث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله انه قال يارسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه فقال لأمر قد فرغ منه فقال سراقة ففيم العمل اذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عامل ميسر لعمله ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به حديث آخر قال ابن جرير حدثني يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن بشير بن كعب العدوي قال سأل غلامان شابان النبي صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله أنعمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو في شيء يستأنف فقال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالا ففيم العمل اذا قال اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له قالا فالآن نجد ونعمل (رواية أبي الدرداء) قال الامام أحمد حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمي

فدعتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل فقرأتها فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه والطبراني وابن مردويه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق) أقسم سبحانه بالسماء والطارق وقد أكثر في كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم لان أحوالها في اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة والطارق هو النجم الثاقب كما صرح به التنزيل قال الواحدي قال المفسرون أقسم الله بالطارق يعني الكواكب تطرق بالليل وتخفى بالنهار قال الفراء الطارق النجم لانه يطلع بالليل وما أتاك ليلا فهو طارق وكذا قال الزجاج والمبرد وقد اختلف في الطارق هل هو نجم معين أو جنس النجم فقيل هو زحل وقيل الثريا وقيل هو الذي ترمى به الشياطين وقيل هو جنس النجم قال في الصحاح والطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح قال الماوردي أصل الطروق الدق فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق ثم اتسع به في كل ماظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع كل التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل وقال قوم ان الطروق قد يكون نهارا والعرب تقول أتيتك اليوم طرقتين أي مرتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير قال ابن عباس أقسم ربك بالطارق وكل شيء طرقك بالليل فهو طارق ثم بين سبحانه ماهو الطارق تفخيما لشأنه بعد تعظيمه بالاقسام به فقال (وما أدراك ما الطارق) وفيه تنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم (النجم الثاقب) أي المضيء ومنه يقال ثقب النجم ثقوبا اذا أضاء وثقوبه ضوؤه قال مجاهد الثاقب المتوهج وقيل المرتفع العالي قال سفيان كل ما في القرآن وما أدراك فقد أخبره وكل شيء قال ما يدريك لم يخبره به وقيل هو نجم في السماء السابعة وهو زحل لا يسكنها غيره من النجوم واذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يصعد ولم يقل والنجم الثاقب مع انه أخصر واظهر فعدل عنه تفخيما لشأنه فاقسم أولا بما يشترك فيه هو وغيره وهو الطارق ثم فسره بالنجم ازالة لذلك الابهام الحاصل بالاستفهام والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر نشأ مما

عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أبى ادريس عن أبى الدرداء قال قالوا يارسول الله أرأيت مانعمل أمر قدفرغ منه أم شئ نستأنفه
قال بل أمر قد فرغ منه فقالوا فكيف بالعمل يارسول الله قال كل امرئ مهيأ لما خلق له تفرد به أحد من هذا الوجه حديث
آخر قال ابن جرير حدثنى الحسن بن سلمة بن أبى كبشة حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عباد بن راشد عن قتادة حدثنى خليد
العصرى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن يوم غربت فيه شمسه الا وبجنبيها ملكان يناديان يسمعه
خلق الله كلهم الا الثقلين اللهم أعط منفقا (٢٤٠) خلفا وأعط ممسكا تلفا وأنزل الله فى ذلك القرآن فأما من أعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما
من بخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسنيسره للعسرى ورواه ابن أبى
حاتم عن أبيه عن ابن أبى كبشة
باسناده مثله حديث آخر قال
ابن أبى حاتم حدثنى أبو عبد الله
الطهرانى حدثنا حفص بن عمر
العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن
عكرمة عن ابن عباس أن رجلا
كان له نخل ومنها نخلة فرعها فى
دار رجل صالح فقير ذى عيال فاذا
جاء الرجل فدخل داره فأخذ التمر
من نخلته فتسقط التمرة فيأخذها
صبيان الرجل الفقير فينزل من
نخلته فينزع التمرة من أيديهم وان
أدخل أحدهم التمرة فى فمه أدخل
أصبعه فى حلق الغلام ونزع التمرة
من حلقه فشكا ذلك الرجل الى
النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره
بما هو فيه من صاحب النخلة
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
اذهب ولقى النبى صلى الله عليه
وسلم صاحب النخلة فقال له
أعطنى نخلتك التى فرعها فى دار
فلان ولك بها نخلة فى الجنة فقال
لقد أعطيت ولكن يعجبنى ثمرها
وان لى لنخلا كثيرا مافيها نخلة أعجب الى ثمرة من ثمرها فذهب النبى صلى الله عليه وسلم فتبعه رجل كان
يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة فقال الرجل يارسول الله ان أنا أخذت النخلة فصارت لى
النخلة فأعطيتك اياها أتعطينى ماأعطيته بها نخلة فى الجنة قال نعم ثم ان الرجل لقى صاحب النخلة ولكلاهما نخل فقال له
أخبرك أن محمدا أعطانى بنخلتى المائلة فى دار فلان نخلة فى الجنة فقلت له قد أعطيت ولكنى يعجبنى ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له
أتراك اذا بعتها قال لا الا أن أعطى بها شيأ ولا أظننى أعطاه قال وما مناك فيها قال أربعين نخلة فقال له الرجل لقد جئت بأمر

قبله كأنه قيل ماهو فقيل هو النجم الثاقب (ان كل نفس لما عليها حافظ) هذا جواب
القسم ومابينهما اعتراض جئ به لتأكيد فخامة القسم المستتبع لتأكيد مضمون الجملة
المقسم عليها وقد تقدم فى سورة هود اختلاف القراء فى لما فمن قرأ بتخفيفها كانت ان
هنا هى المخففة من الثقيلة فيها ضمير الشأن المقدر وهو اسمها واللام هى الفارقة وما
مزيدة وهذا كله تفريع على قول البصريين أى ان الشأن كل نفس لعليها حافظ ومن
قرأ بالتشديد فان نافية ولما بمعنى الا أى ماكل نفس الا عليها حافظ قيل والحافظ هم
الحفظة من الملائكة الذين يحفظون عليها عملها وقولها وفعلها ويحصون ماتكسب من
خير وشر وقيل الحافظ هو الله عز وجل وعدى حافظ بعلى لتضمينه معنى القيام فانه تعالى
قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على أحوالهم وقيل هو العقل يرشدهم الى المصالح ويكفهم
عن المفاسد والاول أولى لقوله وان عليكم لحافظين وقوله ويرسل عليكم حفظة وقوله
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه والحافظ فى الحقيقة هو الله عز وجل كما فى
قوله فالله خير حافظا وقوله وكان الله على كل شئ رقيبا فان الممكنات كما تحتاج الى الواجب
لذاته فى وجودها تحتاج اليه فى بقائها وحفظ الملائكة من حفظه لانهم يحفظونه بأمره
(فلينظر الانسان) الفاء للدلالة على أن كون حافظ على كل نفس يوجب على الانسان
أن يتفكر فى مبتدا خلقه ليعلم قدرة الله على ماهو دون ذلك من البعث قال مقاتل يعنى
المكذب بالبعث (مم خلق) أى من أى شئ خلقه الله والمعنى فلينظر نظر التفكر
والاستدلال حتى يعرف ان الذى ابتدأه من نطفة قادر على اعادته ثم بين سبحانه ذلك فقال
(خلق من ماء دافق) والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر والماء هو المنى والدفق الصب
يقال دفقت الماء أى صببته ويقال ماء دافق أى مدفوق مثل عيشة راضية أى مرضية
قال الفراء والاخفش أى مصبوب فى الرحم قال الفراء وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى
المفعول فى كثير من كلامهم كقولهم سر كاتم أى مكتوم وهم ناصب أى منصوب وليل
نائم ونحو ذلك قال الزجاج من ماء ذى اندفاق يقال دارع وقايس ونابل أى ذو درع وقوس
ونبل يعنى من صيغ النسب كلابن وتامر وهو صادق على الفاعل والمفعول أو هو مجاز فى
الاسناد فاسند الى الماء مالصاحبه مبالغة أو هو استعارة مكنية وتخييلية أو مصرحة بجعله
دافقا لانه لتتابع قطراته كأنه يدفق بعضه بعضا أى يدفعه كما أشار له ابن عطية وأراد سبحانه
ماء

عظيم بخلتك تطلب بها أربعين نخلة ثم سكتا وانشآ في كلام آخر ثم قال فأنا أعطيك أربعين نخلة فقال اشهد لي ان كنت صادقا
فأمر بأناس فدعاهم فقال اشهدوا اني قد أعطيته من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان ثم قال ما تقول
فقال صاحب النخلة قد رضيت ثم قال بعد ليس بيني وبينك بيع لم نفترق فقال له قد أقالك الله ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين
نخلة بنخلتك المائلة فقال صاحب النخلة قد رضيت على أن تعطيني الاربعين على ما أريد قال تعطنيها على ساق ثم مكث ساعة
ثم قال هي لك على ساق وأوقف له شهودا وعدله أربعين نخلة على ساق فتفرقا فذهب الرجل الى رسول الله صلى

ماء الرجل والمرأة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما ثم
وصف هذا الماء فقال (يخرج من بين الصلب والترائب) أي صلب الرجل وترائب المرأة
وهي جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر والولد لا يكون الا من الماءين قرأ الجمهور
يخرج مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول وفي الصلب وهو الظهر لغات قرأ الجمهور بضم
الصاد وسكون اللام وقرأ أهل مكة بضمهما وقرأ اليماني بفتحهما ويقال صالب على
وزن قالب ومنه قول العباس بن عبد المطلب * تنقل من صالب الى رحم * في أبياته
المشهورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم كلام في هذا عند تفسير قوله الذين من
أصلابكم وقيل الترائب ما بين الثديين وقال الضحاك ترائب المرأة اليدان والرجلان
والعينان وقال سعيد بن جبير هي الجيد وقال مجاهد هي ما بين المنكبين والصدر وروى
عنه انه قال هي الصدر وعنه قال هي التراقي وحكى الزجاج أن الترائب عصارة القلب ومنه
يكون الولد والمشهور في اللغة انها عظام الصدر والنحر قال عكرمة الترائب الصدر قال
في الصحاح التريبة واحدة الترائب وهي عظام الصدر قال أبو عبيدة جمع التريبة تريب
وحكى الزجاج ان الترائب أربع اضلاع من يمنة الصدر وأربع اضلاع من يسرة الصدر قال
قتادة والحسن المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة وحكى الفراء ان مثل هذا يأتي
عن العرب يكون معنى من بين الصلب من الصلب وقيل ان ماء الرجل ينزل من الدماغ
ولا يخالف هذا ما في الآية لانه اذا نزل من الدماغ نزل من بين الصلب والترائب وقيل ان
المني يخرج من جميع أجزاء البدن ولا يخالف هذا ما في الآية لان نسبة خروجه الى ما بين
الصلب والترائب باعتبار ان أكثر أجزاء البدن هي الصلب والترائب وما يجاورها وما
فوقها مما يكون تنزله منها قال ابن عباس في الآية ما بين الجيد والنحر وعنه قال تريبة
المرأة وهي موضع القلادة وعنه الترائب ما بين ثديي المرأة وعنه الترائب أربع اضلاع
من كل جانب من أسفل الاضلاع قال ابن عادل ان الولد يخرج من ماء الرجل يخرج من
صلبه العظم والعصب ومن ماء المرأة يخرج من ترائبها اللحم والدم (انه على رجعه لقادر)
الضمير في انه يرجع الى الله سبحانه بدلالة قوله خلق عليه فان الذي خلقه هو الله سبحانه
والضمير في رجعه عائد الى الانسان والمعنى ان الله سبحانه على اعادة الانسان بالبعث
بعد الموت لقادر هكذا قال جماعة من المفسرين وقال مجاهد على أن يرد الماء في

الله عليه وسلم فقال يارسول الله
ان النخلة المائلة في دار فلان قد
صارت لي فهي لك فذهب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الرجل
صاحب الدار فقال له النخلة لك
ولعيالك قال عكرمة قال ابن
عباس فأنزل الله عز وجل والليل
اذا يغشى الى قوله فأما من أعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى وأما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى
الى آخر السورة هكذا رواه ابن
أبي حاتم وهو حديث غريب جدا
قال ابن جرير وذكر أن هذه
الآية نزلت في أبي بكر الصديق
رضي الله عنه حدثنا هارون بن
ادريس الاصم حدثنا عبد الرحمن
ابن محمد المحاربي حدثنا محمد بن
اسحق عن محمد بن عبد الله بن
محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه عن
عامر بن عبد الله بن الزبير قال
كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق
على الاسلام بمكة فكان يعتق
عجائز ونساء اذا أسلمن فقال له أبوه
أي بني أراك تعتق أناسا ضعفاء

فلو انك تعتق رجالا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك فقال أي أبت انما أريد
أظنه قال ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي ان هذه الآية أنزلت فيه فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى وقوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى قال مجاهد أي اذا مات وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم اذا تردى في النار
(ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي
يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى) قال قتادة ان علينا للهدى أي

يبين الحلال والحرام وقال غيره من سلك طريق الهدى وصل الى الله وجعله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل حكاه ابن جرير وقوله تعالى وان لنا للآخرة والاولى أى الجميع ملكنا وانا المتصرف فيهما وقوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى قال مجاهد أى توهج قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول أنذرتكم النار أنذرتكم النار حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامى هذا قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه (٢٤٢) عند رجليه وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنى شعبة حدثنى أبو اسحق سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه رواه البخارى وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو أسامة عن الاعمش عن أبى اسحق عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى ان أحدا أشد منه عذابا وانه لأهونهم عذابا وقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى أى لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه الا الاشقى ثم فسره فقال الذى كذب أى بقلبه وتولى أى عن العمل بجوارحه واركانه قال الامام أحمد حدثنا حسين بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الله بن سعيد عن العوفى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار الا الاشقى قيل ومن الشقى قال الذى لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية وقال الامام أحمد حدثنا يونس وشريح قالا حدثنا فليح عن هلال بن على عن عطاء المباه ابن يسار عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخل الجنة يوم القيامة الا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى ورواه البخارى عن محمد بن سنان عن فليح به وقوله تعالى وسيجنبها الاتقى أى وسيزحزح عن النار التقى النقى الاتقى ثم فسره بقوله الذى يؤتى ماله يتزكى أى يصرف ماله فى طاعة ربه ليزكى نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا وما لاحد عنده من نعمة تجزى أى ليس بذله ماله فى مكافأة من اسدى اليه معروفا فهو يعطى فى مقابلة ذلك وانما

الاحليل وقال عكرمة والضحاك على أن يرد الماء فى الصلب وقال مقاتل بن حيان يقول ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر والاول أظهر ورجحه ابن جرير والثعلبى والقرطبى قال ابن عباس على أن يجعل الشيخ شابا والشاب شيخا (يوم تبلى السرائر) العامل فى الظرف على التفسير الاول هو رجعه وقيل لقادر واعترض عليه بأنه يلزم تخصيص القدرة بهذا اليوم وقيل العامل فيه مقدر أى يرجعه أو اذكر فيكون مفعولا به وأما على قول من قال ان المراد رجع الماء فالعامل فيه اذكر والمعنى تختبر وتعرف وتكشف السرائر التى تسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وقيل يظهر الخبايا وقيل يبدى كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه والمراد هنا عرض الاعمال ونشر الصحف فعند ذلك يتميز الحسن منها من القبيح والغث من السمين وفى المختار السر الذى يكتم وجمعه اسرار والسريرة مثله والجمع سرائر (فما له من قوة ولا ناصر) أى فما للانسان من قوة ومنعة فى نفسه يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره مما نزل به قال عكرمة هؤلاء الملوك ما لهم يوم القيامة من قوة ولا ناصر قال سفيان القوة العشيرة والناصر الحليف والاول أولى (والسماء ذات الرجع) أى التى ترجع بالدوران الى الموضع الذى تتحرك عنه قال الزجاج الرجع المطر لانه يجىء ويرجع ويتكرر قال الخليل الرجع المطر نفسه والرجع نبات الربيع قال الواحدى الرجع المطر فى قول جميع المفسرين وفى هذا نظر فان ابن زيد قال الرجع الشمس والقمر والنجوم يرجعن فى السماء تطلع من ناحية وتغيب فى ناحية وقال بعض المفسرين ذات الرجع ذات الملائكة لرجوعهم اليها باعمال العباد وقال بعضهم معناه ذات النفع ووجه تسمية المطر رجعا ما قاله القفال انه مأخوذ من ترجيع الصوت وهو اعادته وكذا المطر لكونه يعود مرة بعد أخرى سمى رجعا وقيل ان العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض وقيل سمته العرب رجعا لاجل التفاؤل ليرجع عليهم وقيل لان الله يرجعه وقتا بعد وقت وقال ابن عباس الرجع المطر بعد المطر (والارض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الارض من النبات والثمار والشجر والانهار والعيون والصدع الشق لانه يصدع الارض فتنصدع له قال أبو عبيدة والفراء تتصدع بالنبات قال مجاهد والارض ذات الطرق التى تصدعها

دفعه ذلك ابتغاء وجه ربه الاعلى أي طمعا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى ولسوف يرضى اي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات وقد ذكر غير واحد من المفسرين ان هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى ان بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ولا شك انه داخل فيها وأولى الامة بعمومها فان اللفظ لفظ العموم وهو قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى ولكنه مقدم الامة وسابقهم في جميع هذه الاوصاف وسائر الاوصاف الحميدة فانه كان صديقا تقيا كريما جوادا بذالا لامواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لاحد من الناس عنده منة يحتاج الى ان يكافئه بها ولكن كان فضله واحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لاجبتك وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة فاذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ولهذا قال تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير فقال أبو بكر يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد قال نعم وأرجو أن تكون منهم آخر تفسير سورة الليل ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الضحى وهي مكية)

روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرى قال قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرني انه قرأ على اسمعيل ابن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قالا لي كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فانا قرأنا على ابن كثير فامرنا بذلك وأخبرنا انه قرأ على مجاهد فامره بذلك وأخبره مجاهد انه قرأ على ابن عباس فامره بذلك وأخبره ابن عباس انه قرأ على أبي بن كعب فامره بذلك وأخبره أبي انه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره بذلك فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزى من ولد القاسم بن أبي بزة وكان اماما في القراآت فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر

المياه وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم عند البعث والحاصل أن الصدع ان كان اسما للنبات فكأنه قال والارض ذات النبات وان كان المراد به الشق فكأنه قال والارض ذات الشق الذي يخرج منه النبات ونحوه وقال ابن عباس صدعها عن النبات وعنه قال تصدع الاودية وعن معاذ بن أنس مرفوعا قال تصدع باذن الله عن الاموال والنبات أخرجه ابن منده والديلمي قال الرازي انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات فقوله تعالى والسماء ذات الرجع كالاب وقوله والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء مكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك وجواب القسم الثاني قوله (انه لقول فصل) أي ان القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما كما قيل له فرقان ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجازم ويقال هذا قول فصل أي قاطع للشر والنزاع وقال ابن عباس فصل حق (وما هو بالهزل) أي لم ينزل القرآن الكريم باللعب فهو جد كله ليس بالهزل والهزل ضد الجد فيجب أن يكون مهيبا في الصدور ومعظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه عن ان يلم بهزل أو يتفكه بمزاح وقال ابن عباس بالهزل بالباطل (انهم يكيدون كيدا) أي يمكرون في ابطال ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين الحق قال الزجاج يخاتلون النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون ما هم على خلافه وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه وقيل الكيد القاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم أجعل الآلهة الها واحدا وما أشبه ذلك (وأكيد كيدا) أي أستدرجهم من حيث لا يعلمون وأجازيهم جزاء كيدهم قيل هو ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل كيد الله لهم نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعلاء درجته تسمية لاحدى المتقابلين بالاسم الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (فمهل الكافرين) أي أخرهم ولا تسأل الله سبحانه تعجيل هلاكهم والدعاء عليهم باهلاكهم فانا لا نعجل لان العجلة وهي ايقاع الشيء في غير وقته اللائق به نقص وارض بما يريده لك في أمورهم (أمهلهم) بدل من مهل ومهل وأمهل بمعنى مثل نزل وأنزل والامهال الانظار وتمهل في الامر اتأد وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير وانتصاب (رويدا) على انه مصدر

العقيلي قال هو منكر الحديث لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي انه سمع رجلا يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال أحسنت وأصبت السنة وهذا يقتضي صحة هذا الحديث ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر الليل اذا يغشى وقال آخرون من آخر والضحى وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر ومنهم من يقول الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحى انه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى اليه والضحى والليل اذا سجى السورة بتمامها كبر فرحا وسرورا ولم يرو ذلك باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فالله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وماقلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث) قال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الاسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فأنزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وماقلى رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن الاسود ابن قيس عن جندب هو ابن عبد الله البجلي ثم العلقي به وفي رواية سفيان ابن عيينة عن الاسود بن قيس سمع جندبا قال أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون ودع محمد فأنزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وماقلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج وعمرو بن عبد الله الاودي قالا حدثنا أبو أسامة حدثني سفيان حدثني الاسود بن قيس انه سمع جندبا يقول رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر في اصبعه فقال هل أنت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت * قال فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت له امرأة ما أرى شيطانك الا قد تركك فنزلت والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وماقلى والسياق لابي سعيد قيل ان هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب وذكر ان اصبعه عليه السلام دميت وقوله هذا الكلام الذي اتفق انه موزون ثابت

والليل

مؤكد للفعل المذكور أو نعت لمصدر محذوف أي أمهلهم امهالا رويدا أي قليلا أو قريبا وقد أخذهم الله تعالى ونسخ الامهال بآية السيف والامر بالقتال والجهاد قال أبو عبيدة الرويد في كلام العرب تصغير الرود والرود المهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود تصغير الترخيم ويأتي اسم فعل نحو رويد زيدا أي أمهله ويأتي حالا نحو سار القوم رويدا أي متمهلين ذكر معنى هذا الجوهري والبحث مستوفى في علم النحو

(سورة الاعلى ويقال سورة سبح هي تسع عشرة آية وهي مكية في قول الجمهور)

وقال الضحاك مدنية وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير وعائشة مثله وأخرج البخاري وغيره عن البراء بن عازب قال أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الاعلى وسورة مثلها وعن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الاعلى أخرجه أحمد والبزار وابن مردويه أي لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات الحسان وأخرج أحمد ومسلم وأهل السنن عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين وفي الجمعة سبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وان وافق يوم جمعة قرأهما جميعا وفي لفظ وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما وفي الباب أحاديث وأخرج مسلم وغيره عن جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر سبح اسم ربك الاعلى وأخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني والحاكم والبيهقي عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر في الركعة الاولى بسبح وفي الركعة الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد والمعوذتين وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها

في الصحيحين ولكن الغريب ههنا جعله سببا لترك القيام ونزول هذه السورة فأما ما رواه ابن جرير حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ما أرى ربك الا قد قلاك فأنزل الله والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة اني أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك قال فنزلت والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى الى آخرها فانه حديث مرسل من هذين الوجهين ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا أو قالته على وجه التأسف والتحزن والله أعلم وقد ذكر بعض السلف منهم ابن اسحق ان هذه السورة هي التي أوحاها جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها ودنا اليه وتدلى منهبطا عليه وهو بالابطح فأوحى الى عبده ما أوحى قال قال له هذه السورة والضحى والليل اذا سجى قال العوفي عن ابن عباس لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه فأنزل الله ما ودعك ربك وما قلى وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل منه من الضياء والليل اذا سجى أي سكن فأظلم وادلهم قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وقال تعالى فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وقوله تعالى ما ودعك ربك أي ما تركك وما قلى أي وما أبغضك وللآخرة خير لك من الاولى أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ولما خير عليه السلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا الى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة الى الله عز وجل اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن ابراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الاعلى) أي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه قال السدي أي عظمه قيل والاسم هنا مقحم لقصد التعظيم قال ابن جرير المعنى نزه اسم ربك أن يسمى به أحد سواه فلا تكون لفظة اسم على هذا مقحمة وقيل المعنى نزه تسمية ربك وذكرك اياه أن تذكره الا وأنت له خاشع معظم ولذكره محترم وقال الحسن معنى سبح صل له وقيل المعنى صل بأسماء الله لا كما يصلي المشركون بالمكاء والتصدية وقيل المعنى ارفع صوتك بذكر ربك ومنه قول جرير

قبح الاله وجوه تغلب كلما * سبح الحجيج وكبروا تكبيرا

وقال جماعة من الصحابة والتابعين قل سبحان ربي الاعلى وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه به الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة والاعلى صفة للرب وقيل للاسم والاول أولى وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن المنذر وابن مردويه ولا مطعن في اسناده وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى أخرجه أحمد والطبراني وابن مردويه والبيهقي وقال أبو داود وخولف فيه وكيع فرواه شعبة عن أبي اسحق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا وأخرجه موقوفا أيضا عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير عنه انه كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى وفي لفظ لعبد بن حميد عنه قال اذا قرأت سبح اسم ربك الاعلى فقل سبحان ربي الاعلى وعن علي بن أبي طالب أنه قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وهو في الصلاة فقيل له أتزيد في القرآن قال لا انما أمرنا بشيء فقلته وعن أبي موسى الاشعري انه قرأ في الجمعة سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وعن سعيد ابن جبير قال سمعت ابن عمر يقرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وكذلك هي في قراءة أبي بن كعب وعن عمر انه كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى وعن ابن الزبير انه قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وهو في الصلاة وقوله

شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا انما أنا والدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المسعودي به وقال الترمذي حسن صحيح وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعده له من الكرامة ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر كما سيأتي وقال الامام أبو عمرو الاوزاعي عن اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا فسر بذلك فأنزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى فأعطاه في الجنة ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس ومثل هذا ما يقال الا عن توقيف وقال السدي عن ابن عباس من رضى محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال الحسن يعني بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا معاوية ابن هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ألم يجدك يتيما فآوى وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه وقيل بعد ان ولد عليه السلام ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ثم كان في كفالة جده عبد المطلب الى ان توفي وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد ان ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الاوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره الى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم الى بلد الانصار من الاوس والخزرج كما أجرى الله سنته على الوجه الاتم والاكمل فلما وصل

(الذي خلق فسوى) صفة أخرى للرب قال الزجاج خلق الانسان مستويا ومعنى سوى عدل قامته وحسن خلقه قال الضحاك خلقه فسوى خلقه وقيل خلق الاجساد فسوى الافهام وقيل خلق الانسان وهيأه للتكليف والقيام بأداء العبادات وقيل خلق في أصلاب الآباء وسوى في أرحام الامهات وقيل خلق كل شئ فسوى خلقه تسويته ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم حكيم أو سواه على ما فيه منفعة ومصلحة وقيل خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقوله (والذي قدر فهدى) صفة أخرى للرب أو معطوف على الموصول الذي قبله قرئ (١) قدر مخففا ومثقلا قال الواحدي قال المفسرون قدر خلق الذكر والانثى من الدواب فهدى الذكر للانثى كيف يأتيها وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وروى عنه أيضا انه قال قدر السعادة والشقاوة وهدى للرشد والضلالة وهدى الانعام لمراعيها وقيل قدر أرزاقهم وأقواتهم وهداهم لمعايشهم ان كانوا انسا ولمراعيهم ان كانوا وحشا وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل خلق المنافع في الاشياء وهدى الانسان لوجه استخراجها منها وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم تسعة أشهر وأقل وأكثر ثم هداه للخروج من الرحم قال الفراء أي قدر فهدى وأضل فاكتفى باحدهما وفي تفسير الآية أقوال غير ما ذكرنا والاولى عدم تعيين فرد أو أفراد مما يصدق عليه قدر وهدى الا بدليل يدل عليه ومع عدم الدليل يحمل على ما يصدق عليه معنى الفعلين اما على البدل أو على الشمول والمعنى قدر أجناس الاشياء وأنواعها وصفاتها وأفعالها وأقوالها وآجالها فهدى كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له ويسره لما خلق له وألهمه الى أمور دينه ودنياه ولما ذكر ما يختص بالناس أتبعه بما يختص بالحيوان فقال (والذي أخرج المرعى) صفة أخرى للرب أي أنبت العشب وما ترعاه الدواب والنعم من النبات الاخضر (فجعله غثاء) أي فجعل المرعى بعد أن كان أخضر هشيما يابسا جافا باليا كالغثاء الذي يكون فوق السيل وفي القاموس الغثاء القماش والزبد والهالك البالي من ورق الشجر قال قتادة الغثاء الشئ اليابس ويقال للبقل والحشيش اذا تحطم ويبس غثاء وهشيم قال الكسائي غثاء حال من المرعى أي أخرجه أحوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك (أحوى) أي أسود بعد اخضراره وذلك ان الكلأ اذا يبس اسود

والاحوى

(١) قرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والكسائي والسلمي بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد. اه

اليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به وقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا الآية ومنهم من قال ان المراد بهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل انه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكبا ناقة في الليل فجاء ابليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفخ ابليس نفخة ذهب منها الى الحبشة ثم عدل بالراحلة الى الطريق حكاهما البغوي وقوله تعالى ووجدك عائلا فأغنى (٢٤٧) أي كنت فقيرا ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامه عليه وقال قتادة في قوله ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى قال كانت هذه منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله عز وجل رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه ثم قال تعالى فأما اليتيم فلا تقهر أي كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم أي لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن اليه وتلطف به قال قتادة كن لليتيم كالأب الرحيم وأما السائل فلا تنهر أي وكما كنت ضالا فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد قال ابن اسحق وأما السائل فلا تنهر أي فلا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا ولا فظا على الضعفاء من عباد الله وقال قتادة يعني رد المسكين برحمة ولين وأما بنعمة ربك فحدث أي وكما كنت عائلا فقيرا فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن اياس الجريري عن أبي نضرة قال كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها وقال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا الجراح بن مليح عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب واسناده ضعيف

والأحوى مأخوذ من الحوة وهي سواد يضرب الى الخضرة وقيل خضرة عليها سواد وفي القاموس الحوة سواد الى خضرة أو حمرة الى السواد حوي كرضي حوى قال في الصحاح والحوة أي بالضم حمرة الشفة قال ابن عباس غثاء هشيما أحوى متغيرا وقال ابن زيد وهذا مثل ضربه الله للكفار بذهاب الدنيا بعد نضارتها (سنقرئك) أي سنجعلك قارئا بان نلهمك القراءة والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ما أوحى الله اليه حينئذ وما سيوحي اليه بعد ذلك فهو وعد باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء (فلا تنسى) ما تقرؤه والجملة مستأنفة لبيان هدايته صلى الله عليه وآله وسلم الخاصة به بعد بيان الهداية العامة لكافة خلقه وهو هدايته صلى الله عليه وآله وسلم لحفظ القرآن وتلقي الوحي وهداية الناس أجمعين قيل هو نفي وقيل نهي والالف اشباع ومنع مكي أن يكون نهيا لانه لا ينهى عما ليس باختياره وهذا غير لازم اذ المعنى ان النهي عن تعاطي أسباب النسيان وهو شائع فسقط ما قاله قال مجاهد والكلبي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأولها مخافة ان ينساها فنزلت هذه الآية فلم ينس شيأ بعد ذلك وعن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستذكر القرآن مخافة ان ينسى فقيل له قد كفيناك ذلك ونزلت هذه الآية وعن سعد بن أبي وقاص نحوه وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه كان رجلا أميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزة الثاني ان هذه السورة من أول ما نزل بمكة فهذا اخبار عن أمر عجيب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا فيكون معجزا وقوله (الا ما شاء الله) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أي لا تنسى مما تقرؤه شيأ من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه قال ابن عباس يقول الا ما شئت انا فانسيك قال الفراء وهو لم يشأ سبحانه ان ينسى محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيأ كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك وقيل الا ما شاء الله ان تنسى ثم تذكر بعد ذلك فاذن قد ينسى ولكنه يتذكر ولا ينسى شيأ نسيانا كليا وقيل هو بمعنى النسخ أي الا ما شاء الله ان ينسخه مما نسخ تلاوته وحكمه معا واما ما نسخت تلاوته فقط او حكمه فقط فلا يصح ان تنساه للاحتياج الى تلاوته في الاول والى حكمه في الثاني وقيل المعنى فلا تترك العمل الا ما شاء الله ان تتركه لنسخه ورفع حكمه وقيل

وفي الصحيحين عن أنس ان المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الانصار بالاجر كله قال لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم قال أبو داود حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك عن الربيع بن مسلم وقال صحيح وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن الجراح حدثنا جرير عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ابلي بلاء فذكره فقد شكره ومن كتمه فقد كفره تفرد به أبو داود وقال أبو داود حدثنا مسدد (٢٤٨) حدثنا بشر حدثنا عمارة بن غزية حدثني رجل من قومي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى عطاء فوجد فليجزبه فان لم يجد فليثن به فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره قال أبو داود ورواه يحيى ابن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل عن جابر كرهوه فلم يسموه تفرد به أبو داود وقال مجاهد يعني النبوة التي أعطاك ربك وفي رواية عنه القرآن وقال ليث عن رجل عن الحسن عن علي وأما بنعمة ربك فحدث قال ما عملت من خير فحدث اخوانك وقال محمد بن اسحق ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع اليها قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرا الى من يطمئن اليه من أهله وافترضت عليه الصلاة فصلى آخر تفسير سورة الضحى ولله الحمد والمنة (تفسير سورة ألم نشرح وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) يقول تعالى ألم نشرح لك صدرك يعني أنا شرحنا لك صدرك أي نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا كقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا واسعا سمحا سهلا لا حرج فيه ولا اصر ولا ضيق وقيل المراد بقوله ألم نشرح لك صدرك شرح صدره ليلة الاسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذي ههنا وهذا وان كان واقعا ليلة الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة ولكن لا منافاة فان من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا فالله أعلم قال عبد الله ابن الامام أحمد حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزاز حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن محمد بن أبي بن كعب حدثني أبو

الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات (انه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله أي يعلم ما ظهر وما بطن والاعلان والاسرار وظاهره العموم فيندرج تحته ما قيل ان الجهر ما حفظه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن وما يخفى هو ما نسخ من صدره ويدخل تحته أيضا ما قيل من ان الجهر هو اعلان الصدقة وما يخفى هو اخفاؤها ويدخل تحته أيضا ما قيل ان الجهر جهره صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة ان يتفلت عليه وما يخفى ما في نفسه مما يدعوه الى الجهر (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية فهو داخل في حيز التنفيس وما بينهما اعتراض وارد للتعليل قال مقاتل انهون عليك عمل الجنة وقيل نوفقك للطريقة التي هي أيسر واسهل وقيل للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة السمحة البيضاء التي ليلها كنهارها وقيل نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به والاولى حمل الآية على العموم أي نوفقك للطريقة اليسرى في الدين والدنيا في كل أمر من أمورهما التي تتوجه اليك ولهذه النكتة قال نيسرك ولم يقل نيسر لك أي لافادة انك موفق لها وقال ابن عباس لليسرى للخير وقال ابن مسعود للجنة (فذكر ان نفعت الذكرى) أي عظ يا محمد الناس بما أوحينا اليك وأرشدهم الى سبل الخير واهدهم الى شرائع الدين قال الحسن تذكرة للمؤمن وحجة على الكافر قال الواحدي ان نفعت أولم تنفع لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث مبلغا للاعذار والانذار فعليه التذكير في كل حال نفع أولم ينفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله سرابيل تقيكم الحر قال الجرجاني التذكير واجب وان لم ينفع فالمعنى ان نفعت الذكرى أولم تنفع وقيل انه مخصوص في قوم باعيانهم وقيل ان بمعنى ما أي فذكر ما نفعت الذكرى لان الذكرى نافعة بكل حال وقيل انها بمعنى قد ذكره ابن خالويه وهو بعيد جدا وقيل انها بمعنى اذ وما قاله الواحدي والجرجاني أولى وقد سبقهما الى القول به الفراء والنحاس والزهراوي قال الرازي قوله ان نفعت الذكرى للتنبيه على أشرف الحالين وهو وجود النفع الذي لاجله شرعت الذكرى والمعلق بان على الشئ لا يلزم ان يكون عدما عند عدم ذلك الشئ ويدل عليه آيات منها هذه الآية ومنها قوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون ومنها قوله ولا جناح عليكم

محمد بن معاذ عن محمد عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد رأيت يا أبا هريرة اني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر واذا بكلام فوق رأسي واذا رجل يقول لرجل أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فاقبلا الي يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لاحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فاضجعاني بلا قصر ولا هصر فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره فهوى أحدهما الى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيأ كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هز ابهام رجلي اليمنى فقال اغد واسلم فرجعت بها أغدو بها رقة على الصغير ورحمة للكبير وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك بمعنى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الذي انقض ظهرك الانقاض الصوت وقال غير واحد من السلف الذي أنقض ظهرك أي أثقلك حمله وقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قال مجاهد لا أذكر الا ذكرت معي أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي بها أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول كيف رفعت ذكرك قال الله أعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو عمر الحوضي حدثنا حماد بن زيد حدثنا عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي مسئلة وددت اني لم أسأله قلت قد كان قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحيي الموتى قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك قلت بلى يا رب قال ألم أشرح لك صدرك ألم أرفع

ان تقصروا من الصلاة ان خفتم فان القصر جائز عند الخوف وعدمه ومنها قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله والمراجعة جائزة بدون هذا الظن فهذا الشرط فيه فوائد منها ما تقدم ومنها البعث على الانتفاع بالذكر كما يقول الرجل لمن يرشده قد أوضحت لك ان كنت تعقل وهو تنبيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على انها لا تنفعهم الذكرى أو يكون هذا في تكرير الدعوة فاما الدعاء الاول فهو عام انتهى ثم بين سبحانه الفرق بين من تنفعه الذكرى ومن لا تنفعه فقال (سيذكر) أي سيتعظ بوعظك والسين بمعنى سوف وسوف من الله واجب كقوله سنقرئك فلا تنسى (من يخشى) الله فيزداد بالتذكير خشية وصلاحا (ويتجنبها) أي ويتجنب الذكرى ويبعد عنها فلا يقبلها (الاشقى) من الكفار لاصراره على الكفر بالله وانهماكه في معاصيه ثم وصف الاشقى فقال (الذي يصلى النار الكبرى) أي العظيمة الفظيعة لانها أشد حرا من غيرها قال الحسن النار الكبرى نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا وقال الزجاج هي السفلى من أطباق النار وقيل ان في الآخرة نيرانا ودركات متفاضلة فكما ان الكافر أشقى العصاة فكذا يصلى أعظم النيران (ثم لا يموت فيها) فيستريح مما هو فيه من العذاب (ولا يحيى) حياة ينتفع بها ومنه قول الشاعر

ألا ما لنفس لا تموت فينقضي * عناها ولا تحيى حياة لها طعم

وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة أفظع من صلى النار الكبرى ولما ذكر تعالى وعيد من أعرض عن النظر في دلائل الله أتبعه بالوعد لضده فقال (قد أفلح من تزكى) أي نال الفوز من تطهر من الشرك فآمن بالله ووحده وعمل بشرائعه قال عطاء والربيع من كان عمله زاكيا ناميا وقال قتادة تزكى بعمل صالح وقال عطاء وقتادة وأبو العالية نزلت في صدقة الفطر قال عكرمة كان الرجل يقول أقدم زكاتي بين يدي صلاتي وأصل الزكاة في اللغة النماء وقيل المراد بالآية زكاة الاموال كلها وقيل المراد بها زكاة الاعمال لا زكاة الاموال لان الاكثر ان يقال في الاموال زكى لا تزكى قال ابن عباس من تزكى من قال لا اله الا الله وعن عوف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يأمر بزكاة الفطر قبل ان يصلي صلاة العيد ويتلو هذه الآية أخرجه البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم في الكنى والبيهقي في سننه وابن مردويه وفي لفظ قال سئل النبي

للذكر قلت بلى يارب وقال أبو نعيم في دلائل النبوة حدثنا ابو أحمد الغطريفي حدثنا موسى بن سهل الجوني حدثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيتي حدثنا نصر بن حماد عن عثمان بن عطاء عن الزهري عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغت مما أمرني به من أمر السموات والارض قلت يارب انه لم يكن نبي قبلي الا وقد كرمته جعلت ابراهيم خليلا وموسى كليما وسخرت لداود الجبال ولسليمان الريح والشياطين وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي قال أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله اني لا أذكر الا ذكرت معي وجعلت صدور (٢٥٠) أمتك يقرؤن القرآن ظاهرا ولم أعطها أمة وأعطيتك كنزا من كنوز عرشي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بذلك الاذان يعني ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم
من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه
اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال آخرون رفع الله ذكره في الاولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين ان يؤمنوا به وان يأمروا أممهم بالايمان به ثم شهر ذكره في أمته فلا يذكر الله الا ذكر معه وما أحسن ما قال الصرصري رحمه الله لا يصح الاذان في الفرض الا باسمه العذب في الفم المرضي به وقال أيضا الا ترانا لا يصح اذاننا ولا فرضنا ان لم نكرره فيها وقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا أخبر تعالى ان مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمود بن

صلى الله عليه وآله وسلم عن زكاة الفطر فقال قد أفلح من تزكى قال هي زكاة الفطر وكثير بن عبد الله ضعيف جدا قال ابو داود هو ركن من أركان الكذب وقد صحح الترمذي حديثا من طرقه وخطئ في ذلك ولكن يشهد له ما أخرجه ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ثم يقسم الفطرة قبل ان يغدو الى المصلى يوم الفطر وليس في هذين الحديثين ما يدل على ان ذلك سبب النزول بل فيهما انه صلى الله عليه وآله وسلم تلا الآية وقوله هي زكاة الفطر يمكن ان يراد به انها مما يصدق عليه التزكي وقد قدمنا ان السورة مكية ولم يكن في مكة صلاة عيد ولا فطرة وعن أبي سعيد الخدري في الآية قال أعطى صدقة الفطر قبل ان يخرج الى العيد وخرج الى العيد فصلى وعن ابن عمر قال انما أنزلت هذه الآية في اخراج صدقة الفطر قبل صلاة العيد وعن عطاء قال قلت لابن عباس أرأيت قوله قد أفلح من تزكى للفطر قال لم اسمع بذلك ولكن للزكاة كلها ثم عاودته فقال لي والصدقات كلها (وذكر اسم ربه فصلى) قيل المعنى ذكر اسم ربه بالخوف فعبده وصلى له وقيل ذكر اسم ربه بلسانه وكبر للافتتاح فصلى أي فأقام الصلوات الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة عطفت عليها وهو يقتضي المغايرة على ان الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل قاله النسفي وفيه نظر وقيل ذكر موقفه ومعاده فعبده وهو كالقول الاول وقيل ذكر اسم ربه بالتكبير في أول الصلاة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله أكبر وقيل ذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى وقيل هو ان يتطوع بصلاة بعد زكاة وقيل المراد بالصلاة هنا صلاة العيد كما أن المراد بالتزكي في الآية الاولى زكاة الفطر ولا يخفى بعد هذا القول لان السورة مكية ولم تفرض زكاة الفطر وصلاة العيد الا بالمدينة عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله قد أفلح من تزكى قال من شهد ان لا اله الا الله وقطع الانداد وشهد اني رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بمواقيتها أخرجه ابن مردويه وقال البزار لا يروى عن جابر الا من هذا الوجه وعن ابن عباس قال من تزكى من الشرك وذكر اسم ربه قال وحد الله فصلى قال الصلوات الخمس (بل تؤثرون الحياة الدنيا) هذا اضراب عن كلام مقدر يدل عليه السياق وينساق اليه الكلام أي انتم لا تفعلون ذلك بل

غيلان حدثنا حميد بن حماد بن أبي خوار أبو الجهم حدثنا عائذ بن شريح قال سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا وحياله حجر فقال لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فأنزل الله عز وجل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر عن حميد بن حماد به ولفظه لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه ثم قال فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ثم قال البزار لا نعلم رواه عن أنس الا عائذ بن شريح قلت وقد قال فيه أبو حاتم الرازي في حديثه ضعف ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن رجل عن عبد الله بن

مسعود موقوفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو قطن حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن الحسن قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فرحا وهو يضحك وهو يقول لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وكذا رواه من حديث عوف الاعرابي و يونس بن عبيد عن الحسن مرسلا وقال سعيد عن قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه بهذه الآية فقال لن يغلب عسر (٢٥١) يسرين ومعنى هذا ان العسر معرف

بل تؤثرون اللذات الفانية العاجلة الكائنة فى الدنيا على الدار الآخرة الآجلة الباقية فلا تفعلون ما به تفلحون قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب للكفار فقط أو لمطلق الناس ويؤيدها قراءة أبي بل انتم تؤثرون وقرئ بالتحتية على الغيبة وعلى هذا يكون الضمير راجعا للاشقى قيل والمراد بالآية الكفرة والمراد بالايثار للحياة الدنيا هو الرضا بها والاطمئنان اليها والاعراض عن الآخرة بالكلية وقيل المراد بها جميع الناس من مؤمن وكافر والمراد بايثارها هو أعم من ذلك مما لا يخلو عنه غالب الناس من ايثار جانب الدنيا على الآخرة والتوجه الى تحصيل منافعها والاهتمام بها اهتماما زائدا على اهتمامه بالطاعات وعن عرفجة الثقفي قال استقرأت ابن مسعود سبح اسم ربك الاعلى فلما بلغ بل تؤثرون الحياة الدنيا ترك القراءة واقبل على أصحابه فقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لانا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل وقال بل يؤثرون الحياة الدنيا بالياء قال عرفجة كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل (والآخرة خير وابقى) أى والحال ان الدار الآخرة التى هى الجنة أفضل وأدوم من الدنيا لانها تشتمل على السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا ليست كذلك ولان الدنيا لذاتها مخلوطة بالآلام والآخرة ليست كذلك ولان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى قال مالك بن دينار لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى (ان هذا) أى أى ما تقدم من فلاح من تزكى وما بعده وقيل انه اشارة الى جميع السورة (لفى الصحف الاولى) أى ثابت فيها قال النسفى وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة لانه جعله مذكورا فى تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة انتهى قال الخطيب لم يرد تعالى ان هذه الالفاظ بعينها فى تلك الصحف بل معناه ان معنى هذا الكلام فى تلك الصحف وفيه بعد لان أبا حنيفة قد رجع عنه وعليه الاعتماد عند الحنفية وعليه الفتوى منهم وقد وصف الله سبحانه القرآن بكونه عربيا فلا يتم هذا الاستدلال (صحف

فى الحالين فهو مفرد واليسر منكر فتعدد ولهذا قال لن يغلب عسر يسرين يعني قوله فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فالعسر الاول عين الثانى واليسر تعدد وقال الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح حدثنا خارجة عن عباد بن كثير عن أبى الزناد عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل المعونة من السماء على قدر المؤنة ونزل الصبر على قدر المصيبة ومما يروى عن الشافعى انه قال

صبرا جميلا ما أقرب الفرجا . من راقب الله فى الامور نجا

من صدق الله لم ينله أذى . ومن رجاه يكون حيث رجا

وقال ابن دريد أنشدنى أبو حاتم السجستانى

اذا اشتملت على اليأس القلوب . وضاق لما به الصدر الرحيب

وأوطأت المكاره واطمأنت . وأرست فى أماكنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر وجها . ولا أغنى بحيلته الاريب

أتاك على قنوط منك غوث . يمن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات اذا تناهت * فموصول بها الفرج القريب

وقال آخر

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقوله تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب أى اذا فرغت من امور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب الى العبادة وقم اليها نشيطا فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان وقوله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤا بالعشاء قال مجاهد فى هذه

الآية اذا فرغت من أمر الدنيا فقمت الى الصلاة فانصب لربك وفي رواية عنه اذا قمت الى الصلاة فانصب في حاجتك وعن ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وعن ابن عياض نحوه وفي رواية عن ابن مسعود فانصب والى ربك فارغب بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فاذا فرغت فانصب يعني في الدعاء وقال زيد بن أسلم والضحاك فاذا فرغت أي من الجهاد فانصب أي في العبادة والى ربك فارغب قال الثوري اجعل نيتك ورغبتك الى الله عز وجل * (آخر تفسير سورة ألم نشرح ولله الحمد والمنة (٢٥٢) * (تفسير سورة والتين والزيتون وهي مكية) * قال مالك وشعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب كان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في سفره في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا او قراءة منه اخرجه الجماعة في كتبهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين أليس الله باحكم الحاكمين) اختلف المفسرون ههنا على اقوال كثيرة فقيل المراد بالتين مسجد دمشق وقيل هي نفسها وقيل الجبل الذي عندها وقال القرطبي هو مسجد اصحاب الكهف وروى العوفي عن ابن عباس انه مسجد نوح الذي على الجودي وقال مجاهد هو تينكم هذا والزيتون قال كعب الاحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم هو مسجد بيت المقدس وقال مجاهد وعكرمة هو هذا الزيتون الذي تعصرون وطور سينين قال كعب الاحبار وغير واحد هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وهذا البلد الامين يعني مكة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وابراهيم النخعي وابن زيد وكعب الاحبار ولا اختلاف في ذلك وقال بعض الائمة هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيا مرسلا من اولي العزم أصحاب الشرائع الكبار فالاول محلة التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام والثاني طور سينين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران والثالث مكة وهو البلد الامين الذي من دخله كان آمنا وهو الذي ارسل فيه محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وفي آخر التوراة ذكر هذه الاماكن الثلاثة جاء

ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى قال قتادة وابن زيد يريد بقوله ان هذا والآخرة خير وابقى وقالا تتابعت كتب الله عز وجل ان الآخرة خير وابقى من الدنيا وقال الحسن تتابعت كتب الله عز وجل ان هذا لفي الصحف الاولى وهو قوله قد أفلح الى آخر السورة قرأ الجمهور صحف بضم الحاء في الموضعين وقرئ بسكونها فيهما وقرأ الجمهور ابراهيم بالالف بعد الراء وبالياء بعد الهاء وقرئ بحذفهما وفتح الهاء وقرأ ابو موسى وابن الزبير ابراهام بالفين وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي كلها في صحف ابراهيم وموسى أخرجه البزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه وعنه في الآية قال نسخت هذه السورة من صحف ابراهيم وموسى وفي لفظ هذه السورة في صحف ابراهيم وموسى وعن أبي ذر قال قلت يارسول الله كم أنزل الله من كتاب قال مائة كتاب وأربعة كتب الحديث أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر

(سورة الغاشية هي ست وعشرون آية وهي مكية بلا خلاف)

وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقد تقدم حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بسبح اسم ربك الاعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتاك حديث الغاشية) قال جماعة من المفسرين هل ههنا بمعنى قد وبه قال قطرب أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وهي القيامة لانها تغشى الخلائق باهوالها وقيل ان بقاء هل على معناها الاستفهامي المتضمن للتعجب مما في خبره والتشويق الى استماعه أولى وقد ذهب الى ان المراد بالغاشية هنا القيامة أكثر المفسرين وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشى وجوه الكفار كما في قوله وتغشى وجوههم النار وقيل الغاشية أهل النار لانهم يغشونها ويقتحمونها والاول أولى قال الكلبي المعنى ان لم يكن أتاك حديث الغاشية فقد أتاك قال ابن عباس الغاشية من أسماء القيامة وعنه قال الغاشية الساعة وفي المصباح الغشاء الغطاء ويقال ان الغشي يعطل القوى المحركة والاوردة الحساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد أو برد أو جوع مفرط وقيل الغشي هو الاغماء وقيل الاغماء امتلاء بطون الدماغ من بلغم بارد غليظ وقيل الاغماء سهو يلحق الانسان مع

فتور

نور الاعضاء لعلة وغشيته أغشاه من باب تعب أتيته والاسم الغشيان بالكسر وجملة (وجوه يومئذ خاشعة) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما هو أو مستأنفة استئنافا نحويا بالبيان لما تضمنته من كون ثم وجوه في ذلك اليوم متصفة بهذه الصفات المذكورة ووجوه مرتفع على الابتداء وان كان نكرة لوقوعه في مقام التفصيل وقد تقدم مثل هذا في سورة القيامة وفي سورة النازعات والتنوين في يومئذ عوض عن المضاف اليه أي يوم غشيان الغاشية والخاشعة الذليلة الخاضعة وكل متضائل ساكن يقال له خاشع يقال خشع الصوت اذا خفي وخشع في صلاته اذا تذلل ونكس رأسه والمراد بالوجوه هنا أصحابها قال الحلي عبر بها عن الذوات في الموضعين أي بالجزء عن الكل وخص الوجه لانه أشرف أعضاء الانسان ولان الذل يظهر عليه أولا دون غيره قال مقاتل يعني الكفار لانهم تكبروا عن عبادة الله قال قتادة وابن زيد خاشعة في النار وقيل أراد وجوه اليهود والنصارى على الخصوص والاول أولى وفي البحر الآية نزلت في القسيسين وعباد الاوثان وفي كل مجتهد في كفر (عاملة) أي انها تعمل عملا شاقا قال أهل اللغة يقال للرجل اذا دأب في سيره عمل يعمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل يعمل عملا قيل وهذا العمل هو جر السلاسل والاغلال والخوض في النار والصعود والهبوط في تلالها ووهادها (ناصبة) أي تعبة يقال نصب بالكسر ينصب نصبا اذا تعب والمعنى انها في الآخرة تعبة لما تلاقيه من عذاب الله وقيل ان قوله عاملة في الدنيا اذ لا عمل في الآخرة أي تعمل في الدنيا بالكفر والمعاصي وتنصب في ذلك وقيل انها عاملة في الدنيا ناصبة في الآخرة والاول أولى قال قتادة عاملة ناصبة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله فأعملها الله وأنصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال الحسن وسعيد بن جبير لم تعمل لله في الدنيا ولم تنصب فأعملها وأنصبها في جهنم قال الكلبي يجرون على وجوههم في جهنم وقال أيضا يكلفون ارتقاء جبل من حديد في جهنم فينصبون فيه أشد ما يكون من النصب بمعالجة السلاسل والاغلال والخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل قال ابن عباس عاملة ناصبة تعمل وتنصب وعنه قال يعني اليهود والنصارى تخشع ولا ينفعها عملها قرأ الجمهور عاملة ناصبة بالرفع فيهما على انهما خبران آخران للمبتدأ أو على تقدير مبتدأ وهما خبران له وقرئ

الله من طور سيناء يعني الذي كلم الله عليه موسى وأشرق من ساعير يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى واستعلن من جبال فاران يعني جبال مكة التي ارسل الله منها محمدا صلى الله عليه وسلم فذكرهم مخبرا عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ولهذا اقسم بالاشرف ثم الاشرف منه ثم بالاشرف منهما وقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم هذا هو المقسم عليه وهو انه تعالى خلق الانسان في احسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الاعضاء حسنها ثم رددناه اسفل سافلين اي الى النار قاله مجاهد وابو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره الى النار ان لم يطع الله ويتبع الرسل ولهذا قال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال بعضهم ثم رددناه أسفل سافلين أي الى ارذل العمر وروي هذا عن ابن عباس وعكرمة حتى قال عكرمة من جمع القرآن لم يرد الى ارذل العمر واختار ذلك ابن جرير ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لان الهرم قد يصيب بعضهم وانما المراد ما ذكرناه كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله فلهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع كما تقدم ثم قال فما يكذبك اي يا ابن آدم بعد بالدين اي بالجزاء في المعاد ولقد علمت البدأة وعرفت ان من قدر على البدأة فهو قادر على الرجعة بطريق الاولى فاي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا قال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور قال قلت لمجاهد فما يكذبك بعد بالدين عنى به النبي صلى الله عليه وسلم قال معاذ الله عنى به الانسان وهكذا قال عكرمة وغيره وقوله تعالى أليس الله باحكم الحاكمين اي أما هو احكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم احدا ومن عدله ان يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه وقد قدمنا في حديث ابي هريرة مرفوعا فاذا قرأ احدكم والتين والزيتون فاتى على آخرها أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ❊ آخر تفسير سورة والتين والزيتون ولله الحمد والمنة ❊ تفسير سورة اقرأ وهي أول شيء نزل من القرآن

❊(بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) ❊ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث

فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما انا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة (٢٥٤) ما لي وأخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسي فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي وكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت خديجة أي ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على عيسى ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى فمن أراده فهو هنالك محرر ولله الحمد والمنة فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وفيها التنبيه على ابتداء خلق الانسان من علقة وان من كرمه تعالى ان

السادس

نصبهما على الحال أو على الذم وقوله (تصلى نارا حامية) خبر آخر للمبتدأ أي تدخل نارا متناهية في الحر يقال حمي النهار وحمي التنور أي اشتد حرهما قال الكسائي يقال اشتد حمي النهار وحموه بمعنى والمعنى قد أحميت وأوقد عليها مدة طويلة وفي الحديث أحمي عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة قرأ الجمهور تصلى بفتح التاء مبنيا للفاعل وقرئ بضمها مبنيا للمفعول وبضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام والضمير راجع الى الوجوه على جميع هذه القراآت السبعية والمراد أصحابها كما تقدم وهكذا الضمير في (تسقى من عين آنية) أي متناهية في الحر والآني الذي قد انتهى حره من الايناء بمعنى التأخير يقال آناه يؤنيه ايناء أي أخره وحبسه كما في قوله يطوفون بينها وبين حميم آن قال الواحدي قال المفسرون لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت قال ابن عباس هي التي قد طال أنيها وقال أيضا قد انى غليانها وعنه قال انتهى حرها ولما ذكر سبحانه شرابهم عقبه بذكر طعامهم فقال (ليس لهم طعام الا من ضريع) هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه يقال له الشبرق في لسان قريش اذا كان رطبا فاذا يبس فهو الضريع كذا قال مجاهد وقتادة وغيرهما من المفسرين قيل وهو سم قاتل واذا يبس لا تقربه دابة ولا ترعاه وقيل هو شيء يرمي به البحر يسمى الضريع من أقوات الانعام لا من أقوات الناس فاذا رعت منه الابل لا تشبع وتهلك هزالا قال الخليل الضريع نبات أخضر منتن الريح يرمي به البحر وجمهور أهل اللغة والتفسير قالوا بالاول وقال سعيد بن جبير الضريع الحجارة وقيل هو شجرة في نار جهنم وقال الحسن هو بعض ما أخفاه الله من العذاب وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله بالخلاص منه فسمي بذلك لان آكله يتضرع الى الله في ان يعفى عنه لكراهته وخشونته قال النحاس قد يكون مشتقا من الضارع وهو الذليل أي من شربه تلحقه ضراعة وذلة وقال الحسن أيضا هو الزقوم وقيل هو واد في جهنم وقد تقدم في سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين والغسلين غير الضريع كما تقدم وجمع بين الآيتين بان النار دركات والعذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الزقوم فلا تناقض بين هذه الآيات قال ابن عباس الضريع الشبرق وقال أيضا شجر من نار وعنه قال الشبرق

علم الانسان مالم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر التى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة والعلم تارة يكون فى الاذهان وتارة يكون فى اللسان وتارة يكون فى الكتابة بالبيان ذهنى ولفظى ورسمى والرسمى يستلزمهما من غير عكس فلهذا قال اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وفى الاثر قيدوا العلم بالكتابة وفيه ايضا من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يكن يعلم (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب) يخبر تعالى عن الانسان انه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان اذا راى نفسه قد استغنى وكثر ماله ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال ان الى ربك الرجعى أى الى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفته قال ابن أبى حاتم حدثنا زيد بن اسمعيل الصائغ حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو عميس عن عون قال قال عبد الله منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى فى الطغيان قال ثم قرأ عبد الله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال للآخر انما يخشى الله من عباده العلماء وقد روى هذا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا ثم قال تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى نزلت فى أبى جهل لعنه الله توعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالتى هى أحسن أولا فقال أرأيت ان كان على الهدى أى فما ظنك ان كان هذا الذى تنهاه على الطريق المستقيمة فى فعله أو أمر بالتقوى بقوله وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ولهذا قال ألم يعلم بان الله يرى أى أما علم هذا الناهى لهذا المهتدى أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء ثم قال تعالى متوعدا ومتهددا كلا لئن لم ينته أى لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد لنسفعا بالناصية أى لنسمنها سوادا يوم القيامة ثم قال ناصية كاذبة خاطئة يعنى ناصية أبى جهل كاذبة فى مقالها خاطئة فى أفعالها فليدع ناديه أى قومه وعشيرته أى ليدعهم يستنصر بهم سندع الزبانية وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه قال البخارى حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا

اليابس ثم وصف سبحانه الضريع فقال (لا يسمن ولا يغنى من جوع) أى لا يسمن الضريع آكله ولا يدفع عنه ما به من الجوع يعنى همامنفعتا الغذاء وكلاهما منتفيان عنه قال المفسرون لما نزلت ليس لهم طعام الخ قال المشركون أن ابلنا تسمن من الضريع فنزلت لا يسمن ولا يغنى من جوع وكذبوا فى قولهم هذا فان الابل لا تأكل الضريع ولا تقربه وقيل اشتبه عليهم أمره فظنوه كغيره من النبات النافع قال أبو السعود وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى احشائهم الى ادخال شئ كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب وأما أن يكون لهم شوق الى مطعوم ما أو التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند أكل الضريع والتهابه فى بطونهم الى شئ مائع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ بشربه أو استفادة قوة فى الجملة وهو المعنى بما روى انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى أكل الضريع فاذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أى لا يغنى من جوع ما ثم شرع سبحانه فى بيان حال أهل الجنة بعد الفراغ من بيان حال أهل النار فقال (وجوه يومئذ ناعمة) أى ذات نعمة وبهجة فى لين العيش وهى وجوه المؤمنين صارت ناعمة لما شاهدوا من عاقبة أمرهم وما أعده الله لهم من الخير الذى يفوق الوصف ومثله قوله تعرف فى وجوههم نضرة النعيم والمراد بالوجوه هنا أصحابها كما تقدم ثم قال (لسعيها راضية) أى لعملها الذى عملته فى الدنيا راضية لانها قد أعطيت من الاجر ما أرضاها وقرت به عيونها (فى جنة عالية) أى عالية المكان مرتفعة على غيرها من الامكنة أو عالية القدر لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين (لا تسمع فيها لاغية) قرأ الجمهور بفتح الفوقية ونصب لاغية أى لا تسمع أنت أيها المخاطب أو لا تسمع تلك الوجوه وقرئ بضم التحتية مبنيا للمفعول ورفع لاغية وقرئ بالفوقية مضمومة ورفع لاغية وقرئ بفتح التحتية مبنيا للفاعل ونصب لاغية واللغو الكلام الساقط قال الفراء والاخفش أى

يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لئن فعل لأخذته الملائكة ثم قال تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعني ابن عمرو عن عبد الكريم وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو به وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام فقال يا محمد ألم أنهك عن هذا وتوعده فأغلظ له رسول الله (٢٥٦) صلى الله عليه وسلم وانتهره فقال يا محمد بأي شيء تهددني أما والله اني لأكثر هذا الوادي ناديا فأنزل الله فليدع ناديه سندع الزبانية وقال ابن عباس لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته وقال الترمذي حسن صحيح وقال الامام احمد أيضا حدثنا اسمعيل بن يزيد أبو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رايت رسول الله يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال فقال لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ولو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا وقال ابن جرير ايضا حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح اخبرنا يونس بن ابي اسحق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه فأنزل الله عز وجل اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ هذه الآية لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فصلى فقيل ما يمنعك قال قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب قال ابن عباس والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون اليه وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له مالك فقال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة قال فقال رسول الله لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال وأنزل الله لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة وقد رواه أحمد بن حنبل ومسلم

لا تسمع فيها كلمة لغو وقيل المراد بذلك الكذب والبهتان والكفر قاله قتادة وقال مجاهد أي الشتم وقال الفراء لا تسمع فيها حالفا يحلف بكذب قال الكلبي لا تسمع في الجنة حالفا بيمين برة ولا فاجرة وقال الفراء أيضا لا تسمع في كلام أهل الجنة كلمة تلغى لانهم لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وهذا أرجح الاقوال لان النكرة في سياق النفي من صيغ العموم ولا وجه لتخصيص هذا بنوع من اللغو خاص الا بمخصص يصلح للتخصيص ولاغية اما صفة موصوف محذوف أي كلمة لاغية أو جماعة لاغية أو نفس لاغية أو مصدر أي لا تسمع فيها اللغو قال ابن عباس لا تسمع أذى ولا باطلا (فيها عين جارية) قد تقدم في سورة الانسان ان فيها عيونا والعين هنا بمعنى العيون كما في قوله علمت نفس ومعنى جري العين انها تجري مياهها على وجه الارض في غير أخدود تتدفق بانواع الاشربة المستلذة لا ينقطع جريها أبدا قال الكلبي لا أدري بماء أو بغيره (فيها سرر مرفوعة) أي عالية مرتفعة السمك أو عالية القدر أو شريفة الذات قال ابن عباس بعضها فوق بعض (وأكواب موضوعة) قد تقدم ان الاكواب جمع كوب وانه القدح الذي لا عروة له ولا خرطوم أي انها موضوعة بين أيديهم يشربون منها أو معدة لاهلها أو موضوعة على حافات العين الجارية أو موضوعة عن حد الكبر أي هي أوساط بين الكبر والصغر كقوله قدروها تقديرا (ونمارق مصفوفة) هي الوسائد قال الواحدي في قول الجميع واحدتها نمرقة بضم النون وزاد الفراء سماعا عن العرب نمرقة بكسرها وهما لغتان أشهرهما الاولى قال الكلبي وسائد مصفوفة بعضها الى بعض ومنه قول الشاعر

كهول وشبان حسان وجوههم * على سرر مصفوفة ونمارق

قال في الصحاح النمرق والنمرقة وسادة صغيرة وكذلك النمرقة بالكسر لغة حكاها يعقوب وقال ابن عباس نمارق مجالس وعنه قال مرافق وقيل مساند ومطارح أينما أراد ان يجلس جلس على موسدة واستند الى الاخرى قال الواحدي مصفوفة أي فوق الطنافس (وزرابي مبثوثة) يعني البسط العراض الفاخرة واحدها زربي وزربية قال أبو عبيدة والفراء الزرابي الطنافس التي لها خمل رقيق واحدها زربية وفي القاموس الزرابي النمارق والبسط أو كل ما بسط ويتكأ عليها الواحد زربي بالكسر ويضم والمبثوثة المبسوطة قاله قتادة وقال عكرمة بعضها فوق بعض قال الواحدي

والنسائي وابن أبي حاتم من حديث معتمر بن سليمان به وقوله تعالى كلا لا تطعه يعني يا محمد فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها وصل حيث شئت ولا تباله فان الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس واسجد واقترب كما ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحرث عن عمارة بن غزية عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وتقدم أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسجد في اذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك الذي خلق آخر تفسير سورة اقرأ ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة ليلة القدر وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) يخبر تعالى انه أنزل القرآن ليلة القدر وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل انا أنزلناه في ليلة مباركة وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن قال ابن عباس وغيره أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى معظما لشأن ليلة القدر التي اختصها بانزال القرآن العظيم فيها فقال وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد قال قام رجل الى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين أو يا مسود وجوه المؤمنين فقال لا تؤنبني رحمك الله فان النبي صلى الله عليه وسلم أري بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت انا أعطيناك الكوثر يا محمد يعني نهرا في الجنة ونزلت انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية يا محمد قال القاسم فعددنا فاذا هي ألف يوم لا يزيد يوم ولا تنقص ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل وقد قيل عن القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن والقاسم بن الفضل الحداني هو ثقة وثقه يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي

ويجوز أن يكون المعنى انها مفرقة في المجالس وبه قال القتيبي وقال الفراء مبثوثة كثيرة والظاهر أن معنى البث التفريق مع كثرة ومنه وبث فيهما من كل دابة قال القرطبي وغيره وهذا أصح (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر كما في نظائره مما مر غير مرة والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير أمر البعث والاستدلال عليه وكذا ما بعدها وقيل الجملة في محل جر على انها بدل اشتمال من الابل والمعنى أينكرون أمر البعث ويستبعدون وقوعه أفلا ينظرون الى الابل التي هي غالب مواشيهم وأكثر ما يشاهدونه من المخلوقات كيف خلقت معدولا عن سنن خلق سائر أنواع الحيوانات على ما هي عليه من الخلق البديع من عظم جثتها ومزيد قوتها وبديع أوصافها قال أبو عمرو بن العلاء انما خص الابل لانها من ذوات الاربع تبرك فتحمل عليها الحمولة وغيرها من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قائم قال الزجاج نبههم على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقل حمله وليس ذلك في شئ من الحوامل غيره فأراهم عظيما من خلقه ليدل بذلك على توحيده وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في الاعجوبة فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل من أعز مال العرب وأنفسه يأكل النوى والقت ويخرج اللبن ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها وقال المبرد الابل هنا هي القطع العظيمة من السحاب وهو خلاف ما ذكره أهل التفسير واللغة وروي عن الاصمعي انه قال من قرأ خلقت بالتخفيف عني به البعير ومن قرأ بالتشديد عني به السحاب قال أبو السعود بدأ بالابل لكثرة منافعها كأكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتنقل عليها الى البلاد البعيدة وعيشها بأي نبات أكلته كالشجر والشوك وصبرها على العطش عشرة أيام فأكثر وطواعيتها لكل من قادها ولو صبيا صغيرا ونهوضها وهي باركة بالاحمال الثقيلة وتأثرها بالصوت الحسن مع غلظ أكبادها ولا شئ من الحيوان جمع هذه الاشياء غيرها ولكونها أفضل ما عند العرب جعلوها دية القتل والابل اسم جمع لا واحد له من لفظه وانما واحده بعير وناقة وجمل (والى السماء كيف رفعت) فوق الارض بلا عمد على وجه لا يناله الفهم ولا يدركه العقل وقيل رفعت فلا ينالها

ويوسف بن سعد رجل مجهول ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ الا من هذا الوجه وقد روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن به وقول الترمذي ان يوسف هذا مجهول فيه نظر فانه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخالد الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور وفي رواية عن ابن معين قال هو ثقة ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن كذا قال وهذا يقتضي اضطرابا في هذا الحديث والله أعلم ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا قال شيخنا الامام (٢٥٨) الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي هو حديث منكر قلت وقول القاسم بن الفضل الحداني انه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص ليس بصحيح فان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استقل بالملك حين سلم اليه الحسن بن علي الامرة سنة أربعين واجتمعت البيعة لمعاوية وسمي ذلك عام الجماعة ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها لم يخرج عنهم الا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريبا من تسع سنين لكن لم تزل يدهم عن الامرة بالكلية بل عن بعض البلاد الى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة وذلك أزيد من ألف شهر فان الالف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب والله أعلم ومما يدل على ضعف هذا الحديث انه سيق لذم دولة بني أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فان تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم فان ليلة القدر شريفة جدا والسورة الكريمة انما جاءت لمدح ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث وهل هذا الا كما قال القائل

ألم تر أن السيف ينقص قدره * اذا قيل ان السيف أمضى من العصا

وقال آخر

اذا أنت فضلت امرأ ذا براعة * على ناقص كان المديح من النقص

ثم الذي يفهم من الآية أن الالف شهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية والسورة مكية فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية ولا يدل عليها لفظ الآية

شئ (والى الجبال كيف نصبت) على وجه الارض مرساة راسخة لا تميد ولا تميل ولا تزول (والى الارض كيف سطحت) أى بسطت والسطح بسط الشئ يقال لظهر البيت اذا كان مستويا سطح قرأ الجمهور مبنيا للمفعول مخففا وقرأ الحسن مشددا وقرأ علي بن أبي طالب وغيره خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وضم التاء فيها كلها قال الخلي قوله سطحت ظاهر في أن الارض سطح وعليه علماء الشرع لا كرة كما قاله أهل الهيئة وان لم ينقض ركنا من أركان الشرع قال الكرخي هي كرة بطبعها وحقيقتها لكن الله أخرجها عن طبعها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لاقامة الحيوانات عليها فأخرجها عما يقتضيه طبعها انتهى وفي التكميل للشيخ رفيع الدين ابن ولي الله الدهلوي رحمه الله أهل الشرائع يفهمون من مثل قوله تعالى الارض فراشا ودحاها وسطحت انها سطح مستو والحكماء يثبتون كرويتها بالادلة الصحيحة فيتوهم الخلاف ويدفع بأن القدر المحسوس منها في كل بقعة سطح مستو فان الدائرة كلما عظمت قل انجذاب اجزائها فاستواؤها باعتبار محسوسية اجزائها وكرويتها باعتبار معقولية جملتها انتهى ثم لما ذكر تعالى دليل توحيده ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه وأمره بأن يذكرهم فقال (فذكر) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى فعظهم يا محمد وخوفهم ثم علل الامر بالتذكير فقال (انما أنت مذكر) أى ليس عليك الا ذلك و (لست عليهم بمصيطر) حتى تكرههم على الايمان ومصيطر بالصاد والسين المسلط على الشئ ليشرف عليه ويتعهد أحواله كذا في الصحاح قال ابن عباس أى بجبار وعنه قال ثم نسخ ذلك فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (الا من تولى وكفر) استثناء منقطع من الهاء في عليهم أى لكن من تولى عن الوعظ والتذكير (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو عذاب جهنم الدائم وقيل هو استثناء متصل من قوله فذكر أى فذكر كل أحد الا من انقطع طمعك عن ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر والاول أولى وانما قال الاكبر لانهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر وقرأ ابن مسعود فانه يعذبه الله وقرأ ابن عباس وقتادة ألا من تولى على أنها الا التي للتنبيه والاستفتاح (ان الينا ايابهم) أى رجوعهم بعد الموت بالبعث لا الى أحد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وفائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام قال ابن عباس أى مرجعهم يقال آب يؤب اذا رجع قرأ

الجمهور

ولامعناها والمنبر انما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارته والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا مسلم يعني ابن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال فعجب المسلمون من ذلك قال فأنزل الله عز وجل انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام بن مسلم عن المثنى بن الصباح عن مجاهد قال كان في بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي ففعل ذلك ألف شهر فأنزل الله هذه الآية ليلة القدر خير من ألف شهر قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس أخبرنا ابن وهب حدثني مسلمة بن علي عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أربعة من بني اسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل ابن العجوز ويوشع ابن نون قال فعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل فقال يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فقد أنزل الله خيرا من ذلك فقرأ عليه انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك قال فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه وقال سفيان الثوري بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال عملها صيامها وقيامها خير من ألف شهر رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر وهكذا قال قتادة بن دعامة والشافعي وغير واحد وقال عمرو بن قيس الملائي عمل فيها خير من عمل ألف شهر وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير وهو الصواب لا ما عداه وهو كقوله صلى الله عليه وسلم رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل رواه أحمد وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها الى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك وقال

الجمهور ايابهم بالتخفيف وقرئ بالتشديد قال أبو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز مثله في الصيام والقيام وقيل هما لغتان بمعنى قال الواحدي وأما ايابهم بتشديد الياء فانه شاذ لم يجزه أحد غير الزجاج (ثم ان علينا حسابهم) يعني جزاءهم بعد رجوعهم الينا بالبعث في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان لبعد منزلة الحساب في الشدة عن منزلة الاياب وعلى لتأكيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على الله شيء وجمع الضمير في ايابهم وحسابهم باعتبار معنى من كما أن افراده في يعذبه باعتبار لفظها وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى

(سورة الفجر هي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون)

وهي مكية بلا خلاف في قول الجمهور قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير وعائشة مثله ومدنية في قول علي بن أبي طلحة أخرج النسائي عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله جئت أصلي معه فطول علي فانصرفت فصليت في ناحية المسجد فعلفت ناضحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتان أنت يا معاذ اين أنت من سبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والفجر والليل اذا يغشى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) أقسم سبحانه بهذه الاشياء كما أقسم بغيرها من مخلوقاته واختلف في الفجر الذي أقسم الله به هنا فقيل هو الوقت المعروف وسمي فجرا لانه وقت انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قاله علي وابن الزبير وقال قتادة انه فجر أول يوم من شهر محرم لان منه تنفجر السنة وقال مجاهد يريد يوم النحر وقال الضحاك فجر ذي الحجة لان الله قرن الايام به فقال (وليال عشر) أي ليالي عشر من ذي الحجة وبه قال السدي والكلبي وقيل المعنى وصلاة الفجر أو ورب الفجر والاول أولى وقال ابن عباس فجر النهار وعنه قال يعني صلاة الفجر وعنه قال هو المحرم فجر السنة وقد ورد في فضل صوم شهر محرم أحاديث صحيحة ولكنها لا تدل على انه المراد بالآية لا مطابقة ولا تضمنا ولا التزاما وجواب هذا القسم وما بعده هو قوله ان ربك لبالمرصاد قاله ابن الانباري وقيل محذوف لدلالة السياق عليه أي ليجازين كل أحد

الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم ورواه النسائي من حديث أيوب به ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله تعالى تنزل الملائكة (٢٦٠) والروح فيها باذن ربهم من كل أمر أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له وأما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هم ضرب من الملائكة كما تقدم في سورة النبا والله أعلم وقوله تعالى من كل أمر قال مجاهد سلام هي من كل أمر وقال سعيد بن منصور حدثنا عيسى بن يونس حدثنا الاعمش عن مجاهد في قوله سلام هي قال هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوأ أو يعمل فيها أذى وقال قتادة وغيره تقضى فيها الامور وتقدر الآجال والارزاق كما قال تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقوله تعالى سلام هي حتى مطلع الفجر قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن أبي اسحق عن الشعبي في قوله تعالى من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر قال تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتى يطلع الفجر وروى ابن جرير عن ابن عباس انه كان يقرأ من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر وروى البيهقي في كتابه فضائل الاوقات عن علي أثرا غريبا في نزول الملائكة ومرورهم على المصلين ليلة القدر وحصول البركة للمصلين وروى ابن أبي حاتم عن كعب الاحبار أثرا غريبا عجيبا مطولا جدا في تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام الى الارض ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات وقال أبو داود الطيالسي حدثنا عمران يعني القطان عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر انها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين وان الملائكة تلك الليلة في الارض أكثر من عدد الحصى وقال الاعمش

هو

عاملا أولى عذبن وقدره أبو حيان عادات عليه خاتمة السورة التي قبله أي والفجر الخ لا يابهم الينا وحسابهم علينا وهذا ضعيف جدا وأضعف منه قول من قال ان الجواب قوله هل في ذلك قسم لذي حجر وان هل بمعنى قد لان هذا لا يصح أن يكون مقسما عليه ابدا وليال عشر هي عشر ذي الحجة في قول جمهور المفسرين وانما نكرت ولم تعرف لفضيلتها على غيرها لانها أفضل ليالي السنة ولو عرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير فنكرت من بين ما أقسم به للفضيلة التي ليست لغيرها وقال الضحاك انها العشر الاواخر من رمضان وقيل العشر الاول من المحرم الى عاشرها يوم عاشوراء قرأ الجمهور ليال بالتنوين وعشر صفة لها وقرأ ابن عباس بالاضافة قيل والمراد ليالي أيام عشر وكان حقه على هذا أن يقال عشرة لان المعدود مذكر وأجيب عنه بأنه اذا حذف المعدود جاز الوجهان وعن جابر مرفوعا هي ليالي العشر من ذي الحجة أخرجه أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم وعن طلحة بن عبد الله انه دخل على ابن عمر هو وأبو سلمة بن عبد الرحمن فدعاهم ابن عمر الى الغداء يوم عرفة فقال أبو سلمة أليس هذه الليالي العشر التي ذكرها الله تعالى في القرآن فقال ابن عمر وما يدريك قال ما أشك قال بلى فاشكك وقد ورد في فضل هذه العشر أحاديث وليس فيها ما يدل على انها المرادة بما في القرآن هنا بوجه من الوجوه قال ابن عباس هي العشر الاواخر من رمضان (والشفع والوتر) هما يعمان الاشياء كلها شفعها ووترها كالكفر والايمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس وقيل شفع الليالي ووترها وقال قتادة الشفع والوتر شفع الصلاة ووترها منها شفع ومنها وتر وقيل الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر وقال مجاهد وعطية العوفي الشفع الخلق والوتر الله الواحد الصمد وبه قال محمد بن سيرين ومسروق وأبو صالح وقتادة وقال الربيع بن أنس وأبو العالية هي صلاة المغرب فيها ركعتان والوتر الركعة وقال الضحاك الشفع عشر ذي الحجة والوتر أيام منى الثلاثة وبه قال عطاء وقيل هما آدم وحواء لان آدم كان وترا فشفع بحواء وقيل الشفع درجات الجنة وهي ثمان والوتر دركات النار وهي سبع وبه قال الحسين بن الفضل وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة وقال مقاتل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وقال سفيان بن عيينة الوتر

عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله من كل أمر سلام قال لا يحدث فيها أمر وقال قتادة وابن زيد في قوله سلام هي يعني هي خير كلها ليس فيها شر الى مطلع الفجر ويؤيد هذا المعنى ما رواه الامام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتهن فان الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمارة ليلة القدر انها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمى به حتى يصبح وان أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ وهذا اسناد حسن وفي المتن غرابة وفي بعض ألفاظه نكارة وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء وروى ابن أبي عاصم النبيل باسناده عن جابر ابن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني رأيت ليلة القدر فأنسيتها وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي ليلة طلقة بلجة لا حارة ولا باردة كأن فيها قمرا لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها

(فصل) اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر في الامم السالفة أو هي من خصائص هذه الامة على قولين قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري حدثنا مالك انه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر وقد أسند من وجه آخر وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الامة بليلة القدر وقد نقله صاحب العدة أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء فالله أعلم وحكى الخطابي عليه الاجماع والذي دل عليه الحديث انها كانت في الامم الماضين كما هي في أمتنا قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن سعيد عن عكرمة بن عمار حدثني أبو زميل سماك الحنفي حدثني مالك بن مرثد بن عبد الله حدثني مرثد قال سألت أبا ذر قلت كيف سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة

هو الله سبحانه وهو الشفع أيضا لقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الآية وقال الحسن المراد بالشفع والوتر العدد كله لان العدد لا يخلو عنهما وقيل الشفع مسجد مكة والمدينة والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع حج القران والوتر الافراد وقيل الشفع الحيوان لانه ذكر وأنثى والوتر الجماد وقيل الشفع ما سمى والوتر ما لم يسم ولا يخفاك ما في غالب هذه الاقوال من السقوط البين والضعف الظاهر والاتكال في التعيين على مجرد الرأي الزائف والخاطر الخاطئ والذي ينبغي التعويل عليه ويتعين المصير اليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب وهما معروفان واضحان فالشفع عند العرب الزوج والوتر الفرد فالمراد بالآية اما نفس العدد أو ما يصدق عليه من المعدودات بأنه شفع أو وتر واذا قام دليل على تعيين شيء من المعدودات في تفسير هذه الآية فان كان الدليل يدل على انه المراد نفسه دون غيره فذاك وان كان الدليل يدل على انه مما تناولته هذه الآية لم يكن ذلك مانعا من تناولها لغيره عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال هو الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وفي اسناده رجل مجهول وهو الراوي له عن عمران وقد روى عن عمران بن عصام عن عمران ابن حصين باسقاطه الرجل المجهول وقال الترمذي في الرواية الاولى غريب لا نعرفه الا من حديث قتادة قال ابن كثير وعندي أن وقفه على عمران أشبه والله تعالى أعلم قال ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الاقوال في الشفع والوتر وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير هذا الحديث موقوفا على عمران فهذا يقوي ما قاله ابن كثير وعن جابر مرفوعا أن العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر أخرجه أحمد والنسائي والبزار والحاكم وصححه وغيرهم وعن ابن عباس قال كل شيء شفع فهو اثنان والوتر واحد وعن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الشفع والوتر فقال يومان وليلة يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة النحر ليلة جمع أخرجه الطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث أخرجه ابن جرير وعن ابن الزبير قال الشفع قول الله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه والوتر اليوم الثالث وفي لفظ الوتر أوسط أيام التشريق وعن ابن عباس قال الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة قرأ الجمهور والوتر بفتح الواو وقرأ حمزة والكسائي وخلف بكسرها

القدر قال أنا كنت أسأل الناس عنها قلت يارسول الله أخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره قال بل هي في رمضان قلت تكون مع الانبياء ما كانوا فاذا قبضوا رفعت أم هي الى يوم القيامة قال بل هي الى يوم القيامة قلت في أي رمضان هي قال التمسوها في العشر الاول والعشر الاواخر ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث ثم اهتبلت غفلته قلت في أي العشرين هي قال ابتغوها في العشر الاواخر لاتسألني عن شئ بعدها ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اهتبلت غفلته فقلت يارسول الله أقسمت عليك بحقي عليك لما (٢٦٢) أخبرتني في أي العشر هي فغضب علي غضبا لم يغضب مثله منذ صحبته وقال التمسوها في السبع الاواخر لاتسألني عن شئ بعدها ورواه النسائي عن الفلاس عن يحيي بن سعيد القطان به ففيه دلالة على ماذكرناه وفيه انها تكون باقية الى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية على ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله عليه السلام فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم لان المراد رفع علم وقتها عينا وفيه دلالة على أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة وترتجى في جميع الشهور على السواء وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان حدثنا حميد بن زنجويه النسائي أخبرنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن أبي جعفر بن أبي كثير حدثني موسى بن عقبة عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وهذا اسناد رجاله ثقات الا ان أبا داود قال رواه شعبة وسفيان عن أبي اسحق فأوقفاه وقد حكي عن أبي حنيفة رحمه الله رواية انها ترتجى في كل شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالي واستغربه الرافعي جدا (فصل) ثم قد قيل انها تكون في أول ليلة من شهر رمضان يحكى هذا عن أبي رزين وقيل انها تقع ليلة سبع عشرة وروى فيه أبو داود حديثا مرفوعا عن ابن مسعود وروي موقوفا عليه وعلى زيد بن أرقم وعثمان بن أبي العاص وهو قول عن محمد بن ادريس الشافعي ويحكى عن الحسن البصري ووجهوه بانها ليلة بدر وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشر من شهر رمضان وفي

وهي قراءة ابن مسعود وأصحابه وهما لغتان والفتح لغة قريش وأهل الحجاز والكسر لغة تميم قال الاصمعي كل فرد وتر وأهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر في الفرد وحكى يونس عن ابن كثير انه قرأ بفتح الواو وكسر التاء فيحتمل أن يكون لغة ثالثة ويحتمل انه نقل كسرة الراء الى التاء اجراء للوصل مجرى الوقف (والليل اذا يسر) قرأ الجمهور يسر بحذف الياء وصلا ووقفا اتباعا لرسم المصحف وقرأ نافع وأبو عمرو بحذفها في الوقف واثباتها في الوصل وقرأ ابن كثير وابن محيصن ويعقوب باثباتها فيهما قال الخليل تسقط الياء منها موافقة لرؤس الآي قال الزجاج والحذف أحب الي لانها فاصلة والفواصل تحذف منها الياآت قال الفراء قد تحذف العرب الياء وتكتفي بكسر ماقبلها قال المؤرج سألت الاخفش عن العلة في اسقاط الياء من يسري فقال لا أجيبك حتى تبيت على باب داري سنة فبت على باب داره سنة فقال الليل لايسري وانما يسرى فيه فهو مصروف عن جهته وكل ماصرفته عن جهته بخسته من اعرابه ألا ترى الى قوله وما كانت أمك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفها عن باغية وفي كلام الاخفش هذا نظر فان صرف الشئ عن معناه بسبب من الاسباب لايستلزم صرف لفظه عن بعض مايستحقه ولو صح ذلك للزم في كل المجازات العقلية واللفظية واللازم باطل فالملزوم مثله والاصل ههنا اثبات الياء لانها لام الفعل المضارع المرفوع ولم تحذف لعلة من العلل الا لاتباع رسم المصحف وموافقة رؤس الآي اجراء للفواصل مجرى القوافي ومعنى والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ أدبر والليل اذا عسعس وقيل معنى يسر يسار فيه كما يقال الليل نائم ونهار صائم وبهذا قال الاخفش والقتيبي وغيرهما من اهل المعاني وعلى هذا نسبة السري الى الليل مجاز والمراد يسري فيه فهو مجاز في الاسناد باسناد ما للشئ للزمان كما يسند للمكان والظاهر انه مجاز مرسل أو استعارة وبالاول قال جمهور المفسرين وقال قتادة وأبو العالية والليل اذا يسر أي جاء وأقبل وقال النخعي أي استوى قال عكرمة وقتادة والكلبي ومحمد بن كعب هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله سبحانه وقيل ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب والراجح عدم تخصيص ليلة من الليالي دون أخرى قال ابن عباس اذا يسر اذا ذهب ويسر مأخوذ من السري وهو خاص بسير الليل يقال سريت الليل وسريت به وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيها لها بالاجسام

صبيحتها وقعة بدر وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه يوم الفرقان وقيل ليلة تسع عشرة يحكى عن علي وابن مسعود أيضا رضي الله عنهما وقيل ليلة احدى وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاول من رمضان واعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال ان الذي تطلب أمامك فاعتكف العشر الاوسط واعتكفنا معه فأتاه جبريل وقال الذي تطلب امامك ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا صبيحة عشرين من رمضان فقال من كان اعتكف معي فليرجع فاني رأيت ليلة القدر واني أنسيتها وانها في العشر الاواخر في وتر واني رأيت كأني أسجد في طين وماء وكان سقف المسجد جريدا من النخل وما نرى في السماء شيأ فجاءت قزعة فمطرنا فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديق رؤياه وفي لفظ في صبح احدى وعشرين أخرجاه في الصحيحين قال الشافعي وهذا الحديث أصح الروايات وقيل ليلة ثلاث وعشرين لحديث عبد الله بن أنيس في صحيح مسلم وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد فالله أعلم وقيل ليلة أربع وعشرين قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر ليلة أربع وعشرين اسناد رجاله ثقات وقال أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن الصنابحي عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة القدر ليلة أربع وعشرين ابن لهيعة ضعيف وقد خالفه ما رواه البخاري عن أصبغ عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي عبد الله الصنابحي قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها اول السبع من العشر الاواخر فهذا الموقوف أصح والله أعلم وهكذا روي عن ابن مسعود وابن عباس وجابر والحسن وقتادة وعبد الله بن وهب انها ليلة أربع وعشرين وقد تقدم في سورة البقرة حديث واثلة بن الاسقع مرفوعا ان القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين وقيل تكون ليلة خمس وعشرين لما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر من رمضان في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى فسره كثيرون بليالي الاوتار وهو أظهر وأشهر وحمله آخرون على الاشفاع كما رواه مسلم

بالاجسام مجازا واتساعا نحو طاف الخيال وذهب الهم وأخذه الكسل والنشاط وقول الفقهاء سرى الجرح الى النفس معناه دام ألمه حتى حدث منه الموت وقطع كفه فسرى الى ساعده أي تعدى أثر الجرح وسرى التحريم وسرى العتق بمعنى التعدية وهذه الالفاظ جارية على ألسنة الفقهاء وليس لها ذكر في الكتب المشهورة لكنها موافقة لما تقدم قال الفارابي سرى فيه السم والخمر ونحوهما وقال السرقسطي سرى عرق السوء من الانسان وقال ابن القطاع سرى عليه الهم أتاه ليلا وسرى همه ذهب (هل في ذلك قسم) هذا الاستفهام لتقرير تعظيم ما أقسم الله سبحانه به وتفخيمه من هذه الامور المذكورة والاشارة بقوله ذلك الى تلك الامور والتذكير بتأويل المذكور أي هل في ذلك المذكور من الامور التي أقسمنا بها قسم أي مقنع ومكتفى في القسم أو مقسم به حقيق بأن يؤكد به الاخبار وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والشرف (لذي حجر) أي عقل ولب فمن كان ذا عقل ولب علم ان ما أقسم الله به من هذه الاشياء حقيق بأن يقسم به ومثل هذا قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الحسن لذي حجر أي لذي حلم وقال أبو مالك لذي ستر من الناس وقال الجمهور الحجر العقل قال الفراء الكل يرجع الى معنى واحد لذي عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل وأصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر ومنه سمي الحجر لامتناعه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان أي منعه قال والعرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها قال ابن عباس لذي حجر لذي حجى وعقل ونهى ثم ذكر سبحانه على طريق الاستشهاد ما وقع من عذابه على بعض طوائف الكفار بسبب كفرهم وعنادهم وتكذيبهم للرسل تحذيرا للكفار في عصر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وتخويفا لهم أن يصيبهم ما أصابهم فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) أي ألم تعلم باخبار محمد علما يوازي العيان في الايقان وهو استفهام تقرير قرأ الجمهور بتنوين عاد على أن يكون قوله (ارم ذات العماد) عطف بيان لعاد والمراد بعاد اسم أبيهم وارم اسم القبيلة أو بدلا منه وامتناع صرف ارم للتعريف والتأنيث وقيل المراد بعاد اولاد عاد وهم عاد الاولى ويقال لمن بعدهم عاد الاخرى فيكون ذكر ارم على طريقة عطف البيان أو البدل للدلالة على انهم عاد الاولى لا عاد الاخرى ولا بد من تقدير مضاف على كلا القولين أي أهل ارم أو سبط ارم

عن أبي سعيد انه حمله على ذلك والله أعلم وقيل انها تكون ليلة سبع وعشرين لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ليلة سبع وعشرين قال الامام أحمد حدثنا سفيان سمعت عبدة وعاصما عن زر سألت أبي بن كعب قلت أبا المنذر ان أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر قال يرحمه الله لقد علم انها في شهر رمضان وانها ليلة سبع وعشرين ثم حلف قلت وكيف تعلمون ذلك قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها يعني الشمس وقدرواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والاوزاعي عن عبدة عن زر عن أبي فذكره وفيه فقال والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف ما يستثنى ووالله اني لأعلم أي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها هي ليلة سبع وعشرين وامارتها أن تطلع الشمس في صبيحتها بيضاء لا شعاع لها وفي الباب عن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ليلة سبع وعشرين وهو قول طائفة من السلف وهو الجادة من مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبي حنيفة أيضا وقد حكى عن بعض السلف انه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله هي لانها الكلمة السابعة والعشرون من السورة فالله أعلم وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا اسحق بن ابراهيم الديري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وعاصم انهما سمعا عكرمة يقول قال ابن عباس دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر فاجمعوا انها في العشر الأواخر قال ابن عباس فقلت لعمر اني لأعلم أواني لأظن أي ليلة القدر هي فقال عمر أي ليلة هي فقلت سابعة تمضى أو سابعة تبقى من العشر الاواخر فقال عمر من أين علمت ذلك قال ابن عباس فقلت خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وان الشهر يدور على سبع وخلق الانسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمى الجمار سبع لاشياء ذكرها فقال عمر لقد فطنت لامر ما فطناله وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله ويأكل من سبع قال هو قول الله تعالى فأنبتنا فيها حبا وعنبا الآية وهذا اسناد جيد قوي ومتن غريب جدا فالله أعلم وقيل انها تكون في ليلة تسع وعشرين قال الامام أحمد بن حنبل

فان ارم هو جد عاد لانه عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقرأ الحسن وأبو العالية باضافة عاد الى ارم وقرأ الجمهور ارم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم وقرئ (١) بفتح الهمزة والراء وقرأ معاذ بسكون الراء تخفيفا وقرئ باضافة ارم الى ذات العماد وقال مجاهد من قرأ بفتح الهمزة شبههم بالارم التي هي الأعلام واحدها ارم وفي الكلام تقديم وتأخير أي والفجر وكذا وكذا ان ربك لبالمرصاد ألم تر أي ألم ينته علمك الى ما فعل ربك بعاد وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له وقد كان أمر عاد وثمود مشهورا عند العرب لان ديارهم متصلة بديار العرب وكانوا يسمعون من أهل الكتاب أمر فرعون وقال مجاهد أيضا ارم أمة من الامم وقال قتادة هي قبيلة من عاد وقيل هما عادان فالاولى هي ارم قال معمر ارم اليه مجمع عاد وثمود وكان يقال عاد ارم وعاد ثمود وكانت القبيلتان تنسب الى ارم قال أبو عبيدة هما عادان فالاولى ارم ومعنى ذات العماد ذات القوة والشدة مأخوذ من قوة الاعمدة كذا قال الضحاك وقال قتادة ومجاهد انهم كانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج النبت رجعوا الى منازلهم وقال مقاتل ذات العماد يعني طولهم وكان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعا يقال رجل طويل العماد أي القامة قال أبو عبيدة ذات العماد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا وقال مجاهد وقتادة أيضا كان عماد القوم يقال فلان عميد القوم وعمودهم أي سيدهم وقال ابن زيد ذات العماد يعني احكام البنيان بالعمد قال في الصحاح والعماد الابنية الرفيعة تذكر وتؤنث وقال عكرمة وسعيد المقبري هي دمشق وعن مالك مثله وقال محمد بن كعب هي الاسكندرية قال ابن عباس يعني بالارم الهالك ألا ترى انك تقول ارم بنو فلان وذات العماد يعني طولهم مثل العماد وعن المقدام بن معد يكرب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر ارم ذات العماد فقال كان الرجل منهم يأتي الى الصخرة فيحملها على كاهله فيلقيها على أي حي أراد فيهلكهم أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه وفي اسناده رجل مجهول لان معاوية بن صالح رواه عمن حدثه عن المقدام (التي لم يخلق مثلها في البلاد) هذه صفة لعاد أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة أو صفة للقرية على قول من قال ان ارم اسم لقريتهم أو للارض التي كانوا فيها والاول أولى ويدل عليه قراءة أبي بن كعب التي لم يخلق مثلهم في البلاد وقيل الارم الهلاك قال الضحاك

---

(١) هذه قراءة الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك

حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الله عن عمر بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فالتمسوها في العشر الاواخر فانها في وتر احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود وهو أبو داود الطيالسي حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر انها في ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين (٢٦٥) وان الملائكة تلك الليلة في الارض أكثر من عدد الحصى تفرد به أحمد واسناده لا بأس به وقيل انها تكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث آنفا ولما رواه الترمذي والنسائي من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث أو آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر وقال الترمذي حسن صحيح وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها آخر ليلة (فصل) قال الشافعي في هذه الروايات صدرت من النبي صلى الله عليه وسلم جوابا للسائل اذ قيل له أنلتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية يقول نعم وانما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل نقله الترمذي عنه بمعناه وروي عن أبي قلابة انه قال ليلة القدر تنتقل في العشر الاواخر وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك والثوري وأحمد ابن حنبل واسحق بن راهويه وأبو ثور والمزني وأبو بكر بن خزيمة

وغيرهم وهو محكي عن الشافعي نقله القاضي عنه وهو الاشبه والله أعلم وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر ان رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الاواخر من رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الاواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر وفيهما ايضا عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان واللفظ للبخاري ويحتج للشافعي انها لا تنتقل وانها معينة من الشهر بما رواه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال

الضحاك أرم ذات العماد أي أهلكهم فجعلهم رميما وبه قال شهر بن حوشب وقد ذكر جماعة من المفسرين ان ارم ذات العماد اسم مدينة مبنية بالذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها وان حصباءها جواهر وترابها مسك وليس بها أنيس ولا فيها ساكن من بني آدم وانها لا تزال تنتقل من موضع الى موضع تارة تكون باليمن وتارة تكون بالشام وتارة تكون بالعراق وتارة تكون بسائر البلاد وهذا كذب بحت لا يخفى على من له أدنى تمييز وزاد الثعلبي في تفسيره فقال ان عبد الله بن قلابة في زمان معاوية دخل هذه المدينة وهذا كذب على كذب وافتراء على افتراء وقد أصيب الاسلام وأهله بداهية دهياء وفاقرة عظمى ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترئون على الكذب تارة على بني اسرائيل وتارة على الانبياء وتارة على الصالحين وتارة على رب العالمين وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها بل موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز فأدخلوا هذه الخرافات المختلقة والاقاصيص المنحولة والاساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه فحرفوا وغيروا وبدلوا ومن أراد ان يقف على بعض ما ذكرنا فلينظر في كتاب الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للشوكاني قال الحافظ بن كثير لا تغتر بما ذكره جماعة من المفسرين من ذكر مدينة يقال لها ارم ذات العماد فان ذلك كله من خرافات الاسرائيليين من وضع الزنادقة منهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس فهذا وامثاله مختلق لا حقيقة له وأما قوله تعالى فالمراد من الآية انما هو الاخبار عن هلاك القبيلة المسماة بعاد الذين ارسل الله فيهم هودا فكذبوه فأهلكهم الله وارم عطف بيان لعاد أو بدل منه للاعلام بانهم عاد الاولى فسموا باسم جدهم ارم كما يقال لبني هاشم هاشم لان عادا هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل ارم اسم بلدتهم وأرضهم فالتقدير بعاد أهل ارم كقوله تعالى واسأل القرية أي أهلها وذات العماد ان كان صفة للقبيلة فمعناها انهم أصحاب خيام لها أعمدة يظعنون بها أو هو كناية عن طول أجسامهم وتشبيهها بالاعمدة وان كان صفة للبلدة فمعناه انها ذات عمد من الحجارة وتعقب هذا القول بانه لو كان ذلك مرادا لقال التي لم يعمل مثلها في البلاد وانما قال لم يخلق فالقول الاول هو الصواب انتهى وبه قال شيخ الاسلام نجم الدين محمد الغيطي رحمه الله تعالى قال عبد الرحمن بن خلدون في كتاب العبر بعد ذكر اغلاط المؤرخين وأبعد

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة وجه الدلالة منه انها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لما حصل لهم العلم بعينها فى كل سنة اذ لو كانت تنتقل لما علموا تعيينها الا ذلك العام فقط اللهم الا أن يقال انه انما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط وقوله فتلاحى فلان وفلان فرفعت فيه استئناس لما يقال ان المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع وكما جاء فى الحديث ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه (٢٦٦) وقوله فرفعت أى رفع علم تعيينها لكم لا انها رفعت بالكلية من الوجود كما يقوله جهلة الشيعة لانه قد قال بعد هذا فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة وقوله وعسى أن يكون خيرا لكم يعنى عدم تعيينها لكم فانها اذا كانت مبهمة اجتهد طلابها فى ابتغائها فى جميع محال رجائها فكان أكثر للعبادة بخلاف ما اذا علموا عينها فانها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط وانما اقتضت الحكمة ابهامها لتعم العبادة جميع الشهر فى ابتغائها ويكون الاجتهاد فى العشر الاخير أكثر ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده أخرجاه من حديث عائشة ولهما عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر أحيى الليل وأيقظ أهله وشد المئزر أخرجاه ولمسلم عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر ما لا يجتهد فى غيرها وهذا معنى قولها وشد المئزر وقيل المراد بذلك اعتزال النساء ويحتمل أن يكون كناية عن الامرين لما رواه الامام أحمد حدثنا سريج حدثنا أبو معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بقى عشر من رمضان شد مئزره واعتزل نساءه انفرد به أحمد وقد حكى عن مالك رحمه الله ان جميع ليالى العشر فى تطلب ليلة القدر على السواء لا يترجح منها ليلة على أخرى رأيته فى شرح الرافعى رحمه الله والمستحب الاكثار من الدعاء فى جميع الاوقات وفى شهر رمضان أكثر وفى العشر الاخير منه ثم فى أوتاره أكثر والمستحب ان يكثر من هذا الدعاء اللهم انك عفو تحب العفو فاعف

من ذلك وأعرق فى الوهم ما ينقله المفسرون فى تفسير سورة والفجر فى قوله تعالى ارم ذات العماد فيجعلون لفظة ارم اسما لمدينة وصفت بانها ذات عماد أى أساطين وهى كذا وكذا ذكر ذلك الطبرى والثعالبى والزمخشرى وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله ابن قلابة من الصحابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها الخ وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ فى شئ من بقاع الارض وصحارى عدن التى زعموا انها بنيت فيها هى فى وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء تقص طرقه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فيما درس من الآثار لكان أشبه الا ان ظاهر كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهى الهذيان ببعضهم الى انها غائبة وانما يعثر عليها أهل الرياضة والسحر مزاعم كلها أشبه بالخرافات والذى حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب فى لفظة ذات العماد انها صفة ارم وحملوا العماد على الاساطين فتعين أن يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التى هى أشبه بالاقاصيص الموضوعة التى هى أقرب الى الكذب المنقولة فى عداد المضحكات والا فالعماد هى عماد الاخبية بل الخيام وان أريد بها الاساطين فلا بدع وصفهم بانهم أهل بناء وأساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم لا انه بناء خاص فى مدينة معينة كما تقول قريش كنانة والياس مضر وربيعة نزار وأى ضرورة الى هذا المحمل البعيد الذى تمحل لتوجيهه لامثال هذه الحكايات الواهية التى ينزه كتاب الله تعالى عن مثلها لبعدها عن الصحة انتهى كلامه ثم عطف سبحانه القبيلة الآخرة وهى ثمود على قبيلة عاد فقال (وثمود) هم قوم صالح سموا باسم جدهم ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح قرأ الجمهور ثمود بمنع الصرف على انه اسم للقبيلة ففيه التأنيث والتعريف وقرأ يحيى بن وثاب بالصرف على انه اسم لابيهم (الذين جابوا الصخر) أى قطعوه وقال ابن عباس خرقوه والجوب القطع ومنه جاب البلاد اذا قطعها ومنه سمى جيب القميص لانه جيب أى قطع قال المفسرون أول من نحت الجبال والصخور ثمود فبنوا من المدائن ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ومنه قوله سبحانه وتنحتون من الجبال بيوتا آمنين وكانوا ينحتون الجبال وينقبونها ويجعلون تلك الانقاب بيوتا يسكنون فيها وقوله (بالواد) متعلق بجابوا

عني لما رواه الامام أحمد حدثنا يزيد هو ابن هرون حدثنا الجريري وهو سعيد بن اياس عن عبد الله بن بريدة ان عائشة قالت يارسول الله ان وافقت ليلة القدر فما أدعو قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن عائشة قالت قلت يارسول الله أرأيت ان علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني وهذا لفظ الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال هذا صحيح على شرط الشيخين ورواه النسائي أيضا من طريق (٢٦٧) سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن عائشة قلت يا رسول الله أرأيت ان وافقت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني (ذكر أثر غريب ونبأ عجيب يتعلق بليلة القدر) رواه الامام أبو محمد بن أبي حاتم عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا سيار بن أبي حاتم حدثنا موسى بن سعيد يعني الراسبي عن هلال بن أبي جبلة عن أبي عبد السلام عن أبيه عن كعب انه قال ان سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلي الجنة فهي على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة علوها في الجنة وعروقها واغصانها من تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل على اغصانها في كل موضع شعرة منها ملك ومقام جبريل عليه السلام في وسطها فينادي الله جبريل ان ينزل في كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون السدرة المنتهى وليس فيهم ملك الا قد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين فينزلون على جبريل في ليلة القدر حين تغرب الشمس فلا تبقى بقعة في ليلة القدر الا وعليها ملك اما ساجد واما قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات الا أن تكون كنيسة أو بيعة أو بيت نار او وثن أو بعض اماكنكم التي تطرحون فيها الخبث أو بيت فيه سكران أو بيت فيه مسكر أو بيت فيه وثن منصوب أو بيت فيه جرس معلق أو مبولة او مكان فيه كساحة البيت فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع أحدا من المؤمنين الا صافحه وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصافحة جبريل وذكر كعب ان من قال في ليلة القدر لا اله الا الله ثلاث مرات غفر الله له بواحدة ونجاه من النار

أو بمحذوف على انه حال من الصخر وهو وادي القرى وهو موضع بقرب المدينة من جهة الشام وقيل الوادي بين جبال وكانوا ينقبون في تلك الجبال بيوتا ودورا وأحواضا وكل منفرج بين جبال أو تلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد وقرأ الجمهور بالواد بحذف الياء وصلا ووقفا اتباعا لرسم المصحف وقرأ ابن كثير باثباتها فيهما وقرئ باثباتها في الوصل دون الوقف (وفرعون ذي الاوتاد) أي ذي الجنود الذين لهم خيام كثيرة يشدونها بالاوتاد أو جعل الجنود والجيوش والجموع أنفسهم أوتادا لانهم يشدون الملك كما تشد الاوتاد الخيام وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها ويشدهم اليها والوتد بكسر التاء في لغة الحجاز وهي الفصحى وجمعه أوتاد وفتح التاء لغة وأهل نجد يسكنون التاء فيدغمون بعد القلب فيبقى ود كذا في المصباح وقد تقدم بيان هذا في سورة ص قال ابن عباس الاوتاد الجنود الذين يشدون له أمره وقال ابن مسعود وتد فرعون لامرأته أربعة أوتادا ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت (الذين طغوا في البلاد) الموصول صفة لعاد وثمود وفرعون أي طغت كل طائفة منهم في بلادهم وتمردت وعتت والطغيان مجاوزة الحد ويجوز أن يكون الموصول في محل رفع على انه خبر مبتدا محذوف أي هم الذين طغوا أو في محل نصب على الذم (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر ومعاصي الله والجور على عباده (فصب) أي أفرغ (عليهم ربك) وألقى على تلك الطوائف (سوط عذاب) وهو ما عذبهم به قال الزجاج جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب يقال صب على فلان خلعة أي ألقاها عليه ومعنى سوط عذاب نصيب عذاب أو نوع من العذاب فاهلكت عاد بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق فكلا أخذنا بذنبه وذكر السوط اشارة الى ان ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم هو بالنسبة الى ما أعده لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وقيل ذكر السوط للدلالة على شدة ما نزل بهم وكان السوط عندهم هو نهاية ما يعذب به قال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى لكل عذاب اذ كان فيه عندهم غاية العذاب وقيل معناه عذاب يخالط اللحم والدم من قولهم ساطه يسوطه سوطا أي خلطه فالسوط خلط الشئ بعضه ببعض والاولى انه مجاز واستعارة عن ايقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه وأكملها اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام أي عذبوا عذابا مؤلما

بواحدة وأدخله الجنة بواحدة فقلت لكعب الاحبار يا أبا اسحق صادقا فقال كعب وهل يقول لا اله الا الله فى ليلة القدر الا كل صادق والذى نفسى بيده ان ليلة القدر تثقل على الكافر والمنافق حتى كأنها على ظهره جبل فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر فاول من يصعد جبريل حتى يكون فى وجه الافق الاعلى من الشمس فيبسط جناحيه وله جناحان أخضران لا ينشرهما الا فى تلك الساعة فتصير الشمس لا شعاع لها ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد فيجتمع نور الملائكة ونور جناحى جبريل فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة فيقيم جبريل ومن معه بين الارض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك فى دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ولمن صام رمضان احتسابا ودعاء لمن حدث نفسه ان عاش الى قابل صام رمضان لله فاذا أمسوا دخلوا الى السماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فتجتمع اليهم ملائكة سماء الدنيا فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة فيحدثونهم حتى يقولوا ما فعل فلان وكيف وجدتموه العام فيقولون وجدنا فلانا عام أول فى هذه الليلة متعبدا ووجدناه العام مبتدعا ووجدنا فلانا مبتدعا ووجدناه العام عابدا قال فيكفون عن الاستغفار لذلك ويقبلون على الاستغفار لهذا ويقولون وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ووجدنا فلانا راكعا وفلانا ساجدا ووجدناه تاليا لكتاب الله قال فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدون الى السماء الثانية ففى كل سماء يوم وليلة حتى ينتهوا مكانهم من السدرة المنتهى فتقول لهم سدرة المنتهى يا سكانى حدثونى عن الناس وسموهم لى فان لى عليكم حقا وانى أحب من أحب الله فذكر كعب الاحبار انهم يعدون لها ويحكون لها الرجل والمرأة باسمائهم وأسماء آبائهم ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول أخبرينى بما أخبرك سكانك من الملائكة فتخبرها قال فتقول الجنة رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة اللهم عجلهم الى فيبلغ جبريل مكانه قبلهم فيلهمه الله فيقول وجدت فلانا ساجدا فاغفر له فيغفر له فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ومغفرته لفلان ويقول يارب وجدت عبدك فلانا الذى وجدته عام أول على السنة والعبادة ووجدته العام قد أحدث حدثا وتولى عما أمر به فيقول الله يا جبريل ان تاب فأعتبنى قبل ان يموت بثلاث ساعات غفرت له فيقول جبريل لك الحمد الهى أنت أرحم

دائما وقوله (ان ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله ايذانا بان كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقد قدمنا قول من قال ان هذا جواب القسم وبه قال ابن مسعود والاولى ان الجواب محذوف والمعنى انه يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه عليه بالخير خيرا وبالشر شرا ففيه استعارة تمثيلية قال الحسن وعكرمة أى عليه طريق العباد لا يفوته أحد والرصد والمرصاد الطريق وقد تقدم بيانه فى سورة براءة وقد تقدم أيضا عند قوله ان جهنم كانت مرصادا وقال ابن عباس بالمرصاد أى يسمع ويرى وقال ابن مسعود فى الآية من وراء الصراط جسور جسر عليه الامانة وجسر عليه الرحم وجسر عليه الرب عز وجل ولما ذكر سبحانه انه بالمرصاد ذكر ما يدل على اختلاف أحوال عباده عند اصابة الخير وعند اصابة الشر وان مطمح انظارهم ومعظم مقاصدهم هو الدنيا فقال (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه) أى اختبره وامتحنه بالنعم (فأكرمه ونعمه) أى أكرمه بالمال ووسع عليه رزقه (فيقول ربى أكرمن) فرحا بما نال وسرورا بما أعطى غير شاكر لله على ذلك ولا خاطر بباله ان ذلك امتحان له من ربه واختبار لحاله وكشف لما يشتمل عليه من الصبر والجزع والشكر للنعمة وكفرانها وأما هنا لمجرد التأكيد لا لتفصيل المجمل مع التأكيد وما فى اذا ما زائدة وقوله فأكرمه ونعمه تفسير للابتلاء ومعنى أكرمن أى فضلنى بما أعطانى من المال وأسبغه على من النعم لمزيد استحقاقى لذلك وكونى موضعا له ودخلت الفاء فيه لتضمن أما معنى الشرط أى فأما الانسان فيقول ربى أكرمن وقت ابتلائه بالانعام قال الكلبى الانسان هنا هو الكافر أبى بن خلف وقال مقاتل نزلت فى أمية بن خلف وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وأبى حذيفة بن المغيرة (وأما اذا ما ابتلاه) أى اختبره وعامله معاملة من يختبره (فقدر عليه رزقه) أى ضيقه ولم يوسعه له ولا بسط له فيه (فيقول ربى أهانن) أى أولانى هوانا وهذه صفة الكافر الذى لا يؤمن بالبعث لانه لا كرامة عنده الا الدنيا والتوسع فى متاعها ولا اهانة عنده الا فوتها وعدم وصوله الى ما يريد من زينتها فأما المؤمن فالكرامة عنده ان يكرمه الله بطاعته ويوفقه لعمل الآخرة ويحتمل أن يراد الانسان على العموم لعدم تيقظه أن ما صار اليه من الخير وما أصيب به من الشر فى الدنيا ليس الا للاختبار والامتحان وان الدنيا بأسرها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ولو كانت

تعدل

من جميع خلقك وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم قال فيرتج العرش وما حوله والحجب والسموات ومن فيهن تقول الحمد لله الرحيم الحمد لله الرحيم قال وذكر كعب انه من صام رمضان وهو يحدث نفسه اذا أفطر رمضان ان لا يعصى الله دخل الجنة بغير مسئلة ولا حساب آخر تفسير سورة ليلة القدر ولله الحمد والمنة *

(تفسير سورة لم يكن وهي مدنية) *

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا علي هو ابن زيد عن عمار بن أبي عمار قال سمعت أبا حبة البدري وهو مالك بن عمرو بن ثابت الانصاري قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب الى آخرها قال (٢٦٩) جبريل يارسول الله ان ربك يأمرك ان تقرئها أبيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ان جبريل أمرني ان اقرئك هذه السورة قال أبي وقد ذكرت ثم يارسول الله قال نعم قال فبكى أبي حديث آخر وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب ان الله أمرني ان أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني لك قال نعم فبكى ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا أسلم المنقري عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أمرت ان أقرأ عليك سورة كذا وكذا قلت يارسول الله وقد ذكرت هنالك قال نعم فقلت له يا أبا المنذر ففرحت بذلك قال وما يمنعني والله يقول قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال مؤمل قلت لسفيان القراءة في الحديث قال نعم تفرد به من هذا الوجه طريق أخرى قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا حدثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ان الله أمرني ان أقرأ عليك القرآن قال فقرأ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب قال فقرأ فيها ولو ان ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وان ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح طريق

تعدل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء قرئ باثبات الياء في أكرمن وأهانن وصلا وحذفها وقفا وقرئ باثباتها فيهما وقرئ بحذفها في الوصل والوقف اتباعا لرسم المصحف وموافقة لرؤس الآي والأصل اثباتها لأنها اسم وقرأ الجمهور فقدر بالتخفيف وقرئ بالتشديد وهما لغتان وقرئ ربي بفتح الياء في الموضعين وبسكونها فيهما وقوله (كلا) ردع للانسان القائل في الحالتين ما قال وزجر له فان الله سبحانه قد يوسع الرزق ويبسط النعم للانسان لا لكرامته ويضيقه عليه لا لاهانته بل للاختبار والامتحان كما تقدم ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة قال الفراء كلا في هذا الموضع بمعنى انه لم يكن ينبغي للعبد ان يكون هكذا ولكن يحمد الله على الغنى والفقر ثم انتقل سبحانه من بيان سوء أقوال الانسان الى بيان سوء أفعاله فقال (بل لا تكرمون اليتيم) والالتفات الى الخطاب لقصد التوبيخ والتقريع على قراءة الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية على الخبر وهكذا اختلفوا فيما بعد هذا من الافعال فقرأ الجمهور تحضون وتأكلون وتحبون بالفوقية على الخطاب فيها وقرئ بالتحتية فيها والجمع في هذه الافعال باعتبار معنى الانسان لان المراد به الجنس أي بل لكم افعال هي أقبح مما ذكر وهي انكم تتركون اكرام اليتيم فتأكلون ماله وتمنعونه من فضل أموالكم قال مقاتل نزلت في قدامة بن مظعون وكان يتيما في حجر أمية ابن خلف (ولا تحاضون على طعام المسكين) قرأ الجمهور تحضون من حضه على كذا أي أغراه به ومفعوله محذوف أي لا تحضون أنفسكم أو لا يحض بعضكم بعضا على ذلك ولا يأمر به ولا يرشد اليه وقرئ تحاضون وأصله تتحاضون أي لا يحض بعضكم بعضا وقرئ تحاضون بضم التاء من الحض وهو الحث والطعام اما اسم مصدر أي على اطعام المسكين أو اسم للمطعوم على حذف مضاف أي على بذل أو على اعطاء طعام المسكين (وتأكلون التراث) أصله الوراث فأبدلت التاء من الواو المضمومة كما في تجاه ووجاه والمراد به أموال اليتامى الذين يرثونه من قراباتهم وكذلك أموال النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أموالهم (أكلا لما) أي أكلا شديدا وقيل معنى لما جمعا من قولهم لممت الطعام اذا أكلته جميعا قال الحسن يأكل نصيبه ونصيب اليتيم وكذا قال أبو عبيدة وأصل اللم في كلام العرب الجمع يقال لممت الشئ ألمه لما جمعته ومنه قولهم لم الله شعثه أي جمع ما تفرق من أموره قال الليث اللم الجمع الشديد ومنه حجر ملموم وكتيبة

أخرى قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن خليد الحلبي حدثنا محمد بن عيسى الطباع حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر اني أمرت ان أعرض عليك القرآن قال بالله آمنت وعلى يدك أسلمت ومنك تعلمت قال فرد النبي صلى الله عليه وسلم القول قال فقال يارسول الله وذكرت هناك قال نعم باسمك ونسبك في الملا الاعلى قال فاقرأ اذا يارسول الله قال هذا غريب من هذا الوجه والثابت ما تقدم وانما قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة تثبيتا له وزيادة لايمانه فانه كما رواه أحمد والنسائي من طريق أنس وعنه رواه أحمد وأبو داود من حديث سليمان بن صرد عنه ورواه أحمد عن عفان عن حماد عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عنه ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث اسمعيل ابن ابي خالد عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عنه كان قد انكر على انسان وهو عبد الله بن مسعود قراءة شيء من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأهما وقال لكل منهما اصبت قال أبي فاخذني من الشك ولا اذ كنت في الجاهلية فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره قال أبي ففضت عرقا وكأنما أنظر الى الله فرقا واخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل أتاه فقال ان الله يأمرك ان تقرئ أمتك القرآن على حرف فقلت أسأل الله معافاته ومغفرته فقال على حرفين فلم يزل حتى قال ان الله يأمرك ان تقرئ أمتك القرآن على سبعة احرف كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه ولفظه في أول التفسير فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة قرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة ابلاغ وتثبيت وانذار لاقراءة تعلم واستذكار والله أعلم وهذا كما ان عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية عن تلك الاسئلة وكان فيما قال أولم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى أفأخبرتك انك تأتيه عامك هذا قال لا قال فانك آتيه ومطوف به فلما رجعوا من الحديبية وأنزل على النبي صلى الله عليه وسلم سورة الفتح دعا عمر بن الخطاب فقرأها عليه وفيها قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين

ملومة والا كل يلم الثريد فيجمعه ثم يأكله وقال مجاهد يسفه سفا وقال ابن زيد هو اذا أكل ماله ألم بمال غيره فأكله ولا يفكر فيما أكل من خبيث وطيب قال ابن عباس لما سفا وعنه قال شديدا وكان حكم الارث عندهم من بقايا شريعة اسمعيل أو مما هو معلوم لهم وثابت عندهم بطريق عادتهم فلا يقال السورة مكية وآية المواريث مدنية ولا يعلم الحل والحرمة الامن الشرع (وتحبون المال حبا جما) أي حبا كثيرا والجم الكثير يقال جم الماء في الحوض اذا كثر واجتمع والجمة المكان الذي يجتمع فيه الماء وقال ابن عباس جما شديدا ثم كرر سبحانه الردع لهم والزجر فقال (كلا) أي ماهكذا ينبغي أن يكون عملكم ثم استأنف سبحانه فقال (اذا دكت الارض دكا دكا) وفيه وعيد لهم بعد الردع والزجر والدك الكسر والدق والمعنى هنا انها زلزلت وحركت تحريكا بعد تحريك قال ابن قتيبة دكت جبالها حتى استوت قال الزجاج أي تزلزلت فدك بعضها بعضا قال المبرد أي بسطت وذهب ارتفاعها قال والدك حط المرتفع بالبسط وقد تقدم الكلام على الدك في سورة الاعراف وفي سورة الحاقة والمعنى انها دكت مرة بعد أخرى ونصب دكا الاول على انه مصدر مؤكد للفعل ودكا الثاني تأكيد للاول كذا قال ابن عصفور ويجوز أن يكون النصب على الحال والمعنى حال كونها مدكوكة مرة بعد مرة كما يقال علمته الحساب بابا بابا وعلمته الخط حرفا حرفا والمعنى انه كرر الدك عليها حتى صارت هباء منبثا قال ابن عباس يعني تحريكها (وجاء ربك) أي جاء أمره وقضاؤه وظهرت آياته وقيل المعنى انها زالت الشبه في ذلك اليوم وظهرت المعارف وصارت ضرورية كما يزول الشك عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه وقيل جاء قهر ربك وسلطانه وانفراده بالامر والتدبير من دون ان يجعل الى أحد من عباده شيئا من ذلك وقيل تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه وقيل جاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل غير ذلك والحق ان هذه الآية من آيات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة سلف الامة وأئمتها وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها بل أجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها والتأويل دين المتكلمين ودين المتأخرين وهو خلاف ما عليه جمهور السلف الصالحين وقوله (والملك صفا صفا) منتصب على الحال أي مصطفين أو ذوي صفوف قال عطاء يريد صفوف الملائكة وأهل

الآية كما تقدم وروى الحافظ أبو نعيم في كتابه أسماء الصحابة من طريق محمد بن اسمعيل الجعفري المدني حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم عن ابن شهاب عن اسمعيل بن أبي حكيم المزني حدثني فضيل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدي فوعزتي لأمكنن لك في الجنة حتى ترضى حديث غريب جدا وقد رواه الحافظ أبو موسى المديني وابن الاثير من طريق الزهري عن اسمعيل بن أبي حكيم عن مطر المزني أو المدني عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يسمع قراءة لم يكن الذين كفروا ويقول أبشر عبدي فوعزتي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكنن لك في الجنة حتى ترضى

*(بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى والمشركون عبدة الاوثان والنيران من العرب ومن العجم وقال مجاهد لم يكونوا منفكين يعني منتهين حتى يتبين لهم الحق وهكذا قال قتادة حتى تأتيهم البينة أي هذا القرآن ولهذا قال تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ثم فسر البينة بقوله رسول من الله يتلو صحفا مطهرة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتتب في الملا الاعلى في صحف مطهرة كقوله في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة وقوله تعالى فيها كتب قيمة قال ابن جرير أي في الصحف المطهرة كتب من كتب الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لانها من عند الله عز وجل قال قتادة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة يذكر القرآن بأحسن الذكر ويثني عليه بأحسن الثناء وقال ابن زيد فيها كتب قيمة مستقيمة معتدلة وقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الامم قبلنا بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافا كثيرا كما جاء في الحديث المروي من طرق ان اليهود اختلفوا على احدى وسبعين فرقة وان النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق

كل سماء صف على حدة قال الضحاك أهل كل سماء اذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفا محيطين بالارض ومن فيها فيكونون سبعة صفوف (وجيء يومئذ) منصوب بجيء والقائم مقام الفاعل قوله (بجهنم) وجوز مكي أن يكون يومئذ هو القائم مقام الفاعل وليس بذاك قال الواحدي قال جماعة المفسرين يجاء بها يوم القيامة مزمومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا لركبتيه يقول يارب نفسي نفسي وهذا الذي نقله عن جماعة المفسرين قد أتى مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد أخرج مسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وعلى هذا فالآية مجراة على ظاهرها وقيل المعنى انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين والاول أولى (يومئذ) بدل من يومئذ الذي قبله أي يوم جيء بجهنم (يتذكر الانسان) أي يتعظ ويذكر ما فرط منه ويندم على ما قدمه في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ان قوله يومئذ الثاني بدل من قوله اذا دكت والعامل فيهما هو قوله يتذكر الانسان (وأنى له الذكرى) أي ومن أين له التذكرة والاتعاظ وقيل هو على حذف مضاف أي ومن أين له منفعة الذكرى قال الزجاج يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول ياليتني قدمت لحياتي) بدل اشتمال من يتذكر أو مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يقول الانسان فقيل يقول الخ والمعنى انه يتمنى انه قدم الخير والعمل الصالح لاجل حياته والمراد حياة الآخرة فانها الحياة بالحقيقة لانها دائمة غير منقطعة وقيل ان اللام بمعنى في والمراد حياة الدنيا أي ياليتني قدمت الاعمال الصالحة في وقت حياتي في الدنيا أنتفع بها يوم القيامة والاول أولى قال الحسن علم والله انه صادف حياة طويلة لا موت فيها (فيومئذ) أي يوم يكون زمان ماذكر من الاحوال (لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) أي لا يعذب كعذاب الله أحد ولا يوثق كوثاقه ولا يتولى عذاب الله ووثاقه أحد سواه اذ الامر كله له والضميران في عذابه ووثاقه لله عز وجل وهذا على قراءة الجمهور يعذب ويوثق مبنيين للفاعل وقرئ على البناء للمفعول فيهما فيكون الضميران راجعين الى الانسان أي لا يعذب كعذاب ذلك

هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة قالوا من هم يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى وقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين كقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون ولهذا قال حنفاء أى متحنفين عن الشرك الى التوحيد كقوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقد تقدم تقرير الحنيف فى سورة الانعام بما أغنى عن اعادته ههنا ويقيموا الصلاة وهى أشرف عبادات البدن ويؤتوا الزكاة وهى الاحسان الى الفقراء والمحاويج وذلك دين القيمة أى الملة القائمة العادلة أو الامة المستقيمة المعتدلة وقد استدل كثير من الائمة كالزهرى والشافعى بهذه الآية الكريمة على ان الاعمال داخلة فى الايمان ولهذا قال وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) يخبر تعالى عن مآل الفجار من كفرة اهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة انهم يوم القيامة فى نار جهنم خالدين فيها أى ماكثين لا يحولون عنها ولا يزولون أولئك هم شر البرية اى شر الخليقة التى برأها الله وذرأها ثم اخبر تعالى عن حال الابرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية وقد استدل بهذه الآية ابو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله أولئك هم خير البرية ثم قال تعالى جزاؤهم عند ربهم أى يوم القيامة جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا اى بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ رضى الله عنهم ورضوا عنه ومقام رضاه عنهم اعلى مما أوتوه من النعيم المقيم ورضوا عنه فيما منحهم من الفضل العميم وقوله تعالى ذلك لمن خشى ربه اى هذا الجزاء حاصل لمن خشى الله واتقاه حق تقواه وعبده كأنه يراه وعلم انه ان لم يره فانه يراه وقال الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا ابو معشر عن ابى وهب مولى ابى هريرة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بخير البرية قالوا بلى يارسول الله قال رجل اخذ بعنان فرسه فى سبيل الله

الانسان أحد ولا يوثق كوثاقه أحد والمراد بالانسان الكافر أى لا يعذب من ليس بكافر كعذاب الكافر وقيل ابليس وقيل المراد به أبى بن خلف قال الفراء المعنى انه لا يعذب كعذاب هذا الكافر المعين أحد ولا يوثق بالسلاسل والاغلال كوثاقه أحد لتناهيه فى الكفر والعناد وقيل المعنى انه لا يعذب مكانه أحد ولا يوثق مكانه أحد فلا تؤخذ منه فدية وهو كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى التوثيق واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة المبنى للمفعول وقالا تكون الهاء فى الموضعين ضمير الكافر لانه معروف انه لا يعذب كعذاب الله أحد وقال أبو على الفارسى يجوز أن يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة أى لا يعذب أحد أحدا مثل تعذيب هذا الكافر ولما فرغ سبحانه من حكاية أحوال الاشقياء ذكر بعض أحوال السعداء فقال (يا أيتها النفس المطمئنة) والقائل هو الله سبحانه اكراما للمؤمن كما كلم موسى أو الملك وانما يقال لها ذلك عند الموت أو البعث أو عند دخول الجنة والنفس المطمئنة هى الساكنة الموقنة بالايمان وتوحيد الله الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالطها شك ولا يعتريها ريب قال الحسن هى المؤمنة الموقنة وقال مجاهد الراضية بقضاء الله التى علمت ان ما أخطأها لم يكن ليصيبها وان ما أصابها لم يكن ليخطئها وقال مقاتل هى الآمنة المطمئنة وقال ابن كيسان المطمئنة بذكر الله تعالى وقيل المخلصة قال ابن زيد المطمئنة لانها بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث وقال ابن عباس المطمئنة المؤمنة (ارجعى الى ربك راضية) بالثواب الذى أعطاك (مرضية) عنده والمعنى ارجعى الى الله وقيل الى موعده وقيل الى أمره وقال عكرمة وعطاء الى جسدك الذى كنت فيه واختاره ابن جرير ويدل على هذا قراءة ابن عباس فادخلى فى عبدى بالافراد والاول أولى قال القفال هذا وان كان أمرا فى الظاهر فهو خبر فى المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت فى القيامة الى الله بسبب هذا الامر قال ابن عباس نزلت هذه الآية وأبو بكر جالس فقال يارسول الله ما أحسن هذا فقال أما انه سيقال لك هذا أخرجه ابن أبى حاتم وابن مردويه والضياء فى المختارة وعن سعيد بن جبير نحوه مرسلا وعن أبى بكر الصديق نحوه وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله يا أيتها النفس المطمئنة قال هو النبى صلى الله عليه وسلم وعنه قال المطمئنة المصدقة وعنه قال ترد الارواح يوم القيامة

فى

فلما كانت هيئة استوى عليه الا اخبركم بخير البرية قالوا بلى يارسول الله قال رجل في ثلة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة الا اخبركم بشر البرية قالوا بلى قال الذى يسأل بالله ولا يعطى به آخر تفسير سورة لم يكن ولله الحمد والمنة (تفسير سورة اذا زلزلت وهي مكية)

وقال الترمذى حدثنا محمد بن موسى الجويني البصرى حدثنا الحسن بن مسلم العجلى حدثنا ثابت قال الامام احمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا سعيد حدثنا عياش بن عباس عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني يارسول الله قال له اقرأ ثلاثا من ذوات الر فقال (٢٧٣) له الرجل كبر سني واشتد قلبي وغلظ لساني قال فاقرأ من ذوات حم فقال مثل مقالته الاولى فقال اقرأ ثلاثا من المسبحات فقال مثل مقالته فقال الرجل ولكن أقرئني يارسول الله سورة جامعة فأقرأه اذا زلزلت الارض زلزالها حتى اذا فرغ منها قال الرجل والذى بعثك بالحق نبيا لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرويجل أفلح الرويجل ثم قال على به فجاءه فقال له أمرت بيوم الاضحى جعله الله عيدا لهذه الامة فقال له الرجل أرأيت ان لم أجد الا منيحة أنثى فأضحى بها قال لا ولكنك تأخذ من شعرك وتقلم اظفارك وتقص شاربك وتحلق عانتك فذاك تمام أضحيتك عند الله عز وجل وأخرجه أبو داود والنسائى من حديث أبي عبد الرحمن المقرى به وقال الترمذى حدثنا محمد بن موسى الجويني البصرى حدثنا الحسن ابن مسلم بن صالح العجلى حدثنا ثابت البناني عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ثم

قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث الحسن بن مسلم وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الجويني عن الحسن بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن واذا زلزلت تعدل ربع القرآن هذا لفظه وقال الترمذى أيضا حدثنا علي بن حجر حدثنا يزيد بن هرون حدثنا يمان بن المغيرة العنزى حدثنا عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث يمان بن المغيرة وقال أيضا حدثنا عقبة بن مكرم العمى البصرى حدثني ابن أبي فديك أخبرني سلمة بن وردان عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه هل تزوجت

في الاجساد وعنه قال راضية بما أعطيت من الثواب مرضية عنها بعملها (فادخلي في عبادى) المؤمنين أى في زمرة عبادى الصالحين وكوني من جملتهم وانتظمي في سلكهم وهذا يشعر بان النفس بمعنى الذات ويجوز أن تكون بمعنى الروح كما أشار له البيضاوى (وادخلي جنتي) معهم قيل انه يقال لها ارجعي الى ربك عند خروجها من الدنيا ويقال لها ادخلي في عبادى وادخلي جنتي يوم القيامة وأتى بالفاء فيما لم يتراخ عن الموت وبالواو فيما يتراخى عنه والمراد بالآية كل نفس مطمئنة على العموم لان السورة مكية ولا ينافي ذلك نزولها في نفس معينة فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عن سعيد بن جبير قال مات ابن عباس في الطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا ندرى من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الآية أخرجه ابن أبي حاتم والطبرانى وعن عكرمة مثله أخرجه أبو نعيم في الدلائل

(سورة البلد ويقال سورة لا أقسم هي عشرون آية وهي مكية بلا خلاف)

عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بهذا البلد) قد تقدم الكلام على هذا في تفسير لا أقسم بيوم القيامة ولا زائدة ومن زيادة لا في الكلام في غير القسم قول الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة * وكاد صميم القلب لا يتصدع

أى يتصدع ومن ذلك قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد أى ان تسجد قال الواحدى أجمع المفسرون على ان هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة وبه قال ابن عباس قرأ الجمهور لا أقسم وقرئ لاقسم من غير ألف وقيل هو نفي للقسم والمعنى لا أقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه وقال مجاهد ان لا رد على من أنكر البعث ثم ابتدأ فقال أقسم والمعنى ليس الامر كما تحسبون والاول أولى والمعنى أقسم بالبلد الحرام وقال الواسطى ان المراد بالبلد المدينة وهو مع كونه خلاف اجماع المفسرين هو أيضا مدفوع بكون السورة مكية لا مدنية وفضل مكة جعلها الله تعالى حرما آمنا ومثابة للناس وجعل مسجدها قبلة لاهل المشرق والمغرب وشرفه بمقام ابراهيم وحرم فيه الصيد وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت

يا فلان قال لا والله يا رسول الله ولا عندى ما أتزوج قال أليس معك قل هو الله أحد قال بلى قال ثلث القرآن قال أليس معك اذا جاء نصر الله والفتح قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك اذا زلزلت الارض قال بلى قال ربع القرآن تزوج ثم قال هذا حديث حسن تفرد بهن ثلاثتهن الترمذى لم يروهن غيره من أصحاب الكتب *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس اذا زلزلت الارض زلزالها أى تحركت من أسفلها وأخرجت الارض أثقالها يعنى ألقت مافيها من الموتى قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم وكقوله واذا الارض مدت وألقت مافيها وتخلت وقال مسلم فى صحيحه حدثنا واصل بن عبد الاعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى الارض أفلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجئ القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجئ السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ وقوله عز وجل وقال الانسان مالها أى استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أى تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ماقد أعده لها من الزلزال الذى لا محيد لها عنه ثم ألقت مافى بطنها من الاموات من الاولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها أى تحدث بما عمل العاملون على ظهرها قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم حدثنا ابن المبارك وقال الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى واللفظ له حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك عن سعيد بن أبى أيوب عن يحيى بن أبى سليمان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها ثم قال الترمذى هذا

الارض من تحته فهذه الفضائل وغيرها لما اجتمعت فى مكة دون غيرها أقسم بها (وأنت حل بهذا البلد) البلد يذكر ويؤنث والجمع بلدان والبلدة البلد وجمعها بلاد مثل كلبة وكلاب وقال الواحدى الحل والحلال والمحل واحد وهو ضد الحرم أحل الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح حتى قاتل وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار قال والمعنى ان الله تعالى لما ذكر القسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع كونها حراما فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحلها له حتى يقاتل فيها ويفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى بأن يحلها له حتى يكون بها حلا انتهى فالمعنى وأنت حل بهذا البلد فى المستقبل كما فى قوله انك ميت وانهم ميتون قال النسفى رحمه الله وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة مكية بالاتفاق واين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح انتهى قال مجاهد المعنى ما صنعت فيه من شئ فأنت حل قال قتادة أنت حل به لست بآثم يعنى انك غير مرتكب فى هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر والمعاصى وقيل المعنى لا أقسم بهذا البلد وأنت حال به ومقيم فيه وهو محلك فعلى القول بان لا نافية غير زائدة يكون المعنى لا أقسم به وأنت حال به فانت أحق بالاقسام بك وعلى القول بانها زائدة يكون المعنى أقسم بهذا البلد الذى أنت مقيم به تشريفا لك وتعظيما لقدرك لانه قد صار باقامتك فيه عظيما شريفا وزاد على ما كان عليه من الشرف والعظم ولكن هذا اذا تقرر فى لغة العرب ان لفظ حل يجئ بمعنى حال وكما يجوز أن تكون الجملة معترضة يجوز أن تكون فى محل نصب على الحال قال ابن عباس فى الآية يعنى بذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم أحل الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء ويستحيى من شاء فقتل يومئذ ابن خطل صبرا وهو آخذ باستار الكعبة فلم يحل لاحد بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل فيها حراما حرمه الله فاحل الله له ما صنع باهل مكة وعنه فيها قال أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل فيه واما غيرك فلا وعن أبى برزة الاسلمى قال نزلت هذه الآية فى خرجت فوجدت عبد الله بن خطل وهو متعلق باستار الكعبة فضربت عنقه بين الركن والمقام أخرجه ابن مردويه وقوله (ووالد وما ولد) عطف على البلد قال قتادة ومجاهد والضحاك والحسن وأبو صالح ووالد أى آدم وما ولد أى وما تناسل من ولده ومثله عن ابن عباس أقسم

حديث حسن صحيح غريب وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة حدثني الحرث بن يزيد سمع ربيعة الجرشي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحفظوا من الارض فانها أمكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا الا وهي مخبرة وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها قال البخاري أوحى لها وأوحى اليها ووحى لها ووحى اليها واحد وكذا قال ابن عباس أوحى لها أي أوحى اليها والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس يومئذ تحدث أخبارها قال قال لها ربها قولي فقالت وقال مجاهد أوحى لها أي أمرها وقال القرطبي أمرها أن تنشق عنهم وقوله تعالى يومئذ

يصدر الناس أشتاتا أي يرجعون عن موقف الحساب أشتاتا أي أنواعا وأصنافا ما بين شقي وسعيد مأمور به الى الجنة ومأمور به الى النار قال ابن جريج يتصدعون أشتاتا فلا يجتمعون آخر ما عليهم وقال السدي أشتاتا فرقا وقوله تعالى ليروا أعمالهم أي ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشر ولهذا قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال البخاري حدثنا اسمعيل بن عبد الله حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقى به كان ذلك حسنات له وهي لذلك الرجل أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء فهي على ذلك وزر فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما أنزل الله فيها شيأ الا هذه الآية الفاذة الجامعة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ورواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم حدثنا الحسن عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها وهكذا رواه النسائي في التفسير عن ابراهيم بن محمد بن يونس المؤدب عن أبيه عن جرير بن حازم عن الحسن البصري قال حدثنا صعصعة عم الفرزدق فذكره وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعا اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو به

بهم لانهم أعجب ما خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والعقل والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والاولياء والصالحون والدعاة الى الله والانتصار لدينه وكل ما في الارض مخلوق لاجلهم وأمر الملائكة بالسجود لآدم وعلمه الاسماء كلها فيكون قد أقسم بجميع الآدميين صالحهم وطالحهم وقيل هو قسم بآدم والصالحين من ذريته وأما الطالحون فكأنهم ليسوا من أولاده وكأنهم بهائم وفائدة التنكير في والد التعجب والمدح قاله الرازي وقال أبو عمران الجوني الوالد ابراهيم عليه السلام وما ولد ذريته قال الفراء ان ما عبارة عن الناس كقوله ما طاب لكم وقيل الوالد ابراهيم والولد اسمعيل ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال عكرمة وسعيد بن جبير ووالد يعني الذي يولد له وما ولد يعني العاقر الذي لا يولد له وكأنهما جعلا ما نافية وهو بعيد ولا يصح ذلك الا باضمار الموصول أي ووالد والذي ما ولد ولا يجوز اضمار الموصول عند البصريين وقال عطية العوفي هو عام في كل والد ومولود من جميع الحيوانات واختار هذا ابن جرير وعن ابن عباس الوالد الذي يلد وما ولد العاقر لا يلد من الرجال والنساء وقد استدل بعض الجهال بهذه الآية على جواز الاحتفال لمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا تحريف لمعاني كتاب الله لم يذهب اليه أحد من المفسرين بل هو خلاف اجماع المسلمين (لقد خلقنا الانسان في كبد) هذا جواب القسم والانسان هو هذا النوع الانساني والكبد الشدة والمشقة يقال كابدت الامر قاسيت شدته والانسان لا يزال في مكابدة الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت قال ذو النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى الائتمار والانتهاء وأصل الكبد الشدة ومنه تكبد اللبن اذا اشتد وغلظ ويقال كبد الرجل اذا وجعت كبده ثم استعمل في كل مشقة وشدة قال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال أيضا يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء لا يخلو عن أحدهما قال الكلبي نزلت هذه الآية في رجل من بني جمح يقال له أبو الاشدين وكان يأخذ الاديم العكاظي ويجعله تحت رجليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه وكان من أعداء النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) يعني لقوته ويكون معنى في كبد على هذا في شدة خلق وقيل معنى في كبد انه جريء القلب غليظ الكبد وقال ابن عباس في كبد في اعتدال وانتصاب وعنه قال في نصب وعنه قال في شدة وقال أيضا في شدة خلق

الخدرى قال لما أنزلت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قلت يارسول الله انى لراء عملى قال نعم قلت تلك الكبار الكبار قال نعم قلت الصغار الصغار قال نعم قلت واثكل أمى قال ابشر يا أبا سعيد فان الحسنة بعشر أمثالها يعنى الى سبعمائة ضعف ويضعف الله لمن يشاء والسيئة بمثلها أو يغفر الله ولن ينجو أحد منكم بعمله قلت ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله منه برحمة قال أبو زرعة لم يروه غير ابن لهيعة وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكر حدثنى ابن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وذلك لما نزلت هذه الآية ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا كان المسلمون يرون انهم لا يؤجرون على الشئ القليل اذا أعطوه فيجىء المسكين الى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه تمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ماهذا بشئ انما نؤجر على مانعطى ونحن نحبه وكان آخرون يرون انهم لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك يقولون انما وعد الله النار على الكبائر فرغبهم فى القليل من الخير ان يعملوه فانه يوشك أن يكثر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك أن يكثر فنزلت فمن يعمل مثقال ذرة يعنى وزن أصغر النمل خيرا يره يعنى فى كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فاذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحدة عشرا ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبى عياض عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجىء بالعود والرجل يجىء بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها آخر تفسير سورة اذا زلزلت ولله الحمد والمنة

قال أبو عبيدة لبد فعل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم اذا كان كثير الحطم قال الفراء واحدته لبدة والجمع لبد وقد تقدم بيان هذا فى سورة الجن (أيحسب أن لم يره أحد) استفهام على سبيل الانكار أى أيظن انه لم يعاينه أحد قال قتادة أيظن أن الله سبحانه لم يره ولا يسأله عن ماله من اين كسبه واين أنفقه وقال الكلبى كان كاذبا لم ينفق ما قال فقال الله أيظن ان الله لم ير ذلك منه فعل أولم يفعل أنفق أولم ينفق ثم ذكر سبحانه ما أنعم عليه ليعتبر فقال (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات شققناهما وهو فى الرحم فى ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا تزيد احداهما على الاخرى شيأ وقدرنا البياض والسواد والسمرة والزرقة وغير ذلك على ما ترون وأودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها (ولسانا) ينطق به ويعبر عما فى ضميره (وشفتين) يستر بهما ثغره وفاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك قال الزجاج المعنى ألم نفعل به ما يدله على ان الله قادر على أن يبعثه والشفة محذوفة اللام وأصلها شفهة بدليل تصغيرها على شفيهة وجمعها على شفاه نظير سنة فى احدى اللغتين وشافهته أى كلمته من غير واسطة ولا يجمع بالالف والتاء استغناء بتكسيرها عن تصحيحها (وهديناه النجدين) النجد الطريق فى ارتفاع قال المفسرون بيناله طريق الخير وطريق الشر قال الزجاج المعنى ألم نعرفه طريق الخير وطريق الشر مبينتين كتبين الطريقين العاليتين وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن المسيب والضحاك النجدان الثديان لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه والاول أولى واصل النجد المكان المرتفع وجمعه نجود ومنه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة فالنجدان الطريقان العاليان قال ابن مسعود فى الآية سبيل الخير والشر وقال ابن عباس الهدى والضلالة وعنه نحو قول ابن مسعود وعن أنس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم هما نجدان فما جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير أخرجه ابن أبى حاتم تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه يحيى بن معين وقال الامام أحمد والنسائى والجوزجانى منكر الحديث وقال أحمد تركت حديثه لاضطرابه قد روى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث الحسن البصرى لا يشبه حديث أنس وروى نحوه عن الحسن وقتادة مرسلا ويشهد له ما أخرجه الطبرانى عن أبى امامة أن النبى

(تفسير سورة العاديات وهى مكية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى

الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير) يقسم تعالى بالخيل اذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو فالموريات قدحا يعني اصطكاك نعالها بالصخر فتقدح منه النار فالمغيرات صبحا يعني الاغارة وقت الصباح كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير صباحا ويستمع الاذان فان سمع أذانا والا أغار وقوله تعالى فأثرن به نقعا يعني غبارا في مكان معترك الخيول فوسطن به جمعا أي توسطن ذلك المكان كلهن جمع قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عبدة عن الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله والعاديات ضبحا قال الابل (٢٧٨) وقال علي هي الابل وقال ابن عباس هي الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر انما كان ذلك في سرية بعثت قال ابن أبي حاتم وابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حدثه قال بينا أنا في الحجر جالسا جاءني رجل فسألني عن العاديات ضبحا فقلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي الى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني فذهب الى علي رضي الله عنه وهو عند سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها أحدا قبلي قال نعم سألت ابن عباس فقال الخيل حين تغير في سبيل الله قال اذهب فادعه لي فلما وقف على رأسه قال اتفتي الناس بما لا علم لك والله لئن كان أول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحا انما العاديات ضبحا من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قال ابن عباس فنزعت عن قولي ورجعت الى الذي قال علي رضي الله عنه وبهذا الاسناد عن ابن عباس قال قال علي انما العاديات ضبحا من عرفة الى المزدلفة فاذا أووا الى المزدلفة أوروا النيران وقال العوفي والنار وغيره عن ابن عباس هي الخيل وقد قال بقول علي انها الابل جماعة منهم ابراهيم وعبيد بن عمير وقال بقول ابن عباس آخرون منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير وقال ابن عباس وعطاء ما ضبحت دابة قط الا فرس او كلب وقال ابن جريج عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح أح أح وقال أكثر هؤلاء في قوله فالموريات قدحا يعني بحوافرها وقيل أسعرن الحرب بين ركبانهن قاله قتادة وعن ابن عباس ومجاهد فالموريات قدحا يعني مكر الرجال وقيل هو ايقاد النار اذا رجعوا الى منازلهم من الليل وقيل المراد بذلك نيران القبائل وقال من فسرها بالخيل هو ايقاد النار بالمزدلفة قال ابن جرير والصواب الاول انه الخيل

صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس انهما نجدان نجد خير ونجد شر فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير ويشهد له أيضا ما أخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير قال الشهاب لا يخفى انه ذكره في سياق الامتنان والمراد الامتنان عليه بأن هداه وبين له الطريق فسلكها تارة وعدل عنها أخرى فلا امتنان عليه بالشر ولذا جعله الامام بمعنى قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ووصف مكان الخير بالرفعة والنجدية ظاهر بخلاف الشر فانه هبوط من ذروة الفطرة الى حضيض الشقوة فهو على سبيل التغليب أو على توهم المخيلة أن فيه صعودا فتدبر انتهى قلت الامتنان بالهداية الى سبيل الشر يصح بمعنى ان الله عرف الانسان طريق الشر ليجتنبه وطريق الخير ليسلكه ولو لم يعرفه سبيل الشر لما اجتنبه والاشياء تعرف بأضدادها فالامتنان بهدايته اليه ثابت عقلا والمعنى بينا وضحنا له أن سلوك الاول ينجي وان سلوك الثاني يردي وان سلوك الاول ممدوح وان سلوك الثاني مذموم فالذي ذكره الشهاب تدفعه الاحاديث المرفوعة المتقدم ذكرها (فلا اقتحم العقبة) الاقتحام الرمي بالنفس في شيء من غير روية يقال منه قحم في الامر قحوما أي رمى بنفسه في الامر من غير روية وتقحيم النفس في الشيء ادخالها فيه عن غير روية والقحمة بالضم المهلكة والعقبة في الاصل الطريق الصعب التي في الجبل سميت بذلك لصعوبة سلوكها وهو مثل ضربه الله سبحانه لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة قال الفراء والزجاج ذكر سبحانه هنا الامر مرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتى يعيدوها في كلام آخر كقوله فلا صدق ولا صلى وانما أفردها هنا لدلالة آخر الكلام على معناه فيجوز أن يكون قوله ثم كان من الذين آمنوا قائما مقام التكرير كأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن قال المبرد وأبو علي الفارسي ان لا هنا بمعنى لم أي فلم يقتحم وروي نحو ذلك عن مجاهد فلهذا لم يحتج الى التكرير وقيل هو جار مجرى الدعاء كقولهم لا نجا قال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام هنا الاستفهام الذي بمعنى الانكار تقديره أفلا اقتحم العقبة أو هلا اقتحم العقبة قال ابن عمر في العقبة جبل زلال في جهنم وقال ابن عباس العقبة النار وعنه قال عقبة بين الجنة

بحوافرها وقوله تعالى فالمغيرات صبحا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني اغارة الخيل صبحا في سبيل الله وقال من
جاء من المزدلفة الى منى وقالوا كلهم في قوله فأثرن به نقعا هو المكان الذي حلت فيه أثارت به الغبار اما
الى فوسطن به جمعا قال العوفي عن ابن عباس وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك يعني جمع الكفار من العدو
فوسطن بذلك المكان جميعهن ويكون جمعا منصوبا على الحال المؤكدة وقد روى أبو بكر البزار ههنا حديثا
ثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع حدثنا سماك عن (٢٧٩) عكرمة عن ابن عباس قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيلا فاشهرت شهرا لا يأتيه منها خبر فنزلت والعاديات ضبحا ضبحت بارجلها فالموريات قدحا قدحت بحوافرها الحجارة فاورت نارا فالمغيرات صبحا صبحت القوم بغارة فأثرن به نقعا أثارت بحوافرها التراب فوسطن به جمعا قال صبحت القوم جميعا وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود هذا هو المقسم عليه بمعنى انه لنعم ربه لجحود كفور قال ابن عباس ومجاهد وابراهيم النخعي وأبو الجوزاء وأبو العالية وأبو الضحى وسعيد بن جبير ومحمد بن قيس والضحاك والحسن وقتادة والربيع ابن أنس وابن زيد الكنود الكفور قال الحسن الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الانسان لربه لكنود قال الكنود الذي يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده ورواه ابن أبي حاتم من طريق

قال قتادة وكعب هي نار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله وقال الحسن هي
عقبة شديدة مجاهدة نفسه وهواه وعداوة الشيطان وقيل العقبة خلاصه من هول
العرض وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط الذي يضرب على جهنم كحد السيف
وعن عائشة قالت لما نزل فلا اقتحم العقبة قيل يا رسول الله ما عند أحدنا ما يعتق الا ان
عند أحدنا الجارية السوداء تخدمه فلو أمرناهن بالزنا فجئن بالاولاد فاعتقناهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أمتع بسوط في سبيل الله أحب الى من أن آمر بالزنا ثم
اعتق الولد أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وأخرجه ابن جرير عنها بلفظ
لعلاقة سوط في سبيل الله أعظم أجرا من هذا ثم بين سبحانه العقبة فقال (وما أدراك
ما العقبة) أي أي شئ أعلمك ما اقتحامها والمعرف باللام اذا أعيد كان الثاني عين الاول
فتكون الجملة معترضة مقحمة لبيان العقبة مقررة لمعنى الابهام والتفسير فان فلا اقتحم
العقبة مفسرة بقوله (فك رقبة) والمفسر منفي والمفسر كذلك لاتحادهما في الاعتبار
كأنه قيل فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا قال محيي السنة ذكر العقبة ههنا مثل ضربه
الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة
قال صاحب الفرائد هذا تنبيه على ان النفس لا توافق صاحبها في الانفاق لوجه الله البتة
فلا بد من التكلف وتحمل المشقة والذي توافقه النفس هو الافتخار والمراآة فكأنه
تعالى ذكر هذا المثل بازاء ما قال أهلكت مالا لبدا والمراد الانفاق المفيد وان ذلك الانفاق
لمضر انتهى وفي التمثيل بالعقبة بعد ذكر النجدين ترشيح ثم التفريع عليه بالاقتحام
قرينة لتلك المبالغة ذكره الكرخي ومعنى فك رقبة اعتاق رقبة وتخليصها من اسار الرق
وكل شئ أطلقته فقد فككته ومنه فك الرهن وفك الكتاب فقد بين سبحانه أن العقبة هي
هذه القرب المذكورة التي تكون بها النجاة من النار وقرئ فك رقبة على انه فعل ماض
وهكذا أطعم وقرئ فك واطعام على انهما مصدران وعلى الاولى المعنى فلا فك ولا أطعم
والفك في الاصل حل القيد سمى العتق فكا لان الرق كالقيد وسمى المرقوق رقبة لانه بالرق
كالاسير المربوط في رقبته وقد ثبت الترغيب في عتق الرقاب باحاديث كثيرة منها ما في
الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة
مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا من النار حتى الفرج بالفرج (أو اطعام في يوم ذي

جعفر بن الزبير وهو متروك فهذا اسناد ضعيف وقد رواه ابن جرير أيضا من حديث جرير بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي
أمامة موقوفا وقوله تعالى وانه على ذلك لشهيد قال قتادة وسفيان الثوري وان الله على ذلك لشهيد ويحتمل أن يعود الضمير على
الانسان قاله محمد بن كعب القرظي فيكون تقديره وان الانسان على كونه كنودا لشهيد أي بلسان حاله أي ظاهر ذلك عليه في
أقواله وافعاله كما قال تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر وقوله تعالى وانه لحب الخير
لشديد أي وانه لحب الخير وهو المال لشديد وفيه مذهبان أحدهما أن المعنى وانه لشديد المحبة للمال والثاني وانه لحريص بخيل من
محبة المال وكلاهما صحيح ثم قال تبارك وتعالى مزهدا في الدنيا ومرغبا في الاخرى ومنبها على ما هو كائن بعد هذه الحال وما

ويستقبله الانسان من الاهوال أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور أى أخرج ما فيها من الاموات وحصل ما فى الصدور قال ابن عباس وغيره يعنى أبرز وأظهر ما كانوا يسرون فى نفوسهم ان ربهم بهم يومئذ لخبير أى لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ويجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة آخر تفسير سورة العاديات ولله الحمد والمنة *(تفسير سورة القارعة وهى مكية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم) القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة (٢٨٠) راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية)

القارعة من أسماء يوم القيامة كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك ثم قال تعالى معظما أمرها ومهولا لشأنها وما أدراك ما القارعة ثم فسر ذلك بقوله يوم يكون الناس كالفراش المبثوث أى فى انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم من حيرتهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث كما قال تعالى فى الآية الاخرى كأنهم جراد منتشر وقوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يعنى قد صارت كأنها الصوف المنفوش الذى قد شرع فى الذهاب والتمزق قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وعطاء الخراسانى والضحاك والسدى العهن الصوف ثم أخبر تعالى عما يؤل اليه عمل العاملين وما يصيرون اليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم فقال فأما من ثقلت موازينه أى رجحت حسناته على سيآته فهو فى عيشة راضية يعنى فى الجنة وأما من خفت موازينه أى رجحت سيآته على حسناته وقوله تعالى فأمه هاوية قيل معناه فهو ساقط هاو بأم رأسه فى نار جهنم وعبر عنه بأمه يعنى دماغه روى نحو هذا عن ابن عباس وعكرمة وأبى صالح وقتادة قال قتادة يهوى فى النار على رأسه وكذا قال أبو صالح يهوون فى النار على رؤسهم وقيل معناه فأمه التى يرجع اليها ويصير فى المعاد اليها هاوية وهى اسم من أسماء النار قال ابن جرير وانما قيل للهاوية أمه لانه لا مأوى له غيرها وقال ابن زيد الهاوية النار التى هى أمه ومأواه التى يرجع اليها ويأوى اليها وقرأ وما واه النار قال ابن أبى حاتم وروى عن قتادة انه قال هى النار وهى مأواهم ولهذا قال تعالى مفسرا للهاوية وما أدراك ماهيه نار حامية قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الاشعث بن عبد الله الاعمى قال اذا مات المؤمن ذهب بروحه الى أرواح المؤمنين فيقولون روحوا أخاكم فانه كان فى هم غم الدنيا

مسغبة) أى مجاعة والسغب الجوع والساغب الجائع قال الراغب يقال منه سغب الرجل سغبا وسغوبا فهو ساغب وسغبان والمسغبة مفعلة منه قال النخعى فى يوم ذى مسغبة أى عزيز فيه الطعام قال ابن عباس مسغبة مجاعة وعنه جوع وقيد الاطعام بكونه فى هذا اليوم لان اخراج المال فى ذلك الوقت أثقل على النفس وأوجب للاجر قرأ الجمهور بالجر على انه صفة ليوم ويتيما هو مفعول اطعام وقرأ الحسن بالنصب على انه مفعول اطعام أى يطعمون ذا مسغبة ويتيما بدل منه (يتيما ذا مقربة) أى قرابة قاله ابن عباس يقال فلان ذو قرابتى وذو مقربتى واليتيم فى الاصل الضعيف يقال يتم الرجل اذا ضعف واليتيم عند أهل اللغة من لا أب له وقيل هو من لا أب له ولا أم ومنه قول قيس بن الملوح

الى الله أشكو فقد ليلى كما شكا * الى الله فقد الوالدين يتيم

(أو مسكينا ذا متربة) أى لا شئ له كأنه لصق بالتراب لفقره وليس له مأوى الا التراب يقال ترب الرجل يترب تربا ومتربة اذا افتقر حتى لصق بالتراب ضرا قال مجاهد هو الذى لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة هو ذو العيال وقال عكرمة هو المديون وقال أبو سنان هو ذو الزمانة وقال ابن جبير هو الذى ليس له أحد وقال عكرمة أيضا هو البعيد التربة الغريب عن وطنه وبه قال ابن عباس والاول أولى ومنه قول الهذلى

وكنا اذا ما الضيف حل بأرضنا * سفكنا دماء البدن فى تربة الحال

وعن ابن عباس أيضا قال هو المطروح الذى ليس له بيت وفى لفظ هو الذى لا يقيه من التراب شئ وفى لفظ هو اللازق بالتراب من شدة الفقر وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الآية قال هو الذى مأواه المزابل أخرجه ابن مردويه والمتربة والمقربة والمسغبة مفعلات أى كل واحد منها مصدر ميمى على وزن مفعلة (ثم كان من الذين آمنوا) عطف على المنفى بلا وجاء بثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان ورفعة محله وفيه دليل على ان هذه القرب انما تنفع مع الايمان وقيل التراخى فى الذكر وقيل المعنى ثم كان من الذين آمنوا بان هذا نافع لهم وقيل المعنى انه اتى بهذه القرب لوجه الله (وتواصوا بالصبر) معطوف على آمنوا أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وعلى ما اصابهم من البلايا والمصائب والمحن والشدائد (وتواصوا بالمرحمة) أى بالرحمة

قال ويسألونه مافعل فلان فيقول مات أوما جاءكم فيقولون ذهب به الى أمه الهاوية وقد رواه ابن مردويه من طريق أنس بن مالك مرفوعا بابسط من هذا وقد أوردناه فى كتاب صفة النار أجارنا الله تعالى منها بمنه وكرمه وقوله تعالى نار حامية أى حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير قال أبو مصعب عن مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال نار بنى آدم التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا يارسول الله ان كانت لكافية فقال انها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ ورواه البخارى عن اسمعيل بن أبى أويس عن مالك ورواه مسلم عن قتيبة عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد به وفى بعض ألفاظه

على عباد الله فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين واستكثروا من فعل الخير بالصدقة ونحوها قال ابن عباس يعنى بذلك رحمة الناس (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات هم (أصحاب الميمنة) أى أصحاب جهة اليمين أو أصحاب اليمن أو الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل غير ذلك مما قدمنا ذكره فى سورة الواقعة (والذين كفروا بآياتنا) أى بالقرآن أو بما هو أعم منه فتدخل الآيات التنزيلية والآيات التكوينية التى تدل على الصانع سبحانه (هم أصحاب المشأمة) أى أصحاب الشمال أو أصحاب الشؤم أو الذين يعطون كتبهم فى شمائلهم أو غير ذلك مما تقدم (عليهم نار مؤصدة) اى مطبقة مغلقة يقال اصدت الباب وأوصدته اذا اغلقته واطبقته قرأ الجمهور موصدة بالواو وقرئ بالهمزة وهما لغتان والمعنى واحد قال ابن عباس مغلقة الابواب وقال ابو هريرة مطبقة

(سورة الشمس هى خمس عشرة آية وهى مكية بلا خلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ فى صلاة العشاء والشمس وضحاها واشباههما من السور اخرجه احمد والترمذى وحسنه والنسائى وقد تقدم حديث جابر فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمره ان يقرأ فى صلاة الصبح بالليل اذا يغشى والشمس وضحاها أخرجه الطبرانى وعن عقبة بن عامر قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان نصلى ركعتى الضحى بسورتيهما بالشمس وضحاها والضحى أخرجه البيهقى فى الشعب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والشمس وضحاها) اقسم سبحانه بهذه الامور وله ان يقسم بما شاء من مخلوقاته وقال قوم ان القسم بهذه الامور ونحوها مما تقدم ومما سيأتى هو على حذف مضاف أى ورب الشمس وهكذا سائرها ولا ملجئ الى هذا ولا موجب له وقوله وضحاها هو قسم ثان وقال الرازى المقصود من هذه السورة الترغيب فى الطاعات والتحذير من المعاصى وقد أقسم تعالى بانواع مخلوقاته المشتملة على المنافع العظيمة ليتأمل المكلف فيها ويشكر عليها لان ما أقسم الله تعالى به يحصل منه وقع فى القلب وأقسم الله فى هذه السورة بسبعة أشياء الى

انها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حرها وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد وهو ابن سلمة عن محمد بن ابى زياد سمعت أبا هريرة يقول سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول نار بنى آدم التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم فقال رجل ان كانت لكافية فقال لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزأ حرا تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم وروى الامام أحمد ايضا حدثنا سفين عن ابى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعمرو عن يحيى بن جعدة ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ماجعل الله فيها منفعة لأحد وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه وقد رواه مسلم فى صحيحه من طريق ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود وأبى سعيد الخدرى ناركم هذه جزء من سبعين جزأ وقد قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا عبد العزيز هو ابن محمد الدراوردى عن سهل عن أبيه

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم تفرد به أيضا من هذا الوجه وهو على شرط مسلم أيضا وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عمرو الخلال حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا معن بن عيسى القزاز عن مالك عن عمه أبى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون مامثل ناركم هذه من نار جهنم لهى أشد سوادا من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفا وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه وروى الترمذى وابن ماجه عن عباس الدورى عن يحيى بن بكير حدثنا شريك عن عاصم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى

سوداء مظلمة وقد روى هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب وجاء في الحديث عند الامام أحمد من طريق أبي عثمان النهدي عن أنس وأبي نضرة المقدمي عن أبي سعيد وعجلان مولى المشمعل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان يغلي منهما دماغه وثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدون في الشتاء من بردها وأشد ما تجدون في الصيف من حرها وفي الصحيحين اذا اشتد الحر فابردوا عن الصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم آخر تفسير سورة القارعة ولله الحمد

(تفسير سورة التكاثر وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يقول تعالى أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا زكريا بن يحيى الغفاري المصري حدثني خالد بن عبد الدائم عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر عن الطاعة حتى زرتم المقابر حتى يأتيكم الموت وقال الحسن البصري ألهاكم التكاثر في الاموال والاولاد وفي صحيح البخاري في الرقاق منه وقال أخبرنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ألهاكم التكاثر يعني لو كان لابن آدم واد من ذهب وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فافنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فامضيت ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق شعبة به قال مسلم في صحيحه حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد مالي مالي وانما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأمضى وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس تفرد به مسلم وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا

قوله قد أفلح من زكاها اقسم بالشمس وضحاها فان أهل العالم كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر أثر الصبح صارت الاموات أحياء وتكاملت الحياة وقت الضحوة وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها انتهى قال مجاهد أي ضوءها واشراقها وأضاف الضحى الى الشمس لانه انما يكون عند ارتفاعها وكذا قال الكلبي وقال قتادة ضحاها نهارها كله قال الفراء الضحى هو النهار وقال المبرد أصل الضحى الصبح وهو نور الشمس وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك قال القرطبي الضحى مؤنثة يقال ارتفعت الضحى فوق الضحو وقد تذكر فمن أنث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انها اسم فعل نحو صرد ونغر قال أبو الهيثم الضحى نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الارض وأصله الضحى فاستثقلوا الياء فقلبوها ألفا قيل والمعروف عند العرب ان الضحى اذا طلعت الشمس وبعد ذلك قليلا فاذا زاد فهو الضحاء بالمد قال المبرد الضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو النور فابدلت الالف والواو من الحاء واختلف في جواب القسم ماذا هو فقيل هو قوله قد أفلح من زكاها قاله الزجاج وغيره وحذفت اللام لان الكلام قد طال فصار طوله عوضا منها وقيل محذوف أي لتبعثن وقيل تقديره ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا وأما قوله قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شئ وقيل هو على التقديم والتأخير بغير حذف والمعنى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها والشمس وضحاها والاول أولى (والقمر اذا تلاها) أي تبعها وذلك بان طلع بعد غروبها يقال تلا يتلو تلوا اذا تبع قال المفسرون وذلك انما يكون في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور قال الزجاج تلاها حين استدار فكان يتلو الشمس في الضياء والنور يعني اذا كمل ضوءه فصار تابعا للشمس في الانارة يعني كان مثلها في الاضاءة وذلك في الليالي البيض وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها قال قتادة ان ذلك ليلة الهلال اذا سقطت رؤى الهلال قال ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي آخر الشهر يتلوها بالغروب وقال الفراء تلاها أخذ منها يعني ان القمر يأخذ من ضوء الشمس قال ابن عباس تلاها تبعها

عبد الله بن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سمع انس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله وكذا رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به وقال الامام احمد حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا قتادة عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والامل أخرجاه فى الصحيحين وذكر الحافظ بن عساكر فى ترجمة الاحنف بن قيس واسمه الضحاك انه رأى فى يد رجل درهما فقال لمن هذا الدرهم فقال الرجل لى فقال انما هو لك اذا انفقته فى اجر أو ابتغاء شكر ثم أنشد الاحنف متمثلا قول الشاعر

أنت للمال اذا أمسكته ... فاذا أنفقته فالمال لك

وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو اسامة قال صالح ابن حبان حدثنى عن ابن بريدة فى قوله ألهاكم التكاثر قال نزلت فى قبيلتين من قبائل الانصار بنى حارثة وبنى الحرث تفاخروا وتكاثروا فقالت احداهما فيكم مثل فلان بن فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا الى القبور فجعلت احدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون الى القبور ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فانزل الله ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل وقال قتادة ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كانوا يقولون نحن اكثر من بنى فلان ونحن أعد من بنى فلان وهم كل يوم يتساقطون الى آخرهم والله مازالوا كذلك حتى صاروا من اهل القبور كلهم والصحيح أن المراد بقوله زرتم المقابر اى صرتم اليها ودفنتم فيها كما جاء فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الاعراب يعوده فقال لا بأس طهور ان شاء الله فقال قلت طهور بل هى حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور قال فنعم اذن وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن سعيد الاصبهانى أخبرنا حكام بن سالم الرازى عن عمرو بن أبى قيس عن الحجاج عن المنهال عن زر بن حبيش عن على قال مازلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ورواه الترمذى عن ابى كريب عن حكام بن سالم به وقال غريب وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا سلمة بن ابى داود العرنى حدثنا ابو المليح الرقى عن ميمون بن مهران قال كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر فلبث هنيهة ثم قال ياميمون ما ارى المقابر الا زيارة وما للزائر بد من ان يرجع الى منزله قال ابو محمد

تبعها والاولى ان يفسر تلوها لها بكون ضوئه يخلفها ويجئ بعد مغيبها سواء كان ذلك من غير تراخ وهو فى النصف الاول من الشهر أو بعد مدة وذلك فى النصف الثانى من الشهر فان القمر اذا طلع فى نصف الليل يقال انه تلاها فى ظهور الضوء أى خلفها فيه ولو بعد تخلل مدة ظلمة فليتأمل (والنهار اذا جلاها) أى اضاءها قاله ابن عباس وذلك ان الشمس عند انبساط النهار تنجلى تمام الانجلاء فكأنه جلاها مع انها التى تبسطه وقيل الضمير عائد الى الظلمة أى جلى الظلمة وان لم يجر للظلمة ذكر لان المعنى معروف قال الفراء تقول أصبحت باردة أى أصبحت غداتنا باردة والاول أولى ومنه قول قيس بن الحطيم

تجلت لنا كالشمس تحت غمامة * بدى حاجب منها وضنت بحاجب

وقيل المعنى جلى مافى الارض من الحيوانات وغيرها بعد ان كانت مستترة فى الليل وقيل جلى الدنيا وقيل جلى الارض (والليل اذا يغشاها) أى يغشى الشمس فيذهب بضوئها فتغيب وتظلم الآفاق وقيل يغشى الآفاق وقيل الارض وان لم يجر لهما ذكر لان ذلك معروف والاول أولى قال الخطيب وجئ به مضارعا دون ماقبله ومابعده مراعاة للفواصل اذ لو أتى به ماضيا لكان التركيب اذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع انتهى والمعنى يغطيها بظلمته أى فيزيل ضوأها فالنهار يجليها او يظهرها والليل يغطيها او يزيل ضوأها فالضمير فى الفواصل من أول السورة الى هنا للشمس وهذه الاقسام الاربعة ليست الا للشمس فى الحقيقة لكن بحسب أربعة أوصاف أولها الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار وذلك هو الوقت الذى يكمل فيه انتشار الحيوان وتحرك الانسان للمعاش ومنها تلو القمر للشمس بأخذه الضوء عنها ومنها تكامل طلوعها وبروزها بمجئ النهار ومنها وجود خلاف ذلك بمجئ الليل ومن تأمل قليلا فى عظمة الشمس انتقل منها الى عظمة خالقها فسبحانه ما أعظم شأنه (والسماء وما بناها) يجوز أن تكون ما مصدرية أى والسماء وبنيانها ويجوز أن تكون موصولة وبه قال أبو البقاء أى والذى بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية لقصد التفخيم كأنه قال والقادر العظيم الشأن الذى بناها ورجح الاول الفراء والزجاج ولا وجه لقول من قال ان جعلها مصدرية تخل بالنظم ورجح الثانى ابن جرير قال ابن عباس الله بنى السماء (والارض وما طحاها) الكلام فى ماهذه كالكلام فى التى قبلها ومعنى طحاها بسطها على الماء كذا قال عامة المفسرين

يعني ان يرجع الى منزله اى الى جنة أو الى نار وهكذا ذكر ان بعض الاعراب سمع رجلا يتلو هذه الآية حتى زرتم المقابر فقال بعث القوم ورب الكعبة اى ان الزائر سيرحل من مقامه ذلك الى غيره وقوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون قال الحسن البصرى هذا وعيد بعد وعيد وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون يعني ايها المؤمنون وقوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين اى لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم الى المقابر ثم قال لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين هذا تفسير الوعيد المتقدم وهو قوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون توعدهم بهذا الحال وهو رؤية النار التى اذا زفرت زفرة واحدة خر كل ملك مقرب ونبى مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الاهوال على ما جاء به الاثر المروى فى ذلك وقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اى ثم لتسئلن يومئذ عن شكر ما انعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك فاذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا زكريا بن يحيى الجزار المقرى حدثنا عبد الله ابن عيسى أبو خالد الجزار حدثنا يونس بن عبيد عن عكرمة عن ابن عباس انه سمع عمر بن الخطاب يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهيرة فوجد أبا بكر فى المسجد فقال ما اخرجك هذه الساعة فقال اخرجنى الذى اخرجك يا رسول الله قال وجاء عمر بن الخطاب فقال ما اخرجك يا ابن الخطاب قال اخرجنى الذى أخرجكما قال فقعد عمر وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثهما ثم قال هل بكما من قوة تنطلقان الى هذا النخل فتصيبان طعاما وشرابا وظلا قلنا نعم قال مروا بنا الى منزل ابن التيهان ابى الهيثم الانصارى قال فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ايدينا فسلم واستأذن ثلاث مرات وام الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام تريد ان يزيدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلام فلما اراد ان ينصرف خرجت ام الهيثم تسعى خلفهم فقالت يا رسول الله قد والله سمعت تسليمك ولكن اردت ان تزيدنى من سلامك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم قال اين ابو الهيثم لا أراه قالت يا رسول الله هو قريب ذهب يستعذب الماء ادخلوا فانه يأتى الساعة ان شاء الله فبسطت بساطا تحت شجرة فجاء ابو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك يا أبا الهيثم فقال يا رسول الله تأكلون من بسره ومن رطبه

كما فى قوله دحاها قالوا طحاها ودحاها واحد أى بسطها من كل جانب والطحو البسط وقيل معنى طحاها قسمها وقيل خلقها والاول أولى والطحو أيضا الذهاب قال أبو عمرو بن العلاء طحا الرجل اذا ذهب فى الارض يقال ما أدرى أين طحا ويقال طحا به قلبه اذا ذهب به (ونفس وما سواها) الكلام فى ما هذه كما تقدم ومعنى سواها خلقها وأنشأها وسوى اعضاءها وعدلها على هذا القانون الأحكم فى اعضائها وما فيها من الجواهر والاعراض والمعانى وغير ذلك قال عطاء يريد جميع ما خلق من الانس والجن والتنكير للتفخيم أو للتكثير وقيل المراد نفس آدم (فألهمها فجورها وتقواها) أى عرفها وأفهمها حالهما وما فيهما من الحسن والقبح والالهام القاء الشئ فى القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن فاطلاقه على الفجور تسامح وقد دفع بحمل الالهام على مطلق البيان قال مجاهد عرفها طريق الفجور والتقوى والطاعة والمعصية قال الفراء فألهمها عرفها طريق الخير والشر كما قال وهديناه النجدين قال محمد بن كعب اذا أراد الله بعبده خيرا ألهمه الخير فعمل به واذا أراد به الشر ألهمه الشر فعمل به قال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار هذا الزجاج وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان قال الواحدى وهذا هو الوجه لتفسير الالهام فان التبيين والتعليم والتعريف دون الالهام والالهام ان يوقع فى قلبه ويجعل فيه واذا أوقع الله فى قلب عبد شيأ فقد ألزمه ذلك الشئ قال وهذا صريح فى ان الله خلق فى المؤمن تقواه وفى الكافر فجوره قال ابن عباس فى الآية علمها الطاعة والمعصية وعنه قال ألهمها الخير والشر وعنه قال ألزمها فجورها وتقواها وأخرج أحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمران بن حصين ان رجلا قال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شئ قد قضى عليهم ومضى فى قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم واتخذت عليهم به الحجة قال بل شئ قد قضى عليهم قال فلم يعملون اذن قال من كان الله خلقه لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها وتصديق ذلك فى كتاب الله ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها وسيأتى فى السورة التى بعد هذه نحو هذا الحديث وأخرج ابن أبى شيبة وأحمد والنسائى عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها

ومولاها وأخرجه ابن المنذر والطبراني وابن مردويه من حديث ابن عباس وزاد
كان اذا تلا هذه الآية ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قال فذكره وزاد
أيضا وهو في الصلاة وأخرج حديث زيد بن أرقم مسلم أيضا وأخرج نحوه أحمد من حديث
عائشة (قد أفلح من زكاها) أي قد فاز من زكى نفسه وأنماها وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب
وظفر بكل محبوب وقد قدمنا ان هذا جواب القسم على الراجح قال الزجاج صار طول
الكلام عوضا عن اللام أي والاصل فيه لقد وتبعه القاضي قال الشهاب وعند النحاة ان
الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله اذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد ولا
يجوز الاقتصار على احداهما الا عند طول الكلام أو في ضرورة وأصل الزكاء النمو والزيادة
ومنه زكا الزرع اذا كثر قال ابن عباس يقول قد أفلح من زكى الله نفسه أي بالطاعة
(وقد خاب من دساها) أي خسر من أضلها وأغواها بالمعصية قال أهل اللغة دساها أصله
دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشيء في الشيء فمعنى دساها في الآية أخفاها وأخملها
ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح وكانت أجواد العرب تنزل الامكنة المرتفعة ليشتهر
مكانها فيقصدها الضيوف وكانت لئام العرب تنزل الهضاب والامكنة المنخفضة ليخفى
مكانها عن الوافدين وقال ابن الاعرابي المعنى دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم قال
ابن عباس قد خاب من دس الله نفسه فأضله وعنه قال دساها يعني مكر بها وعنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الآية أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس
خيبها الله من كل خير أخرجه أبو حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمي من طريق جويبر
عن الضحاك وجويبر ضعيف وتكرير قد فيه لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونها والايذان
بتعلق القسم به أيضا أصالة (كذبت ثمود) رسولها صالحا (بطغواها) انث الفعل لضعف
أثر تكذيبهم لان كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح آياتهم والطغوى اسم من الطغيان
كالدعوى قال الواحدي قال المفسرون معناه الطغيان حملهم على التكذيب والطغيان
مجاوزة الحد في المعاصي والباء للسببية كما قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقيل بطغواها أي
بعذابها الذي وعدت به وسمي العذاب طغوى لانه طغى عليهم فتكون الباء على هذا للتعدية
وبدأ في الكشاف بانها للاستعانة مجازا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني
بجرأته على الله وقال محمد بن كعب بطغواها أي بأجمعها وقرأ الجمهور بفتح الطاء وهو مصدر

ومن تذنوبه ثم أتاهم بماء فشربوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي تسئلون عنه هذا غريب من هذا
الوجه وقال ابن جرير حدثني الحسين بن علي الصدائي حدثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال بينما أبو بكر وعمر جالسان اذ جاءهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما اجلسكما ههنا قالا والذي بعثك بالحق ما أخرجنا
من بيوتنا الا الجوع قال والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الانصار فاستقبلتهم المرأة فقال
لها النبي صلى الله عليه وسلم أين فلان فقالت ذهب يستعذب لنا ماء فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال مرحبا ما زار العباد
شيء أفضل من نبي زارني اليوم
فعلق قربته بكرب نخلة وانطلق
فجاءهم بعذق فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ألا كنت اجتنيت
فقال أحببت ان تكونوا الذين
تختارون على أعينكم ثم أخذ
الشفرة فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم اياك والحلوب فذبح لهم
يومئذ فأكلوا فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم لتسئلن عن هذا
يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم
الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا
فهذا من النعيم ورواه مسلم من
حديث يزيد بن كيسان به ورواه
أبو يعلى وابن ماجه من حديث
المكارى عن يحيى بن عبيد الله
عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي
بكر الصديق به وقد رواه أهل
السنن الاربعة من حديث عبد
الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي
هريرة رضي الله عنه بنحو من هذا
السياق وهذه القصة وقال الامام
أحمد حدثنا شريح حدثنا حشرج
عن أبي نضرة عن أبي عسيب يعني
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلا فمر بي فدعاني فخرجت اليه ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض
الانصار فقال لصاحب الحائط أطعمنا فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال
لتسئلن عن هذا يوم القيامة قال فأخذ عمر العذق فضرب به الارض حتى تناثر البسر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
يا رسول الله انا لمسئولون عن هذا يوم القيامة قال نعم الا من ثلاثة خرقة لف بها الرجل عورته أو كسرة سد بها جوعته أو جحر يدخل
فيه من الحر والقر تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا عمار سمعت جابر بن عبد الله يقول أكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي تسئلون عنه

ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن جابر به وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن صفوان بن سليم عن محمود بن الربيع قال لما نزلت ألهاكم التكاثر فقرأ حتى بلغ لتسئلن يومئذ عن النعيم قالوا يا رسول الله عن أي نعيم نسئل وانما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسئل قال أما ان ذلك سيكون وقال أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه عن عمه قال كنا في مجلس فطلع علينا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه (٢٨٦) أثر ماء فقلنا يا رسول الله نراك طيب النفس قال أجل قال ثم خاض الناس في ذكر الغنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بالغنى لمن اتقى الله والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى وطيب النفس من النعيم ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن خالد بن مخلد عن عبد الله بن سليمان به وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن ابن عرزم الاشعري قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم ان أول ما يسئل عنه يعني يوم القيامة العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك بدنك ونرويك من الماء البارد تفرد به الترمذي ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء بن زبر به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن يحيى بن حاطب عن عبد الله بن الزبير قال الزبير لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قالوا يا رسول الله لأي نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال ان ذلك سيكون وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان هو ابن عيينة به ورواه أحمد عنه وقال الترمذي في حسن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال أنزلت هذه الآية ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قالت الصحابة يا رسول الله وأي نعيم نحن فيه وانما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا محمد بن سليمان بن الاصبهاني عن ابن أبي ليلى أظنه عن عامر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الأمن والصحة وقال زيد بن أسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم

بمعنى الطغيان وانما قلبت الياء واوا للفرق بين الاسم والصفة لانهم يقلبون الياء في الاسماء كثيرا نحو تقوى وسروى وقرئ بضم الطاء وهو مصدر أيضا كالرجعى والحسنى ونحوهما وقيل هما لغتان واختير التعبير بالطغوى لانه أشبه برؤس الآيات قال ابن عباس اسم العذاب الذي جاءها الطغوى فقال كذبت ثمود بعذابها (اذ انبعث أشقاها) العامل في الظرف كذبت أو بطغواها أي حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف فعقر الناقة ومعنى انبعث انتدب لذلك وقام به يقال بعثته على الامر فانبعث به ويضرب بقدار المثل فيقال أشأم من قدار وهو أشقى الاولين وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ومعنى قدار في الاصل الجزار وقد تقدم بيان هذا في الاعراف (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا بسبب الانبعاث أو التكذيب الذي دل على قصدهم لها بالاذى (ناقة الله) قال الزجاج أي ذروا ناقة الله وقال الفراء حذرهم اياها وكل تحذير فهو نصب أي ذروا عقرها والاضافة للتشريف كبيت الله (و) احذروا (سقياها) وهو شربها من الماء وكان لها يوم ولهم يوم قال الكلبي ومقاتل قال لهم صالح ذروا ناقة الله فلا تعقروها وذروا سقياها وهو شربها من النهر فلا تعرضوا لها يوم شربها (فكذبوه) بتحذيره اياهم واستمروا على تكذيبه (فعقروها) أي عقرها الاشقى وانما اسند العقر الى الجميع لانهم رضوا بما فعل قال قتادة انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم قال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس وهذان خير الناس فلهذا لم يقل أشقياها أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال اذ انبعث اشقاها قال انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي الا أحدثك بأشقى الناس قال بلى قال رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذا يعني قرنه حتى تبتل منه هذه يعني لحيته أخرجه أحمد وابن أبي حاتم والبغوي والطبراني وابن مردويه والحاكم وأبو نعيم في الدلائل (فدمدم عليهم ربهم) أي أهلكهم وأطبق عليهم العذاب (بذنبهم) الذي هو الكفر والتكذيب والعقر وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده يقال دمدمت على الشيء أي أطبقت عليه ودمدم عليه القبر أي أطبقه وناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم والدمدمة اهلاك باستئصال كذا قال المؤرج قال

يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم رواه ابن ابي حاتم باسناده المتقدم عنه في اول السورة
وقال سعيد بن جبير حتى عن شربة عسل وقال مجاهد عن كل لذة من لذات الدنيا وقال الحسن البصري من النعيم الغداء والعشاء
وقال ابو قلابة من النعيم اكل السمن والعسل بالخبز النقي وقول مجاهد اشمل هذه الاقوال وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ثم
لتسئلن يومئذ عن النعيم قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وهو قوله
تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وثبت في صحيح (٢٨٧) البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن
ماجه من حديث عبد الله بن سعيد
ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير
من الناس الصحة والفراغ ومعنى
هذا انهم مقصرون في شكر هاتين
النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن
لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو
مغبون وقال الحافظ أبو بكر البزار
حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى
المروزي حدثنا علي بن الحسين
ابن شقيق حدثنا أبو حمزة عن ليث
عن أبي فزارة عن يزيد بن الاصم
عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما فوق الازار
وظل الحائط وخبز يحاسب به
العبد يوم القيامة أو يسئل عنه ثم
قال لا نعرفه الا بهذا الاسناد وقال
الامام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا
حدثنا حماد قال عفان في حديثه
قال اسحق بن عبد الله عن أبي
صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله عز وجل قال عفان
يوم القيامة يا ابن آدم حملتك على
الخيل والابل وزوجتك النساء
وجعلتك تربع وترأس فاين شكر
ذلك تفرد به من هذا الوجه آخر تفسير سورة التكاثر ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة العصر وهي مكية)

ذكروا ان عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان يسلم عمرو فقال له مسيلمة ماذا أنزل
على صاحبكم في هذه المدة فقال لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هي فقال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال وقد أنزل علي مثلها فقال له عمرو وما هو فقال يا وبر
يا وبر انما أنت أذنان وصدر وسائرك حفر نقر ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو والله انك لتعلم اني أعلم انك تكذب وقد رأيت أبا بكر

في الصحاح دمدمت الشيء اذا ألزقته بالارض وطحطحته ودمدم الله عليهم اي اهلكهم
ودمدمت على الميت التراب اي سويته عليه قال ابن الانباري دمدم اي غضب والدمدمة
الكلام الذي يزعج الرجل وقال ابن الاعرابي دمدم اذا عذب عذابا تاما والضمير في
(فسواها) يعود الى الدمدمة أي فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بها فاستوت على صغيرهم
وكبيرهم وقيل يعود الى الارض أي فسوى الارض عليهم فجعلهم تحت التراب وقيل
يعود الى الامة أي ثمود قال الفراء سوى الامة أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى سوى
بينهم فلم يفلت منهم أحد الا من آمن مع صالح وكانوا أربعة آلاف قرأ الجمهور فدمدم بميم
بين الدالين وقرأ ابن الزبير فدهدم بهاء بينهما قال القرطبي وهما لغتان كما يقال امتقع لونه
واهتقع لونه وفي القاموس دمم الارض سواها كدهدم ودمدم عليهم فتخلص ان دمم بدال
واحدة ودمدم بدالين معناهما واحد (ولا يخاف عقباها) أي فعل الله بهم ذلك غير خائف
من عاقبة ولا تبعة والضمير في عقباها يرجع الى الفعلة أو الى الدمدمة المدلول عليها بدمدم
قال السدي والضحاك والكلبي ان الكلام يرجع الى العاقر لا الى الله سبحانه أي لم يخف
الذي عقرها عقبى ما صنع وقيل لا يخاف رسول الله عليه الصلاة والسلام عاقبة اهلاك
قومه ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم لانه قد أنذرهم والاول أولى قرأ الجمهور
ولا يخاف بالواو وقرئ بالفاء وهما قراءتان سبعيتان أما الواو فيجوز أن تكون للحال أو
لاستئناف الاخبار والفاء للتعقيب وهو ظاهر والمعنى لا يخاف عاقبتها كما تخاف الملوك
عاقبة ما تفعله فهو استعارة تمثيلية لاهانتهم وأنهم أذلاء عند الله وفي القاموس أعقبه الله
بطاعته جازاه والعقبى جزاء الامر

(سورة والليل هي احدى وعشرون آية وهي مكية عند الجمهور)

وقيل مدنية قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن جابر بن سمرة قال كان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في الظهر والعصر والليل اذا يغشى ونحوها أخرجه البيهقي في
سننه وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بهم الهاجرة فرفع صوته فقرأ
والشمس وضحاها والليل اذا يغشى فقال له أبي بن كعب يا رسول الله أمرت في هذه
الصلاة بشيء قال لا ولكن أردت ان أوقت لكم أخرجه الطبراني في الاوسط وقد تقدم
حديث فهلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى وعن ابن

الخرائطي أسند في كتابه المعروف بمساوي الاخلاق في الجزء الثاني منه شيأ من هذا أو قريبا منه والوبر دويبة تشبه الهر أعظم شئ فيه اذناه وصدره وباقيه دميم فاراد مسيلمة ان يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن فلم يرج ذلك على عباد الاوثان في ذلك الزمان وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حصن قال كان الرجلان من أصحاب رسول الله اذا التقيا لم يفترقا الا على ان يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر الى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر وقال الشافعي رحمه الله لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (٢٨٨) والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) العصر الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر وقال مالك عن زيد بن أسلم هو العصر والمشهور الاول فاقسم تعالى بذلك على ان الانسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاستثنى من جنس الانسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم وتواصوا بالحق وهو أداء الطاعات وترك المحرمات وتواصوا بالصبر على المصائب والاقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر آخر تفسير سورة العصر ولله الحمد

(تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله أخلده كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة) الهماز بالقول واللماز بالفعل يعني يزدري بالناس وينتقص بهم وقد تقدم بيان ذلك في قوله تعالى هماز مشاء بنميم قال ابن عباس همزة لمزة طعان معياب وقال الربيع بن انس الهمزة يهمزه في وجهه واللمزة من خلفه وقال قتادة الهمزة واللمزة لسانه وعينه ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم وقال مجاهد الهمزة باليد والعين واللمزة باللسان وهكذا قال ابن زيد وقال مالك عن زيد بن أسلم همزة لحوم الناس ثم قال بعضهم المراد بذلك الاخنس بن شريق وقيل غيره وقال مجاهد هي عامة وقوله تعالى الذي جمع مالا وعدده أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى وجمع فاوعى قاله السدي وابن جرير وقال محمد بن كعب في قوله جمع مالا وعدده ألهاه ماله بالنهار هذا الى هذا فاذا كان

عباس أي لا أقول ان هذه السورة نزلت في السماحة والبخل وقال الرازي نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وانفاقه على المسلمين وفي أمية بن خلف وبخله وكفره بالله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل اذا يغشى) أي يغطي بظلمته ما كان مضيئا قال الزجاج يغشى الليل الافق وجميع ما بين السماء والارض فيذهب ضوء النهار وقيل يغشى النهار وقيل يغشى الارض والاول أولى قال ابن عباس اذا يغشى اذا أظلم وعن ابن مسعود قال ان أبا بكر الصديق اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشر أواق فاعتقه فانزل الله والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى سعي أبي بكر وأمية وأبي الى قوله وكذب بالحسنى قال لا اله الا الله الى قوله فسنيسره للعسرى قال النار أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر أقسم سبحانه بالليل الذي يأوي فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن الخلق فيه عن التحرك ويغشاهم النوم الذي جعله الله راحة لابدانهم وغذاء لارواحهم ثم أقسم بالنهار فقال (والنهار اذا تجلى) أي ظهر وانكشف ووضح لزوال الظلمة التي كانت في الليل بطلوع الشمس لان النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعايشهم وتتحرك الطير من أوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة فكانت المصلحة في تعاقبهما (وما خلق الذكر والانثى) ما هاهنا هي الموصولة أي والذي خلقهما وعبر عن من بما للدلالة على الوصفية ولقصد التفخيم أي والقادر العظيم الذي خلق صنفي الذكر والانثى قال الحسن والكلبي معناه الذي خلق الذكر والانثى فيكون قد أقسم بنفسه الكريمة قال أبو عبيدة وما خلق أي ومن خلق وقال مقاتل يعني وخلق الذكر والانثى فتكون ما على هذا مصدرية قال الكلبي ومقاتل يعني آدم وحواء والظاهر العموم قرأ الجمهور وما خلق الذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذكر والانثى بدون ما خلق قال المحلي والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا أنثى انتهى وعبارة الخطيب الخنثى وان أشكل أمره عندنا فهو وعند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الانوثة انتهت وقال الكرخي يحنث بتكليمه لان الله تعالى لم يخلق من ذوي الارواح من ليس ذكرا ولا

أنثى والخنثى انما هو مشكل بالنسبة الينا خلافا لابى الفضل الهمدانى فيما حكاه وجها انه نوع ثالث ويدفعه قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ونحو ذلك قاله الاسنوى (ان سعيكم لشتى) هذا جواب القسم أى ان عملكم مختلف فمنه عمل للجنة ومنه عمل للنار أو منكم مؤمن وكافر أو منكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار أو منكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قال جمهور المفسرين السعى العمل فساع فى فكاك نفسه وساع فى عطبها وشتى جمع شتيت كمرضى جمع مريض وقيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعض والشتات هو الافتراق وسعيكم مصدر مضاف فيفيد العموم فهو جمع معنى وان كان مفردا فى اللفظ ولذا أخبر عنه بالجمع وهو شتى فهو بمعنى مساعيكم (فامامن أعطى) أى بذل ماله فى وجوه الخير (واتقى) محارم الله التى نهى عنها (وصدق بالحسنى) أى أيقن بالخلف الذى من الله قال المفسرون فامامن أعطى المعسرين وقال قتادة أعطى حق الله الذى عليه وقال الحسن أعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسنى أى بلا اله الا الله وبه قال الضحاك والسلمى وابن عباس وقال مجاهد بالحسنى بالجنة وقال زيد بن أسلم بالصلاة والزكاة والصوم والاول أولى قال قتادة بالحسنى أى بموعود الله الذى وعده ان يثيبه قال الحسن بالخلف من عطائه واختار هذا ابن جرير وقال ابن عباس أعطى من الفضل واتقى ربه وصدق بالخلف من الله (فسنيسره لليسرى) أى فسنهيئه للخصلة التى هى حسنى وهى عمل الخير حتى يسهل عليه فعله والمعنى فسنيسر له الانفاق فى سبيل الخير والعمل بالطاعة لله والسين فى الموضعين للتسويف وهو من الله محقق وذكر القسطلانى ان هذه السين للتلطيف قال الشريف الصفوى مرادهم به ترقيق الكلام بمعنى أن لا يكون نصا فى المقصود بل يكون محتملا لغير المقصود فهو كالشئ الرقيق الذى يمكن تغييره ويسهل ويقابله الكثيف بمعنى أن يكون نصا فى المقصود لانه لا يمكن تغييره وتبديله فهو كالشئ الكثيف الذى لا يمكن فيه ذلك فالمقصود ههنا ان التيسير حاصل فى الحال لكن أتى بالسين الدالة على الاستقبال والتأخير لتلطيف الكلام وترقيقه باحتمال أن لا يكون التيسير حاصلا فى الحال لنكات تقتضى ذلك والله أعلم قال الواحدى قال المفسرون نزلت هذه الآيات فى أبى بكر الصديق اشترى ستة نفر من المؤمنين كانوا فى أيدى أهل مكة يعذبونهم فى الله

الليل نام كأنه جيفة منتنة وقوله تعالى يحسب ان ماله أخلده أى يظن ان جمعه المال يخلده فى هذه الدار كلا أى ليس الامر كما زعم ولا كما حسب ثم قال تعالى لينبذن فى الحطمة أى ليلقين هذا الذى جمع مالا فعدده فى الحطمة وهى اسم طبقة من أسماء النار لانها تحطم من فيها ولهذا قال وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة قال ثابت البنانى تحرقهم الى الافئدة وهم احياء ثم يقول لقد بلغ منهم العذاب ثم يبكى وقال محمد بن كعب تأكل كل شئ من جسده حتى اذا بلغت فؤاده حذو حلقه فرجع على جسده وقوله تعالى انها عليهم مؤصدة أى مطبقة كما تقدم تفسيره فى سورة البلد وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا على بن سراج حدثنا حماد بن خرزاد حدثنا شجاع ابن أشرس حدثنا شريك عن عاصم عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انها عليهم مؤصدة قال مطبقة وقد رواه أبو بكر بن أبى شيبة عن عبد الله بن أسد عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح قوله ولم يرفعه وقوله تعالى فى عمد ممددة قال عطية العوفى عمد من حديد وقال السدى من نار قال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس فى عمد ممددة يعنى الابواب هى الممدودة وقال قتادة فى قراءة عبد الله بن مسعود انها عليهم مؤصدة بعمد ممددة وقال العوفى عن ابن عباس ادخلهم فى عمد فمدت عليهم بعماد فى اعناقهم السلاسل فسدت بها الابواب وقال قتادة كنا نحدث انهم يعذبون بعمد فى النار واختاره ابن جرير وقال أبو صالح فى عمد ممددة يعنى القيود الثقال آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

تفسير سورة الفيل وهى مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) هذه من النعم التى امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة وكانوا قوما نصارى وكان دينهم اذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الاوثان ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فى ذلك العام ولد على أشهر الاقوال ولسان حال القدر يقول لم ينصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم ولكن

قال ابن عباس لليسرى للخير من الله وقال زيد بن أسلم للجنة وعن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر يعتق على الاسلام بمكة وكان يعتق عجائز ونساء اذا أسلمن فقال له أبوه أي بني أراك تعتق ناسا ضعفاء فلو انك تعتق رجالا جلدا يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك قال أي أبت انما أريد ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي ان هذه الآية نزلت فيه (وأما من بخل) بماله فلم يبذله في سبل الخير (واستغنى) أي زهد في الاجر والثواب أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة قال ابن عباس بخل بماله واستغنى عن ربه وعنه قال يقول من أغناه الله فبخل بالزكاة وعنه هو أبو سفيان بن حرب (وكذب بالحسنى) أي بالخلف من الله عز وجل وقال مجاهد بالجنة وعنه قال بلا اله الا الله (فسنيسره للعسرى) أي فسنهيئه للخصلة العسرى ونسهلها له حتى يتعسر عليه أسباب الخير والصلاح ويضعف عن فعلها فيؤديه ذلك الى النار قال مقاتل يعسر عليه ان يعطي خيرا قيل العسرى الشر وذلك ان الشر يؤدي الى العذاب والعسرة في العذاب والمعنى سنهيئه للشر بان نجريه على يديه قال الفراء سنيسره سنهيئه والعرب تقول قد يسرت الغنم اذا ولدت أو تهيأت للولادة قال ابن عباس للعسرى الشر من الله وقيل النار وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن علي بن أبي طالب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة فقال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاء ثم قرأ فأما من أعطى الى قوله للعسرى وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله ان سراقة بن مالك قال يا رسول الله في أي شئ يعمل أفي شئ ثبتت فيه المقادير وجرت به الاقلام أم في شئ يستقبل فيه العمل قال بل في شئ ثبتت فيه المقادير وجرت فيه الاقلام قال سراقة ففيم العمل اذن يا رسول الله قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فأما من أعطى الى آخرها وقد تقدم حديث عمران بن حصين في السورة التي قبل هذه وفي الباب أحاديث من طريق جماعة من الصحابة قال الفراء لقائل أن يقول كيف قال ذلك وهل في العسرى تيسير انتهى وايضاح الجواب عن هذا ما ورد في الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له

صيانة البيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الامي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الانبياء وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الايجاز والاختصار والتقريب قد تقدم في قصة أصحاب الاخدود ان ذا نواس وكان آخر ملوك حمير وكان مشركا وهو الذي قتل أصحاب الاخدود وكانوا نصارى وكانوا قريبا من عشرين ألفا فلم يفلت منهم الا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام وكان نصرانيا فكتب له الى النجاشي ملك الحبشة لكونه أقرب اليهم فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة ابن الصباح أبا يكسوم في جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذو نواس غريقا في البحر واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الاميران أرياط وأبرهة فاختلفا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا فقال أحدهما للآخر انه لا حاجة بنا الى اصطلام الجيشين بيننا ولكن ابرز الي وأبرز اليك فأينا قتل الآخر استقل بعده بالملك فأجابه الى ذلك فتبارزا وخلف كل واحد منهما قناة فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف فشرم أنفه وفمه وشق وجهه وحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله ورجع أبرهة جريحا فداوى جرحه فبرأ واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن فكتب اليه النجاشي يلومه على ما كان منه ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده ويجز ناصيته فأرسل اليه أبرهة يترقق له ويصانعه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه من تراب اليمن وجز ناصيته فأرسلها معه ويقول في كتابه ليطأ الملك على هذا الجراب فيبر قسمه وهذه ناصيتي قد بعثت بها اليك فلما وصل ذلك اليه أعجبه منه ورضي عنه وأقره على عمله وأرسل أبرهة يقول للنجاشي اني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء عالية الفناء أي مزخرفة الارجاء سمتها العرب القليس لارتفاعها لان الناظر اليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها وعزم أبرهة الاشرم على أن يصرف حج العرب اليها كما يحج الى الكعبة بمكة ونادى بذلك في مملكته فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا حتى قصدها بعضهم وتوصل الى أن دخلها ليلا فأحدث فيها وكر راجعا فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره الى ملكهم أبرهة وقالوا له انما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذي ضاهيت هذا به فأقسم أبرهة ليسيرن

الى بيت مكة وليخرب به حجراحجرا وذكر مقاتل بن سليمان ان فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارا وكان يوما فيه هواء شديد فاحرقته وسقطت الى الارض فتأهب أبرهة لذلك وصار في جيش كثيف عرمرم لئلا يصده أحد عنه واستصحب معه فيلا عظيما كبيرا الجثة لم ير مثله يقال له محمود وكان قد بعثه اليه النجاشي ملك الحبشة لذلك ويقال كان معه أيضا ثمانية أفيال وقيل اثناعشر فيلا غيره فالله أعلم يعني ليهدم به الكعبة بان يجعل السلاسل في الاركان وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جدا ورأوا ان حقا عليهم المحاجبة دون البيت ورد من أراده بكيد

أي عليكم بشأن العبودية وما خلقتم لاجله وأمرتم به وكلوا أمور الربوبية الغيبية الى صاحبها فلا عليكم بشأنها ونظيره الرزق المقسوم مع الامر بالكسب والاجل المضروب في العمر مع المعالجة بالطب فانك تجد المغيب فيهما علة موجبة والظاهر البادي سببا مخيلا وقد اصطلح الناس خاصتهم وعامتهم على أن الظاهر فيهما لا يترك بسبب الباطن قاله الكرخي (وما) أي لا (يغني عنه) شيأ (ماله) الذي بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه منه الى آخرته التي هي موضع فقره وحاجته شيء أو أي شيء يغني عنه (اذا تردى) أي هلك يقال ردى الرجل يردى ردى وتردى يتردى اذا هلك وقال قتادة وأبو صالح وزيد بن أسلم اذا تردى اذا سقط في جهنم يقال ردى في البئر وتردى اذا سقط فيها ويقال ما أدرى اين ردى أي أين ذهب وجملة (ان علينا للهدى) مستأنفة مقررة لما قبلها أي ان علينا البيان بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة قال الزجاج علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال أي وقد فعلنا ذلك بما الامر بدعليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا قال قتادة على الله البيان بيان حرامه وطاعته ومعصيته قال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله لقوله وعلى الله قصد السبيل يقول من أراد الله فهو على السبيل القاصد قال الفراء أيضا المعنى ان علينا للهدى والاضلال فحذف الاضلال كقوله سرابيل تقيكم الحر أي والبرد وقيل المعنى ان علمنا ثواب هداه الذي هديناه والاول أولى (وان لنا للآخرة والاولى) أي لنا كل ما في الآخرة وكل ما في الدنيا نتصرف به كيف نشاء فمن أرادهما أو أحدهما فليطلب ذلك منا وقيل المعنى ان لنا ثواب الآخرة وثواب الدنيا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق (فأنذرتكم نارا تلظى) أي حذرتكم وخوفتكم نارا تتوقد وتتوهج وأصله تتلظى فحذفت احدى التاءين تخفيفا وقرئ على الاصل (لا يصلاها) صليا لازما على جهة الخلود (الا الاشقى) وهو الكافر وان صليها غيره من العصاة فليس صليه كصليه والمعنى يدخلها أو يجد صليها وهو حرها ثم وصف الاشقى فقال (الذي كذب وتولى) أي كذب بالحق الذي جاءت به الرسل وأعرض عن الطاعة والايمان قال الفراء الا الاشقى الا من كان شقيا في علم الله جل ثناؤه وقال أيضا لم يكن كذب برد ظاهر ولكنه قصر عما أمر به من الطاعة فجعل تكذيبا كما تقول لقي فلان العدو فكذب اذا نكل ورجع عن

فخرج اليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريده من هدمه وخرابه فاجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم لما يريده الله عز وجل من كرامة البيت وتعظيمه وأسر ذو نفر فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى اذا كان بارض خثعم اعترض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه وشهدان وناهس فقاتلوه فهزمهم أبرهة وأسر نفيل بن حبيب فاراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز فلما اقترب من أرض الطائف خرج اليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذي عندهم الذي يسمونه اللات فاكرمهم وبعثوا معه أبارغال دليلا فلما انتهى أبرهة الى المغمس وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الابل وغيرها فاخذوه وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب وكان الذي أغار على السرح بامر أبرهة أمير المقدمة وكان يقال له الاسود بن

مقصود فهجاه بعض العرب فما ذكره ابن اسحق وبعث أبرهة حناطة الحميري الى مكة وأمره أن يأتيه باشرف قريش وان يخبره ان الملك لم يجئ لقتالكم الا أن تصدوه عن البيت فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه ولا لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فاذهب معي اليه فذهب معه فلما رآه أبرهة أجله وكان عبد المطلب رجلا جسيما حسن المنظر ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط وقال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال للترجمان ان حاجتي أن يرد على الملك

الا جنبت عنا يا ردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا ردينة لو رأيت ولا تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت أمري * ولم تأسى على مافات بينا حمدت الله اذ أبصرت طيرا * وخفت حجاره تلقى علينا
فكل القوم تسأل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

وذكر الواقدي باسناده انهم لما تعبوا للدخول الحرم وهيؤا الفيل جعلوا لا يصرفونه الى جهة من سائر الجهات الا ذهب فيها فاذا
وجهوه الى الحرم ربض وصاح وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على
دخول الحرم وطال الفصل فى ذلك هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة فيهم المطعم بن عدى وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومسعود بن عمرو الثقفى على حراء ينظرون الى ما الحبشة يصنعون وما ذا يلقون من أمر الفيل وهو العجب العجاب فبينما هم كذلك اذ بعث الله عليهم طيرا أبابيل أى قطعا قطعا صفرا دون الحمام وأرجلها حمر ومع كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت فحلقت عليهم وأرسلت تلك الاحجار عليهم فهلكوا وقال محمد بن اسحق جاؤا بفيلين فاما محمود فربض وأما الآخر فشجع فحصب وقال وهب ابن منبه كان معهم فيلة فاما محمود وهو فيل الملك فربض ليقتدى به بقية الفيلة وكان فيها فيل تشجع فحصب فهربت بقية الفيلة وقال عطاء بن يسار وغيره ليس كلهم أصابه العذاب فى الساعة الراهنة بل منهم من هلك سريعا ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون وكان أبرهة ممن تساقط عضوا عضوا حتى مات ببلاد خثعم وقال ابن اسحق فخرجوا يتساقطون

والاتقى على كل متصف بالصفتين المذكورتين ويكون المعنى انه لا يصلاها صليا تاما لازما الا الكامل فى الشقاء وهو الكافر ولا يجنبها ويبعد عنها تبعيدا كاملا بحيث لا يحوم حولها فضلا عن ان يدخلها الا الكامل فى التقوى فلا ينافى هذا دخول بعض العصاة من المسلمين النار دخولا غير لازم ولا تبعيد بعض من لم يكن كامل التقوى عن النار تبعيدا غير بالغ مبلغ تبعيد الكامل فى التقوى عنها والحاصل ان من تمسك من المرجئة بقوله لا يصلاها الا الاشقى زاعما ان الاشقى الكافر لانه الذى كذب وتولى ولم يقع التكذيب من عصاة المسلمين فيقال له فماذا تقول فى قوله وسيجنبها الاتقى فانه يدل على انه لا يجنب النار الا الكامل فى التقوى فمن لم يكن كاملا فيها كعصاة المسلمين لم يكن ممن يجنب النار فان أولت الاتقى بوجه من وجوه التأويل لزمك مثله فى الاشقى فخذ اليك هذه مع تلك وكن كما قال الشاعر

على انى راض بان أحمل الهوى * وأخرج منه لا علىّ ولا ليا

وقيل اراد بالاشقى والاتقى الشقى والتقى كما قال طرفة بن العبد

تمنى رجال ان أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها باوحد

أى بواحد ولا يخفاك انه ينافى هذا وصف الاشقى بالتكذيب فان ذلك لا يكون الا من الكافر فلا يتم ما أراده قائل هذا القول من شمول الوصفين لعصاة المسلمين عن عروة ان أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها وزنيرة وأم عيسى وأمة بنى المؤمل وفيه نزلت وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة أخرجه ابن أبى حاتم وفى الباب روايات ثم ذكر سبحانه صفة الاتقى فقال (الذى يؤتى ماله) أى يعطيه ويصرفه فى وجوه الخير وقوله (يتزكى) فى محل نصب على الحال من فاعل يؤتى أى حال كونه يطلب أن يكون عند الله زكيا لا يطلب رياء ولا سمعة ويجوز ان يكون بدلا من يؤتى داخلا معه فى حكم الصلة قرأ الجمهور يتزكى مضارع تزكى وقرأ على بن الحسين رضى الله عنهما بادغام التاء فى الزاى (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) قال أبو السعود أى من شأنها ان تجازى وتكافأ والجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها من كون التزكى على جهة الخلوص غير مشوب بشائبة تنافى الخلوص أى ليس ممن يتصدق بماله ليجازى بصدقته نعمة لاحد من الناس عنده ويكافئه عليها وانما يبتغى بصدقته وجه الله تعالى

بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره من قلبه فيما يزعمون وذكر مقاتل بن سليمان ان قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم وما كان معهم وان عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة انه حدث أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بارض العرب ذلك العام وانه أول ما روى به مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام وهكذا روى عن عكرمة من طريق جيد قال ابن اسحق فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان فيما يعدده على قريش من نعمته عليهم وفضله

ماردعنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وارسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول لئيلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أى لئلا يغير شيأ من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه قال ابن هشام الابابيل الجماعات ولم تتكلم العرب بواحدة قال وأما السجيل فاخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة انه عند العرب الشديد الصلب قال وذكر بعض المفسرين انهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وانما هو سنك وكل يعنى بالسنك الحجر والكل الطين يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين قال والعصف ورق الزرع الذى لم يقصب واحدته عصفة انتهى ماذكره وقد قال حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله وأبو سلمة عن عبد الرحمن طيرا أبابيل قال الفرق وقال ابن عباس والضحاك أبابيل يتبع بعضها بعضا وقال الحسن البصرى وقتادة الابابيل الكثيرة وقال مجاهد أبابيل شتى متتابعة مجتمعة وقال ابن زيد الابابيل المختلفة تأتى من ههنا ومن ههنا أتتهم من كل مكان وقال الكسائى سمعت بعض النحويين يقول واحد الابابيل ابيل وقال ابن جرير حدثنى عبد الاعلى حدثنى داود عن ابن عبد الله اسحق بن الحرث بن نوفل انه قال فى قوله تعالى وأرسل عليهم طيرا أبابيل هى الاقاطيع كالابل المؤبلة وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس وأرسل عليهم طيرا أبابيل قال لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كاكف الكلاب وحدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله تعالى طيرا أبابيل قال كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع وحدثنا ابن بشار كثير حدثنا ابن مهدى عن سفيان عن الاعمش عن أبى سفيان عن عبيد بن عمير طيرا أبابيل قال هى طير سود بحرية فى مناقيرها وأظافيرها الحجارة وهذه اسانيد صحيحة وقال سعيد بن جبير كانت طيرا خضرا لها مناقير صفر تختلف عليهم وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء كانت الطير الابابيل مثل التى يقال لها عنقاء مغرب ورواه عنهم ابن أبى حاتم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن محمد بن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم

ومعنى الآية انه ليس لاحد من الناس عنده نعمة من شأنها ان يجازى عليها حتى يقصد بايتاء ما يؤتى من ماله مجازاتها وانما قال تجزى مضارعا مبنيا للمفعول لاجل الفواصل والاصل يجزيه اياه أو يجزيه اياها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) قرأ الجمهور بالنصب على الاستثناء المنقطع لعدم اندراجه تحت جنس النعمة أى لكن ابتغاء وجه ربه ويجوز أن يكون منصوبا على انه مفعول له على المعنى أى لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة قال الفراء هو منصوب على التأويل أى ما أعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله وقرئ بالرفع على البدل من محل نعمة لان محلها الرفع اما على الفاعلية واما على الابتداء أو من مزيدة والرفع لغة تميم لانهم يجوزون البدل فى المنقطع فى غير الايجاب ويجرونه مجرى المتصل قال مكى وأجاز الفراء الرفع فى ابتغاء على البدل من موضع نعمة وهو بعيد قلت كانه لم يطلع عليها قراءة واستبعاده هو البعيد فانها لغة فاشية وقرأ الجمهور أيضا ابتغاء بالمد وقرئ بالقصر والاعلى نعت للرب (ولسوف يرضى) اللام هى الموطئة للقسم أى وتالله لسوف يرضى بما نعطيه من الكرامة والجزاء العظيم وهو وعد من الكريم تعالى لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجلها اذ به يتحقق الرضا قاله أبو السعود قرأ الجمهور يرضى مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول من أرضاه الله وهو قريب من قوله تعالى فى آخر طه لعلك ترضى وترضى

(سورة الضحى هى احدى عشرة آية وهى مكية بلا اخلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الشعب من طريق أبى الحسن المقرى قال سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسمعيل بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره مجاهد ان ابن عباس أمره بذلك وأخبره ابن عباس ان أبى بن كعب أخبره بذلك وأخبره أبى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمره بذلك وأبو الحسن المقرى المذكور هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزة المقرى قال ابن كثير فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن المقرى وكان اماما فى القرا آت وأما فى الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازى وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العقيلى قال هو منكر الحديث قال ابن

كثير ثم اختلف القراء فى موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر الليل اذا يغشى وقال آخرون من آخر الضحى وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر ومنهم من يقول الله أكبر لا اله الا الله الله أكبر وذكروا فى مناسبة التكبير من أول الضحى أنه لما تأخر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى اليه والضحى كبر فرحا وسرورا ولم يرووا ذلك باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن جندب البجلى قال اشتكى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك لم يقربك ليلتين أو ثلاثا فأنزل الله والضحى وعن جندب قال أبطأ جبريل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت ما ودعك وعنه قال احتبس جبريل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالت بعض بنات عمه ما أرى صاحبك الا قد قلاك فنزلت والضحى وقيل فى سبب نزولها غير ذلك وما ذكرناه هو الاولى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) المراد بالضحى هنا النهار كله لقوله والليل اذا سجى فلما قابل الضحى بالليل دل على ان المراد به النهار كله لا بعضه وهو فى الاصل اسم لوقت ارتفاع الشمس كما تقدم فى قوله والشمس وضحاها وعلى هذا يكون فى الكلام مجاز من اطلاق اسم الجزء وارادة الكل والظاهر ان المراد به الضحى من غير تعيين وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى الذى كلم الله فيه موسى والمراد بقوله الآتى والليل اذا سجى ليلة المعراج وقيل المراد بالضحى هو الساعة التى خر فيها السحرة سجدا كما فى قوله وان يحشر الناس ضحى وقيل المقسم به مضاف مقدر كما تقدم فى نظائره أى ورب الضحى وقيل تقديره وضحاوة الضحى ولا وجه لهذا فلله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه وقيل الضحى نور الجنة والليل ظلمة النار وقيل الضحى نور قلوب العارفين والليل سواد قلوب الكافرين والاول أولى وقدم هنا الضحى على الليل وفى السورة قبلها قدم الليل لان لكل منهما أثرا فى صلاح العالم وللليل فضيلة السبق ولنهار فضيلة النور فقدم هذا تارة وهذا أخرى أو أنه قدم الليل فى سورة أبى بكر لان أبا بكر سبقه كفر وقدم الضحى فى سورة محمد لانه

طيرا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين فى رجليه وحجرا فى منقاره قال فجاءت حتى صفت على رؤسهم ثم صاحت وألقت ما فى أرجلها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل الا خرج من دبره ولا يقع على شئ من جسده الا خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فاهلكوا جميعا وقال السدى عن عكرمة عن ابن عباس حجارة من سجيل قال طين فى حجارة وقد قدمنا بيان ذلك بما اغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول قال سعيد بن جبير يعنى التبن الذى تسميه العامة الهبور وعنه فى رواية عن سعيد ورق الحنطة وعنه ايضا العصف التبن والمأكول القصيل يجذ للدواب وكذلك قال الحسن البصرى وعن ابن عباس العصف القشرة التى على الحبة كالغلاف على الحنطة وقال ابن زيد العصف ورق الزرع وورق البقل اذا أكلته البهائم فراثته فصار دريا والمعنى ان الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرا وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر الا وهو جريح كما جرى لملكهم أبرهة فانه انصدع صدره عن قلبه حين وصل الى بلده صنعاء وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات فملك بعده ابنه يكسوم ثم من بعده أخوه مسروق بن ابرهة ثم خرج سيف بن ذى يزن الحميرى الى كسرى فاستغاثه على الحبشة فانفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه فرد الله اليهم ملكهم وما كان فى آبائهم من الملك وجاءته وفود العرب للتهنئة وقد قال محمد بن اسحق حدثنا عبد الله بن أبى بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان ورواه الواقدى عن عائشة مثله ورواه عن أسماء بنت أبى بكر انها قالت كانا مقعدين يستطعمان الناس عند اساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم قلت كان اسم قائد الفيل انيسا وقد ذكر الحافظ ابو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن عثمان بن المغيرة قصة اصحاب الفيل ولم يذكر ان ابرهة قدم من اليمن وانما بعث على الجيش رجلا يقال له شمس بن مقصود وكان الجيش عشرين الفا وذكر ان الطير طرقتهم ليلا فاصبحوا صرعى وهذا السياق غريب جدا وان كان ابو نعيم قد قواه ورجحه على غيره والصحيح ان ابرهة الاشرم الحبشى قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والاشعار وهكذا رواه ابن لهيعة عن الاسود عن عروة أن ابرهة بعث الاسود بن

نو رمحض ولم يتقدمه ذنب ولم يفصل بين السورتين اشارة الى أنه لا واسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر قلت هذه الاقوال من قبيل لطائف النكات وليس من تفسير كتاب الله في شئ (والليل اذا سجى) أى سكن كذا قال قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة وغيرهم يقال ليلة ساجية أى ساكنة ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية يقال سجا الشئ يسجو سجوا اذا سكن قال عطاء اذا سجا اذا غطى بالظلمة وروى ثعلب عن ابن الاعرابى سجا امتد ظلامه وقال الاصمعى سجو الليل تغطيته النهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب وقال الحسن غشى بظلامه كل شئ وقال سعيد بن جبير أقبل وقال مجاهد أيضا استوى والاول أولى وعليه جمهور المفسرين وأهل اللغة ومعنى سكونه استقرار ظلامه واستواؤه فلا يزاد بعد ذلك وقال ابن عباس اذا أقبل وعنه قال اذا ذهب (ماودعك ربك) أى ما تركك قاله ابن عباس وهذا جواب القسم أى ما قطعك قطع المودع قرأ الجمهور بتشديد الدال من التوديع وهو توديع المفارق وقرئ بتخفيفها من قولهم ودعه أى تركه والتوديع أبلغ من الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك قال المبرد لا يكادون يقولون ودع ولا وزر لضعف الواو اذا قدمت واستغنوا عنها بترك قال أبو عبيدة ودعك من التوديع كما يودع المفارق وقال الزجاج لم يقطع الوحى والتوديع مستعار استعارة تبعية للترك فان الوداع انما يكون بين الاحباب ومن تعز مفارقته وهذه الحقيقة لا تتصور هنا (وماقلى) أى ما أبغضك قاله ابن عباس والقلاء البغض يقال قلاه يقليه قلاء وقال وما قلى ولم يقل وما قلاك لموافقة رؤس الآى (وللآخرة خير لك من الاولى) اللام جواب قسم محذوف أى الجنة خير لك من الدنيا مع انه صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتى فى الدنيا من شرف النبوة ما يصغر عنده كل شرف وتتضاءل بالنسبة اليه كل مكرمة فى الدنيا ولكنها لما كانت الدنيا باسرها مشوبة بالاكدار منغصة بالعوارض البشرية وكانت الحياة فيها كاحلام نائم أو كظل زائل لم تكن بالنسبة الى الآخرة شيأ ولما كانت طريقا الى الآخرة وسببا لنيل ما أعده الله لعباده الصالحين من الخير العظيم بما يفعلونه فيها من الاعمال الموجبة للفوز بالجنة كان فيها خير فى الجملة من هذه الحيثية وانما قيد بقوله لك لانها ليست خيرا لكل أحد قال البقاعى ان الناس على أربعة أقسام منهم من له الخير فى الدارين وهم أهل الطاعة الاغنياء ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء

مقصود على كتيبة معهم الفيل ولم يذكر قدوم ابرهة نفسه والصحيح قدومه ولعل ابن مقصود كان على مقدمة الجيش والله اعلم ثم ذكر ابن اسحق شيأ من اشعار العرب فيما كان من قصة اصحاب الفيل فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبعرى

تنكلوا عن بطن مكة انها * كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالى حرمت * اذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى * فلسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤبوا أرضهم * بل لم يعش بعد الاياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم * والله من فوق العباد يقيمها

وقال أبو قيس بن الاسلت الانصارى المدنى

ومن صنعه يوم فيل الحبو
ش اذ كل ما بعثوه رزم
محاجنهم تحت أقرابه
وقد شرموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه مغولا
اذا يمموه قفاه كلم
فولى وأدبر أدراجه
وقد باء بالظلم من كان ثم
فارسل من فوقهم حاصبا
يلفهم مثل لف القزم
يحض على الصبر أحبارهم
وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

وقال أبو الصلت بن ابى ربيعة الثقفى ويروى لأمية بن أبي الصلت ابن أبى ربيعة

ان آيات ربنا باقيات
ما يمارى فيهن الا الكفور
خلق الليل والنهار فكل
مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم
بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى
صار يحبو كانه معقور
لازما حلقه الجران كما قط
طر فى ظهر كبكب محدور
حوله من ملوك كندة أبطال * ملاويث فى الحروب صقور
كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفة بور

ومنهم وقد قدمنا فى تفسير سورة الفتح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اطل يوم الحديبية على الثنية التى تهبط به على قريش بركت ناقته فزجروها فالحت فقالوا خلأت القصواء أى حرنت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لا يسألونى اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أجبتهم اليها ثم زجرها

فقامت والحديث من افراد البخاري وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس ألا فليبلغ الشاهد الغائب آخر تفسير سورة الفيل ولله الحمد والمنة *(تفسير سورة لايلاف قريش وهي مكية)* ذكر حديث غريب في فضلها قال البيهقي في كتاب الخلافيات حدثنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو حدثنا احمد بن عبيد الله المديني حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا ابراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل حدثني عثمان بن عبد الله بن ابي عبيد عن سعيد بن عمرو بن

جعدة بن هبيرة عن ابيه عن جدته ام هانئ بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خلال اني فيهم وان النبوة فيهم والحجابة والسقاية فيهم وان الله نصرهم على الفيل وانهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبده غيرهم وان الله انزل فيهم سورة من القرآن ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الامام كتبوا بينهما سطرا بسم الله الرحمن الرحيم وان كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن اسحق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم لان المعنى عندهما حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله لايلاف قريش

ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم الفقراء المؤمنون ذكره الخطيب وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرض علي ما هو مفتوح لامتي بعدي فانزل الله وللآخرة خير لك من الاولى أخرجه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الدلائل وعنه قال عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هو مفتوح على أمته من بعده فسر بذلك فانزل الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قيل هي لام الابتداء دخلت على الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وليست للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وقيل هي للقسم قال أبو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التأكيد فكأنه قال ولنعطينك أي ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لما في التأخير من المصلحة قيل والمعنى ولسوف يعطيك ربك الفتح في الدنيا والثواب في الآخرة فترضى وقال البيضاوي هذا وعد شامل لما أعطاه له من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه وقيل الحوض والشفاعة في الامة وقيل ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك وبه قال ابن عباس وزاد في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم وعنه قال رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة وأخرج ابن جرير عنه قال من رضا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وأخرج الخطيب في التلخيص من وجه آخر عنه قال لا يرضى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وواحد من أمته في النار ويدل على هذا ما أخرجه مسلم عن ابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول الله في ابراهيم فمن تبعني فانه مني وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك وأخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال قلت لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي قال اي والله حدثني محمد بن الحنفية عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اشفع لامتي حتى يناديني ربي أرضيت يا محمد فاقول نعم يا رب رضيت ثم أقبل علي فقال انكم تقولون يا معشر أهل العراق ان أرجى آية في كتاب

أي لاتئلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام في المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون الى بلدهم آمنين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله فمن عرفهم احترمهم بل من صوفي اليهم وسار معهم أمن بهم هذا حالهم في اسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم وأما في حال اقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولهذا قال تعالى لايلاف قريش ايلافهم بدل من الاول ومفسر له ولهذا قال تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف وقال ابن

جرير الصواب ان اللام لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لايلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك قال وذلك لاجماع المسلمين على انهما سورتان منفصلتان مستقلتان ثم أرشدهم الى شكر هذه النعمة العظيمة فقال فليعبدوا رب هذا البيت أي فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما كما قال تعالى قل انما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت ان أكون من المسلمين وقوله تعالى الذي أطعمهم من جوع أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أي تفضل عليهم بالامن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا ولهذا من استجاب لهذا الامر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ومن عصاه سلبهما منه كما قال تعالى ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن عمرو العدني حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لكم قريش لايلاف قريش ثم قال حدثنا أبي حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني حدثنا عيسى يعني ابن يونس عن عبيد الله ابن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسماء بنت يزيد ابن السكن أم سلمة الانصارية رضي الله عنها فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية والله أعلم

آخر تفسير لايلاف قريش ولله الحمد والمنة

(تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون) يقول تعالى أرأيت يا محمد الذي يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب فذلك الذي يدع اليتيم أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن اليه ولا يحض على طعام المسكين

الله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قلت انا لنقول ذلك قال فكنا أهل البيت نقول ان أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى أخرجه ابن أبي شيبة وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من جلد الابل فلما نظر اليها قال يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا بنعيم الآخرة فأنزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى أخرجه العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار وقيل في الآية غير ذلك والظاهر انه سبحانه يعطيه ما يرضى به من خيري الدنيا والآخرة ومن أهم ذلك عنده وأقدمه قبول شفاعته لامته (ألم يجدك يتيما) هذا شروع في تعداد ما أفاضه الله سبحانه عليه من النعم الثلاث والقصد من تعداد هذه النعم تقوية قلبه صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف قوله تعالى ألم نربك فينا وليدا لانه في معرض الذم ثم أمره بعد ذلك أن يذكر نعم ربه كأنه قال له فالطريق في حقك أن تفعل مع عبيدي مثل ما فعلت في حقك والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على أبلغ وجه فكأنه قال قد وجدك يتيما والوجود بمعنى العلم وقيل بمعنى المصادفة والمعنى وجدك يتيما لا أب لك قبل ولادتك أي بعد حمله بشهرين وهو الارجح وقيل غير ذلك والتفصيل في المواهب وشرحه وكانت وفاة أبيه بالمدينة ودفن في دار التابعة وقيل بالابواء من أعمال الفرع وتوفيت أمه وهو ابن أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان أو تسع أو ثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة أيام وكانت وفاتها بالابواء وقيل بالحجون ومات جده وهو صلى الله عليه وآله وسلم ابن ثمان (فآوى) أي جعل لك مأوى تأوي اليه قرأ الجمهور فآوى بالالف بعد الهمزة رباعيا من آواه يؤويه وقرئ ثلاثيا وهو اما بمعنى الرباعي أو هو من أوى له اذا رحمه وعن مجاهد قال معنى الآية ألم يجدك واحدا في شرفك لا نظير لك فآواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوطونك فجعل يتيما من قولهم درة يتيمة وهو بعيد جدا (ووجدك ضالا فهدى) معطوف على المضارع المنفي وقيل على ما يقتضيه الكلام الذي قبله كما ذكرنا أي قد وجدك يتيما الخ والضلال هنا بمعنى الغفلة كما في قوله لا يضل ربي ولا ينسى وكما في قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين والمعنى انه وجدك غافلا عما يراد بك من أمر النبوة واختار

هذا

كما قال تعالى كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته ثم قال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال ابن عباس وغيره يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر ولهذا قال للمصلين الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون اما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس واما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قاله مسروق وأبو الضحى وقال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم ساهون واما عن وقتها الاول فيؤخرونها الى آخره دائما أو غالبا واما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به واما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ يشمل ذلك كله ولكن من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملي كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى كما ثبت به النص الى آخر وقتها وهو وقت كراهة ثم قام اليها فنقرها نقر الغراب لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا ولهذا قال لا يذكر الله فيها الا قليلا ولعله انما حمله على القيام اليها مراآة الناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما اذا لم يصل بالكلية قال الله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى ههنا الذين هم يراؤن

وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد ربه البغدادي حدثني أبي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن يونس عن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله وللمصدق في غير ذات الله وللحاج الى بيت الله وللخارج في سبيل الله وقال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوسا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبي يزيد سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره ورواه أيضا

هذا الزجاج وقيل معنى ضالا لم تكن تدري القرآن ولا الشرائع فهداك لذلك يعني ليس المراد به الانحراف عن الحق فهذا كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان تأمل وقال الكلبي والسدي والفراء وجدك في قوم ضلال فهداهم الله بك أو فهداك الى ارشادهم أو ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة فهداك الله تعالى اليها وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فذكرك كقوله تعالى أن تضل احداهما وقيل وجدك طالبا للقبلة فهداك اليها كما في قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ويكون الضلال بمعنى الطلب لان الضال طالب وقيل وجدك ضائعا في قومك فهداك اليهم ويكون الضلال بمعنى الضياع وقيل وجدك محبا للهداية فهداك اليها ويكون الضلال بمعنى المحبة كقوله تعالى انك لفي ضلالك القديم وقيل وجدك ضالا في شعاب مكة فهداك أي ردك الى جدك عبد المطلب وعن ابن عباس قال وجدك بين الضالين فاستنقذك من ضلالتهم وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع في باطل فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم من أول حاله الى نزول الوحي عليه معصوما من عبادة الاوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان وقيل ضالا نفسك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وأنت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقيل معناه لا أحد على دينك بل أنت وحيد ليس معك أحد فهديت بك الخلق وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره وفيه بعد وأيضا يأباه النظم الكريم وعندي ان الضلال والهدى عامان في هذه الآية فيشملان كل نوع من أنواع الضلالة والهداية بعد الكفر والشرك لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (ووجدك عائلا فأغنى) اي وجدك فقيرا لا مال لك فأغناك يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر قال الكلبي فأغنى أي رضاك بما أعطاك من الرزق واختار هذا الفراء قال لانه لم يكن غنيا من كثرة ولكن الله سبحانه رضاه بما آتاه وذلك حقيقة الغنى وقيل باعانة الانصار حين الهجرة وقيل فأغنى بما فتح لك من الفتوح والغنائم وفيه نظر لان السورة مكية وقيل بمال خديجة بنت خويلد وتربية أبي طالب أولا وبمال أبي بكر ثانيا وقيل وجدك فقيرا من الحجج والبراهين فأغناك بها

عن غندر ويحيى القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ومما يتعلق بقوله تعالى الذين هم يراؤن ان من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك ان هذا لا يعد رياء والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا هرون بن معروف حدثنا مخلد بن يزيد حدثنا سعيد بن بشير حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت أصلي فدخل علي رجل فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كتب لك أجران أجر السر وأجر العلانية قال أبو علي

هرون بن معروف بلغني أن ابن المبارك قال نعم الحديث للمرائين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وسعيد بن بشير متوسط وروايته عن الاعمش عزيزة وقد رواه غيره عنه قال أبو يعلى أيضا حدثنا محمد ابن المثنى بن موسى حدثنا أبو داود حدثنا أبو سنان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل يسره فاذا اطلع عليه أعجبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له أجران أجر السر وأجر العلانية وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثنى وابن ماجه عن بندار كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان الشيباني واسمه ضرار ابن مرة ثم قال الترمذي غريب وقد رواه الاعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح مرسلا وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثني أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان النحوي عن جابر الجعفي حدثني رجل عن أبي برزة الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية الذين هم عن صلاتهم ساهون قال الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي ان صلى لم يرج خير صلاته وان تركها لم يخف ربه فيه جابر الجعفي وهو ضعيف ولا وشيخه مبهم لم يسم والله أعلم وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن أبان المصري حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن ابراهيم حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعا أو تأخيرها عن أول الوقت وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن عكرمة بن ابراهيم به ثم رواه عن

وفيه بعد قرأ الجمهور عائلا وقرئ عيلا بزنة سيد عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سألت ربي مسئلة وددت اني لم أكن سألته قلت قد كانت قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى فقال تعالى يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك ألم أجدك ضالا فهديتك ألم أجدك عائلا فأغنيتك ألم أشرح لك صدرك ألم أضع عنك وزرك ألم أرفع لك ذكرك قلت بلى يارب أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر وأخرج ابن مردويه عنه قال لما نزلت والضحى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمن علي ربي وأهل أن يمن ربي ثم أوصاه سبحانه باليتامى والفقراء فقال (فأما اليتيم فلا تقهر) أي لا تقهره بوجه من وجوه القهر كائنا ما كان قال مجاهد لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما قال الاخفش لا تسلط عليه بالظلم ادفع اليه حقه واذكر يتمك قال الفراء والزجاج لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذا كانت العرب تفعل في حق اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحسن الى اليتيم ويبره ويوصي باليتامى قرأ الجمهور فلا تقهر بالقاف وقرئ بالكاف والعرب تعاقب بين القاف والكاف قال النحاس انما يقال كهره اذا اشتد عليه وغلظ وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر قال أبو حيان هي لغة يعني قراءة الكاف مثل قراءة الجمهور وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما أخرجه البخاري وفي الباب أحاديث واليتيم منصوب بتقهر وبه استدل ابن مالك على انه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل ألا ترى ان اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجازم ولو قدمت تقهر على لا امتنع لان المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على جاره قاله السمين (وأما السائل فلا تنهر) يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره فهو نهي عن زجر السائل والاغلاظ له ولكن يبذل اليسير القليل أو يرده بالجميل قال الواحدي قال المفسرون يريد السائل على الباب يقول لا تنهره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما أن تطعمه واما ان ترده ردا لينا قال قتادة معناه رد السائل برحمة ولين وقيل المراد بالسائل طالب العلم والذي يسأل عن الدين فلا تنهره بالغلظة والجفوة وأجبه برفق ولين كذا قال سفيان والسائل منصوب بتنهر والتقدير مهما يكن من شئ فلا تقهر اليتيم

أبي الزبيع عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفا الهوا عنها حتى ضاق الوقت وهذا أصح اسنادا وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم وقوله تعالى ويمنعون الماعون أي لا احسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا الى خلقه حتى ولا باعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه اليهم فهؤلاء بمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى وقد قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال علي الماعون الزكاة وكذا رواه السدي عن أبي صالح عن علي وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفي والزهري والحسن وقتادة والضحاك وابن زيد قال الحسن البصري ان صلى رآى وان فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله وقال زيد بن أسلم هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها وخفيت الزكاة فمنعوها وقال الاعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار ان أبا العبيدين سأل عبد الله ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر وقال المسعودي عن سلمة عن أبي العبيدين انه سأل ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو واشباه ذلك وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الاحوص عن أبي اسحق عن أبي العبيدين وسعيد بن عياض عن عبد الله قال كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث ان الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغنى عنهن وحدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر ابن شميل أخبرنا شعبة عن ابي اسحق قال سمعت سعيد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثله وقال الاعمش عن ابراهيم عن الحرث بن سويد عن عبد الله انه سئل عن الماعون فقال ما يتعاوره الناس بينهم الفأس والدلو وشبهه وقال ابن جرير حدثنا عمر بن علي الفلاس حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال كنا مع نبينا صلى الله عليه وسلم ونحن نقول الماعون منع الدلو وأشباه ذلك وقد رواه أبو داود والنسائي عن قتيبة عن أبي عوانة باسناده نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال كل معروف صدقة كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الماعون العواري القدر والميزان والدلو وقال ابن أبي نجيح عن

ولا تنهر السائل وهذه النواهي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي نواه له ولامته صلى الله عليه وآله وسلم لانهم اسوته فكل فرد من أفراد هذه الامة منهي بكل فرد من أفراد هذه النواهي (وأما بنعمة ربك فحدث) أمر سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه واظهارها للناس واشهارها بينهم والظاهر النعمة على العموم من غير تخصيص بفرد من أفرادها أو نوع من أنواعها وقال مجاهد والكلبي المراد بالنعمة هنا القرآن قال الكلبي وكان القرآن أعظم ما أنعم الله به عليه فامره أن يقرأه قال الفراء وكان يقرؤه ويحدث به وقال مجاهد أيضا المراد بالنعمة النبوة التي أعطاه الله واختار هذا الزجاج فقال اي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي أعطاك الله وهي أجل النعم وقال مقاتل يعني اشكر ما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من الهدى بعد الضلالة وجبر اليتيم والاغناء بعد العيلة فاشكر هذه النعم والتحدث بنعمة الله شكر وهذا الامر له صلى الله عليه وآله وسلم هو أمر له ولامته لانهم اسوته في كل ما يأتي ويذر قال الحسن بن علي في الآية ما عملت من الخير وعنه قال اذا أصبت خيرا فحدث اخوانك وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند والبيهقي في الشعب والخطيب في المتفق قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من أبلي بلاء فذكره فقد شكره وان كتمه فقد كفره أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي والضياء وأخرج البخاري في الادب وأبو داود والضياء عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أعطى عطاء فوجد فليجز به فان لم يجد فليثن به فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط فانه كلابس ثوبي زور وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أولى معروفا فليكافئ به فان لم يستطع فليذكره فان من ذكره فقد شكره أخرجه أحمد والطبراني في الاوسط والبيهقي قال الكرخي والجار والمجرور متعلق بحدث والفاء غير مانعة من ذلك لانها كالزائدة والتحدث بها نشرها بالشكر والثناء عليه تعالى وقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر مقابل لقوله ألم يجدك يتيما فآوى وقوله وأما السائل الخ مقابل لقوله ووجدك عائلا فأغنى وأما قوله وأما بنعمة ربك الخ فجيء به على العموم وفي

مجاهد عن ابن عباس ويمنعون الماعون يعني متاع البيت وكذا قال مجاهد وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير وأبو مالك وغير واحد انها العارية للامتعة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال لم يجئ أهلها بعد وقال العوفي عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال اختلاف الناس في ذلك فمنهم من قال يمنعون الزكاة ومنهم من قال يمنعون الطاعة ومنهم من قال يمنعون العارية رواه ابن جرير ثم روى عن يعقوب بن ابراهيم عن ابن علية عن ليث بن أبي سليم عن أبي اسحق عن الحرث عن علي الماعون منع الناس الفأس والقدر والدلو (٣٠٢) وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن أبي حاتم وهذا الذي قاله عكرمة حسن فانه يشمل الاقوال كلها وترجع كلها الى شئ واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد بن كعب ويمنعون الماعون قال المعروف ولهذا جاء في الحديث كل معروف صدقة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن الزهري ويمنعون الماعون قال بلسان قريش المال وروى ههنا حديثا غريبا عجيبا في اسناده ومتنه فقال حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا قيس بن حفص الدارمي حدثنا دلهم بن دهثم العجلي حدثنا عائذ بن ربيعة النميري حدثني قرة بن دعموص النميري انهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما تعهد الينا قال لا تمنعوا الماعون قالوا يا رسول الله وما الماعون قال في الحجر وفي الحديدة وفي الماء قالوا فأي الحديدة قال قدوركم النحاس وحديد الفأس الذي تمتهنون به قالوا اما الحجر قال قدوركم الحجارة غريب جدا ورفعه منكر وفي اسناده من لا يعرف والله أعلم وقد ذكر ابن الاثير في الصحابة ترجمة علي النميري فقال روى ابن مانع بسنده الى عامر بن ربيعة بن قيس النميري عن علي بن فلان النميري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المسلم أخو المسلم اذا لقيه حياه بالسلام ويرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون قلت يا رسول الله ما الماعون قال الحجر والحديد وأشباه ذلك والله أعلم

آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الكوثر وهي مدنية وقيل مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*(انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس ابن مالك قال أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع رأسه متبسما اما قال لهم واما قالوا له لم ضحكت فقال رسول الله صلى

حكمة تأخير حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل وجوه احدها ان الله غني وهما محتاجان وتقديم المحتاج اولى وثانيها انه وضع في حظهما الفعل ورضي لنفسه بالقول وثالثها ان المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله فختمت به وأوثر فحدث على فخبر ليكون عنده حديثا لا ينساه

(سورة ألم نشرح هي ثمان آيات وهي مكية بلا خلاف)

عن عائشة قالت نزلت سورة ألم نشرح بمكة ومثله عن ابن عباس وزاد بعد الضحى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) معنى شرح الصدر فتحه باذهاب ما يصد عن الادراك والاستفهام التقريري اذا دخل على النفي قرره فصار المعنى قد شرحنا لك صدرك حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا عنهم بروحه وحاضرا معهم بجسده الشريف والمعنى ألم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل أو بما يسرنا لك من تلقي الوحي بعدما كان يشق عليك قال الراغب اصل الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهي وسكينة من جهة الله وروح منه وانما خص الصدر لانه محل احوال النفس من العلوم والادراكات وقيل لان الصدر محل الوسوسة كما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هي الشرح والقلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده الشيطان فيجيء أولا الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا نزل فيه هو وجنده وبث فيه الغموم والهموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا لم يجد له مسلكا وطرد حصل الأمن وانشرح الصدر وتيسر القيام باداء العبودية ولم يقل نشرح صدرك تنبيها على ان منافع الرسالة عائدة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كأنه يقول انما شرحنا صدرك لاجلك لا لاجلي والمراد الامتنان عليه صلى الله عليه وآله وسلم بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قام به من الدعوة وقدر على ما قدر عليه من حمل أعباء النبوة وحفظ الوحي وقد مضى القول في هذا عند تفسير قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قال ابن عباس في الآية شرح الله صدره للاسلام قرأ الجمهور نشرح بسكون الحاء بالجزم وبفتحها قرأ أبو جعفر المنصور العباسي قال الزمخشري قالوا لعله بين

الله عليه وسلم انه أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر حتى ختمها فقال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربى عز وجل فى الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فاقول يارب انه من أمتى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك هكذا رواه الامام أحمد بهذا الاسناد الثلاثى وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك وقد ورد فى صفة الحوض يوم القيامة انه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وان آنيته عدد نجوم السماء وقد روى هذا الحديث (٣٠٣) مسلم وأبو داود والنسائى من طريق على ابن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس ولفظ مسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فى المسجد اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يارسول الله قال لقد أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتى فيقول انك لا تدرى ما أحدث بعدك وقد استدل به كثير من القراء على ان هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على ان البسملة من السورة وانها منزلة معها فاما قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقد تقدم فى هذا الحديث انه نهر فى الجنة وقد رواه الامام احمد من طريق اخرى عن انس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن انس انه قرأ هذه الآية انا اعطيناك الكوثر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت الكوثر فاذا هو نهر يجرى ولم يشق شقا واذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدى فى تربته فاذا مسك أذفر واذا حصباؤه اللؤلؤ وقال الامام احمد أيضا حدثنا محمد بن ابى عدى عن حميد عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا انا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدى الى ما يجرى فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاكه الله عز وجل ورواه البخارى فى صحيحه ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر وهو لفظ

الحاء واشبعها فى مخرجها فظن السامع انه فتحها وقال ابن عطية ان الاصل الم نشرحن بالنون الخفيفة ثم ابدلها الفا ثم حذفها تخفيفا وهذا مبنى على جواز توكيد المجزوم بلم وهو قليل جدا وخرجها بعضهم على لغة بعض العرب الذين ينصبون بلم ويجزمون بلن وهذه ما أظنها تصح وان صحت فليست من اللغات المعتبرة فانها جاءت بعكس ما عليه لغة العرب باسرها وعلى كل حال فقراءة هذا الرجل مع شدة جوره ومزيد ظلمه وكثرة جبروته وقلة علمه ليست بحقيقة بالاشتغال بها (ووضعنا عنك وزرك) معطوف على معنى ما تقدم لا على لفظه اى قد شرحنا لك صدرك ووضعنا الخ والوزر الذنب اى وضعنا عنك ما كنت فيه من امر الجاهلية قال الحسن وقتادة والضحاك ومقاتل المعنى حططنا عنك الذى سلف منك فى الجاهلية وهذا كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان فى وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم ثم وصف هذا الوزر فقال (الذى انقض ظهرك) قال المفسرون اى ثقل ظهرك قال الزجاج اثقله حتى سمع له نقيض اى صوت وهذا مثل معناه انه لو كان حملا يحمل لسمع نقيض ظهره واهل اللغة يقولون انقض الحمل ظهر الناقة اذا سمع له صرير من شدة الحمل قال قتادة كان للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ذنوب قد أثقلته فغفرها الله له وقوم يذهبون الى ان هذا تخفيف اعباء النبوة التى تثقل الظهر من القيام بامرها سهل الله ذلك عليه حتى تيسرت له وكذا قال ابو عبيدة وغيره وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وقيل معناه عصمناك من الوزر الذى ينقض ظهرك ولو كان ذلك الوزر حاصلا قاله الرازى وفيه استعارة تمثيلية حيث سمى العصمة وضعا مجازا ثم ذكر سبحانه منته وكرامته عليه فقال (ورفعنا لك ذكرك) وزيادة لك فى الموضعين وعنك فى موضع تفيد ابهام المشروح والموضوع والمرفوع ثم توضيحه والايضاح بعد الابهام اوقع فى الذهن قال الحسن وذلك ان الله لا يذكر فى موضع الا ذكر صلى الله عليه وآله وسلم معه قال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادى فيقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله قال مجاهد يعنى بالتأذين وعبارة الخطيب تذكر معى فى الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة

البخاري رحمه الله وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل في السماء الدنيا فإذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فإذا هو مسك قال يا جبريل ما هذا النهر قال هو الكوثر الذي خبأ لك ربك وقد تقدم حديث الاسرا في سورة سبحان من طريق شريك عن أنس وهو مخرج في الصحيحين وقال سعيد عن قتادة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر (٣٠٢) حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف فقال الملك الذي معه أتدري ما هذا هذا الكوثر الذي أعطاك الله وضرب بيده الى أرضه فأخرج من طينه المسك وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعمر وهمام وغيرهم عن قتادة به قال ابن جرير حدثني أحمد بن أبي سريج حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا ابراهيم بن سعد حدثني محمد بن عبد الله بن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فقال هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر قال أبو بكر يا رسول الله انها لناعمة قال أكلها أنعم منها وقال احمد حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله ابن مسلم بن شهاب عن أنس ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال هو نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر قال عمر يا رسول الله انها لناعمة قال أكلها أنعم منها يا عمر ورواه ابن جرير من حديث الزهري عن أخيه عبد الله عن أنس انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فذكر مثله سواء وقال البخاري حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر قالت نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم ثم قال البخاري رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبي اسحق ورواه أحمد والنسائي من طريق مطرف به وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان واسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر في الجنة شاطئاه در مجوف وقال اسرائيل نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن سفيان

وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق الارض ومغاربها ولو أن رجلا عبد الله وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا انتهى وقيل المعنى ذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وعند المؤمنين في الارض ونرفع ذكرك في الآخرة بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات وجلائل المراتب قال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله والظاهر ان هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الامور فكل واحد منها من أسباب رفع الذكر وكذلك أمره بالصلاة والسلام عليه واخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا وكم من موضع في القرآن يذكر فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الله سبحانه من ذلك قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وأمر الله بطاعته صلى الله عليه وآله وسلم كقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وغير ذلك وبالجملة فقد ملأ ذكره الجليل السموات والارضين وجعل الله له من لسان الصدق والذكر الحسن والثناء الصالح ما لم يجعله لاحد من عباده وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد ما صلى عليه المصلون بكل لسان في كل زمان وما أحسن قول حسان رضي الله تعالى عنه

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أتاني جبريل فقال ان ربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله أعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي أخرجه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وقد روي بطرق وقال ابن عباس في الآية لا يذكر الله الا ذكر معه وفيه والذي يطوى به الذكر

الذكر الجميل ويبدأ (فان مع العسر يسرا) اى ان مع الضيقة سعة ومع الشدة رخاء ومع الكرب فرجا وفي هذا وعد منه سبحانه بان كل عسير يتيسر وكل شديد يهون وكل صعب يلين ومع بمعنى بعد وفي التعبير بها اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن عن انس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالسا وحياله حجر فقال لو دخل العسر هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله ان مع العسر يسرا الخ ولفظ الطبراني وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا واخرج الطبراني وابن مردويه عنه مرفوعا نحوه قال السيوطي وسنده ضعيف وعن ابن مسعود مرفوعا لو كان العسر في حجر لتبعه اليسر حتى يدخل فيه فيخرجه ولن يغلب عسر يسرين ان الله يقول ان مع العسر يسرا الخ اخرجه عبد الرازق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن ابى الدنيا في الصبر وابن المنذر والبيهقي في الشعب قال البزار لا نعلم رواه عن أنس الا عائذ بن شريح قال فيه أبو حاتم الرازى في حديثه ضعف ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن رجل عن ابن مسعود ثم زاد سبحانه هذا الوعد تقريرا وتوكيدا فقال مكررا له بلفظ (ان مع العسر يسرا) أى ان مع ذلك العسر المذكور سابقا يسرا آخر لما تقرر من انه اذا أعيد المعرف يكون الثانى عين الاول سواء كان المراد به الجنس أو العهد بخلاف المنكر اذا أعيد فانه يراد بالثانى فرد مغاير لما أريد بالفرد الاول في الغالب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معنى هذه الآية انه لن يغلب عسر يسرين قال الواحدى وهذا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والمفسرين على ان العسر واحد واليسر اثنان قال الزجاج ذكر العسر مع الالف واللام ثم ثنى ذكره فصار المعنى ان مع العسر يسرين قيل والتنكير في اليسر للتفخيم والتعظيم وهو في مصحف ابن مسعود غير مكرر وقرأ الجمهور بسكون السين في العسر واليسر في الموضعين وقرئ بضمها في الجميع وفيه خلاف هل هو أصل أو مثقل من المسكن وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فرحا مسرورا وهو يضحك و يقول لن يغلب عسر يسرين ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا أخرجه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي وهذا مرسل وروى نحوه مرفوعا مرسلا عن قتادة ولما عدد سبحانه عليه صلى الله عليه وآله وسلم نعمه السالفة ووعده بالنعم الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة فقال (فاذا فرغت فانصب)

أو مسروق قال قلت لعائشة يا أم المؤمنين حدثيني عن الكوثر قالت نهر في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازى عن ابن أبي نجيح عن عائشة رضى الله عنها قالت من أحب ان يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة وفي بعض الروايات عن رجل عنها ومعنى هذا انه يسمع نظير ذلك لا انه يسمعه نفسه والله أعلم قال السهيلى ورواه الدارقطنى مرفوعا من طريق مالك بن مغول عن الشعبى عن مسروق عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال البخارى حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال في الكوثر هو الخير الذى أعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد ابن جبير فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذى في الجنة من الخير الذى أعطاه الله اياه ورواه أيضا من حديث هشيم عن أبي بشر وعطاء بن السائب عن سعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما الكوثر الخير الكثير وقال الثورى عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير وهذا التفسير يعم النهر وغيره لان الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحارب بن دثار والحسن بن أبي الحسن البصرى حتى قال مجاهد هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة وقال عكرمة هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة وقد صح عن ابن عباس انه فسره بالنهر أيضا فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن

عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجرى على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل وروى العوفي عن ابن عباس نحو ذلك وقال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن بن عمر أنه قال الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجرى على الدر والياقوت ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وكذا رواه الترمذى عن ابن حميد عن جرير عن عطاء بن السائب به مثله موقوفا وقد روى مرفوعا فقال الامام أحمد حدثنا على بن حفص حدثنا ورقاء قال وقال عطاء عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به مرفوعا وقال الترمذي حسن صحيح وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب قال قال لي محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر قلت حدثنا عن ابن عباس انه قال هو الخير الكثير فقال صدق والله انه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال لما نزلت انا أعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت وقال ابن جرير حدثني ابن البرقي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حزام ابن عثمان عن عبد الرحمن الاعرج عن اسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة بن عبد المطلب يوما فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجار فقالت خرج يا نبي الله آنفا عامدا نحوك فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار أولا تدخل يا رسول الله فدخل فقدمت اليه حيسا فأكل منه فقالت يا رسول الله هنيأ لك ومريئا لقد جئت وانا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر فقال أجل وعرضه يعني أرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ حزام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض وهكذا روى عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف ان الكوثر نهر في الجنة وقال عطاء هو حوض في الجنة

وقوله تعالى فصل لربك وانحر أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك فاعبده وحده لا شريك له وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قال تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن يعني بذلك نحر البدن ونحوها وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والربيع وعطاء الخراساني والحكم واسمعيل بن أبي خالد وغير واحد من السلف وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه كما قال

أي اذا فرغت من صلاتك أو من التبليغ أو من الغزو فاجتهد في الدعاء واطلب من الله حاجتك أو فانصب في العبادة أو اتعب في الدعاء قبل السلام وبعده والنصب التعب يقال نصب ينصب نصبا أي تعب قال قتادة والضحاك ومقاتل والكلبي اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة يعطك وكذا قال مجاهد قال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وكذا قال الزهري وقال الكلبي أيضا اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب أي استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال الحسن وقتادة وزيد بن أسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك وفيه نظر لان السورة مكية والامر بالجهاد انما كان بعد الهجرة فلعله تفسير الذاهب الى ان السورة مدنية وقال مجاهد أيضا اذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك وقال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء واسأل الله وارغب اليه وعنه قال قال الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا فرغت من الصلاة وتشهدت فانصب الى ربك واسأله حاجتك وعن ابن مسعود قال فانصب الى الدعاء والى ربك فارغب في المسئلة وعنه قال اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل قال عمر بن الخطاب اني أكره ان أرى أحدكم فارغا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة (والى ربك) المحسن اليك بفضائل النعم خصوصا بما ذكر في هاتين السورتين (فارغب) أي اجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقيل تضرع اليه قال الزجاج أي اجعل رغبتك الى الله وحده وقال عطاء يريد انه يضرع اليه راهبا من النار راغبا في الجنة والمعنى انه رغب اليه سبحانه لا الى غيره كائنا من كان فلا يطلب حاجاته الا منه ولا يعول في جميع أموره الا عليه قرأ الجمهور فارغب وقرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة فرغب بتشديد الغين أي فرغب الناس الى الله وشوقهم الى ما عنده من الخير

(سورة والتين هي ثمان آيات وهي مكية في قول الجمهور)

وروى القرطبي عن ابن عباس انها مدنية ويخالف هذه الرواية ما أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال أنزلت سورة التين بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن البراء بن عازب قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فصلى العشاء فقرأ في احدى الركعتين بالتين

والزيتون

تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الآية وقيل المراد بقوله وانحر وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى تحت النحر يروى هذا عن على ولا يصح وعن الشعبى مثله وعن أبى جعفر الباقر وانحر يعنى رفع اليدين عند افتتاح الصلاة وقيل وانحر أى استقبل بنحرك القبلة ذكر هذه الاقوال الثلاثة ابن جرير وقد روى ابن أبى حاتم ههنا حديثا منكرا جدا فقال حدثنا وهب بن ابراهيم القاضى سنة خمس وخمسين ومائتين حدثنا اسرائيل بن حاتم المروزى حدثنا مقاتل بن حيان عن الاصبغ بن نباتة عن على ابن أبى طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبى صلى الله عليه وسلم انا (٣٠٧) أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ماهذه النحيرة التى أمرنى بها ربى فقال ليست بنحيرة ولكنه يأمرك اذا تحرمت للصلاة ارفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت رأسك من الركوع واذا سجدت فانها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين فى السموات السبع وان لكل شئ زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة وهكذا رواه الحاكم فى المستدرك من حديث اسرائيل بن حاتم به وعن عطاء الخراسانى وانحر أى ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل وابرز نحرك يعنى به الاعتدال رواه ابن أبى حاتم وكل هذه الاقوال غريبة جدا والصحيح القول الاول ان المراد بالنحر ذبح المناسك ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى العيد ثم ينحر نسكه ويقول من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له فقام أبو بردة بن نيار فقال يارسول الله انى نسكت شاتى قبل الصلاة وعرفت ان اليوم يوم يشتهى فيه اللحم قال شاتك شاة لحم قال فان عندى عناقا هى أحب الى من شاتين أفتجزى عنى قال تجزيك ولا تجزى أحدا بعدك قال ابو جعفر بن جرير والصواب قول من قال ان معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ماسواه من الانداد والآلهة وكذلك نحرك اجعله له دون الاوثان شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذى لا كفء له وخصك به وهذا الذى قاله فى غاية الحسن وقد سبقه الى هذا المعنى محمد بن كعب القرظى وعطاء وقوله تعالى ان شانئك هو الأبتر أى ان مبغضك يا محمد ومبغض ماجئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الابتر الاقل الأذل المنقطع ذكره قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة نزلت فى العاص بن وائل وقال محمد بن اسحق عن يزيد

والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا ولا قراءة منه وعنه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المغرب فقرأ بالتين أخرجه الخطيب وعن عبد الله بن يزيد نحوه عند الطبرانى وابن أبى شيبة وعن زرعة بن خليفة قال أتيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم من اليمامة فعرض علينا الاسلام فأسلمنا فلما صلينا الغداة قرأ بالتين والزيتون وانا أنزلناه فى ليلة القدر أخرجه ابن قانع وابن السكن والشيرازى فى الالقاب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين) قال أكثر المفسرين هو التين الذى يأكله الناس وانما أقسم بالتين لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه أعظم عبرة لدلالته على من هيأه لذلك وجعله على مقدار اللقمة قال كثير من أهل الطب ان التين أنفع الفواكه للبدن وأكثرها غذاء وذكروا له فوائد كما فى كتب المفردات والمركبات وهو غذاء ودواء أما كونه غذاء فالاطباء زعموا انه طعام لطيف سريع الهضم لايمكث فى المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الرشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل مافى المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد وسدده والطحال ويقطع البواسير ويزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما كونه دواء فلانه سبب فى اخراج فضلات البدن وهو مأكول الظاهر والباطن دون غيره كالجوز والتمر والتين فى النوم رجل غير جبار ومن نالها فى المنام نال مالا ومن أكلها مناما رزقه الله اولادا وتستر آدم بورق التين حين فارق الجنة ويشبه فواكه الجنة لانه بلا عجم وفاكهة طيبة لافضل له ينفع من النقرس وقال الضحاك التين المسجد الحرام وقيل مسجد أصحاب الكهف وقال ابن زيد مسجد دمشق وقال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق وقال عكرمة وكعب الاحبار التين دمشق وعن ابن عباس قال التين بلاد الشام وفى سنده مجهول وعنه قال مسجد نوح الذى بنى على الجودى وعنه قال الفاكهة التى يأكلها الناس (والزيتون) وهو الذى يعصرون منه الزيت الذى هو ادام غالب البلدان ودهنهم ويدخل فى كثير من الادوية وقال الضحاك المسجد الاقصى وقال ابن زيد مسجد بيت المقدس وقال قتادة الجبل الذى عليه بيت المقدس وقال عكرمة وكعب الاحبار بيت المقدس وعن ابن عباس قال بلاد فلسطين وفى سنده مجهول وقال أيضا بيت المقدس وليت شعرى ما الحامل لهؤلاء الائمة على العدول عن المعنى الحقيقى فى اللغة العربية

ابن رومان قال كان العاص بن وائل اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة وقال شمر بن عطية نزلت في عقبة بن أبي معيط وقال ابن عباس أيضا وعكرمة نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من كفار قريش وقال البزار حدثنا زياد بن يحيى الحساني حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى الى هذا الصبي المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال أنتم خير منه قال (٣٠٨) فنزلت ان شانئك هو الابتر هكذا رواه البزار وهو اسناد صحيح وعن عطاء قال نزلت في أبي لهب وذلك حين مات ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب أبو لهب الى المشركين فقال بتر محمد الليلة فأنزل الله في ذلك ان شانئك هو الابتر وعن ابن عباس نزلت في أبي جهل وعنه ان شانئك يعني عدوك وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم وقال عكرمة الابتر الفرد وقال السدي كانوا اذا مات ذكور الرجل قالوا بتر فلما مات أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بتر محمد فأنزل الله ان شانئك هو الابتر وهذا يرجع الى ما قلناه من أن الابتر الذي اذا مات انقطع ذكره فتوهموا لجهلهم أنه اذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشى وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رؤس الاشهاد وأوجب شرعه على رقاب العباد مستمرا على دوام الآباد الى يوم الحشر والمعاد صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم التناد آخر تفسير سورة الكوثر ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة قل يا أيها الكافرون وهي مكية)

ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مجاهد عن ابن عمر قال رمقت

والعدول الى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى المبنية على خيالات لا ترجع الى عقل ونقل وأعجب من هذا اختيار ابن جرير للآخر منها مع طول باعه في علم الرواية والدراية قال الفراء سمعت رجلا يقول التين جبال حلوان الى همدان والزيتون جبال الشام قلت هب انك سمعت هذا الرجل فكان ماذا فليس بمثل هذا تثبت اللغة ولا هو نقل عن الشارع وقال محمد بن كعب الزيتون مسجد ايلياء وقيل انه على حذف مضاف أي ومنابت التين والزيتون قال النحاس لا دليل على هذا من ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه قال الرازي أما الزيتون فهو فاكهة من وجه ودواء من وجه ويستصبح به ومن رأى ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى (وطور سينين) وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام اسمه الطور ومعنى سينين المبارك الحسن بلغة الحبشة قاله قتادة وقال مجاهد هو المبارك بالسريانية وقال مجاهد والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط قال الاخفش طور جبل وسينين شجر واحدته سينة قال أبو علي الفارسي سينين فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه ولم ينصرف سينين كما لم ينصرف سينا لانه جعل اسما للبقعة وانما أقسم بهذا الجبل لانه بالشام وهي الارض المقدسة كما في قوله الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله وأعظم بركة حلت به ووقعت عليه تكليم الله لموسى عليه السلام قرأ الجمهور سينين بكسر السين وقرئ بفتحها وهي لغة بكر وتميم وقرئ (١) سيناء بالكسر والمد وهذه لغات اختلفت في هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالاسماء العجمية (وهذا البلد الامين) يعني مكة سماه أمينا لانه آمن كما قال انا جعلنا حرما آمنا يقال أمن الرجل امانة فهو أمين قال الفراء وغيره الامين بمعنى الآمن أو فعيل بمعنى مفعول من أمنه لانه مأمون الغوائل قال ابن عباس أي مكة يعني لأمن الناس فيها جاهلية واسلاما (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) هذا جواب القسم أي خلقنا جنس الانسان كائنا في أحسن تقويم وتعديل لصورته وقال ابن عباس في أحسن خلق قال الواحدي قال المفسرون ان الله خلق كل ذي روح مكبا على وجهه الا الانسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والنطق والعقل والتمييز والادب فهو أحسن الخلق بحسب الظاهر والباطن ومعنى التقويم التعديل يقال قومته فاستقام والمراد القوام لان التقويم فعل الباري تعالى قال القرطبي هو اعتداله واستواء شأنه كذا

قال

(١) وهذه قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود والحسن وطلحة رضي الله عنهم اه منه

ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين) هذه السورة سورة البراءة في العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالاخلاص فيه فقوله قل يا أيها الكافرون تشمل كل كافر على وجه الارض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل انهم من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال لا أعبد ما تعبدون يعني من الاصنام والانداد ولا أنتم عابدون ما أعبد وهو الله وحده لا شريك له فما هنا بمعنى من ثم (٣١٠) قال ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها وانما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه ولهذا قال ولا أنتم عابدون ما أعبد أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته بل قد اخترعتم شيأ من تلقاء أنفسكم كما قال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه فان العابد لابد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها اليه فالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ولهذا كان كلمة الاخلاص لا اله الا الله محمد رسول الله أي لا معبود الا الله ولا طريق اليه الا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم لكم دينكم ولي دين كما قال تعالى وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون وقال لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وقال البخاري يقال لكم دينكم الكفر ولي دين الاسلام ولم يقل ديني لان الآيات بالنون فحذف الياء كما قال فهو يهدين ويسقين وقال غيره لا أعبد ما تعبدون الآن ولا أجيبكم فيما بقي من عمري ولا أنتم عابدون ما أعبد وهم الذين قال وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا انتهى ما ذكره ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية ان ذلك من باب التأكيد كقوله فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وكقوله لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين وحكاه بعضهم كابن الجوزي وغيره عن ابن قتيبة فالله أعلم فهذه ثلاثة أقوال أولها ما ذكرناه أولا الثاني ما حكاه البخاري وغيره

الاتصال معنى وعلى القول الثاني متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع أي رددنا الانسان أسفل سافلين من النار الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال الشهاب الاستثناء منقطع لانه لم يقصد اخراجهم من الحكم وهو مدار الاتصال والانقطاع كما صرح به في الاصول لا الخروج والدخول كما توهم فلا يرد عليه انه كيف يكون منقطعا مع انهم مردودون أيضا فهو للاستدراك لدفع ما يتوهم من ان التساوي في ارذل العمر يقتضي التساوي في غيره ويكون الذين حينئذ مبتدأ والفاء داخلة في خبره لا للتفريع كما في الاتصال وقيل المعنى رددناه الى الضلال كما قال ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي الا هؤلاء فلا يردون الى ذلك (فلهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعاتهم فهذه الجملة على القول الاول مبينة لكيفية حال المؤمنين وعلى الثاني مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد قال ابن عباس (١) في الآية أجر غير منقوص يقول فاذا بلغ المؤمن ارذل العمر وكان يعمل في شبابه عملا صالحا كتب له من الاجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه ولم يضره ما عمل في كبره ولم تكتب عليه الخطايا التي يعمل بعد ما يبلغ ارذل العمر وعنه قال من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر وذلك قوله ثم رددناه الى قوله الصالحات قال لا يكون حتى لا يعلم من بعد علم شيأ وعنه قال يقول الى الكبر وضعفه فاذا كبر وضعف عن العمل كتب له مثل أجر ما كان يعمل في شبيبته وأخرج أحمد والبخاري وغيرهما عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مرض العبد أو سافر كتب الله له من الاجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما (فما يكذبك بعد بالدين) الخطاب للانسان الكافر والاستفهام للتقريع والتوبيخ والزام الحجة أي اذا عرفت أيها الانسان ان الله خلقك في أحسن تقويم وانه يردك أسفل سافلين فما يحملك على ان تكذب بالبعث والجزاء وعليه ينبغي ان يذهب الى الالتفات من الغيبة الى الخطاب لما جرى من قوله ولقد خلقنا الانسان وعليه جرى في الكشاف وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي أي شيء يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة فاستيقن مع ما جاءك من الله انه أحكم الحاكمين والى هذا ذهب القاضي وقدمه على القول الاول قال الفراء المعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذا البيان بالدين كأنه قال من يقدر على ذلك أي على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر

(١) أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه اه منه

من المفسرين ان المراد لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد في الماضي ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد في المستقبل
الثالث ان ذلك تأكيد محض وثم قول رابع نصره أبو العباس بن تيمية في بعض كتبه وهو أن المراد بقوله لا أعبد ما تعبدون نفي
الفعل لانها جملة فعلية ولا أنا عابد ما عبدتم نفي قبوله لذلك بالكلية لان النفي بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفي الفعل وكونه قابلا لذلك
ومعناه نفي الوقوع ونفي الامكان الشرعي أيضا وهو قول حسن أيضا والله أعلم وقد استدل الامام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه
الآية الكريمة لكم دينكم ولي دين على ان الكفر كله ملة واحدة فورث

اليهود من النصارى وبالعكس اذا كان

من قدرتنا على خلق الانسان ما ظهر واختار هذا ابن جرير والدين الجزاء (أليس الله) أي أليس الذي فعل ما فعل مما ذكرنا (بأحكم الحاكمين) صنعا وتدبيرا وأقضى القاضين وأصحهم وأنفذهم حكما وقضاء حتى تتوهم عدم الاعادة والجزاء وفيه وعيد شديد للكفار والمعنى اتقن الحاكمين في كل ما يخلق وقيل أحكم الحاكمين قضاء وعدلا والاستفهام اذا دخل على النفي صار الكلام ايجابا وتقريرا كما تقدم في ألم نشرح وعن أبي هريرة مرفوعا من قرأ والتين والزيتون فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذي وابن مردويه وعن جابر مرفوعا اذا قرأت التين فقرأت أليس الله الخ فقل بلى أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس انه كان اذا قرأ هذه الآية قال سبحانك اللهم فبلى أخرجه ابن جرير وابن المنذر

(سورة اقرأ ويقال لها سورة العلق وسورة القلم وهي تسع عشرة آية وقيل عشرون آية)

وهي مكية بلا خلاف وهي أول ما نزل من القرآن قاله ابن عباس وعن أبي موسى الاشعري قال هو أول سورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها نحوه ويدل على هذا الحديث الطويل الثابت في البخاري ومسلم وغيرهما من حديثها وفيه فجاءه الحق وهو في غار حراء فقال له الملك اقرأ الحديث وفي الباب أحاديث وآثار عن جماعة من الصحابة وقد ذهب الجمهور الى ان هذه السورة أول ما نزل من القرآن ثم بعده نون والقلم ثم المزمل ثم المدثر الى آخر ما ذكره الخازن في أول تفسيره فانه استوفى الكلام على ترتيب السور من جهة النزول بمكة ثم بالمدينة قال القاضي أبو بكر بن الطيب ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة وذكر ذلك مكي في تفسير سورة براءة وذكر أن ترتيب الآيات ووضع البسملة في الاوائل هو من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما لم يؤمر بذلك في أول سورة براءة تركت بلا بسملة وهذا أصح ما قيل في ذلك وقال قوم ان ترتيب السور عن توقيف من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأما ما روي من اختلاف مصحف أبي وعلي وعبد الله فانما كان قبل عرض القرآن على جبريل في المرة الاخيرة وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رتب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك روى يونس عن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول انما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر

بينهما نسب أو سبب يتوارث به لان الاديان ما عدا الاسلام كلها كشيء الواحد في البطلان وذهب أحمد ابن حنبل ومن وافقه الى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث أهل ملتين شتى آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

(تفسير سورة اذا جاء نصر الله والفتح وهي مدنية)

قد تقدم انها تعدل ربع القرآن واذا زلزلت تعدل ربع القرآن وقال النسائي أخبرنا محمد بن اسمعيل بن ابراهيم أخبرنا جعفر عن أبي العميس ح وأخبرنا محمد بن سليمان حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قال لي ابن عباس يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت قلت نعم اذا جاء نصر الله والفتح قال صدقت وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي من حديث موسى بن عبيدة الربذي عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال
أنزلت هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم اوسط أيام التشريق فعرف انه الوداع فأمر براحلته القصوى ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة وقال الحافظ البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد ابن عبد الصفار حدثنا الاسفاطي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن حباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال انه قد نعيت الي نفسي فبكت ثم ضحكت وقالت أخبرني انه نعيت اليه نفسه فبكيت ثم قال اصبري فانك أول أهلي لحاقا بي فضحكت وقد رواه النسائي كما سيأتي بدون ذكر فاطمة

(بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) قال البخارى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع اشياخ بدر فكان بعضهم وجد فى نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا ابناء مثله فقال عمر انه ممن علمتم فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فما رأيت انه دعانى فيهم يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون فى قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا (٣١٢) وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا فقال ما تقول فقلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له قال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر بن الخطاب لا أعلم منها الا ما تقول تفرد به البخارى وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثورى عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس فذكر مثل هذه القصة أو نحوها وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت الى نفسى فانه مقبوض فى تلك السنة تفرد به احمد وروى العوفى عن ابن عباس مثله وهكذا قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد انها اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى اليه وقال ابن جرير حدثنى اسمعيل ابن موسى حدثنا الحسن بن عيسى الحنفى عن معمر عن الزهرى عن أبى حازم عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة اذ قال الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن قيل يا رسول الله وما اهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية ثم رواه عن ابن عبد الأعلى عن ابن ثور عن معمر عن عكرمة مرسلا وقال الطبرانى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو كامل الجحدرى حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة قال نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين نزلت قال فاخذ بأشد ما كان قط اجتهادا فى أمر الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك جاء الفتح ونصر الله وجاء اهل اليمن

أبو بكر بن الانبارى فى كتاب الرد أن الله أنزل القرآن جملة الى سماء الدنيا ثم فرقه على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى عشرين سنة فكانت السورة تنزل فى أمر يحدث والآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل ويوقف جبريل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على موضع السورة والآية فاتظام السور كانتظام الآيات والحروف فكله عن رسول الله خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام عن رب العالمين فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على أهل الحق فى تقديم البقرة على الانعام والانعام نزلت قبل البقرة لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات انتهى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ) قرأ الجمهور بسكون الهمزة امرا من القراءة وقرئ بفتح الراء وكأنه قلب الهمزة ألفا ثم حذفها للامر والامر بالقراءة يقتضى مقروأ فالتقدير اقرأ ما يوحى اليك أو ما نزل عليك أو ما أمرت بقراءته وقوله (باسم ربك) متعلق بمحذوف هو حال أى اقرأ متلبسا باسم ربك أو مبتدأ به أو مفتتحا أو الباء زائدة أى اقرأ اسم ربك قاله أبو عبيدة وقال أيضا والاسم صلة أى اذكر ربك وقيل الباء بمعنى على أى اقرأ على اسم ربك يقال افعل كذا باسم الله وعلى اسم الله قاله الاخفش وقيل الباء للاستعانة أى مستعينا به وبسم الله تكتب من غير ألف استغناء عنها بباء الالصاق فى اللفظ والخط لكثرة الاستعمال بخلاف قوله تعالى اقرأ باسم ربك فانها لم تحذف فيه لقلة الاستعمال عن عبد الله بن شداد قال أتى جبريل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد اقرأ فقال وما اقرأ فضمه ثم قال يا محمد اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم أخرجه ابن أبى شيبة وابن جرير وأبو نعيم فى الدلائل وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة فجاءه الملك فقال اقرأ فقال قلت ما انا بقارئ قال فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد فقال اقرأ باسم ربك الخ ثم الظاهر أن هذه الجملة ليست من القرآن لان الامر بتحصيل الشئ غير ذلك الشئ ولكن قام الاجماع على انها من جملة القرآن

القرآن خصوصا مع اثباتها في المصاحف بخطها سلفا وخلفا من غير نكير فعلم منه انها من جملة القرآن تأمل قال السيوطي في اتقانه ان أول سورة اقرأ مشتمل على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما نزل من القرآن فان فيها الامر بالقراءة وفيها البداءة باسم الله وفيها الاشارة الى علم الاحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب واثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفي هذا الاشارة الى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالاخبار من قوله علم الانسان ما لم يعلم ولهذا قيل انها جديرة ان تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله انتهى ذكره ابن لقيمة في حاشية البيضاوي والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيأ فشيأ مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم للاشعار بتبليغه صلى الله عليه وآله وسلم الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية قاله أبو السعود ثم وصف الرب بقوله (الذي خلق) لتذكير أول النعم الفائضة عليه منه تعالى لان الخلق هو أعظم النعم وعليه يترتب سائر النعم قال الكلبي يعني الخلائق وفيه تنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة (خلق الانسان من علق) يعني بني آدم والعلقة الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وقال من علق بجمع علقة لان المراد بالانسان الجنس والمعنى خلق جنس الانسان من جنس العلق واذا كان المراد بقوله الذي خلق كل المخلوقات فيكون تخصيص الانسان بالذكر تشريفا له لما فيه من بديع الخلق وعجيب الصنع واذا كان المراد بالذي خلق الذي خلق الانسان فيكون الثاني تفسيرا للاول والنكتة ما في الابهام ثم التفسير من التفات الذهن وتطلعه الى معرفة ما أبهم أولا ثم فسر ثانيا وقال من علق ولم يقل من نطفة مراعاة للفواصل ثم كرر الامر بالقراءة للتأكيد والتقرير فقال (اقرأ) أي افعل ما أمرت به من القراءة وجملة (وربك الاكرم) مستأنفة لازاحة ما اعتذر به صلى الله عليه وآله وسلم من قوله ما أنا بقارئ يريد ان القراءة شأن من يكتب ويقرأ وهو أمي فقيل له اقرأ وربك الذي أمرك بالقراءة هو الاكرم قال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم وقيل انه أمره بالقراءة أولا لنفسه ثم أمره بالقراءة ثانيا للتبليغ فلا يكون من باب التأكيد والاول أولى والاكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم اذ كرمه يزيد على كل كرم لانه ينعم بالنعم التي لا تحصى قال في البحر ومن غريب ما رأينا تسمية النصارى بهذه الصفة التي هي صفة الله تعالى يسمون الاكرم والرشيد وفخر السعداء وسعيد السعداء في ديار مصر ويدعوهم بها المسلمون ويزيدون عليها على سبيل التعظيم الشيخ الاكرم والشيخ الاسعد والشيخ الرشيد فيالها من خزي يوم عرض الاقوال والافعال على الله تعالى (الذي علم بالقلم) أي علم الانسان الخط بالقلم فكان بواسطة ذلك يقدر على ان يعلم كل مكتوب قال الزجاج علم الانسان الكتابة بالقلم قال قتادة القلم نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط

فقال رجل يا رسول الله وما أهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الايمان يمان والفقه يمان وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح علم النبي صلى الله عليه وسلم ان قد نعيت اليه نفسه فقيل اذا جاء نصر الله والفتح السورة كلها حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين ان عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية اذا جاء نصر الله والفتح قال لما نزلت نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وقال الطبراني حدثنا ابراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا أبي حدثنا جعفر ابن عون عن أبي العميس عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا اذا جاء نصر الله والفتح وقال الامام احمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي البختري الطائي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزلت هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها فقال الناس حيز وانا وأصحابي حيز وقال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فقال له مروان كذبت وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه

بها الأمور ودونت العلوم وقيدت الحكم وانضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا هي ما استقامت أمور الدين ولا أمور الدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا القلم والخط لكفى به ... أي يقطع وأي من خط بالقلم وقيل آدم وقد حققت حروف القلم وما يتعلق به في كتب لا كثير في أصول التفسير فإن شئت فارجع إليه وجملة (علم الإنسان ما لم يعلم) بدل اشتمال من التي قبلها أي علمه بالقلم من الأمور الكلية والجزئية ما لم يعلم به منها قيل المراد بالإنسان هنا آدم كما في قوله وعلم آدم الأسماء كلها وقيل الإنسان هنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأولى حمل الإنسان على العموم والمعنى أن من علمه الله سبحانه من هذا الجنس بواسطة القلم فقد علمه ما لم يعلم (كلا) ردع وزجر لمن كفر بنعم الله عليه بسبب طغيانه وإن لم يتقدم له ذكر وقيل معناه حقا وهو مذهب الكسائي ومن تبعه لأنه ليس قبله ولا بعده شيء يكون كلا ردا له كما قالوا في كلا والقمر ومذهب أبي حيان أنها بمعنى ألا الاستفتاحية وصوبه ابن هشام لكسر همزة إن بعدها أي لكونها مفتتحة كما بعد حرف التنبيه نحو ألا إنهم هم المفسدون ولو كانت بمعنى حقا لما كسرت إن بعدها لكونها مفتتحة مفرد وفي الكرماني يجوز في كلا أن تكون تنبيها فيقف على ما قبلها وردا فيقف عليها ومعنى (إن الإنسان ليطغى) أنه يجاوز الحد ويستكبر على ربه قيل المراد بالإنسان هنا أبو جهل وهو المراد بهذا وما بعده إلى آخر السورة وأنه تأخر نزول هذا وما بعده عن الخمس الآيات المذكورة في أول هذه السورة وقوله (أن رآه استغنى) علة ليطغى أي ليطغى أن رأى نفسه مستغنيا والرؤية هنا بمعنى العلم ولو كانت بصرية لامتنع الجمع بين الضميرين في فعلها لشيء واحد لأن ذلك من خواص باب علم ونحوه قال الفراء لم يقل رأى نفسه كما قيل قتل نفسه لأن رأى من الأفعال التي تريد اسما وخبرا نحو الظن والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد والعرب تطرح النفس من هذا الجنس تقول رأيتني وحسبتني ومتى تراك خارجا ومتى تظنك خارجا قيل والمراد هنا أنه استغنى بالعشيرة والأنصار والأموال قرأ الجمهور أن رآه بمد الهمزة وقرئ بقصرها قال مقاتل كان أبو جهل إذا أصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك طغيانه وكذا قال الكلبي قال الرازي أول السورة يدل على مدح العلم وآخرها يدل على ذم المال وكفى بذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال ثم هدده سبحانه وخوفه فقال (إن إلى ربك الرجعى) أي المرجع والرجعى والمرجع والرجوع مصادر يقال رجع إليه مرجعا ورجوعا ورجعى وتقدم الجار والمجرور للقصر أي الرجعى إليه سبحانه لا إلى غيره وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان فإن الله يرده ويرجعه إلى النقصان والفقر والموت كما رده من النقصان إلى الكمال حيث نقله من الجمادية إلى الحيوانية ومن الفقر إلى الغنى ومن الذل إلى العز فما هذا التعزز والقوة قاله الرازي (أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى) قال المفسرون الذي ينهى أبو جهل والمراد بالعبد محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن عباس هو أبو جهل بن هشام حين رمى رسول الله صلى الله

عليه

على السرير فقال أبو سعيد لو شاء هذا أن حدثك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك قالا صدق تفرد به أحمد وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره معنى مليح صحيح وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات فقال قائلون هي صلاة الضحى وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرا لم ينو الإقامة بمكة ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريبا من تسع عشرة يوما يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش وكانوا نحوا من عشرة آلاف قال هؤلاء وإنما كانت صلاة الفتح قالوا فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلدا أن يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن ثم قال بعضهم

عليه وآله وسلم بالسلى على ظهره وهو ساجد لله عزوجل وفيه تقبيح لصنعه وتشنيع لفعله حتى كأنه بحيث يراه كل من تتأتى منه الرؤية وعن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لأطأن عنقه فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال لو فعل لاخذته الملائكة عيانا (ارأيت ان كان على الهدى) يعنى العبد المنهى اذا صلى وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أو أمر بالتقوى) أى بالاخلاص والتوحيد والعمل الصالح الذى تتقى به النار (ارأيت ان كذب وتولى) يعنى ابا جهل كذب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتولى عن الايمان وقوله أرأيت فى الثلاثة المواضع بمعنى أخبرنى لان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئى أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستفهام عن متعلقها والخطاب لكل من يصلح له وقد ذكر هنا أرأيت ثلاث مرات وصرح بعد الثالثة منها بجملة استفهامية فيكون فى موضع المفعول الثانى لها ومفعولها الاول محذوف وهو ضمير يعود على الذى ينهى الواقع مفعولا أول لأرأيت الاولى ومفعول أرأيت الاولى الثانى محذوف وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد أرأيت الثانية وأما أرأيت الثانية فلم يذكر لها مفعول لا اول ولا ثان حذف الاول لدلالة مفعول ارايت الثالثة عليه فقد حذف الثانى من الاولى والاول من الثالثة والاثنان من الثانية وليس طلب كل من رأيت للجملة الاستفهامية على سبيل التنازع لانه يستدعى اضمارا والجمل لا تضمر انما تضمر المفردات وانما ذلك من باب الحذف للدلالة وأما جواب الشرط المذكور مع أرأيت فى الموضعين الاخيرين فهو محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى (ألم يعلم بان الله يرى) وانما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى ومعنى ألم يعلم الخ أى ألم يطلع على أحواله فيجازيه بها فكيف اجترأ على ما اجترأ عليه والاستفهام للتقريع والتوبيخ وقيل أرأيت الاولى مفعولها الاول الموصول ومفعولها الثانى الشرطية الاولى بجوابها المحذوف المدلول عليه بالمذكور وأرأيت فى الموضعين تكرير للتأكيد وقيل كل واحد من أرأيت بدل من الاولى وألم يعلم بان الله يرى الخبر (كلا) ردع للناهى ومنع له عن نهيه واللام فى (لئن لم ينته) هى الموطئة للقسم أى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر (لنسفعا بالناصية) السفع الجذب الشديد ويقال سفعت الشئ اذا قبضته وجذبته ويقال سفع بناصية فرسه قال الراغب السفع الاخذ بسفعة الفرس أى بسواد ناصيته وباعتبار السواد قيل به سفعة غضب اعتبارا بما يعلو من اللون الدخانى من اشتد به الغضب وقيل للصقر أسفع لما فيه من لمع السواد وامرأة سفعاء اللون انتهى وقيل مأخوذ من سفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الى سواد والمعنى لنأخذن بناصيته ولنجرنه الى النار وهذا كقوله فيؤخذ بالنواصى والاقدام وقيل فى الدنيا يوم بدر فقد جره المسلمون الى القتل فقتله ابن مسعود وهو طريح بين الجرحى وبه رمق وهو يخور وعبر بالناصية عن جميع الشخص واكتفى بتعريف العهد عن الاضافة لانه علم انها ناصية الناهى (ناصية) وهى شعر مقدم الرأس وانما أبدل النكرة من المعرفة لوصفها

يصليها كلها بتسليمة واحدة والصحيح انه يسلم من كل ركعتين كما ورد فى سنن أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضى الله تعالى عنهما من ان هذه السورة نعى فيها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه الكريمة وأعلم انك اذا فتحت مكة وهى قريتك التى أخرجتك ودخل الناس فى دين الله أفواجا فقد فرغ شغلنا بك فى الدنيا فتهيأ للقدوم علينا والوفود الينا فالآخرة خير لك من الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى ولهذا قال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقال النسائى أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا محمد ابن محبوب حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة قال نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت فاخذ فى أشد ما كان اجتهادا فى أمر الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن فقال رجل يارسول الله وما أهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم الايمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان وقال البخارى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن

يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن وأخرجه بقية الجماعة الا الترمذي من حديث منصور به وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر في آخر أمره من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وقال ان ربي كان أخبرني اني سأرى علامة في أمتي وأمرني اذا رأيتها ان أسبح بحمده وأستغفره انه كان توابا فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ورواه مسلم من طريق داود وهو ابن أبي هند به وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبي عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده فقلت يارسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا تجيء ولا

(١) بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه وتخفيف الياء من الزبن وهو الدفع أو واحدها زبني على النسب وأصله زباني بتشديد الياء فالتاء عوض عن الياء قاله البيضاوي وفي المختار واحد الزبانية زبان أو زابان اهـ

بقوله (كاذبة) أي في قولها (خاطئة) في فعلها وهذا على مذهب الكوفيين فانهم لا يجيزون ابدال النكرة من المعرفة الا بشرط وصفها وأما على مذهب البصريين فيجوز بلا شرط قرأ الجمهور بالجر وقرئ بالرفع على اضمار مبتدأ أي هي ناصية وقرئ بالنصب على الذم قال مقاتل أخبر عنه بانه فاجر خاطئ فقال ناصية كاذبة خاطئة تأويلها صاحبها كاذب خاطئ وفي هذا الاسناد المجازي من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ (فليدع ناديه) أي أهل ناديه لان النادي هو المجلس الذي يجلس وينتدي فيه القوم ويجتمعون فيه من الاهل والعشيرة ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه أهله والمعنى ليدع عشيرته وأهله ليعينوه وينصروه قيل ان أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت (فليدع ناديه) قال ابن عباس أي ناصره (سندع الزبانية) أي الملائكة الغلاظ الشداد وهم خزنة جهنم كذا قال الزجاج وقال الكسائي والاخفش وعيسى بن عمر واحدهم زابن وقال أبو عبيدة زبنية (١) وقيل زباني بتشديد الياء وقيل هو اسم للجمع لا واحد له من لفظه كعباديد وأبابيل وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب وأصل الزبن الدفع والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه قرأ الجمهور سندع بالنون ولم يرسم الواو كما في قوله يوم يدع الداع وقرئ سيدعى على البناء للمفعول ورفع الزبانية على النيابة والسين في سندع ليست للشك فانه من الله واجب لانه ينتقم لرسوله من عدوه وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم انهك عن هذا انك لتعلم ان ما بها رجل أكثر ناديا مني فانزل الله هذه الآية فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي فقيل ما يمنعك فقال قد اسود ما بيني وبينه قال ابن عباس والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه أخرجه أحمد والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني وغيرهم وأخرج أحمد ومسلم والنسائي والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي ليطأن على رقبته قال فما فجئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيده فقيل له مالك فقال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال وأنزل الله كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة يعني أبا جهل فليدع ناديه يعني قومه سندع الزبانية يعني الملائكة ثم كرر سبحانه الردع والزجر فقال (كلا لا تطعه) فيما دعاك اليه من ترك الصلاة (واسجد) أي صل لله غير مكترث به ولا مبال بنهيه (واقترب) أي تقرب اليه سبحانه بالطاعة والعبادة وقيل المعنى اذا سجدت فاقترب من الله بالدعاء وقال زيد بن أسلم واسجد أنت يا محمد واقترب أنت يا أبا جهل من النار والاول أولى والسجود هذا الظاهر ان المراد به الصلاة وعبر عنها بالسجود لانه أفضل أركانها بعد القيام وقيل سجود التلاوة ويدل على هذا ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من السجود عند تلاوة هذه الآية وقد قدمنا ان النبي صلى الله

عليه وآله وسلم كان يسجد فى اذا السماء انشقت وفى اقرأ باسم ربك الذى خلق وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء أخرجه مسلم

(سورة القدر هى خمس آيات قال المحلى اوست آيات)

قال سليمان الجمل ولم يذكر غيره هذا القول من المفسرين فيما رأينا بل اقتصروا على كونها خمسا ولعل قائل هذا القول يعد تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم آية مستقلة ثم رأيت فى السمين ما يشير اليه انتهى وهى مكية عند اكثر المفسرين كذا قال الماوردى وقال الثعلبى هى مدنية فى قول اكثر المفسرين وهو الاصح وذكر الواقدى انها اول سورة نزلت بالمدينة وعن ابن عباس وابن الزبير وعائشة انها نزلت بمكة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه) الضمير للقرآن وان لم يتقدم له ذكر عظمه حيث أسند انزاله اليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذى انزله فيه والنون فى انا للتعظيم روى انه أنزل جملة واحدة (فى ليلة القدر) الى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ ثم كان ينزل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم نجوما على حسب الحاجة وكان بين نزول أوله وآخره على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث وعشرون سنة وفى آية اخرى انا انزلناه فى ليلة مباركة وهى ليلة القدر وفى آية اخرى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وليلة القدر فى شهر رمضان قال مجاهد فى ليلة القدر ليلة الحكم وقد اخرج ابن الضريس وابن جرير وابن المنذر والبيهقى فى الدلائل وغيرهم عن ابن عباس أنزل القرآن فى ليلة القدر حتى وضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم جعل جبريل ينزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم ومعلوم ان الانزال مستعار للمعانى من الاجرام شبه نقل القرآن من اللوح الى السماء وثبوته فيها بنزول جسم من علو الى سفل فعلى هذا هو مجاز مستعار قيل سميت ليلة القدر لان الله سبحانه يقدر فيها ما شاء من أمره الى السنة القابلة من أمر الموت والاجل والرزق وغير ذلك وقيل انها سميت بذلك لعظم قدرها وشرفها من قولهم لفلان قدر أى شرف ومنزلة كذا قال الزهرى وقيل سميت بذلك لان للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقال الخليل سميت ليلة القدر لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله ومن قدر عليه رزقه أى ضيق والاحاديث فى فضل ليلة القدر كثيرة وكذا فى تعيينها وليس هذا موضع بسطها وقد اختلف فى تعيين ليلة القدر على أكثر من أربعين قولا قد ذكرناها بادلتها وبينا الراجح منها فى شرحنا لبلوغ المرام المسمى بمسك الختام وذكرها الشوكانى فى شرحه لمنتقى الاخبار المسمى بنيل الاوطار (وما أدراك ما ليلة القدر) فى هذا الاستفهام تفخيم لشأنها حتى كأنها خارجة عن دراية الخلق لا يدريها الا الله سبحانه والمعنى ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها قال سفيان كل ما فى القرآن من قوله وما أدراك فقد أدراه وكل ما فيه من قوله وما

تقوم ولا تقعد الا قالت سبحان الله وبحمده قال انى أمرت بها فقال اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة غريب وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه فى جزء مفرد فيكتب ههنا وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح كان يكثر اذا قرأها وركع أن يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى انك أنت التواب الرحيم ثلاثا تفرد به أحمد ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن شعبة عن أبى اسحق به والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولا واحدا فان أحياء العرب كانت تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون ان ظهر على قومه فهو نبى فلما فتح الله عليه مكة دخلوا فى دين الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب ايمانا ولم يبق فى سائر قبائل العرب الا مظهر للاسلام ولله الحمد والمنة وقد روى البخارى فى صحيحه عن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاحياء تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فان ظهر عليهم فهو نبى الحديث وقد حررنا غزوة الفتح فى كتابنا السيرة فمن أراده فليراجعه هنالك ولله الحمد والمنة وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا

يدر بك فلم يدره وكذا قال الفراء والمعنى أى شئ يجعلك داريا بها ثم بين فضلها من ثلاثة أوجه أولها قوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر قال كثير من المفسرين اى العمل فيها خير من العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر واختار هذا الفراء والزجاج وذلك ان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير والنفع فلما جعل الله الخير الكثير فى ليلة كانت خيرا من الف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما فى هذه الليلة وقيل أراد بقوله ألف شهر جميع الدهر لان العرب تذكر الالف فى كثير من الاشياء على طريق المبالغة وقيل وجه ذكر ألف الشهر ان العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدا حتى يعبد الله ألف شهر فجعل الله لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبادة ليلة خيرا من عبادة ألف شهر كانوا يعبدونها وقيل ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم رأى أعمار أمته قصيرة فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته عن أنس فى الآية قال العمل فى ليلة القدر والصدقة والصلاة والزكاة افضل من الف شهر وعن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرى بنى امية على منبره فساءه ذلك فنزلت انا اعطيناك الكوثر يا محمد يعنى نهرا فى الجنة ونزلت انا انزلناه فى ليلة القدر الى قوله الف شهر يملكها بعدك بنو أمية قال القاسم فعددنا فاذا هى الف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما والمراد بالقاسم هو القاسم بن الفضل المذكور فى اسناده اخرجه الترمذى وضعفه وابن جرير والطبرانى والحاكم وابن مردويه والبيهقى قال الترمذى ان يوسف هذا مجهول يعنى يوسف بن سعد الذى رواه عن الحسن بن على قال ابن كثير فيه تطرف فانه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخالد الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور وفى رواية عنه هو ثقة ورواه ابن جرير من طريق القاسم ابن الفضل عن عيسى بن مازن قال ابن كثير ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا قال المزى هو حديث منكر وقول القاسم بن الفضل انه حسب مدة بنى أمية فوجدها ألف شهر الخ ليس بصحيح فان جملة مدتهم من عند ان استقل بالملك معاوية وهى سنة أربعين الى أن سلبهم الملك بنو العباس وهى سنة اثنتين وثلاثين ومائة مجموعها اثنتان وتسعون سنة وعن ابن عباس نحو ما روى عن الحسن بن على وعن سعيد بن المسيب مرفوعا مرسلا نحوه (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) وهى مستأنفة مبينة لوجه فضلها موضحة للعلة التى صارت بها خيرا من ألف شهر وهذا هو الوجه الثانى والمعنى متلبسين باذن ربهم والاذن الامر ومعنى تنزل تهبط من السموات الى الارض والروح هو جبريل عند جمهور المفسرين أى ومعهم جبريل ووجه ذكره بعد دخوله فى الملائكة التعظيم له والتشريف لشأنه وقيل الروح صنف من الملائكة هم أشرافهم وقيل هم جند من جنود الله من غير الملائكة وقيل الروح الرحمة وقد تقدم الخلاف فى الروح عند قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا قرأ الجمهور تنزل بفتح التاء وقرئ بضمها على البناء للمفعول (من) أجل (كل أمر) من الامور التى قضى الله بها فى تلك السنة وقيل ان من بمعنى اللام أى لكل أمر

وقيل

ابو اسحق عن الاوزاعى حدثنى أبو عمار حدثنى جار لجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاءنى جابر بن عبد الله فسلم على فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا فجعل جابر يبكى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة تبت وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت يدا أبى لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) قال البخارى حدثنا محمد بن سلام حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن عمرو ابن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقال أرأيتم ان حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقونى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب ألهذا جمعتنا تبا لك فانزل الله تبت يدا أبى لهب وتب الى آخرها وفى رواية فقام ينفض يديه وهو يقول تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فانزل الله تبت يدا أبى لهب وتب الاول دعاء عليه والثانى خبر عنه فابو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى بن

وقيل هي بمعنى الباء أي بكل أمر فهي للتعدية قاله أبو حاتم قرأ الجمهور أمر وهو واحد الامور وقرئ امرئ (١) مذكر امرأة أي من أجل كل انسان وتأولها الكلبي على ان جبريل ينزل مع الملائكة فيسلمون على كل انسان فمن على هذا بمعنى على والاول أولى وقد تم الكلام عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ بفضلها الثالث فقال (سلام هي) أي ما هي الا سلامة وخير كلها لا شر فيها وقيل هي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن أو مؤمنة قال مجاهد هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوأ ولا أذى وقال الشعبي هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشمس الى أن يطلع الفجر يمرون على كل مؤمن ويقولون السلام عليك أيها المؤمن وقيل يعني سلام الملائكة بعضهم على بعض وقال عطاء يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته وعن ابن عباس في الآية قال في تلك الليلة تصفد مردة الشياطين وتغل عفاريت الجن وتفتح فيها أبواب السماء كلها ويقبل الله فيها التوبة لكل تائب فلذا قال سلام هي (حتى مطلع الفجر) قال وذلك من غروب الشمس الى أن يطلع الفجر أي حتى وقت طلوعه قرأ الجمهور مطلع بفتح اللام وقرئ بكسرها فقيل هما لغتان في المصدر والفتح أكثر نحو المخرج والمقتل وقيل بالفتح اسم مكان وبالكسر المصدر وقيل العكس وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أي لمكثهم في محل تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر

*(سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وسورة المنفكين وسورة القيامة وسورة البرية هي ثمان آيات أو تسع آيات)

وهي مدنية في قول الجمهور وقيل مكية أخرج ابن مردويه عن ابن عباس نزلت بالمدينة وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت نزلت سورة لم يكن بمكة وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابي بن كعب ان الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن قال وسماني لك قال نعم فبكى وفيه فضيلة عظيمة لابي حيث أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقرأ عليه وعن أبي حبة البدري قال لما نزلت لم يكن الى آخرها قال جبريل يا رسول الله ان الله يأمرك ان تقرئها أبيا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابي ان جبريل أمرني ان أقرئك هذه السورة فقال أبي وقد ذكرت ثم يا رسول الله قال نعم فبكى أخرجه أحمد وابن قانع في معجم الصحابة والطبراني وابن مردويه قيل ان أبيا كان أسرع أخذا للالفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاراد بقراءته صلى الله عليه وآله وسلم عليه ان يأخذ ألفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويعلم غيره وعن اسمعيل بن أبي حكيم المزني أحد بني فضل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله يستمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدي وعزتي وجلالي لامكنن لك في الجنة حتى ترضى أخرجه أبو نعيم في المعرفة قال ابن كثير حديث غريب جدا وأخرجه أبو موسى المديني عن مطر المزني أو المدني بنحوه

عبد المطلب وكنيته أبو عتبة وانما سمي أبا لهب لاشراق وجهه وكان كثير الاذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدينه قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديل وكان جاهليا فاسلم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول انه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه عن شريح عن ابن أبي الزناد عن أبيه فذكره قال أبو الزناد قلت لربيعة كنت يومئذ صغيرا قال لا والله اني يومئذ لاعقل أني أزفر القربة تفرد به أحمد وقال محمد بن اسحق حدثني حسين بن عبد الله ابن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول اني لمع أبي رجل شاب أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو جمة يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم آمركم ان تعبدوا

(١) هذه قراءة علي وابن عباس وعكرمة والكلبي رضي الله عنهم اه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) المراد بهم اليهود والنصارى ومن للبيان (والمشركين) المراد بهم مشركو العرب وهم عبدة الاوثان وقرأ ابن مسعود لم يكن المشركون وأهل الكتاب قال ابن العربي وهي قراءة في معرض البيان لا في معرض التلاوة وقرأ أبي فما كان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركون وقرأ الاعمش والنخعي والمشركون بالرفع عطفا على الموصول وسمي أهل الكتاب كفارا مع ايمانهم بكتابهم ونبيهم لانهم عدلوا عن الطريق المستقيم في التوحيد فكفروا بذلك فانه قيل ان اليهود مجسمة وكذلك النصارى لقولهم بالتثليث وهذا يقتضي كفر جميع اهل الكتاب قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والظاهر خلافه ولذا قال الماتريدي ان من تبعيضية لان منهم من آمن (منفكين) يقال فككت الشئ فانفك اى انفصل والمعنى انهم لم يكونوا مفارقين لكفرهم ولا منتهين عما هم عليه (حتى تأتيهم) أى اتتهم (البينة) اى الحجة الواضحة وقيل الانفكاك بمعنى الانتهاء وبلوغ الغاية التي لم يكونوا يبلغون نهاية أعمارهم فيموتوا حتى تأتيهم البينة وقيل منفكين زائلين اى لم تكن مدتهم لتزول حتى تأتيهم البينة يقال ما انفك فلان قائما أى ما زال فلان قائما وأصل الفك الفتح ومنه فك الخلخال وقال الازهري ليس هو من باب ما انفك وما برح وانما هو من باب انفكاك الشئ عن الشئ وهو انفصاله عنه وقيل منفكين بارحين أى لم يكونوا ليبرحوا ويفارقوا الدنيا حتى تأتيهم البينة وقال ابن كيسان المعنى لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعث فلما بعث حسدوه وجحدوه وهو كقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وعلى هذا فيكون معنى قوله والمشركين انهم ما كانوا يسيئون القول في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعث فانهم كانوا يسمونه الأمين فلما بعث عادوه وأساؤا القول فيه وقيل منفكين هالكين من قولهم انفك صلبه أى انفصل فلم يلتئم فيهلك والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم وقيل ان المشركين هم اهل الكتاب فيكون وصفا لهم لانهم قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله قال أبو السعود منفكين عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم وانفكاك الشئ عن الشئ ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم انتهى ملخصا قال الواحدي ومعنى الآية اخبار الله تعالى عن الكفار انهم لم ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى أتاهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم الى الايمان وهذا بيان عن النعمة والانقاذ به من الجهل والضلالة والآية فيمن آمن من الفريقين قال وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء وسلكوا في تفسيرها طرقا لا تفضي بهم الى الصواب والوجه ما خبرتك فاحمد الله اذ أتاك بيانها من غير لبس ولا اشكال قال ويدل على كون البينة محمدا رسول الله

الله لا تشركوا به شيأ وان تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به واذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه يا بني فلان هذا يريد منكم ان تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لابي من هذا قال عمه أبو لهب رواه أحمد أيضا والطبراني بهذا اللفظ فقوله تعالى تبت يدا أبي لهب أي خسر وخاب وضل عمله وسعيه وتب أي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه وقوله تعالى ما أغنى عنه ماله وما كسب قال ابن عباس وغيره وما كسب يعني ولده وروي عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله وذكر عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه الى الايمان قال أبو لهب ان كان ما يقول ابن أخي حقا فاني افتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما أغنى عنه ماله وما كسب وقوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب أي ذات شرر ولهيب واحراق شديد وامرأته حمالة الحطب وكانت زوجته من سادات نساء قريش وهي ام جميل واسمها أروى بنت حرب بن امية وهي اخت ابي سفيان وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه

صلى الله عليه وآله وسلم انه فسرها وابدل بقوله الآتي رسول من الله يتلو صحفا مطهرة يعني ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها وهو القرآن ويدل على ذلك انه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب انتهى كلامه وقيل ان الآية حكاية لما كان يقوله اهل الكتاب والمشركون انهم لا يفارقون دينهم حتى يبعث النبي الموعود به فلما بعث تفرقوا كما حكاه الله عنهم في هذه السورة والمراد بالبينة على ما قاله الجمهور هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه سراجا منيرا وقد فسر الله سبحانه هذه البينة المجملة بقوله (رسول من الله) فاتضح الامر وتبين انه المراد بالبينة وقال قتادة وابن زيد البينة هي القرآن كقوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى وقال أبو مسلم المراد بها مطلق الرسل والمعنى حتى تأتيهم رسل من الله وهم الملائكة والاول أولى قرأ الجمهور برفع رسول على انه بدل كل من كل على سبيل المبالغة أو بدل اشتمال قال الزجاج رسول رفع على البدل من البينة وقال الفراء رفع على انه خبر مبتدأ مضمر أي هي رسول أو هو رسول وقرأ ابن مسعود وأبي رسولا بالنصب على القطع وقوله من الله متعلق بمحذوف هو صفة لرسول أي كائن من الله و يجوز تعلقه بنفس رسول (يتلو صحفا مطهرة) صفة أخرى لرسول أو حال وقال أبو البقاء التقدير يتلو صحفا مطهرة منزلة من الله ومعنى يتلو يقرأ يقال تلا يتلو تلاوة والصحف جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومعنى مطهرة انها منزهة من الزور والضلال قال قتادة مطهرة من الباطل قال الشهاب تطهير الصحف كناية عن كونها ليس فيها باطل على الاستعارة المصرحة أو المكنية وقيل مطهرة من الكذب والشبهات والكفر والمعنى واحد وقيل معظمة وقيل لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون والاول أولى والمعنى انه يقرأ ما تتضمنه الصحف والقراطيس من المكتوب فيها فالكتب بمعنى المكتوبات في القراطيس فالقرآن يجمع ثمرة كتب الله المتقدمة عليه والرسول وان كان أميا لكنه لما تلا ما في الصحف كان كالتالي لها فصح نسبة تلاوة الصحف اليه وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وانما يقرأ بالوحي عن ظهر قلب (فيها كتب) صفة لصحف أو حال من ضميرها والمراد الآيات والاحكام المكتوبة فيها التي هي مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه (قيمة) أي مستقيمة مستوية محكمة من قول العرب قام الشيء اذا استوى وصح قال صاحب النظم الكتب بمعنى الحكم كقوله كتب الله لاغلبن أنا ورسلي أي حكم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في قصة العسيف لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالرجم وليس الرجم في كتاب الله فالمراد لاقضين بينكما بحكم الله وبهذا يندفع ما قيل ان الصحف هي الكتب فكيف قال صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وقال الحسن يعني بالصحف التي في السماء يعني في اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة) مستأنفة لتوبيخ أهل الكتاب وتقريعهم وبيان ان ما نسب اليهم من عدم الانفكاك لم يكن لاشتباه الامر بل كان بعد وضوح الحق وظهور الصواب وأيضا تصريح بما أفادته الغاية قبله وافراد أهل الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى فاقتصر عليهم لانهم

في عذابه في نار جهنم ولهذا قال تعالى حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهيأة لذلك مستعدة له في جيدها حبل من مسد قال مجاهد وعروة من مسد النار وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثوري والسدي حمالة الحطب كانت تمشي بالنميمة واختاره ابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس وعطية الجدلي والضحاك وابن زيد كانت تضع الشوك في طريق رسول صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير وقيل كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وكانت تحتطب فعيرت بذلك كذا حكاه ولم يعزه الى أحد والصحيح الاول والله أعلم قال سعيد ابن المسيب كانت لها قلادة فاخرة فقالت لانفقنها في عداوة محمد يعني فأعقبها الله منها حبلا في جيدها من مسد النار وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال المسد الليف وقال عروة بن الزبير المسد سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وعن الثوري هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعا وقال الجوهري المسد الليف والمسد أيضا حبل من ليف أو خوص وقد يكون من جلود الابل أو أوبارها ومسدت الحبل أمسده مسدا اذا أجدت فتله وقال

أشد جرما وأنه يعلم حال غيرهم بالطريق الاولى فهو من باب الاكتفاء فالمعنى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ولا المشركون الامن بعد الخ قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فلما بعث تفرقوا فى أمره واختلفوا فآمن به بعضهم وكفر آخرون والاستثناء مفرغ من أعم الاوقات أى وما تفرقوا فى وقت من الاوقات الامن بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة وهى بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشريعة الغراء والمحجة البيضاء أو هو صلى الله عليه وآله وسلم وقيل البينة القرآن وقيل البينة هو البيان الواضح الذى فى كتبهم انه نبى مرسل كقوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الامن بعد ما جاءهم العلم قال القرطبى قال العلما من أول السورة الى قوله كتب قيمة حكمها فيمن آمن من أهل الكتاب والمشركين وقوله وما تفرق الذين الخ فيمن لم يؤمن من أهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجج وجملة (وما أمروا الا ليعبدوا الله) حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا وتقريعهم وتوبيخهم بما فعلوا من التفرق بعد مجىء البينة أى والحال انهم ما أمروا فى كتبهم الا لاجل ان يعبدوا الله ويوحدوه وقيل ان اللام فى ليعبدوا بمعنى ان أى ما أمروا الا بان يعبدوا كقوله يريد الله ليبين لكم أى ان يبين وقوله يريدون ليطفؤا نور الله أى ان يطفؤا والعبادة هى التذلل ومن زعم انها الطاعة فقد أخطأ لان جماعة عبدوا المسيح والملائكة والاصنام وما أطاعوهم لكنها فى الشرع صارت اسما لكل طاعة أديت له على وجه التذلل والنهاية فى التعظيم (مخلصين له الدين) أى حال كونهم جاعلين دينهم خالصا له سبحانه أو جاعلين أنفسهم خالصة له فى الدين قرأ الجمهور مخلصين بكسر اللام وقرأ الحسن بفتحها وهذه الآية من الادلة الدالة على وجوب النية فى العبادات لان الاخلاص فى العمل من عمل القلب قال الكرخى الاخلاص ان لا يطلع على عملك الا الله سبحانه ولا تطلب منه ثوابا وقال الشهاب الاخلاص عدم الشرك وانه ليس بمعنى الاخلاص المتعارف وانتصاب (حنفاء) على الحال من ضمير مخلصين فيكون من باب التداخل ويجوز ان يكون من فاعل يعبدوا والمعنى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم وقيل حجاجا وقيل مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف الذى آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين أحد منهم والاول أولى وأصل الحنف فى اللغة الميل وخصه العرف بالميل الى الخير وسموا الميل الى الشر إلحادا والحنيف المطلق هو الذى يكون متبرئا عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع النحل الى الاعتقادات وعن توابعها من الخطا والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام التقى وعن المكروهات الى المستحبات وهو المقام الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما لا يعنى الى ما يعنى وهو المقام الثانى من الورع وعما يجر الى الفضول وهو مقام الزهد فالآية جامعة لمقامى الاخلاص الناظر أحدهما الى الحق والثانى الى الخلق (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) أى يفعلوا الصلوات فى أوقاتها ويعطوا الزكاة عند محلها وخص الصلاة والزكاة لانهما من أعظم أركان الدين قيل ان أريد بالصلاة والزكاة ما فى شريعة أهل الكتاب من الصلاة

والزكاة

مجاهد فى جيدها حبل من مسد أى طوق من حديد الا ترى أن العرب يسمون البكرة مسدا وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى وأبو زرعة قالا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن كثير عن ابن بدوس (١) عن أسماء بنت أبى بكر قالت لما نزلت تبت يدا أبى لهب أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفى يدها فهر وهى تقول

مذمما أبينا * ودينه قلينا
* وأمره عصينا *

ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك ان تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن ترانى وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فاقبلت حتى وقفت على أبى بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر انى أخبرت ان صاحبك هجانى قال لا ورب هذا البيت ما هجاك فولت وهى تقول قد علمت قريش انى ابنة سيدها قال وقال الوليد فى حديثه أو غيره فعثرت أم جميل فى مرطها وهى تطوف بالبيت فى مرطها فقالت تعس مذمم فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب انى لحصان فما أكلم

(١) قوله ابن بدوس كذا بالاصل وحرر اه مصححه

والزكاة فالامر ظاهر وان أريد ما فى شريعتنا فمعنى أمرهم بهما فى الكتابين أمرهم باتباع شريعتنا وهما من جملة ما وقع الامر به فيها (وذلك) المذكور من عبادة الله واخلاصها واقامة الصلاة وايتاء الزكاة (دين القيمة) أى دين الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة قاله الزجاج فالقيمة صفة لموصوف محذوف قال الخليل القيمة جمع القيم والقيم القائم قال الفراء أضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين وأنث القيمة ردا الى الملة وقال الفراء أيضا هو من اضافة الشئ الى نفسه ودخلت الهاء للمدح والمبالغة وما فى الاشارة من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته وسمو مكانته ثم بين سبحانه حال الفريقين فى الآخرة بعد بيان حالهم فى الدنيا فقال (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) عطف على الموصول أو المجرور وخبر ان (فى نار جهنم) أى انهم يصيرون اليها يوم القيامة وبدأ بأهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون فى نبوته فجنايتهم أعظم لانهم أنكروه مع العلم به (خالدين فيها) حال من المستكن فى الخبر ولم يقل خالدين فيها ابدا كما قال بعد فى صفة أهل الثواب لان رحمته أزيد من غضبه فلم يتفق الخلودان فى الابدية (أولئك) المذكورون من أهل الكتاب والمشركين المتصفين بالكون فى نار جهنم والخلود فيها (هم شر البرية) يقال برأ أى خلق والبارئ الخالق والبرية الخليقة قرأ الجمهور البرية فى الموضعين بغير همز وقرئ بالهمز فيهما قال الفراء ان أخذت البرية من البراء وهو التراب لم تدخل الملائكة تحت هذا اللفظ وان أخذتها من بريت القلم أى قدرته دخلت وقيل ان الهمز هو الاصل لانه يقال برأ الله الخلق بالهمز أى ابتدعه واخترعه ومنه قوله من قبل ان نبرأها ولكنها خففت الهمزة والتزم تخفيفها عند عامة العرب وظاهر الآية العموم وقيل شر البرية الذين عاصروا الرسول اذ لا يبعد أن يكون فى كفار الامم من هو شر من هؤلاء كفرعون وعاقر ناقة صالح عليه السلام وشر البرية افعل تفضيل أى لانهم يخفون من كتاب الله صفة محمد وأشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق دين الحق على الخلق وأشر من الجهال لان الكفر مع العلم يكون عنادا وهذا فيه تنبيه على ان وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد ثم بين سبحانه حال الفريق الآخر فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى جمعوا بين الايمان والعمل الصالح (أولئك) المنعوتون بهذا (هم خير البرية) أى فى عصره صلى الله عليه وآله وسلم ولا يبعد أن يكون فى مؤمنى الامم السالفة من هو خير منهم وعن أبى هريرة قال أتعجبون من منزلة الملائكة من الله والذى نفسى بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك واقرؤا ان شئتم ان الذين آمنوا الآية وعن عائشة قالت قلت يارسول الله من أكرم الخلق على الله قال ياعائشة أما تقرئين ان الذين آمنوا الآية أخرجه ابن مردويه وعن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل على فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم والذى نفسى بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت ان الذين آمنوا الآية فكان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم اذا أقبل قالوا قد جاء خير البرية أخرجه ابن عساكر وعن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله لعلى هو أنت وشيعتك يوم القيامة

وثقاف فما أعلم وكلنا من بنى العم وقريش بعد أعلم وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد وأحمد بن اسحق قالا حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت تبت يدا أبى لهب جاءت امرأة أبى لهب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر فقال له أبو بكر لو تنحيت لا تؤذيك بشئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيحال بينى وبينها فاقبلت حتى وقفت على أبى بكر فقالت ياأبابكر هجانا صاحبك فقال أبو بكر لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به فقالت انك لمصدق فلما ولت قال أبو بكر ما رأتك قال لا مازال ملك يسترنى حتى ولت ثم قال البزار لا نعلمه يروى باحسن من هذا الاسناد عن أبى بكر رضى الله عنه وقد قال بعض أهل العلم فى قوله تعالى فى جيدها حبل من مسد أى فى عنقها حبل من نار جهنم ترفع به الى شفيرها ثم ترمى الى أسفلها ثم كذلك دائما قال أبو الخطاب بن دحية فى كتابه التنوير وقد روى ذلك وعبر بالمسد عن حبل الدلو كما قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات كل مسد رشاء وأنشد فى ذلك

وبكرة ومحورا صرارا
ومسدا من أبق مغارا

قال والابق القنب

راضين مرضيين أخرجه ابن مردويه وأخرج الضياء عن علي مرفوعا نحوه وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعا علي خير البرية وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أخبركم بخير البرية قالوا بلى يارسول الله قال رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه ألا أخبركم بشر البرية قالوا بلى قال الذي يسئل بالله ولا يعطي به (١) أخرجه أحمد (جزاؤهم عند ربهم) أي ثوابهم عند خالقهم بمقابلة ما وقع منهم من الايمان والعمل الصالح (جنات عدن) هذا من مقابلة الجمع بالجمع وهو يقتضي انقسام الآحاد على الآحاد فيكون لكل واحد جنة وقيل الجمع باق على حقيقته وأن لكل واحد جنات كما يدل عليه قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ومن دونهما جنتان فذكر لكل واحد أربع جنات وأدنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر مرات والمراد بجنات عدن هي أوسط الجنات وأفضلها يقال عدن بالمكان يعدن عدنا أي أقام ومعدن الشيء مركزه ومستقره (تجري من تحتها الانهار) الاربعة وهي الخمر والماء والعسل واللبن وقد قدمنا في غير موضع انه ان أريد بالجنات الاشجار الملتفة فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد مجموع قرار الارض والشجر فجري الانهار من تحتها باعتبار جزئها الظاهر وهو الشجر (خالدين فيها أبدا) لا يخرجون منها ولا يظعنون عنها بل هم دائمون في نعيمها مستمرون في لذاتها وجملة (رضي الله عنهم ورضوا عنه) مستأنفة لبيان ما تفضل الله به عليهم من الزيادة على مجرد الجزاء وهو رضوانه عنهم حيث أطاعوا أمره وقبلوا شرائعه ورضاهم عنه حيث بلغوا من المطالب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز أن تكون الجملة خبرا ثانيا وان تكون في محل نصب على الحال باضمار قد (ذلك لمن خشي ربه) أي ذلك الجزاء والرضوان لمن وقعت منه الخشية لله سبحانه في الدنيا وانتهى عن معاصيه بسبب تلك الخشية التي وقعت له لا مجرد الخشية مع الانهماك في معاصي الله سبحانه فانها ليست بخشية على الحقيقة

(سورة لزلزلة هي ثمان أو تسع آيات وهي مدنية في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر)

عن عبد الله بن عمرو قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أقرئني يارسول الله قال اقرأ ثلاثا من ذوات الر فقال الرجل كبر سني واشتد قلبي وغلظ لساني قال اقرأ ثلاثا من ذوات حم فقال مثل مقالته الاولى فقال اقرأ ثلاثا من المسبحات فقال مثل مقالته الاولى وقال ولكن أقرئني يارسول الله سورة جامعة فاقرأه اذا زلزلت الارض حتى فرغ منها قال الرجل والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفلح الرويجل أفلح الرويجل أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اذا زلزلت الارض عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن أخرجه

الترمذي

وقال آخر

يا سيد الخوص تعوذ مني
ان تك لدنا لينا فاني
ما شئت من أشمط مقسئن

قال العلماء وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الايمان لم يقيض لهما ان يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنا ولا ظاهرا لا مسرا ولا معلنا فكان هذا من أقوى الادلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة* آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الاخلاص وهي مكية)

(ذكر سبب نزولها وفضلها) قال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد محمد ابن ميسر الصاغاني حدثنا أبو جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وكذا رواه الترمذي وابن جرير عن

(١) قال أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره انتهى فتح القدير للشوكاني رحمه الله

الترمذى وابن مردويه والبيهقى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا زلزلت الارض تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن أخرجه الترمذى وابن الضريس ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والبيهقى قال الترمذى غريب لانعرفه الا من حديث يمان بن المغيرة وأخرج الترمذى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل من أصحابه هل تزوجت يافلان قال لا والله يارسول الله ولا عندى ماأتزوج به قال أليس معك قل هو الله أحد قال بلى قال ثلث القرآن قال أليس معك اذا جاء نصر الله والفتح قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك اذا زلزلت الارض قال بلى قال ربع القرآن تزوج قال الترمذى هذا حديث حسن وعن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من قرأ فى ليلة اذا زلزلت كان له عدل نصف القرآن أخرجه ابن مردويه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اى اذا حركت حركة شديدة وجواب الشرط تحدث والمراد تحركها عند قيام الساعة فانها تضطرب من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل شئ عليها قال مجاهد وهى النفخة الاولى لقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وفى الخازن فى وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الاكثرين انها فى الدنيا وهى من اشراط الساعة والثانى انها زلزلة يوم القيامة انتهى ويؤيد القول الثانى قوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها فان الاخراج انما هو فى النفخة الثانية وكذا شهادتها انما وقع عليها انما هو بعد النفخة الثانية وكذلك انصراف الناس من الموقف انما يكون بعد الثانية تأمل وذكر المصدر للتأكيد ثم أضافه الى الارض فهو مصدر مضاف الى فاعله والمعنى زلزالها المخصوص الذى يستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها قرأ الجمهور زلزالها بكسر الزاى وقرئ بفتحها وهما مصدران بمعنى وقيل المكسور مصدر والمفتوح اسم قال القرطبى والزلزال بالفتح مصدر كالوسواس والقلقال قال ابن عباس فى الآية أى تحركت من أسفلها (وأخرجت الارض أثقالها) أى مافى جوفها من الاموات والدفائن والاثقال جمع ثقل قال أبو عبيدة والاخفش اذا كان الميت فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها قال مجاهد اثقالها موتاها تخرجهم فى النفخة الثانية وقد قيل للجن والانس الثقلان واظهار الارض فى موضع الاضمار لزيادة التقرير قال ابن عباس أثقالها الموتى والكنوز وأخرج مسلم والترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقئ الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجئ القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجئ السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ (وقال الانسان مالها) أى قال كل فرد من افراد الانسان مالها زلزلت لما يدهمه من أمرها ويبهره من خطبها وقيل المراد بالانسان الكافر وقوله مالها مبتدأ وخبر وفيه معنى

أحمد بن منيع زاد ابن جرير ومحمود ابن خداش عن أبى سعيد محمد بن ميسر به زاد ابن جرير والترمذى قال الصمد الذى لم يلد ولم يولد لانه ليس شئ يولد الا سيموت وليس شئ يموت الا سيورث وان الله عز وجل لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد ولم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثله شئ ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى سعيد محمد بن ميسر به ثم رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبى جعفر عن أبى الربيع عن أبى العالية فذكره مرسلا ثم لم يذكر حدثنا ثم قال الترمذى وهذا أصح من حديث أبى سعيد (حديث آخر فى معناه) قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا اسمعيل بن مجالد عن مجاهد عن الشعبى عن جابر رضى الله عنه ان اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله أحد الى آخرها اسناد مقارب وقد رواه ابن جرير عن محمد ابن عوف عن سريج فذكره وقد أرسله غير واحد من السلف وروى عبد بن اسحق العطار عن قيس بن الربيع عن عاصم عن ابى وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة قل هو الله أحد قال الطبرانى رواه الفريابى وغيره عن قيس عن

التعجب أى اى شئ لها أولاى شئ زلزلت وأخرجت أثقالها قال ابن عباس الكافر يقول مالها وقوله (يومئذ) بدل من اذا والعامل فيهما قوله (تحدث أخبارها) ويجوز أن يكون العامل فى اذا محذوفا والعامل فى يومئذ تحدث والمعنى يوم اذا زلزلت وأخرجت تخبر بأخبارها وتحدثهم بما عمل عليها من خير وشر وذلك اما بلسان الحال حيث يدل على ذلك دلالة ظاهرة أو بلسان المقال بان ينطقها الله سبحانه وقيل هذا متصل بقوله وقال الانسان مالها أى قال مالها تحدث أخبارها متعجبا من ذلك وقال يحيى بن سلام تحدث أخبارها بما أخرجت من أثقالها وقيل تحدث بقيام الساعة وانها قد أتت وان الدنيا قد انقضت قال ابن جرير تبين أخبارها بالرجفة والزلزلة واخراج الموتى ومفعول تحدث الاول محذوف والثانى هو أخبارها أى تحدث الخلق أخبارها عن أبى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا فهذا أخبارها أخرجه أحمد والترمذى وصححه والنسائى وغيرهم وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الارض لتجئ يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا زلزلت الارض زلزالها حتى بلغ يومئذ تحدث أخبارها أخرجه ابن مردويه والبيهقى وعن ربيعة الجرشى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تحفظوا من الارض فانها امكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا الا وهى مخبرة أخرجه الطبرانى (بان ربك أوحى لها) متعلق بتحدث أو بنفس أخبارها والباء زائدة وقيل سببية أى بسبب ايحاء الله اليها قال الفراء تحدث أخبارها بوحى الله واذنه لها واللام فى لها بمعنى الى وانما أوثرت على الى لموافقة الفواصل والعرب تضع لام الصفة موضع الى كذا قال أبو عبيدة وقيل ان أوحى يتعدى باللام تارة وبالى اخرى وقيل ان اللام على بابها من كونها للعلة والموحى اليه محذوف وهو الملائكة والتقدير أوحى الى الملائكة لاجل الارض أى لاجل ما يفعلون فيها والاول أولى وقوله (يومئذ) اما بدل من يومئذ الذى قبله واما منصوب بمقدر هو اذكر واما منصوب بما بعده والمعنى يوم اذ يقع ما ذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب (أشتاتا) أى متفرقين والصدر الرجوع وهو ضد الورود وقيل يصدرون من موضع الحساب الى الجنة أو النار وانتصاب أشتاتا على الحال والمعنى ان بعضهم آمن وبعضهم خائف وبعضهم بلون أهل الجنة وهو البياض وبعضهم بلون أهل النار وهو السواد وبعضهم ينصرف الى جهة اليمين وبعضهم الى جهة الشمال مع تفرقهم فى الاديان واختلافهم فى الاعمال (ليروا أعمالهم) متعلق بيصدر وقيل فيه تقديم وتأخير أى تحدث أخبارها بان ربك أوحى لها ليروا أعمالهم يومئذ يصدر الناس أشتاتا قرأ الجمهور ليروا مبنيا للمفعول وهو من رؤية البصر أى ليريهم الله أعمالهم وقرئ مبنيا للفاعل والمعنى ليروا جزاء أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) أى وزن نملة وهى أصغر ما يكون من النمل قرأ الجمهور يره فى الموضعين بضم الهاء وصلا

عاصم عن أبى وائل مرسلا ثم روى الطبرانى من حديث عبد الرحمن ابن عثمان الطائفى عن الوازع بن نافع عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد الله الصمد والصمد ليس بأجوف (حديث آخر فى فضلها) قال البخارى حدثنا محمد هو الذهلى حدثنا احمد بن صالح حدثنا ابن وهب اخبرنا عمرو عن ابن أبى هلال ان أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه عن امه عمرة بنت عبد الرحمن وكانت فى حجر عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لاصحابه فى صلاتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاى شئ يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن وانا أحب ان اقرأ بها فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخبروه ان الله تعالى يحبه هكذا رواه فى كتاب التوحيد ومنهم من يسقط ذكر محمد الذهلى ويجعله من روايته عن احمد بن صالح وقد رواه مسلم والنسائى أيضا من حديث عبد الله ابن وهب عن عمرو (١) بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال (حديث آخر) قال البخارى فى كتاب الصلاة وقال عبيد الله عن ثابت عن انس رضى الله عنه قال كان رجل من الانصار

(١) قوله عمرو بن الحرث كذا فى نسخة وفى أخرى ابن أيوب وحرراه مصححه

وسكونها

وسكونها وقفا (١) وقرأ هشام بسكونها وصلا ووقفا وقرأ الجمهور أيضا يره مبنيا للفاعل
في الموضعين وقرئ على البناء للمفعول فيهما أي يريه الله إياه وقرئ يراه على توهم ان
من موصولة أو على تقدير الجزم بحذف الحركة المقدرة في الفعل قال مقاتل فمن يعمل في
الدنيا مثقال ذرة خيرا يره يوم القيامة في كتابه فيفرح به وكذلك من يعمل مثقال ذرة في
الدنيا شرا يره يوم القيامة فيسوءه ومثل هذه الآية قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقال
بعض أهل اللغة ان الذرة هو ان يضرب الرجل بيده على الارض فما علق من التراب فهو
ذرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء والاول أولى ومن الاولى عبارة عن
السعداء ومن الثانية عبارة عن الاشقياء وقال محمد بن كعب فمن يعمل مثقال ذرة من
خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له
عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله
وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر والاول أولى قال مقاتل نزلت في
رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان
الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما أوعد الله النار على
الكافرين قال ابن مسعود هذه الآية أحكم آية في القرآن وأصدق وقد اتفق العلماء
على عموم هذه الآية قال كعب الاحبار لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم آيتان
أحصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل الخ وروى محيي السنة عن
ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا كان أو شرا الا أراه الله تعالى فأما المؤمن
فيغفر له سيآته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعذب بسيآته
وهذا الاحتمال يساعده النظم والمعنى عن أنس قال بينا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى
عنه يأكل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ نزلت عليه فمن يعمل الخ فرفع أبو بكر يده
وقال يا رسول الله اني لراء ما عملت من مثقال ذرة من شر فقال يا أبا بكر أرأيت ما ترى في
الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة أخرجه
ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الاوسط والحاكم في تاريخه وابن مردويه
والبيهقي في الشعب وعن أبي أسماء قال بينا أبو بكر يتغدى مع رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم اذ نزلت هذه الآية فأمسك أبو بكر وقال يا رسول الله ما عملنا من شر رأيناه فقال
ما ترون مما تكرهون فذاك مما تجزون ويؤخر الخير لاهله في الآخرة أخرجه اسحق بن
راهويه وعبد بن حميد والحاكم وابن مردويه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
أنزلت اذا زلزلت وأبو بكر الصديق قاعد فبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ما يبكيك يا أبا بكر قال تبكيني هذه السورة فقال لولا انكم تخطئون وتذنبون فيغفر لكم
لخلق الله قوما يخطئون ويذنبون فيغفر لهم أخرجه ابن أبي الدنيا وابن جرير والطبراني
وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال الخيل لثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر الحديث قال وسئل عن الحمر فقال
ما أنزل علي الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال

يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما
افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة
مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد
حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة
أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل
ركعة فكلمه أصحابه فقالوا انك
تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها
تجزئك حتى تقرأ بالاخرى فاما ان
تقرأ بها واما ان تدعها وتقرأ بأخرى
فقال ما أنا بتاركها ان احببتم ان
أؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم
تركتكم وكانوا يرون انه من
أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره
فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم
اخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك
ان تفعل ما يأمرك به اصحابك وما
حملك على لزوم هذه السورة في كل
ركعة قال اني احبها قال حبك اياها
ادخلك الجنة هكذا رواه البخاري
تعليقا مجزوما به وقد رواه ابو عيسى
الترمذي في جامعه عن البخاري عن
اسمعيل بن ابي اويس عن عبد العزيز
ابن محمد الدراوردي عن عبيد
الله بن عمر فذكر باسناده مثله سواء
ثم قال الترمذي غريب من حديث
عبيد الله عن ثابت قال وروى
مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس

(١) ونقل أبو حيان عن هشام وأبي
بكر سكونها وعن أبي عمرو ضمها
مشبعة وباقي السبعة باشباع الاولى
وسكون الثانية وفي هذا النقل نظر
والصواب ما ذكرنا انتهى فتح القدير

ذرة شر ايره أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما

(سورة العاديات هي احدى عشرة آية وهي مكية)

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن والعاديات تعدل نصف القرآن وهو مرسل أخرجه أبو عبيد في فضائله وعن ابن عباس مرفوعا مثله أخرجه محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح وزاد وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات) جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها كالغازيات من الغزو والمراد بها الخيل العادية في الغزو نحو العدو (ضبحا) مصدر مؤكد لاسم الفاعل فان الضبح نوع من السير ونوع من العدو يقال ضبح الفرس اذا عدا بشدة مأخوذ من الضبع وهو الدفع وكأن الحاء بدل من العين قال أبو عبيدة والمبرد الضبح من اضباعها في السير ويجوز أن يكون مصدرا في موضع الحال أي ضابحات أو ذوات ضبح ويجوز أن يكون مصدر الفعل محذوف أي يضبح ضبحا وقيل الضبح صوت حوافرها اذا عدت وقال الفراء الضبح صوت أنفاس الخيل اذا عدت قيل كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة وقيل الضبح صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل وقد ذهب الجمهور الى ماذكرنا من ان العاديات ضبحا هي الخيل وقال عبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي هي الابل ونقل أهل اللغة ان أصل الضبح للثعلب فاستعير للخيل قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيلا فاستمرت شهرا لا يأتيه منها خبر فنزلت والعاديات ضبحا ضبحت بأرجلها وفي لفظ ضبحت بمناخرها وعنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية الى العدو فابطأ خبرها فشق ذلك عليه فأخبره الله خبرهم وما كان من أمرهم فقال والعاديات ضبحا قال هي الخيل والضبح نخير الخيل حين تنخر وعنه قال هي الخيل في القتال وضبحها حين ترخى مشافرها اذا عدت وعن ابن مسعود قال هي الابل قال ابراهيم النخعي قال علي هي الابل وقال ابن عباس هي الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس انما كانت تلك في سرية بعثت وعن عامر الشعبي قال تمارى علي وابن عباس في العاديات ضبحا فقال ابن عباس هي الخيل (١) وقال علي كذبت يا ابن فلانة والله ما كان معنا يوم بدر فارس الا المقداد كان على فرس ابلق قال وكان يقول هي الابل فقال ابن عباس الا ترى انها تثير نقعا فما شئ يثير الا بحوافرها وعن ابن عباس قال هي الخيل في القتال وعن ابن مسعود قال في الحج وعن ابن عباس ليس شئ من الدواب يضبح الا الكلب أو الفرس وقد روى عنه بطرق انها الخيل وعنه قال الخيل ضبحها زحيرها ألم تر ان الفرس اذا عدا قال اح اح فذلك ضبحها وعن علي قال الضبح من الخيل الحمحمة ومن الابل النفس (فالموريات قدحا) هي الخيل حين تورى النار بسنابكها والايراء

ان رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله أحد قال ان حبك اياها أدخلك الجنة وهذا

(١) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الانباري في كتاب الاضداد والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال بينما أنا في الحجر جالس اذ أتاني رجل يسأل عن العاديات ضبحا فقلت الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي الى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني فذهب الى علي بن أبي طالب وهو جالس تحت سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها أحدا قبلي قال نعم سألت عنها ابن عباس فقال هي الخيل حين تغير في سبيل الله فقال اذهب فادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف يكون العاديات ضبحا انما العاديات ضبحا من عرفة الى المزدلفة فاذا أووا الى المزدلفة أوقدوا النيران والمغيرات صبحا من المزدلفة الى منى فذلك جمع وأما قوله فأثرن به نقعا فهي نقع الارض حين تطؤه باخفافها وحوافرها قال ابن عباس فنزعت من قولي ورجعت الى الذي قال علي رضي الله عنه ذكره الشوكاني رحمه الله في فتح القدير انتهى سيد ذو الفقار أحمد

اخراج النار والقدح الصك فجعل ضرب الخيل بحوافرها كالقدح بالزناد قال الزجاج اذا عدت الخيل بالليل وأصاب حوافرها الحجارة انقدح منها النيران والكلام فى انتصاب قدحا كالكلام فى انتصاب ضبحا والخلاف فى كونها الخيل او الابل كالخلاف الذى تقدم فى العاديات والراجح انها الخيل كما ذهب اليه الجمهور وكما هو الظاهر من هذه الاوصاف المذكورة فى هذه السورة ما تقدم منها وما سيأتى فانها فى الخيل أوضح منها فى الابل وتقدم ما فى ذلك من الخلاف بين الصحابة قال ابن عباس فى الآية قدحت بحوافرها الحجارة وعنه قال حين تجرى الخيل تورى نارا أصابت سنابكها الحجارة وعنه قال الرجل اذا أورى زنده وعنه قال هو مكر الرجل قدح فأورى وقال ابن مسعود اذا سفت الحصى بمناسمها فضرب الحصى بعضه بعضا فتخرج منه النار (فالمغيرات صبحا) أى التى تغير على العدو وقت الصباح يقال اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه لقتل أو اسر او نهب وأسند الاغارة اليها وهى لاهلها للاشعار بانها عمدتهم فى اغارتهم وصبحا منصوب على الظرفية قال ابن عباس صبحت القوم بغارة وعنه قال هى الخيل اغارت فصبحت العدو وعنه قال اذا أصبحت العدو وعنه قال الخيل تصبح العدو وقال أيضا اغارت الخيل صبحا وقال ابن مسعود حين يفيضون من جمع وانما أقسم الله عزوجل بخيل الغزاة تنبيها على فضلها وفضل رباطها فى سبيل الله ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة (فأثرن به نقعا) معطوف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتى غدون فأثرن أو على اسم الفاعل نفسه لكونه فى تأويل الفعل لوقوعه صلة للموصول فان الالف واللام فى الصفات أسماء موصولة فالكلام فى قوة واللاتى غدون فأورين فاغرن فأثرن والنقع الغبار الذى أثارته فى وجه العدو وعند الغزو وتخصيص اثارته بالصبح لانه وقت الاغارة ولكونه لا يظهر أثر النقع فى الليل الذى اتصل به الصبح وقيل المعنى فأثرن بمكان عدوهن نقعا يقال ثار النقع وأثرته أى هاج وهيجته قرأ الجمهور فأثرن بتخفيف الثاء وقرئ بتشديدها أى فاظهرن غبارا وقال أبو عبيدة النقع رفع الصوت وعلى هذا رأيت قول أكثر أهل العلم انتهى والمعروف عند جمهور أهل اللغة والمفسرين ان النقع الغبار وهذا هو المناسب لمعنى الآية وليس لتفسير النقع بالصوت فيها كثير معنى فان قولك اغارت الخيل على بنى فلان صبحا فأثرن به صوتا قليل الجدوى مغسول المعنى بعيد من بلاغة القرآن المعجزة وقيل النقع شق الجيوب وقال محمد بن كعب النقع ما بين مزدلفة الى منى وقيل انه طريق الوادى قال فى الصحاح النقع الغبار والجمع انقاع والنقع محبس الماء وكذلك ما اجتمع فى البئر منه والنقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الماء قال ابن عباس فى الآية اثارت بحوافرها التراب وقال أيضا هى الخيل أثرن بحوافرها يقول بعدو الخيل والنقع الغبار وعنه قال التراب وقال أيضا نقعا غبارا وقال ابن مسعود اذا سرن يثرن التراب (فوسطن به جمعا) أى توسطن بذلك الوقت أو توسطن متلبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء أو صرن بعدوهن وسط جمع الاعداء والباء اما للتعدية أو للحالية أو زائدة يقال وسطت القوم والمكان أسط وسطا من باب وعد اذا توسطت بين ذلك والفاعل واسط وبه سمى البلد المشهور بالعراق لانه توسط

الذى علقه الترمذى قد رواه الامام احمد فى مسنده متصلا فقال حدثنا ابو النضر حدثنا مبارك بن فضالة عن ثابت عن انس رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى احب هذه السورة قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك اياها ادخلك الجنة حديث فى كونها تعدل ثلث القرآن قال البخارى حدثنا اسمعيل حدثنى مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة عن ابيه عن أبى سعيد ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد يرددها فلما أصبح جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انها لتعدل ثلث القرآن زاد اسمعيل بن جعفر عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبى سعيد قال أخبرنى اخى قتادة بن النعمان عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد رواه البخارى أيضا عن عبد الله ابن يوسف والقعنبى و رواه أبو داود عن القعنبى والنسائى عن قتيبة كلهم عن مالك به وحديث قتادة بن النعمان اسنده النسائى من طريقين عن اسمعيل بن جعفر عن مالك به حديث آخر قال البخارى حدثنا عمر بن حفص

الاقليم تقول جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم لما يكتنفه غيره من جهاته وكل موضع صلح فيه بين فهو وسط بالسكون وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك وربما سكن وليس بالوجه وجمعا مفعول به والفاآت في المواضع الاربعة للدلالة على ترتب ما بعد كل واحدة منها على ماقبلها قرأ الجمهور فوسطن بتخفيف السين وقرئ بالتشديد قال ابن عباس في الآية صبحت القوم جمعا وفي لفظ الجمع العدو وفي لفظ اذا توسطت العدو وفي لفظ جمع العدو (ان الانسان لربه لكنود) هذا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده وهو الكافر والكنود الكفور للنعمة وقوله لربه متعلق بكنود وقدم لرعاية الفواصل وقيل هو الجاحد للحق وقيل الكنود مأخوذ من الكند وهو القطع كأنه قطع ما ينبغي أن يواصله من الشكر يقال كند الحبل اذا قطعه وقيل الكنود البخيل بلغة بني مالك وقيل الحسود وقيل الجهول لقدره وقيل العاصي بلغة كندة وتفسير الكنود بالكفور للنعمة أولى بالمقام والجاحد للنعمة كافر لها ولا يناسب المقام سائر ماقيل وعن ابن عباس قال الكنود بلساننا أهل البلد الكفور وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الكنود الكفور أخرجه ابن عساكر وعنه قال الكنود الذي يمنع رفده وينزل وحده ويضرب عبده وروى نحوه مرفوعا عنه وسنده ضعيف والموقوف أصح (وانه على ذلك) أي وان الانسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه به لظهور أثره عليه وقيل المعنى وان الله جل ثناؤه على ذلك من ابن آدم لشهيد وبه قال الجمهور وقال بالاول الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وهو أرجح من قول الجمهور لقوله (وانه لحب الخير لشديد) فان الضمير راجع الى الانسان والمعنى انه لحب المال قوي مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ومنه قوله تعالى ان ترك خيرا وقيل المعنى وان الانسان من أجل حب المال لبخيل والاول أولى واللام في لحب متعلقة بشديد قال ابن زيد سمى الله المال خيرا وعسى أن يكون شرا ولكن الناس يجدونه خيرا فسماه خيرا قال الفراء أصل نظم الآية أن يقال وانه لشديد الحب للخير فلما قدم الحب قال لشديد وحذف من آخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤس الآي كقوله في يوم عاصف والعصوف للريح لا لليوم كأنه قال في يوم عاصف الريح قال ابن عباس الخير المال (أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور) الاستفهام للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أيفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم وهذا تهديد ووعيد وبعثر معناه نثر وبحث أي نثر ما في القبور من الموتى وبحث عنهم وأخرجوا قال أبو عبيدة بعثرت المتاع جعلت أسفله أعلاه وقال الفراء سمعت بعض العرب من بني أسد يقول بحثر بالحاء مكان العين وقد تقدم الكلام على هذا في قوله واذا القبور بعثرت (وحصل ما في الصدور) أي ميز وبين ما فيها من الخير والشر والتحصيل التمييز كذا قال المفسرون وقيل حصل أبرز قرأ الجمهور حصل بضم الحاء وتشديد الصاد مكسورا مبنيا للمفعول وقرئ حصل بفتح الحاء وتخفيف الصاد مبنيا للفاعل أي ظهر قال ابن عباس بعثر بحث وحصل أبرز والمعنى أخرج وجمع بغاية السهولة ما في الصدور من خير وشر مما يظن مضمره انه لا يعلمه أحد أصلا وظهر مكتوبا في

صحائف

حدثنا أبي حدثنا الاعمش حدثنا ابراهيم والضحاك المشرقي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أيعجز أحدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا اينا يطيق ذلك يارسول الله فقال الله الواحد الصمد ثلث القرآن تفرد باخراجه البخاري من حديث ابراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن شرحبيل الهمداني المشرقي كلاهما عن ابي سعيد قال الفربري سمعت ابا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق أبي عبد الله قال قال أبو عبد الله البخاري عن ابراهيم مرسل وعن الضحاك مسند حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بقل هو الله أحد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده انها لتعدل نصف القرآن أو ثلثه حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ان أبا أيوب الانصاري كان في مجلس وهو يقول ألا يستطيع أحدكم ان يقوم بثلث القرآن كل ليلة فقالوا وهل يستطيع ذلك

صحائف الأعمال وهذا يدل على ان الانسان يحاسب بها كما يحاسب على ما يظهر من آثارها وخص أعمال القلوب بالذكر وترك ذكر أعمال الجوارح لأنها تابعة لأعمال القلوب فانه لولا تحقق البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت أفعال الجوارح (ان ربهم) أى ان رب المبعوثين (بهم يومئذ لخبير) لا تخفى عليه خافية فيجازيهم بالخير خيرا وبالشر شرا قال الزجاج الله خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ولكن المعنى ان الله يجازيهم على كفرهم فى ذلك اليوم ومثله قوله تعالى أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم معناه أولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم قال الامام دلت الآية على انه تعالى عالم بالجزئيات الزمانيات وغيرها لانه تعالى نص على كونه عالما بكيفية أحوالهم فى ذلك اليوم فكيف لا يكون منكره كافرا اذ كره الكرخى قرأ الجمهور بكسر ان وباللام فى لخبير وقرأ أبو السماك بفتح الهمزة واسقاط اللام

(سورة القارعة وهى ثمان آيات وقيل احدى عشرة آية وقيل عشر آيات وهى مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) هى من أسماء القيامة قاله ابن عباس لأنها تقرع القلوب بالفزع وتقرع اعداء الله بالعذاب والعرب تقول قرعتهم القارعة اذا وقع بهم أمر فظيع وقيل أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر وسميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ فى الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته وهى مبتدأ وخبره (ما القارعة) قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بنصبها على تقدير احذروا القارعة والاستفهام للتفخيم والتعظيم لشأنها كما تقدم بيانه فى قوله الحاقة ما الحاقة وقيل معنى الكلام على التحذير قال الزجاج والعرب تحذر وتغرى بالرفع كالنصب والحمل على معنى التفخيم والتعظيم أولى ويؤيده وضع الظاهر موضع المضمر فانه أدل على هذا المعنى ويؤيده أيضا قوله (وما أدراك ما القارعة) فانه تأكيد لشدة هولها ومزيد فظاعتها حتى كأنها خارجة عن دائرة علوم الخلق بحيث لا تنالها دراية أحد منهم وما الاستفهامية مبتدأ وأدراك خبرها وما القارعة مبتدأ وخبر والجملة فى محل نصب على انها المفعول الثانى والمعنى وأى شئ أعلمك ما شأن القارعة ثم بين سبحانه متى تكون القارعة فقال (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) انتصاب الظرف بفعل محذوف تدل عليه القارعة أى تقرعهم يوم يكون الخ ويجوز أن يكون منصوبا بتقدير اذكر وقال ابن عطية ومكى وأبو البقاء هو منصوب بنفس القارعة وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وانما نصب لاضافته الى الفعل فالفتحة فتحة بناء لا فتحة اعراب أى هى يوم يكون الخ وقيل التقدير ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ وقرأ زيد بن على برفع يوم على الخبرية للمبتدأ المقدر والفراش الطير الذى تراه يتساقط فى النار والسراج الواحدة فراشة كذا قال أبو عبيدة وغيره قال الفراء الفراش هو الطائر من بعوض وغيره ومنه الجراد قال وبه يضرب المثل فى الطيش والهوج يقال أطيش من فراشة والمراد بالمبثوث المتفرق المنتشر يقال بثه اذا فرقه ومثل هذا قوله سبحانه فى آية أخرى كأنهم جراد منتشر وقال المبثوث ولم يقل مبثوثة لان الكل جائز كما فى قوله اعجاز نخل منقعر واعجاز نخل

أحد قال فان قل هو الله أحد ثلث القرآن قال فجاء النبى صلى الله عليه وسلم وهو يسمع اباأيوب فقال صدق أبو أيوب حديث آخر قال أبو عيسى الترمذى حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان أخبرنى أبو حازم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشدوا فانى سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبى الله صلى الله عليه وسلم فقرأ قل هو الله احد ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى سأقرأ عليكم ثلث القرآن انى لارى هذا خبرا جاء من السماء ثم خرج نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال انى قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وانها تعدل ثلث القرآن وهكذا رواه مسلم فى صحيحه عن محمد بن بشار به وقال الترمذى حسن صحيح غريب واسم أبى حازم سلمان حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن ابن مهدى عن زائدة بن قدامة عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خثيم عن عمرو بن ميمون عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن امرأة من الانصار عن أبى أيوب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أيعجز أحدكم ان يقرأ ثلث القرآن فى ليلة فانه من قرأ قل هو الله أحد الله الصمد فى ليلة فقد قرأ

خاوية وقد تقدم بيان وجه ذلك وفى تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى منها الطيش الذى يلحقهم وانتشارهم فى الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف والذلة واجابة الداعى من كل جهة والتطاير الى النار (وتكون الجبال) بعد أن تنفت كالرمل السائل (كالعهن المنفوش) أى كالصوف الملون بالالوان المختلفة الذى ينفش بالندف والعهن عند أهل اللغة الصوف المصبوغ بالالوان المختلفة وقد تقدم بيان هذا فى سورة سأل سائل وقد ورد فى الكتاب العزيز أوصاف للجبال يوم القيامة وقد قدمنا بيان الجمع بينها ثم ذكر سبحانه أحوال الناس وتفرقهم فريقين على جهة الاجمال فقال (فأما من ثقلت موازينه) باتباعه الحق وقد تقدم القول فى الميزان فى سورة الاعراف وسورة الكهف وسورة الانبياء وقد اختلف فيها هنا فقيل هى جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله وبه قال الفراء وغيره وقيل هى جمع ميزان وهو الآلة التى توضع فيها صحائف الاعمال وعبر عنه بلفظ الجمع كما يقال لكل حادثة ميزان وقيل المراد بالموازين الحجج والدلائل (فهو فى عيشة) حياة (راضية) طيبة أو مرضية فهو اسناد مجازى أو استعارة مكنية وتخييلية أو هى بمعنى المفعول على التجوز فى الكلمة نفسها قال الزجاج أى ذات رضا يرضاها صاحبها يعنى انها للنسب وقيل المعنى فاعله للرضاء وهو اللين والانقياد لاهلها والعيشة كلمة تجمع النعم التى فى الجنة (وأما من خفت موازينه) أى رجحت سيآته على حسناته أو لم تكن له حسنات يعتد بها (فأمه هاوية) أى فمسكنه جهنم وسماها أمه لانه يأوى اليها كما يأوى الى أمه والهاوية من أسماء جهنم وهى آخر الطبقات السبع وسميت هاوية لانه يهوى فيها مع بعد قعرها والمهوى والمهواة ما بين الجبلين وتهاوى القوم فى المهواة اذا سقط بعضهم فى اثر بعض قال قتادة يعنى فصيره الى النار قال عكرمة لانه يهوى فيها على أم رأسه قال الاخفش أمه مستقره قال ابن عباس هاوية كقوله هوت أمه وعن عكرمة قال أم رأسه هاوية فى جهنم قال الخطيب أى نار نازلة سافلة جدا فهو بحيث لا يزال يهوى فيها نازلا فهو فى عيشة ساخطة فالآية من الاحتباك ذكر العيشة أولا دليلا على حذفها ثانيا وذكر الام ثانيا دليلا على حذفها أولا وأخرج ابن مردويه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة فاذا كان مات ولم يأتهم قالوا خولف به الى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية وأخرج ابن مردويه من حديث أبى أيوب الانصارى نحوه وأخرج ابن المبارك من حديثه نحوه أيضا وبقى قسم ثالث غير مذكور فى الآية وهو من استوت حسناته وسيئاته قال المناوى من رجحت حسناته بسبب زيادتها على السيئات فهو فى الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فيحاسب حسابا يسيرا ومن رجحت سيئاته على حسناته أى بسبب زيادتها فيشفع فيه أو يعذب (وما أدراك ماهيه) هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع ببيان انها خارجة عن المعهود بحيث لا تحيط بها علوم البشر ولا تدرى كنهها والضمير يعود الى الهاوية والهاء للسكت ثم بينها سبحانه بقوله (نار حامية) أى قد انتهى حرها وبلغ فى الشدة الى

لمثل ثلث القرآن هذا حديث تساعى الاسناد للامام أحمد ورواه الترمذى والنسائى كلاهما عن محمد ابن بشار بندار زاد الترمذى وقتيبة كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدى به فصار لهما عشاريا وفى رواية الترمذى عن امرأة أبى أيوب عن أبى أيوب به وحسنه ثم قال وفى الباب عن أبى الدرداء وأبى سعيد وقتادة بن النعمان وأبى هريرة وأنس وابن عمرو بن مسعود وهذا حديث حسن ولا نعلم احدا روى هذا الحديث أحسن من رواية زائدة وتابعه على روايته اسرائيل والفضيل بن عياض وقد روى شعبة وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور واضطربوا فيه حديث آخر قال أحمد حدثنا هشيم عن حصين عن هلال بن يساف عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن ابى بن كعب أو رجل من الانصار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ بقل هو الله احد فكأنما قرأ بثلث القرآن ورواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث هشيم عن حصين عن ابن أبى ليلى به ولم يقع فى روايته هلال بن يساف حديث آخر قال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن ابى قيس عن عمرو بن ميمون عن أبى مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن

الغاية وارتفاع نارعلى انه اخبر مبتدا محذوف أى هى نارحامية نعوذ بالله منها

(سورة التكاثر هى ثمان آيات وهى مكية عند الجميع)

وروى البخارى انها مدنية قال ابن عباس نزلت بمكة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا يستطيع أحدكم ان يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع ان يقرأ ألف آية فى كل يوم قال أما يستطيع أحدكم ان يقرأ الهاكم التكاثر أخرجه الحاكم والبيهقى فى الشعب قال المنذرى رجال اسناده ثقات الا أن عقبة لا أعرفه وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ فى ليلة ألف آية لقى الله وهو ضاحك فى وجهه قيل يارسول الله ومن يقوى على ألف آية فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر الى آخرها ثم قال والذى نفسى بيده انها لتعدل ألف آية أخرجه الخطيب فى المتفق والمفترق والديلمى وأخرج مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن عبد الله بن الشخير قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر وفى لفظ وقد أنزلت عليه الهاكم التكاثر وهو يقول يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت وأخرجه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة ولم يذكر فيه قراءة هذه السورة ولا نزولها بلفظ يقول العبد مالى مالى وانما له من ماله ثلاثة ما أكل فأفنى وما لبس فأبلى وما تصدق فأقنى وماسوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس وعن جرير بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انى قارئ عليكم سورة الهاكم التكاثر فمن بكى فله الجنة فقرأها فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا قد جهدنا يارسول الله ان نبكى فلم نقدر عليه فقال انى قارئها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة ومن لم يقدر أن يبكى فليتباك أخرجه البيهقى فى الشعب وضعفه والحكيم الترمذى فى نوادر الاصول

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) أى شغلكم التبارى فى التكاثر بالاموال والاولاد والتباهى والتفاخر بكثرتها عن طاعة الله تعالى والتغالب فيها يقال ألهاه عن كذا وأقهاه اذا شغله وقال الحسن معناه أنساكم حتى أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال وقال قتادة ان التكاثر التفاخر بالقبائل والعشائر وقال الضحاك ألهاكم التشاغل بالمعاش وقيل المعنى متم ودفنتم فى المقابر والمقابر جمع مقبرة وقال مقاتل وقتادة أيضا وغيرهما نزلت فى اليهود حين قالوا نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا وقال الكلبى نزلت فى حيين من قريش بنى عبد مناف وبنى سهم تعادوا وتكاثروا بالسيادة والاشراف فى الاسلام فقال كل حى منهم نحن أكثر سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا وأكثر قائدا فكثر بنو عبد مناف بنى سهم ثم تكاثروا بالاموات فكثرتهم بنو سهم فنزلت ألهاكم التكاثر فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات عن أبى بردة فى الآية قال نزلت فى قبيلتين من قبائل الانصار فى بنى حارثة وبنى الحرث تفاخروا وتكاثروا فقالت احداهما فيكم مثل فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا الى القبور فجعلت احدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون الى القبر ومثل فلان

وهكذا رواه ابن ماجه عن على بن محمد الطنافسى عن وكيع به ورواه النسائى فى اليوم والليلة من طرق أخر عن عمرو بن ميمون مرفوعا وموقوفا حديث آخر قال الامام احمد حدثنا بهز حدثنا بكر بن ابى السميط حدثنا قتادة عن سالم بن ابى الجعد عن معدان بن ابى طلحة عن ابى الدرداء رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيعجز أحدكم ان يقرأ كل يوم ثلث القرآن قالوا نعم يارسول الله نحن اضعف من ذلك واعجز قال فان الله جزأ القرآن ثلاثة اجزاء فقل هو الله احد ثلث القرآن ورواه مسلم والنسائى من حديث قتادة به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا أمية بن خالد حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ابن اخى ابن شهاب عن عمه الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن هو ابن عوف عن أمه وهى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وكذا رواه النسائى فى اليوم والليلة عن عمرو بن على عن أمية ابن خالد به ثم رواه من طريق مالك عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن قوله ورواه النسائى أيضا فى اليوم والليلة من حديث محمد ابن اسحق عن الحرث بن فضيل الانصارى عن الزهرى عن حميد ابن عبد الرحمن ان نفرا من أصحاب

وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله هذه الآية أي لقد كان لكم فيما زرتم عبرة وشغل أخرجه ابن أبي حاتم وفي الآية دليل على ان الاشتغال بالدنيا والمكاثرة بها والمفاخرة فيها من الخصال المذمومة والشرع دل على ان التكاثر والتفاخر في السعادات الحقيقية غير مذموم فيجوز للانسان أن يفتخر بطاعاته وحسن اخلاقه اذا كان يظن ان غيره يقتدي به وقال سبحانه الهاكم التكاثر ولم يقل عن كذا بل أطلقه لان الاطلاق أبلغ في الذم لانه يذهب فيه الوهم كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام ولان حذف المتعلق مشعر بالتعميم كما تقرر في علم البيان والمعنى انه شغلكم التكاثر عن كل شيء يجب عليكم الاشتغال به من طاعة الله والعمل للآخرة وعبر عن موتهم بزيارة المقابر لان الميت قد صار الى قبره كما يصير الزائر الى الموضع الذي يزوره هذا على قول من قال ان معنى زرتم المقابر متم وأما على قول من قال ان معنى زرتم المقابر ذكرتم الموتى وعددتموهم للمفاخرة والمكاثرة فيكون ذلك على طريق التهكم بهم وقيل انهم كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك (كلا سوف تعلمون) ردع وزجر لهم عن التكاثر وتنبيه على انهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة وفيه وعيد شديد قال الفراء أي ليس الامر على ما أنتم عليه من التكاثر والتفاخر ثم كرر الردع والزجر والوعيد فقال (ثم كلا سوف تعلمون) ثم للدلالة على ان الثاني أبلغ من الاول وقيل الاول عند الموت أو في القبر والثاني يوم القيامة قال الفراء هذا التكرار على وجه التغليظ والتأكيد قال مجاهد هو وعيد بعد وعيد وكذا قال الحسن ومقاتل وجعله الشيخ جمال الدين بن مالك من التوكيد اللفظي مع توسط حرف العطف وقال الزمخشري والتكرير تأكيد للردع والرد عليهم ونقل عن علي كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين وثم على بابها من المهلة وحذف متعلق العلم في الافعال الثلاثة لان الغرض هو الفعل لا متعلقه والعلم بمعنى المعرفة فيتعدى لمفعول واحد قاله السمين (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي لو تعلمون الامر الذي أنتم صائرون اليه علما يقينيا كعلمكم ما هو متيقن عندكم في الدنيا وجواب لو محذوف أي لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر أو لفعلتم ما ينفعكم من الخير وتركتم ما لا ينفعكم مما أنتم فيه وقال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين ما ألهاكم وكلا في هذا الموضع الثالث للردع والزجر كالموضعين الاولين وقال الفراء هي بمعنى حقا وقيل هي في المواضع الثلاثة بمعنى الا قاله ابن أبي حاتم قال قتادة اليقين هنا الموت وعنه قال هو البعث وعنه كنا نحدث ان علم اليقين أن يعلم ان الله باعثه بعد الموت واضافة العلم الى اليقين من اضافة الموصوف الى صفته وفي السمين وعلم اليقين مصدر قيل وأصله العلم اليقين وقيل لا حاجة الى ذلك لان العلم يكون يقينا وغير يقين فأضيف اليه اضافة العام للخاص وهذا يدل على أن اليقين أخص وقوله (لترون الجحيم) جواب قسم محذوف وفيه زيادة وعيد وتهديد أي والله لترون الجحيم في الآخرة قال الرازي وليس هذا جواب لو لأن جواب لو يكون منفيا وهذا مثبت ولانه عطف عليه ثم لتسئلن وهو مستقبل لا بد من وقوعه قال وحذف جواب لو كثير والخطاب

محمد صلى الله عليه وسلم حدثوه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة قال الامام مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن حنين قال سمعت أبا هريرة يقول أقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة ورواه الترمذي والنسائي من حديث مالك وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث مالك وتقدم حديث حبك اياها أدخلك الجنة حديث في تكرار قراءتها قال الحافظ ابو يعلى الموصلي حدثنا مطر بن بشير حدثنا عيسى بن ميمون القرشي حدثنا يزيد الرقاشي عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أما يستطيع احدكم ان يقرأ قل هو الله احد ثلاث مرات في ليلة فانها تعدل ثلث القرآن هذا اسناد ضعيف واجود منه حديث آخر قال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا محمد ابن أبي بكر المقدمي حدثنا الضحاك ابن مخلد حدثنا ابن أبي ذئب عن أسيد بن أبي أسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال اصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى

للكفار وقيل عام كقوله وان منكم الا واردها قرأ الجمهور لترون بفتح التاء مبنيا للفاعل وقرئ بضمها مبنيا للمفعول والرؤية هنا بصرية فلذلك تعدت الى مفعول واحد ثم كرر الوعيد والتهديد للتأكيد فقال (ثم لترونها عين اليقين) أى ثم لترون الجحيم الرؤية التى هى نفس اليقين وهى المشاهدة والمعاينة وقيل المعنى لترون الجحيم بابصاركم على البعد منكم ثم لترونها مشاهدة على القرب وقيل المراد بالاول رؤيتها قبل دخولها وبالثانى رؤيتها حال دخولها وقيل هو اخبار عن دوام بقائهم فى النار أى هى رؤية دائمة متصلة وقيل المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم فى الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم وهو أن تتصوروا أمر القيامة وأهوالها (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) أى عن نعيم الدنيا الذى ألهاكم عن العمل للآخرة وثم للترتيب الاخبارى لا المعنوى لان السؤال قبل رؤية الجحيم قال قتادة يعنى كفار مكة كانوا فى الدنيا فى الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه ولم يشكروا رب النعم حيث عبدوا غيره وأشركوا به قال الحسن لا يسئل عن النعم الا أهل النار وقال قتادة ان الله سبحانه سائل كل ذى نعمة عما أنعم عليه وهذا هو الظاهر ولا وجه لتخصيص النعيم بفرد من الافراد أو نوع من الانواع لان تعريفه للجنس أو للاستغراق ومجرد السؤال لا يستلزم تعذيب المسؤل على النعمة التى سئل عنها فقد يسأل الله المؤمن عن النعم التى أنعم بها عليه فيم صرفها وبم عمل فيها ليعرف تقصيره وعدم قيامه بما يجب عليه من الشكر قيل السؤال عن الامن والصحة وقيل عن الصحة والفراغ وقيل عن الادراك بالحواس وقيل عن ملاذ المأكول والمشروب وقيل عن الغداء والعشاء وقيل عن بارد الشراب وظلال المساكن وقيل عن اعتدال الخلق وقيل عن لذة النوم وقيل غير ذلك والاولى العموم كما ذكرنا وعن ابن عباس فى الآية قال صحة الابدان والاسماع والابصار وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهاكم التكاثر يعنى عن الطاعة حتى زرتم المقابر يقول حتى يأتيكم الموت كلا سوف تعلمون يعنى لو قد دخلتم قبوركم ثم كلا سوف تعلمون يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم كلا لو تعلمون علم اليقين قال لو قد وقفتم على أعمالكم بين يدى ربكم لترون الجحيم وذلك أن الصراط يوضع وسط جهنم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوش فى نار جهنم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعنى شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم وأخرج ابن مردويه عن عياض بن غنم مرفوعا نحوه وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الآية قال الامن والصحة رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وابن أبى حاتم وغيرهما وعن على قال النعيم العافية وعنه قال من أكل خبز البر وشرب ماء الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذى يسئل عنه وعن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الآية أكل خبز البر والنوم فى الظل وشرب ماء الفرات مبردا أخرجه ابن مردويه ولعل رفع هذا لا يصح فربما كان من قول أبى الدرداء وعن أبى قلابة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الآية

الله عليه وسلم يصلى بنا فخرج فأخذ بيدى فقال قل فسكت قال قل قلت ما اقول قال قل هو الله احد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاثا تكفيك كل يوم مرتين ورواه ابو داود والترمذى والنساء من حديث ابن ابى ذئب به وقال الترمذى حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقد رواه النسائى من طريق أخرى عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن ابيه عن عقبة بن عامر فذكره ولفظه تكفك كل شئ حديث آخر فى ذلك قال الامام احمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنى ليث بن سعد حدثنى الخليل بن مرة عن الازهر بن عبد الله عن تميم الدارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله واحدا أحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد عشر مرات كتب الله له اربعين الف الف حسنة تفرد به احمد والخليل بن مرة ضعفه البخارى وغيره بمرة حديث آخر قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان ابن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة فقال عمر اذا نستكثر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله

قال ناس من أمتي يعقدون السمن والعسل بالنقي فيأكلونه أخرجه أحمد في الزهد وابن مردويه وهذا مرسل وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قال الصحابة يا رسول الله أي نعيم نحن فيه وانما نأكل في انصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وعن محمود بن لبيد قال لما نزلت الهاكم التكاثر فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يا رسول الله أي نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسئل قال أما ان ذلك سيكون أخرجه ابن أبي شيبة وهناد وأحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الشعب وأخرجه الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة وأخرجه أحمد والترمذي وحسنه وغيرهما من حديث الزبير بن العوام وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسدك ونرويك من الماء البارد أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم وعن جابر بن عبد الله قال جاءنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر فأطعمناهم رطبا وسقيناهم ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا من النعيم الذي تسئلون عنه أخرجه أحمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد وغيرهم وأخرج مسلم وأهل السنن وغيرهم عن أبي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هو بأبي بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما فقوموا فقاما معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين فلان فقالت انطلق يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر فقال كلوا من هذا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة وفي الباب أحاديث

(سورة العصر هي ثلاث آيات وهي مكية عند الجمهور وقال قتادة هي مدنية)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن أبي مزينة الدارمي وكانت له صحبة قال كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلم أحدهما على الآخر أخرجه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) أقسم سبحانه بالعصر وهو الدهر لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الادوار وتعاقب الظلام والضياء فان في ذلك دلالة بينة على الصانع عز وجل وعلى توحيده ويقال لليل عصر وللنهار عصر ويقال للغداة والعشي عصران قال الرازي أقسم تعالى بالدهر لما فيه من الاعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى

والفقر

أكثر وأطيب تفرد به أحمد ورواه أبو أحمد الدارمي في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل وهو ابن معبد قال الدارمي وكان من الابدال انه سمع سعيد بن المسيب يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب اذا تكثر قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك وهذا مرسل جيد حديث آخر قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا نصر بن علي حدثني نوح بن قيس أخبرني محمد العطار أخبرتني أم كثير الانصارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة اسناده ضعيف حديث آخر قال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا حاتم بن ميمون حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد في يوم مائتي مرة كتب الله له ألفا وخمسمائة حسنة الا أن يكون عليه دين اسناده ضعيف حاتم ابن ميمون ضعفه البخاري وغيره ورواه الترمذي عن محمد بن مرزوق

والفقر ولان بقية عمر المرء لا قيمة له فلو ضيعت ألف سنة فيما لا يعني ثم تبت السعادة في اللمحة الاخيرة من العمر بقيت في الجنة أبد الآباد فعلمت ان أشرف الاشياء حياتك في تلك اللمحة فكان الدهر والزمان من جملة أصول النعم ولان الزمان اشرف من المكان فاقسم به لكونه نعمة خالصة لا عيب فيه وقال قتادة والحسن المراد به في الآية العشي وهو ما بين زوال الشمس وغروبها وعن قتادة أيضا انه آخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل ان المراد به صلاة العصر وهي الصلاة الوسطى التي أمر الله سبحانه بالمحافظة عليها وقيل هو قسم (١) بعصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الزجاج قال بعضهم معناه ورب العصر والاول اولى وبه قال ابن عباس وعنه هو ساعة من ساعات النهار وقال أيضا هو ما قبل مغيب الشمس من العشي واخرج الفريابي وابو عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن الانباري في المصاحف عن علي بن ابي طالب انه كان يقرأ والعصر ونوائب الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى آخر الدهر وعن ابن مسعود أيضا انه كان يقرأ ان الانسان لفي خسر وانه لفيه الى آخر الدهر أخرجه عبد بن حميد (ان الانسان لفي خسر) هذا جواب القسم والخسر والخسران النقصان وذهاب رأس المال والمعنى ان كل انسان في المتاجر والمساعي وصرف الاعمار في اعمال الدنيا التي نقص وضلال عن الحق حتى يموت وقيل المراد بالانسان الكافر وقيل جماعة من الكفار وهم الوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل والاسود بن عبد المطلب بن اسد والاول أولى لما في لفظ الانسان من العموم ولدلالة الاستثناء عليه قال الاخفش في خسر في هلكة وقال الفراء في عقوبة وقال ابن زيد لفي شر وقيل لفي نقص والمعاني متقاربة قرأ الجمهور والعصر بسكون الصاد وقرئ بكسر الصاد وقرأ الجمهور أيضا خسر بضم الخاء وسكون السين وقرئ بضمهما والتنكير في خسر يفيد التعظيم أي في خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله فقد جعل الانسان مغمورا في الخسر للمبالغة وانه أحاط به من كل جانب لأن كل ساعة تمر بالانسان فان كانت مصروفة الى المعصية فلا شك في الخسر وان كانت مشغولة بالمباحات فالخسر ان أيضا حاصل وان كانت مشغولة بالطاعات فهي غير متناهية وترك الاعلى والاقتصار على الادنى نوع خسران ولا ينافيه قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم لان الكلام ثم في احوال البدن وهنا في احوال النفس (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي جمعوا بين الايمان بالله والعمل الصالح فانهم في ربح لا في خسر لانهم عملوا للآخرة ولم تشغلهم اعمال الدنيا عنها والاستثناء متصل ومن قال ان المراد بالانسان الكافر فقط فيكون منقطعا ويدخل تحت هذا الاستثناء كل مؤمن ومؤمنة ولا وجه لما قيل ان المراد الصحابة او بعضهم فان اللفظ عام لا يخرج عنه احد ممن يتصف بالايمان والعمل الصالح (وتواصوا) أي أوصى (٢) بعضهم بعضا (بالحق) الذي يحق القيام به وهو الايمان بالله والتوحيد والقيام بما شرعه الله واجتناب ما نهى عنه قال قتادة بالحق أي بالقرآن وقيل بالتوحيد والحمل على العموم أولى (وتواصوا بالصبر) عن معاصي الله سبحانه وعلى فرائضه وعلى البلايا وفي جعل التواصي بالصبر قرينا للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره وفخامة شرفه

البصري عن حاتم بن ميمون به ولفظه فمن قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محي عنه ذنوب خمسين سنة الا أن يكون عليه دين قال الترمذي وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل يا عبدي ادخل على يمينك الجنة ثم قال غريب من حديث ثابت وقد روي من غير هذا الوجه عنه وقال أبو بكر البزار حدثنا سهل ابن بحر حدثنا حبان بن أغلب حدثنا أبي حدثنا ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة حط الله عنه ذنوب مائتي سنة

(١) قال الرازي أقسم سبحانه بمكانه صلى الله عليه وسلم في قوله لا أقسم بهذا البلد وأقسم بعمره في قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وبعصره هنا فكأنه قال وعصرك وبلدك وعمرك فاقسم بهذه الظروف الثلاثة فاذا وجب تعظيم الظرف فحال المظروف من باب أولى انتهى

(٢) أشار به الى أن تواصوا فعل ماض لا أمر ويؤخذ منه ان الوصية هي التقديم الى الغير بما يعمل به مقرونا بوعظ ونصيحة من قولهم أرض واصية أي متصلة النبات يقال قدمت اليه بكذا اذا أمرته قبل وقت الحاجة الى الفعل سيد ذو الفقار أحمد

ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه بأن الله مع الصابرين ويدخل في التواصي بالصبر مما يندرج تحت التواصي بالحق فإفراده بالذكر وتخصيصه بالنص عليه من أعظم الأدلة الدالة على أنافته على خصال الحق ومزيد شرفه عليها وارتفاع طبقته عنها وكرر الفعل لاختلاف المفعولين

(سورة الهمزة هي تسع آيات)

وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس أنزلت بمكة وقال الحلي أو مدنية والأول أولى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) هو مرتفع على الابتداء وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة كونه دعاء عليهم وخبره (لكل همزة لمزة) والمعنى خزي أو عذاب أو هلكة أو واد في جهنم لكل همزة لمزة والتاء فيهما للمبالغة في الوصف وقد اطرد أن بناء فعلة للمبالغة الفاعل أي المكثر لأخذ الاشتقاق وإذا سكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين إذا كان ملعونا للناس يكثرون لعنه قال أبو عبيدة والزجاج الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس وعلى هذا هما بمعنى وقال أبو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن أبي رباح الهمزة الذي يغتاب الرجل في وجهه واللمزة الذي يغتابه من خلفه وقال قتادة عكس هذا وروي عن قتادة ومجاهد أيضا أن الهمزة الذي يغتاب الناس في أنسابهم وعن مجاهد أيضا أن الهمزة الذي يهمز الناس بيده واللمزة الذي يلمزهم بلسانه وقال سفيان الثوري يهمزهم بلسانه ويلمزهم بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير بيده وبرأسه وبحاجبه وقيل هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون العيب للبريء وحاصل هذه الأقاويل يرجع إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب ويدخل في ذلك من يحاكي الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه والأول أولى وأصل الهمز الكسر يقال همز رأسه كسره وقيل أصل الهمز واللمز الضرب والدفع يقال همزه يهمزه همزا ولمزه يلمزه لمزا إذا دفعه وضربه قرأ الجمهور همزة لمزة بضم أولهما وفتح الميم فيهما وقرئ بسكون الميم فيهما وقرأ أبو وائل والنخعي والأعمش ويل للهمزة اللمزة والآية تعم كل من كان متصفا بذلك ولا ينافيه نزولها على سبب خاص فإن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعن ابن عباس أنه سئل عن همزة لمزة قال هو المشاء بالنميمة المفرق بين الجمع المغري بين الإخوان وعنه قال همزة طعان ولمزة مغتاب وقوله (الذي جمع مالا وعدده) بدل من كل أو في محل نصب على الذم وهذا أرجح لأن البدل يستلزم أن يكون المبدل منه في حكم الطرح وتعليل لما قبله والتاء وصفه سبحانه بهذا الوصف لأنه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز وهو إعجابه بما جمع من المال وظنه أنه الفضل فلأجل ذلك يستقصر غيره قرأ الجمهور جمع مخففا وقرئ مثقلا قال الرازي الفرق أن التشديد يفيد أنه جمعه من ههنا ومن ههنا ولم يجمعه في يوم واحد ولا في يومين ولا في شهر ولا في شهرين وأن

ثم قال النسائي ورواه عن ثابت ابن الحسن بن أبي جعفر والأغلب بن تميم وهما متقاربان في سوء الحفظ

(حديث آخر) في الدعاء بما تضمنته من الأسماء قال النسائي عند تفسيرها حدثنا عبد الرحمن بن خالد حدثنا زيد بن الحباب حدثني مالك بن مغول حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا رجل يصلي يدعو يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب وقد أخرجه بقية أصحاب السنن من طرق عن مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه وقال الترمذي حسن غريب

(حديث آخر) في قراءتها عشر مرات بعد المغرب قال الحافظ أبو يعلى حدثنا عبد الأعلى حدثنا بشر بن منصور عن عمر بن سنان عن أبي شداد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله وأدى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد قال فقال أبو بكر أو إحداهن يا رسول الله قال أو إحداهن

(حديث) في قراءتها عند دخول المنزل قال الحافظ

التخفيف لا يفيد ذلك ونكر مالا للتعظيم أى مالا يبلغ فى الخبث والفساد أقصى النهايات فكيف يليق بالعاقل أن يفتخر به وقرأ الجمهور وعدده مشددا وقرئ بالتخفيف والتشديد فى الكلمتين يدل على التكثير وهو جمع الشئ بعد الشئ وتعديده مرة بعد أخرى قال الفراء معنى عدده أحصاه فهو مأخوذ من العد وقال الزجاج وعدده لنوائب الدهور يقال أعددت الشئ وعددته اذا أمسكته قال السدى أحصى عدده وقال الضحاك أعد ماله لمن يرثه وقيل المعنى فاخر بكثرته وعدده والمقصود ذمه على جمع المال وامساكه وعدم انفاقه فى سبيل الخير وقيل المعنى على قراءة التخفيف فى عدده انه جمع عشيرته وأقاربه قال المهدوى من خفف وعدده فهو معطوف على المال أى وجمع عدده وجملة (يحسب ان ماله أخلده) مستأنفة لتقرير ما قبلها ويجوز أن تكون فى محل النصب على الحال من فاعل جمع أى يعمل عمل من يظن ان ماله يتركه حيا مخلدا لا يموت وأخلده ماض معناه المضارع أى يخلده وقال عكرمة يحسب ان ماله يزيد فى عمره والاظهار فى موضع الاضمار للتقريع والتوبيخ وقيل هو تعريض بالعمل الصالح وانه الذى يخلد صاحبه فى الحياة الابدية لا المال والخلد بالضم البقاء والدوام وبابه دخل وأخلده الله وخلده تخليدا (كلا) ردع له عن ذلك الحسبان أى ليس الامر كما يحسبه هذا الذى جمع المال وعدده أو معناه حقا (لينبذن فى الحطمة) اللام جواب قسم محذوف أى ليطرحن فى النار وليلقين فيها قرأ الجمهور لينبذن وقرئ لينبذان بالتثنية أى لينبذ هو وماله فى النار وقرئ لينبذن أى لينبذن ماله فى النار والمعنى تحطم وتكسر كل ما القى فيها فى الحطمة مماثلة لعمله لفظا ومعنى لانها على وزن همزة لمزة وفيهما كسر كما فيها وحطمه من باب ضرب والتحطيم التكسير والحطمة من أسماء النار لانها تحطم ما تلتقم (وما أدراك ما الحطمة) هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع حتى كأنها ليست مما تدركه العقول وتبلغه الافهام قيل هى الطبقة السادسة من طبقات جهنم وقيل الطبقة الثانية منها وقيل الطبقة الرابعة ثم بينها سبحانه فقال (نار الله الموقدة) بامر الله سبحانه التى لا تخمد ابدا ووجب وتحتم ايقادها وفى اضافتها الى الاسم الشريف تعظيم لها وتفخيم وكذلك فى وصفها بالايقاد (التى تطلع على الافئدة) أى يخلص حرها الى القلوب فيعلوها ويغشاها وخص الافئدة بالذكر مع كونها تغشى جميع أبدانهم لانها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة أو لكون الالم اذا وصل اليها مات صاحبها الا ان الفؤاد ألطف ما فى الجسد واشد تألما بادنى اذى يمسه أى انهم فى حال من يموت وهم لا يموتون كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وقيل المعنى انها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد من العذاب وذلك بامارات عرفها الله بها (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة مغلقة كما تقدم بيانه فى سورة البلد يقال أصدت الباب اذا أغلقته وقال ابن عباس مطبقة وجمع الضمير فى عليهم رعاية لمعنى كل (فى عمد ممددة) فى محل نصب على الحال من الضمير فى عليهم أى كائنين فى عمد ممددة موثقين فيها أو فى محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هم فى عمد أو صفة لمؤصدة أى مؤصدة بعمد ممددة قال مقاتل أطبقت الابواب عليهم ثم شدت باوتاد من حديد فلا

ابو القاسم الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكرى حدثنا محمد بن الفرج حدثنا محمد بن الزبرقان عن مروان بن سالم عن ابى زرعة عن عمرو بن جرير عن جرير ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران اسناده ضعيف (فى حديث) فى الاكثار من قراءتها فى سائر الاحوال قال الحافظ ابو يعلى حدثنا محمد بن اسحق المسيبى حدثنا يزيد بن هرون عن العلاء بن محمد الثقفى قال سمعت أنس بن مالك يقول كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله فاتى جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ياجبريل مالى أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثله فيما مضى قال ان ذلك معاوية بن معاوية الليثى مات بالمدينة اليوم فبعث الله اليه سبعين الف ملك يصلون عليه قال وفيم ذلك قال كان يكثر قراءة قل هو الله احد فى الليل والنهار وفى ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يارسول الله ان أقبض لك الارض فتصلى عليه قال نعم فصلى عليه وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة من طريق يزيد بن هرون عن العلاء بن محمد وهو متهم بالوضع والله اعلم (طريق اخرى) قال ابو يعلى حدثنا

يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح ومعنى كون العمد ممددة انها مطولة وهي أرسخ من القصيرة وقيل العمد أغلال في جهنم وقيل القيود وقال قتادة المعنى هم في عمد يعذبون بها واختار هذا ابن جرير قرأ الجمهور عمد بفتح العين والميم وقيل هو اسم جمع لعمود وقيل جمع له قال الفراء هي جمع لعمود كأديم وأدم وقال أبو عبيدة هي جمع عماد وقرئ بضم العين والميم جمع عمود قال الفراء هما جمعان صحيحان لعمود واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة الجمهور قال الجوهري العمود عمود البيت وجمع القلة أعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد وقرئ بهما وهما سبعيتان قال أبو عبيدة العمود كل مستطيل من خشب أو حديد قال ابن عباس عمد من نار وقال ابن مسعود هي الادهم وعن ابن عباس أيضا الابواب هي الممددة وعنه قال ادخلهم في عمد فمدت عليهم في أعناقهم فسدت بهم الابواب قال ابن جزي المعنى ان أبواب جهنم أغلقت عليهم ممدودة على أبوابها اعمد تشديدا في الاغلاق وقيل معناه في دهر ممدود أي لا انقطاع له قال القشيري ان العمد أوتاد الاطباق التي تطبق على أهل النار تشد تلك الاطباق حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يدخل عليهم روح

(سورة الفيل هي خمس آيات وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تر (١) كيف فعل ربك) الاستفهام لتقرير رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم بانكار عدمها والمراد بالرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم عبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا في القوة والجلاء للمشاهدة والعيان وحذفت الالف من تر للجازم قال الفراء المعنى ألم تخبر وقال الزجاج ألم تعلم وهو تعجيب له صلى الله عليه وآله وسلم بما فعله الله (بأصحاب الفيل) الذين قصدوا تخريب الكعبة من الحبشة وكيف منصوب على المصدرية أو الحالية واختار الاول ابن هشام في المغني والمعنى أي فعل فعل وأما نصبه على الحالية من الفاعل فممتنع لان فيه وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز والجملة سدت مسد مفعولي ترى والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز أن يكون لكل من يصلح له والمعنى قد علمت يا محمد أو علم الناس الموجودون في عصرك ومن بعدهم بما بلغكم من الاخبار المتواترة من قصة أصحاب الفيل وما فعل الله بهم فما لكم لا تؤمنون وصاحب الافيال ابرهة ملك اليمن واسمه الاشرم سمي بذلك لان اباه ضربه بحربة فشرم انفه وجبينه قاله الطيبي وابرهة لقب لكل من فيه بياض وكان نصرانيا والفيل هو الحيوان المعروف وجمعه فيول وافيال وفيلة قال ابن السكيت ولا تقول أفيلة وصاحبه فيال وكانت الفيلة (٢) ثلاثة عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وهو الذي برك وضرب في رأسه وقيل انما وحده موافقة لرؤس الآي وعن ابن عباس قال جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصفاح فأتاهم عبد المطلب فقال ان هذا بيت الله لم يسلط عليه أحد قالوا لا نرجع حتى نهدمه وكانوا لا يقدمون فيلهم الا تأخر فدعا الله الطير الابابيل فأعطاها حجارة سوداء عليها الطين فلما حاذتهم رمتهم فما بقي منهم أحد الا أخذته الحكة

وكان

(١) كيف منصوب بالفعل الذي بعدها ومعلقة لفعل الرؤية انتهى

(٢) وقيل كان معه ثمانية عشر فيلا وقيل الف فيل ذكره الخطيب انتهى

محمد بن ابراهيم الشامي أبو عبد الله حدثنا عثمان بن الهيثم مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي عن محبوب أبي عبد الله عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مات معاوية بن معاوية الليثي فتحب ان تصلي عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فلم يبق شجرة ولا أكمة الا تضعضعت فرفع سريره فنظر اليه فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون الف ملك فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى قال بحبه قل هو الله احد وقراءته اياها ذاهبا وجائيا قائما وقاعدا وعلى كل حال ورواه البيهقي من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن عن محبوب بن هلال عن عطاء بن أبي ميمونة عن انس فذكره وهذا هو الصواب ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي ليس بالمشهور وقد روي هذا من طرق أخر تركناها اختصارا وكلها ضعيفة (حديث) آخر في فضلها مع المعوذتين قال الامام احمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي ابن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن عقبة بن عامر قال لقيت رسول

وكان لا يحك الانسان منهم جلده الا تساقط لحمه أخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد وأبو نعيم والبيهقي (ألم يجعل كيدهم) أي مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة وهدمها واستباحة أهلها (في تضليل) أي في خسار وهلاك عما قصدوا اليه حتى لم يصلوا الى البيت ولا الى ما أرادوا بكيدهم والهمزة للتقرير كأنه قيل قد جعل كيدهم في تضليل والكيد هو ارادة المضرة بالغير لانهم أرادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل والسبي ويكيدوا البيت الحرام بالتخريب والهدم قال ابن عباس أقبل أصحاب الفيل حتى اذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب فقال لملكهم ما جاء بك الينا ألا بعثت فنأتيك بكل شئ فقال أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد الا أمن فجئت أخيف أهله فقال انا نأتيك بكل شئ تريد فارجع فأبى الا ان يدخله وانطلق يسير نحوه وتخلف عبد المطلب فقام على جبل فقال لا اشهد مهلك هذا البيت وأهله فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى اظلتهم طير أبابيل التي قال الله ترميهم بحجارة من سجيل فجعل الفيل يعج عجا فجعلهم كعصف مأكول أخرجه البيهقي وابن المنذر والحاكم وغيرهم وقصة أصحاب الفيل مبسوطة في كتب التفسير والتاريخ والسير فلا نطول بذكرها (وأرسل عليهم) عطف على ألم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد جعل ذلك وأرسل (طيرا) هو اسم جنس يذكر ويؤنث (أبابيل) نعت لطير لانه اسم جمع أي أقاطيع يتبع بعضها بعضا كالابل المؤبلة فرجعوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان هلاكهم قرب عرفة قبل دخول الحرم على الاصح وقال جماعة بوادي محسر بين مزدلفة ومنى قاله ابن حجر قال أبو عبيدة أبابيل جماعات في تفرقة يقال جاءت الخيل أبابيل أي جماعات من ههنا وههنا قال النحاس وحقيقته انها جماعات عظام يقال فلان يؤبل على فلان أي يعظم عليه ويكبر وهو مشتق من الابل وهو من الجمع الذي لا واحد له وقال بعضهم واحده ابول بكسر الهمزة مثل عجول وقال بعضهم ابيل كسكين قال الواحدي ولم نر أحدا يجعل لها واحدا قال الفراء لا واحد له من لفظه وزعم الرؤاسي وكان ثقة انه سمع في واحدها ابالة مشددا وحكى الفراء أيضا ابالة بالتخفيف قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها قال قتادة هي طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا يصيب شيئا الا هشمه وقيل كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع وقيل كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقيل انها العنقاء المغرب التي تضرب بها الامثال وقيل في صفتها غير ذلك والعرب تستعمل الابابيل في الطير وفي غير الطير ولما تم هلاكهم رجعت الطير من حيث جاءت (ترميهم بحجارة من سجيل) قرأ الجمهور بالفوقية وقرأ أبو حنيفة وأبو عمرو وعيسى وطلحة بالتحتية واسم الجمع يذكر ويؤنث وقيل الضمير في القراءة الثانية لله عز وجل والجملة في محل نصب صفة أخرى لطير قال الزجاج من سجيل أي مما كتب عليهم العذاب به مشتقا من السجل قال في الصحاح قالوا هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم

الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته فاخذت بيده فقلت يارسول الله بم نجاة المؤمن قال ياعقبة أخرس لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال ثم لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأني فاخذ بيدي فقال ياعقبة بن عامر ألا اعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم قال قلت بلى جعلني الله فداءك قال فاقرأني قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم قال ياعقبة لا تنسهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن قال فما نسيتهن منذ قال لا تنسهن وما بت ليلة قط حتى أقرأهن قال عقبة ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته فاخذت بيده فقلت يارسول الله اخبرني بفواضل الاعمال فقال ياعقبة صل من قطعك وأعط من حرمك واعرض عمن ظلمك روى الترمذي بعضه في الزهد من حديث عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد فقال هذا حديث حسن وقد رواه احمد من طريق آخر حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن عباس عن اسيد بن عبد الرحمن الخثعمي عن فروة بن مجاهد اللخمي عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء تفرد به احمد (حديث آخر) في الاستشفاء بهن قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا المفضل عن عقيل بن شهاب عن عروة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة

(١) مكتوب في اسماء القوم وأصله سنك وكل وقيل السجيل الشديد وقال عبد الرحمن بن ابزى من سجيل من السماء وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط وقيل من الجحيم التي هي سجين ثم ابدلت النون لاما قال عكرمة كانت ترميهم بحجارة معها فاذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدري وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة وقد قدمنا الكلام في سجيل في سورة هود وعن ابن عباس قال حجارة كالبندق وبها نضح حمرة مختمة مع كل طائر ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره حلقت عليهم من السماء ثم أرسلت عليهم تلك الحجارة فلم تعد عسكرهم وعنه ان أبرهة الاشرم قدم من اليمن يريد هدم الكعبة فارسل الله عليهم طيرا أبابيل يريد مجتمعة لها خراطيم تحمل حصاتين في رجليها وحصاة في منقارها ترسل واحدة على رأس الرجل فيسيل لحمه ودمه ويبقى عظاما خاوية لا لحم عليها ولا جلد ولا دم (فجعلهم كعصف مأكول ٢) أي جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع اذا أكلته الدواب فرمت به من أسفل شبه لقطع أوصالهم بتفرق اجزائه وقيل المعنى انهم صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدواب وبقي منه بقايا أو أكلت حبه فبقي بدون حبه والعصف جمع عصفة وعصافة وعصيفة وقد قدمنا الكلام في العصف في سورة الرحمن فارجع اليه قال ابن عباس يقول كالتبن وعن عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان ونحوه عن اسماء بنت أبي بكر وعن ابن عباس قال ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الفيل قال القرطبي أي قبل مولده بخمسين يوما قال الخازن وهذا هو القول الاصح فانهم يقولون ولد عام الفيل ويجعلونه تاريخا لمولده صلى الله عليه وآله وسلم وعن قيس بن مخرمة قال ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الفيل وقيل كان عام الفيل قبل ولادته صلى الله عليه وآله وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل غير ذلك

﴿سورة قريش ويقال سورة لايلاف هي اربع آيات﴾

وهي مكية عند الجمهور وقال الضحاك والكلبي هي مدنية والاول اصح قال ابن عباس نزلت بمكة وعن أم هانئ بنت أبي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا يعطيها أحدا بعدهم أني فيهم وفي لفظ النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش أخرجه البخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي قال ابن كثير هو حديث غريب ويشهد له ما أخرجه الطبراني في الاوسط وابن مردويه وابن عساكر عن الزبير بن العوام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل الله قريشا بسبع خصال فضلهم بانهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده الا قرشي وفضلهم بانه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بانه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين غيرهم وهي لايلاف قريش وفضلهم بان فيهم النبوة والخلافة والسقاية واخرج الخطيب في تاريخه عن سعيد بن المسيب مرفوعا نحوه

يجمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وهكذا رواه اهل السنن من حديث عقيل به (بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) قد تقدم ذكر سبب نزولها وقال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزيرا ابن الله وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر وقالت المشركون نحن نعبد الاوثان أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد يعني هو الواحد الاحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الاثبات الا على الله عز وجل لانه الكامل في جميع صفاته وافعاله وقوله تعالى الله الصمد قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصمد اليه الخلائق في

(١) تأمل سر هذه الكتابة وهل كان الطائر الذي يحمله يدرك ويفهم ان هذا الفلان يخصه وصه حتى لا يرميه الا فوقه واذا كان كذلك فهل كان ادراكها لهذا المعنى من الكتابة المذكورة او بمجرد الالهام انتهى جمل

(٢) قال الشهاب ولم يقل فجعلهم كروث لما في لفظ الروث من الهجنة والشناعة انتهى منه

وهو مرسل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) اللام قيل متعلقة بآخر السورة التي قبلها كأنه قال سبحانه اهلكت أصحاب الفيل لاجل تألف قريش قال الفراء هذه السورة متصلة بالسورة الاولى لانه ذكر سبحانه أهل مكة بعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قال لايلاف قريش أى فعلنا ذلك باصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج في تجارتها فلا يغار عليها في الجاهلية يقولون هم أهل بيت الله عزوجل حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة ويأخذ تجارتها فيبنى بها بيتا في اليمن يحج الناس اليه فاهلكهم الله عزوجل فذكرهم نعمته أى فعل ذلك لايلاف قريش أى ليألفوا الخروج ولا يجترئ عليهم وذكر نحو هذا ابن قتيبة قال الزجاج والمعنى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش أى أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف (١) ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لاتعلق بينهما وقال في الكشاف ان اللام متعلقة بقوله فليعبدوا أمرهم ان يعبدوه لاجل ايلاف الرحلتين ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه وقد تقدم صاحب الكشاف الى هذا القول الخليل بن أحمد والمعنى ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقال الكسائي والاخفش اللام لام التعجب أى اعجبوا لايلاف قريش وقيل هي بمعنى الى وقرئ لالاف وقرئ ليألف بفتح اللام على انها لام الامر وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وفتح لام الامر لغة معروفة قال سليمان الجمل قرأ ابن عامر لالاف قريش دون ياء قبل اللام الثانية (٢) والباقون لايلاف بياء قبلها وأجمع الكل على اثبات الياء في الثاني وهو ايلافهم ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا على اثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطا فهو أدل دليل على ان القراء متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط انتهى وقريش هم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي ومن لم يلد النضر فليس بقرشي وقريش يأتي منصرفا ان أريد به الحي وغير منصرف ان أريد به القبيلة وقيل ان قريشا بنو فهر بن مالك بن النضر والاول أصح وقوله (ايلافهم) تأكيد للنطق ولذلك اتصل بضمير ما أضيف اليه الاول وقيل هو بدل لانه أطلق المبدل منه وقيد البدل بالمفعول وهو قوله (رحلة الشتاء والصيف) لما فيه من الابهام في المبدل منه ثم التبيين في البدل وانما أفرد الرحلة ولم يقل رحلتي الشتاء لأمن الالباس وقيل ان رحلة منصوبة بمصدر مقدر أى ارتحالهم رحلة الشتاء وقيل منصوبة على الظرفية والرحلة الارتحال وكانت احدى الرحلتين الى اليمن في الشتاء لانها بلاد حارة والرحلة الأخرى الى الشام في الصيف لانها بلاد باردة وروى انهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون في الطائف

خوائجهم ومسائلهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كمل في سودده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في انواع الشرف والسودد وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي الا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار وقال الاعمش عن سفيان عن أبي وائل الصمد السيد الذي قد انتهى سودده ورواه عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود مثله وقال مالك عن زيد بن أسلم الصمد السيد وقال الحسن وقتادة هو الباقي بعد خلقه وقال الحسن أيضا الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له وقال عكرمة الصمد الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيرا له وهو

(١) قال الخازن وأجيب عن مذهب أبي بن كعب في جعله السورتين سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان ذو الفقار احمد انتهى

(٢) وقد جمع بين القراءتين الشاعر فقال

زعمتم ان اخوتكم قريش
لهم الف وليس لكم الاف

انتهى

والاول أولى فان ارتحال قريش للتجارة معلوم معروف فى الجاهلية والاسلام قال ابن قتيبة انما كانت تعيش قريش بالتجارة وكانت لهم رحلتان فى كل سنة رحلة فى الشتاء الى اليمن ورحلة فى الصيف الى الشام ولولا هاتان الرحلتان لم يكن بها مقام ولولا الامن بجوارهم البيت لم يقدروا على التصرف قال ابن عباس فى الآية نعمتى على قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وعنه قال ايلافهم لزومهم وقيل رحلة اسم جنس وكانت لهم اربع رحلات وجعله بعضهم غلطا وليس كذلك وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف (فليعبدوا رب هذا البيت) أمرهم سبحانه بعبادته بعد ان ذكر لهم ما انعم به عليهم أى ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الخاصة المذكورة والبيت الكعبة وعرفهم سبحانه بأنه رب هذا البيت لانها كانت لهم أوثان يعبدونها فميز نفسه عنها وقيل لانهم شرفوا بالبيت على سائر العرب فذكر لهم ذلك تذكيرا النعمة (الذى أطعمهم من جوع) أى أطعمهم بسبب تينك الرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل ان هذا الاطعام هو انهم لما كذبوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا فأخصبوا وزال عنهم الجوع وارتفع القحط قال ابن عباس يعنى قريشا أهل مكة بدعوة ابراهيم حيث قال وارزق أهله من الثمرات (وآمنهم من خوف) أى من خوف شديد كانوا فيه قال ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبى بعضها بعضا فأمنت قريش من ذلك لمكان الحرم وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان آمنهم من خوف الحبشة مع الفيل وقال ابن عباس من الجذام وعنه فى الآية قال آمنهم من خوف حيث قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا قال ابن عباس نهاهم عن الرحلة وأمرهم أن يعبدوا رب هذا البيت وكفاهم المؤنة وكانت رحلتهم فى الشتاء والصيف ولم تكن لهم راحة فى شتاء ولا صيف فأطعمهم الله بعد ذلك من جوع وآمنهم من خوف وكان ذلك من نعمة الله عليهم وعنه قال أمروا ان يألفوا عبادة رب هذا البيت كالفهم رحلة الشتاء والصيف وقد وردت أحاديث فى فضل قريش وان الناس تبع لهم فى الخير والشر وان هذا الامر يعنى الخلافة لا يزال فيهم ما بقى منهم اثنان وهى فى دواوين الاسلام

(سورة أرأيت ويقال لها سورة الدين وسورة الماعون وسورة اليتيم وهى ست أو سبع آيات)

وهى مكية فى قول عطاء وجابر وأحد قولى ابن عباس ومدنية فى قول قتادة وآخرين وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقيل نصفها الاول مكى ونصفها الثانى مدنى والاول فى العاص بن وائل والثانى فى عبد الله بن أبى ابن سلول وقال مقاتل والكلبى نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقال السدى فى الوليد بن المغيرة وقال الضحاك فى عمرو بن عائذ وقال ابن جريج فى أبى سفيان وقيل فى رجل من المنافقين

*(بسم

قوله لم يلد ولم يولد وهو تفسير جيد وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبى بن كعب فى ذلك وهو صريح فيه وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضا وسعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح وعطية العوفى والضحاك والسدى الصمد الذى لا جوف له قال سفيان عن منصور عن مجاهد الصمد المصمت الذى لا جوف له وقال الشعبى هو الذى لا يأكل ولا يشرب الشراب وقال عبد الله بن بريدة أيضا الصمد نور يتلألأ روى ذلك كله وحكاه ابن أبى حاتم والبيهقى والطبرانى وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده وقال حدثنى العباس بن أبى طالب حدثنا محمد بن عمرو بن رومى عن عبيد الله بن سعيد قائد الاعمش حدثنى صالح بن حيان عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال لا أعلم الا قد رفعه قال الصمد الذى لا جوف له وهذا غريب جدا والصحيح انه موقوف على عبد الله بن بريدة وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى كتاب السنة له بعد ايراده كثيرا من هذه الاقوال فى تفسير الصمد وكل هذه صحيحة وهى صفات ربنا عز وجل هو الذى يصمد اليه فى الحوائج وهو الذى قد انتهى سودده وهو الصمد الذى لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب وهو الباقى بعد خلقه وقال البيهقى نحو ذلك وقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

*(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له والاستفهام لقصد التعجيب من حال (الذي يكذب بالدين) أي بالجزاء والحساب في الآخرة وقال ابن عباس بحكم الله قرأ الجمهور أرأيت باثبات الهمزة الثانية وقرئ باسقاطها قال الزجاج لا يقال في رأيت ريت ولكن ألف الاستفهام سهلت الهمزة ألفا والرؤية بمعنى المعرفة وقيل هي البصرية فتتعدى الى مفعول واحد وهو الموصول أي أبصرت المكذب وقيل انها بمعنى أخبرني فتتعدى الى مفعولين الثاني محذوف أي من هو والاول أولى قيل وفي الكلام حذف والمعنى أرأيت الذي يكذب بالدين أمصيب هو أم مخطئ (فذلك الذي يدع اليتيم) الفاء جواب شرط مقدر أي ان تأملته أو طلبته فذلك الخ ويجوز أن تكون عاطفة على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة فعلى الاول يكون اسم الاشارة مبتدأ وخبره الموصول أو خبر لمبتدأ محذوف أي فهو ذلك والموصول صفته وعلى الثاني يكون في محل نصب لعطفه على الموصول الذي هو في محل نصب ومعنى يدع يدفع دفعا بعنف وجفوة أي يدفع اليتيم عن حقه دفعا شديدا ومنه قوله سبحانه يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقد كانوا لا يورثون النساء والصبيان قال ابن عباس يدفعه عن حقه (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يحض نفسه ولا أهله ولا غيرهم على ذلك بخلا بالمال أو تكذيبا للجزاء وهو مثل قوله في سورة الحاقة ولا يحض على طعام المسكين (فويل للمصلين) الفاء جواب لشرط محذوف كأنه قيل اذا كان ماذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين فويل لهم ووضع المصلين موضع لهم للتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح أخر غير ماذكر والمعنى عذاب لهم أو هلاك أو واد في جهنم لهم كما سبق الخلاف في معنى الويل ويجوز أن يكون الفاء لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ماذكر من قبائحهم (الذين هم عن صلاتهم ساهون) أي غافلون غير مبالين وانما عبر بعن دون في لان صلاة المؤمن لا تخلو عن سهو بدليل وقوعه للانبياء ولان المراد السهو عن الصلاة بتأخيرها عن وقتها لا السهو فيها قال الواحدي نزلت في المنافقين الذين لا يرجون بصلاتهم ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها واذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياء واذا لم يكونوا معهم لم يصلوا قال النخعي الذين هم عن صلاتهم ساهون هو الذي اذا سجد قال برأسه هكذا وهكذا ملتفتا وقال قطرب هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله وقرأ ابن مسعود لاهون مكان ساهون قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة في السر ويصلون في العلانية عن مصعب بن سعد قال قلت لابي أرأيت قول الله الذين هم عن صلاتهم ساهون أينا لا يسهو أينا لا يحدث نفسه قال انه ليس كذلك انه اضاعة الوقت وعن سعد بن أبي وقاص قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الآية قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها قال الحاكم والبيهقي الموقوف أصح اسنادا قال ابن كثير ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم وعن أبي برزة الاسلمي قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله أكبر هذه الآية خير لكم من أن يعطى كل رجل منكم جميع الدنيا وهو الذي

أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة قال مجاهد ولم يكن له كفوا أحد يعني لا صاحبة له وهذا كما قال تعالى بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ أي هو مالك كل شئ وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال الله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون وفي الصحيح صحيح البخاري لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم وقال البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما

ان صلى لم يرج خيره صلاته وان تركها لم يخف ربه رواه ابن جرير وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف ففي اسناده جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه مبهم لم يسم وعن ابن عباس قال هم الذين يؤخرونها عن وقتها (الذين هم يراؤن) الناس بصلاتهم ان صلوا أو يراؤن الناس بكل ما عملوه من أعمال البر ليثنوا عليهم قال ابن عباس هم المنافقون يراؤن الناس بصلاتهم اذا حضروا ويتركونها اذا غابوا قال الخازن أما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء (ويمنعون) الناس أو الطالبين (الماعون) فاعول من المعن وهو الشئ القليل يقال مال معن أى قليل قاله قطرب أو اسم مفعول من عانه يعينه والاصل معوون وكان من حقه على هذا ان يقال معون كصون ومقول اسمى مفعول من صان وقال ولكنه قلبت الكلمة بأن قدمت عينها قبل فائها فصار موعون ثم قلبت الواو الاولى ألفا فوزنه الآن معفول قال أكثر المفسرين الماعون اسم لما يتعاوره الناس بينهم من الدلو والفاس والقدر وما لا يمنع كالماء والملح وقيل هو الزكاة أى يمنعون زكاة أموالهم قال الزجاج وابو عبيد والمبرد الماعون فى الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفاس والدلو والقدر والقداحة وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير وقالوا أيضا الماعون فى الاسلام الطاعة والزكاة وقال الفراء سمعت بعض العرب يقول الماعون الماء وقيل الماعون هو الحق على العبد على العموم وقيل هو المستقل من منافع الاموال مأخوذ من المعن وهو القليل قال قطرب أصل الماعون من القلة والمعن الشئ القليل فسمى الله الصدقة والزكاة ونحو ذلك من المعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل هو ما لا يبخل به كالماء والملح والنار وعن ابن مسعود قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عارية الدلو والقدر والفاس والميزان وما تتعاطون بينكم وعنه قال كان المسلمون يستعيرون من المنافقين القدر والفاس وشبهه فيمنعونهم فأنزل الله ويمنعون الماعون وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الآية قال ما تعاور الناس بينهم الفاس والقدر والدلو واشباهه أخرجه أبو نعيم والديلمى وابن عساكر وعن قرة بن دعموص النمرى انهم وفدوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا رسول الله ما تعهد الينا قال لا تمنعوا الماعون قالوا وما الماعون قال فى الحجر والحديدة وفى الماء قالوا فأى الحديدة قال قدوركم النحاس وحديد الفاس الذى تمتهنون به قالوا وما الحجر قال قدوركم الحجارة اخرجه ابن ابى حاتم وابن مردويه قال ابن كثير غريب جدا ورفعه منكر وفى اسناده من لا يعرف وعن سعد بن عياض عن اصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم الماعون الفاس والقدر والدلو وقال ابن عباس عارية متاع البيت وعن على بن ابى طالب قال الماعون الزكاة المفروضة يراؤن بصلاتهم ويمنعون زكاتهم

(سورة الكوثر وتسمى سورة النحر هى ثلاث آيات)

وهى مكية فى قول ابن عباس والكلبى ومقاتل ومدنية فى قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وعن ابن عباس وابن الزبير وعائشة انها نزلت سورة الكوثر بمكة

*(بسم

شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد ورواه أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة مرفوعا بمثله تفرد بهما من هذين الوجهين آخر تفسير سورة الاخلاص ولله الحمد والمنة

(تفسير سورتى المعوذتين وهما مدنيتان)

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال قلت لابى بن كعب ان ابن مسعود لا يكتب المعوذتين فى مصحفه فقال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى ان جبريل عليه السلام قال له قل أعوذ برب الفلق فقلتها قال قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبى صلى الله عليه وسلم ورواه أبو بكر الحميدى فى مسنده عن سفيان ابن عيينة حدثنا عبدة بن أبى لبابة وعاصم بن بهدلة انهما سمعا زر بن حبيش قال سألت ابى بن كعب عن المعوذتين فقلت يا ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يحك المعوذتين من المصحف فقال انى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لى قل فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عاصم عن زر قال سألت ابن مسعود عن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أعطيناك الكوثر) قرأ الجمهور هكذا وقرأ الحسن وابن محيصن وطلحة والزعفرانى أنطيناك بالنون قيل هى لغة العرب العاربة اى قضيناك وخصصناك به فهو لك ولامتك من قبل وجودك وان لم تستول عليه وتتصرف فيه الا فى القيامة فالعطاء ناجز والتمكن والاستيلاء مستقبل والكوثر فوعل من الكثرة وصف به للمبالغة فى الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمى كل شئ كثير فى العدد أو القدر أو الخطر كوثرا فالمعنى على هذا انا أعطيناك يا محمد الخير الكثير البالغ فى الكثرة الى الغاية وذهب أكثر المفسرين كما حكاه الواحدى الى أن الكوثر نهر فى الجنة وقيل هو حوض النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الموقف قاله عطاء وقال عكرمة الكوثر النبوة وقال الحسن هو القرآن وقال الحسن بن الفضل هو تفسير القرآن وتخفيف الشرائع وقال أبو بكر بن عياش هو كثرة الاصحاب والامة وقال ابن كيسان هو الايثار وقيل هو الاسلام وقيل رفعة الذكر وقيل نور القلب وقيل الشفاعة وقيل المعجزات وقيل اجابة الدعوة وقيل لا اله الا الله وقيل الفقه فى الدين وقيل الصلوات الخمس وسيأتى بيان ما هو الحق وعن أنس قال أغفى رسول الله اغفاءة فرفع رأسه متبسما فقال انه أنزل على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر حتى ختمها قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربى فى الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته كعدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب انه من أمتى فيقال انك لا تدرى ما أحدث بعدك أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى سننه وأخرجه أيضا مسلم فى صحيحه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخلت الجنة فاذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدى الى ما يجرى فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاكه الله أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وقد روى عن أنس من طرق كلها مصرحة بأن الكوثر هو النهر الذى فى الجنة وعن عائشة قالت هو نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم فى بطنان الجنة وعن ابن عباس انه نهر فى الجنة وعن حذيفة قال نهر فى الجنة وحسن السيوطى اسناده وعن أسامة بن زيد مرفوعا انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انك أعطيت نهرا فى الجنة يدعى الكوثر فقال أجل وأرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ أخرجه ابن جرير وابن مردويه وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال هو نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله أخرجه ابن مردويه فهذه الاحاديث تدل على ان الكوثر هو النهر الذى فى الجنة فيتعين المصير اليها وعدم التعويل على غيرها وان كان معنى الكوثر هو الخير الكثير فى لغة العرب فمن فسره بما هو أعم مما ثبت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو تفسير ناظر الى المعنى اللغوى كما أخرج أحمد والترمذى وصححه وابن ماجه وغيرهم عن عطاء بن السائب قال قال محارب بن دثار قال سعيد بن جبير فى الكوثر قلت حدثنا عن ابن عباس انه قال هو الخير الكثير فقال صدق انه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال نزلت انا

المعوذتين فقال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنهما فقال قيل لى فقلت لكم فقولوا قال أبى فقال لنا النبى صلى الله عليه وسلم فنحن نقول وقال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عبدة بن ابى لبابة عن زر بن حبيش وحدثنا عاصم عن زر قال سألت ابى بن كعب فقلت ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال انى سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقال قيل لى فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه البخارى ايضا والنسائى عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن ابى النجود عن زر بن حبيش عن ابى بن كعب به وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا الازرق بن على حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا الصلت ابن بهرام عن ابراهيم عن علقمة قال كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ويقول انما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ بهما ولم يكن عبد الله يقرأ بهما ورواه عبد الله بن احمد من حديث الاعمش عن ابى اسحق عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول انهما ليستا من كتاب الله قال الاعمش وحدثنا عاصم عن زر ابن حبيش عن ابى بن كعب قال سألنا عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لى فقلت وهذا

أعطيناك الكوثر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واخرج البخاري وابن جرير والحاكم من طريق ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال في الكوثر هو الخير الذي اعطاه الله اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة قال النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه وهذا التفسير من حبر الامة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ناظر الى المعنى اللغوي كما عرفناك ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فسره فيما صح عنه انه النهر الذي في الجنة واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل قال القرطبي اصح هذه الاقوال انه النهر او الحوض لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصا في الكوثر قال القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة وقد جمع ذلك كله البيهقي في كتابه البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرة وذهب صاحب القوت وغيره الى أن حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما هو بعد الصراط والصحيح ان له صلى الله عليه وآله وسلم حوضين وكلاهما يسمى كوثرا واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر فقيل الميزان وقيل الحوض قال أبو الحسن القابسي والصحيح ان الحوض قبل قلت والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم (فصل لربك) وكان الظاهر أن يقول لنا فانتقل الى الاسم المظهر على طريق الالتفات لانه يوجب عظمة ومهابة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها والمراد الامر له صلى الله عليه وآله وسلم بالدوام على اقامة الصلوات المفروضة قال ابن عباس الصلاة المكتوبة وقيل صلاة عيد النحر وهذا يناسب كونها مدنية والاول يناسب كونها مكية (وانحر) البدن التي هي خيار أموال العرب قال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يكون صلاته ونحره له وقال قتادة وعطاء وعكرمة المراد صلاة العيد ونحر الاضحية وقال سعيد بن جبير صل لربك صلاة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن في منى وقيل النحر وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة حذاء النحر قاله محمد بن كعب وقيل هو أن يرفع يديه في الصلاة عند التكبير الى حذاء نحره وقيل هو ان يستقبل القبلة بنحره قاله الفراء والكلبي وأبو الاحوص قال الفراء سمعت بعض العرب يقول تتناحر اي تتقابل نحر هذا الى نحر هذا أي قبالته وقال ابن الاعرابي هو انتصاب الرجل في الصلاة بازاء المحراب من قولهم منازلهم تتناحر أي تتقابل وروى عن عطاء انه قال أمره أن يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره وقال سليمان التيمي المعنى وارفع يديك بالدعاء الى نحرك وظاهر الآية الامر له صلى الله عليه وآله وسلم بمطلق الصلاة ومطلق النحر وان يجعلهما لله عز وجل لا لغيره وما ورد في السنة من بيان هذا المطلق بنوع خاص فهو في حكم المقيد له عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبريل ما هذه النحيرة التي أمرني بها

مشهور عند كثير من القراء والفقهاء ان ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلعله لم يسمعهما من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتواتر عنده ثم قد رجع عن قوله ذلك الى قول الجماعة فان الصحابة رضي الله عنهم كتبوها في المصاحف الائمة ونفذوها الى سائر الآفاق كذلك ولله الحمد والمنة وقد روى مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ورواه أحمد ومسلم أيضا والترمذي والنسائي من حديث اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عقبة به وقال الترمذي حسن صحيح طريق أخرى قال الامام حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة ابن عامر قال بينا أنا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نقب من تلك النقاب اذ قال لي يا عقبة ألا تركب قال فأشفقت ان تكون معصية قال فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت هنية ثم ركب ثم قال عقب الا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس قلت بلى يا رسول الله فأقرأني قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم أقيمت الصلاة فتقدم

ربي فقال انها ليست بنحيرة ولكن يأمرك اذا تحرمت للصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت رأسك من الركوع فانها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين هم في السموات السبع وان لكل شئ زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفع اليدين من الاستكانة التي قال الله فما استكانوا لربهم وما يتضرعون أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه وهو من طريق مقاتل بن حيان عن الاصبغ بن نباتة عن علي وعن ابن عباس في الآية قال ان الله أوحى الى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن ارفع يديك حذاء نحرك اذا كبرت للصلاة فذاك النحر وعن علي في الآية قال وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ثم وضعهما على صدره في الصلاة وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثله أخرجه أبو الشيخ والبيهقي في سننه وعن ابن عباس أيضا اذا صليت فرفعت رأسك من الركوع فاستو قائما وعنه قال هو الذبح يوم الاضحى يقول اذبح يوم النحر (ان شانئك هو الابتر) أي ان مبغضك هو المنقطع عن الخير على العموم فيعم خيري الدنيا والآخرة أو الذي لا عقب له أو الذي لا يبقى ذكره بعد موته وظاهر الآية العموم وان هذا شأن كل من يبغض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا ينافي ذلك كون سبب النزول هو العاص بن وائل كما سيأتي فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما مر غير مرة قيل كان أهل الجاهلية اذا مات الذكور من أولاد الرجل قالوا قد بتر فلان فلما مات ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابراهيم (١) خرج أبو جهل الى أصحابه فقال بتر محمد فنزلت الآية وقيل القائل بذلك عقبة بن أبي معيط قال أهل اللغة الابتر من الرجال الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر وأصل البتر القطع يقال بترت الشئ بترا قطعته وفي المختار بتره قطعه قبل التمام وبابه نصر والانبتار الانقطاع والابتر المقطوع الذنب وبابه طرب عن ابن عباس قال قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش أنت خير أهل المدينة وسيدهم ألا ترى الى هذا الصابئ المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية وأهل السدانة قال أنتم خير منه فنزلت ان شانئك هو الابتر ونزلت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله فلن تجد له نصيرا أخرجه البزار وابن أبي حاتم وابن مردويه قال ابن كثير واسناده صحيح وعن أبي أيوب قال لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشى المشركون بعضهم الى بعض فقالوا ان هذا الصابي قد بتر الليلة فأنزل الله انا أعطيناك الكوثر الى آخر السورة أخرجه الطبراني وابن مردويه وأخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية رضي الله تعالى عنهم فمات القاسم وهو أول ميت من أهله وولده بمكة ثم مات عبد الله فقال العاص بن وائل السهمي قد انقطع نسله فهو أبتر فأنزل الله ان شانئك هو الابتر وفي اسناده الكلبي وعنه قال هو أبو جهل وعنه قال يقول عدوك وقيل ولد القاسم ثم زينب ثم عبد الله قال ابن الكلبي ولدت زينب ثم القاسم ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية ثم عبد الله وكان يقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بهما ثم مر بي فقال كيف رأيت يا عقب اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت ورواه الترمذي من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك كلاهما عن ابن جابر ورواه أبو داود والنسائي أيضا من حديث ابن وهب عن معن بن صالح عن العلاء بن الحرث عن القاسم بن عبد الرحمن عن عقبة به (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد ابن أبي أيوب حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم عن يزيد بن محمد القرشي عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من طرق عن علي بن ابي رباح وقال الترمذي غريب (طريق أخرى) قال احمد حدثنا محمد بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن مسرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ بالمعوذتين فانك لن تقرأ بمثلهما تفرد به أحمد (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنا بحير بن سعد عن خالد ابن معدان عن جبير بن سفيان عن عقبة بن عامر انه قال ان رسول الله

(١) قيل موت ابراهيم كان بعد هلاك أبي جهل فلعله أحد أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاولين اهـ منه

الطيب والطاهر قال وهذا هو الصحيح وغيره تخليط

(سورة الكافرون هى ست آيات)

وهى مكية فى قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية فى أحد قولى ابن عباس وقتادة والضحاك وعن ابن الزبير انها نزلت بالمدينة وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد فى ركعتى الطواف وفى مسلم أيضا من حديث أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بهما فى ركعتى الفجر وعن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ فى الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه أحمد والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه وابن حبان وابن مردويه وأخرج الحاكم وصححه عن أبى قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوتر بسبح وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن وكان يقرأ بهما فى ركعتى الفجر أخرجه محمد بن نصر والطبرانى فى الاوسط وعن نوفل بن معاوية الاشجعى انه قال يا رسول الله علمنى ما أقول اذا أويت الى فراشى قال اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الاشراك بالله تقرؤن قل يا أيها الكافرون عند منامكم أخرجه أبو يعلى والطبرانى وعن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لقى الله بسورتين فلا حساب عليه قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه ابن مردويه وعن خباب ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا أخذت مضجعك فاقرأ قل يا أيها الكافرون وان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يأت فراشه قط الا قرأ قل يا أيها الكافرون حتى ختمها أخرجه البزار والطبرانى وابن مردويه وفى الباب أحاديث كثيرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا أيها الكافرون) الالف واللام للجنس ولكنها لما كانت الآية خطابا لمن سبق فى علم الله انه يموت على كفره كان المراد بهذا العموم خصوص من كان كذلك لان من الكفار عند نزول هذه الآية من أسلم وعبد الله سبحانه وسبب نزول هذه السورة ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا الهه سنة فامره الله سبحانه ان يقول لهم (لا أعبد ما تعبدون) اى لا أفعل فى الحال ما تطلبون منى من عبادة ما تعبدون من الاصنام قيل والمراد فيما يستقبل من الزمان لان لا النافية لا تدخل فى الغالب الا على المضارع الذى فى معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال وذكر الحافظ ابن القيم فى بدائع الفوائد عشر مسائل تحت هذه الآية وقال وقع ما فيها بدلا عن من ومعناه أنتم لا تعبدون معبودى فالمقصود المعبود لا العبادة ولا يصح فى النظم البديع والمعنى الرفيع الا لفظ ما لا يهامها ومطابقتها الغرض الذى تضمنته الآية

صلى الله عليه وسلم أهديت له بغلة شهباء فركبها فاخذ عقبة يقودها له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ قل أعوذ برب الفلق فاعادها له حتى قرأها فعرف انى لم أفرح بها جدا فقال لعلك تهاونت بها فما قمت تصلى بشئ مثلها ورواه النسائى عن عمرو بن عثمان عن بقية به ورواه النسائى أيضا من حديث الثورى عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن نفير عن أبيه عن عقبة بن عامر انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعوذتين فذكر نحوه (طريق أخرى) قال النسائى اخبرنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا المعتمر سمعت النعمان عن زياد ابى الاسد عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس لم يتعوذوا بمثل هذين قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (طريق أخرى) قال النسائى أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن عجلان عن سعيد المقبرى عن عقبة بن عامر قال كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عقبة قل قلت ماذا أقول فسكت عنى ثم قال قل قلت ماذا أقول يا رسول الله قال قل أعوذ برب الناس فقرأتها حتى أتيت على آخرها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيذ بمثلها (طريق أخرى) قال النسائى أخبرنا محمد بن بشار حدثنا عبد

انتهى عن ابن عباس ان قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أن يعطوه
مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ماأراد من النساء فقالوا هذا لك يا محمد وكف عن شتم
آلهتنا ولا تذكرها بسوء فان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها اصلاح قال
ماهى قالوا تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة قال حتى أنظر ما يأتينى من ربى فجاء الوحى
من عند الله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الى آخر السورة وأنزل الله قل أفغير الله
تأمرونى أعبد أيها الجاهلون الى قوله بل الله فاعبد وكن من الشاكرين أخرجه ابن جرير
وابن أبى حاتم والطبرانى وعن سعيد بن ميناء مولى أبى البخترى قال لقى الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وأنت فى أمرنا كله فان كان
الذى نحن عليه أصح من الذى أنت عليه كنت قد أخذت منه حظا وان كان الذى أنت عليه
أصح من الذى نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظا فانزل الله هذه السورة أخرجه ابن جرير
وابن أبى حاتم وابن الانبارى وعن ابن عباس ان قريشا قالت لو استلمت آلهتنا لعبدنا الهك
فانزل الله هذه السورة كلها (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم فاعلون فى المستقبل
ما أطلب منكم من عبادة الهى قال الحافظ ابن القيم فى البدائع اشتمال هذه على النفى
المحض خاصة هذه السورة العظيمة فانها سورة براءة من الشرك كما جاء فى وصفها فمقصودها
الاعظم هو البراءة المطلقة بين الموحدين والمشركين ولهذا أتى بالنفى فى الجانبين تحقيقا
للبراءة المطلوبة هذا مع انها متضمنة للاثبات صريحا فقوله لا أعبد ما تعبدون براءة محضة
ولا أنتم عابدون ما أعبد اثبات أن له معبودا يعبده وانهم بريئون من عبادته فتضمنت النفى
والاثبات فطابقت قول امام الحنفاء اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وطابقت قول
الفئة الموحدين واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله ولهذا كان النبى صلى الله عليه وآله
وسلم يقرأ بها وبقل هو الله أحد فى سنة الفجر وسنة المغرب فان هاتين السورتين سورتا
الاخلاص وقد اشتملتا على نوعى التوحيد الذى لا نجاة للعبد ولا فلاح الا بهما وهما
توحيد العمل والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد
وانه اله واحد صمد لم يلد ولم يولد والثانى توحيد القصد والارادة وهو ان لا يعبد الا اياه فلا
يشرك به فى عبادته سواه بل يكون وحده هو المعبود وهذه السورة مشتملة على هذا
التوحيد انتهى (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى ولا أنا قط فيما سلف عابد ما عبدتم فيه والمعنى انه
لم يعهد منى ذلك (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما أنا على
عبادته كذا قيل وهذا على قول من قال انه لا تكرار فى هذه الآيات لان الجملة الاولى لنفى
العبادة فى المستقبل لما قدمنا من ان لا لا تدخل الا على مضارع فى معنى الاستقبال والدليل
على ذلك ان لن تأكيد لما ينفيه لا قال الخليل فى لن ان أصلها لا فالمعنى لا أعبد ما تعبدون
فى المستقبل ولا أنتم عابدون فى المستقبل ما أطلبه من عبادة الهى ثم قال ولا أنا عابد
ما عبدتم أى ولست فى الحال بعابد معبودكم ولا أنتم فى الحال بعابدين معبودى وقيل بعكس
هذا وهو أن الجملتين الاولتين للحال والجملتين الآخرتين للاستقبال بدليل قوله ولا أنا عابد

الرحمن حدثنا معاوية عن العلاء
ابن الحرث عن مكحول عن عقبة بن
عامر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرأ بهما فى صلاة الصبح (طريق
أخرى) قال النسائى أخبرنا قتيبة
حدثنا الليث عن يزيد بن ابى حبيب
عن ابى عمران أسلم عن عقبة بن
عامر قال اتبعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت
يدى على قدمه فقلت اقرأنى سورة
هود أو سورة يوسف فقال لن تقرأ
شيأ أنفع عند الله من قل اعوذ برب
الفلق (حديث آخر) قال النسائى
اخبرنا محمود بن خالد حدثنا الوليد
حدثنا أبو عمرو الاوزاعى عن يحيى
ابن ابى كثير عن محمد بن ابراهيم بن
الحرث عن أبى عبد الله عن ابن
عباس الجهنى ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال له يا ابن عباس ألا
ادلك أو ألا أخبرك بأفضل ما يتعوذ
به المتعوذون قال بلى يا رسول الله
قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ
برب الناس هاتان السورتان فهذه
طرق عن عقبة كالمتواترة عنه تفيد
القطع عند كثير من المحققين فى
الحديث وقد تقدم فى رواية صدى
ابن عجلان وفروة بن مجاهد عنه ألا
أعلمك ثلاث سور لم ينزل فى التوراة
ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا
فى الفرقان مثلهن قل هو الله احد
وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ
برب الناس (حديث آخر) قال
الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا
الجريرى عن ابى العلاء قال قال

ماعبدتم كما لو قال القائل أنا ضارب زيدا وأنا قاتل عمرا فانه لا يفهم منه الا الاستقبال قال الاخفش والفراء المعنى لا أعبد الساعة ماتعبدون ولا أنتم عابدون الساعة ما أعبد ولا أنا عابد في المستقبل ماعبدتم ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد قال الزجاج نفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال وفي المستقبل ونفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وقيل ان كل واحد منهما يصلح للحال والاستقبال ولكنا نخص أحدهما بالحال والثاني بالاستقبال رفعا للتكرار وكل هذا فيه من التكلف والتعسف مالا يخفى على منصف فان جعل قوله لا أعبد ماتعبدون للاستقبال وان كان صحيحا على مقتضى اللغة العربية ولكنه لا يتم جعل قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد للاستقبال لان الجملة الاسمية تفيد الدوام والثبات في كل الاوقات فدخول النفي عليها يرفع مادلت عليه من الدوام والثبات في كل الاوقات ولو كان حملها على الاستقبال صحيحا للزم مثله في قوله ولا أنا عابد ماعبدتم وفي قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد فلا يتم ماقيل من حمل الجملتين الآخرتين على الحال وكما يندفع هذا يندفع ماقيل من العكس لان الجملة الثانية والثالثة والرابعة كلها جمل اسمية مصدرة بالضمائر التي هي المبتدأ في كل واحد منها مخبر عنها باسم الفاعل العامل فيما بعده منفية كلها بحرف واحد وهو لفظ لا في كل واحد منها فكيف يصح القول مع هذا الاتحاد بان معانيها في الحال والاستقبال مختلفة وأما قول من قال ان كل واحد منها يصلح للحال والاستقبال فهو اقرار منه بالتكرار لان حمل هذا على معنى وحمل هذا على معنى مع الاتحاد يكون من باب التحكم الذي لا يدل عليه دليل واذا تقرر لك هذا فاعلم ان القرآن نزل بلسان العرب ومن مذاهبهم التي لا تجحد واستعمالاتهم التي لا تنكر أنهم اذا أرادوا التأكيد كرروا كما ان من مذاهبهم انهم اذا أرادوا الاختصار أوجزوا هذا معلوم لكل من له علم بلغة العرب وهذا مما لا يحتاج الى اقامة البرهان عليه لانه انما يستدل على مافيه خفاء ويبرهن على ماهو متنازع فيه وأما ما كان من الوضوح والظهور والجلاء بحيث لا يشك فيه شاك ولا يرتاب فيه مرتاب فهو مستغن عن التطويل غير محتاج الى تكثير القال والقيل وقد وقع في القرآن الكريم من هذا مايعلمه كل من يتلو القرآن وربما يكثر في بعض السور كما في سورة الرحمن وسورة المرسلات وفي أشعار العرب من هذا مالا يأتي عليه الحصر وقد ثبت عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفصح من نطق بلغة العرب انه كان اذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاث مرات واذا عرفت هذا ففائدة ماوقع في السورة من التأكيد هو قطع أطماع الكفار عن أن يجيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى ماسألوه من عبادته آلهتهم وانما عبر سبحانه بما التي لغير العقلاء في المواضع الاربعة لانه يجوز ذلك كما في قوله سبحان ماسخركن لنا ونحوه والنكتة في ذلك ان يجري الكلام على نمط واحد ولا يختلف وقيل انه أراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما في المواضع الاربعة هي المصدرية لا الموصولة أي لا أعبد عبادتكم ولا أنتم عابدون عبادتي الخ وجملة (لكم دينكم) مستأنفة لتقرير قوله لا أعبد ماتعبدون وقوله ولا أنا عابد ماعبدتم كما ان قوله (ولي دين) تقرير لقوله ولا أنتم عابدون

ما أعبد

رجل كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر والناس يعتقبون وفي الظهر قلة فحانت نزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلتي فلحقني فضرب منكبي فقال قل أعوذ برب الفلق فقلت أعوذ برب الفلق فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتها معه ثم قال قل أعوذ برب الناس فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتها معه فقال اذا صليت فاقرأ بهما الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر والله اعلم ورواه النسائي عن يعقوب بن ابراهيم عن ابن علية به (حديث آخر) قال النسائي اخبرنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر عن عبد الله ابن سعيد حدثني يزيد ابن رومان عن عقبة بن عامر عن عبد الله الاسلمي هو ابن انيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على صدره ثم قال قل فلم ادر ما أقول ثم قال لي قل قلت هو الله احد ثم قال لي قل قلت اعوذ برب الفلق من شر ماخلق حتى فرغت منها ثم قال لي قل قلت أعوذ برب الناس حتى فرغت منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فتعوذ وما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط (حديث آخر) قال النسائي أنا عمرو بن علي أبو جعفر حدثنا بدل حدثنا شداد بن سعيد أبو صالح عن سعيد الجريري حدثنا أبو نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما اعبد في الموضعين اي ان رضيتم بدينكم وشرككم فقد رضيت بديني وتوحيدي كأني قولهٰلنا اعمالنا ولكم اعمالكم والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لايتجاوزه الى الحصول لي كما تطمعون وديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لايتجاوزه الى الحصول لكم وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزاء قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل ليست بمنسوخة لانها اخبار والاخبار لايدخلها النسخ وقيل السورة كلها منسوخة وقال القاضي ولي ديني الذي أنا عليه لا أرفضه فليس فيه اذن في الكفر ولامنع عن الجهاد فلا يكون منسوخا بآية القتال وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والعبادة وقال الحافظ ابن القيم في البدائع وقد غلط في السورة خلائق وظنوا انها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم ان هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم وظن آخرون انها مخصوصة بمن يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب وكلا القولين غلط محض فلا نسخ في السورة ولا تخصيص بل هي محكمة عمومها نص محفوظ وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ فيها وهذه السورة أخلصت للتوحيد ولهذا تسمى سورة الاخلاص والآية اقتضت البراءة المحضة وان ما انتم عليه من الدين لا أوافقكم عليه فانه دين باطل فهو مختص بكم لانشرككم فيه ولا تشركونا في ديننا الحق فهذا غاية البراءة والتفصيل من موافقتهم في دينهم فاين الاقرار حتى يدعى النسخ والتخصيص أفترى اذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لايصح أن يقال لهم لكم دينكم ولي دين بل هذه الآية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين الى أن يطهر الله منهم بلاده وعباده وكذلك حكم هذه البراءة بين اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل سنته وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به الداعين الى غير سنته اذ قال لهم خلفاء الرسول وذريته لكم دينكم ولنا ديننا هذا فلا يقتضي اقرارهم على بدعهم بل يقولون لهم هذا براءة منها وهم مع ذلك منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الامكان انتهى حاصله قرأ الجمهور ولي باسكان الياء وحذف الياء من ديني وصلا ووقفا وقرئ بفتح الياء من قوله لي واثباتها من ديني وصلا ووقفا وقالوا لانها اسم فلا تحذف ويجاب بان حذفها لرعاية الفواصل سائغ وان كانت اسما ويجاب أيضا بانها من يا آت الزوائد فيراعى فيه اتباع رسم المصحف وهي غير ثابتة فيه اكتفاء بالكسرة

(سورة النصر وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث آيات وهي مدنية بالاجماع بلا خلاف)

قال ابن عباس أنزل بالمدينة اذا جاء نصر الله والفتح وعن ابن عمر قال هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوسط أيام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختمها فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الوداع اخرجه البزار وابو يعلى والبيهقي وغيرهم وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعيت الي نفسي أخرجه أحمد وغيره وزاد ابن مردويه في لفظ وقرب الي أجلي وفي لفظ لما نزلت نعيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه

أقرأ يا جابر قلت وما أقرأ بابي أنت وأمي قال اقرأ قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فقرأتهما فقال اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما وتقدم حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهن وينفث في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده وقال الامام مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة ومن حديث ابن القاسم وعيسى بن يونس وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عمر ثمانيتهم عن مالك به وتقدم في آخر سورة ن من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الانسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح

حين أنزلت فأخذ في أشد ما كان قط اجتهادا في امر الآخرة وعن أم حبيبة قالت لما أنزل
اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لم يبعث نبيا الا عمر في
أمته شطر ما عمر النبي الماضي قبله فان عيسى بن مريم كان أربعين سنة في بني اسرائيل وهذه
لي عشرون سنة وأنا ميت في هذه السنة فبكت فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم أنت أول أهلي بي لحوقا فتبسمت أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه
وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فاطمة وقال انه قد نعيت الى نفسي فبكت ثم ضحكت وقالت أخبرني انه نعيت اليه
نفسه فبكيت فقال اصبري فانك أول أهلي لحاقا بي فضحكت اخرجه البيهقي وقد تقدم في
سورة الزلزلة ان هذه السورة تعدل ربع القرآن وهي آخر سورة نزلت جميعا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاء نصر الله) النصر العون مأخوذ من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا أعان على
نباتها ومنع من قحطها يقال نصره على عدوه ينصره نصرا اذا أعانه والاسم النصرة
واستنصره على عدوه اذا سأله ان ينصره عليه قال الواحدي قال المفسرون اذا جاءك
يا محمد نصر الله على من عاداك وهم قريش وقيل المراد نصره صلى الله عليه وآله وسلم
على قريش من غير تعيين وقيل نصره على من قاتله من الكفار وقيل اذا بمعنى قد وقيل
بمعنى اذ ومعنى جاء حصل وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات
متوجهة من الازل الى أوقاتها المعينة فتقرب منها شيأ فشيأ وقد قرب النصر من وقته
فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره قاله القاضي وهو استعارة تبعية لكن قول الراغب
المجيء الحصول ويكون في المعاني والاعيان يقتضي خلافه وفي الخطيب جاء بمعنى استقر
وثبت في المستقبل بمجيء وقته المضروب له في الازل واذا منصوب بسبح الذي هو جوابها
ونصر الله مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف أي نصره اياك والمؤمنين (والفتح) أي
فتح مكة وقيل هو فتح سائر البلاد وقيل هو ما فتح الله عليه من العلوم والاول اظهر والثاني
أنسب والثالث أبعد عن ابن عباس ان عمر سألهم عن قول الله اذا جاء نصر الله والفتح
فقالوا فتح المدائن والقصور قال فانت يا ابن عباس ما تقول قال قلت مثل ضرب لمحمد صلى
الله عليه وآله وسلم نعيت له نفسه وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال كان عمر
يدخلني مع أشياخ بدر وكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا ابناء مثله
فقال عمر انه من قد علمتم فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فما رأيت انه دعاني فيهم يومئذ
الا ليريهم فقال ما تقولون في قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا
أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لي أكذاك
تقول يا ابن عباس فقلت لا فقال ما تقول فقلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أعلمه الله له قال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان توابا فقال عمر لا أعلم منها الا ما تقول قال الرازي الفرق بين النصر والفتح ان الفتح
هو تحصيل المطلوب الذي كان منغلقا والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف

(بسم الله الرحمن الرحيم)*
(قل أعوذ برب الفلق من شر
ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب
ومن شر النفاثات في العقد ومن
شر حاسد اذا حسد) قال ابن
أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام
حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا
حسن بن صالح عن عبد الله
ابن محمد بن عقيل عن جابر قال
الفلق الصبح وقال العوفي عن
ابن عباس الفلق الصبح وروى عن
مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الله
ابن محمد بن عقيل والحسن وقتادة
ومحمد بن كعب القرظي وابن زيد
ومالك عن زيد بن أسلم مثل هذا
قال القرظي وابن زيد وابن جرير
وهي كقوله تعالى فالق الاصباح
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن
عباس الفلق الخلق وكذا قال
الضحاك أمر الله نبيه ان يتعوذ
من الخلق كله وقال كعب
الاحبار الفلق بيت في جهنم اذا فتح
صاح جميع أهل النار من شدة حره
ورواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا أبي
حدثنا سهيل بن عثمان عن رجل
سماه عن السدي عن زيد بن علي
عن آبائه انهم قالوا الفلق جب في
قعر جهنم عليه غطاء فاذا كشف

عليه الفتح أو يقال النصر كمال الدين والفتح اقبال الدنيا الذى هو تمام النعمة أو يقال النصر الظفر والفتح الجنة هذا معنى كلامه ويقال الامر أوضح من هذا وأظهر فان النصر هو التأييد الذى يكون به قهر الاعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم والفتح هو فتح مساكن الاعداء ودخول منازلهم (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى أبصرت الناس من العرب وغيرهم يدخلون فى دين الله الذى بعثك به وهو الاسلام جماعات فوجا بعد فوج قال الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قال العرب اما اذ ظفر محمد صلى الله عليه وآله وسلم باهل الحرم وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله أفواجا أى جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين فصارت القبيلة تدخل باسرها فى الاسلام قال عكرمة ومقاتل أراد بالناس أهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة انسان مؤمنين وانتصاب أفواجا على الحال من فاعل يدخلون ومحل يدخلون النصب على الحال ان كانت الرؤية بصرية وان كانت بمعنى العلم فهو فى محل نصب على انه المفعول الثانى وعن أبى هريرة قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء أهل اليمن هم أرق قلوبا الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المدينة اذ قال الله أكبر قد جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية أخرجه الطبرانى وابن مردويه وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا أخرجه ابن مردويه وعن أبى هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا قال ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا أخرجه الحاكم وصححه (فسبح بحمد ربك) هذا جواب الشرط وهو العامل فيه والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء نصر الله كما مر وقال مكى العامل فى اذا هو جاء ورجحه أبو حيان وضعف الاول بان ما جاء بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبلها وقوله بحمد ربك فى محل نصب على الحال أى فقل سبحان الله متلبسا بحمده أو حامدا له وفيه الجمع بين تسبيح الله المؤذن بالتعجب مما يسره الله له مما لم يكن يخطر بباله ولا بال أحد من الناس وبين الحمد له على جميل صنعه له وعظيم منته عليه بهذه النعمة التى هى النصر والفتح لأم القرى التى كان أهلها قد بلغوا فى عداوته الى أعلى المبالغ حتى أخرجوه منها بعد أن افتروا عليه من الاقوال الباطلة والاكاذيب المختلقة ما هو معروف من قولهم هو مجنون هو ساحر هو شاعر هو كاهن ونحو ذلك ثم ضم سبحانه الى ذلك أمره نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار فقال (واستغفره) أى اطلب منه المغفرة لذنبك وسله الغفران هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك من ترك ما هو الاولى وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يرى قصوره عن القيام بحق الله ويكثر من الاستغفار والتضرع وان كان قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقيل ان الاستغفار منه صلى الله عليه وآله وسلم ومن سائر الانبياء هو تعبد تعبدهم الله به

عنه خرجت منه نار تضج منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه وكذا روى عن عمرو بن عنبسة وابن عباس والسدى وغيرهم وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع منكر فقال ابن جرير حدثنى اسحق بن وهب الواسطى حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطى حدثنا نصر بن خزيمة الخراسانى عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب فى جهنم مغطى اسناده غريب ولا يصح رفعه وقال أبو عبد الرحمن الحبلى الفلق من أسماء جهنم قال ابن جرير والصواب القول الاول انه فلق الصبح وهذا هو الصحيح وهو اختيار البخارى فى صحيحه رحمه الله تعالى وقوله تعالى من شر ما خلق أى من شر جميع المخلوقات وقال ثابت البنانى والحسن البصرى جهنم وابليس وذريته مما خلق ومن شر غاسق اذا وقب قال مجاهد غاسق الليل اذا وقب غروب الشمس حكاه البخارى عنه وكذا رواه ابن أبى نجيح عنه وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى والضحاك وخصيف والحسن وقتادة انه الليل اذا أقبل بظلامه وقال الزهرى ومن شر غاسق اذا وقب الشمس اذا غربت وعن عطية وقتادة اذا وقب الليل اذا ذهب وقال أبو المهزم عن أبى هريرة ومن شر غاسق اذا وقب الكوكب وقال ابن زيد كانت العرب تقول الغاسق

لا لطلب المغفرة لذنب كائن منهم وقيل انما أمره الله سبحانه بالاستغفار تنبيه الأمته وتعريضا بهم فكأنهم هم المأمورون بالاستغفار وقيل ان الله سبحانه أمره بالاستغفار لأمته لا لذنبه وقيل المراد بالتسبيح هنا الصلاة والاولى حمله على معنى التنزيه مع ما أشرنا اليه من كون فيه معنى التعجب سرورا بالنعمة وفرحا بما حباه الله من نصر الدين وكبت أعدائه ونزول الذلة بهم وحصول القهر لهم قال الحسن أعلم الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم انه قد اقترب أجله فأمره بالتسبيح والتوبة ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح فكان يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اغفرلي انك أنت التواب قال قتادة ومقاتل وعاش صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده وأستغفره وأتوب اليه فقلت يارسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله وأتوب اليه فقال أخبرني ربي اني سأرى علامة في أمتي فاذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون الخ أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأخرج البخاري ومسلم وأبوداود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي يتأول القرآن تعني اذا جاء نصر الله والفتح وفي الباب أحاديث وقوله (انه كان توابا) تعليل لامره سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار أي من شأنه التوبة على المستغفرين له يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم وتواب من صيغ المبالغة ففيه دلالة على انه سبحانه مبالغ في قبول توبة التائبين وقد حكى الرازي في تفسيره اتفاق الصحابة رضي الله عنهم على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فعاش النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل سبعة أيام وقيل غير ذلك وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفي صلى الله عليه وآله وسلم في ربيع الاول على رأس العاشرة بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة وان كانت اشهرين وشئ مضت من الحادية عشرة اذا اعتبر التاريخ من أول السنة الشرعية وهو المحرم فلما هاجر صلى الله عليه وآله وسلم لاثني عشر من ربيع الاول حسبوا الباقي من هذه السنة سنة مع أنها ناقصة شهرين واثني عشر يوما فلما كانت وفاته لاثني عشر من ربيع الاول كان الماضي من هذه السنة وهو شهران واثنا عشر يوما مكملا ومتمما لما نقصته السنة الاولى فصح قولهم انه توفي في العاشرة أي على رأسها وحين كمالها بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة ويصح ان يقال توفي في الحادية عشرة بالنظر لجعل التاريخ من أول السنة الشرعية تأمل والله تعالى أعلم

سقوط الثريا وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها قال ابن جرير ولهؤلاء من الآثار ما حدثني نصر ابن علي حدثني بكار عن عبد الله بن أخي همام حدثنا محمد بن عبد العزيز عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن شر غاسق اذا وقب قال النجم الغاسق قلت وهذا الحديث لا يصح رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير وقال آخرون هو القمر قلت وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الامام أحمد حدثنا أبوداود الحفري عن ابن أبي ذئب عن الحرث عن أبي سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاراني القمر حين طلع وقال تعوذي بالله من شر هذا الغاسق اذا وقب ورواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن خاله الحرث بن عبد الرحمن به وقال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظه تعوذي بالله من شر هذا فان هذا الغاسق اذا وقب ولفظ النسائي تعوذي بالله من شر هذا الغاسق اذا وقب قال أصحاب القول الاول وهو آية الليل اذا ولج هذا لا ينافي قولنا لان القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان الا فيه وكذلك النجوم لا تضيء الا بالليل فهو يرجع الى ما قلناه والله أعلم وقوله تعالى

*(سورة

(سورة تبت وتسمى سورة أبي لهب كما في البحر هي خمس آيات وهي مكية بلا خلاف وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعائشة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت يدا أبي لهب) قال مقاتل وابن عباس خسرت وقيل خابت وقال عطاء ضلت وقيل صفرت من كل خير ومنه قولهم شابة أم تابة أي هالكة من الهرم وقيل المعنى هلكت والاول أولى وخص اليدين بالتباب لان أكثر العمل يكون بهما وقيل المراد باليدين نفسه وقد يعبر باليد عن النفس كما في قوله بما قدمت يداك أي نفسك والعرب تعبر كثيرا ببعض الشيء عن كله كقولهم أصابته يد الدهر وأصابته يد المنايا قرأ العامة لهب بفتح الهاء وقرئ بسكونها فقيل لغتان بمعنى كالنهر والنهر والشعر والشعر وقال الزمخشري هو من تغيير الاعلام ولم يختلف القراء في قوله ذات لهب أنها بالفتح والفرق انها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل وأبو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وذكره سبحانه بكنيته لاشتهاره بها ولكون اسمه كما تقدم عبد العزى والعزى اسم صنم ولكون في هذه الكنية ما يدل على انه ملابس للنار لان اللهب هو لهب النار وان كان اطلاق ذلك عليه في الاصل لكونه كان جميلا وان وجهه يتلهب لمزيد حسنه كما تتلهب النار قال القرطبي أولان الله أراد ان يحقق نسبته بان يدخله النار فيكون أبا لهب تحقيقا للنسب وامضاء للفأل والطيرة التي اختارها لنفسه وقيل اسمه كنيته وروى صاحب الكشاف انه قرئ تبت يدا أبو لهب وذكر وجه ذلك (وتب) أي هلك قال الفراء الاول دعاء عليه والثاني خبر كما تقول أهلكه الله وقد هلك والمعنى انه قد وقع ما دعى به عليه وتدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وقيل كلاهما اخبار أراد بالاول هلاك عمله وبالثاني هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه ويكون في هذا شبه من مجيء العام بعد الخاص وان كان حقيقة اليدين غير مرادة وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فاجتمعوا اليه فقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك انما جمعتنا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا أبي لهب وتب (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أي ما دفع عنه ما حل به من التباب وما نزل به من عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب من الارباح والجاه أو المراد بقوله ماله ما ورثه من أبيه وما كسب الذي كسبه بنفسه قال مجاهد وما كسب من ولد وولد الرجل من كسبه ويجوز أن تكون ما في قوله ما أغنى استفهامية أي أي شيء أغنى عنه وكذا في قوله وما كسب أي وأي شيء كسب أو مصدرية أي وكسبه والظاهر أن ما الاولى نافية والثانية موصولة عن عائشة قالت ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ابنه من كسبه ثم قرأت ما أغنى عنه ماله وما كسب قالت وما كسب ولده أخرجه ابن أبي حاتم وعن ابن عباس قال كسبه ولده أي عتيبة بالتصغير

ومن شر النفاثات في العقد قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك يعني السواحر قال مجاهد اذا رقين ونفثن في العقد وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال ما من شيء أقرب الى الشرك من رقية الحية والمجانين وفي الحديث الآخر ان جبريل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشتكيت يا محمد فقال نعم فقال بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل حاسد وعين الله يشفيك ولعل هذا كان من شكواه صلى الله عليه وسلم حين سحر ثم عافاه الله تعالى وشفاه ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤسهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم وفضحهم ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الدهر بل كفى الله وشفى وعافى وقال الامام أحمد حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما قال فجاءه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فارسل اليها من يجيء بها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجها فجاء بها فحلها قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات ورواه النسائي عن هناد

وأما عتبة فقد أسلم وفسر الكسب بالولد ليغاير ماقبله فيسلم من التكرار ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال قال الشهاب العدسة قرحة تعترى الانسان كانت العرب تهرب منها لانها تعدى أشد العدوى ثم أوعده سبحانه بالنار فقال (سيصلى نارا) قرأ الجمهور بفتح الياء واسكان الصاد وتخفيف اللام أى سيصلى هو بنفسه النار ويحترق بها وصلى من باب تعب وقرئ بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام والمعنى سيصليه الله ومعنى (ذات لهب) ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم (وامرأته حمالة الحطب) معطوف على الضمير فى يصلى وجاز ذلك للفصل أى وتصلى امرأته نارا ذات لهب وهى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان وكانت عوراء تحمل الغضى والشوك والسعدان فتطرحها بالليل على طريق النبى صلى الله عليه وآله وسلم كذا قال ابن زيد والضحاك والربيع بن أنس ومرة الهمدانى وقال مجاهد وقتادة والسدى انها كانت تمشى بالنميمة بين الناس والعرب تقول فلان يحطب على فلان اذا نم به وقال سعيد بن جبير معنى حمالة الحطب انها حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره كما فى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقيل المعنى حمالة الحطب فى النار قرأ الجمهور حمالة بالرفع على الخبرية على انها جملة مسوقة للاخبار بان امرأة أبى لهب حمالة الحطب وأما على ما قدمنا من عطف وامرأته على الضمير فى يصلى فيكون رفع حمالة على النعت لامرأته والاضافة حقيقية لانها بمعنى المضى أو على انه خبر مبتدا محذوف أى هى حمالة وقرأ عاصم بالنصب على الذم أو على انه حال من امرأته وقرئ حاملة الحطب وعن ابن عباس فى الآية قال كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبى صلى الله عليه وآله وسلم لتعقره وأصحابه وقال حمالة الحطب نقالة الحديث (فى جيدها حبل من مسد) الجيد العنق والمسد الليف الذى تفتل منه الحبال قال أبو عبيدة المسد هو الحبل من صوف وقال الحسن هى حبال تكون من شجر ينبت باليمن يسمى بالمسد وقد تكون الحبال من جلود الابل أو من أوبارها والمسد أيضا ليف المقل أو مطلق الليف والمقل شجر الدوم كما فى المصباح والمختار وفى القاموس المسد بسكون السين مصدر بمعنى الفتل وبفتحها المحور من الحديد أو حبل من ليف أو كل حبل محكم الفتل والجمع مساد وأمساد قال الضحاك وغيره هذا فى الدنيا كانت تعير النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالفقر وهى تحتطب فى حبل تجعله فى عنقها فخنقها الله به فاهلكها وهو فى الآخرة حبل من نار وقال مجاهد وعروة بن الزبير هو سلسلة من نار يدخل فى فيها ويخرج من أسفلها وقال قتادة هو قلادة من ودع كانت لها قال الحسن انما كان خرزا فى عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها فى عداوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيكون ذلك عذابا فى جسدها يوم القيامة والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا أجاد فتله قال ابن عباس هى حبال تكون بمكة ويقال المسد العصا التى تكون فى البكرة وأخرج ابن أبى حاتم وأبو زرعة عن أسماء بنت أبى بكر قالت لما نزلت تبت يدا أبى لهب وتب أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفى يدها فهر وهى تقول

عن أبى معاوية محمد بن حازم الضرير وقال البخارى فى كتاب الطب من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثنى آل عروة عن عروة فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى انه يأتى النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر اذا كان كذا فقال يا عائشة أعلمت ان الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال الذى عند رأسى للآخر ما بال الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن أعصم رجل من بنى زريق حليف ليهود كان منافقا قال وفيم قال فى مشط ومشاطة قال وأين قال فى جف طلعة ذكر تحت رعوفة فى بئر ذروان قالت فأتى البئر حتى استخرجه فقال هذه البئر التى أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء وكأن نخلها رؤس الشياطين قال فاستخرج فقلت أفلا تنشرت فقال أما الله فقد شفانى وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا وأسنده من حديث عيسى بن يونس وأبى ضمرة أنس ابن عياض وأبى اسامة ويحيى القطان وفيه قالت حتى كان يخيل اليه انه فعل الشئ ولم يفعله وعنده فامر بالبئر فدفنت وذكر أنه رواه عن هشام وابن أبى الزناد والليث بن

* مذمما ابينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا *

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يارسول الله قد أقبلت وأنا أخاف ان تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فاقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا أبا بكر اني أخبرت ان صاحبك هجاني قال لا ورب الكعبة ماهجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش اني ابنة سيدها وأخرجه البزار بمعناه وقال لا نعلمه يروى باحسن من هذا الاسناد

(سورة الاخلاص ولها(١) اسماء كثيرة)

ذكرها الخطيب وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى وهذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الاصنام والاوثان والقائلين بالثنوية والتثليث هي أربع أو خمس آيات وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا محمد انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله أحد الخ ليس شئ يولد الا سيموت وليس شئ يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شئ رواه أحمد والبخاري في تاريخه وابن خزيمة والحاكم وصححه وغيرهم ورواه الترمذي من طريق أخرى عن أبي العالية مرسلا ولم يذكر أبيا ثم قال وهذا أصح وعن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله الى آخر السورة أخرجه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم وغيرهم وحسن السيوطي اسناده وعن ابن مسعود قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة أخرجه أبو الشيخ في العظمة والطبراني وعن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم كعب بن الاشراف وحيى بن أخطب فقالوا يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فانزل الله قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد فيخرج منه الولد ولم يولد فيخرج من شئ رواه البيهقي وغيره وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما وعن أنس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني أحب هذه السورة قل هو الله أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبك اياها أدخلك الجنة رواه أحمد والترمذي وابن الضريس والبيهقي في سننه وقد وردت أحاديث كثيرة في ان من قرأ هذه السورة كذا غفر له ذنوب كذا وكذا وهي في السنن وغيرها ولكنها ضعيفة غريبة وفيها من هو متهم بالوضع وقد روى من غير وجه انها تعدل ثلث القرآن وفيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن فمن ذلك ما أخرجه أحمد والبخاري وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن يعني قل هو الله أحد قيل ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من ألحد

سعد وقد رواه مسلم من حديث أبي اسامة حماد بن اسامة وعبد الله بن نمير ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام به ورواه الامام أحمد أيضا عن ابراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة اشهر يرى انه يأتي ولا يأتي فاتاه ملكان فجلس احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال احدهما للآخر ما باله قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم وذكر تمام الحديث وقال الاستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم

(١) سورة التنزيل وسورة التجريد وسورة التوحيد وسورة الاخلاص وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة النسبة لقولهم انعت لنا ربك وسورة المعرفة وسورة الجمال وسورة المقشقشة وسورة المعوذة وسورة الصمد وسورة الاساس قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد والمانعة لانها تمنع فتنة القبر ولفحات النار وسورة المحتضر لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت والمنفرة لان الشياطين تنفر عند قراءتها وسورة البراءة لانها براءة من الشرك والمذكرة لانها تذكر العبد خالص التوحيد والنور لانها تنور القلب وعشروها سورة الانسان انتهى منه رحمه الله

فيما جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص وما في الكشاف من انها تعدل القرآن كله قال الدواني لم أره في شيء من كتب التفسير والحديث انتهى ولم يرد في فضل هذه السورة الاحديث عائشة عند البخاري ومسلم وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث رجلا في سرية فكان يقرأ لاصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن وانا احب ان أقرأ بها فقال اخبروه ان الله تعالى يحبه هذا اللفظ البخاري في كتاب التوحيد وأخرج البخاري أيضا في كتاب الصلاة من حديث أنس قال كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة فقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا انك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزيك حتى تقرأ بالاخرى فاما ان تقرأ بها واما ان تدعها وتقرأ باخرى قال ما أنا بتاركها ان أحببتم ان أؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا يرون انه من افضلهم فكرهوا ان يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك ان تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة فقال اني أحبها قال حبك اياها أدخلك الجنة وقد روي بهذا اللفظ من غير وجه عند غير البخاري وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات وفيه دليل على شرف علم التوحيد وكيف لا والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله سبحانه وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وفي التوحيد وصفاته سبحانه كتب ورسائل مستقلة مفردة تصدى لجمعها وتأليفها عصابة من أهل العلم بالكتاب العزيز والسنة المطهرة منهم شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني وتلميذه الحافظ محمد بن ابي بكر بن القيم وغيرهما من سلف الائمة وخلفها كالمقريزي والشوكاني ومحمد بن اسمعيل الامير اليماني ومحمد بن اسمعيل الدهلوي وأمثالهم رحمنا الله واياهم أجمعين اللهم اجعلنا من الموحدين اياك واحشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وتقبل منا انك أنت السميع العليم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) الضمير يجوز أن يكون عائدا الى ما يفهم من السياق لما قدمنا من بيان سبب النزول وان المشركين قالوا يا محمد انسب لنا ربك فيكون مبتدأ والله مبتدأ ثان وأحد خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الاول ويجوز ان يكون الله بدلا من هو والخبر أحد ويجوز أن يكون الله خبرا أول وأحد خبرا ثانيا ويجوز أن يكون أحد خبرا لمبتدأ محذوف أي هو أحد ويجوز ان يكون هو ضمير شأن لانه موضع تعظيم والجملة بعده مفسرة له وخبر عنه والاول أولى قال الزجاج هو كناية عن ذكر الله والمعنى ان ما سألتم تبيين نسبته هو الله أحد قيل وهمزة أحد بدل من الواو وأصله واحد ومن جملة القائلين بالقلب

بالوابه حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه ولبث ستة اشهر يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن وجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم اذ أتاه ملكان فجلس احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما بال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن الاعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال وأين هو قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه المائح فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال يا عائشة أما شعرت ان الله أخبرني بدوائي ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالابر فانزل الله تعالى السورتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة الاخيرة فقام كأنما انشط من عقال

الخليل وقال أبو البقاء همزة احد أصل بنفسها غير مقلوبة وذكر ان أحد يفيد العموم دون واحد ومما يفيد الفرق بينهما ما قاله الازهرى أنه لا يوصف بالاحدية غير الله تعالى لا يقال رجل احد ولا درهم احد كما يقال رجل واحد ودرهم واحد قيل والواحد يدخل فى الاحد والاحد لا يدخل فيه فاذا قلت لا يقاومه واحد جاز أن يقال لكنه يقاومه اثنان بخلاف قولك لا يقاومه أحد وفرق ثعلب بين واحد وبين أحد بان الواحد يدخل فى العدد وأحد لا يدخل فيه ورد عليه أبو حيان بانه يقال احد وعشرون ونحوه فقد دخله العدد وهذا كما ترى انتهى وذكر أحد فى الاثبات مع ان المشهور انه يستعمل بعد النفى كما ان الواحد لا يستعمل الا بعد الاثبات يقال فى الدار واحد وما فى الدار أحد فالجواب عنه ما قال ابن عباس انه لا فرق بينهما فى المعنى واختاره أبو عبيدة ويؤيده قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم وعليه فلا يختص احدهما بمحل دون آخر وان اشتهر استعمال أحدهما فى النفى والآخر فى الاثبات ويجوز ان يكون العدول عن المشهور هنا رعاية للفاصلة بعد فدل بقوله الله على جميع صفات الكمال وهى الثبوتية كالعلم والقدرة والارادة وبالاحد على صفات الجلال وهى الصفات السلبية كالقدم والبقاء كذا قال الكرخى قرأ الجمهور قل هو الله احد باثبات قل وقرأ ابن مسعود وأبى الله أحد بدون قل وقرئ قل هو الله الواحد وقرأ الجمهور بتنوين أحد وهو الأصل وقرئ بحذفه للخفة وقيل ان ترك التنوين لملاقاته لام التعريف فيكون الترك لاجل الفرار من التقاء الساكنين ويجاب عنه بان الفرار من التقاء الساكنين قد حصل مع التنوين بتحريك الاول منهما بالكسر (الله الصمد) الاسم الشريف مبتدأ والصمد خبره والصمد هو الذى يصمد اليه فى الحاجات أى يقصد لكونه قادرا على قضائها فهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض لانه مصمود اليه أى مقصود اليه قال الزجاج الصمد السيد الذى انتهى اليه السودد فلا سيد فوقه وقيل معنى الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل ولا يزول وقيل معنى الصمد ما ذكر بعده من انه الذى لم يلد ولم يولد وقيل هو المستغنى عن كل احد والمحتاج اليه كل أحد وقيل هو المقصود فى الرغائب والمستعان به فى المصائب وهذان القولان يرجعان الى معنى القول الاول وقيل هو الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقيل هو الكامل الذى لا عيب فيه وقال الحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعطاء وعطية العوفى والسدى الصمد هو المصمت الذى لا جوف له وهذا لا ينافى القول الاول لجواز ان يكون هذا أصل معنى الصمد ثم استعمل فى السيد المصمود اليه فى الحوائج ولهذا أطبق على القول الاول أهل اللغة وجمهور أهل التفسير وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف بذلك فهو بمعزل عن استحقاق الالوهية وحذف العاطف من هذه الجملة لانها كالنتيجة للجملة الاولى وقيل ان الصمد صفة للاسم الشريف والخبر هو ما بعده والاول أولى لان السياق يقتضى استقلال كل جملة وعن بريدة قال الصمد الذى لا جوف له وروى عنه مرفوعا ولا يصح رفعه وعن ابن مسعود مثله وفى لفظ ليس له أحشاء وعن ابن عباس مثله وعنه قال الصمد الذى لا يطعم وهو المصمت وقد روى عنه انه الذى يصمد

وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك من حاسد وعين الله يشفيك فقالوا يارسول الله أفلا نأخذ الخبيث نقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنا فقد شفانى الله وأكره ان أثير على الناس شرا هكذا أورده بلا اسناد وفيه غرابة وفى بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل

اليه فى الحوائج وفى لفظ الصمد السيد الذى قد كمل فى سودده والشريف الذى قد كمل فى شرفه والعظيم الذى قد كمل فى عظمته والحليم الذى قد كمل فى حلمه والغنى الذى قد كمل فى غناه والجبار الذى قد كمل فى جبروته والعالم الذى قد كمل فى علمه والحكيم الذى قد كمل فى حكمته وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسودد وهو الله سبحانه هذه صفة لا تنبغى الا له ليس له كفء وليس كمثله شئ وعن ابن مسعود قال الصمد هو السيد الذى قد انتهى سودده فلا شئ أسود منه وعن ابن عباس قال الصمد الذى تصمد اليه الاشياء اذا نزل بهم كربة أو بلاء (لم يلد ولم يولد) أى لم يصدر عنه ولد كما ولدت مريم ولم يصدر هو عن شئ كما ولد عيسى وعزير لانه لا يجانسه شئ ولاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا وقد دل على هذا قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة قال قتادة ان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فاكذبهم الله فقال لم يلد ولم يولد قال الرازى قدم ذكر نفى الولد مع ان الوالد مقدم للاهتمام لاجل ما كان يقوله الكفار من المشركين الملائكة بنات الله واليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ولم يدع أحد أن له والدا فلهذا السبب بدأ بالاهم فقال لم يلد ثم أشار الى الحجة فقال ولم يولد كأنه قيل الدليل على امتناع الولد اتفاقنا على انه ما كان ولد الغيره وانما عبر سبحانه بما يفيد انتفاء كونه لم يلد ولم يولد فى الماضى ولم يذكر ما يفيد انتفاء كونه كذلك فى المستقبل لانه ورد جوابا عن قولهم ولد الله كما حكى الله عنهم بقوله ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله فلما كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم وهم انما قالوا ذلك بلفظ يفيد النفى فيما مضى وردت الآية لدفع قولهم هذا (ولم يكن له كفوا أحد) هذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها لانه سبحانه اذا كان متصفا بالصفات المتقدمة كان متصفا بكونه لم يكافئه أحد ولم يماثله ولا يشاركه فى شئ وأخر اسم كان لرعاية الفواصل وقوله له متعلق بقوله كفوا قدم عليه لرعاية الاهتمام لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته وقيل انه فى محل نصب على الحال والاول أولى وقد رد المبرد على سيبويه بهذه الآية لان سيبويه قال انه اذا تقدم الظرف كان هو الخبر وههنا لم يجعل خبرا مع تقدمه وقد رد على المبرد بوجهين احدهما ان سيبويه لم يجعل ذلك حتما بل جوزه والثانى انا لا نسلم كون الظرف هنا ليس بخبر بل يجوز أن يكون خبرا ويكون كفوا منتصبا على الحال وحكى فى الكشاف عن سيبويه ان الكلام العربى الفصيح ان يؤخر الظرف الذى هو لغو غير مستقر واقتصر فى هذه الحكاية على نقل أول كلام سيبويه ولم ينظر الى آخره فانه قال فى آخر كلامه والتقديم والتأخير والالغاء والاستقرار عربى جيد كثير انتهى قال الشهاب ولعل الوصل بين هذه الجمل الثلاث وهى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد بالعاطف دون ماعداها من هذه السورة لانها سيقت لمعنى وغرض واحد وهو نفى المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجه من الوجوه وهذه أقسامها لان المماثل اما ولد أو والد او نظير فلتغاير الاقسام واجتماعها فى المقسم لزم العطف فيها بالواو كما هو مقتضى قواعد المعانى وترك العطف فى الله الصمد لانه محقق ومقرر لما قبله وكذا ترك العطف فى لم يلد لانه مؤكد للصمدية لان الغنى عن كل شئ

الربوبية والملك والالهية فهو رب كل شئ ومليكه والهه جميع الاشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له فامر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس وهو الشيطان الموكل بالانسان فانه مامن احد من بنى آدم الا وله قرين يزين له الفواحش ولا يألوه جهدا فى الخبال والمعصوم من عصم الله وقد ثبت فى الصحيح انه مامنكم من احد الا قد وكل به قرينه قالوا وأنت يارسول الله قال نعم الا ان الله اعاننى عليه فاسلم فلا يامرنى الا بخير وثبت فى الصحيحين عن أنس فى قصة زيارة صفية للنبى صلى الله عليه وسلم وهو

المحتاج اليه كل ما سواه لا يكون والدا ولا مولودا انتهى قرأ الجمهور كفوا بضم الكاف والفاء وتسهيل الهمزة وقرأ الاعرج وسيبويه ونافع فى رواية عنه باسكان الفاء مع ابدال الهمزة واوا فى الوقف وأبدلت الواو وصلا ووقفا أيضا وقرئ كفا بكسر الكاف وفتح الفاء من غير مد وكذلك مع المد والكفء فى لغة العرب النظير تقول هذا كفؤك أى نظيرك والاسم الكفاءة بالفتح قال ابن عباس ليس له كفء ولا مثل ومن زعم ان نفى الكفء وهو المثل فى الماضى لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه فى الحال فقد تاه فى غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن فى الحال ضرورة اذ الحادث لا يكون كفأ للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤل الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة الكريمة تدفع الكل أخرج البخارى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال قال الله كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

معتكف وخروجه معها ليلا ليردها الى منزلها فلقيه رجلان من الانصار فلما رأيا النبى صلى الله عليه وسلم اسرعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلكما انها صفية بنت حيى فقالا سبحان الله يارسول الله فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وانى خشيت ان يقذف فى قلوبكما شيأ أو قال شرا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا محمد بن بحر حدثنا عدى ابن أبى عمارة حدثنا زياد النميرى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان

(سورة الفلق هى خمس آيات)

وهى مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية فى أحد قولى ابن عباس وقتادة قيل وهو الصحيح وعن ابن مسعود انه كان يحك المعوذتين من المصحف يقول لا تخلطوا القرآن بما ليس منه انهما ليستا من كتاب الله انما أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان يتعوذ بهما وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما أخرجه أحمد والطبرانى وابن مردويه من طرق قال السيوطى صحيحة قال البزار لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قرأ بهما فى الصلاة واثبتتا فى المصحف وأخرج أحمد والبخارى والنسائى وغيرهم عن زر بن حبيش قال اتيت المدينة فلقيت أبى بن كعب فقلت له أبا المنذر انى رأيت ابن مسعود لا يكتب المعوذتين فى مصحفه فقال أما والذى بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهما وما سألنى عنهما أحد منذ سألته غيرك قال قيل لى قل فقلت فقولوا فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال القرطبى زعم ابن مسعود ان هاتين السورتين دعاء يتعوذ به وليستا من القرآن وقد خالف الاجماع من الصحابة وأهل البيت قال ابن قتيبة لم يكتب ابن مسعود المعوذتين فى مصحفه لانه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين بهما فقدر أنهما بمنزلة أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال أبو بكر بن الانبارى وهذا مردود على ابن قتيبة لان المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين وأعيذ كما الخ من كلام البشر وكلام الخالق الذى هو آية لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وحجة له باقية على جماعة الكافرين لا يلتبس بكلام الآدميين فضلا عن مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف باجناس الكلام وأفانين القول وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه أمن عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه وأخرج مسلم

والترمذي والنسائي وغيرهم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنزلت على الليلة آيات لم أر مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وأخرج الترمذي وحسنه وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من عين الجان من عين الانس فلما نزلت سورة المعوذتين أخذ بهما وترك ما سوى ذلك وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يكره عشر خصال ومنها انه كان يكره الرقى الا بالمعوذتين أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم وصححه وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحب السور الى الله قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس أخرجه ابن مردويه وعن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وأمسح بيده عليه رجاء بركتها أخرجه مالك في الموطا وهو في الصحيحين من طريق مالك وعن زيد بن أرقم قال سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل من اليهود فاشتكى فاتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وقال ان رجلا من اليهود سحرك والسحر في بئر فلان فارسل عليا فجاء به فامره ان يحل العقد ويقرأ آية ويحل حتى قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانما انشط من عقال أخرجه عبد بن حميد في مسنده وأخرجه ابن مردويه من حديث عائشة مطولا وكذلك من حديث ابن عباس قيل وكانت مدة سحره صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوما وقيل ستة أشهر وقيل عاما قال الحافظ ابن حجر وهو المعتمد قال الراغب تأثير السحر في النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في بدنه من حيث انه انسان أو بشر كما كان يأكل ويتغوط ويغضب ويشتهي ويمرض فتأثيره فيه من حيث هو بشر لا من حيث هو نبي وانما يكون ذلك قادحا في النبوة لو وجد للسحر تأثير في أمر يرجع للنبوة كما ان جرحه وكسر (١) ثنيته يوم أحد لم يقدح فيما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وكما لا اعتداد بما يقع في الاسلام من غلبة بعض المشركين على بعض النواحي فيما ذكر من كمال الاسلام في قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم قال القاضي ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم أرادوا به انه مجنون بواسطة السحر انتهى ومذهب أهل السنة ان السحر حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل ويؤلم ويمرض ويقتل ويفرق بين الزوجين وتمام الكلام على هذا في حاشية سليمان الجمل فارجع اليه وقد ورد في فضل المعوذتين وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما في الصلاة وغيرها أحاديث وفيما ذكرناه كفاية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الفلق) الفلق الصبح يقال هو أبين من فلق الصبح وسمي فلقا لانه يفلق عنه الليل وهو فعل بمعنى مفعول قال الزجاج لان الليل ينفلق عنه الصبح ويكون بمعنى مفعول وهذا قول جمهور المفسرين وقيل هو سجن في جهنم وقيل هو اسم من أسماء جهنم وقيل شجرة في النار وقيل هو الجبال والصخور لانها تفلق بالمياه أي تشقق وقيل هو التفلق بين الجبال لانها تنشق من خوف الله قال النحاس يقال لكل ما اطمأن من

الارض

ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس غريب وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم حماره فقلت تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس الشيطان فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعته واذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب تفرد به أحمد اسناده جيد قوي وفيه دلالة على ان القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب وان لم يذكر الله

(١) قوله ثنيته كذا في الاصل الذي بايدينا والذي في البخاري ومسلم وهو المشهور المعروف من كتب السير أن التي كسرت يوم أحد هي رباعيته صلى الله عليه وسلم لا ثنيته اه مصححه

الارض فلق وقيل هو كل ما انفلق عن جميع ما خلق الله من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شئ من نبات وغيره قاله الحسن والضحاك قال القرطبي هذا القول يشهد له الاشتقاق فان الفلق الشق يقال فلقت الشئ فلقا شققته والتفليق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق فكل ما انفلق عن شئ من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق قال الله سبحانه فالق الاصباح وقال فالق الحب والنوى انتهى والقول الاول أولى لان المعنى وان كان أعم منه وأوسع مما تضمنه لكنه المتبادر عند الاطلاق وقد قيل فى وجه تخصيص الفلق الايماء الى ان القادر على ازالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضا ان يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه وقيل طلوع الصبح كالمثال لمجئ الفرح فكما ان الانسان فى الليل يكون منتظرا لطلوع الصباح كذلك الخائف يكون مترقبا لطلوع صباح النجاح وقيل غير هذا مما هو مجرد بيان مناسبة ليس فيها كثير فائدة تتعلق بالتفسير عن عمرو بن عبسة قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ قل أعوذ برب الفلق وقال يا ابن عبسة أتدرى ما الفلق قلت الله ورسوله أعلم قال بئر فى جهنم أخرجه ابن مردويه وأخرجه ابن أبى حاتم موقوفا عليه غير مرفوع وعن عقبة بن عامر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرأ قل أعوذ برب الفلق هل تدرى ما الفلق باب فى النار اذا فتح سعرت جهنم أخرجه ابن مردويه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله عزوجل قل أعوذ برب الفلق فقال هو سجن فى جهنم يحبس فيه الجبارون والمستكبرون وان جهنم لتتعوذ بالله منه أخرجه ابن مردويه والديلمى وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال الفلق جب فى جهنم أخرجه ابن جرير وهذه الاحاديث لو كانت صحيحة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكان المصير اليها واجبا والقول بها متعينا وعن ابن عباس قال الفلق سجن فى جهنم وعن جابر بن عبد الله قال الفلق الصبح وعن ابن عباس أيضا الفلق الخلق (من شر ما خلق) متعلق باعوذ اى اعوذ بالله من شر كل ما خلقه من جميع مخلوقاته فيعم جميع الشرور فهذا عام وما بعده من الشرور الثلاثة خاص فهو من ذكر الخاص بعد العام وقيل هو ابليس وذريته وقيل جهنم ولا وجه لهذا التخصيص كما أنه لا وجه لتخصيص من خصص هذا العموم بالمضار البدنية وقد حرف بعض المتعصبين هذه الآية مدافعة عن مذهبه وتقويما لباطله فقرأ بتنوين شر على ان ما نافية والمعنى من شر لم يخلقه ومنهم عمرو بن عبيد وعمرو بن فائد وفى المدارك قرأ أبو حنيفة رحمه الله تعالى من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر بدل من شر أى شر خلقه أى من خلق شرا وما زائدة انتهى وفيه أيضا بعد وضعف كما ترى (ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل والغسق الظلمة قال الفراء يقال غسق الليل وأغسق اذا أظلم وقال الزجاج قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد والغسق البرد ولان فى الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من أماكنها وينبعث أهل الشر على العيث والفساد كذا قال وهو قول بارد فان اهل اللغة على

تعاظم وغلب وقال الامام أحمد حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا كان فى المسجد جاء الشيطان فالتبس به كما يلتبس الرجل بدابته فاذا اسكن له زنقه أو ألجمه قال أبو هريرة رضى الله عنه وأنتم ترون ذلك أما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر الله واما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عزوجل تفرد به احمد وقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس فى قوله الوسواس الخناس قال الشيطان

خلافه وكذا جمهور المفسرين ووقوبه دخول ظلامه يقال وقبت الشمس اذا غابت وقيل الغاسق الثريا وذلك انها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك وبه قال ابن زيد وهذا محتاج الى نقل عن العرب انهم يصفون الثريا بالغسوق وقال الزهري هو الشمس اذا غربت وكأنه لاحظ معنى الوقوب ولم يلاحظ معنى الغسوق وقيل هو القمر اذا خسف وقيل اذا غاب وبهذا قال قتادة وغيره واستدلوا بحديث اخرجه احمد والترمذي والحاكم وصححه وغيرهم عن عائشة قالت نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما الى القمر لما طلع فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب قال الترمذي بعد اخراجه حسن صحيح وهذا لا ينافي قول الجمهور لان القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان الا فيه وهكذا يقال في جواب من قال انه الثريا قال ابن الاعرابي في تأويل هذا الحديث وذلك ان اهل الريب يتحينون وجبة القمر وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وقيل الغاسق كل هاجم بضر كائنا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها وقيل الغاسق هو السائل وقد عرفناك ان الراجح في تفسير هذه الآية هو ما قاله اهل القول الاول ووجه تخصيصه ان الشر فيه اكثر والتحرز من الشرور فيه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال النجم هو الغاسق وهو الثريا اخرجه ابن جرير وابو الشيخ وغيرهما وروي من وجه آخر عنه غير مرفوع وقد قدمنا تأويل هذا وتأويل ما ورد ان الغاسق القمر واخرج ابو الشيخ عنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ارتفعت النجوم رفعت كل عاهة عن كل بلد وهذا لو صح لم يكن فيه دليل على ان الغاسق هو النجم او النجوم وعن ابن عباس في الآية قال الليل اذا اقبل (ومن شر النفاثات في العقد) النفاثات هن السواحر اي واعوذ برب الفلق من شر النفوس النفاثات او النساء النفاثات والنفث النفخ كما يفعل ذلك من يرقي ويسحر قيل مع ريق وقيل بدون ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في انكار تحقق السحر وظهور اثره والعقد جمع عقدة وذلك انهن كن ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرن بها قال ابو عبيدة النفاثات هن بنات لبيد بن الاعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ الجمهور النفاثات جمع نفاثة على المبالغة وقرئ النافثات جمع نافثة والنفاثات بضم النون والنفثات بدون الف وقال ابن عباس الساحرات وعنه قال هو ما خالط السحر من الرقى واخرج النسائي وابن مردويه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيأ وكل اليه وعنه قال جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعودني فقال الا ارقيك برقية رقاني بها جبريل فقلت بلى بابي انت وامي قال بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء فيك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد فرقى بها ثلاث مرات اخرجه ابن ماجه وابن سعد والحاكم وغيرهم واختلفوا في جواز النفخ في الرقى والتعاويذ الشرعية فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات

جاثم على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس فاذا ذكر الله خنس وكذا قال مجاهد وقتادة وقال المعتمر ابن سليمان عن أبيه ذكر لي أن الشيطان أو الوسواس ينقب في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح فاذا ذكر الله خنس وقال العوفي عن ابن عباس في قوله الوسواس قال هو الشيطان يأمر فاذا أطيع خنس وقوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس هل يختص هذا ببني آدم كما هو الظاهر أو يعم بني آدم والجن فيه قولان ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبا قال ابن جرير وقد استعمل

الحديث وانكر جماعة التفل والنفث في الرقى واجاز والنفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد قال النسفي يجوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا اعتماد عليه (ومن شر حاسد) الحسد تمنى زوال النعمة التي انعم الله بها على المحسود ومعنى (اذا حسد) اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه وحمله الحسد على ايقاع الشر بالمحسود قال عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد وقد نظم الشاعر هذا المعنى فقال

قل للحسود اذا تنفس طعنة * يا ظالما وكأنه مظلوم

ذكر الله سبحانه في هذه السورة ارشاد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شره ومزيد ضره وهو الغاسق والنفاثات والحاسد فكأن هؤلاء لما فيهم من مزيد الشر حقيقون بافراد كل واحد منهم بالذكر وختم بالحسد ليعلم انه اشد وأشر وهو اول ذنب عصى الله به في السماء من ابليس وفي الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حاسد يكون محمودا كالحسد في الخيرات ذكره النسفي في المدارك وعن ابن عباس في قوله ومن شر حاسد اذا حسد قال نفس ابن آدم وعينه

(سورة الناس هي ست آيات)

والخلاف في كونها مكية او مدنية كالخلاف الذي تقدم في سورة الفلق قال ابن عباس انزل بمكة قل أعوذ برب الناس وعن ابن الزبير قال انزل بالمدينة وقد قدمنا في سورة الفلق ما ورد في سبب نزول هذه السورة وما ورد في فضلها فارجع اليه وأتى الحافظ ابن القيم في البدائع بفوائد بديعة كثيرة تتعلق بالمعوذتين وكتب عشرين ورقة في بيان ذلك لا يتسع هذا المقام لبسطها ان شئت فراجعه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ) قرأ الجمهور بالهمزة وقرئ بحذفها ونقل حركتها الى اللام (برب الناس) قرأ الجمهور بترك الامالة في الناس وقرئ بالامالة والمعنى مالك أمرهم ومربيهم ومصلح أحوالهم وانما قال رب الناس مع انه رب جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم وقوله (ملك الناس) عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته سبحانه ليست كتربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والسلطان القاهر وقد اجمع جميع القراء في هذه السورة على اسقاط الالف من مالك بخلاف الفاتحة فاختلفوا فيها كما مضى (اله الناس) هو أيضا عطف بيان لبيان ان ربوبيته وملكه قد انضم اليهما المعبودية المؤسسة على الالوهية

فيهم رجال من الجن فلا بدع في اطلاق الناس عليهم وقوله تعالى من الجنة والناس هل هو تفصيل لقوله الذي يوسوس في صدور الناس ثم بينهم فقال من الجنة والناس وهذا يقوي القول الثاني وقيل قوله من الجنة والناس تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الانس والجن كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكما قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودي حدثنا أبو عمرو الدمشقي حدثنا عبيد بن ال[illegible]خشخاش عن ابي ذر قال

المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي بالايجاد والاعدام وأيضا الرب قد يكون
ملكا وقد لا يكون ملكا كما يقال رب الدار ورب المتاع ومنه قوله اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أربابا من دون الله فبين انه ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد لا يكون فبين
انه الههلان اسم الاله خاص به لا يشاركه فيه أحد وأيضا بدأ باسم الرب وهو اسم لمن قام
بتدبيره واصلاحه من أوائل عمره الى أن صار عاقلا كاملا فحينئذ عرف بالدليل انه عبد
مملوك فذكر انه ملك الناس ثم لما علم ان العبادة لازمة له واجبة عليه وانه عبد مخلوق وان
خالقه اله معبود بين سبحانه انه اله الناس وكرر لفظ الناس في الثلاثة المواضع لان عطف
البيان يحتاج الى مزية الاظهار والبيان ولأن التكرير يقتضي مزيد شرف الناس وقيل
أراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثاني الشباب ولفظ الملك المنبئ عن
السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع
الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه ذكره
النسفي ولا وجه لهذا التخصيص وانما هذا الكلام من لطائف البيان (من شر الوسواس)
قال الفراء هو بفتح الواو بمعنى الاسم أي الموسوس وبكسرها المصدر أي الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة وقيل هو بالفتح اسم لمعنى الوسوسة والوسوسة هي حديث النفس
يقال وسوست اليه نفسه وسوسة أي حدثته حديثا وأصلها الصوت الخفي ومنه قيل
لاصوات الحلي وسواس قال الزجاج الوسواس هو الشيطان أي ذي الوسواس ويقال
ان الوسواس ابن لابليس وسمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لانها شغله الذي هو عاكف
عليه وقد سبق تحقيق معنى الوسوسة في تفسير قوله فوسوس لهما الشيطان ومعنى
(الخناس) كثير الخنس وهو التأخر يقال خنس يخنس اذا تأخر قال مجاهد اذا ذكر الله
خنس وانقبض واذا لم يذكر انبسط على القلب ووصف بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه
قوله تعالى فلا أقسم بالخنس يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها كما تقدم وقيل الخناس
اسم لابن ابليس كما تقدم في الوسواس وعن ابن عباس في قوله الوسواس الخناس قال
مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب فيوسوس اليه فان ذكر الله
خنس وان سكت عاد اليه فهو الوسواس الخناس وعن أنس أن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان
نسيه التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس أخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان
وابو يعلى وابن شاهين والبيهقي في الشعب وعن ابن عباس في الآية قال الشيطان
جاث على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس واذا ذكر الله خنس وعنه قال ما من
مولود يولد الا على قلبه الوسواس فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس فذلك قوله
الوسواس الخناس وقد ورد في معنى هذا غيره وظاهره ان مطلق ذكر الله يطرد الشيطان
وان لم يكن على طريق الاستعاذة ولذكر الله سبحانه فوائد جليلة حاصلها الفوز
بخيري الدنيا والآخرة (الذي يوسوس في صدور الناس) قال قتادة ان الشيطان له
خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا غفل ابن آدم عن ذكر الله وسوس له واذا ذكر

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في المسجد فجلست فقال يا اباذر
هل صليت قلت لا قال قم فصل قال
فقمت فصليت ثم جلست فقال يا اباذر
تعوذ بالله من شر شياطين الانس
والجن قال فقلت يا رسول الله
وللانس شياطين قال نعم قال قلت
يا رسول الله الصلاة قال خير
موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر
قلت يا رسول الله فالصوم قال فرض
مجزئ وعند الله مزيد قلت يا رسول
الله فالصدقة قال اضعاف مضاعفة
قلت يا رسول الله فأيها أفضل قال
جهد من مقل أو سر الى فقير قلت
يا رسول الله أي الانبياء كان أول

العبد

العبد به خنس قال مقاتل ان الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه سلطه الله على ذلك ووسوسته هي الدعاء الى طاعته بكلام خفي يصل الى القلب من غير سماع صوت والجملة في محل الجر على الصفة أو الرفع على تقدير مبتدا والنصب على الذم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس ثم بين سبحانه الذي يوسوس بانه ضربان جني وانسي فقال (من الجنة والناس) أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس وأما شيطان الانس فوسوسته في صدور الناس انه يرى نفسه كالناصح المشفق فيوقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته كما قال سبحانه شياطين الانس والجن ويجوز أن يكون متعلقا بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس ويجوز أن يكون بيانا للناس قال الرازي وقال قوم من الجنة والناس قسمان مندرجان تحت قوله في صدور الناس لان القدر المشترك بين الجن والانس سمى انسانا والانسان أيضا يسمى انسانا فيكون لفظ الانسان واقعا على الجنس والنوع بالاشتراك والدليل على ان لفظ الانسان يندرج فيه لفظ الانس و الجن ماروى انه جاء نفر من الجن فقيل لهم من أنتم قالوا ناس من الجن وأيضا قد سماهم الله تعالى رجالا في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وقيل يجوز أن يكون المراد أعوذ برب الناس من الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ومن الجنة والناس كانه استعاذ به من ذلك الشيطان الواحد ثم استعاذ به من جميع الجنة والناس وقيل المراد بالناس الناسي وسقطت الياء كسقوطها في قوله يوم يدع الداع ثم بين بالجنة والناس لان كل فرد من أفراد الفريقين في الغالب مبتلى بالنسيان وأحسن من هذا أن يكون قوله والناس معطوفا على الوسواس أي من شر الوسواس ومن شر الناس كانه أمر أن يستعيذ من شر الجن والانس قال الحسن أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس وأما شيطان الانس فيأتي علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الانس وواحد الجنة جني كما ان واحد الانس انسي والقول الاول هو أرجح هذه الاقوال وان كان وسوسة الانس في صدور الناس لا تكون الا بالمعنى الذي قدمناه ويكون هذا البيان تذكر الثقلين للارشاد الى ان من استعاذ بالله منهما ارتفعت عنه محن الدنيا والآخرة وعن ابن عباس قال قيل يارسول الله أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذي

قال آدم قلت يارسول الله ونبيا كان قال نعم نبي مكلم قلت يارسول الله كم المرسلون قال ثلثمائة وبضعة عشر جما غفيرا وقال مرة خمسة عشر قلت يارسول الله اي ما انزل عليك اعظم قال آية الكرسي الله لا اله الا هو الحي القيوم ورواه النسائي من حديث أبي عمر الدمشقي به وقد أخرج هذا الحديث مطولا جدا أبو حاتم بن حبان في صحيحه بطريق آخر ولفظ آخر مطول جدا فالله أعلم وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني أحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء احب الى من ان اتكلم به قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة ورواه أبو داود والنسائي من حديث منصور زاد النسائي والاعمش كلاهما عن ذر به *(آخر التفسير ولله الحمد والمنة والحمد لله رب العالمين)*

(يقول العبد الضعيف الخامل المتواري مؤلف هذا التفسير صديق ابن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري ختم الله له بالحسنى واذاقه حلاوة رضوانه الاسنى)

والى هنا انتهى هذا التفسير الجامع بين فنى الرواية والدراية الرافع من ألوية التحقيق والتنقيح أعظم راية وكان الفراغ منه فى ضحوة يوم الجمعة لعله التاسع والعشرون من شهر ذى الحجة أحد شهور سنة تسع وثمانين بعد مائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية وقد تم بتمامه وانتهى بانتهائه الاسبوع والشهر والسنة اللهم كما مننت على باكمال هذا التفسير وأعنتنى على تحصيله وتفضلت على بالفراغ منه على ما أردت فامنن على بقبوله واجعله لى ذخيرة خير عندك واجزل لى المثوبة بما صرفت الوقت فى تحريره كما قلت فى كتابك انى لا اضيع عمل عامل منكم وكما قلت فى هذا الباب

كل يجيء بكسبه وكتابه * يوم القيامة آخر الازمان

فى حضرة الرحمن جل جلاله * عم الورى بالعفو والغفران

ويجيء هذا العبد وهو مقصر * بكتابه التفسير فتح بيان

ثم اللهم انفع به من أخلفه من بعدى من ولدى ومن شئت من عبادك المؤمنين ليدوم لى الانتفاع به بعد موتى فان هذا هو المقصد الجليل والمطلب الجميل من هذا الجمع والتأليف واجعله خالصا لوجهك الكريم وتجاوز عنى اذا خطر لى من خواطر السوء ما فيه شائبة تخالف الاخلاص والتوحيد واغفر لى ما لا يطابق مرادك فانى لم أقصد فى جميع ابحاثى فيه الا اصابة الحق وموافقة ما ترضاه فان أخطأت فانت غافر الخطيآت ومسبل ذيل الستر على الهفوات وان أصبت فانت قابل الطاعات ومانح العطيات يا بارئ البريات وقد جمعته فى زمن أهله بغير الكتاب والسنة يفخرون وصنعته كما صنع نوح عليه السلام الفلك ومنه يسخرون ولله در من يقول

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

ثم اللهم وأحمدك على ما أوليتنى من نعمك الوافرة من الاموال والاولاد والعلم النافع من الكتاب العزيز والسنة المطهرة لا احصى حمدا لك واشكرك على ما رزقتنى من خلوص النية فى القول والعمل والاعتقاد لا أحصى شكرك انت كما اثنيت على نفسك وقد رويت فى صحيح مسلم بن الحجاج بسنده المتصل الى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له اللهم فهذا علم ينتفع به وقد علمت نيتى وعدم انتصارى فى تفسير كتابك لمذهب ذاهب أو قول قائل ما عدا اقوالك وما صح عن رسولك صلى الله عليه وآله وسلم فانفعنى به فى الحياة الدنيا وفى الآخرة واجزنى بما أنت له أهل يا أهل التقوى وأهل المغفرة وهذه أولادى فاجعلهم من عبادك الصالحين وممن يدعو لى بعد مماتى ووفقهم للعلم النافع والعمل الصالح واحفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم مما لا تحبه ولا ترضاه واجعل لى ولهم لسان صدق فى الآخرين رب أوزعنى ان أشكر

نعمتك

نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى
فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين وقد طعنت فى العشر
الخامس من عمرى ووهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا
فاعذرنى فلم أكن بدعائك رب شقيا واختم
الكلام بالحمد لله رب العالمين كما بدأ نابه
أول مرة وصلى الله تعالى وسلم
وبارك على خير خلقه محمد
وآله وصحبه كرة
بعد كرة
(تم)

﴿يقول مصححه﴾

ولما تم بدر هذا التفسير الجليل وبرز للعيان يتيه على عشاقه بشكله الجميل ولحظته عيون الادباء فى جميع الآفاق والاقطار وأعملوا فيه جياد أفكارهم مدى الليل والنهار انطلق كل منهم فى حلبة المديح معددا محاسنه مقرظا مثنيا على مؤلفه حفظه الله بحسن اجادته ناطقا ببعض فضائله لافظا

(فمنهم شيخ الادباء وتاج الاذكياء الحنفاء ونخبة الاصدقاء الشيخ أمين بن حسن المدنى الحلوانى أعانه الله تعالى بنيل الامانى قال حفظه الله مقرظا له مؤرخا عام طبعه الاول بالمطبعة العامرة بمدينة بهوپال بلغ الله أهلها وأميرهم الاعظم ورئيسهم وسيدهم الاكرم جميع الآمال)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

خير الكلام كلام الرب جل وعلا وأعظم الآثار شأوه على رؤس الملا اللهم اجعل أفضل صلواتك وأزكى تحياتك على من أنزلت عليه كلامك المجيد واتخذته على حلى مفرق الوحى والجيد محمد سيد البدو والحضر وأفضل من وفى ونهى وأمر صلى الله عليه وعلى من والاه مادعا داع مخبت أواه (وبعد) فان علم التفسير هو فى نفسه خطير بيد أنه العلة الاولى لجميع العلوم والسبب الاقصى فى المنطوق والمفهوم جبر وان كان السلف بنوا فيه القصور المناظر الا انه كم ترك الاول للآخر وان فى الخمر معنى ليس فى العنب وبينما كان الناس يخبطون خبط عشواء ويهيمون بليل عمياء فى غبار المحاربات بين الفخر والزمخشرى الا وقيض الله لهم السرى ابن السرى ابن السرى ألا وهو النواب (السيد محمد صديق حسن خان بهادر) أمير بوفال أحسن الله له الفال فانه وان ظهر بعد حين الا انه أتى بما لم يحوه زبر الاولين وهاك تفسيره المسمى (بفتح البيان) فانه أحسم دليل وأقطع برهان وأوضح صباح وأبلج تبيان فى حل منازعات المتقدمين وكشف اشكالات العلماء الراسخين وبيان أسرار كلام رب العالمين

ولتعلمن نبأه بعد حين وهذه التفاسير ألوف على وجه الغبراء فاطرح التقليد واعبر المرآة تعلم ان فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل وانه لاعطر بعد عروس وقد وضح الصبح لذى عينين واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ولما طلعت شمس طبعه على الوجود وأينع منها الغصن واورق العود أنشدت مؤرخا ومادحا ولاعدائه صادما وكابحا (شعر)

أبجريت يا بوفال طرف بياني * وسلوت فيك محاسن الأوطان
بمديح مهدى الأوان من اقتنى * فى سيره ماسنه العمران
نواب بوفال رعاها الله كم * تسمو به شرفا على كيوان
صديقها حسن امام العصر من * شرفت به الآباء من عدنان
هو حيدر فى فتكه بل يوسف * فى حسنه فى درعه القمران
يا بدر أفق العلم بل ياشمسه * يا غوثه يا ديمة الظمآن
أسديت فى بوفال ثوب عدالة * ماحاكه كسرى أنوشروان
وغرستها شجر الفهوم فأصبحت * تزهو على بلدبه الهرمان
ومنحتها سبل السلام فأينعت * زهر الربيع وروضة النعمان
ياحسن روض بالمعارف مورق * أروى به الوسمى غصن البان
سل عنه دار الطبع كم أسدى بها * دررا تفوق قلائد العقيان
سل عنه أهل الزيغ كم أرداهم * ببيانه وجنانه وسنان
وسل العلوم وأهلها هل عاينوا * بحرا ينظم سبحة المرجان
وانشدهم مستفسرا اهل شاهدوا * صبحا كصبح مقاصد الفرقان
لله ما أبديته من معجز الـ * رازى والانوار والتبيان
وجليت فى الفرقان آيات لها * فى كل فقرة آية بحران
وألنتها زهر البديع مفوقا * أزرى البديع وخطبتى سحبان
ونسجته فى الطبع احسن مطرف * يكسو الانام ملاحف العرفان
لما انتهى فى طبعه أرخت فى * فتح البيان مفصل القرآن

٣٨٢ ٢٤٠ ٩٤ ٤٨٨ ٩٠

سنة ١٢٩٤

(وكتبه فقير ربه وأسير ذنبه أمين بن حسن الحلوانى المدنى عفى عنه)

(وهذه قصيدة بديعة وكلمة رفيعة سمح بها طبع الاديب وخاطر اللبيب تاج البلغاء الكرام وامام الفصحاء العظام الشيخ المكرم السهارنفورى فيض الحسن حفظه الله عن كل ما يكره فى السر والعلن عندما وقف على تأليف هذا التفسير ووجده حين النظر اليه نظير نسخة الاكسير)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ماسمعنا بمثل فتح البيان * فى المبانى ولا ولا فى المعانى

قوله فى المبانى أى الالفاظ اه منه

فعانيه

فعا نيه عين عذب فرات * ومبانيه جنة من جنان
لا ولا ثم لا ولا مثل شئ * منه شئ من الكبار المثان
من رأى مثله رآه وأنى * مثله عز مثله فى زمانى
انظرن فيه فانظرن فيه تنظر * فيه ماليس فى الحسان السمان
يالها من جميلة ذات حسن * تتمناه ناعمات غوان *
اتحب الحسان حباشديدا * بعدها ويك من محب مدان
كل ما فيه نضرة وسرور * للذى بات عنده فى مكان
حسبه انه على كل حال * كاشف عن لطائف القرآن
ان وضعناه فوق سبع شداد * جاز اذ حل فيه سبع المثانى
امره بين غنى عن المد * ح وقد جل مدحه عن بيان
يكشف المعضلات سهلا يسيرا * فكأن حلها ذوات البنان
مرتع مونق ومرعى مريع * غاثه كل صيب هتان
منهل حوله القلوب الصوادى * منظر دونه العيون الروانى
انه فانظروه أو فاسمعوه * لذة للعيون والآذان
بيت حسن من المعانى منيف * كل بكر به وكل عوان
لم ازره وكيف زورة بيت * فيه شئ يقول لى لن ترانى
لن ترى فيه من فتور ونقص * ولمن أسس البنا خبربان
كيف يلفى له نظير ولما * يلف فيما مضى لبانيه ثان
بيته المجد وهو قصر مشيد * ذو سمو و راسخ البنيان
خير قوم بنوا بيوت المعالى * ثم هم عامروا بلاد الأمانى
هاشمى له مكارم قوم * لم يكن مثلهم بعيد ودان
بلغوا المجد والعلى بنفوس * ماجدات وأوجه غران
* آل زهراء ثم آل على * أكرم الناس أشجع الشجعان
ذا الذى خر دونه كل فخر * ناله من علا من الفتيان
يخلق الامر فى فؤاد رحيب * ثم يمضى فيه كسيف يمان
وجنى المجد بعد نضج وينع * غير جان ويا له من جان *
لذة فى نواظر الناس طرا * رحمة فى ضمائر الأقران
فى حسود وهم على ما أصابوا * فى صغار وذلة وهوان
لا يبالى بشامخات رواس * من علو له على كل شان
* ثم لله دره من كريم * سل من حرة حصان رزان
فيه عز كأنه ذل عز * لخشوع ورحمة وحنان
ذو خضوع كأنه ذو صغار * ذو وقار كأنه ذو توان
كيف لا وهو حق عرق كريم * عنده الفقر والغنى سيان

قوله من الكبار أى التفاسير الكبار اه منه

قوله مونق أى معجب اه منه
قوله الروانى من رنى اليه اذا نظر اه منه

قوله لم أزره قد زاره بعد نظم هذه الكلمة فوجده فوق ما ظنه اه منه
قوله يلفى أى يوجد اه منه

قوله يخلق الامر أى يقدره اه منه
قوله غير جان من الجناية وقوله من جان من جنى التمر اه منه

قوله سل أى ولد اه منه

لم تغيره نعـــمة وثراء * اسواء لديه باق وفان
فى اسمه مبدآن صدق وحسن * وكلا المبدآين للخير بان
يعرف المرء حيث كان ولا يغـ * ـمض عنه وان بعيد المكان
عارف بالعلى مكين أمين * مستعان وحب من مستعان
فاضل كل فضله فضل ربى * لا يدانيه رب فضل مدان
كل فضل له وما كان فضل * لم يكن فيه شهرة ويدان
كاتب ذويد وأيديداه * كجوادين أرسلا فى رهان
بارك الله فيه ماهبت الريـ * ـح صباح الندى على الاغصان
صانه الله من شرور الدواهى * ومضى فى كلاءة وامانى
ذاد عاه بخير ولا يذ * هب ما كان من نعيم الجنان

قوله وان بعيد أى وان كان اه منه

*(ومنهم الشيخ العلامة والمفسر المحدث الفهامة ذو الفضل السامى
الشيخ على بن عبد الله الشامى الكانى خصه الله تعالى بمراحمه)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحان الفاتح المانح اللهم انى أسألك التوفيق لما تحب وترضى وأستمنحك حامدا لك باسمائك وعلى جلائل آلائك ودقائق نعمائك الباهرة الغراء حمدا تتعطر مجارى الانفاس بنفحة من نفحاته وتتفجر أنهار انوار الاسرار بلمحة من لمحاته وتتدفق مناهل الافكار برشحة من رشحاته وأصلى وأسلم على سيدنا محمد العظيم الشان المؤيد بالآيات البينات والمعجزات الباهرات الذى محى ظلم الشرك والطغيان وسل سيف عزمه فاستنار منار الاسلام والايمان واقام دلائل التوحيد بالسيف والبرهان وعلى اهل بيته خزنة اسراره وعلى آله واصحابه وانصاره الذين كشفوا عن مخدرات مكنونات الكتاب النقاب وخاضوا عبابه واستخرجوا درر فرائده وجواهر قلائده وفتحوا لطالبيه الباب (وبعد) فلا يخفى ان العلوم وان عظمت اخطارها وتباينت اقدارها فعلم التفسير هو الجدير بان يشمر له ساق الجد والعناية ويعتنى فى تحصيله باتقان الرواية والدراية وقد بذل الائمة والسلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من الخلف الفالح هممهم العلية وافكارهم الوقادة المرضية فى استخراج دقائقه وبث كنوز حقائقه مستضيئين من أنوار مشكاة النبوة الزاهرة فضاءت واشرقت على صفحات قلوبهم أسرار أنواره الباهرة فهم أول من صلى وجلى فى ذلك الميدان فجزاهم الله أحسن الجزاء وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم ليعلم ان من أجل ماطالع الحقير من التفاسير العظيمة الحسان وأفضل وأحسن ما ألف فى هذا الشان ماجمعه المولى الهمام جامع فضائل الانام السيد العلامة الامام الحافظ السند ذو الجاه المعتمد الاواب (محمد صديق حسن خان صاحب بهادر النواب) فرأيته مؤلفا حاويا للباب مشتملا على غرر درارى العباب تبهر جزالة معانى ألفاظه عقول أولى الالباب مع احكام قواعد وايجاز بيان وتقييد أوابد وتنقيح لطائف شوارد وثمرات أسرار لم تنسق قبل ذلك فى تفسير ولا كتاب

جامعاما نعامظهرا للانوار الساطعة التى لا يحويها خطاب كيف لا وجامعه مرتضع لبان الفضائل والعلوم ومرصع جواهر المنطوق والمفهوم دري بفنون أنواع الدراية امام متقن لمدارك الرواية لا زال محروسا بعين العناية ولقد اتفق به الحقير لما رحل الى بيت الله سنة خمس وثمانين ومائتين وألف فلما وقع نظر الحقير عليه رأيته آية من آيات الله وأيقنت انه بجوامع الفضل والفضائل أولى وأحرى فاجريت سوابق فكرى اليه فانقلب آصف فهمي قائلا ايها او ان وجدناه لجرا لا زال محفوظا و بعين الله تعالى ملحوظا جامعا الفنون العلوم موضحا بديع بيانه ما ارتبك (١) على القوم أمين اللهم أمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذى انزل عليه الكتاب والشفيع يوم المآب كتب ذلك نجلا الحقير على بن عبد الله الشامى الكانى تاب الله عليه ورحم والديه والمسلمين أمين

(١) ارتبك اختلط عليه أمره اه قاموس

(ومنهم الشيخ المحترم النبيه والعلامة المفسر الفقيه يحيي ابن محمد المفتى بجديدة عظمه الله تعالى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى آله وصحبه أجمعين (وبعد) فان من نعم الله على عبده الحقير الفقير خليق الكسل والتقصير ان أوقفه الله على هذا التفسير الخطير الذى لا حد لفضائله ولا تقدير تأليف الملك الهمام والعلامة الامام الذى فاق اهل زمانه ولم يفقه من تقدمه من العلماء الاعلام (أبى الطيب السيد محمد صديق حسن خان نواب والاجاه) وقد سرحت النظر فى ربعه الأول فرأيته الغاية فى فنه وجنسه محكم الوضع والترتيب فى بنائه وأسه حاويا جميع مباحث العلوم سهل التناول لارباب العقول والفهوم سلك فيه مسلكا باهرا عجيبا وطريقا واضحا قريبا اتضح فيه للناظر المراد بأول وهله ولا يحتاج لكثير تأمل له بخلاف غيره من التفاسير المتقدمة فان غالب مباحث أكثرها يصعب فهمها على هذه الافهمة ولعمرى لقد أوضح بحسن تقريره اسرار الكتاب العزيز ونظم فى سلك تحريره جواهر الابريز وكشف عن عجائبه واسراره وانفرد من ذلك بعالم يحوه شئ من كتب التفسير وأسفاره فجزى الله مؤلفه خير الجزاء وبوأه بجميل صنعه دار الكرامة والرضا وأدام النفع به للمسلمين الى يوم الفصل والقضاء آمين

(وقال الهمام الاكمل والعلامة الافضل الشيخ محمد عبد المجيد خان مهتم مطابع الرياسة العلية بهوپال المحمية حفظه رب البرية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم والصلاة والسلام على رسوله محمد الذى هدى الناس كافة الى خير الهدى وعن الضلالة ذبهم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بالاحسان وأحبهم (وبعد) فيقول الراجى عفو ربه الرحمن (محمد عبد المجيد خان) خصه الله تعالى بالغفران وعفا عنه ما جناه

باللسان والجنان والاركان مهتم مطابع الرياسة العلية (بهوبال) المحمية والعامل على تلك الصنعة البهية ان هذا التفسير المبارك الميمون والزبور الكريم المصون عن ريب المنون قد ألفه مؤلفه السيد العلامة وحرره جامعه الشريف الفهامة بحسب استبداد جماعة من أهل العلم بالقرآن نخبتهم الطبيب الماهر الحاجى فورى الحكيم (محمد احسن) أنعم الله عليه واليه أحسن فى ثمانية أشهر ونظر عليه النظر الثانى فى أربعة أشهر فكان مدة تأليفه الكامل عام واحد ثم بيضه نخبة البررة وزبدة الخيرة السيد (ذوالفقار أحمد) البهوبالى رقاه الله الى مدارج المعالى فى سنتين ثم صدر الامر المطاع بطبعه فى تاج المطابع ورأس المصانع فكتبه الحافظ لكتاب الله المجيد والتالى له باللحن السديد (على حسين) اللكنوى صانه الله عما شانه فطبع كما تراه مطبوعا لاهل العمل والعلم وعاد أحسن المصاحف موضوعا لدى أصحاب الفضل والحلم وكان ذلك فى مدة أربعة أعوام وصحح حروفه وأصلح فروفه الشيخ الصالح العالم النبيه واللوذعى الالمعى الفقيه (محمد عبد الصمد) ابن الفاضل الاريب الكامل الاديب للوى (عبد الرب) الفشاورى أحسن الله اليهما وأنعم عليهما (فلما) تم طبعه ونفد وضعه حسب المصروف عليه من المعلوم الذى بذله المؤلف حفظه الحى القيوم على تصحيحه وكتابته وأجرة العاملين على طبعه وغير ذلك مما لابد منه فى طبع الكتب واشاعتها وزبر الصحف المطولة واذاعتها فكان جملة النفقة فى ذلك زهاء خمس عشرة ألف ربية وقد طار خبره قبل تمامه وتضوع مسك ختامه الى البلدان واستطلبه كل من سمع به أو نظره من الاعيان من أهل صنعاء وأبى عريش وزبيد وبيت الفقيه وبلاد الحجاز ومصر والشام والقدس وبلغار ومن حل بها من بقية علماء الديار وكرام الامصار واستحسنوه استحسانا بالغا ورجحوه على جميع دفاتر التفاسير المتقدمة والمتأخرة وقالوا من ظفر به وفهمه فقد صار فى العلماء نابغا وهو حرى بذلك فانه لم يؤلف مثله فى هذه المسالك والمدارك وقد أولم عليه حضرة النواب الرفيع الخطاب ولمة حسنة وأطعم كل من له المام بعلم الكتاب والسنة وأضافهم ضيافة مستحسنة وخلع على أهل المطابع والمصححين باحسن خلاع تنبغى للمحسنين كما صنع الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله ولمة عند ختم فتح البارى شرح صحيح البخارى ثم جادت الرئيسة المكرمة وسليكة هذه الديار المعظمة تاج العروس وبهجة النفوس من يباهى بها الدهر ويفتخر بها الفخر عادلة الزمان ومكرمة الانام ونسخة الامان وحسنة الايام ونخبة رؤساء الديار الهندية وحامية حمى الشريعة الحقة الصادقة السنية حضرتنا (نواب شاهجهان بيكم) والية المملكة البوفالية رفع الله قدرها وأجل أمرها وأنجح مرامها وأسعف نظامها وبارك لها وعليها وفيها وخضع لجنابها رقاب من فى نواحيها وضواحيها ببذل نسخ كثيرة من هذا الكتاب الكريم والتفسير الشريف العظيم على أهل الفضائل والعلوم الساكنين بالهند والحجاز وحديدة والحرمين الشريفين ومصر والقدس والروم اشاعة لاحكام رب العالمين واذاعة لمقاصد هذا الرقيم الكريم وتبليغا للدين القيم القويم

وهدايتهم الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين عم الله تعالى نفعه لعصابة المؤمنين وزمرة المتبعين لسنة سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أتبعين اكتعين • وقد أرخ تأليف هذا الكتاب وطبعه جماعة من أهل الدين بما رشيقة وجمل أنيقة يتضح منها زمان الطبع والتأليف من غير مشقة لذلك وتكلف وتكليف وهي هذه (١)

•(تاريخ التأليف للسيد العالم الحنفي أبي الحامد محمد يوسف علي المولوي الكوپاموي أنعم الله عليه في الدنيا والآخرة وحباه بنعمه الذاخرة الفاخرة)•

اسوة الاعلام صديق الحسن • فسر الذكر بتفسير فريد
التمست القلب عن تاريخه • قال ايضاح لقرآن المجيد

سنة ١٢٨٩ هجرى

(تاريخ التأليف للناسخ الراسخ القوى الحافظ لكتاب الله العلى الشيخ الحاج على حسين اللكنوى كاتب هذا التفسير سلمه الله وعافاه وأوصله الى ما تمناه)•

•(وانه لهدى وبشرى للمتقين)•

سنة ١٢٨٩ هجرى

وله لعام الطبع الاول في بهوپال

قدوة الاعيان تاج الاذكيا • ناشر الاسلام بالفكر السديد
مجمع الاوصاف ذو الفضل الجلى • منبع الخيرات بالجهد المزيد
حضرة النواب صديق الحسن • ألف التفسير بالطرز الجديد
قال عام الطبع قلبي ملهما • انه تفسير قرآن مجيد

سنة ١٢٩٤ هجرى

(١) بهامش الاصل المطبوع ما نصه وقد شارك مد ظله في تصحيح هذا التفسير المبارك وتحرير صوابه من خطئه ولم يأل جهدا في ذلك بل نظر من أول الكتاب الى آخره نظر اتقان وايقان وبالله التوفيق وهو المستعان اه

(يقول حسيب الأعتاب الحسينية الفقير الى الله تعالى محمد الحسيني خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المعزية)

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه فقد تم طبع هذا التفسير الجليل رائق المنهل والعذب السلسبيل الروض الانف الذي يقتطف رائده من شهي ثمار المعاني القرآنية كل دانية جنية والكنز الحصين الذي يظفر داخله بكل ثمينة يتيمة عالية المقدار غالية الاسعار فريدة بهية جلا لنا من عرائس الآي القرآنية كل خود غيداء بضة خفرة وضية يهيم بها عذرى البلغاء وتعنو لهيبتها وجوه الفصحاء فلله تفسير صيت حسنه بعيد المدى فى نسق عباراته لسالكى مفاز البيان آيات بينات وهدى هين المسار بين المنار كيف لا وناظم عقده وناثر أزاهيره ووروده الصنع الماهر والطبن الخبير الباهر أنجب من أجرى جوادا فى ميدان بيان وأرمى من فوق سهما فأصاب فؤاد الغرض وبرز على كل انسان العالم النحرير والبطل الشهير سيد الفضلاء ومربي الجهابذة النجباء الملك العدل مالك زمام رعيته بسائغ الفضل الذى أنام رعيته فى ظل الامان حضرة*(نواب والاجاه أمير الملك بهادر السيد محمد صديق حسن خان)* على نفقة بدر هالة الاقاليم الهندية وشمس أفق الدائرة البهوبالية مشيدة مملكتها على أساسها المكين وقائدة رعيتها بزمام عدلها المتين السيدة الرئيسة الفاضلة الرامية بسهام حزمها الناضلة حضرة (نواب شاهجهان بيكم) أدام الله دولتها ببقاء حضرة عماد ركنها الشديد وطود عزها الشامخ الوطيد الشهم الامام والملك الجليل الهمام حضرة مولانا المسمى سابقا المشار اليه المعول فى حل المشكلات وفك المعضلات عليه أدام الله طلعته وأزهر فى رياض القبول نضرته فى ظل الحضرة الخديوية التوفيقية التى جعلها الله رحمة لعباده وأمنا عاما وغيثا مريعا مخصبا لجميع أرضه وبلاده حتى رفلوا فى حلل الثروة والابتهاج وزال عن أعواد معايشهم الأود والاعوجاج لازالت ألوية الثناء الجميل على هامتها خافقة وألسنة العباد بشكر عميم فضائلها وجميل مساعيها ناطقة ونسأل الله تعالى أن يديم لنا حضرات الانجال الكرام ويجعلهم غرة فى جبين الليالى والايام وكان هذا الطبع الجميل والشكل الحسن البديع الجليل بالمطبعة العامرة ببولاق مصر القاهرة ملحوظا بنظر حضرة ناظرها العظيم الشان رفيع المكانة والمكان الذى بشهرته عن اطراء المادح يستغنى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

